فتح الباري

بشرح صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

أشرف على تحقيق الكتاب وراجعه

شعيب الأرنؤوط عادل مرشد

حقق هذا الجزء وخرجه وعلق عليه

عادل مرشد محمد كامل قره بللي

شارك في تخريج نصوصه

عبد اللطيف حرز الله

الجزء العاشر

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح الباري

بشرح صحيح البخاري

١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

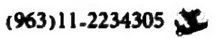
Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

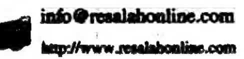
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

 2625

☎ (963)11-2212773


(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic


info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب أحاديث الأنبياء

٣٦١/٦

قوله: «**بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب أحاديث الأنبياء**» كذا في رواية كَرِيمة في بعض النُّسَخ، وفي رواية أبي عليّ بن شَبّويه نحوه، وقَدَّمَ الآية الآتية في التَّرجمة على الباب، ووَقَعَ في ذِكْر عَدَد الأنبياء حديث أبو ذرٍّ مرفوعاً: أنَّهم مئة ألف وأربعة وعشرونَ ألفاً، الرُّسُل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، صَحَّحَه ابن حِبّان[1].

والأنبياء جمع نبيّ، وقد قُرِئَ بالهمزة فقيل: هو الأصل وتركُه تسهيل، وقيل: الذي بالهمز من النَّبأ، والذي بغير همز من النُّبوَّة: وهي الرِّفعة، والنُّبوَّة نِعْمة يَمُنّ بها على مَن يشاء ولا يَبلُغها أحد بعِلمِه ولا كَشْفِه، ولا يَستَحِقّها باستعدادِ وِلايته، ومعناها الحقيقي شرعاً: مَن حَصَلَت له النبوَّة. وليست راجِعةً إلى جِسم النبي ولا إلى عَرَض من أعراضه، بل ولا إلى عِلْمه بكَونِه نبيّاً، بل المرجع إلى إعلام الله له بأنّي نبّأتُك أو جَعَلتُك نبيّاً، وعلى هذا فلا تَبطُل بالموت كما لا تَبطُل بالنَّومِ والغَفْلة.

١ - باب خلق آدمَ صلوات الله عليه وذُرِّيَّتِه

﴿صَلۡصَٰلٍ﴾: طينٌ خُلِطَ برَمْلٍ، فصَلْصَلَ كما يُصَلْصِلُ الفَخّارُ، ويقال: مُنتِنٌ، يُرِيدونَ به صَلَّ، كما يقال: صَرَّ البابُ وصَرْصَرَ عندَ الإغلاق، مِثلُ: كَبْكَبتُه، يعني: كَبَبتُه.

---

(١) في «صحيحه» برقم (٣٦١) لكن بلفظ: «مئة ألف وعشرون ألفاً...»، وسنده فيه ضعيف جدّاً، وروي بإسناد آخر عن أبي ذر عند أحمد (٢١٥٤٦) دون ذكر عدد الأنبياء، إلّا أنه ضعيف أيضاً، وله شاهد من حديث أبي أمامة عند أحمد (٢٢٢٨٨) بلفظ: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر» وسنده ضعيف جدّاً، لكن يصحُّ منه عدد الرسل، فقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٥٤٥)، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٦٢ بسند صحيح عن أبي أمامة قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاث مئة وثلاثة عشر».

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٩]: استَمرَّ بها الحملُ فأتمَّته.

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢]: أن تَسجُدَ.

وقولِ الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:٤]: إلّا عليها حافظٌ.

﴿فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]: في شِدّةِ خَلْقٍ.

«وَرِياشاً» [الأعراف:٢٦]: المال.

وقال غيرُه: الرِّياشُ والرِّيشُ واحدٌ: وهو ما ظَهَرَ مِن اللِّباس.

﴿مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة:٥٨]: النُّطْفةُ في أرحامِ النِّساء.

وقال مجاهدٌ: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق:٨]: النُّطْفةُ في الإحليلِ.

كلُّ شيءٍ خَلَقَه فهو شَفْعٌ، السماءُ شَفْعٌ، ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣]: اللهُ عزَّ وجلَّ.

﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]: في أحسنِ خَلقٍ.

﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين:٥]: إلّا مَن آمَنَ.

﴿خُسْرٍ﴾ [العصر:٢]: ضَلالٍ، ثمَّ استثنى فقال: إلا مَن آمَنَ.

﴿لَّازِبٍ﴾ [الصافات:١١]: لازمٌ.

نُنشِئكم في أيِّ خلقٍ نَشاءُ.

﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة:٣١]: نُعظِّمُكَ.

وقال أبو العاليةِ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، فهو قولُه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة:٣٦]: فاستزَلَّهما.

﴿يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة:٢٥٩]: يتغيَّرْ.

﴿ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]: مُتغيِّرٌ.

والمسنونُ: المتغيِّر.

﴿حَمَإٍ﴾ [الحجر:٣٣]: جمعُ حَمْأَةٍ: وهو الطِّينُ المتغيِّر.

﴿يَخْصِفَانِ﴾: أَخْذُ الخِصَاف، ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٢]: يُؤَلِّفان الوَرَقَ، ويَخصِفان بعضَه إلى بعضٍ.

﴿سَوْءَاتِهِمَا﴾: كِنايةٌ عن فَرْجِهما.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف:٢٤]: هاهنا إلى يومِ القيامةِ، الحِينُ عندَ العربِ من ساعةٍ إلى ما لا يُحصَى عَدَدُه.

﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: جِيلُه الذي هو منهم.

قوله: «باب خلق آدم وذُرّيته» ذكر المصنِّف آثاراً، ثمَّ أحاديث تتعلَّق بذلك، وممَّا لم يَذكُره ٦/٣٦٤ ما رواه التِّرمِذي والنَّسائي والبزَّار وصَحَّحَه ابن حِبّان من طريق سعيد المقبُري وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً: «إنَّ الله خَلَقَ آدمَ من تراب فجعله طيناً ثمَّ تَرَكَه، حتَّى إذا كان حَمَأً مسنوناً خَلَقَه وصَوَّرَه ثمَّ تَرَكَه، حتَّى إذا كان صَلْصالاً كالفَخّار كان إبليس يَمُرّ به فيقول: لقد خُلِقت لأَمرٍ عظيم، ثمَّ نَفَخَ الله فيه من روحه، فكان أوَّل ما جَرَى فيه الرّوح بَصَرُه وخَياشيمُه، فعَطَسَ فقال: الحمد لله، فقال الله: يَرحَمك ربُّك» الحديث[1].

وفي الباب عِدَّة أحاديث:

منها: حديث أبي موسى مرفوعاً: «إنَّ الله خلق آدم من قَبضةٍ قَبَضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْر الأرضِ» الحديث، أخرجه أبو داود (٤٦٩٣) والتِّرمِذي (٢٩٥٥) وصَحَّحَه ابن حِبّان (٦١٦٠).

---

(١) هذا اللفظ المذكور أخرجه أبويعلى في «مسنده» (٦٥٨٠)، وسنده ضعيف، وأخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٧٥)، والبزار في «مسنده» (٨٤٧٨)، وابن حبان (٦١٦٧) دون أوله في قصة مرور إبليس بالصلصال، وسنده قوي، ويشهد لأوله حديث أنس عند مسلم (٢٦١١) وسيذكره الحافظ قريباً.

ومنها: حديث أنس رَفَعَه: «لمَّا خَلَقَ الله آدمَ تَرَكَه ما شاءَ أن يَدَعَه، فجَعَلَ إبليس يُطِيف به، فلمَّا رآه أجوفَ عَرَفَ أنَّه لا يَتَمالَك» رواه أحمد (١٢٥٣٩) ومسلم (٢٦١١).

وآدمُ اسمٌ سُرْياني، وهو عند أهل الكتاب: آدام بإشباع فتحة الدّال بوَزنِ: خاتام، وزنه: فاعال، وامتَنَعَ صَرْفُه للعُجْمة والعَلَمية. وقال الثَّعلَبي: التُّراب بالعِبرانية آدامُ، فسُمّيَ آدم به، وحُذِفَت الألف الثّانية. وقيل: هو عربي، جَزَمَ به الجَوْهري والجَوَاليقي، وقيل: هو بوَزنِ أَفعَل من الأُدْمة، وقيل: من الأَدِيم لأنَّه خُلِقَ من أَديم الأرض، وهذا عن ابن عبَّاس، ووَجَّهوه بأن يكون كأعيَنَ ومُنِعَ الصَّرف للوَزنِ والعَلَمية، وقيل: هو من أَدَمتُ بين الشَّيئين: إذا خَلَطت بينهما، لأنَّه كان ماءً وطيناً فخُلِطا جميعاً.

قوله: «﴿صَلْصَـٰلٍ﴾ طينٌ خُلِطَ برَمْلٍ، فصَلْصَلَ كما يُصَلْصِل الفَخّار» هو تفسير الفَرّاء، هكذا ذكره، وقال أبو عُبيدة: الصَّلصال: اليابس الذي لم تُصِبْه نار، فإذا نَقَرتَه صَلَّ فسُمِعَت له صَلصَلة، فإذا طُبِخَ بالنار فهو فَخّار، وكلّ شيء له صوت فهو صَلصال. وروى الطَّبَري (١٤/ ٢٧) عن قَتَادة بإسنادٍ صحيحٍ نحوَه.

قوله: «ويقال: مُنتِن، يريدونَ به: صَلَّ، كما يقولون: صَرَّ البابُ وصَرْصَرَ عند الإغلاق، مِثْل: كَبْكَبْته، يعني: كَبَبْته» أمَّا تفسيره بالـمُنتِن، فرواه الطَّبَري (١٤/ ٢٨) عن مجاهد، وروى عن ابن عبَّاس: أنَّ المنتِن تفسيره المسنون، وأمَّا بقيَّته فكأنَّه من كلام المصنِّف.

قوله: «﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: استمرَّ بها الحمل فأتَمَّتْه» هو قولُ أبي عُبيدة.

قوله: «﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾: أن تَسجُدَ» يعني أنَّ «لا» زائدة، وأَخَذَه من كلام أبي عُبيدة، وكذا قاله وزادَ: و«لا» من حُروف الزَّوائد كقولِ الشّاعر[1]:

ويَلْحَيْنَنـي في اللهـو أن لا أُحِبَّـه ... ولِلَّهـوِ داعٍ دائـبٌ غـيرُ غافـلِ

وقيل: ليست زائدة، بل فيه حذف تقديره: ما مَنَعَك من السُّجود فحَمَلَك على أن لا تَسجُدَ؟

---

(١) هو الشاعر الأُموي عبد الله بن محمد المعروف بالأحوص، وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٤، والمبرد في «الكامل» ١/ ١٠٩.

قوله: «وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾» كذا وَقَعَ هنا، ووَقَعَ في رواية أبي عليّ بن شَبّويه في صَدْر التَّرجمة، وهو أَولى، ومِثلُه للنَّسَفي، ولبعضِهم هنا «باب».

والمراد بالخليفة آدم، أسنَدَه الطَّبَري (١/ ١٩٩و٢٠٠) من طريق ابن سابطٍ مرفوعاً قال: والأرض مكَّة. وذكر الطَّبَري أنَّ مُقتَضى ما نَقَلَه السُّدّي عن مشايخه أنَّه خليفة الله في الأرض، ومن وجه آخر أنَّهم يَعنُونَ بني آدم يَخلُف بعضُهم بعضاً، ومن ثَمَّ قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآيةَ،/ وحَكَى الماوَرْدي قولَين آخرَين: أنَّه خليفة الملائكة ٦/٣٦٥ أو خليفة الجِنّ، وكلٌّ منهما بناءً على أنَّه كان في الأرض مَن سَكَنَها قبل آدم.

وذكر الطَّبَري[١] قال: زَعَمَ أبو عُبيدة أنَّ «إذ» في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ صِلَة، ورُدَّ عليه فقال القُرطُبي: إنَّ جميع المفسِّرينَ رَدُّوه حتَّى قال الزَّجّاج: إنَّها جَراءَة من أبي عُبيدة.

قوله: «قال ابن عباس: ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: إلّا عليها حافظٌ» وَصَلَه ابن أبي حاتم وزادَ: إلّا عليها من الملائكة، وقال أبو عُبيدة في قوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: «ما» زائدة.

قوله: «﴿فِي كَبَدٍ﴾: في شِدَّة خَلقٍ» هو قول ابن عبَّاس أيضاً، رُوِّيناه في «تفسير ابن عُيَينَةَ» بإسنادٍ صحيحٍ، وزاد في آخره: «ثمَّ ذكر مَولِده ونَباتَ أسنانه»، وأخرجه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٥٢٣)، وقال أبو عُبيدة: الكَبَد: الشِّدَّة، قال لَبِيدٌ:

يا عينُ هلّا بَكَيتِ أربَدَ إذْ قُمنا وقامَ الخُصومُ في كَبَدِ

قوله: «(ورِياشاً)[٢]: المال» هو قول ابن عبَّاس أيضاً، وَصَلَه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٥٧) من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه.

قوله: «وقال غيره: الرِّيَاش والرِّيش واحد: وهو ما ظَهَرَ من اللِّباس» هو قول أبي عُبيدة،

---

(١) في «تفسيره» ١/ ١٩٥، وقد أشار إليه ولم يُسمِّه، فقال: زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة... إلخ.

(٢) سيأتي التعليق على هذه القراءة في كتاب التفسير في أول تفسير سورة الأعراف.

وزادَ: تقول: أعطاني رِيشَه، أي: كِسْوتَه، قال: والرِّياش أيضاً المعاش.

قوله: «﴿مَّا تُمْنُونَ﴾: النُّطْفة في أرحام النِّساء» هو قول الفرّاء قال: يقال: أَمْنى ومَنَى، والأوَّل أكثر، وقوله: «تُمْنونَ» يعني: النُّطَف إذا قُذِفَت في أرحام النِّساء، أأنتم تَخلُقون ذلك أم نحن.

قوله: «وقال مجاهد: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾: النُّطْفة في الإحليل» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيح عنه، وقيل: معناه: قادِرٌ على رَجْع النُّطفة التي في الإحليل إلى الصُّلب، وهو مُحتَمَل، ويُعكِّر على تفسير مجاهد أنَّ بقيَّة الآيات دالَّة على أنَّ الضَّمير للإنسان ورَجْعِه يوم القيامة لقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ...﴾ إلى آخره [الطارق:٩].

قوله: «كلّ شيءٍ خَلَقَه فهو شَفْع؛ السماء شَفْع، والوَتْر الله» هو قول مجاهد أيضاً، وَصَلَه الفِرْيابي والطَّبَري (٣٠/ ١٧١) ولفظه: «كلُّ خَلْقِ الله شَفْع؛ السماء والأرض، والبَرّ والبحر، والجِنّ والإنس، والشمس والقمر، ونحو هذا شَفْع، والوَتْر: اللهُ وحده»، وبهذا زالَ الإشكال، فإنَّ ظاهر إيراد المصنِّف في اقتِصاره على قوله: «السماء شَفْع» يُعترَض عليه بأنَّ السَّماوات سبع والسَّبع ليس بشَفعٍ، وليس ذلك مُرادَ مجاهد، وإنَّما مرادُه كلّ شيء له مُقابِل يُقابله ويُذكَر معه، فهو بالنِّسبة إليه شَفْع، كالسماءِ والأرض، والإنس والجِنّ... إلى آخره، وروى الطَّبَري (٢٧/ ٨) عن مجاهد أيضاً قال في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩]: الكفر والإيمان، والشَّقاء والسَّعادة، والهدى والضَّلالة، واللَّيل والنَّهار، والسماء والأرض، والجِنّ والإنس، والوِترُ الله. وروى (٣٠/ ١٧١) من طريق أبي صالح نحوه.

وأخرجَ (٣٠/ ١٧٠) عن ابن عبَّاس من طريق صحيحة أنَّه قال: الوِترُ: يوم عَرَفة، والشَّفع: يوم الذَّبح. وفي رواية: أيام الذَّبح. وهذا يناسب ما فَسَّروا به قوله قبل ذلك: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أنَّ المراد بها عشر ذي الحِجَّة.

قوله: «﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أَحْسَن خَلقٍ ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ إلَّا مَن آمَنَ» هو تفسير مجاهد، أخرجه الفِرْيابي أيضاً.

قوله: «﴿خُسْرٍ﴾ ضَلال، ثمَّ استَثْنى فقال: إلّا مَن آمَنَ» هو تفسير مجاهد أخرجه الفِرْيابي أيضاً، قال في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني: في ضَلال، ثمَّ استَثنى فقال: إلاّ مَن آمَنَ، وكأنَّه ذكره بالمعنى، وإلّا فالتِّلاوةُ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قوله: «﴿لَّازِبٍ﴾: لازم» يريد تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾، وقد روى الطَّبَري (٢٣/ ٤٣) عن مجاهد في قوله: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال: لازق، ومن طريق عليِّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس قال: من التُّراب والماء فيصيرُ طيناً يَلزَق. وأمَّا تفسيره باللّازِمِ فكأنَّه بالمعنى، وهو تفسير أبي عُبيدة قال: معنى اللّازب: اللّازم، قال النابغة:

ولا يَحسَبونَ الشرَّ ضَربةَ لازبِ

أي: لازمٍ.

قوله: «نُنشِئكم في أيِّ خلق نَشاء» يريد تفسير قوله تعالى:/ ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٦١] وقوله: «في أيِّ خلقٍ نَشاء» هو تفسير قوله: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ٣٦٦/٦

قوله: «﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: نُعظِّمك» هو تفسير مجاهد، نَقَلَه الطَّبَري وغيره عنه.

قوله: «وقال أبو العاليَة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ هو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾» وَصَلَه الطَّبَري بإسنادٍ حسنٍ، واستُشكِلَ بأنَّ ظاهرَ الآيات أنَّ هذا التَّلقّي كان قبل الهُبوط، لأنَّ بعده ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]، ويُمكِن الجواب بأنَّ قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ كان سابقاً للتَّلقّي، وليس في الآيات صيغة ترتيب.

قوله: «وقال: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ استزَلَّهما ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ يتغيَّر ﴿ءَاسِنٍ﴾: متغيِّر[1]، والمسنون: المتغيِّر ﴿حَمَإٍ﴾ جمع حَمْأة: وهو الطِّين المتغيِّر» كذا وَقَعَ عند أبي ذرٍّ، وهو يُوهِم أنَّه من كلام أبي العاليَة، وليس كذلك بل هي من تفسير أبي عُبيدة، وكأنَّه كان في الأصل: «وقال

(١) لفظ «متغيِّر» ليس في (أ) و(س)، وأثبتناه من (ع)، وهو الموافق لروايات «الصحيح» كما في النسخة اليونينية.

غيره». ووَقَعَ في رواية الأَصِيلي وغيره بحذفِ «قال»، فكان الأمر فيه أَشكَلَ.

وقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، أي: دَعَاهما إلى الزَّلَّة، وإيراد قوله: «﴿يَتَسَنَّهْ﴾: يَتغيَّـر» في أثناء قصَّة آدم ذُكِرَ بطريق التَّبعية للمسنونِ، لأنَّه قد يقال: إنَّه مُشتَقّ منه، قال الكِرْماني هنا بعد أن قال: إنَّ تفسير ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ و﴿ءَاسِنٍ﴾: لعلَّه ذكره بالتَّبعية لقوله: ﴿مَّسْنُونٍ﴾، وفي هذا تكثير لحَجْمِ الكتاب لا لتكثير الفوائد، والله أعلم بمقصودِه.

قلت: وليس من شأن الشَّارح أن يَعترِض على الأصل بمِثْل هذا، ولا ارتيابَ في أنَّ إيراد شرح غريب الألفاظ الواردة في القرآن فوائدُ، وادِّعاؤُه نفيَ تكثيرِ الفائدة مردود، وهذا الكتاب وإن كان أصلُ موضوعه إيراد الأحاديث الصَّحيحة، فإنَّ أكثر العلماء فَهِموا من إيراده أقوالَ الصَّحابة والتابعينَ وفقهاء الأمصار أنَّ مقصوده أن يكون كتابه جامعاً للرِّواية والدِّراية، ومن جُملة الدِّراية شرحُ غريب الحديث، وجَرَت عادتُه أنَّ الحديث إذا وَرَدَت فيه لفظة غريبة وَقَعَت أو أصلُها أو نَظِيره في القرآن أن يشرح اللَّفظة القرآنية، فيفيد تفسيرَ القرآن وتفسير الحديث معاً، ولمَّا لم يَجِدْ في بَدْءِ الخلق وقَصَص الأنبياء ونحو ذلك أحاديث توافق شرطَه، سَدَّ مكانها ببيان تفسير الغريب الواقع في القرآن، فكيف يَسُوغ نَفْيُ الفائدة عنه.

قوله: «﴿يَخْصِفَانِ﴾: أَخْذُ الخِصَاف ﴿مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: يُؤَلِّفان الوَرَق ويَخْصِفان بعضَه إلى بعض» هو تفسير أبي عُبيدة، وروى الطَّبَري (٨/ ١٤٢) عن مجاهد في قوله: ﴿يَخْصِفَانِ﴾ قال: يُرقِّعان كهَيْئة الثَّوب، وتقول العرب: خَصَفتُ النَّعل، أي: خَرَزتُها.

قوله: «﴿سَوْءَاتُهُمَا﴾ كِناية عن فَرْجَيهما» هو تفسير أبي عُبيدة أيضاً.

قوله: «﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الحينُ عند العرب من ساعةٍ إلى ما لا يُحصَى عَدَده، وهو هاهنا إلى يوم القيامة» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، أي: إلى وقت يوم القيامة، ورواه الطَّبَري (٨/ ١٤٥) من طريق ابن عبَّاس نحوه.

قوله: «﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ جِيلُه الذي هو منهم» هو تفسير أبي عُبيدة أيضاً، وروى الطَّبَري

(٨/ ١٥٣) عن مجاهد في قوله: ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ قال: الجِنّ والشَّياطين.

ثمَّ ذكر المصنِّف في الباب أحدَ عشرَ حديثاً، أفرَدَ الأخير منها ببابٍ في بعض النُّسَخ:

٣٣٢٦- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، عن مَعمَر، عن همَّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «خَلَقَ الله آدمَ وطولُه سِتّونَ ذِراعاً، ثمَّ قال: اذهبْ فسَلِّم على أولئكَ مِن الملائكةِ فاستَمِعْ ما يُحيّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عليكم، فقالوا: السَّلامُ عليكَ ورحمةُ الله، فزادُوه: ورحمةُ الله، فكلُّ مَن يَدخُلُ الجنَّةَ على صورةِ آدمَ، فلم يَزَلِ الخلقُ يَنقُصُ حتَّى الآنَ».

[طرفه في: ٦٢٢٧]

الحديث الأول: حديثُ أبي هريرة: «خَلَقَ الله آدم وطوله ستّونَ ذِراعاً» كذا وَقَعَ من هذا الوجه، وعبد الله الراوي عن مَعمَر: هو ابن المبارَك، وقد رواه عبد الرَّزّاق (١٩٤٣٥) عن مَعمَر فقال: «خَلَقَ الله آدم على صورته وطولُه ستّونَ ذِراعاً»، وهذه الرِّواية تأتي في أوَّل الاستئذان (٦٢٢٧)، وقد تقدَّم الكلام على معنى هذه اللَّفظة في أثناء كتاب العِتق (٢٥٥٩)، وهذه الرِّواية تُؤيِّد قول مَن قال: إنَّ الضَّمير لآدم، والمعنى أنَّ الله تعالى أوجَدَه على الهيئة التي خَلَقَه عليها، لم يَنتَقِلْ في النَّشأة أحوالاً، ولا تَرَدَّدَ في الأرحام أطواراً كذُرِّيتِه، بل خَلَقَه الله رجلاً كاملاً سويّاً من أوَّل ما نَفَخَ فيه الرُّوح، ثمَّ عَقَّبَ ذلك بقوله: «وطولُه ستّونَ ذِراعاً» فعادَ الضَّميرُ أيضاً على آدم.

وقيل: معنى قوله: «على صورته» أي: لم يُشارِكه في خلقه أحد، إبطالاً لقولِ أهل الطَّبائع، وخُصَّ بالذِّكرِ تنبيهاً بالأعلى على الأدنى، والله أعلم.

قوله: «سِتّونَ ذِراعاً» يحتمل أن يريد بقَدْرِ ذِراع نفسِه، ويحتمل أن يريد بقَدْر[1] الذِّراع المتعارَف يومئذٍ عند/ المخاطَبينَ، والأوَّل أظهَرُ، لأنَّ ذِراعَ كلّ أحد بقَدْرِ رُبُعه، فلو كان بالذِّراع المعهود لكانت يدُه قصيرةً في جَنْب طول جسده. ٣٦٧/٦

(١) من قوله: «ذراع» إلى هنا سقط من (س).

قوله: «فلمَّا خَلَقَه قال: اذهب فسَلِّمْ» سيأتي شرحه في أوَّل الاستئذان (٦٢٢٧).

قوله: «فكلُّ مَن يَدخُل الجنَّة على صورة آدم» أي: على صِفَته، وهذا يدلُّ على أنَّ صفات النَّقص من سوادٍ وغيره تَنتِفي عند دخول الجنَّة، وقد تقدَّم بيان ذلك في «باب صفة الجنَّة» (٣٢٤٥)، وزاد عبد الرَّزّاق في روايته هنا: «وطوله ستّونَ ذِراعاً»، وإثبات الواو فيه لئلّا يُتوهَّم أنَّ قوله: «طوله» تفسير لقوله: «على صورة آدم»، وعلى هذا فقوله: «طوله...» إلى آخره، من الخاصِّ بعد العامِّ، ووَقَعَ عند أحمد (١٠٩١٣) من طريق سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة مرفوعاً: «كان طول آدم ستّينَ ذِراعاً في سبعة أذرُع عَرْضاً»[١]، وأمَّا ما روى عبد الرَّزّاق (٩٠٩٦) من وجه آخر موقوفاً[٢]: «أنَّ آدم لمَّا أُهبِطَ كانت رِجلاه في الأرض ورأسُه في السماء، فحَطَّه الله إلى ستّينَ ذِراعاً»، فظاهره أنَّه كان مُفرِط الطُّول في ابتداء خلقه، وظاهر الحديث الصَّحيح أنَّه خُلِقَ في ابتداء الأمر على طول ستّينَ ذِراعاً، وهو المعتمَد، وروى ابن أبي حاتم[٣] بإسنادٍ حسنٍ عن أُبيٍّ بن كعب مرفوعاً: «إنَّ الله خَلَقَ آدم رجلاً طُوالاً كثير شَعرِ الرَّأس، كأنَّه نخلة سَحُوق».

قوله: «فلم يزل الخلقُ يَنقُص حتَّى الآن» أي: إنَّ كلّ قَرْن تكون نَشأتُه في الطّول أقصَرَ من القَرْن الذي قبله، فانتهى تَناقُص الطّول إلى هذه الأُمَّة واستقرَّ الأمر على ذلك، وقال ابن التِّين: قوله: «فلم يزل الخلق يَنقُص» أي: كما يزيد الشَّخص شيئاً فشيئاً، ولا يَتَبيَّن ذلك فيما بين الساعَتَين ولا اليومين حتَّى إذا كَثُرَت الأيام تَبيَّن، فكذلك هذا الحُكم في النَّقص. ويُشكِل على هذا ما يُوجَد الآن من آثار الأُمَم السالفة كديار ثَمُود، فإنَّ مَساكنَهم تَدُلّ على أنَّ قاماتهم لم تكن مُفرِطةَ الطُّول على حَسَب ما يقتضيه التَّرتيب السابق، ولا شَكَّ

---

(١) وسنده ضعيف، فيه علي بن زيد بن جُدْعان، وهو ضعيف، وقد تفرَّد بزيادة: «في سبعة أذرع عرضاً».

(٢) في (س): مرفوعاً، وهو خطأ، وهو في «المصنف» من طريق معمر عن قتادة من قوله.

(٣) في «تفسيره» (١/ ٨٧ و٨٨)، وسنده ضعيف وليس كما قال الحافظ، فإنه من رواية الحسن البصري عن أُبيِّ بن كعب، والحسن لم يسمع من أُبيّ، فهو منقطع، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٣ من هذا الطريق أيضاً فوقفه على أُبيّ.

أنَّ عَهْدهم قديم، وأنَّ الزَّمان الذي بينهم وبين آدم، دون الزَّمان الذي بينهم وبين أوَّل هذه الأُمَّة، ولم يَظهَر لي إلى الآن ما يُزِيل هذا الإشكال.

٣٣٢٧- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا جَرِيرٌ، عن عُمارةَ، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ زُمْرةٍ يَدخُلونَ الجنَّةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ، ثمَّ الذينَ يَلُونَهم على أشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطونَ ولا يَتْفِلونَ ولا يَمْتَخِطونَ، أمشاطُهم الذَّهَبُ، ورَشْحُهم المِسْكُ، ومَجامِرُهم الأَلُوَّةُ ـ الأَلَنْجُوجُ: عودُ الطِّيبِ ـ وأزواجُهم الحُورُ العِينُ، على خلقِ رجلٍ واحدٍ؛ على صورةِ أبيهم آدمَ، سِتّونَ ذِراعاً في السماء».

٣٣٢٨- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا يحيى، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ، عن أبيه، عن زينبَ بنت أبي سَلَمةَ، عن أمِّ سَلَمةَ: أنَّ أمَّ سُلَيم قالت: يا رسولَ الله، إنَّ الله لا يَسْتَحْيي مِن الحقِّ، فهَل على المرأةِ الغُسْلُ إذا احتَلَمَتْ؟ قال: «نعم، إذا رَأتِ الماءَ» فضَحِكَت أمُّ سَلَمةَ فقالت: تحتلمُ المرأةُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «فبِمَ يُشبِهُ الولدُ؟!».

٣٣٢٩- حدَّثنا محمَّدُ بنُ سَلَامٍ، أخبرنا الفَزَاريُّ، عن حُميدٍ، عن أنسٍ ﷺ قال: بَلَغَ عبدَ الله ابنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فأتاه فقال: إنّي سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلّا نبيٌّ، قال: ما أوَّلُ أشراط الساعةِ؟ وما أوَّلُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنَّةِ؟ ومن أيِّ شيءٍ يَنزِعُ الولدُ إلى أبيه، ومن أيِّ شيءٍ يَنزِعُ إلى أخوالِه؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «خَبَّرَني بهِنَّ آنِفاً جِبْرِيلُ» قال: فقال عبدُ الله: ذاكَ عدوُّ اليهودِ مِن الملائكةِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمّا أوَّلُ أشراطِ الساعةِ، فنارٌ تَحشُرُ الناسَ مِن المشرقِ إلى المغربِ، وأمّا أوَّلُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنَّةِ فزيادةُ كَبِدِ حوتٍ، وأمّا الشَّبَهُ في الولدِ فإنَّ الرجلَ إذا غَشِيَ المرأةَ فسَبَقَها ماؤُه كان الشَّبَهُ له، وإذا سَبَقَ ماؤُها كان الشَّبَه لها»، قال: أشهَدُ أنَّكَ رسولُ الله، ثمَّ قال: يا رسولَ الله، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهُتٌ، إنْ عَلِموا بإسلامي قبلَ أن تسألَهم بَهَتُوني عندَكَ، فجاءتِ اليهودُ، ودَخَلَ عبدُ الله البيتَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ سَلَامٍ؟» قالوا: أعلَمُنا وابنُ أعلمِنا، وأخيَرُنا وابنُ أخيَرِنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «أفرأيتُم إنْ أسلَمَ عبدُ الله؟» قالوا: أعاذَه اللهُ من ذلك، فخَرَجَ

عبدُ الله إليهم فقال: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله، وأشهَدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله، فقالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، ووَقَعوا فيه.

[أطرافه في: ٣٩١٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠]

٣٣٣٠- حدَّثنا بِشرُ بنُ محمَّدٍ، أخبرنا عبدُ الله، أخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ نحوَه: «لولا بنو إسرائيلَ لم يَخنَزِ اللَّحمُ، ولولا حَوّاءُ لم تَخُنْ أُنثى زوجَها».

الحديث الثاني: حديثُ أبي هريرة في صفة الجنَّة، وقد تقدَّم في «باب صفة الجنَّة» (٣٢٤٥).

وقوله: «الألَنْجُوج» بفتح الهمزة واللّام وسكون النُّون بجيمَين الأولى مضمومة والواو ساكنة: هو العود الذي يُتَبَخَّر به، ولفظ الألَنجوج هنا تفسير الأَلُوَّة، والعود تفسير التَّفسير.

وقوله في آخره: «على خَلْق رجل واحد» هو بفتح أوَّل «خَلْق» لا بضمِّه.

وقوله: «ستّونَ ذِراعاً في السماء» أي: في العُلوّ والارتفاع.

الحديث الثالث: حديثُ أمّ سَلَمةَ في سؤالها عن غُسل المرأة إذا احتلَمَت، وقد تقدَّم الكلام عليه في الطَّهارة (١٣٠)، والغرض منه قوله في آخره: «فبِمَ يُشبِه الولدُ؟».

الحديث الرابع: حديثُ أنس في قصَّة إسلام عبد الله بن سَلَام، وسيأتي بأتمَّ من هذا السِّياق في أوائل الهجرة (٣٩٣٨)، والغرض منه بيان سبب الشَّبَه، وقد عَلَّله هنا بالسَّبْق، وفي حديث ثوبان عند مسلم (٣١٥) بالعُلوِّ، وسأذكُرُ وَجْهَ الجمع بينهما في المكان المذكور إن شاء الله تعالى.

الحديث الخامس: حديثُ أبي هريرة.

قوله: «عن النبي ﷺ نحوه» لم يَسبِق للمَتنِ المذكور طريق يعود عليها هذا الضَّمير، وكأنَّه يشير به إلى أنَّ اللَّفظ الذي حدَّثه به شيخُه هو بمعنى اللَّفظ الذي ساقَه، فكأنَّه كَتَبَ من حِفْظه وتَرَدَّدَ في بعضه، ويُؤيِّده أنَّه وَقَعَ في نُسخَة الصَّغاني بعد قوله: «نحوه»: يعني[1]، ولم أرَه من طريق ابن المبارَك عن مَعمَر إلّا عند المصنِّف، وسيأتي عنده في ذِكْر

---

(١) وهي ثابتة أيضاً في النسخة اليونينية دون الإشارة إلى أي اختلاف في نسخ «الصحيح».

موسى عليه السلام (٣٣٩٩) من رواية عبد الرَّزَّاق عن مَعمَر بهذا اللَّفظ، إلّا أنَّه زاد في آخره: «الدَّهرَ»، ولم يذكر: «يَخْنَز اللَّحم»، وهو عند مسلم[1] (١٤٧٠) من طريق عبد الرزاق[2].

قوله: «لولا بنو إسرائيل لم يَخنَز اللَّحْم» يَخنَز بفتح أوَّله وسكون الخاء وكسر النّون، وبفتحِها أيضاً بعدها زاي، أي: يُنتِن، والخَنَز: التغيُّر والنَّتْن، قيل: أصله أنَّ بني إسرائيل ادَّخَروا لحم السَّلْوى وكانوا نُهوا عن ذلك فعُوقِبوا بذلك، حكاه القُرطُبي، وذكره غيره عن قَتَادة، وقال بعضهم: معناه: لولا بنو إسرائيل سَنُّوا ادِّخار اللَّحم حتَّى أنتَنَ، لمَا ادُّخِرَ فلم يُنتِن.

وروى أبو نُعَيم في «الحِلية» (٤/ ٣٨) عن/ وَهْب بن مُنبِّه قال: في بعض الكتب: لولا ٣٦٨/٦ أنِّي كَتَبتُ الفسادَ على الطَّعام لخَزَنَه الأغنياءُ عن الفقراء.

قوله: «ولولا حَوّاءُ» أي: امرأة آدم، وهي بالمدِّ، قيل: سُمّيَت بذلك لأنَّها أمُّ كلِّ حيٍّ، وسيأتي صفة خَلْقها في الحديث الذي بعده.

وقوله: «لم تَخُن أُنثى زوجَها» فيه إشارة إلى ما وَقَعَ من حَوّاء في تزيينها لآدم الأكلَ من الشَّجَرة حتَّى وَقَعَ في ذلك، فمعنى خيانَتها: أنَّها قَبِلَت ما زَيَّنَ لها إبليسُ حتَّى زَيَّنَته لآدم، ولمَّا كانت هي أمّ بنات آدم أَشبَهَتْها بالوِلادة ونَزْعِ العِرق، فلا تكادُ امرأة تَسلَم من خيانة زوجها بالفعلِ أو بالقولِ، وليس المرادُ بالخيانة هنا ارتكابَ الفواحش حاشا وكَلّا، ولكن لمَّا مالَت إلى شَهوَة النَّفس من أكل الشَّجَرة وحَسَّنَت ذلك لآدم، عُدَّ ذلك خيانةً له، وأمَّا مَن جاء بعدها من النِّساء فخيانةُ كلّ واحدةٍ منهنَّ بحَسَبها، وقريب من هذا حديث: «جَحَدَ آدم فجَحَدَت ذُرّيتُه»[3].

---

(١) هكذا في (أ) وفي (ع) بإسقاط لفظ «وهو»، وعلى كلا الحالين فهذا ذهول من الحافظ رحمه الله، فإنَّ قوله: «يخنز اللحم» ثابت في رواية عبد الرزاق عند الشيخين.

(٢) من قوله: «ولم يذكر» إلى هنا سقط من (س).

(٣) قطعة من حديث أخرجه الترمذي (٣٠٧٦) و(٣٣٦٨)، وابن حبان (٦١٦٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وهو حديث جيِّد.

وفي الحديث إشارة إلى تَسْلية الرِّجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وَقَعَ من أمّهنَّ الكبرى، وأنَّ ذلك من طَبعهنَّ فلا يُفرَط في لَوْم مَن وَقَعَ منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل النُّدور، وينبغي لهنَّ أن لا يتمكَّنَّ بهذا في الاسترسال في هذا النَّوع، بل يَضبِطنَ أنفُسَهنَّ ويُجاهِدنَ هَواهُنَّ، والله المستعان.

الحديث السادس:

٣٣٣١- حدَّثنا أبو كُرَيبٍ وموسى بنُ حِزامٍ قالا: حدَّثنا حسينُ بنُ عليٍّ، عن زائدةَ، عن مَيسَرةَ الأشجَعيِّ[١]، عن أبي حازمٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «استَوْصُوا بالنِّساءِ، فإنَّ المرأةَ خُلِقَت من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوَجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعلاهُ، فإن ذهبْتَ تُقِيمُه كَسَرْتَه، وإن تَرَكْتَه لم يزلْ أعوَجَ، فاستَوْصُوا بالنِّساء».

[طرفاه في: ٥١٨٤، ٥١٨٦]

قوله: «موسى بن حِزام» بكسر المهمَلة بعدها زاي خفيفة، وهو تِرمِذيٌّ نزلَ بَلْخ، وثَّقه النَّسائي وغيره، وكان زاهداً عالماً بالسُّنَّة، وما له في البخاري إلّا هذا الموضع.

قوله: «عن مَيسَرة» هو ابن عُمارة الأشجَعي الكوفي، وما له في البخاري سوى هذا الحديث، وقد ذكره في النِّكاح من وجه آخر (٥١٨٦)، وله حديث آخر في تفسير آل عِمران (٤٥٥٧).

قوله: «استَوْصوا» قيل: معناه: تَواصَوْا بهنَّ، والباء للتَّعدية، والاستفعال بمعنى الإفعال كالاستجابة بمعنى الإجابة، وقال الطِّيبي: السّين للطَّلَب وهو للمُبالَغة، أي: اطلُبوا الوصيَّة من أنفُسكم في حقّهنَّ، أو اطلُبوا الوصية من غيركم بهنَّ كمَن يعود مريضاً فيُستَحَبُّ له أن يَحُثَّه على الوصية، والوصيةُ بالنِّساءِ آكَدُ لضعفِهنَّ واحتياجهنَّ إلى مَن يقوم بأمرهِنَّ.

وقيل: معناه: اقبَلوا وصيَّتي فيهِنَّ واعمَلوا بها، وارفُقوا بهنَّ وأحسِنوا عِشرَتهنَّ. قلت: وهذا أوجَهُ الأوجُه في نظري، وليس مخالفاً لمَا قال الطِّيبي.

قوله: «خُلِقَت من ضِلَع» بكسر المعجَمة وفتح اللّام، ويجوز تسكينها، قيل: فيه إشارة

---

(١) وقع خطأً في (س): عن ميسرة عن الأشجعي. وميسرة: هو ابن عمار، ويقال: ابن تمام الأشجعي الكوفي.

إلى أنَّ حَوّاء خُلِقَت من ضِلَع آدم الأيسَر، وقيل: من ضِلَعه القصير، أخرجه ابن إسحاق وزادَ: «اليُسرى من قبل أن يَدخُل الجنَّة، وجُعِلَ مكانه لحم»، ومعنى «خُلِقَت» أي: أُخرِجَت كما تخرج النَّخلة من النَّواة. وقال القُرطُبي: يحتمل أن يكون معناه: أنَّ المرأة خُلِقَت من مبلغ ضِلَع[1] فهي كالضِّلَع. زاد في رواية الأعرَج عن أبي هريرة عند مسلم (١٤٦٨/ ٥٩): «لن تَستَقيمَ لك على طريقة».

قوله: «وإنَّ أعْوَجَ شيء في الضِّلَع أعْلاه» قيل: فيه إشارة إلى أنَّ أعوَج ما في المرأة لسانها، وفي استعمال «أعوَج» استعمالٌ لـ«أفعلَ» في العُيوب وهو شاذٌّ، وفائدة هذه المقدِّمة أنَّ المرأة خُلِقَت من ضِلَع أعوَج، فلا يُنكَر اعوِجاجُها، أو الإشارة إلى أنَّها لا تَقبَل التَّقويم كما أنَّ الضِّلَع لا يقبلُه.

قوله: «فإن ذهبْتَ تُقيمُه كَسَرْتَه» قيل: هو ضربُ مَثَل للطَّلاق، أي: إن أردت منها أن تَترُكَ اعوِجاجَها أفضى الأمر إلى فِراقها، ويُؤيِّده قوله في رواية الأعرَج عن أبي هريرة عند مسلم (١٤٦٨/ ٥٩): «وإن ذهبتَ تُقيمها كَسَرتها، وكَسْرُها طَلاقُها».

ويُستَفاد من حديث الباب أنَّ الضِّلع مُذكَّر، خِلافاً لمن جَزَمَ بأنَّه مؤنَّث واحتَجَّ برواية مسلم، ولا حُجَّة فيه، لأنَّ التَّأنيث في روايته للمرأة، وقيل: إنَّ الضِّلَع يُذكَّر ويُؤنَّث، وعلى هذا فاللَّفظان صحيحان.

الحديث السابع:

٣٣٣٢- حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمَشُ، حدَّثنا زيدُ بنُ وَهْب، حدَّثنا عبدُ الله، حدَّثنا رسولُ الله ﷺ ـ وهو الصّادِقُ المصدوقُ ـ: «إنَّ أحدَكم يُجمَعُ في بَطْنِ أمِّه أربعينَ يوماً، ثمَّ يكونُ عَلَقةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يكونُ مُضْغةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يَبْعَثُ الله إليه مَلَكاً بأربعِ كلماتٍ، فيُكتَبُ عملُه وأجَلُه ورِزْقُه، وشَقيٌّ أَمْ سعيدٌ، ثمَّ يُنفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرجلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ النار حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلَّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعملِ

---

(١) كذا في الأصلين و(س)، وفي «المفهم» للقرطبي ٤/ ٢٢٢: من مثل ضلع؛ وهو أوجه.

أهلِ الجنَّةِ فيَدخُلُ الجنَّةَ، وإنَّ الرجلَ ليَعْمَلُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعملِ أهلِ النارِ فيَدخُلُ النارَ».

٣٣٣٣- حدَّثنا أبو النُّعمان، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن عُبيدِ الله بنِ أبي بكرِ بنِ أنسٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله وَكَّلَ في الرَّحِمِ مَلَكاً فيقولُ: يا ربِّ نُطْفةٌ، يا ربِّ عَلَقةٌ، يا ربِّ مُضْغةٌ، فإذا أرادَ أن يَخلُقَها قال: يا ربِّ أذَكَرٌ أم أُنثَى؟ يا ربِّ شَقيٌّ أم سعيدٌ؟ فما الرِّزْقُ؟ فما الأجَلُ؟ فيُكتَبُ كذلك في بَطْنِ أمِّه».

٣٣٣٤- حدَّثنا قيسُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا خالدُ بنُ الحارثِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن أبي عِمْرانَ الجَوْنيِّ، عن أنسٍ يرفعُه: «إنَّ الله يقول لأَهْوَنِ أهلِ النارِ عذاباً: لو أنَّ لكَ ما في الأرضِ من شيءٍ كنتَ تَفتَدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتُكَ ما هو أهوَنُ من هذا وأنتَ في صُلْبِ آدمَ: أن لا تُشرِكَ بي، فأبَيْتَ إلا الشِّرْكَ».

[طرفاه في: ٦٥٣٨، ٦٥٥٧]

٣٣٣٥- حدَّثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غِياثٍ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمَشُ، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ مُرّةَ، عن مَسْروقٍ، عن عبدِ الله ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُقتَلُ نفسٌ ظُلْماً إلّا كان على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ من دَمِها، لأنَّه أوَّلُ مَن سَنَّ القتلَ».

[طرفاه في: ٦٨٦٧، ٧٣٢١]

حديثُ عبد الله: وهو ابن مسعود «يُجمَع خلق أحدِكُم في بطن أمّه» الحديث بتمامه، وسيأتي شرحه في كتاب القَدَر (٦٥٩٤) مُستَوفًى إن شاء الله تعالى، ومُناسَبته للتَّرجمة من قوله فيها: «ذُرّيته»، فإنَّ فيه بيانَ خلق ذُرّية آدم.

الحديث الثامن: حديثُ أنس في ذلك، وسيأتي أيضاً هناك (٦٥٩٥).

٣٦٩/٦ الحديث التاسع: حديثُ أنسٍ/ أيضاً.

قوله: «يرفعُه» هي لفظة يَستَعمِلها المحدِّثون في موضع: قال رسول الله ﷺ، ونحو ذلك.

قوله: «إنَّ الله تعالى يقول لأهوَن أهل النار عذاباً» يقال: هو أبو طالب، وسيأتي شرحه في أواخر كتاب الرِّقاق (٦٥٣٨) إن شاء الله تعالى، ومُناسَبته للتَّرجمة من قوله: «وأنتَ في صُلْب آدم»، فإنَّ فيه إشارةً إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ[1] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيةَ [الأعراف:١٧٢].

الحديث العاشر: حديثُ عبد الله، وهو ابن مسعود: «لا تُقتَل نفس ظُلماً إلّا كان على ابنِ آدم الأوَّل كِفْلٌ من دمها»، وسيأتي شرحه في القِصاص (٦٨٦٧).

وأورَدَه هنا ليُلمِّح بقصَّة ابنَي آدم حيثُ قتل أحدُهما الآخرَ، ولم يَصِحَّ على شرطه شيء من قِصَّتهما، وفيما قَصَّه الله علينا في القرآن من ذلك كفايةٌ عن غيره. واختُلِفَ في اسم القاتل، فالمشهور قابيل بوَزنِ المقتول لكن أوَّله هاء، وقيل: اسم المقتول «قَيْنٌ» بلفظ الحدّاد، وقيل: قايِنٌ، بزيادة أَلِف.

وذكر السُّدّي في «تفسيره» عن مشايخه بأسانيدِه: أنَّ سبب قَتْل قابيل لأخيه هابيل: أنَّ آدم كان يُزوِّج ذَكَر كلِّ بطن من ولده بأُنثى الآخر، وأنَّ أُخت قابيل كانت أحسنَ من أُخت هابيل، فأراد قابيل أن يَستأثِر بأُختِه فمَنَعَه آدم، فلمَّا أَلَحَّ عليه أمَرَهما أن يُقرِّبا قُرْباناً، فقَرَّبَ قابيل حُزْمة من زَرْع وكان صاحب زرع، وقَرَّبَ هابيل جَذَعةً سَمينة وكان صاحب مَواشٍ، فنزلت نار فأكَلَت قُرْبان هابيل دون قابيل، وكان ذلك سَبَبَ الشرِّ بينهما، وهذا هو المشهور.

ونَقَلَ الثَّعلَبي بسندٍ واهٍ عن جعفر الصّادِق: أنَّه أنكَرَ أن يكون آدم زَوَّجَ ابناً له بابنةٍ له، وإنَّما زَوَّجَ قابيل جِنّية، وزَوَّجَ هابيل حُورية، فغَضِبَ قابيل فقال: يا بُنيَّ، ما فعلتُه إلّا بأمرِ الله، فقَرِّبا قُرباناً. وهذا لا يَثبُت عن جعفر[2] ولا عن غيره، ويَلزَم منه أنَّ بني آدم من ذُرِّية إبليس، لأنَّه أبو الجِنّ كلِّهم، أو من ذُرِّية الحُورِ العِين، وليس لذلك أصل ولا شاهد.

---

(١) كذا قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو بالألف وكسر التاء، وقرأ الباقون: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، انظر «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) تحرف في (س) إلى: جابر.

٢- بابٌ الأرواح جنودٌ مجنَّدةٌ

٣٣٣٦- قال: وقال اللَّيثُ: عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن عَمْرةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «الأَرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تَعارَفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَناكرَ منها اختَلَفَ».

وقال يحيى بنُ أيوبَ: حدَّثني يحيى بنُ سعيدٍ، بهذا.

قوله: «**باب الأرواح جنود مُجنَّدَة**» كذا ثَبتَت هذه التَّرجمة في مُعظَم الرِّوايات، وهي مُتعلِّقة بترجمة خَلْق آدمَ وذُرِّيتِه، للإشارة إلى أنَّهم رُكِّبوا من الأجسام والأرواح.

قوله: «**وقال اللَّيث**» وَصَلَه المصنِّف في «الأدب المفرَد» (٩٠٠) عن عبد الله بن صالح عنه.

قوله: «**الأرواح جنود مُجنَّدَة...**» إلى آخره، قال الخَطَّابي: يحتمل أن يكون إشارةً إلى معنى التَّشاكُل في الخير والشرّ والصلاح والفساد، وأنَّ الخيِّرَ من الناس يَحِنّ إلى شَكْله، والشِّرّير نَظِير ذلك يَميل إلى نَظِيره، فتَعارُف الأرواح يقع بحَسَبِ الطِّباع التي جُبِلَت عليها من خير وشَرٍّ، فإذا اتَّفَقَت تَعارَفَت، وإذا اختَلَفَت تَناكَرَت.

ويحتمل أن يُرادَ الإخبار عن بَدْء الخلق في حال الغيب على ما جاء أنَّ الأرواح خُلِقَت قبل الأجسام، وكانت تَلتَقي فتَتشاءَم، فلمَّا حَلَّت بالأجسام تَعارَفَت بالأمرِ الأوَّل، فصارَ تَعارُفُها وتَناكُرها على ما سَبَقَ من العَهْد المتقدِّم.

وقال غيره: المراد أنَّ الأرواح أوَّل ما خُلِقَت خُلِقَت على قِسمَينِ، ومعنى تَقابُلها أنَّ الأجساد التي فيها الأرواح إذا التَقَت في الدُّنيا ائتَلَفَت أو اختَلَفَت، على حَسَب ما خُلِقَت عليه الأرواح في الدُّنيا إلى غير ذلك بالتَّعارُف.

٦/٣٧٠ قلت: ولا يُعكِّر عليه/ أنَّ بعض المتنافِرين رُبَّما ائتَلَفا، لأنَّه محمول على مَبدَأ التَّلاقي، فإنَّه يَتعلَّق بأصلِ الخِلْقة بغير سبب. وأمَّا في ثاني الحال فيكون مُكتَسَباً لتَجدُّدِ وصفٍ يقتضي الأُلفة بعد النُّفرة كإيمان الكافر وإحسان المسيء.

وقوله: «جنود مُجَنَّدة» أي: أجناس مُجَنَّسة، أو جُموع مُجمَّعة.

قال ابن الجَوْزي: ويُستَفاد من هذا الحديث أنَّ الإنسان إذا وَجَدَ من نفسه نُفْرة ممَّن له فضيلة أو صلاح، فينبغي أن يَبحَثَ عن المقتَضي لذلك ليسعى في إزالته، حتَّى يَتَخلَّص من الوصْف المذموم، وكذلك القول في عَكْسه.

وقال القُرطبي: الأرواح وإن اتَّفقَت في كَونها أرواحاً لكنَّها تَتَمايزُ بأُمورٍ مُختَلِفة تتنوَّع بها، فتَتَشاكَل أشخاص النَّوع الواحد وتَتَناسَب بسَبَبِ ما اجتَمَعَت فيه من المعنى الخاصّ لذلك النَّوع للمُناسَبة، ولذلك نُشاهد أشخاص كلِّ نوع تأْلَفُ نوعها وتَنفِر من مخالِفها، ثمَّ إنّا نَجِدُ بعض أشخاص النَّوع الواحد يتآلف وبعضها يَتَنافَر، وذلك بحَسَبِ الأُمور التي يَحصُل الاتِّفاق والانفِراد بسَبَبها.

قوله: «وقال يحيى بن أيوب» هو المِصري «حدَّثني يحيى بن سعيد بهذا» يعني: مِثلَ الذي قبله، وقد وَصَلَه الإسماعيلي من طريق سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب به، ورُوِّيناه موصولاً في «مُسنَد أبي يَعْلى» (٤٣٨١) وفيه قصَّة في أوَّله عن عَمْرةَ بنت عبد الرحمن، قالت: كانت امرأة مَزّاحة بمكَّة فنزلت على امرأة مِثْلها في المدينة، فبَلَغَ ذلك عائشةَ، فقالت: صَدَقَ حِبِّي، سمعت رسول الله ﷺ، فذكر مِثله. ورُوِّيناه في «فوائد أبي بكر بن زُنبور» من طريق اللَّيث أيضاً بسندِه الأوَّل بهذه القصَّة بمعناها.

قال الإسماعيلي: أبو صالح ليس من شرط هذا الكتاب ولا يحيى بن أيوب في الأُصول، وإنَّما يُخرِّج له البخاري في الاستشهاد، فأورَدَ البخاري هذا الحديث من الطَّريقَين بلا إسناد، فصارَ أقوى ممَّا لو ساقَه بإسناده. انتهى، وكان سببُ ذلك أنَّ الناظرَ في كتابه رُبَّما اعتَقَدَ أنَّ له عنده إسناداً آخر، ولا سيَّما وقد ساقَه بصيغة الجَزْم، فيَعتَقِد أنَّه على شرطه، وليس الأمر كذلك. قلت: وللمَتنِ شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٦٣٨).

٣- باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [هود:٢٥]

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود:٢٧]: ما ظَهَرَ لنا.

﴿أَقْلِعِي﴾ [هود:٤٤]: أَمسِكِي.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠]: نَبَعَ الماءُ.

وقال عِكْرِمةُ: وجهُ الأرض.

وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود:٤٤]: جبلٌ بالجزيرة.

دَأْبٌ[1]: حالٌ.

٣٣٣٧- حدَّثنا عَبْدانُ، أخبرنا عبدُ الله، عن يونُسَ، عن الزُّهْريِّ، قال سالمٌ: وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ فأثْنَى على الله بما هو أهلُه، ثمَّ ذكر الدَّجّالَ فقال: «إنّي لأُنذِرُكُمُوه، وما من نبيٍّ إلا أنذَرَه قومَه، لقد أنذَرَ نوحٌ قومَه، ولكنِّي أقولُ لكم فيه قولاً لم يَقُلْه نبيٌّ لقومِه: تعلمونَ أنَّه أعوَرُ، وأنَّ اللهَ ليس بأَعوَرَ».

٣٣٣٨- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا شَيْبانُ، عن يحيى، عن أبي سَلَمةَ: سمعتُ أبا هريرةَ ﷺ قال:/ قال رسولُ الله ﷺ: «ألَا أُحدِّثُكم حديثاً عن الدَّجّالِ ما حدَّثَ به نبيٌّ قومَه: إنَّه أعوَرُ، وإنَّه يَجِيءُ معه بمِثَالِ الجنَّةِ والنارِ، فالتي يقول: إنَّها الجنَّةُ، هي النارُ، وإنّي أُنذِرُكم كما أنذَرَ به نوحٌ قومَه». ٣٧١/٦

٣٣٣٩- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ، حدَّثنا الأعمَشُ، عن أبي صالحٍ، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَجِيءُ نوحٌ وأُمَّتُه فيقولُ اللهُ تعالى: هل بَلَّغْتَ؟ فيقولُ: نَعَم أيْ ربِّ، فيقول لأُمَّتِه: هل بَلَّغَكم؟ فيقولون: لا، ما جاءَنا من نبيٍّ، فيقولُ لنوحٍ: مَن يَشهَدُ لكَ؟ فيقول: محمَّدٌ ﷺ وأُمَّتُه، فنَشْهَدُ أنَّه قد بَلَّغَ، وهو قولُه جلَّ ذِكرُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]».

والوَسَطُ: العَدْل.

[طرفاه في: ٤٤٨٧، ٧٣٤٩]

---

(١) يعني في قوله تعالى: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [غافر: ٣١].

٣٣٤٠- حدَّثنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ عُبيدٍ، حدَّثنا أبو حَيّانَ، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: كنَّا معَ النبيِّ ﷺ في دَعْوةٍ، فرُفِعَتْ إليه الذِّراعُ ـ وكانت تُعجِبُه ـ فنَهَسَ منها نَهْسةً وقال: «أنا سَيِّدُ الناسِ يومَ القيامةِ، هل تَدْرونَ بمَن يَجمَعُ اللهُ الأوَّلينَ والآخرينَ في صَعِيدٍ واحدٍ، فيُبصِرُهم الناظرُ، ويَسْمَعُهم الدَّاعي، وتَدْنُو منهم الشمسُ، فيقول بعضُ الناس: ألَا تَرَوْنَ إلى ما أنتُم فيه، إلى ما بَلَغكم؟ ألَا تَنظُرونَ إلى مَن يَشْفَعُ لكم إلى ربِّكم؟ فيقول بعضُ الناس: أبوكم آدمُ، فيأتونَه فيقولون: يا آدمُ، أنتَ أبو البشرِ، خَلَقَكَ اللهُ بيَدِه، ونَفَخَ فيكَ من رُوحِه، وأمَرَ الملائكةَ فسَجَدوا لكَ، وأسكَنَكَ الجنَّةَ، ألَا تشْفَعُ لنا إلى ربِّكَ؟ ألَا تَرَى ما نحنُ فيه وما بَلَغَنا؟ فيقول: ربِّي غَضِبَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قبلَه مِثلَه، ولا يَغْضَبُ بعدَه مِثلَه، ونَهاني عن الشَّجَرةِ فعَصَيتُ، نَفْسي نَفْسي، اذهَبُوا إلى غيري، اذهَبُوا إلى نوحٍ، فيأتُونَ نوحاً فيقولون: يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهلِ الأرضِ، وسَمَّاكَ اللهُ عبداً شَكُوراً، أمَا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ ألَا تَرَى إلى ما بَلَغَنا؟ ألَا تَشْفَعُ لنا إلى ربِّكَ؟ فيقول: ربِّي غَضِبَ اليومَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قبلَه مِثلَه، ولا يَغْضَبُ بعدَه مِثلَه، نَفْسي نَفْسي، ائْتُوا النبيَّ، فيأتُوني، فأسجُدُ تحتَ العَرْشِ، فيقال: يا محمَّدُ، ارفَعْ رأسَكَ، واشفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَهْ».

قال محمَّدُ بنُ عُبيدٍ: لا أحفَظُ سائرَه.

[طرفاه في: ٣٣٦١، ٤٧١٢]

٣٣٤١- حدَّثنا نَصْرُ بنُ عليِّ بنِ نَصْرٍ، أخبرنا أبو أحمدَ، عن سفيانَ، عن أبي إسحاقَ، عن الأسوَدِ بنِ يزيدَ، عن عبدِ الله ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥] مِثلَ قراءةِ العامَّة.

[أطرافه في: ٣٣٤٥، ٣٣٧٦، ٤٨٦٩، ٤٨٧٠، ٤٨٧١، ٤٨٧٢، ٤٨٧٣، ٤٨٧٤]/

٣٧٢/٦ قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾» كذا لأبي ذرٍّ، ويُؤَيِّده ما وَقَعَ في التَّرجمة من شرح الكلمات اللّاتي من هذه القصَّة في سورة هود، وفي رواية الحفْصي: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وللباقين: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ

﴿أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى آخرِ السّورة، وقد ذُكِرَ بعضُ هذا الأخير في رواية أبي ذرٍّ قبل الأحاديث المرفوعة.

ونوحٌ: هو ابن لَـمْك، بفتح اللّام وسكون الميم بعدها كاف، ابن مَتُّوشَلَخ بفتح الميم وتشديد المثنّاة المضمومة بعدها واو ساكنة وفتح الشّين المعجَمة واللّام بعدها مُعجَمة، ابن خَنُوخ بفتح المعجَمة وضمّ النُّون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثمَّ مُعجَمة: وهو إدريس فيما يقال. وقد ذكر ابن جَرِير أنَّ مَولِدَ نوح كان بعد وفاة آدم بمئةٍ وستَّة وعشرينَ عاماً[1]، وأنَّه بُعِثَ وهو ابن ثلاث مئةٍ وخمسين، وقيل غير ذلك، وأنَّه عاشَ بعد الطّوفان ثلاث مئة سنة وخمسين، وقيل: إنَّ مُدَّة عُمُره ألف سنة إلّا خمسين عاماً قبل البِعْثة وبعدها وبعد الغَرَق، فالله أعلم. وصَحَّحَ ابن حِبّان (٦١٩٠) من حديث أبي أُمامَةَ: «أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، أنبيٌّ كان آدم؟ قال: نعم. قال: فكَم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قُرون».

قوله: «قال ابن عبَّاس: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: ما ظَهَرَ لنا» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عطاء عنه[2]، أي: أوَّلَ النَّظَرِ قبل التَّأمُّل.

قوله: «﴿أَقْلِعِى﴾ أَمسِكي ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ نَبَعَ الماءُ» وَصَلَ ذلك ابنُ أبي حاتم أيضاً (١٠٨٤٥) من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

قوله: «وقال عِكْرِمة: وَجْه الأرض» وَصَلَه ابن جَرِير (١٢/ ٣٨) من طريق أبي إسحاق الشَّيباني عن عِكْرِمة في قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قال: وجهُ الأرض.

قوله: «وقال مجاهد: ﴿ٱلْجُودِىِّ﴾ جبلٌ بالجزيرة» وَصَلَه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٧) من

---

(١) أخرج ابن حبان في «صحيحه» (٦١٩٠) وغيره بسند صحيح عن أبي أمامة: أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: كم كان بين آدم ونوح؟ قال: «عشرة قرون». والقَرْن على الراجح من الأقوال: مئة سنة، فيكون بين آدم ونوح عليهما السلام ألف سنة تقريباً، والله تعالى أعلم.

(٢) كذا قال الحافظ، وذكره في كتابه «التغليق» ٤/ ٨ عن ابن أبي حاتم بإسناده إلى عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس، والذي في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ٢٠٢٢ بالإسناد نفسه لكن بإسقاط ابن عباس. وقد أخرجه عن ابن عباسٍ الطبريُّ في «تفسيره» ١٢/ ٢٨ من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عنه.

طريق ابن أبي نَجِيح عنه، وزادَ: تَشامَخَت الجبالُ يوم الغَرَق، وتَواضَعَ هو لله، فلم يَغرَق وأُرسيَت عليه سفينةُ نوحٍ.

قوله: «دَأْبٌ: حالٌ» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق مجاهد أيضاً.

ثم ذكر المصنف في الباب خمسة أحاديث:

الأول: حديثُ ابن عمر في ذِكْر الدَّجّال، وسيأتي شرحه في الفتن (٧١٢٣)، والغرض منه قوله فيه: «ولقد أنذَرَ نوحٌ قومَه»، وخَصَّ نوحاً بالذِّكرِ لأنَّه أوَّل مَن ذكره، وهو أوَّل الرُّسُل المذكورينَ في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى:١٣] .

الثاني: حديثُ أبي هريرة في المعنى كذلك.

الثالث: حديثُ أبي سعيد في شهادة أمَّة محمَّد ﷺ لنوحٍ بالتَّبليغِ، وسيأتي شرحه في تفسير سورة البقرة (٤٤٨٧)، ويأتي في تفسير سورة نوح (٤٩٢٠) بيانُ السَّبَب في عبادة قوم نوحٍ الأصنامَ.

الرابع: حديثُ أبي هريرة في الشَّفاعة.

قوله فيه: «دُعْوَة» بضمٍّ أوَّله[١]: الوَليمة.

وقوله: «فرُفعَت إليه الذِّراع» أي: ذِراعُ الشّاة، وسيأتي بيان ذلك في الأطعمة[٢].

قوله: «فنَهَسَ» بنونٍ ومُهمَلة، أي: أَخَذَ منها بأطراف أسنانه، ووَقَعَ في رواية أبي ذرٍّ بالمعجَمة وهو قريب من المهمَلة.

قوله: «أنا سَيِّد الناس يومَ القيامة» خَصَّه بالذِّكرِ لظُهورِ ذلك له يومَئذٍ، حيثُ تكون الأنبياء كلُّهم تحتَ لوائه، ويَبعَثه الله المقامَ المحمود كما سيأتي بيانه في الرِّقاق (٦٥٦٥) مع تَتِمَّة شرح الحديث إن شاء الله تعالى.

والغرضُ منه هنا قوله: «فيقولون: يا نوح، أنتَ أوَّل الرُّسُل إلى أهل الأرض، وسَمّاكَ اللهُ

---

(١) ويفتح ويكسر أيضاً كما في القسطلّاني.

(٢) انظر شرحه على حديث أنس بن مالك الآتي في الأطعمة برقم (٥٣٨٥).

عبداً شَكوراً»، فأمَّا كَونُه أوَّلَ الرُّسُل فقد استُشكِلَ بأنَّ آدم كان نبيّاً، وبالضَّرورة تعلمُ أنَّه كان على شريعة من العبادة، وأنَّ أولاده أخَذُوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم، فيكون هو أوَّلَ رسول، فيحتمل أن تكون الأوَّلية في قول أهل الموقِف لنوحٍ مُقيَّدة بقولهم: إلى أهل الأرض؛ لأنَّه في زمن آدم لم يكن للأرضِ أهل، أو لأنَّ رسالة آدم إلى بَنِيهِ كانت كالتَّربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنَّه رسول أُرسِلَ إلى بَنِيهِ وغيرهم من الأُمَم الذينَ أُرسِلَ إليهم مع تَفرُّقهم في عِدَّة بلاد، وآدم إنَّما أُرسِلَ/ إلى بَنِيهِ فقط، وكانوا مُجتَمِعينَ في بلدةٍ واحدة، واستَشكَلَه بعضهم بإدريس، ولا يَرِدُ؛ لأنَّه اختُلِفَ في كَونه جَدَّ نوح كما تقدَّم، وقد تقدَّم شيء من هذا في أوَّل كتاب التيمُّم (٣٣٥) فيما يَتعلَّق بخَصُوصِيّة نبيِّنا بعموم البِعْثة عليه وعلى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام. ٣٧٣/٦

وأمَّا قولهم: «وسَمّاك الله عبداً شَكُوراً» فإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣]، وروى عبد الرَّزّاق بسندٍ مقطوعٍ: أنَّ نوحاً كان إذا ذهب إلى الغائط قال: الحمدُ لله الذي رَزَقَني لَذَّته، وأبقى فيَّ قوَّته، وأذهَب عنِّي أذاه[1].

الخامس: حديثُ ابن مسعود في قراءة ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾، وسيأتي في تفسير «اقتَرَبَت» (٤٨٧٤).

٤- بابٌ

﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝١٢٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: يُذكَرُ بخيرٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ۝١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات:١٢٣-١٣٢].

يُذكَرُ عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عبَّاسٍ: أنَّ إلْياسَ هو إدريسُ.

---

(١) لم نقف عليه عند عبد الرزاق، وهو عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١/ ٢ و١٠/ ٤٥٤، وروي مثله عن النبي ﷺ مرفوعاً من حديث ابن عمر عند ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٥)، وسنده ضعيف.

قوله: «باب ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ إلى ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾» سقط لفظ «باب» من رواية أبي ذرٍّ، وكأنَّ المصنِّف رَجَحَ عنده كَونُ إدريس ليس من أجداد نوح، فلهذا ذكره بعده، وسأذكُرُ ما في ذلك في الباب الذي يَليهِ.

وإلياس بهمزة قطع، وهو اسم عِبْراني. وأمَّا قوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ فقرأه الأكثر بصورة الاسم المذكور وزيادة ياء ونون في آخره، وقرأ أهل المدينة: «آل ياسين» بفصل آل من ياسين، وكان بعضهم يَتأوَّل أنَّ المراد سلامٌ على آل محمَّد ﷺ، وهو بعيد، ويُؤيِّد الأوَّلَ أنَّ الله تعالى إنَّما أخبر في كلّ موضع ذكر فيه نبيّاً من الأنبياء في هذه السُّورة، بأنَّ السَّلام عليه، فكذلك السَّلامُ في هذا الموضع على إلياس الـمُبدَأ بذِكْره، وإنَّما زِيدَت فيه الياء والنُّون كما قالوا في إدريس: إدراسينَ، والله أعلم.

قوله: «قال ابن عبَّاس» وَصَلَه ابن جَرِير (٢٣/ ٦٨) من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾[1]: يُذكَر بخيرٍ.

قوله: «ويُذكَر عن ابن مسعود وابن عبَّاس: أنَّ إلْياس هو إدريس» أمَّا قول ابن مسعود فوَصَلَه عبد بن حُميدٍ وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٦) بإسنادٍ حسنٍ عنه قال: إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل. وأمَّا قول ابن عبَّاس فوَصَلَه جُوَيبِر في «تفسيره» عن الضَّحّاك عنه، وإسناده ضعيف، ولهذا لم يَجزِم به البخاري.

وقد أخَذَ أبو بكر بن العربي من هذا أنَّ إدريس لم يكن جَدّاً لنوحٍ، وإنَّما هو من بني إسرائيل، لأنَّ إلياس قد وَرَدَ أنَّه من بني إسرائيل، واستُدِلَّ على ذلك بقوله عليه السلام للنبي ﷺ: «مَرحَباً بالنبي الصالح والأخ الصالح»[2]، ولو كان من أجداده لقالَ له كما قال له آدم وإبراهيم: «والابن الصالح»، وهو استدلال جيِّد، إلّا أنَّه قد يُجاب عنه بأنَّه قال ذلك على سبيل التَّواضُع والتَّلطُّف، فليس ذلك نَصّاً فيما زَعَمَ.

---

(١) هذا ذهولٌ من الحافظ، والصواب: في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾.

(٢) سلف ضمن حديث الإسراء والمعراج الطويل برقم (٣٤٩).

وقد قال ابن إسحاق في أوَّل «السِّيرة النَّبوية» لمَّا ساقَ النَّسَب الكريم، فلمَّا بَلَغَ إلى نوح قال: ابن لَـمْك بن مَتُّوشَلَخ بن خَنُوخ: وهو إدريس النبي فيما يَزعُمونَ، وأشارَ بذلك إلى أنَّ هذا القول مأخوذ عن أهل الكتاب. واختُلِفَ في ضبطه، فالأكثر: خَنُوخ بمُعجَمَتَين بعد الأولى نون بوَزنِ ثَمُود، وقيل: بزيادة ألِف في أوّله وسكون المعجَمة الأولى، وقيل غير ذلك، لكن بحذفِ الواو، وقيل كذلك لكن بدل الخاء الأولى هاء، وقيل: كالثّاني لكن بدل المعجَمة مُهمَلة.

واختُلِفَ في لفظ إدريس، فقيل: هو عربي واشتِقاقُه من الدّرَاسة، وقيل له ذلك لكَثْرة دَرْسه الصُّحُف، وقيل: بل هو سُرْياني، وفي حديث أبي ذرٍّ الطَّويل الذي صَحَّحَه ابن حِبّان (٣٦١) أنَّه كان سُريانياً[(١)]، ولكن لا يَمنَعُ/ ذلك كونَ لفظ إدريس عربيّاً إذا ثَبَتَ بأنَّ له اسمَين. ٣٧٤/٦

٥- باب ذِكْرِ إدريس عليه السَّلام

وقولِ الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٧]

٣٣٤٢- قال عَبْدانُ: أخبرنا عبدُ الله، أخبرنا يونسُ، عن الزُّهْريّ (ح) حدَّثنا أحمَدُ بنُ صالحٍ، حدَّثنا عَنْبَسةُ، حدَّثنا يونسُ، عن ابنِ شِهابٍ، قال: قال أنسُ بنُ مالكٍ: كان أبو ذرٍّ ﷺ يُحدِّثُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فُرِجَ عن سَقْفِ بيتي وأنا بمَكّةَ، فنزلَ جِبْرِيلُ ففَرَجَ صَدْري، ثمَّ غَسَلَه بماءِ زَمْزَمَ، ثمَّ جاءَ بطَسْتٍ من ذهبٍ مُمتَلِئٍ حِكْمةً وإيماناً فأفرَغَها في صَدْري، ثمَّ أطبَقَه، ثمَّ أخَذَ بيَدِي فعَرَجَ بي إلى السماءِ، فلمَّا جاءَ إلى السماءِ الدُّنْيا قال جِبْرِيلُ لخازنِ السماء: افتَحْ، قال: مَن هذا؟ قال: هذا جِبْرِيلُ، قال: مَعَكَ أحدٌ؟ قال: معي محمَّدٌ، قال: أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم، فافتَحْ، فلمَّا عَلَوْنا السماءَ إذا رجلٌ عن يَمِينِه أَسوِدةٌ وعن يَساره أسوِدةٌ، فإذا نظرَ قِبَلَ يَمِينِه ضَحِكَ، وإذا نظرَ قِبَلَ شِمالِه بَكَى، فقال: مَرْحباً بالنبيِّ الصالحِ، والابنِ الصالحِ، قلتُ: مَن هذا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذا آدمُ، وهذه الأَسوِدةُ عن يَمِينِه وعن شِمالِه نَسَمُ بَنِيهِ، فأهلُ

(١) وإسناده ضعيف جداً.

اليَمِين منهم أهلُ الجنَّةِ، والأَسوِدةُ التي عن شِمالِهِ أهلُ النارِ، فإذا نظرَ قِبَلَ يَمِينِه ضَحِكَ، وإذا نظرَ قِبَلَ شِمالِه بَكَى، ثمَّ عَرَجَ بي جِبْرِيلُ حتَّى أَتى السماءَ الثّانيةَ فقال لخازنِها: افتَحْ، فقال له خازنُها مِثلَ ما قال الأوَّلُ، ففَتَحَ».

قال أنسٌ: فذَكَر أنَّه وَجَدَ في السَّماواتِ إدريسَ وموسى وعيسى وإبراهيمَ، ولم يُثبِتْ لي كيفَ منازلُهم، غيرَ أنَّه قد ذَكَر أنَّه وَجَدَ آدمَ في السماءِ الدُّنْيا وإبراهيمَ في السادسةِ، وقال أنسٌ: «فلمَّا مرَّ جِبْرِيلُ بإدريسَ قال: مَرْحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ، فقلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا إدريسُ، ثمَّ مَرَرتُ بموسى فقال: مَرْحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ، وقلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا موسى، ثمَّ مَرَرتُ بعيسى فقال: مَرْحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ، قلتُ: مَن هذا؟ قال: عيسى، ثمَّ مَرَرتُ بإبراهيمَ فقال: مَرْحباً بالنبيِّ الصالحِ والابنِ الصالحِ، قلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا إبراهيمُ».

قال: وأخبرني ابنُ حَزْمٍ: أنَّ ابنَ عبَّاسٍ وأبا حَيَّةَ الأنصاريَّ كانا يقولانِ: قال النبيُّ ﷺ: «ثمَّ عُرِجَ بي حتَّى ظَهَرتُ لمُستَوًى أسمَعُ صَرِيفَ الأقلامِ».

قال ابنُ حَزْمٍ وأنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنهما: قال النبيُّ ﷺ: «ففَرَضَ اللهُ عليَّ خمسينَ صلاةً، فرَجَعْتُ بذلكَ حتَّى أَمُرَّ بموسى، فقال موسى: ما الذي فُرِضَ على أمَّتِكَ؟ قلتُ: فَرَضَ عليهم خمسينَ صلاةً، قال:/ فراجِعْ ربَّكَ، فإنَّ أمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذلك، فرَجَعْتُ فراجَعْتُ ربِّي فوَضَعَ شَطْرَها، فرَجَعْتُ إلى موسى، فقال: راجِعْ ربَّكَ، فذكرَ مِثلَه، فوَضَعَ شَطْرَها، فرَجَعْتُ إلى موسى فأخبَرتُه فقال: راجِعْ ربَّكَ، فإنَّ أمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذلك، فرَجَعْتُ فراجَعْتُ ربِّي فقال: هي خمسٌ وهي خمسونَ، لا يُبدَّلُ القولُ لديَّ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال: راجِعْ ربَّكَ، فقلتُ: قدِ استَحْيَيتُ من ربِّي، ثمَّ انطَلَقَ حتَّى أَتى السِّدْرةَ المنتهَى، فغَشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثمَّ أُدخِلْتُ الجنَّةَ فإذا فيها جَنابِذُ اللُّؤلُؤِ، وإذا ترابُها المِسْكُ». ٣٧٥/٦

قوله: «باب ذِكْر إدريس» سقط لفظ «باب» من رواية أبي ذرٍّ، وزاد في رواية الحَفْصي: «وهو جَدّ أبي نوح، وقيل: جَدّ نوح».

قلت: الأوَّل أولى من الثَّاني كما تقدَّم، ولعلَّ الثَّاني أطلقَ ذلك مجازاً لأنَّ جَدَّ الأب جَدٌّ، ونَقَلَ بعضهم الإجماعَ على أنَّه جدٌّ لنوحٍ، وفيه نظر، لأنَّه إن ثَبَتَ ما قال ابن عبَّاس: أنَّ إلياس هو إدريس، لَزِمَ أن يكون إدريس من ذُرِّية نوح، لا أنَّ نوحاً من ذُرِّيته، لقوله تعالى في سورة الأنعام [٨٤-٨٥]: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾، فدلَّ على أنَّ إلياسَ من ذُرِّية نوح، سواء قلنا: إنَّ الضَّمير في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لنوحٍ أو لإبراهيم، لأنَّ إبراهيم من ذُرِّية نوح، فمَن كان من ذُرِّية إبراهيم فهو من ذُرِّية نوح لا مَحالةَ.

وذكر ابن إسحاق في «المبتَدَأ»: أنَّ إلياس هو ابن نُسَيّ بن فِنحاص بن العَيْزار بن هارون أخي موسى بن عِمران، فالله أعلم. وذكر وهبٌ في «المبتَدَأ»: أنَّ إلياس عُمِّر كما عُمِّرَ الخَضِر[1]، وأنَّه يبقى إلى آخر الدُّنيا في قصَّة طويلة، وأخرج الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٦١٦) من حديث أنس: أنَّ إلياس اجتَمَعَ بالنبي ﷺ وأكَلا جميعاً، وأنَّ طوله ثلاث مئة ذِراع، وأنَّه قال: إنَّه لا يأكل في السَّنة إلّا مرَّة واحدة، أورَدَه الذَّهبي[2] في ترجمة يزيد بن يزيد البَلَوي، وقال: إنَّه خبر باطل.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾» ثمَّ ساقَ حديث الإسراء من رواية أبي ذرٍّ، وقد تقدَّم شرحه في أوائل الصلاة (٣٤٩) وكأنَّه أشارَ بالتَّرجمة إلى ما وَقَعَ فيه أنَّه وَجَدَه في السماء الرّابعة، وهو مكانٌ عليٌّ بغير شَكّ.

واستَشكَلَ بعضهم ذلك بأنَّ غيره من الأنبياء أرفَعُ مكاناً منه، ثمَّ أجابَ بأنَّ المراد أنَّه لم يُرفَع إلى السماء مَن هو حَيٌّ غيره، وفيه نظر، لأنَّ عيسى أيضاً قد رُفِعَ وهو حَيٌّ على الصَّحيح، وكَونُ إدريس رُفِعَ وهو حيّ لم يَثبُت من طريق مرفوعة قوية، وقد روى الطَّبَري (١٦/ ٩٦): أنَّ كعباً قال لابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أنَّ إدريس سأل

---

(١) سلف التعليق على حياة الخضر عند آخر شرح الحديث (٦٠١).

(٢) في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٤٤١.

صديقاً له من الملائكة، فحَمَلَه بين جناحَيهِ ثمَّ صَعِدَ به، فلمَّا كان في السماء الرّابعة تَلَقّاه مَلَكُ الموت فقال له: أُريد أن تُعلِمَني كم بقي من أجَلِ إدريس؟ قال: وأين إدريس؟ قال: هو مَعي، فقال: إنَّ هذا لَشيءٌ عَجيبٌ، أُمِرتُ بأن أقبِضَ روحه في السماء الرّابعة، فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض؟ فقبَضَ روحَه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، وهذا من الإسرائيليات، والله أعلمُ بصِحَّة ذلك. وذكر ابن قُتَيبة: أنَّ إدريس رُفِعَ وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة.

وفي حديث أبي ذرٍّ الطَّويل الذي صَحَّحه ابن حِبّان (٣٦١)[1]: أنَّ إدريس كان نبيّاً رسولاً، وأنَّه أوَّلُ مَن خطَّ بالقَلَم، وذكر ابن إسحاق له أوَّلياتٍ كثيرةً، منها أنَّه أوَّل مَن خاطَ الثِّياب.

تنبيه: وَقَعَ في أكثر الرِّوايات: «وقال عَبْدان»، وفي روايتنا من طريق أبي ذرٍّ: «حدَّثنا عبدان» ووَصَلَه أيضاً الجوزَقي من طريق محمَّد بن اللَّيث عن عبد الله بن عثمان ـ وهو عبدان ـ به.

٦- باب قول الله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]

وقولِه: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ إلى قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف:٢١-٢٥].

فيه عن عطاءٍ وسليمانَ، عن عائشةَ، عن النبيِّ ﷺ.

وقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديدةٍ ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قال ابنُ عُيَينةَ: عَتَت على الخُزّان ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ مُتتابعةً ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أُصولُها ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦-٨]: بَقيَّةٍ.

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾» هو هود بن عبد الله بن رَباح بن جاوَرَ بن عاد بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح. وسَمّاه أخاً لـهم لكَونِه من قبيلَتِهم لا من ٣٧٦/٦

(١) بل إسناده ضعيف جداً.

جِهَة أُخوَّة الدّين، هذا هو الرّاجِح في نَسَبه. وأمَّا ابن هشام فقال: اسمه عابر بن أرفَخشَذ ابن سام بن نوح.

قوله: «﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ إلى قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾» الأحقاف: جمع حِقْف بكسر المهمَلة، وهو المعوَجُّ من الرَّمل، والمراد به هنا مساكنُ عاد، وروى عبد ابن/ حُميدٍ من طريق قَتَادة: أنَّهم كانوا يَنزِلونَ الرَّمْل بأرضِ الشِّحْرِ وما والاها، وذكر ابن قُتَيبة: أنَّهم كانوا ثلاثَ عشرةَ قبيلة يَنزِلونَ الرَّمل بالدَّوِّ والدَّهناء وعالِج ووَبَار وعُمان إلى حَضْرَموتَ، وكانت ديارهم أخصبَ البلاد وأكثرها جِناناً، فلمَّا سَخِطَ الله جلَّ وعَلا عليهم جعلها مَفاوِز. ٣٧٧/٦

قوله: «فيه عطاء وسليمان عن عائشة عن النبي ﷺ» أمَّا رواية عطاء ـ وهو ابن أبي رَباح ـ فوَصَلَها المؤلِّف في «باب ذِكْر الرّيح» من بَدْء الخلق (٣٢٠٦)، وأوَّله: «كان إذا رأى مَخِيلةً أقبَلَ وأدبَرَ»، وفي آخره: «وما أدري لعلَّه كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾» الآيةَ [الأحقاف:٢٤]، وأمَّا رواية سليمان ـ وهو ابن يَسار ـ فوَصَلَها المؤلِّف في تفسير سورة الأحقاف (٤٨٢٨و٤٨٢٩)، ويأتي بقيَّة الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

قوله: «وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديدةٍ ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قال ابن عُيَينةَ: عَتَت على الخُزّان» أمَّا تفسير الصَّرصَر بالشَّديدة، فهو قول أبي عُبيدة في «المجاز».

وأمَّا تفسير ابن عُيَينةَ فرُوِّيناه في «تفسيره» رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه، عن غير واحد في قوله: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قال: عَتَت على الخُزّان، وما خَرَجَ منها إلّا مِقدارُ الخاتَم. وقد وَقَعَ هذا مُتَّصِلاً بحديث ابن عبَّاس الذي في هذا الباب عند الطبراني (١٢٤١٦) من طريق مسلم الأعوَر عن مجاهد عن ابن عبَّاس، وأخرجه ابن مَرْدويه من وجه آخر عن مسلم الأعوَر فبيَّن أنَّ الزّيادة مُدرَجة عن مجاهد، وجاء نحوها عن عليّ موقوفاً، أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه قال: «لم يُنزِل الله شيئاً من الرّيح إلّا بوزنٍ على يَدَي مَلَك، إلّا يومَ عادٍ، فإنَّه أذِنَ لها دون الخُزّان فعَتَتْ على الخُزّان»، ومن طريق قَبِيصَة بن ذُؤَيب أحد كِبار

التابعينَ نحوه بإسنادٍ صحيحٍ.

قوله: «﴿حُسُومًا﴾: مُتَتابعة» هو تفسير أبي عُبيدة، قال في قوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أدامَها ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: وِلاءً مُتَتابعةً. وقال الخليل: هو من الحَسْم، بمعنى: القَطْع.

قوله: «﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: أُصولها ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾: بقيَّة» هو تفسير أبي عُبيدة أيضاً قال: قوله: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ أي: أُصولها، وهي على رأي مَن أنَّثَ النَّخل، وشَبَّهَهم بأعجاز النَّخل إشارة إلى عِظَم أجسامهم، قال وَهْب بن مُنبِّه: كان رأس أحدهم مِثل القُبَّة، وقيل: كان طوله اثنَي عشر ذِراعاً، وقيل: كان أكثر من عشرة، وروى ابن الكَلْبي قال: كان طولُ أقصَرِهم ستّينَ ذِراعاً وأطوَلِهم مئة، والكَلْبي تالفٌ[1]. وفي قوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقيَّة، وفي التَّفسير: أنَّ الرِّيح كانت تَحمِل الرَّجل فترفَعه في الهواء ثمَّ تُلقيه فتَشدَخُ رأسه فيبقى جُثَّة بلا رأس، فذلك قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، وأعجاز النَّخل هي التي لا رؤوس لها.

ثمَّ ذكر المصنِّف في الباب ثلاثة أحاديث:

٣٣٤٣- حدَّثنا محمَّدُ بنُ عَرْعَرةَ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن الحَكَم، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبُورِ».

٣٣٤٤- قال: وقال ابنُ كَثير: عن سفيانَ، عن أبيه، عن ابنِ أبي نُعْمٍ، عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: بَعَثَ عليٌّ ﷺ إلى النبيِّ ﷺ بذُهَيبةٍ، فقَسَمَها بينَ الأربعةِ: الأقرَعِ بنِ حابسٍ الحَنْظَليِّ ثمَّ المُجَاشعيِّ، وعُيَينةَ بنِ بَدْرٍ الفَزَاريِّ، وزيدٍ الطائيِّ ثمَّ أحدِ بني نَبْهانَ، وعَلْقمةَ بنِ عُلَاثةَ العامريِّ أحدِ بني كِلابٍ، فغَضِبَت قريشٌ والأنصارُ قالوا: يُعْطي صَنادِيدَ أهلِ نَجْدٍ ويَدَعُنا! قال: «إنَّما أتألَّفُهم»، فأقبَلَ رجلٌ غائرُ العينَينِ، مُشْرِفُ الوَجْنتَين، ناتئُ الجَبين، كَثُّ اللِّحيةِ محلوقٌ، فقال: اتَّقِ اللهَ يا محمَّدُ، فقال: «مَن يُطِعِ اللهَ إذا عَصَيتُ؟ أيأمَنُني اللهُ على أهلِ الأرضِ

---

(١) تصحفت في (س) إلى: بألف.

ولا تَأْمَنُوني؟!» فسأله رجلٌ قَتْلَه ـ أحسبُه خالدَ بنَ الوليد ـ فمَنَعَه، فلمَّا وَلَّى قال: «إنَّ من ضِئْضِئِ هذا ـ أو في عَقِبِ هذا ـ قومٌ يَقْرَؤونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهم، يَمْرُقونَ مِن الدِّين مُرُوقَ السَّهْمِ مِن الرَّمِيَّةِ، يَقتُلونَ أهلَ الإسلامِ ويَدَعُونَ أهلَ الأوْثانِ، لئِنْ أنا أدرَكْتُهم لأقتُلنَّهم قَتْلَ عادٍ».

[أطرافه في: ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢]

٣٣٤٥- حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن الأسوَدِ، قال: سمعتُ عبدَ الله قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرأُ: ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٥].

أحدها: حديثُ ابن عبَّاس وفيه: «وأُهلِكَت عادٌ بالدَّبور»، ووَرَدَ في صفة إهلاكهم بالرِّيح ما أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٩) من حديث ابن عمر، والطبراني (١٢٤١٦) من حديث ابن عبَّاس رَفَعاه: «ما فَتَحَ الله على عادٍ من الرِّيح إلَّا موضعَ الخاتَم، فمرَّت بأهلِ البادية فحَمَلَتهم ومَواشيَهم وأموالهم بين السماء والأرض، فرآهم الحاضرةُ فقالوا: هذا عارضٌ مُمطِرُنا، فألقَتهم عليهم فهَلَكوا جميعاً»[1].

ثانيها: حديث أبي سعيد الخُدْري في ذِكْر الخوارج.

قوله: «وقال ابن كَثير: عن سُفْيان» كذا وَقَعَ هنا، وأورَدَه في تفسير براءَة (٤٦٦٧) قائلاً: «حدَّثنا محمَّد بن كثير» فوَصَلَه لكنَّه لم يَسُقه بتمامه، وإنَّما اقتصَرَ على طَرَف من أوَّله، وسيأتي الكلام عليه مُستوفًى في المغازي (٤٣٥١) إن شاء الله تعالى.

والغرض منه هنا قوله: «لَئِن أنا أدرَكتُهم لَأقتُلنَّهم قتلَ عاد» أي: قتلاً لا يُبقي منهم أحداً، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾، ولم يُرِدْ أنَّه يَقتُلهم بالآلة التي قُتِلَت بها عادٌ بعينِها، ويحتمل أن يكون من الإضافة إلى الفاعل ويُراد به القتل الشَّديد القويُّ، إشارة إلى أنَّهم موصوفونَ بالشِّدَّة والقوَّة، ويُؤيِّده أنَّه وَقَعَ في طريق أُخرى (٤٣٥١): «قتل ثَمُود».

---

(١) وحديث ابن عمر أخرجه الطبراني أيضاً (١٣٥٥٣)، وفي كلا الحديثين ـ حديث ابن عمر وحديث ابن عباس ـ مسلم بن كيسان الملائي، وهو ضعيف منكر الحديث.

ثالثها: حديثُ عبد الله: «سمعت النبي ﷺ/ يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾»، وسيأتي في التَّفسير إن شاء الله تعالى (٤٨٧٢)[1]. ٣٧٨/٦

١٧ - باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:٧٣]

وقوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ [الحجر:٨٠] الحِجْرُ: موضعُ ثَمُودَ.

وأمَّا «حَرْثٌ حِجْرٌ»: حَرامٌ، وكلُّ ممنوعٍ فهو حِجْرٌ ومنه: حِجْرٌ محجورٌ[2].

والحِجْرُ: كلُّ بناءٍ بَنَيتَه، وما حَجَرْتَ عليه من الأرضِ فهو حِجْرٌ، ومنه سُمِّيَ حَطِيمُ البيتِ حِجْراً، كأنَّه مُشتَقٌّ من محطومٍ، مِثلُ: قَتِيلٍ من مقتولٍ، ويقال للأُنثَى مِن الخيل: حِجْر، ويقال للعَقْلِ: حِجْرٌ وحِجًى. وأمَّا حَجْرُ اليَمامَة: فهو المَنزِل.

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ وقوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾» ٣٧٩/٦ هو صالح بن عُبيد بن أسيف[3] بن ناسخ[4] بن عُبيد بن حاجز بن ثَمُود بن عابر بن إِرَم بن سام بن نوح، وكانت منازلهم بالحِجْر، وهو بين تَبُوك والحِجاز.

قوله: «الحِجْر: موضع ثَمُود، وأمَّا حَرْثٌ حِجْرٌ: حَرامٌ» هو تفسير أبي عُبيدة، قال في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام:١٣٨]، أي: حَرام.

قوله: «وكلُّ ممنوع فهو حِجْر، ومنه: حِجْر محجور» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٢٢] أي: حَراماً مُحرَّماً.

---

(١) تنبيه: قدَّم الحافظ ابن حجر الباب التالي (وهو الباب ١٧ من كتاب الأنبياء) فوضعه هنا (قبل الباب السابع) ليكون الكلام على نبي الله صالح عليه السلام وقومه من ثمودَ بعد الكلام على نبي الله هود وقومه من عاد، فاقتضى ذلك أن تكون الأحاديث المرقمة في «صحيح البخاري» من رقم (٣٣٧١) إلى (٣٣٨١) متقدمة عن ترتيبها المتسلسل، فنحن في ترتيب طبع الشرح راعينا ترتيب الشارح، وفي ترقيم أحاديث «صحيح البخاري» راعينا ترتيب هذه الأحاديث في النسخ المتداولة من «الصحيح».

(٢) يعني في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

(٣) «ابن أسيف» ليس في (أ) و(ع)، وأثبتناه من (س).

(٤) في (س): ماشخ.

قوله: «والحِجْر: كلّ بناء بَنَيته، وما حَجَرْتَ عليه من الأرض فهو حِجْر، ومنه سُمّي حَطِيم البيت حِجْراً» قال أبو عُبيدة: ومن الحرام سُمّي حِجْر الكعبة، وقال غيره: سُمّي حَطيماً لأنّه أُخرِجَ من البيت وتُرِكَ هو محطوماً، وقيل: الحَطيم: ما بين الرُّكن والباب، سُمّي حَطيماً لازدِحام الناس فيه.

قوله: «كأنّه مُشتَقّ من محطوم» أي: الحَطيم **«مِثل: قتيل، من مقتول»** وهذا على رأي الأكثر، وقيل: سُمّي حَطيماً لأنَّ العرب كانت تَطرَح فيه ثيابها التي تطوف فيها، وتَترُكها حتَّى تَتَحطَّم وتَفسُد بطولِ الزَّمان، وسيأتي هذا فيها بعدُ عن ابن عبَّاس، فعلى هذا هو فَعِيل بمعنى فاعل، وقيل: سُمّي حَطيماً لأنَّه كان من جُملة الكعبة فأُخرِجَ عنها، وكأنَّه كُسِرَ منها، فيَصِحُّ لهم فعيل بمعنى مفعول. وقوله: **«مُشتَقّ»** ليس هو محمولاً على الاشتِقاق الذي حَدَثَ اصطِلاحُه.

قوله: «ويقال للأُنثى من الخيل: حِجْر، ويقال للعَقْلِ: حِجْر وحِجًى» هو قول أبي عُبيدة قال في قوله تعالى: ﴿لِّذِى حِجۡرٍ﴾ [الفجر:٥]، أي: عَقْل، قال: ويقال للأُنثى من الخيل: حِجْر.

قوله: «وأمّا حَجْر اليمامة: فهو المنزِلُ» ذكره استطراداً، وإلّا فهذا بفتح أوّله: هي قَصَبةُ اليَمامة، البلد المشهور بين الحِجاز واليمن[1].

ثم ذكر المصنف في الباب حديثَ عبد الله بن زَمْعة في ذِكْر عاقر الناقة.

٣٣٧٧- حدَّثنا الحُمَيديُّ، حدَّثنا سفيانُ، حدَّثنا هشامُ بنُ عُرْوةَ، عن أبيه، عن عبدِ الله ابنِ زَمْعةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ ـ وذكر الذي عَقَرَ الناقةَ ـ قال: «انتَدَبَ لها رجلٌ ذو عِزٍّ ومَنَعةٍ في قَومِه، كأَبي زَمْعةَ».

[أطرافه في: ٤٩٤٢، ٥٢٠٤، ٦٠٤٢]

قوله: «ومَنَعة» بفتح الميم والنُّون والمهمَلة.

---

(١) قال الأستاذ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ في تعليقه على كتاب «الأماكن» للحازمي ١/ ٣٢٤: حَجْر اليمامة: هو قاعدة اليمامة التي قامت مدينة الرياض على أنقاضها.

قوله: «في قومه» كذا للأكثر، وللكُشْمِيهني والسَّرَخْسي: «في قوَّة».

قوله: «كأبي زَمْعة» هو الأسوَد بن عبد المطَّلِب بن أسَد بن عبد العُزّى، وسيأتي بيان ذلك في التَّفسير حيثُ ساقَه المصنِّف مُطوَّلاً (٤٩٤٢)، وليس لعبد الله بن زَمعة في البخاري غير هذا الحديث، وهو يَشتَمِل على ثلاثة أحاديث، وقد فرَّقَها في النِّكاح (٥٢٠٤) وغيره (٦٠٤٢).

وعاقرُ الناقة: اسمه قُدار بن سالف، قيل: كان أحمَرَ أزرق أصهَب. وذكر ابن إسحاق في «المبتَدَأ» وغير واحد: أنَّ سبب عَقْرهم الناقةَ أنَّهم كانوا اقتَرَحوها على صالح عليه السلام، فأجابَهم إلى ذلك بعد أن تَعَنَّتوا في وصفها، فأخرج الله له ناقةً من صخرة بالصِّفة المطلوبة، فآمَنَ بعضٌ وكفرَ بعضٌ، واتَّفَقوا على أن يَترُكوا الناقة ترعى حيثُ شاءَت، وتَرِدُ الماء يوماً بعد يوم، وكانت إذا وَرَدَت تشرب ماءَ البئر كلَّه، وكانوا يَرفَعونَ حاجتهم من الماء في يومهم للغَدِ، ثمَّ ضاقَ بهم الأمر في ذلك، فانتَدَبَ تِسعةُ رَهْطٍ، منهم قُدار المذكور، فباشَرَ عَقرَها، فلمَّا بَلَغَ ذلك صالحاً عليه السلام أعلمَهم بأنَّ العذاب سيقعُ بهم بعد ثلاثة أيام، فوَقَعَ كذلك كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه.

وأخرج أحمد (١٤١٦٠) وابن أبي حاتم (٥/١٥١٦) من حديث جابر رَفَعَه: «إنَّ الناقة كانت تَرِدُ يومَها فتشربُ جميع/ الماء، ويَحتَلِبونَ منها مِثل الذي كانت تشرب»، وفي سنده إسماعيل بن عيّاش، وفي روايته عن غير الشّاميينَ ضعف، وهذا منها[1]. ٣٨٠/٦

ثم ذكر المصنف حديثَ ابن عمر في بئر ثَمُود.

٣٣٧٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ مِسْكِينٍ أبو الحسنِ، حدَّثنا يحيى بنُ حسَّانَ بنِ حَيّانَ أبو زكريّا، حدَّثنا سليمانُ، عن عبدِ الله بنِ دِينارٍ، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا نزلَ

---

(١) إسماعيل بن عياش في أحد أسانيد ابن أبي حاتم في «تفسيره»، وخلا منه إسناد أحمد، والحديث قويٌّ، واللفظ الذي ساقه الحافظ هو بنحوه عند ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٤٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٤٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٦٩).

الحِجْرَ في غَزْوةِ تَبُوكَ، أمَرَهم أن لا يَشْرَبوا من بِئرِها، ولا يَسْتَقُوا منها، فقالوا: قد عَجَنَّا منها واستَقَينا، فأمَرَهم أن يَطرَحُوا ذلك العَجِينَ، ويُهَرِيقُوا ذلك الماءَ.

ويُروَى عن سَبْرةَ بنِ مَعْبَدٍ وأبي الشَّمُوسِ: أنَّ النبيَّ ﷺ أمَرَ بإلْقاءِ الطَّعام.

وقال أبو ذرٍّ، عن النبيِّ ﷺ: «مَنِ اعْتَجَنَ بمائِه».

[طرفه في: ٣٣٧٩]

٣٣٧٩- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذِر، حدَّثنا أنسُ بنُ عِياضٍ، عن عُبيدِ الله، عن نافعٍ: أنَّ عبدَ الله بنَ عمرَ رضي الله عنهما أخبَره: أنَّ الناسَ نَزَلوا معَ رسولِ الله ﷺ أرضَ ثَمُودَ؛ الحِجْرَ، فاستَقَوْا من بئرِها، واعْتَجَنوا به، فأمَرَهم رسولُ الله ﷺ أن يُهَرِيقوا ما استَقَوْا من بِئرِها، وأن يَعْلِفوا الإبلَ العَجِينَ، وأمَرَهم أن يَسْتَقوا مِن البِئْرِ التي كان تَرِدُها الناقة.

تابَعَه أُسامةُ عن نافعٍ.

٣٣٨٠- حدَّثنا محمَّدٌ، أخبرنا عبدُ الله، عن مَعمَر، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني سالم بنُ عبدِ الله، عن أبيه رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجْرِ قال: «لا تَدخُلوا مَساكنَ الذينَ ظَلَمُوا، إلا أن تكونوا باكِينَ، أن يُصِيبَكم ما أَصابَهم» ثمَّ تَقنَّعَ بِرِدَائِه وهو على الرَّحْل.

٣٣٨١- حدَّثني عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا وَهْبٌ، حدَّثنا أَبي، سمعتُ يونُسَ، عن الزُّهْريِّ، عن سالمٍ: أنَّ ابنَ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَدخُلوا مَساكِنَ الذينَ ظَلَموا أنفُسَهم، إلا أن تكونوا باكِينَ، أن يُصِيبَكم مِثْلُ ما أصابَهم».

قوله: «حدَّثنا سليمان» هو ابن بلال.

قوله: «فأمَرَهم أن يَطْرَحوا ذلك العجينَ ويُهَرِيقوا ذلك الماء» بيَّن في رواية نافع عَقِب هذا عن ابن عمر أنَّه أمَرَهم أن يُهريقوا ما استَقَوا من بئرها وأن يَعلِفوا الإبل العَجين.

قوله: «ويُروى عن سَبْرة بن مَعْبَد وأبي الشَّموس: أنَّ النبي ﷺ أمَرَ بإلْقاءِ الطَّعام» أمَّا حديث سَبْرة بن مَعبَد فوَصَلَه أحمد[1] والطبراني (٦٥٥٠-٦٥٥٢) من طريق عبد العزيز

(١) لم يخرجه أحمد في «مسنده»، ولم يذكره الحافظ نفسه في أحاديث سبرة في كتابه «أطراف المسند»، ولا في =

ابن الرَّبيع بن سَبْرة بن مَعبَد، عن أبيه عن جَدِّه سَبْرة ـ وهو بفتح المهمَلة وسكون الموحَّدة ـ الجُهَني قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه حين راحَ من الحِجر: «مَن كان عَجَنَ منكم من هذا الماء عَجينَه، أو حاسَ به حَيْساً، فليُلقِه»، وليس لسَبْرةَ بن مَعبَد في البخاري إلّا هذا الموضع، وقد أغفَلَه المِزّي في «الأطراف» كالذي بعده.

وأمَّا حديث أبي الشَّمُوس ـ وهو بمُعجَمةٍ ثمَّ مُهمَلة، وهو بَكْري لا يُعرَف اسمه ـ فوَصَلَ حديثه البخاري في «الأدب المفرَد»[1] والطبراني (٢٢/ ٨٢٦) وابن مَندَهْ من طريق سُلَيم بن مُطير عن أبيه عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك... فذكر الحديث، وفيه: «فألقى ذو العَجين عَجِينَه، وذو الحَيْس حَيسَه»، ورواه ابن أبي عاصم[2] من هذا الوجه وزادَ: فقلت: يا رسول الله، قد حَسَيتُ حَيْسةً، أفأُلقِمها راحلَتي؟ قال: «نعم».

قوله: «وقال أبو ذرٍّ عن النبي ﷺ: مَن اعتَجَنَ بمائِه» وَصَلَه البزَّار (٣٩٧١) من طريق عبد الله بن قُدامةَ عنه: أنَّهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تَبُوك، فأتَوْا على وادٍ فقال لهم النبي ﷺ: «إنَّكم بوادٍ مَلعونٍ فأسرِعوا، وقال: مَن اعتَجَنَ عَجِينَه، أو طَبَخَ قِدراً فليَكُبَّها» الحديث، وقال: لا أعلمه إلّا بهذا الإسناد[3].

قوله في آخر حديث نافع: «وأمَرَهم أن يَسْتقُوا من البِئْر التي كان تَرِدها الناقةُ» في رواية الكُشْمِيهني: «التي كانت تَرِدها الناقة»، وتَضَمَّنَت هذه الرِّواية زيادةً على الرِّوايات الماضية.

وسُئِلَ شيخنا الإمام البُلقِيني: من أين عُلمَت تلكَ البئر؟ فقال: بالتَّواتُرِ، إذ لا يُشتَرَط فيه الإسلام. انتهى، والذي يَظهَر أنَّ النبي ﷺ عَلِمَها بالوحي، ويُحمَل كلام الشَّيخ على مَن سيجيءُ بعد ذلك.

= «تغليق التعليق» ٤/ ١٩.

(١) كذا وقع هنا، وفي «تغليق التعليق» ٤/ ٢٠ عزاه إلى «الكنى المفرد»، ولم نقف عليه في المطبوع من الكتابين.

(٢) في «الآحاد والمثاني» (٢٦١٢).

(٣) وهو إسناد ضعيف، عبد الله بن قدامة لا يُعرَف، والراوي عنه هو علي بن زيد بن جُدْعان، وهو ضعيف.

وفي الحديث كراهة الاستقاء من بِئَار ثَمُود، ويَلتَحِق بها نظائرُها من الآبار والعُيون التي كانت لمن هَلَكَ بتعذيبِ الله تعالى على كفره. واختُلِفَ في الكراهة المذكورة: هل هي للتَّنزيه أو للتَّحريم؟ وعلى التَّحريم هل يَمتَنِع صِحَّة التطهُّر من ذلك الماء أم لا؟ وقد تقدَّم كثير من مباحث هذا الحديث في «باب الصلاة في مواضع الخَسْف والعذاب» من أوائل الصلاة (٤٣٣).

قوله: «تابَعَه أُسامة» يعني: ابن زيد اللَّيثي **«عن نافع»** أي: عن ابن عمر، رُوِّينا هذه الطَّريق موصولة في حديث حَرمَلة عن ابن وَهْب قال: **«أخبرنا أُسامة بن زيد»** فذكر مِثلَ حديث عُبيد الله: وهو ابن عمر العُمَري، وفي آخره: وأمَرَهم أن يَنزِلوا على بئر ناقة صالح ويَستقُوا منها.

قوله: «حدَّثنا محمَّدٌ» هو ابن مُقاتلٍ، وعبدُ الله: هو ابن المبارَك.

قوله: «لا تَدخُلوا مَساكنَ الذينَ ظَلَموا» زاد في رواية الكُشْمِيهني: **«أنفُسَهم»**، وهذا يَتَناوَلُ مَساكنَ ثَمُودَ وغيرهم ممَّن هو كصِفَتِهم، وإن كان السَّببُ وَرَدَ فيهم.

قوله في الرواية الأخرى: «حدَّثنا وَهْبٌ» هو ابن جَرِير بن حازمٍ، ويونسُ: هو ابن يزيدَ الأيْلي.

قوله: «إلّا أن تكونوا باكينَ» كذا للجميع، لكن زَعَمَ ابن التِّين أنَّه وَقَعَ في رواية القابِسي: «إلّا أن تكونوا باكِيِينَ» بتحتانيتَين، قال: وليس بصحيحٍ؛ لأنَّ الياءَ الأولى مكسورةٌ في الأصلِ، فاستُثقِلَت الكسرةُ وحُذِفَت إحدى الياءَين لالتِقاءِ الساكنَين.

قوله: «أن يُصيبَكم ما أصابهم» أي: كَراهيةَ أو خَشْيةَ أن يُصيبَكم، والتَّقديرُ عند الكوفيينَ: لئلّا يُصيبَكم، ويُؤيِّدُ الأوَّلَ أنَّه وَقَعَ في روايةٍ لأحمدَ: «إلّا أن تكونوا باكِينَ، فإن لم تكونوا باكينَ فتَباكَوْا، خَشْيةَ أن يُصيبَكم ما أصابهم»[1].

---

(١) هذه الرواية بهذا اللفظ لم نقف عليها عند أحمد ولا غيره، وأقرب الروايات إليها رواية عبد الله بن وهب عن يونس بن يزيد في هذا الحديث عند مسلم (٢٩٨٠) (٣٩) ففيها: «... إلّا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم ما أصابهم».

وروى أحمدُ (١٤١٦٠) والحاكمُ (٢/ ٣٢٠و٣٤٠-٣٤١) بإسنادٍ حسنٍ عن جابرٍ قال: لمَّا مرَّ/ رسولُ الله ﷺ بالحِجرِ قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألها قومُ صالحٍ، وكانت الناقةُ تَرِدُ من هذا الفَجِّ وتَصدُرُ من هذا الفَجِّ، فعَتَوْا عن أمرِ ربِّهم، وكانت تشربُ يوماً ويَشرَبونَ لَبَنَها يوماً، فعَقَروها فأخَذَتهم صَيحةٌ أهمَدَ اللهُ مَن تحت أديمِ السماءِ منهم إلّا رجلاً واحداً كان في حَرَمِ الله، وهو أبو رِغالٍ، فلمَّا خَرَجَ من الحَرَمِ أصابه ما أصابَ قومَه»، وروى عبدُ الرَّزّاق عن مَعمَر عن الزُّهْري قال: أبو رِغالٍ هو الجدُّ الأعلى لثَقيفٍ، وهو بكسر الرّاءِ وتخفيفِ الغَين المعجَمة. ٣٨١/٦

تنبيه: وَقَعَ هذا البابُ في أكثرِ نُسَخِ البخاري مُتأخِّراً عن هذا الموضع بعِدَّة أبوابٍ، والصَّوابُ إثباتُه هنا، وهذا ممَّا يُؤيِّدُ ما حكاه أبو الوليد الباجيّ عن أبي ذرٍّ الهَرَوي: أنَّ نُسْخةَ الأصلِ من البخاري كانت ورقاً غيرَ محبُوكٍ، فرُبَّما وُجِدَت الورقةُ في غير موضعِها فنُسِخَت على ما وُجِدَت، فوَقَعَ في بعضِ التَّراجِمِ إشكالٌ بحَسَبِ ذلك، وإلّا فقد وَقَعَ في القرآن ما يدلُّ على أنَّ ثَمُودَ كانوا بعدَ عادٍ كما كان عادٌ بعدَ قومِ نوحٍ.

٧- باب قول الله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٣-٨٤]: طريقاً

إلى قوله: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ واحدُها: زُبْرةٌ، وهي القِطَعُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ يقال عن ابن عبَّاسٍ: الجبلَين. و﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾: الجبلَين، ﴿خَرْجًا﴾: أجْراً، ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: أَصُبُّ عليه رَصَاصاً، ويقال: الحديدُ، ويقال: الصُّفْر، وقال ابنُ عبَّاسٍ: النُّحاس. ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾: يَعْلوه، اسْطَاعَ: استَفعَلَ من: طُعْتُ له، فلذلك فُتِحَ أَسْطاعَ يُسطِيع، وقال بعضُهم: استَطاعَ يَستَطيع. ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: ألزَقَه بالأرضِ، ويقال: ناقةٌ دَكّاءُ: لا سَنامَ لها، والدَّكْداكُ مِن الأرضِ مِثلُه، حتَّى صَلُبَ وتَلَبَّدَ ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٦]، قال قَتادةُ: حَدَبٌ: أَكَمَةٌ.

قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: رأيتُ السَّدَّ مِثلَ البُرْدِ المحَبَّرِ، قال: «رأيتَه».

٣٨٢/٦ قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿سَبَبًا﴾» كذا لأبي ذرٍّ، وساقَ غيرُه الآية، ثمَّ اتَّفقوا: «إلى قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾»، وفي إيراد المصنِّف ترجمة ذي القَرنَين قبل إبراهيم، إشارةٌ إلى توهين قول مَن زَعَمَ أنَّه الإسكَندَر اليوناني، لأنَّ الإسكَندَر كان قريباً من زمن عيسى عليه السلام، وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثرُ من أَلفَي سنة، والذي يَظهَر أنَّ الإسكَندَر المتأخِّر لُقِّبَ بذي القَرنَين تشبيهاً بالمتقدِّم، لسَعَة مُلكه وغَلَبَته على البلاد الكثيرة، أو لأنَّه لمَّا غَلَبَ على الفُرس وقتل مَلِكَهم، انتَظَمَ له مُلك المملكتَين الواسعتَين: الرُّوم والفُرس، فلُقِّبَ ذا القَرنَين لذلك، والحقُّ أنَّ الذي قَصَّ الله نَبأَه في القرآن هو المتقدِّم، والفرقُ بينهما من أوجُهٍ:

أحدها: ما ذكرتُه، والذي يدلّ على تَقَدُّم ذي القَرنَين ما روى الفاكِهيّ من طريق عُبيد ابن عُمَير، أحد كِبار التابعينَ: أنَّ ذا القَرنَين حَجَّ ماشياً، فسمعَ به إبراهيم فتَلَقَّاه[1]، ومن طريق عطاء عن ابن عبَّاس: أنَّ ذا القَرنَين دَخَلَ المسجد الحرام فسَلَّمَ على إبراهيم وصافَحَه، ويقال: إنَّه أوَّل مَن صافَحَ. ومن طريق عثمان بن ساج: أنَّ ذا القَرنَين سأل إبراهيم أن يَدعُوَ له فقال: وكيف وقد أفسَدتُم بِئري؟ فقال: لم يكن ذلك عن أمري، يعني: أنَّ بعض الجند فعلَ ذلك بغير عِلمه. وذكر ابن هشام في «التِّيجان»: أنَّ إبراهيم تَحاكَمَ إلى ذي القَرنَين في شيء فحَكَمَ له، وروى ابن أبي حاتم من طريق عِلْباءَ بن أحمرَ[2]: أنَّ ذا القَرنَين قَدِمَ مكَّة فوَجَدَ إبراهيم وإسماعيل يبنيانِ الكعبة، فاستَفهَمهما عن ذلك فقالا: نحنُ عبدانِ مأموران، فقال: مَن يَشهَد لكما؟ فقامَت خمسة أكبُشٍ فشَهِدَت، فقال: قد صَدَقتُما،

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٨٣٥)، لكن عن عبد الله بن عبيد بن عمير، لا عن أبيه. وأثر ابن عباس عنده برقم (٨٣٦). وأما أثر عثمان بن ساج فهو عن وهب بن منبِّه، وهو عنده أيضاً برقم (١٠٥٥).

(٢) تحرف في (أ) و(س) إلى: علي بن أحمد.

قال: وأظنّ الأكبُش المذكورة حجارة، ويحتمل أن تكون غَنَماً. فهذه الآثار يَشُدّ بعضها بعضاً، وتدلُّ على قِدَم عَهد ذي القَرنَين.

ثاني الأوجُه: قال الفَخْر الرّازي في «تفسيره»: كان ذو القَرنَين نبيّاً، وكان الإسكَندَر كافراً، وكان مُعلِّمُه أرَسطا طاليس، وكان يأتمرُ بأمره،/ وهو من الكفّار بلا شَكٍّ. وسأذكُرُ ما جاء في أنّه كان نبيّاً أم لا. ٣٨٣/٦

ثالثها: كان ذو القَرنَين من العرب كما سنذكر بعدُ، وأمَّا الإسكَندَر فهو من اليونان، والعرب كلُّها من ولد سام بن نوح بالاتِّفاق، وإن وَقَعَ الاختلاف هل هم كلّهم من بني إسماعيل أو لا؟ واليونان من ولد يافث بن نوح على الرّاجِح، فافتَرَقا. وشُبهَة مَن قال: إنَّ ذا القَرنَين هو الإسكَندَر، ما أخرجه الطَّبَري ومحمَّد بن ربيع الجيزي في «كتاب الصَّحابة الذينَ نزلوا مِصرَ» بإسنادٍ فيه ابن لَهيعة: أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ عن ذي القَرنَين فقال: «كان من الرُّوم فأُعطي مُلكاً، فصارَ إلى مِصر وبنى الإسكَندَرية، فلمّا فَرَغَ أتاه مَلَك فعَرَجَ به فقال: انظُر ما تحتك، قال: أرى مدينةً واحدةً، قال: تلكَ الأرضُ كلُّها، وإنَّما أراد الله أن يُريَكَ وقد جَعَلَ لك في الأرض سُلطاناً، فسِرْ فيها، وعَلِّم الجاهل وثبِّت العالِمَ»، وهذا لو صَحَّ لرَفَعَ النِّزاع، ولكنَّه ضعيف، والله أعلم.

وقد اختُلِفَ في ذي القَرنَين، فقيل: كان نبيّاً، كما تقدَّم، وهذا مَرويٌّ أيضاً عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص، وعليه ظاهر القرآن، وأخرج الحاكم (١/ ٣٦) من حديث أبي هريرة قال النبي ﷺ: «لا أدري ذو القَرنَين كان نبيّاً أو لا»، وذكر وَهْب في «المبتَدَأ»: أنّه كان عبداً صالحاً، وأنَّ الله بَعَثَه إلى أربعة أُمَم: أمَّتَين بينهما طول الأرض، وأُمَّتَين بينهما عَرْض الأرض، وهي ناسك ومنسك، وتاويل وهاويل، فذكر قصَّة طويلة حكاها الثَّعلَبي في «تفسيره».

وقال الزُّبَير في أوائل كتاب «النَّسَب»: حدَّثنا إبراهيم بن المنذِر، عن عبد العزيز بن عِمران، عن هشام بن سَعْد، عن سعيد بن أبي هلال، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن أبي الطُّفَيل: سمعت ابن الكوّا يقول لعليّ بن أبي طالب: أخبِرني ما كان ذو القَرنَينِ؟ قال: كان

رجلاً أَحَبَّ اللهَ فأَحَبَّه، بَعَثَه الله إلى قومه فضَرَبوه على قَرْنه ضربة ماتَ منها، ثمَّ بَعَثَه الله إليهم فضَرَبوه على قَرْنه ضربة ماتَ منها، ثمَّ بَعَثَه الله فسُمّي ذو القَرنَين. وعبد العزيز ضعيف، ولكن تُوبعَ عن أبي الطُّفَيل، أخرجه سفيان بن عُيَينةَ في «جامعه» عن ابن أبي حسين عن أبي الطُّفَيل نحوه، وزادَ: وناصَحَ اللهَ فناصَحَه، وفيه: لم يكن نبيّاً ولا مَلِكاً. وسنده صحيح سمعناه في «الأحاديث المختارة» (٥٥٥) للحافظِ الضِّياء، وفيه إشكال؛ لأنَّ قوله: «لم يكن نبيّاً» مُغايِر لقوله: «بَعَثَه الله إلى قومه»، إلّا أن يُحمَل البعثُ على غير رسالة النبوَّة.

وقيل: كان مَلَكاً من الملائكة، حكاه الثَّعلَبي، وهذا مَرويٌّ عن عمر أنَّه سمعَ رجلاً يقول: يا ذا القَرنَين، فقال: تُسَمّيه بأسماءِ الملائكة؟ وحَكَى الجاحظ في «الحيوان»: أنَّ أمّه كانت من بنات آدم، وأنَّ أباه كان من الملائكة، قال: واسم أبيه فيرى، واسم أمّه عيرى.

وقيل: كان من الملوك، وعليه الأكثر، وقد تقدَّم من حديث عليّ ما يُومِئ إلى ذلك، وسيأتي في ترجمة موسى (٣٤٠٠) في الكلام على أخبار الخَضِر.

واختُلِفَ في سبب تسميته ذا القَرنَين، فتقدَّم قول علي، وقيل: لأنَّه بَلَغَ المشرقَ والمغرب، أخرجه الزُّبَير بن بَكّارٍ من طريق سليمان بن أسيدٍ عن ابن شِهاب قال: إنّما سُمّي ذا القَرنَين لأنَّه بَلَغَ قرنَ الشمس من مغربها، وقرنَ الشمس من مَطلَعها، وقيل: لأنَّه مَلَكَهما. وقيل: رأى في مَنامه أنَّه أخذَ بقَرنَي الشمس، وقيل: كان له قَرنانِ حقيقة، وهذا أنكَرَه عليّ في رواية القاسم بن أبي بزَّة، وقيل: لأنَّه كان له ضَفِيرتان تواريهما ثيابه، وقيل: لأنَّه كانت له غَديرتان طويلَتان من شَعره حتَّى كان يَطأ عليهما، وتسمية الضَّفيرة من الشَّعر قَرناً معروف، ومنه قول أمّ عَطيَّة: «وضَفَرْنا شَعرَها ثلاثةَ قُرون»[1]، ومنه قول جميل:

فلَثَمـــتُ فاهَـــا آخِـــذاً بقُرونِهـــا

وقيل: كانت صَفْحتا رأسه من نحاس، وقيل: لتاجه قرنانِ، وقيل: كان في رأسه شِبهُ

---

(١) سلف عند البخاري برقم (١٢٦٢).

القرنين، وقيل: لأنه دخل النور والظلمة.

وقيل: لأنَّه عُمِّرَ حتَّى فَنِيَ في زَمَنه قَرنانِ من الناس، وقيل: لأنَّ قَرنَي الشيطان عند مَطلِع الشمس وقد بَلَغَه، وقيل: لأنَّه كان كريمَ الطَّرَفَين: أمّه وأبوه من بيت شَرَف، وقيل: لأنَّه كان إذا قاتَلَ قاتَلَ بيدَيه ورِكابَيهِ جميعاً، وقيل:/ لأنَّه أُعطيَ عِلمَ الظّاهر والباطن، وقيل: ٣٨٤/٦ لأنَّه مَلَكَ فارسَ والرُّوم.

وقد اختُلِفَ في اسمه، فروى ابن مَرْدويه من حديث ابن عبَّاس، وأخرجه الزُّبَير في كتاب «النَّسَب» عن إبراهيم بن المنذِر، عن عبد العزيز بن عِمران، عن إبراهيم بن إسماعيل ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحُصَين، عن عِكْرمة، عن ابن عبَّاس قال: ذو القَرنَين عبدُ الله ابن الضَّحّاك بن مَعَدِّ بن عدنان، وإسناده ضعيف جدّاً لضعفِ عبد العزيز وشيخه، وهو مُبايِن لمَا تقدَّم أنَّه كان في زمن إبراهيم، فكيف يكون من ذُرِّيته، لا سيما على قول مَن قال: كان بين عدنان وإبراهيم أربعونَ أباً أو أكثر، وقيل: اسمه الصَّعْب، وبه جَزَمَ كعب الأحبار، وذكره ابن هشام في «التِّيجان» عن ابن عبَّاس أيضاً، وقال أبو جعفر بن حبيب في كتاب «المحبَّر»: هو المنذِر بن أبي القَيْس، أحد ملوك الحيرة، وأُمّه ماءُ السماء ماوية بنت عَوْف بن جُشَم، قال: وقيل: اسمه الصَّعب بن قَرْن بن همّال من ملوك حِمير، وقال الطَّبَري: هو إسكندروس بن فيلبوس، وقيل: فيلبس، وبالثّاني جَزَمَ المسعودي، وقيل: اسمه الهَمَيْسع، ذكره الهَمْداني في كتاب «النَّسَب» قال: وكُنْيته أبو الصَّعب، وهو ابن عَمْرو بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، وقيل: ابن عبد الله بن قرين بن منصور بن عبد الله بن الأزْدِ، وقيل: بإسقاط عبد الله الأوَّل.

وأمَّا قول ابن إسحاق الذي حكاه ابن هشام عنه: أنَّ اسم ذي القَرنَين مَرزُبان بن مردية، بدال مُهمَلة، وقيل: بزايٍ، فقد صُرِّحَ بأنَّه الإسكَندَر، ولذلك اشتَهرَ على الألسِنة لشُهرة «السِّيرة» لابن إسحاق، قال السُّهَيلي: والظّاهر من عِلم الأخبار أنَّهما اثنان: أحدهما كان على عَهد إبراهيم، ويقال: إنَّ إبراهيم تَحاكَمَ إليه في بئر السَّبع بالشّام، فقضى لإبراهيم،

والآخر كان قريباً من عَهْد عيسى.

قلت: لكنَّ الأشبَه أنَّ المذكور في القرآن هو الأوَّل، بدليلِ ما ذُكِرَ في ترجمة الخَضِر حيثُ جرى ذِكْرُه في قصَّة موسى قريباً[1] أنَّه كان على مُقدِّمة ذي القَرنَين، وقد ثَبَتَت قصَّة الخَضِر مع موسى، وموسى كان قبل زمن عيسى قطعاً، وتأتي بقيَّة أخبار الخَضِر هناك إن شاء الله تعالى. فهذا على طريق مَن يقول: إنَّه الإسكَندَر، وحَكَى السُّهَيلي أنَّه قيل: إنَّه رجل من ولد يونان بن يافث، اسمه هرمس، ويقال: هرديس. وحَكَى القُرطُبي المفسِّر تَبَعاً للسُّهَيلي أنَّه قيل: إنَّه أَفرِيدون، وهو الملك القديم للفُرسِ الذي قتل الضَّحّاكَ الجبّار الذي يقول فيه الشّاعر[2]:

فكـأنَّـه الـضَّحّاك فـي فَتَكاتـهِ ... بالعالَمِيـنَ وأنـتَ أفرِيـدونُ

وللضَّحّاكِ قِصَص طويلة ذكرها الطَّبَري وغيره. والذي يُقوِّي أنَّ ذا القَرنَين من العرب، كَثْرة ما ذَكَروه في أشعارهم، قال أعشى بني ثَعْلبة:

والـصَّعبُ ذو القَـرنَين أمـسى ثاويـاً ... بـالحِنْو في جَـدَثٍ هنـاك مُقِـيمُ

والحِنْو ـ بكسر المهمَلة وسكون النُّون ـ في ناحية المشرق.

وقال الرَّبيع بن ضبع[3]:

والـصَّعبُ ذو القَـرنَين عُمِّـرَ مُلكُـه ... ألفَـينِ أمـسى بعـد ذاكَ رَمِـيماً

وقال قُسّ بن ساعدة:

والـصَّعبُ ذو القَـرنَين أَصبَحَ ثاوِيـاً ... بالـحِنْـو[4] بـين مَلاعِـب الأرواحِ

---

(١) سيأتي في هذا الكتاب: باب (٢٧): حديث الخضر مع موسى.

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، وهذا البيت من قصيدة يمدح بها الأفشين أحد قادة الجيوش في الدول العباسية زمن المأمون والمعتصم، وهو في «ديوانه» ص٣٠٧-٣١٠.

(٣) تحرف في (س) إلى: ضبيع، بالتصغير.

(٤) في (أ): بالهد، وفي (ع): بالحد، وفي (س): باللحد، وكل تحريف على الحنو. ووقع في (ع) و(س) في آخر البيت: الأرياح، والأفصح في جمع الريح: الأرواح، بالواو.

وقال تُبَّع الحِميَري:

قد كان ذو القَرنَين قبلي مسلماً　　مَلِكاً تَدِينُ له الملوكُ وتُحشَدُ
من بعدِه بَلقِيسُ كانت عَمَّتي　　مَلَكَتهم حتَّى أَتاها الهُدهُدُ

وقال بعض الحارثيينَ يَفتَخِر بكَونِ ذي القَرنَين من اليمن، يخاطب قوماً من مُضَر: ٣٨٥/٦

سَمّوا لنا واحداً منكم فنَعرِفَهُ　　في الجاهليةِ لاسم المُلْكِ مُحتمِلا
كالتُّبَّعِينَ وذي القَرنَينِ يَقبلُهُ　　أهل الحِجَى وأحقُّ القولِ ما قُبِلا

وقال النُّعمان بن بشير الأنصاري، الصَّحابي ابن الصَّحابي:

ومَن ذا يُعادِينا من الناس مَعشَرٌ　　كِرامٌ وذو القَرنَين مِنّا وحاتمُ

ويُؤخَذ من أكثر هذه الشَّواهد أنَّ الرّاجِح في اسمه الصَّعب، ووَقَعَ ذِكْر ذي القَرنَين أيضاً في شعر امرِئِ القيس وأوس بن حُجْر وطَرَفة بن العَبْد وغيرهم.

وأخرج الزُّبَير بن إبراهيم بن المنذِر عن محمَّد بن الضَّحّاك بن عثمان عن أبيه عن سفيان الثَّوري قال: بَلَغَني أنَّه مَلَكَ الدُّنيا كلَّها أربعة: مُؤمِنان وكافران، سليمانُ النبي عليه السلام وذو القَرنَين، ونمرودُ وبُختَنَصَّرُ. ورواه وكيع في «تفسيره» عن العلاء بن عبد الكريم سمعت مجاهداً يقول: مَلَكَ الأرض أربعةٌ، فسَمّاهم.

قوله: «﴿سَبَبًا﴾ : طريقاً» هو قول أبي عُبيدة في «المجاز»، وروى ابن أبي شَيْبة (١١/ ٥٦٣-٥٦٤) من حديث عليّ مرفوعاً أنَّه قيل له: كيف بَلَغَ ذو القرنَينِ المشرقَ والمغرب؟ قال: سُخِّرَ له السَّحاب، وبُسِطَ له النُّور، وبَدَت له الأسبابُ.

قوله: «﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: واحدُها: زُبْرة، وهي القِطَع» هو قول أبي عُبيدة أيضاً قال: زُبَر الحديد، أي: قِطَع الحديد، واحدها: زُبْرة.

قوله: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ يقال عن ابن عبَّاس: الجبلَين» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ قال: بين الجبلَينِ، وقال أبو عُبيدة: قوله: ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي: ما بين الناحيتَين من الجبلين.

قوله: «والسَّدَّين: الجبلَين» روى ابن أبي حاتم من حديث عُقْبة بن عامر مرفوعاً في قصَّة ذي القَرنَين، وأنَّه سارَ حتَّى بَلَغَ مَطلِعَ الشمس، ثمَّ أتى السَّدَّين، وهما جبلان لَيِّنان يَزلَق عنهما كلُّ شيء فبنى السَّدَّينِ، وفي إسناده ضعف، والسَّدَّين: بالفتح والضَّمّ بمعنًى، قاله الكِسَائي، وقال أبو عَمْرو بن العلاء: ما كان من صُنع الله فبالضَّمِّ، وما كان من صُنع الآدمي فبالفتح، وقيل: بالفتح ما رأيتَه، وبالضَّمِّ ما تَوارَى عنك.

قوله: «﴿خَرْجًا﴾: أجراً» روى ابن أبي حاتم من طريق ابن جُرَيج عن عطاء عن ابن عبَّاس قال: ﴿خَرْجًا﴾ قال: أجراً عظيماً.

قوله: «﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾: أصُبّ عليه رَصاصاً، ويقال: الحديد، ويقال: الصُّفْر. وقال ابن عبَّاس: النُّحاس» أمَّا القول الأوَّل والثَّاني فحكاهما أبو عُبيدة، قال في قوله: ﴿أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾، أي: أصُبّ عليه حديداً ذائباً، وجعله قومٌ الرَّصاص. انتهى، والرَّصاص: بفتح الرّاء وبكسرها أيضاً، وأمَّا الثّالث فرواه ابن أبي حاتم من طريق الضَّحّاك قال: ﴿أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ قال: صُفراً.

وأمَّا قول ابن عبَّاس فوَصَلَه ابن أبي حاتم بإسنادٍ صحيحٍ إلى عِكْرمة عن ابن عبَّاس قال: ﴿أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ قال: النُّحاس. ومن طريق السُّدّي قال: القِطْر: النُّحاس المذاب، وبناه لهم بالحديد والنُّحاس. ومن طريق وَهْب بن مُنبِّه قال: شَرَّفَه بزُبَرِ الحديد والنُّحاس المذاب، وجَعَلَ خِلَالَه[1] عِرقاً من نُحاس أَصفَر، فصارَ كأنَّه بُرْدٌ مُحبَّر من صُفْرة النُّحاس وحُمرَته وسواد الحديد.

قوله: «﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾: يَعْلوه» هو قول أبي عُبيدة قال: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾، أي: أن يَعلُوه، تقول: ظَهَرتُ فوق الجبل، أي: عَلَوته.

قوله: «اسطاعَ: استَفعَلَ من: طُعْت له، فلذلك فُتِحَ أَسطاعَ يُسطِيع، وقال بعضهم: استَطاعَ يستطيع» يعني: بفتح الهمزة من/ «أسطاعَ» وضمِّ الياء من «يُسطِيع». ٣٨٦/٦

(١) في (س): وجعل له، وهو خطأ.

قوله: «﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: أَلزَقَه بالأرضِ، ويقال: ناقةٌ دَكّاءُ: لا سَنامَ لها، والدَّكْداك من الأرض مِثْله، حتَّى صَلُبَ وتلبَّدَ» قال أبو عُبيدة: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: تَرَكَه مَدكوكاً، أي: أَلزَقَه بالأرضِ، ويقال: ناقة دَكّاءُ، أي: لا سَنام لها مُستَوية الظَّهر، والعرب تَصِف الفاعل والمفعول بمصدَرهما، فمِن ذلك: جعله دَكّاً[1]، أي: مَدكوكاً.

قوله: «وقال قَتَادةُ: حَدَبٌ: أَكَمَة» قال عبد الرَّزّاق في «التَّفسير» (٢/ ٢٧) عن مَعمَر عن قَتَادة في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ قال: من كلّ أكَمَة.

ويَأجُوج ومَأجُوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح، روى ابن مَرْدويه والحاكم من حديث حُذَيفة مرفوعاً: «يَأجُوج أمَّة ومَأجُوج أمَّة، كلُّ أمَّة أربع مئة ألف رجل، لا يموت أحدهم حتَّى يَنظُرَ إلى ألف رجل من صُلْبه، كلّهم قد حَمَلَ السِّلاح، لا يَمُرّونَ على شيء إذا خَرَجوا إلّا أكَلوه، ويأكلونَ مَن ماتَ منهم»[2]، وسيأتي مَزِيد لذلك في كتاب الفتن (٧١٣٥) إن شاء الله تعالى.

وقد أشارَ النَّوَوي وغيره إلى حكاية مَن زَعَمَ أنَّ آدم نامَ فاحتلَمَ، فاختَلَطَ مَنيُّه بتراب فتَوَلَّدَ منه ولدُ يَأجُوج ومَأجُوج من نَسْلِه، وهو قول مُنكَر جدّاً لا أصل له إلّا عن بعض أهل الكتاب. وذكر ابن هشام في «التِّيجان»: أنَّ أمَّةً منهم آمنوا بالله، فتَرَكَهم ذو القَرنَين لمَّا بنى السَّدَّ بأرمِينِيَةَ، فسُمُّوا التُّرك لذلك.

قوله: «وقال رجل للنبي ﷺ: رأيتُ السَّدَّ مِثْل البُرْد المحَبَّر، قال: رأيتَه» وَصَلَه ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتَادة عن رجل من أهل المدينة: أنَّه قال للنبي ﷺ:

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر من السبعة، وقرأ الباقون: «دكَّاءَ». انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٤٠٢.

(٢) لم نقف عليه في «مستدرك الحاكم»، ولم يخرجه الحافظ نفسه منه في كتابه «إتحاف المهرة»، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٨٥٥)، وابن عدي في «الكامل» ٦/ ١٦٨ بإسناد تالف، وقال ابن عدي: منكر موضوع. وسيأتي كلام الحافظ عليه في كتاب الفتن.

يا رسول الله، قد رأيت سَدّ يَأْجُوج ومَأْجُوج، قال: «كيف رأيته؟» قال: مِثل البُـرْد المحَبَّر، طريقة حمراء، وطريقة سوداء، قال: «قد رأيتَه»، ورواه الطبراني[1] من طريق سعيد بن بشير عن قَتَادة عن رجلين عن أبي بكرة: «أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال» فذكر نحوه وزاد فيه زيادة مُنكَرة وهي: «والذي نفسي بيدِه، لقد رأيتُه ليلة أُسري بي: لَبِنة من ذهبٍ ولَبِنة من فِضَّة»، وأخرجه البزَّار (٣٦٦٨) من طريق يوسف بن أبي مريم الحَنَفي عن أبي بكرة ورجل رأى السَّدّ، فساقَه مُطوَّلاً[2].

ثمَّ ذكر المصنِّف في الباب ثلاثة أحاديث موصولة:

٣٣٤٦- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيرٍ، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيلٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَير: أنَّ زينبَ بنتَ أبي سَلَمةَ حدَّثته، عن أمِّ حبيبةَ بنت أبي سفيانَ، عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ رضي الله عنهنَّ: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عليها فَزِعاً يقول: «لا إلهَ إلا اللهُ، وَيلٌ للعرَبِ من شَرٍّ قدِ اقتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثلُ هذه» وحَلَّقَ بإصْبَعِه الإبهامِ والتي تَلِيها، قالت زينبُ بنتُ جَحْشٍ: فقلتُ: يا رسولَ الله، أنَهلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ».

[أطرافه في: ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥]

٣٣٤٧- حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا وُهَيبٌ، حدَّثنا ابنُ طاووسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «فَتَحَ اللهُ من رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثلَ هذه» وعَقَدَ بيَدِه تسعينَ.

[طرفه: ٧١٣٦]

٣٣٤٨- حدَّثنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ، حدَّثنا أبو أُسامةَ، عن الأعمَشِ، حدَّثنا أبو صالحٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يقول الله تعالى: يا آدمُ، فيقول: لَبَّيكَ وسَعْدَيك، والخيرُ في يَدَيكَ، فيقول: أخرِجْ بَعْثَ النارِ، قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعَ مئةٍ وتسعةً وتسعينَ، فعندَه يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَملٍ حملَها، وتَرى الناسَ سَكْرَى وما

---

(١) في «مسند الشاميين» (٢٧٥٨)، وسنده ضعيف جداً، وكذا الذي قبله لا يصحُّ.

(٢) وسنده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل.

هم بسَكْرى، ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ» قالوا: يا رسولَ الله، وأيُّنا ذلك الواحدُ؟ قال: «أَبشِروا، فإنَّ مِنكم رجلاً، ومن يَأجُوجَ ومَأجُوجَ ألفٌ» ثمَّ قال: «والذي نفسي بيَدِه، إنِّي أَرجُو أن تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنَّة» فكَبَّرْنا، فقال: «أَرجُو أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّة» فكَبَّرْنا، فقال: «أَرجُو أن تكونوا نِصْفَ أهلِ الجنَّة» فكَبَّرْنا، فقال: «ما أنتُم في الناسِ إلَّا كالشَّعرةِ السَّوْداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبيضَ» أو «كشَعرةٍ بيضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أسوَدَ».

[أطرافه في: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣]

أحدها: حديثُ زينب بنت جَحْش في ذِكر رَدْم يَأجُوج ومَأجُوج، وسيأتي شرحه مُستوفًى في آخر كتاب الفتن (٧١٣٥).

ثانيها: حديثُ أبي هريرة نحوه باختصارٍ، ويأتي هناك أيضاً (٧١٣٦).

ثالثها: حديثُ أبي سعيد في بَعْث النار، وسيأتي شرحه في أواخر الرِّقاق (٦٥٣٠). والغرض منه هنا ذِكْر يَأجُوج ومَأجُوج والإشارة إلى كَثْرتهم، وأنَّ هذه الأُمَّة بالنِّسبة إليهم نحو عُشر عُشر العُشر، وأنَّهم من ذُرِّية آدم رَدّاً على مَن قال خِلافَ ذلك.

٨- باب قولِ الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]

وقولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل:١٢٠].

وقولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

وقال أبو مَيسَرةَ: الرَّحِيمُ بلِسَان الحَبَشة.

٣٨٩/٦ **قوله: «باب قولِ الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ وقولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ وقولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾»** وكأنَّه أشارَ بهذه الآيات إلى ثَناءِ الله تعالى على إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم بالسُّريانية معناه: أبٌ راحم، والخليل فَعِيل بمعنى فاعل، وهو من الخُلَّة -بالضَّمِّ-: وهي الصَّداقة والمحبَّة التي تخَلَّلَت القلبَ فصارت خِلالَه، وهذا صحيح بالنِّسبة إلى ما في قلب إبراهيم من حُبِّ الله تعالى، وأمَّا إطلاقه في حَقِّ الله تعالى فعلى سبيل المقابَلة.

وقيل: الخُلَّة أصلها الاستصفاءُ، وسُمّي بذلك لأنَّه يوالي ويُعادي في الله تعالى، وخُلَّة الله له نصرُه وجعلُه إماماً.

وقيل: هو مُشتَقّ من الخَلَّة، بفتح المعجَمة: وهي الحاجة، سُمّي بذلك لانقِطاعه إلى ربّه وقَصْرِه حاجتَه عليه. وسيأتي تفسير الآية في تفسير النَّحل إن شاء الله تعالى.

وإبراهيم: هو ابن آزَرَ، واسمه تارَحُ ـ بمُثنّاةٍ وراء مفتوحة وآخره حاء مُهمَلة ـ بن ناحُور ـ بنونٍ ومُهمَلة مضمومة ـ بن شارُوخ ـ بمُعجَمة وراء مضمومة وآخره مُعجَمة ـ ابنِ راغوه ـ بغَينٍ مُعجَمة ـ بن فالَخ ـ بفاءٍ ولام مفتوحة بعدها مُعجَمة ـ بن عبير، ويقال: عابَر ـ وهو بمُهمَلةٍ وموحَّدة ـ بن شالخ ـ بمُعجَمَتَين ـ بن أرفَخشَذ بن سام بن نوح، لا يختلف جُمهور أهل النَّسَب ولا أهل الكتاب في ذلك، إلّا في النُّطق ببعضِ هذه الأسماء. نعم ساقَ ابن حِبّان في أوّل «تاريخه» خِلافَ ذلك، وهو شاذٌّ.

قوله: «**وقال أبو مَيسَرة: الرحيم بلِسان الحَبَشَة**» يعني: الأوّاه، وهذا الأثر وَصَلَه وكيع في «تفسيره» من طريق أبي إسحاق عن أبي مَيسَرة عَمْرو بن شُرَحبيل قال: الأوّاه: الرحيم بلِسان الحبَشَة.

وروى ابن أبي حاتم[1] من طريق ابن مسعود بإسنادٍ حسنٍ قال: الأوّاه: الرحيم، ولم يَقُل: بلسان الحبشة، ومن طريق عبد الله بن شَدّاد، أحد كِبار التابعينَ، قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الأوّاه؟ قال: «الخاشع المتضَرِّع في الدُّعاء»[2]، ومن طريق ابن عبَّاس قال: الأوّاه: الموقِن، ومن طريق مجاهد قال: الأوّاه: الحَفيظ، الرجل يُذنِب الذَّنب سِرّاً ثمَّ يتوب منه سِرّاً، ومن وجه آخر عن مجاهد قال: الأوّاه: المُنِيب الفقيه المُوقِن[3]. ومن طريق الشَّعبي قال: الأوّاه: المسبِّح، ومن طريق كعب الأحبار في قوله: «أوّاهٌ» قال: كان إذا ذكر النار قال: أوّاهِ من عذاب الله. ومن طريق أبي ذرٍّ قال: كان رجل يَطُوف بالبيتِ ويقول في

---

(١) في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٦)، وفي سنده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.

(٣) تحرف في (س) إلى: الموفق.

دُعائه: أَوَّه أَوَّه، فقال النبي ﷺ: «إنَّه لأوّاهٌ» رجاله ثِقات إلّا أنَّ فيه رجلاً مُبهَماً.

وذكر أبو عُبيدة أنَّه فعّال من التأوُّه، ومعناه: مُتضرِّع شَفَقاً ولُزوماً لطاعة ربّه.

ثم ذكر المصنِّف في الباب عشرين حديثاً:

٣٣٤٩- حدَّثنا محمَّدُ بنُ كَثير، أخبرنا سفيانُ، حدَّثنا المغيرةُ بنُ النُّعمان، قال: حدَّثني سعيدُ بنُ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنَّكم محشورونَ حُفاةً عُراةً غُرْلاً» ثمَّ قرأ: «﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وأوَّلُ مَن يُكْسَى يومَ القيامةِ إبراهيمُ، وإنَّ أُناساً من أصحابي يُؤْخَذُ بهم ذاتَ الشِّمال، فأقولُ: أصحابي، أصحابي! فيقال: إنَّهم لم يزالُوا مُرتَدِّينَ على أعقابِهم منذُ فارَقْتَهم،/ فأقولُ كما قال العبدُ الصالحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قولِه: ﴿الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٧-١١٨]». ٣٨٧/٦

[أطرافه في: ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦]

٣٣٥٠- حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الله، قال: أخبرني أخي عبدُ الحميدِ، عن ابنِ أبي ذِئْبٍ، عن سعيدٍ المقبُريِّ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يَلْقَى إبراهيمُ أباه آزَرَ يومَ القيامةِ، وعلى وَجْه آزَرَ قَتَرةٌ وغَبَرةٌ، فيقول له إبراهيمُ: ألم أَقُل لكَ: لا تَعْصِني؟ فيقول أبوه: فاليومَ لا أَعصِيكَ، فيقول إبراهيمُ: يا ربِّ، إنَّكَ وعَدْتَني أن لا تُخزِيَني يومَ يُبعَثونَ، فأيُّ خِزْيٍ أخزَى من أَبِي الأبعَدِ؟ فيقول الله تعالى: إنِّي حَرَّمْتُ الجنَّةَ على الكافرِينَ، ثمَّ يقال: يا إبراهيمُ، ما تحتَ رِجْلَيكَ؟! فيَنظُرُ، فإذا هو بذِيخٍ مُلتَطِخٍ، فيُؤْخَذُ بقوائمِه فيُلقَى في النارِ».

[طرفاه في: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩]

٣٣٥١- حدَّثنا يحيى بنُ سليمانَ، قال: حدَّثني ابنُ وَهْبٍ، قال: أخبرني عَمْرٌو: أنَّ بُكَيراً حدَّثه، عن كُرَيبٍ مولى ابنِ عبَّاسٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: دَخَلَ النبيُّ ﷺ البيتَ، فوَجَدَ فيه صورةَ إبراهيمَ وصورةَ مريمَ، فقال ﷺ: «أمَّا هُم، فقد سَمِعوا أنَّ الملائكةَ لا تَدخُلُ بيتاً فيه صورةٌ، هذا إبراهيمُ مُصوَّرٌ، فما له يَستَقسِمُ؟!».

٣٣٥٢- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى، أخبرنا هشامٌ، عن مَعمَر، عن أيوبَ، عن عِكْرمةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا رَأى الصُّوَرَ في البيتِ، لم يَدخُلْ حتَّى أَمَرَ بها فمُحِيَت، ورَأى إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السَّلام بأيدِيهما الأزلامُ، فقال: «قاتَلَهم اللهُ! واللهِ إنِ استَقْسَما بالأَزلامِ قَطُّ».

٣٣٥٣- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ، حدَّثنا عُبيدُ الله، قال: حدَّثني سعيدُ بنُ أبي سعيدٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ ﷺ: قيل: يا رسولَ الله، مَن أكرَمُ الناسِ؟ قال: «أتقاهُم» فقالوا: ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «فيوسفُ نبيُّ الله ابنُ نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله ابنِ خليلِ الله» قالوا: ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «فعن مَعادِنِ العربِ تسألون؟ خِيارُهم في الجاهليَّةِ خِيارُهم في الإسلامِ، إذا فَقُهوا».

قال أبو أُسامةَ ومُعتَمِرٌ: عن عُبيدِ الله، عن سعيدٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ.

٣٣٥٤- حدَّثنا مُؤمَّلٌ، حدَّثنا إسماعيلُ، حدَّثنا عَوْفٌ، حدَّثنا أبو رَجاءٍ، حدَّثنا سَمُرةُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَتاني اللَّيلةَ آتِيَانِ، فأَتَينا على رجلٍ طويلٍ لا أَكادُ أَرَى رأسَه طُولاً، وإنَّه إبراهيمُ ﷺ».

[أطرافه في: ٣٣٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠، ٤٦٨٩]

٣٣٥٥- حدَّثني بَيَانُ بنُ عَمرٍو، حدَّثنا النَّضْرُ، أخبرنا ابنُ عَوْنٍ، عن مجاهدٍ: أنَّه سمعَ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وذَكَروا له الدَّجّالَ بينَ عينَيه مكتوبٌ: كافرٌ، أو: ك ف ر، قال: لم أسمَعْه، ولكنَّه قال: «أمَّا إبراهيمُ فانظُروا إلى صاحبِكم، وأمَّا موسى فجَعْدٌ آدمُ على جملٍ أحمرَ مخطومٍ بخُلْبةٍ، كأنِّي أنظرُ إليه انحَدَرَ في الوادي».

٣٣٥٦- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا مُغيرةُ بنُ عبدِ الرحمن القُرَشيُّ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اختَتَنَ إبراهيمُ عليه السلام وهو ابنُ ثمانينَ سنةً بالقَدُّوم».

تابَعَه عبدُ الرحمن بنُ إسحاقَ، عن أبي الزِّناد، وتابَعَه عَجْلانُ، عن أبي هريرةَ، ورواه محمَّدُ

ابنُ عَمرٍو، عن أبي سَلَمَةَ.

[طرفه في: ٦٢٩٨]

حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّناد وقال: «بالقَدُومِ» مُخَفَّفةً.

أحدها: حديثُ ابن عبَّاس في صفة الحَشْر، والمقصود منه قوله: «وأوَّل مَن يُكسى يوم/ القيامة إبراهيم عليه السلام»، وروى البيهقي في «الأسماء» من وجه آخر[1] عن ابن عبَّاس مرفوعاً: «أوَّل مَن يُكسى إبراهيمُ حُلَّةً من الجنَّة، ويُؤتى بكُرسي فيُطرَح عن يمين العَرش، ويُؤتى بي فأُكسى حُلَّةً لا يقوم لها البشر». ٦/ ٣٩٠

ويقال: إنَّ الحكمة في خَصُوصيَّة إبراهيم بذلك، لكَونِه أُلقي في النار عُرياناً، وقيل: لأنَّه أوَّل مَن لَبِسَ السَّراويل، ولا يَلزَم من خَصُوصيَّته عليه السلام بذلك تفضيلُه على نبيِّنا محمَّد ﷺ؛ لأنَّ المفضول قد يَمتاز بشيءٍ يُخَصُّ به ولا يَلزَم منه الفضيلة المطلَقة. ويُمكِن أن يقال: لا يَدخُل النبي ﷺ في ذلك، على القول بأنَّ المتكلِّم لا يَدخُل في عموم خِطابه. وسيأتي مَزيدٌ لهذا في أواخر الرِّقاق (٦٥٢٤).

وقد ثَبَتَ لإبراهيم عليه السلام أوَّليّات أُخرى كثيرة: منها: أوَّل مَن ضافَ الضَّيف، وقَصَّ الشّارب، واختَتَنَ، ورأى الشَّيب، وغير ذلك، وقد أتيتُ على ذلك بأدلَّةٍ في كتابي «إقامة الدَّلائل على معرفة الأوائل». وسيأتي شرح حديث الباب مُستَوفًى في أواخر الرِّقاق إن شاء الله تعالى.

ثانيها: حديثُ أبي هريرة: «يلقى إبراهيمُ أباه آزَرَ يوم القيامة»، وسيأتي شرحه في تفسير الشُّعَراء (٤٧٦٨ و٤٧٦٩) إن شاء الله تعالى.

ثالثها: حديثُ ابن عبَّاس في رُؤية الصّوَر في البيت، أخرجه من وجهَين، وقد مضى أيضاً في الحجّ (١٦٠١)، ويأتي شرحه فيما يَتعلَّق بالأزلام في تفسير سورة المائدة إن شاء الله تعالى[2].

---

(١) بل هو عنده ص٣٩٥ من هذا الوجه الذي عند البخاري، لكن من رواية شعبة عن المغيرة بن النعمان.

(٢) كتاب التفسير: ١٠ ـ باب قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

رابعها: حديثُ أبي هريرة: «قيل: يا رسول الله، مَن أكرَمُ الناس؟» وسيأتي شرحه في قصَّة يعقوب (٣٣٧٤).

قوله: «وقال أبو أُسامة ومُعتَمِر عن عُبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة» يعني: أنَّهما خالَفا يحيى القَطّان في الإسناد فلم يقولا فيه: «عن سعيد عن أبيه»، ورواية أبي أُسامة وَصَلَها المصنِّف في قصَّة يوسف (٣٣٨٣)، ورواية مُعتَمِر وَصَلَها المؤلِّف في قصَّة يعقوب (٣٣٧٤).

خامسها: حديثُ سَمُرة في المنام الطَّويل الذي تقدَّم مع بعض شرحه في آخر الجنائز (١٣٨٦)، ذكر منه هنا طَرَفاً وهو قوله: «فأتينا على رجل طويل لا أكادُ أرى رأسه طولاً، وإنَّه إبراهيم عليه السلام»، وسيأتي شرحه مُستَوفًى إن شاء الله تعالى في كتاب التَّعبير (٧٠٤٧).

سادسها: حديثُ ابن عبَّاس، وقد سَبَقَ في الحجّ (١٥٥٥)، ويأتي شرحه في ذِكْر الدَّجّال (٧١٣١) وغيره (٥٩١٣)، والغرض منه قوله: «أمَّا إبراهيم فانظُروا إلى صاحبكم»، وأشارَ بذلك إلى نفسه، فإنَّه كان أشبَهَ الناس بإبراهيم عليه السلام.

سابعها: حديثُ أبي هريرة: «اختَتَنَ إبراهيم وهو ابن ثمانينَ سنةً بالقَدّوم» رُوِّيناه بالتَّشديد عن الأَصِيلي والقابِسي، ووَقَعَ في رواية غيرهما بالتَّخفيفِ، قال النَّوَوي: لم يختلف الرُّواة عند مسلم في التَّخفيف، وأنكَرَ يعقوبُ بن شَيْبة التَّشديد أصلاً.

واختُلِفَ في المراد به فقيل: هو اسم مكان، وقيل: اسم آلة النَّجّار، فعلى الثّاني هو بالتَّخفيفِ لا غير، وعلى الأوَّل ففيه اللُّغتان، هذا قول الأكثر، وعَكَسَه الدّاوودي، وقد أنكَرَ ابن السِّكّيت التَّشديد في الآلة، ثمَّ اختُلِفَ في المراد به، فقيل: هي قرية بالشّام، وقيل: ثَنيَّة بالسَّراة، والرّاجِح أنَّ المراد في الحديث الآلة، فقد روى أبو يَعْلى[1] من طريق عُليّ بن رَباح قال: أُمِرَ إبراهيم بالخِتان، فاختَتَنَ بقَدُوم فاشتَدَّ عليه، فأوحى الله إليه: أن عَجِلتَ قبل أن نأمُركَ بآلَتِه، فقال: يا ربّ كرهتُ أن أُؤَخِّر أمرَك.

قوله: «حدَّثنا أبو اليَمَان، حدَّثنا شعيب، حدَّثنا أبو الزِّناد، وقال: بالقَدُوم، مُخفَّفَة» يعني:

---

(١) أخرجه من طريقه ابن عساكر في «الأمر بالاختتان» (١٣).

أنَّه روى الحديث المذكور بالإسناد المذكور أوَّلاً وصَرَّحَ بتخفيفِ الدّال، وهذا يُؤيِّد رواية الأَصِيلي والقابِسي.

تنبيه: وَقَعَ في بعض النُّسَخ تقديم رواية أبي اليَمَان بعد رواية قُتَيبة، والذي هنا هو المعتمَد.

قوله: **«تابَعَه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزِّناد، وتابَعَه ابن**[1] **عَجْلان عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه محمَّد بن عَمْرو عن أبي سَلَمةَ عن أبي هريرة»** أمَّا مُتابَعة عبد الرحمن بن إسحاق، فوَصَلَها مُسدَّد في «مُسنَده» عن بشر بن المفَضَّل عنه، ولفظه: «اختَتَنَ إبراهيم بعدَما مرَّت به ثمانونَ واختَتَنَ بالقَدوم».

وأمَّا مُتابَعة عَجْلان، فوَصَلَها أحمد (٩٦٢٢) عن يحيى القَطّان عن ابن عَجْلان مِثل رواية قُتَيبة.

وأمَّا رواية محمَّد بن عَمْرو، فوَصَلَها أبو يَعْلى في «مُسنَده» (٩٥٨١) من هذا الوجه ولفظه: «اختَتَنَ إبراهيم على رأس ثمانينَ سنة، واختَتَنَ بالقَدُوم». فاتَّفَقَت هذه الرِّوايات على أنَّه كان ابنَ ثمانينَ سنة عند اختتانه. ٣٩١/٦

ووَقَعَ في «الموطَّأ» موقوفاً عن أبي هريرة[2]، وعند ابن حِبّان (٦٢٠٤) مرفوعاً: «أنَّ إبراهيم اختَتَنَ وهو ابن مئة وعشرينَ سنة»، والظّاهر أنَّه سقط من المتن شيء، فإنَّ هذا القَدْر هو مِقدار عُمُره، ووَقَعَ في آخر كتاب «العَقِيقة» لأبي الشَّيخ من طريق الأوزاعي عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيّب موصولاً مرفوعاً مِثلُه، وزادَ: «وعاشَ بعد ذلك ثمانينَ سنة»[3]، فعلى هذا يكون عاشَ مئتَي سنة، والله أعلم، وجَمَعَ بعضهم بأنَّ الأوَّل حُسِبَ من مَبدَأ نُبوَّته، والثّاني من مَبدَأ مَولِده.

---

(١) لفظ «ابن» سقط من (س).

(٢) الذي وقفنا عليه في «الموطأ» من رواية أبي مصعب الزهري - أحد رواة «الموطأ» - برقم (١٩٢٩) هو عن سعيد ابن المسيب من قوله: اختتن إبراهيم بالقدوم، وهو ابن عشرين ومئة سنة، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة.

(٣) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٤) من طريق ابن جريج عن يحيى بن سعيد به. وانظر الحديث (٨٢٨١) من «مسند أحمد» والتعليق عليه.

الحديث الثامن:

٣٣٥٧- حدَّثنا سعيدُ بنُ تَلِيدٍ الرُّعَينيُّ، أخبرنا ابنُ وَهْبٍ، قال: أخبرني جَرِيرُ بنُ حازمٍ، عن أيوبَ، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لم يَكذِبْ إبراهيمُ إلَّا ثلاثاً».

٣٣٥٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ محبوبٍ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن أيوبَ، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: لم يَكذِبْ إبراهيمُ عليه السلام إلا ثلاثَ كَذَباتٍ: ثِنتَين منهنَّ في ذاتِ الله عزَّ وجلَّ: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩] وقولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، وقال: بَيْنا هو ذاتَ يومٍ وسارةُ إذْ أَتى على جَبّارٍ مِن الجبابرةِ، فقيلَ له: إنَّ هاهُنا رجلاً معه امرأةٌ من أحسنِ الناسِ، فأرسَلَ إليه فسألَه عنها، فقال: مَن هذه؟ قال: أُختي، فأَتى سارةَ، قال: يا سارةُ، ليس على وَجْه الأرضِ مُؤمِنٌ غيري وغيرُكِ، وإنَّ هذا سألَني عنكِ فأخبَرتُه أنَّكِ أُختي، فلا تُكذِّبيني، فأرسَلَ إليها، فلمَّا دَخَلَت عليه ذهبَ يَتَناوَلُها بيَدِه، فأُخِذَ، فقال: ادْعي اللهَ لي ولا أَضُرُّكِ، فدَعَتِ اللهَ فأُطْلِقَ، ثمَّ تَناوَلَها الثّانيةَ فأُخِذَ مِثلَها أو أَشَدَّ، فقال: ادْعي اللهَ لي ولا أَضُرُّكِ، فدَعَتْ فأُطلِقَ، فدَعَا بعضَ حَجَبَتِه، فقال: إنَّكم لم تَأتُوني بإنسانٍ، إنَّما أتيتُموني بشيطانٍ، فأخدَمَها هاجَرَ، فأتتْه وهو قائمٌ يُصَلِّي، فأوْمأَ بيدِه: مَهْيَمْ؟ قالت: رَدَّ اللهُ كَيدَ الكافرِ- أو الفاجِرِ- في نَحرِه، وأخدَمَ هاجَرَ».

قال أبو هريرةَ: تلكَ أُمُّكم يا بني ماءِ السماءِ.

قوله: «حدَّثنا سعيد بن تَلِيد» بفتح المثنّاة وكسر اللّام وبعد التَّحتانية الساكنة مُهمَلة «الرُّعيني» بمُهمَلتَين ونون مُصغَّر، مِصري مشهور. وأيوب: هو السَّخْتياني، ومحمَّد: هو ابن سِيرين. وقد أورَدَه المصنِّف من وجهَين عن أيوب، وساقَه على لفظ حمَّاد بن زيد عن أيوب، ولم يقع التَّصريح برفعِه في روايته، وقد رواه في النِّكاح (٥٠٨٤) عن سليمان بن حَرْب عن حمَّاد بن زيد، فصَرَّحَ برفعِه لكن لم يَسُق لفظه، ولم يقع رفعُه هنا في رواية النَّسَفي ولا كَرِيمة، وهو المعتمَد في رواية حمَّاد بن زيد، وكذا رواه عبد الرَّزّاق عن مَعمَر غيرَ مرفوع، والحديث في الأصل مرفوع كما في رواية جَرِير بن حازم، وكما في رواية هشام بن

حسَّان عن ابن سِيرِين عند النَّسائي (ك٨٣١٦) والبزَّار وابن حِبّان (٥٧٣٧)، وكذا تقدَّم في البيوع (٢٢١٧) من رواية الأعرَج عن أبي هريرة مرفوعاً، ولكنَّ ابن سِيرِين كان غالباً لا يُصرِّح برفع كثير من حديثه.

قوله: «**لم يَكذِب إبراهيم عليه الصلاة والسَّلام إلّا ثلاث كَذَبات**» قال أبو البَقَاء: الجيِّد أن يقال بفتح الذّال في الجمع، لأنَّه جمع كَذْبة بسكونِ الذّال، وهو اسم لا صفة؛ لأنَّك تقول: كَذَبَ كَذْبةً، كما تقول: رَكَعَ ركعةً، ولو كان صفةً لسُكِّن[1] في الجمع. وقد أُورِدَ على هذا الحَصْر ما رواه مسلم (١٩٤/ ٣٢٧) من حديث أبي زُرْعة عن أبي هريرة في حديث الشَّفاعة الطَّويل، فقال في قصَّة إبراهيم: «وذكر كَذَباته»، ثمَّ ساقَه من طريق أُخرى من هذا الوجه وقال في آخره: وزاد في قصَّة إبراهيم: وذكر قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]، وقوله لآلهتِهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. انتهى.

قال القُرطُبي: ذِكْر الكوكب يقتضي أنَّها أربع، وقد جاء في رواية ابن سِيرِين بصيغة الحَصْر، فيحتاج في ذِكْر الكوكب إلى تأويل. قلت: الذي يَظهَر أنَّها وهمٌ من بعض الرُّواة، فإنَّه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارةَ، والذي اتَّفَقَت عليه الطُّرق ذِكرُ سارةَ دون الكوكب، وكأنَّه لم يُعَدَّ مع أنَّه أدخَلُ من ذِكْر سارةَ لمَا يقال: إنَّه قاله في حال الطُّفولية، فلم يَعُدَّها لأنَّ حال الطُّفولية ليست بحال تكليف، وهذه طريقة ابن إسحاق.

وقيل: إنَّما قال ذلك بعد البُلوغ، لكنَّه قاله على طريق الاستفهام الذي يُقصَد به التَّوبيخ، وقيل: قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيهاً على أنَّ الذي يَتغيَّر لا يَصلُح للرُّبوبية، وهذا قول الأكثر أنَّه قاله تَوبيخاً لقومِه، أو تَهَكُّماً بهم وهو المعتمَد، ولهذا لم يُعَدّ ذلك في الكذَبات.

وأمَّا إطلاقه الكذِب على الأُمور الثلاثة، فلِكَونِه قال قولاً يَعتَقِده السامع كذِباً، لكنَّه إذا حُقِّقَ لم يكن كذِباً، لأنَّه من باب المعاريض المحتمِلة للأمرَين، فليس بكذِبٍ محض،

---

(١) تحرف في (س) إلى: لكن.

فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون أرادَ: إنّي سَقيمٌ، أي: سأَسقَمُ، واسم الفاعل يُستعمَل بمعنى المستقبَل كثيراً، ويحتمل أنَّه أرادَ: إنّي سَقيمٌ بما قُدِّرَ عليَّ من الموت، أو سقيمُ الحُجَّة على الخروج معكم، وحَكَى النَّوَوي عن بعضهم: أنَّه كان تأخُذه الحُمّى في ذلك الوقت، وهو بعيد، لأنَّه لو كان كذلك لم يكن كَذِباً لا تصريحاً ولا تعريضاً.

وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قال القُرطُبي: هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أنَّ الأصنام ليست بآلهةٍ، وقطعاً لقومِه في قولهم: إنَّها تَضُرّ وتَنفَع، وهذا الاستدلال يُتجوَّز فيه في الشَّرط المتَّصِل،/ ولهذا أردَفَ قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، قال ابن قُتَيبة: معناه: إن كانوا يَنطِقونَ فقد فعلَه كبيرُهم هذا، فالحاصل أنَّه مُشتَرَط بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، أو أنَّه أسنَدَ إليه ذلك لكَونِه السَّبَب. وعن الكِسائي أنَّه كان يَقِفُ عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾، أي: فعلَه مَن فعلَه، كائناً مَن كان، ثمَّ يَبتَدِئ ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وهذا خبرٌ مُستقِلّ، ثمَّ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ إلى آخره، ولا يخفى تكلُّفُه.

٣٩٢/٦

وقوله: «هذه أُختي» يُعتَذَرُ عنه بأنَّ مُرادَه أنَّها أُخته في الإسلام كما سيأتي واضحاً، قال ابن عَقيل: دلالة العقل تَصرِف ظاهر إطلاق الكَذِب على إبراهيم، وذلك أنَّ العقل قَطَعَ بأنَّ الرَّسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليُعلَم صِدقُ ما جاء به عن الله، ولا ثقةَ مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذِب منه، إنَّما أطلقَ عليه ذلك لكَونِه بصورة الكذِب عند السامع، وعلى تقديره فلم يَصدُرْ ذلك من إبراهيم عليه السلام ـ يعني: إطلاق الكذِب على ذلك ـ إلّا في حال شِدَّة الخوف لعُلوِّ مقامه، وإلّا فالكذِبُ المَحْض في مِثل تلكَ المقامات يجوز، وقد يجبُ لتَحمُّلِ أخفِّ الضَّرَرَين دفعاً لأعظَمِهما، وأمّا تسميته إياها كَذَباتٍ فلا يريد أنَّها تُذَمُّ، فإنَّ الكذب وإن كان قبيحاً مُخِلًّا، لكنَّه قد يَحسُن في مواضعَ وهذا منها.

قوله: «ثِنتَين منهنَّ في ذات الله» خَصَّهما بذلك لأنَّ قصَّة سارةَ وإن كانت أيضاً في ذات الله، لكن تَضَمَّنَت حَظّاً لنفسِه ونَفعاً له، بخِلاف الثِّنتَين الأخيرتَين، فإنَّهما في ذات الله مَحضاً،

وقد وَقَعَ في رواية هشام بن حسَّان المذكورة[1]: «إنَّ إبراهيم لم يَكذِب قَطُّ إلّا ثلاثَ كَذَبات، كلّ ذلك في ذات الله»، وفي حديث ابن عبَّاس عند أحمد (٢٥٤٦): «والله إن جادَلَ[2] بهنَّ إلّا عن دِينِ الله».

قوله: «بَيْنا هو ذات يوم وسارةُ» في رواية مسلم (٢٣٧١): «وواحدة في شَأْن سارةَ»، فإنَّه قَدِمَ أرض جَبّار ومعه سارة، وكانت أحسنَ الناس، واسم الجبّار المذكور عَمْرو بن امرِئِ القيس بن سَبَأ، وكان على مِصر، ذكره السُّهَيلي، وهو قول ابن هشام في «التّيجان»، وقيل: اسمه صادوقٌ، وحكاه ابن قُتَيبة، وكان على الأُردُنّ، وقيل: سِنان بن عِلوان بن عُبيد بن عَريج بن عِملاق بن لاوَذَ بن سام بن نوح، حكاه الطَّبَري، ويقال: إنَّه أخو الضَّحّاك الذي مَلَكَ الأقاليم.

قوله: «فقيل له: إنَّ هذا رجل» في رواية المُستَمْلي: «إنَّ هاهنا رجلاً»، وفي كتاب «التّيجان»: أنَّ قائل ذلك رجل كان إبراهيم يَشتَري منه القمح، فنَمَّ عليه عند الملك، وذكر أنَّ من جُملة ما قاله للمَلِكِ: إنّي رأيتها تَطحَن، وهذا هو السَّبَب في إعطاء الملك لها هاجَرَ في آخر الأمر، وقال: إنَّ هذه لا تَصلُح أن تَخدُمَ نفسها.

قوله: «من أحْسَن الناس» في «صحيح مسلم» (١٦٢/ ٢٥٩) في حديث الإسراء الطَّويل من رواية ثابت عن أنس في ذِكْر يوسف: «أُعطِي شطرَ الحُسن»، زاد أبو يَعْلى من هذا الوجه: «أُعطي يوسف وأُمّه شَطر الحُسن»[3] يعني: سارةَ، وفي رواية الأعرَج الماضية في أواخر البيوع (٢٢١٧): «هاجَرَ إبراهيم بسارةَ، فدَخَلَ بها قرية فيها مَلِك أو جَبّار، فقيل: دَخَلَ إبراهيم بامرأةٍ هي من أحسن النِّساء»، واختُلِفَ في والد سارةَ مع القول بأنَّ اسمه هاران، فقيل: هو مَلِك حَرّان، وأنَّ إبراهيم تزوَّجَها لمَّا هاجَرَ من بلاد قومه إلى حَرّان،

---

(١) عند النسائي في «الكبرى» (٨٣١٦)، وابن حبان (٥٧٣٧).

(٢) في نسخ «المسند» لدينا: «إن حاوَلَ»، والمعنى واحد.

(٣) هو عند أبي يعلى برقم (٣٣٧٣) و(٣٤٩٩) لكن كرواية مسلم دون الزيادة المذكورة، وأخرجه بهذه الزيادة الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٢٠٧، والحاكم ٢/ ٥٧٠ من هذا الوجه.

وقيل: هي ابنة أخيه، وكان ذلك جائزاً في تلكَ الشَّريعة، حكاه ابن قُتَيبة والنَّقّاش، واستُبعِدَ، وقيل: بل هي بنت عَمّه، وتوافقَ الاسمان، وقد قيل في اسم أبيها: توبل.

قوله: «فأرسَلَ إليه فسأله عنها فقال: مَن هذه؟ قال: أُخْتي، فأَتى سارةَ فقال: يا سارةُ، ليس على وَجْه الأرض...» إلى آخره، هذا ظاهر في أنّه سأله عنها أوّلاً ثمّ أعلمَها بذلك لئلّا تُكذِبَه عنده، وفي رواية هشام بن حسّان أنّه قال لها: «إنَّ هذا الجبّار إن يعلمْ أنّك امرأتي يَغلِبْني عليك، فإن سألك فأخبِريه أنَّك أُختي، وإنَّك أُختي في الإسلام، فلمَّا دَخَلَ أرضه/ ٣٩٣/٦ رآها بعض أهل الجبّار فأتاه فقال: لقد قَدِمَ أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلّا لك، فأرسَلَ إليها» الحديث، فيُمكِن أن يُجمَع بينهما بأنَّ إبراهيم أحَسَّ بأنَّ الملك سَيَطلُبُها منه، فأوصاها بما أوصاها، فلمَّا وَقَعَ ما حَسِبَه أعادَ عليها الوصية.

واختُلِفَ في السَّبَب الذي حَمَلَ إبراهيم على هذه التوصية، مع أنَّ ذلك الظّالم يريد اغتِصابَها على نفسها، أُختاً كانت أو زوجةً، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يَتعرَّض إلّا لذواتِ الأزواج، كذا قيلَ، ويحتاج إلى تَتِمَّة: وهو أنَّ إبراهيم أراد دفعَ أعظم الضَّرَرَين بارتكاب أخَفِّهما، وذلك أنَّ اغتِصاب الملك إياها واقعٌ لا مَحالةَ، لكن إن عَلِمَ أنَّ لها زوجاً في الحياة حَمَلَته الغَيْرة على قتله وإعدامه، أو حَبْسه وإضراره، بخِلاف ما إذا عَلِمَ أنَّ لها أخاً، فإنَّ الغَيْرة حينئذٍ تكون من قِبَل الأخ خاصَّة لا من قِبَل الملك، فلا يُبالي به. وقيل: أراد إن عَلِمَ أنَّك امرأتي أَلزَمَني بالطَّلاق، والتَّقرير الذي قَرَّرتُه جاء صريحاً عن وَهْب بن مُنبِّه فيما أخرجه عبد بن حُميدٍ في «تفسيره» من طريقه. وقيل: كان من دين الملك أنَّ الأخ أحقّ بأن تكون أُخته زوجتَه من غيره، فلذلك قال: هي أُختي، اعتماداً على ما يَعتَقِده الجبّار، فلا ينازِعُه فيها، وتُعقِّبَ بأنَّه لو كان كذلك لَقال: هي أُختي وأنا زوجها، فلِمَ اقتَصَرَ على قوله: هي أُختي؟ وأيضاً فالجواب إنَّما يفيد لو كان الجبّار يريد أن يَتزوَّجها، لا أن يَغتَصِبَها نفسها.

وذكر المنذِري في «حاشية السُّنَن» عن بعض أهل الكتاب: أنَّه كان من رأي الجبّار المذكور أنَّ مَن كانت مُتزوِّجة، لا يَقرَبها حتَّى يَقتُل زوجها، فلذلك قال إبراهيم: هي أُختي، لأنَّه

إن كان عادِلاً خَطَبَها منه ثمَّ يرجو مُدافَعتَه عنها، وإن كان ظالماً خَلَصَ من القتل، وليس هذا ببعيدٍ ممَّا قَرَّرتُه أوَّلاً، وهذا أُخِذَ من كلام ابن الجَوْزي في «مُشكِل الصحيحين»، فإنَّه نَقَلَه عن بعض علماء أهل الكتاب أنَّه سأله عن ذلك فأجابَ به.

قوله: **«ليس على وَجْه الأرض مُؤْمِن غيري وغيرُك»** يُشكِل عليه كَونُ لوط كان معه كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت:٢٦]، ويُمكِن أن يُجابَ بأنَّ مُراده بالأرضِ، الأرضُ التي وَقَعَ له فيها ما وَقَعَ، ولم يكن معه لوط إذ ذاكَ.

قوله: **«فلمَّا دَخَلَت عليه ذهبَ يَتَناوَلها بيدِه فأُخِذَ»** كذا في أكثر الرِّوايات، وفي بعضها: «ذهب يُناوِلها يدَه»، وفي رواية مسلم (٢٣٧١): «فقامَ إبراهيم إلى الصلاة، فلمَّا دخلَتْ عليه - أي: على الملك - لم يَتَمالَك أن بَسَطَ يده إليها فقُبِضَت يده قبضةً شديدة»، وفي رواية أبي الزِّناد عن الأعرَج[1] من الزِّيادة: «فقامَ إليها فقامَت تَوضَّأُ وتُصلِّي»، وقوله في هذه الرِّواية: «فغُطَّ» هو بضمِّ المعجَمة في أوَّله، وقوله: «حتَّى رَكَضَ برِجلِه» يعني: أنَّه اختَنَقَ حتَّى صارَ كأنَّه مصروع، قيل: الغَطُّ صوت النائم من شِدَّة النَّفخ، وحَكَى ابن التِّين أنَّه ضُبِطَ في بعض الأُصول: «فغَطَّ» بفتح الغَين، والصَّواب ضمُّها، ويُمكِن الجمع بأنَّه عُوقِبَ تارةً بقَبضِ يده، وتارةً بانصِراعه.

وقوله: **«فدَعَتْ»** من الدُّعاء في رواية الأعرَج المذكورة (٢٢١٧) ولفظه: «فقالت: اللهمَّ إن كنت تعلم أنِّي آمَنتُ بك وبرسولِك، وأحصَنتُ فرجي إلّا على زوجي، فلا تُسَلِّط عليَّ الكافر»، ويُجاب عن قولها: «إن كنتَ» مع كَونها قاطعةً بأنَّه سبحانه وتعالى يعلم ذلك، بأنَّها ذكرته على سبيل الفَرْض هَضماً لنفسِها.

قوله: **«فقال: ادْعِي اللهَ لي ولا أَضُرُّك»** في رواية مسلم (٢٣٧١): «فقال لها: ادعي الله أن يُطلِق يَدَيَّ، ففَعَلَت»، في رواية أبي الزِّناد المذكورة (٢٢١٧): قال أبو سَلَمَةَ: قال أبوهريرة: قالت: اللهمَّ إن يَمُت يقولوا: هي التي قتلته، قال: فأُرسِلَ.

---

(١) سلفت في «الصحيح» برقم (٢٢١٧).

قوله: «ثمَّ تناوَلَها الثّانية» في رواية الأعرَج: «ثمَّ قامَ إليها فقامَت تَوضَّأُ وتُصَلِّي».

قوله: «فأُخِذَ مِثلَها أو أشَدَّ» في رواية مسلم (٢٣٧١): «فقُبِضَت أشدَّ من القَبضة الأولى».

قوله: «فدَعا بعضَ حَجَبَتِه» بفتح المهمَلة والجيم والموحَّدة: جمع حاجِب، في رواية مسلم: «ودَعا الذي جاءَ بها» ولم أقِفْ على اسمه.

قوله: «إنَّك لم تَأتِني بإنسانٍ، إنَّما أتيتني بشيطانٍ» في رواية الأعرَج: «ما أرسَلتُم إليَّ إلّا شيطاناً، ارجِعوها إلى إبراهيم»، وهذا يناسب ما وَقَعَ له من الصَّرع،/ والمراد بالشيطان المتمرِّد من الجِنّ، وكانوا قبل الإسلام يُعظِّمونَ أمر الجنِّ جدّاً، ويَرَونَ كلَّ ما وَقَعَ من الخوارق من فعلهم وتصرُّفهم. ٣٩٤/٦

قوله: «فأخدَمَها هاجَرَ» أي: وهَبَها لها لتَخدُمها، لأنَّه أعظَمَها أن تَخدُم نفسها. وفي رواية مسلم: «فأخرِجها من أرضي وأعطِها آجَرَ» ذكرها بهمزةٍ بدل الهاء، وهي كذلك في رواية الأعرَج، والجيم مفتوحة على كلِّ حال، وهي اسم سُرْياني، ويقال: إنَّ أباها كان من ملوك القِبط، وإنَّها من حَفْن ـ بفتح المهمَلة وسكون الفاء ـ: قرية بمِصرَ، قال اليعقوبي: كانت مدينة. انتهى، وهي الآن كَفْر من عمل أَنْصِنا بالبَرِّ الشَّرقي من الصَّعيد في مُقابَلة الأُشمونين، وفيها آثار عظيمة باقية.

قوله: «فأتَتْه» في رواية الأعرج: «فأقبَلَت تمشي، فلمَّا رآها إبراهيم».

قوله: «مَهْيَم» في رواية المُستَمْلي: «مَهيا»، وفي رواية ابن السَّكَن: «مَهْين» بنون وهي بدل الميم، وكأنَّ المُستَمْلي لمَّا سمعَها بنون ظَنَّها نون تنوين، ويقال: إنَّ الخليل أوَّل مَن قال هذه الكلمة، ومعناها: ما الخبر؟

قوله: «رَدَّ الله كَيدَ الكافر ـ أو الفاجِر ـ في نَحْره» هذا مَثَل تقوله العرب لمن أراد أمراً باطلاً فلم يَصِلْ إليه، ووَقَعَ في رواية الأعرَج (٢٢١٧): «أشَعَرْتَ أنَّ الله كَبَتَ الكافر وأخدَمَ وليدة» أي: جارية للخِدمة، وكَبَتَ بفتح الكاف والموحَّدة ثمَّ مُثنّاة، أي: رَدَّه خاسئاً، ويقال: أصله: كَبَد، أي: بَلَغَ الهَمُّ كَبِدَه، ثمَّ أُبدِلَت الدّال مُثنّاة، ويحتمل أن يكون «وأخدَمَ» معطوفاً

على «كَبَتَ»، ويحتمل أن يكون فاعل «أخدَمَ» هو الكافر، فيكون استئنافاً.

قوله: «قال أبو هريرة: تلكَ أمّكم يا بني ماء السماء» كأنَّه خاطَبَ بذلك العرب لكَثْرة مُلازَمَتهم للفَلَوات التي بها مواقع القَطْر لأجلِ رَعْي دَوابّهم، ففيه مُتمسَّك لمن زَعَمَ أنَّ العرب كلَّهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماءِ السماء زَمزَم، لأنَّ الله أنبَعَها لهاجَرَ، فعاشَ ولدُها بها فصاروا كأنَّهم أولادها، قال ابن حِبّان في «صحيحه»: كلّ مَن كان من ولد إسماعيل يقال له: ماء السماء، لأنَّ إسماعيل ولدُ هاجَرَ، وقد رُبّي بماءِ زَمزَم، وهي من ماء السماء.

وقيل: سُمُّوا بذلك لخُلوصِ نَسَبهم وصَفَائه، فأشبَهَ ماءَ السماء، وعلى هذا فلا مُتمَسَّك فيه، وقيل: المراد بماءِ السماء عامر ولدُ عَمْرو بن عامر بن بُقيا بن حارثة بن الغِطْريف وهو جَدُّ الأوس والخَزرَج، قالوا: إنَّما سُمّي بذلك، لأنَّه كان إذا قُحِطَ الناسُ أقامَ لهم ماله مقام المطر، وهذا أيضاً على القول بأنَّ العرب كلَّها من ولد إسماعيل، وسيأتي زيادة في هذه المسألة في أوائل المناقب (٣٥٠٧) إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث مشروعيّة أُخوَّة الإسلام، وإباحة المعاريض، والرُّخصَة في الانقياد للظّالِم والغاصب، وقَبُول صِلة الملك الظّالم، وقَبُول هدية المشرِك، وإجابة الدُّعاء بإخلاص النّية، وكفاية الرَّبّ لمن أخلَصَ في الدُّعاء بعملِه الصالح، وسيأتي نَظِيره في قصَّة أصحاب الغار (٣٤٦٥).

وفيه ابتلاءُ الصالحينَ لرفع دَرَجاتهم، ويقال: إنَّ الله كَشَفَ لإبراهيم حتَّى رأَى حال الملك مع سارةَ مُعايَنة، وأنَّه لم يَصِلْ منها إلى شيء، ذُكر ذلك في «التّيجان»، ولفظه: فأمَرَ بإدخال إبراهيم وسارة عليه، ثمَّ نَحّى إبراهيم إلى خارج القصر وقامَ إلى سارةَ، فجَعَلَ اللهُ القصرَ لإبراهيم كالقارورة الصّافية، فصارَ يراهما ويَسمَع كلامهما.

وفيه أنَّ مَن نابَه أمرٌ مُهمّ من الكَرْب، ينبغي له أن يَفزَع إلى الصلاة. وفيه أنَّ الوُضوء كان مشروعاً للأُمَمِ قبلنا، وليس مُختَصّاً بهذه الأُمَّة ولا بالأنبياءِ، لثُبوتِ ذلك عن سارةَ، والجمهور على أنَّها ليست بنبيَّةٍ.

٣٣٥٩- حدَّثنا عُبيدُ الله بنُ موسى ـ أو ابنُ سَلَامٍ عنه ـ أخبرنا ابنُ جُرَيجٍ، عن عبدِ الحميد ابنِ جُبَير، عن سعيد بنِ المسيّبِ، عن أمّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ بقَتْلِ الوَزَغِ، وقال: «كان يَنفُخُ على إبراهيمَ عليه السلام».

٣٣٦٠- حدَّثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غِياثٍ، حدَّثنا أَبي، حدَّثنا الأعمَشُ، قال: حدَّثني إبراهيمُ، عن عَلْقمةَ، عن عبدِ الله ﷺ، قال: لمَّا نزلتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] قُلْنا: يا رسولَ الله، أيُّنا لا يَظلِمُ نفسَه؟ قال: «ليس كما تقولونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: بشِرْكٍ، أوَلم تَسمَعوا إلى قولِ لُقمانَ لابنِه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]؟».

الحديث التاسع:

قوله: «حدَّثنا عُبيد الله بن موسى أو ابن سَلَام عنه» كأنَّ البخاري شَكَّ في سماعه له من عُبيد الله بن موسى ـ وهو من أكبر مشايخه ـ وتَحقَّقَ أنَّه سمعَه من محمَّد بن سلام عنه فأورَدَه هكذا، وقد وَقَعَ له نَظِيرُ هذا في أماكنَ عديدة.

قوله: «عن عبد الحميد بن جُبَير» هو ابن شَيْبة بن عثمان الحَجَبي، والإسناد كلّه حِجازيونَ من ابن جُرَيج فصاعداً، وفي رواية الإسماعيلي من طريق يحيى القَطّان وأبي عاصم عن ابن جُرَيج: أخبرني عبد الحميد.

٣٩٥/٦ **قوله: «أُمّ شَرِيك»** في رواية أبي/ عاصم: «إحدى نساء بني عامر بن لُؤَيّ»، ولفظ المتن: أنَّها استأمَرَت النبيَّ ﷺ في قتل الوَزَغات فأمَرَ بقتلِهنَّ، ولم يَذكُر الزّيادة، والوَزَغات بالفتح: جمع وَزَغة، وهي بالفتح أيضاً، وذكر بعض الحُكَماء أنَّ الوَزَغ أَصَمُّ، وأنَّه لا يَدخُل في مكان فيه زَعفَران، وأنَّه يَلقَحُ بفيه، وأنَّه يَبِيض، ويقال لكِبارها: سامُّ أبرَص، وهو بتشديد الميم.

الحديث العاشر: حديثُ ابن مسعود: لمَّا نزل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الحديث، مضى شرحه في كتاب الإيمان (٣٢).

قال الإسماعيلي: كذا أورَدَ هذا الحديث في ترجمة إبراهيم، ولا أعلم فيه شيئاً من قصَّة إبراهيم. كذا قال، وخفيَ عليه أنَّه حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّه سبحانه لمَّا فَرَغَ من حكاية قول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس، ذكر مُحاجَّة قومه له، ثمَّ حَكَى أنَّه قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام:٨١] فهذا كلّه عن إبراهيم، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خِطابٌ لقومه، ثمَّ قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى آخره، يعني: أنَّ الذينَ هم أحقُّ بالأمنِ هم الذينَ آمنوا، وقال بعد ذلك: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، فظَهَرَ تعلُّق ذلك بترجمة إبراهيم، وروى الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٣١٦) من حديث عليّ رضي الله عنه: أنَّه قرأ هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: نزلت هذه الآية في إبراهيم وأصحابه. واقتصَرَ الكِرْماني على قوله: مُناسَبة هذا الحديث لقصَّة إبراهيم اتِّصال هذه الآية بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.

٩- [بابٌ]

٣٣٦١- حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ نَصْرٍ، حدَّثنا أبو أُسامةَ، عن أبي حَيّانَ، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ يوماً بلَحْم، فقال: «إنَّ الله يَجمَعُ يومَ القيامةِ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسمِعُهم الدّاعي، ويَنفُذُهم البَصَرُ، وتَدْنو الشمسُ منهم» فذكر حديثَ الشَّفاعة: «فيأتونَ إبراهيمَ فيقولون: أنتَ نبيُّ الله، وخليلُه مِن الأرضِ، اشفَعْ لنا إلى ربِّكَ، فيقول ـ فذكر كَذَباته ـ: نَفْسي نَفْسي، اذهبوا إلى موسى».

تابَعَه أنسٌ، عن النبيِّ ﷺ.

الحديث الحادي عشر: حديثُ أبي هريرة في الشَّفاعة، ذكر طَرَفاً منه، والغرض منه قول أهل الموقِف لإبراهيم: أنتَ نبيُّ الله وخليله من الأرض. ووَقَعَ عند إسحاق بن راهَويه (١٨٤) ومن طريقه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٥٤٩-٥٥٠) من وجه آخر عن أبي زُرْعة عن أبي هريرة في هذا الحديث: «فيقولون: يا إبراهيم، أنتَ خليل الرحمن، قد سمِعَ بخُلَّتِك أهل

السَّماوات والأرض»، وقد تقدَّم القول في معنى الخُلَّة، ويأتي (٦٥٦٥) شرح حديث الشَّفاعة في الرِّقاق.

قوله: «**أمر بقتل الوَزَغ وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام**» ووقع في حديث عائشة عند ابن ماجه (٣٢٣١) وأحمد (٢٥٦٤٣ و٢٥٨٢٧): أن إبراهيم لـمّا أُلقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلّا أطفأت عنه، إلّا الوزغ فإنها كانت تنفخُ عليه، فأمر النبي ﷺ بقتلها.

قوله: «**تابَعَه أنس عن النبي ﷺ**» وَصَلَه المؤلِّف في التَّوحيد (٧٤١٠) وفي غيره وسيأتي.

٣٩٩/٦ تنبيه: وَقَعَ في رواية الحَمُّوِيّ والكُشْمِيهني قبل حديث أبي هريرة هذا ما صورته: «يَزِفّونَ النَّسَلان في المشي»، وفي رواية المُستَمْلي والباقين: «باب» بغير ترجمة، وسقط ذلك من رواية النَّسَفي، ووَهِمَ مَن وَقَعَ عنده «باب يَزِفّونَ النَّسلان» فإنَّه كلام لا معنى له، والذي يَظهَر ترجيحُ ما وَقَعَ عند المُستَمْلي، وقوله: «باب» بغير ترجمة يقع عندهم كالفصل من الباب، وتعلُّقه بما قبله واضح، فإنَّ الكلّ من ترجمة إبراهيم، وأمَّا تفسير هذه الكلمة من القرآن فإنَّها من جُملة قصَّة إبراهيم عليه السلام مع قومه حين كَسَّرَ أصنامهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات:٩٤] قال مجاهد: الوَزِيف النَّسلان، أخرجه الطَّبَري (٢٣/ ٧٤)، وابن أبي حاتم (١٧٢٣٥) من طريق السُّدّي قال: رَجَعَ إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم فإذا هي في بَهْو عظيم مُستَقبِلَ باب البَهْو صَنَم عظيم إلى جنبه أصغرُ منه، بعضها إلى جنب بعض، فإذا هم قد جَعَلوا طعاماً بين يَدَي الأصنام وقالوا: إذا رجعنا وَجَدْنا الآلهة بَرَّكَت في طعامنا فأكلنا، فلمَّا نظرَ إليهم إبراهيم قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ فأخَذَ حديدةً فبَقَرَ كلَّ صَنَم في حافَتَيهِ، ثمَّ عَلَّقَ الفأس في الصَّنَم الأكبر ثمَّ خَرَجَ، فلمَّا رجعوا جَمَعوا لإبراهيم الحَطَب حتَّى إنَّ المرأة لَتَمرَض فتقول: لَئِن عافاني الله لأَجمَعَن لإبراهيم حَطَباً. فلمَّا جمعوا له وأكثروا من الحَطَب وأرادوا إحراقه، قالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربَّنا خليلك إبراهيم يُحرَق؟ قال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغِيثوه. فقال إبراهيم: اللهمَّ أنتَ الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس أحدٌ في

الأرض يَعبُدكَ غيري، حسبيَ الله ونِعمَ الوكيل». انتهى، وأظنّ البخاري إن كانت التَّرجمة محفوظة، أشارَ إلى هذا القَدْر، فإنَّه يناسب قولهم في حديث الشَّفاعة: «أنتَ خليلُ الله من الأرض».

٣٣٦٢- حدَّثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ أبو عبدِ الله، حدَّثنا وَهْبُ بنُ جَرِير، عن أبيه، عن أيوبَ، عن عبدِ الله بنِ سعيدِ بنِ جُبَير، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يرحمُ الله أمَّ إسماعيلَ، لولا أنَّها عَجِلَت لكان زَمْزَمُ عَيناً مَعِيناً».

٣٣٦٣- قال الأنصاريُّ: حدَّثنا ابنُ جُرَيجٍ، قال: أمَّا كَثيرُ بنُ كَثير فحدَّثني، قال: إنّي وعُثمانَ بنَ أبي سليمانَ جلوسٌ معَ سعيد بنِ جُبَير، فقال: ما هكذا حدَّثني ابنُ عبَّاسٍ ولكنَّه قال: أقبَلَ إبراهيمُ بإسماعيلَ وأُمِّه عليهم السَّلام وهي تُرضِعُه، معها شَنَّةٌ ـ لم يرفعْه ـ ثمَّ جاءَ بها إبراهيمُ وبابنِها إسماعيلَ.

٣٣٦٤- وحدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن أيوبَ السَّختِيانيِّ، وكَثيرِ بنِ كَثيرِ بنِ المطَّلِبِ بنِ أبي وَدَاعةَ ـ يزيدُ أحدُهما على الآخرِ ـ عن سعيد بنِ جُبَير، قال ابنُ عبَّاسٍ: أوَّلَ ما اتَّخذَ النِّساءُ المِنْطَقَ من قِبَلِ أمِّ إسماعيلَ، اتَّخذَت مِنطَقاً لتُعفِّيَ أثَرَها على سارةَ، ثمَّ جاء بها إبراهيمُ وبابنِها إسماعيلَ ـ وهي تُرضِعُه ـ حتَّى وَضَعَها عندَ البيتِ عندَ دَوْحةٍ فوقَ الزَّمزَمِ، في أعلى المسجدِ، وليس بمَكَّةَ يومَئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوَضَعَها هُنالكَ، ووَضَعَ عندَهما جِراباً فيه تَمرٌ وسِقاءً فيه ماءٌ، ثمَّ قَفَّى إبراهيمُ مُنطَلِقاً، فتَبِعَتْه أمُّ إسماعيلَ، فقالت: يا إبراهيمُ، أينَ تذهبُ وتَترُكُنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت له ذلك مِراراً، وجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إليها، فقالت له: آللهُ أمَرَكَ بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضَيِّعَنا، ثمَّ رَجَعَت، فانطَلَقَ إبراهيمُ حتَّى إذا كان عندَ الثَّنِيَّةِ حيثُ لا يَرَوْنَه استقبَلَ بوَجْهِه البيتَ، ثمَّ دَعا بهؤلاءِ الكلماتِ، ورَفَعَ يَدَيه، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] وجَعَلَت أمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إسماعيلَ، وتَشْرَبُ من ذلك الماءِ، حتَّى إذا نَفِدَ ما في السِّقاءِ عَطِشَت وعَطِشَ ابنُها، وجَعَلَت

تَنظُرُ إليه يَتَلَوَّى ـ أو قال: يَتَلَبَّطُ ـ فانطَلَقَت كَراهيَةَ أن تَنظرَ إليه، فوَجَدَتِ الصَّفَا أقرَبَ جبلٍ في الأرضِ يَلِيها، فقامَت عليه، ثمَّ استَقبَلَتِ الواديَ تَنظُرُ هل تَرَى أحداً؟ فلم تَرَ أحداً، فهَبَطَت مِن الصَّفا، حتَّى إذا بَلَغَتِ الواديَ رَفَعَت طَرَفَ دِرْعِها، ثمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإنسانِ المجهودِ حتَّى جاوَزَتِ الواديَ، ثمَّ أتتِ المَرْوةَ فقامَت عليها، فنَظَرَت هل تَرَى أحداً؟ فلم تَرَ أحداً، ففَعَلَت ذلك سبعَ مرَّاتٍ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قال النبيُّ ﷺ: «فذلك سَعْيُ الناسِ بينَهما».

فلمَّا أشرَفَت على المَرْوةِ سمعَت صوتاً، فقالت: صَهِ ـ تريدُ نفسَها ـ ثمَّ تَسَمَّعَت أيضاً، فقالت: قد أسمَعْتَ إن كان عندَكَ غَوَاثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عندَ موضعِ زَمْزَمَ، فبَحَثَ بعَقِبِه ـ أو قال: بجناحِه ـ حتَّى ظَهَرَ الماءُ، فجَعَلَت تُحَوِّضُه وتقولُ بيَدِها هكذا، وجَعَلَت تَغرِفُ مِن الماءِ في سِقائها، وهو يَفُورُ بعدَما تَغرِف.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قال النبيُّ ﷺ: «يرحمُ الله أمَّ إسماعيلَ، لو تَرَكَت زَمْزَمَ ـ أو قال: لو لم تَغرِف مِن الماءِ ـ لكانت زَمْزَمُ عَيناً مَعِيناً».

قال: فشَرِبَت وأرضَعَت ولدَها، فقال لها المَلَكُ: لا تَخافُوا الضَّيْعَةَ، فإنَّ هذا بيتُ الله/ يَبْني هذا الغلامُ وأبوه، وإنَّ الله لا يُضِيعُ أهلَه ـ وكان البيتُ مُرْتَفِعاً مِن الأرضِ كالرّابيةِ تَأتيه السُّيولُ، فتَأخُذُ عن يَمِينِه وشِمالِه ـ فكانت كذلك حتَّى مرَّت بهم رُفْقةٌ من جُرْهُمَ ـ أو أهلُ بيتٍ من جُرْهُمَ ـ مُقبِلينَ من طريقِ كَدَاءٍ، فنزلوا في أسفَلِ مَكَّةَ، فرَأَوْا طائراً عائفاً، فقالوا: إنَّ هذا الطائرَ لَيَدورُ على ماءٍ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ. فأرسَلوا جَرِيّاً أو جَرِيَّينِ، فإذا هم بالماءِ، فرجعوا فأخبَروهم بالماءِ، فأقبَلوا ـ قال: وأُمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ ـ فقالوا: أتأذَنِينَ لنا أن نَنزِلَ عندَكِ؟ فقالت: نعم، ولكن لا حَقَّ لكم في الماءِ، قالوا: نعمْ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قال النبيُّ ﷺ: «فألفَى ذلك أمَّ إسماعيلَ، وهي تُحِبُّ الأُنسَ».

فنزلوا وأرسَلُوا إلى أهلِيهم، فنزلوا معهم، حتَّى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشَبَّ الغلامُ وتَعلَّمَ العربيَّةَ منهم، وأنفَسَهم وأعجَبَهم حينَ شَبَّ، فلمَّا أدرَكَ زَوَّجوه امرأةً منهم،

وماتت أمُّ إسماعيلَ، فجاء إبراهيمُ بعدَما تزوَّجَ إسماعيلُ يُطالِعُ تَرِكَتَه، فلم يَجِدْ إسماعيلَ فسأل امرأتَه عنه، فقالت: خَرَجَ يَبتَغي لنا، ثمَّ سألها عن عَيشِهم وهيئتِهم، فقالت: نحنُ بشَرٍّ، نحنُ في ضِيقٍ وشِدّةٍ، فشَكَتْ إليه، قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقرَئي عليه السلامَ وقولي له: يُغيِّرْ عَتَبةَ بابِه، فلمَّا جاء إسماعيلُ كأنَّه آنَسَ شيئاً، فقال: هل جاءَكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كَذا وكَذا، فسألَنا عنكَ فأخبَرتُه، وسألَني كيفَ عَيشُنا، فأخبَرتُه أنّا في جَهْدٍ وشِدّةٍ، قال: فهَل أوْصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمَرَني أن أقرَأَ عليكَ السَّلامَ، ويقول: غَيِّرْ عَتَبةَ بابكَ، قال: ذاكِ أَبي، وقد أمَرَني أن أُفارِقَكِ، الحَقِي بأهلِكِ، فطَلَّقَها وتزوَّجَ منهم أُخرَى، فلَبِثَ عنهم إبراهيمُ ما شاءَ الله، ثمَّ أتاهم بعدُ فلم يَجِدْه، فدَخَلَ على امرأتِه فسألها عنه، فقالت: خَرَجَ يَبتَغي لنا، قال: كيفَ أنتم؟ وسألها عن عَيشِهم وهيئتِهم، فقالت: نحنُ بخيرٍ وسَعَةٍ، وأثنَتْ على الله، فقال: ما طعامُكم؟ قالت: اللَّحْمُ، قال: فما شرابُكم؟ قالت: الماءُ، قال: اللهمَّ بارِكْ لهم في اللَّحْمِ والماءِ.

قال النبيُّ ﷺ: «ولم يكن لهم يومَئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم دَعَا لهم فيه».

قال: فهما لا يَخْلو عليهما أحدٌ بغيرِ مَكّةَ إلا لم يُوافِقاه، قال: فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلامَ، ومُرِيهِ يُثبِتُ عَتَبةَ بابه، فلمَّا جاء إسماعيلُ قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حَسَنُ الهَيئةِ ـ وأثنَتْ عليه ـ فسألني عنكَ فأخبَرتُه، فسألني كيفَ عَيشُنا فأخبَرتُه أنّا بخيرٍ، قال: فأوْصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم، هو يَقرأُ عليكَ السَّلامَ، ويأمُرُكَ أن تُثبِتَ عَتَبةَ بابكَ، قال: ذاكِ أَبي، وأنتِ العَتَبةُ، أمَرَني أن أُمْسِكَكِ، ثمَّ لَبِثَ عنهم ما شاءَ الله، ثمَّ جاء بعدَ ذلك وإسماعيلُ يَبْري نَبْلاً له تحتَ دَوْحةٍ قريباً من زَمْزَمَ، فلمَّا رآه قامَ إليه، فصَنَعا كما يَصْنَعُ الوالدُ بالولدِ، والولدُ بالوالدِ، ثمَّ قال: يا إسماعيلُ، إنَّ الله أمَرَني بأمرٍ، قال: فاصْنَعْ ما أمَرَكَ ربُّكَ، قال: وتُعِينُني؟ قال: وأُعِينُكَ، قال:/ فإنَّ الله أمَرَني أن أَبنيَ هاهُنا بيتاً ـ وأشارَ إلى أَكَمةٍ مُرتَفِعةٍ على ما حَوْلَها ـ قال: فعندَ ذلك رَفَعا القواعدَ مِن البيتِ، فجَعَلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبْني، حتَّى إذا ارتَفَعَ البناءُ جاءَ بهذا الحجرِ فوَضَعَه له، فقامَ عليه، وهو يبني وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ، وهما يقولان:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] قال: فجَعَلا يَبنِيانِ حتَّى يَدُورا حَوْلَ البيتِ، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٣٣٦٥- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا أبو عامرٍ عبدُ الملكِ بنُ عَمرٍو، قال: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ، عن كَثيرِ بنِ كَثير، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: لمَّا كان بينَ إبراهيمَ وبينَ أهلِه ما كان، خَرَجَ بإسماعيلَ وأُمِّ إسماعيلَ، ومعهم شَنَّةٌ فيها ماءٌ، فجَعَلَت أمُّ إسماعيلَ تَشْرَبُ مِن الشَّنّةِ، فيَدِرُّ لَبَنُها على صَبِيِّها، حتَّى قَدِمَ مَكّةَ فوَضَعَها تحت دَوْحةٍ، ثمَّ رَجَعَ إبراهيمُ إلى أهلِه، فاتَّبَعَتْه أمُّ إسماعيلَ حتَّى لمَّا بَلَغوا كَدَاءً نادَتْه من وَرائِه: يا إبراهيمُ، إلى مَن تَترُكُنا؟ قال: إلى الله، قالت: رَضِيتُ بالله، قال: فرَجَعَت فجَعَلَت تشربُ مِن الشَّنّةِ ويَدِرُّ لبنُها على صبيِّها، حتَّى لمَّا فَنِيَ الماءُ قالت: لو ذهبتُ فنَظَرتُ لعلِّي أُحِسُّ أحداً، قال: فذهبَت فصَعِدَتِ الصَّفَا فنَظَرَت ونَظَرَت هل تُحِسُّ أحداً؟ فلم تُحِسَّ أحداً، فلمَّا بَلَغَتِ الواديَ سَعَت وأتتِ المَرْوةَ، ففَعَلَت ذلك أشواطاً، ثمَّ قالت: لو ذهبتُ فنَظَرتُ ما فعلَ ـ تَعْني: الصبيَّ ـ فذهبَت فنَظَرَت فإذا هو على حالِه كأنَّه يَنْشَغُ للموتِ، فلم تُقِرَّها نفسُها، فقالت: لو ذهبتُ فنَظَرتُ لعلّي أُحِسُّ أحداً؟ فذهبَت فصَعِدَتِ الصَّفا، فنَظَرَت ونَظَرَت فلم تُحِسَّ أحداً، حتَّى أتمَّت سبعاً، ثمَّ قالت: لو ذهبتُ فنَظَرتُ ما فعلَ، فإذا هي بصوتٍ، فقالت: أَغِثْ إن كان عندَكَ خيرٌ، فإذا جِبْريلُ، قال: فقال بعَقِبِه هكذا، وغَمَزَ عَقِبَه على الأرضِ، قال: فانبَثَقَ الماءُ، فدَهِشَت أمُّ إسماعيلَ، فجَعَلَت تَحفِزُ.

قال: فقال أبو القاسمِ: «لو تَرَكَتْه كان الماءُ ظاهراً».

قال: فجَعَلَت تشربُ مِن الماءِ، ويَدِرُّ لبنُها على صبيِّها، قال: فمرَّ ناسٌ من جُرْهُمَ ببَطْنِ الوادي، فإذا هم بطَيرٍ كأنَّهم أنكَروا ذاكَ، وقالوا: ما يكونُ الطَّيرُ إلا على ماءٍ، فبَعَثوا رسولهم فنَظَرَ، فإذا هم بالماءِ، فأتاهم فأخبَرَهم، فأتَوْا إليها فقالوا: يا أمَّ إسماعيلَ، أتأذَنِينَ لنا أن نكونَ مَعَكِ، أو نَسكُنَ معكِ؟ فبَلَغَ ابنُها فنَكَحَ فيهم امرأةً، قال: ثمَّ إنَّه بَدَا لإبراهيمَ، فقال لأهلِه: إنّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتي، قال: فجاءَ فسَلَّمَ، فقال: أينَ إسماعيلُ؟ فقالت امرأتُه: ذهب يَصِيدُ، قال: قولي

له إذا جاء: غَيِّرْ عَتَبَةَ بابكَ، فلمَّا جاء أخبرَتْه، قال: أنتِ ذاكِ، فاذهبي إلى أهلِكِ، قال: ثمَّ إنَّه بَدَا لإبراهيمَ، فقال لأهلِه: إنّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتي، قال: فجاء فقال: أينَ إسماعيلُ؟ فقالت امرأتُه: ذهب يَصِيدُ، فقالت: ألا تَنزِلُ فتَطْعَمَ وتَشْرَبَ؟ فقال: وما طعامُكم؟ وما شرابُكم؟ قالت: طعامُنا اللَّحْمُ وشرابُنا الماءُ، قال: اللهمَّ بارِكْ لهم في طعامِهم وشرابِهم.

قال: فقال أبو القاسمِ ﷺ: «بَرَكةٌ بدَعْوةِ إبراهيمَ».

قال: ثمَّ إنَّه بَدَا لإبراهيمَ، فقال لأهلِه: إنّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتي، فجاء فوافَقَ إسماعيلَ من وراءِ زَمْزَمَ يُصلِحُ نَبْلاً له، فقال: يا إسماعيلُ، إنَّ ربَّكَ أمَرَني أن أَبنِيَ له بيتاً، قال: أطِعْ ربَّكَ، قال: إنَّه أمَرَني أن تُعِينَني عليه، قال: إذاً أفعلَ ـ أو كما قال ـ قال: فقاما فجَعَلَ إبراهيمُ يبني وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: حتَّى ارتَفَعَ البناءُ، وضَعُفَ الشيخُ على نَقْلِ الحجارةِ، فقامَ على حَجَرِ المَقَامِ، فجَعَلَ يُناوِلُه الحجارةَ، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

الحديث الثاني عشر: حديثُ ابن عباس في قصَّة إسماعيل وزَمْزَمَ، ساقه من ثلاثةِ طرقٍ:

الأولى: قوله: «عن عبد الله بن سعيد بن جُبَير» وَقَعَ في رواية ابن السَّكَن والإسماعيلي من طريق حَجّاج بن الشّاعر عن وَهْب بن جَرِير زيادة: «أُبيٍّ بن كعب»، ورواه النَّسائي (ك٨٣١٨) عن أحمد بن سعيد شيخ البخاري بإسقاط عبد الله بن سعيد بن جُبَير وزيادة أُبيٍّ ابن كعب، قال النَّسائي: قال أحمد بن سعيد: قال وَهْب: وحدَّثنا حمَّاد بن زيد عن أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جُبَير عن أبيه، ولم يَذكُر أُبيَّ بن كعب، فوَضَحَ أنَّ وَهْب بن جَرِير كان إذا رواه عن أبيه لم يَذكُر عبد الله بن سعيد وذكر أُبيَّ بن كعب، وإذا رواه عن حمَّاد بن زيد ذكر عبدَ الله بن سعيد ولم يَذكُر أُبيَّ بن كعب.

وفي رواية النَّسائي (ك٨٣١٩) أيضاً: قال وَهْب بن جَرِير: أتيت سلّام بن أبي مُطِيع فحَدَّثته بهذا عن حمَّاد بن زيد، فأنكَرَه إنكاراً شديداً ثمَّ قال لي: فأبوك ما يقولُ؟ قلت: يقول: عن أيوب عن سعيد بن جُبَير، فقال: قد غَلِطَ، إنَّما هو أيوب عن عِكْرمة بن خالد.

انتهى، وليس ببعيدٍ أن يكون لأيوبَ فيه عِدَّة طرق، فإنَّ إسماعيل ابن عُلَيَّة من كِبار الحُفّاظ، وقد قال فيه: «عن أيوب نُبِّئت عن سعيد بن جُبَير عن ابن عبَّاس»، ولم يَذكُر/ ٦/٤٠٠ أُبيّاً، وهو ممَّا يُؤيِّد رواية البخاري، أخرجه الإسماعيلي من وجهَين عن إسماعيل، أحدهما هكذا والآخر قال فيه: «عن أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جُبَير»، وقد رواه مَعمَر عن أيوب عن سعيد بن جُبَير بلا واسطة كما أخرجه البخاري كما ترى.

وقد عابَ الإسماعيلي على البخاري إخراجَه روايةَ أيوب لاضطِرابها، والذي يَظهَر أنَّ اعتماد البخاري في سياق الحديث إنَّما هو على رواية مَعمَر عن كثير بن كثير عن سعيد بن جُبَير، وإن كان أخرجه مقروناً بأيوبَ، فرواية أيوب إمّا عن سعيد بن جُبَير بلا واسطة، أو بواسطة ولده عبد الله، ولا يَستَلزِمُ ذلك قَدحاً لثقة الجميع، فظَهَرَ أنَّه اختلاف لا يَضُرّ، لأنَّه يَدُور على ثِقاتٍ حُفّاظ: إن كان بإثبات عبد الله بن سعيد بن جُبَير وأُبيّ بن كعب، فلا كلام، وإن كان بإسقاطهما فأيوبُ قد سمعَ من سعيد بن جُبَير، وأمّا ابن عبَّاس فإن كان لم يَسمَعه من النبي ﷺ، فهو من مُرسَل الصَّحابة، ولم يَعتَمِد البخاري على هذا الإسناد الخالص كما ترى، وقد سَبَقَ إلى الاعتذار عن البخاري ورَدِّ كلام الإسماعيلي بنحو هذا الحافظُ أبو عليٍّ الجَيّاني في «تقييد المهمَل».

الطريق الثانية: قوله: «وقال الأنصاري: حدَّثنا ابن جُرَيجٍ قال: أمَّا كثير بن كثير فحدَّثني قال: إنّي وعثمانَ بن أبي سليمان جلوس مع سعيد بن جُبَير فقال: ما هكذا حدَّثني ابن عبَّاس، ولكنَّه قال: أقبَلَ إبراهيم بإسماعيل وأُمِّه عليهم السلام وهي تُرضِعُه، معها شَنَّة، لم يَرفَعه، هكذا ساقَه مختصراً مُعلَّقاً، وقد وَصَلَه أبو نُعَيم في «المستَخرَج» عن فاروق الخَطّابي عن عبد العزيز بن معاوية عن الأنصاري: وهو محمَّد بن عبد الله، لكنَّه أورَدَه مختصراً أيضاً، وكذلك أخرجه عمر بن شَبَّة في «كتاب مكَّة» عن محمَّد بن عبد الله الأنصاري، وزاد في روايته: «إنّي وعثمان وعمر بن أبي سليمان وعثمان بن حُبْشِيّ جلوس مع سعيد بن جُبَير»، فكأنَّه كان عند الأنصاري كذلك.

وقد رواه الأزرَقي[١] من طريق مسلم بن خالد الزِّنجي، والفاكِهي من طريق محمَّد بن جُعشُم، كلاهما عن ابن جُرَيج، فبيَّن فيه سبب قول سعيد بن جُبَير: «ما هكذا حدَّثني ابن عبَّاس»، ولفظه: عن ابن جُرَيج عن كثير بن كثير قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في أُناس مع سعيد بن جُبَير بأعلى المسجد ليلاً، فقال سعيد بن جُبَير: سَلُوني قبل أن لا تَرَوْني، فسأله القوم فأكثروا، فكان ممَّا سُئِلَ عنه أن قال رجل: أحقٌّ ما سمعنا في المقام، مَقام إبراهيم، أنَّ إبراهيم حين جاء من الشّام حَلَفَ لامرأتِه أن لا يَنزِلَ بمكَّة حتَّى يَرجِعَ، فقدَّمت[٢] إليه امرأة إسماعيل المقام فوَضَعَ رِجله عليه لا يَنزِل؟ فقال سعيد بن جُبَير: ليس هكذا حدَّثنا ابن عبَّاس، ولكن» فساقَ الحديث بطولِه.

وأخرجه الفاكِهي عن ابن أبي عمر عن عبد الرَّزّاق بلفظ: فقال: يا مَعشَرَ الشَّباب، سَلُوني، فإنِّي قد أوشَكتُ أن أذهَبَ من بين أظهُركم. فأكثرَ الناس مسألته، فقال له رجل: أصلَحَك الله، أرأيت هذا المقامَ، هو كما كنَّا نَتَحَدَّث؟ قال: وما كنت تَتَحَدَّث؟ قال: كنَّا نقول: إنَّ إبراهيم حين جاء عَرَضَت عليه امرأة إسماعيل النزول، فأَبى أن يَنزِلَ، فجاءته بذا الحجر فوَضَعَته له، فقال: ليس كذلك. وهكذا أخرجه الإسماعيلي من طرق عن مَعمَر.

قوله: «**أوَّل ما اتَّخذَ النِّساءُ المِنْطَق**» بكسر الميم وسكون النُّون وفتح الطاء: هو ما يُشَدّ به الوَسَط، ووَقَعَ في رواية ابن جُرَيج: النُّطُق بضمِّ النُّون والطاء: وهو جمع مِنطَق، وكان السَّبَب في ذلك أنَّ سارةَ كانت وَهَبَت هاجَرَ لإبراهيم، فحَمَلَت منه بإسماعيل، فلمَّا ولَدَته غارَت منها فحَلَفَت لَتقطَعَنَّ منها ثلاثة أعضاء، فاتَّخذَت هاجَرُ مِنطَقاً فشَدَّت به وَسَطَها وهَرَبَت وجَرَّت ذَيلَها لتُخفِيَ أثرها على سارةَ، ويقال: إنَّ إبراهيم شَفَعَ فيها/ وقال لسارةَ: حَلِّلي يمينك بأن تَثقُبي أُذُنيها وتَخفِضيها، وكانت أوَّل مَن فعلَ ذلك. ووَقَعَ في رواية ابن عُلَيَّة عند الإسماعيلي: «أوَّل ما اتَّخذَت[٣] العرب جَرّ الذُّيول عن أمّ إسماعيل» وذكر الحديث. ٦/٤٠١

---

(١) في «أخبار مكة» له ٢/ ٣٩-٤١.

(٢) في (ع) و(س): فقرَّبت.

(٣) في (س): أحدث.

ويقال: إنَّ سارةَ اشتَدَّت بها الغَيْرة فخَرَجَ إبراهيمُ بإسماعيل وأُمّه إلى مكَّة لذلك. وروى ابن إسحاق عن ابن أبي نَجِيح عن مجاهد وغيره: إنَّ الله لمَّا بَوَّأ لإبراهيم مكان البيت خَرَجَ بإسماعيل وهو طِفل صغير وأُمّه، قال: وحُمِلوا فيما حُدِّثتُ على البُراق.

قوله: «حتَّى وَضَعَها» في رواية الكُشْمِيهني: **«فوَضَعَها»**.

قوله: «عند دَوْحة» بفتح المهمَلة وسكون الواو ثمَّ مُهمَلة: هي الشَّجَرة الكبيرة.

قوله: «فوق الزَّمزم» في رواية الكُشْمِيهني: **«فوق زمزم»** وهو المعروف، وسيأتي شرح أمرها في أوائل السيرة النبوية (٣٥٢٢).

قوله: «في أعْلى المسجد» أي: مكان المسجد، لأنَّه لم يكن حينئذٍ بُنيَ.

قوله: «وسِقاء فيه ماء» السِّقاء بكسر أوَّله: قِربة صغيرة، وفي رواية إبراهيم بن نافع عن كثير التي بعد هذه الرِّواية: **«ومعها شَنَّة»** بفتح المعجَمة وتشديد النّون: وهي القِرْبة العَتِيقة.

قوله: «ثمَّ قَفَّى إبراهيم» أي: ولّى راجِعاً إلى الشّام. وفي رواية ابن إسحاق: «فانصَرَفَ إبراهيم إلى أهله بالشّام وتَرَكَ إسماعيل وأُمّه عند البيت».

قوله: «فتَبِعَتْه أمّ إسماعيل» في رواية ابن جُرَيج: «فأدرَكَته بكَدَاء»، وفي رواية عمر بن شَبَّة من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبَير: أنَّها نادَته ثلاثاً فأجابَها في الثّالثة، فقالت له: مَن أمَرَك بهذا؟ قال: الله.

قوله: «إذاً لا يُضَيِّعَنا» في رواية عطاء بن السائب: «فقالت: لن يُضَيِّعنا»، وفي رواية ابن جُرَيج: «فقالت: حَسْبي»، وفي رواية إبراهيم بن نافع عن كثيرٍ المذكورة بعد هذا الحديث في الباب: «فقالت: رضيت بالله».

قوله: «حتَّى إذا كان عند الثَّنيَّة» بفتح المثلَّثة وكسر النُّون وتشديد التَّحتانية، وقوله: «من طريق كَدَاء» بفتح الكاف ممدود: هو الموضع الذي دَخَلَ النبي ﷺ مكَّة منه، وهو معروف، وقد مضى الكلام عليه في الحجّ (١٥٧٦)، ووَقَعَ في رواية الأَصِيلي: «البَنِيّة» بالموحَّدة بدل المثلَّثة، وهو تصحيف، وضَبَطَ ابن الجَوْزي كُدَى بالضَّمِّ والقصر، وقال:

هي التي بأسفل مكَّة عند قُعَيقِعان، قال: لأنَّه وَقَعَ في الحديث: أنَّهم نزلوا بأسفَل مكَّة. قلت: وذلك ليس بمانعٍ أن يَرجِعَ من أعلى مكَّة، فالصَّواب ما وَقَعَ في الأُصول بفتح الكاف والمدّ.

قوله: «﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾» في رواية الكُشْمِيهني: «ربِّ إنِّي أسكَنتُ»، والأوَّل هو الموافق للتِّلاوة.

قوله: «**حتَّى إذا نَفِدَ ما في السِّقاء عَطِشَتْ**» زاد الفاكِهي من حديث أبي جَهْم: «فانقَطَعَ لبنُها»، وفي رواية: «وكان إسماعيلُ حينئذٍ ابن ستَّين».

قوله: «**فجَعَلَت تنظُر إليه يَتَلوَّى، أو قال: يَتَلبَّط**» في رواية الكُشْمِيهني: «يَتَلَمَّظ»، وهي رواية مَعمَر أيضاً، ومعنى «يَتَلبَّط» وهو بموحَّدةٍ ومُهمَلة: يَتمرَّغ ويَضرِب بنفسِه الأرض، ويَقرُب منها رواية عطاء بن السائب: «فلمَّا ظَمِئَ إسماعيل جَعَلَ يَضرِب الأرض بعَقِبَيه»، وفي رواية إبراهيم بن نافع[1]: «كأنَّه يَنشَغُ للموت» وهو بفتح الياء وسكون النُّون وفتح المعجَمة بعدها غَين مُعجَمة، أي: يَشهَقُ ويَعلُو صوته ويَنخَفِض كالذي ينازِع.

قوله: «**ثمَّ استقبَلَت الوادي**» في رواية عطاء بن السائب: «والوادي يومَئذٍ عميق»، وفي حديث أبي جَهْم: «تَستَغيث ربَّها وتدعوه».

قوله: «**ثمَّ سَعَت سَعْيَ الإنسان المجهود**» أي: الذي أصابه الجَهْد، وهو الأمر المُشِقّ.

قوله: «**سبعَ مرَّات**» في حديث أبي جَهْم: «وكان ذلك أوَّل ما سُعيَ بين الصَّفا والمروَة»، وفي رواية إبراهيم بن نافع: «أنَّها كانت في كلّ مرَّة تَتَفَقَّد إسماعيل وتَنظُر ما حَدَثَ له بعدها»، وقال في روايته: «فلم تُقِرَّها نفسُها» وهو بضمِّ أوَّله وكسر القاف، ونفسها بالرفع الفاعل، أي: لم تَترُكها نفسها مُستَقِرَّة فتُشاهدَه في حال الموت فرَجَعَت، وهذا في المرَّة الأخيرة.

قوله: «**فقالت: صَهٍ**»/ بفتح المهمَلة وسكون الهاء وبكسرها مُنوَّنة، كأنَّها خاطَبَت نفسها ٤٠٢/٦

(١) أي: التي عند البخاري برقم (٣٣٦٥).

فقالت لها: اسكُتي، وفي رواية إبراهيم بن نافع وابن جُرَيج[١]: «فقالت: أَغِثني إن كان عندك خير».

قوله: «إن كان عندك غَوَاثٌ» بفتح أوَّله للأكثر وتخفيف الواو وآخره مُثلَّثة، قيل: وليس في الأصوات فَعَالٌ بفتح أوَّله غيره، وحكَى ابن الأثير ضَمَّ أوَّله، والمراد به على هذا المستَغيثُ، وحكَى ابن قُرقُولٍ كسرَه أيضاً، والضَّمّ رواية أبي ذرٍّ، وجزاء الشَّرط محذوف تقديره: فأَغِثْني.

قوله: «فإذا هي بالمَلَك» في رواية إبراهيم بن نافع وابن جُرَيج: فإذا جِبْريل، وفي حديث عليّ عند الطَّبَري (١/ ٥٥١) بإسنادٍ حسنٍ: فناداها جِبْريل فقال: مَن أنتِ؟ قالت: أنا هاجَرُ أمُّ ولدِ إبراهيمَ، قال: فإلى مَن وَكَلَكما؟ قالت: إلى الله، قال: وَكَلَكما إلى كافٍ[٢].

قوله: «فبَحَثَ بعَقِبِه، أو قال: بجناحه» شَكٌّ من الراوي، وفي رواية إبراهيم بن نافع: «فقال بعَقِبِه هكذا، وغَمَزَ عَقِبَه على الأرض» وهي تُعيِّن أنَّ ذلك كان بعَقِبِه. وفي رواية ابن جُرَيج: «فركَضَ جِبْريلُ برِجلِه»، وفي حديث عليّ: ففَحَصَ الأرض بإصبَعِه، فنَبَعَت زَمزَم، وقال ابن إسحاق في روايته: فزَعَمَ العلماءُ أنَّهم لم يزالُوا يَسمَعونَ أنَّها همزةُ جِبْريلَ.

قوله: «حتَّى ظَهَرَ الماءُ» في رواية ابن جُرَيج: «ففاضَ الماء»، وفي رواية ابن نافع: «فانبَثَقَ الماء» وهي بنونٍ وموحَّدة ومُثلَّثة وقاف، أي: تَفَجَّرَ.

قوله: «فجَعَلَت تُحوِّضه» بحاءٍ مُهمَلة وضاد مُعجَمة وتشديد، أي: تجعله مِثل الحوض، وفي رواية ابن نافع: «فدَهِشَت أمُّ إسماعيل فجَعَلَت تَحفِر»، وفي رواية الكُشْمِيهني من رواية ابن نافع: «تَحفِن» بنونٍ بدل الرّاء، والأوَّل أصوَب، ففي رواية عطاء بن السائب: «فجَعَلَت تَفحَص الأرض بيدَيها».

---

(١) رواية إبراهيم عند البخاري (٣٣٦٥)، ورواية ابن جريج عند الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ٣٩-٤١ والفاكهي.

(٢) هذا موقوف على عليٍّ رضي الله عنه، والإسناد إليه ضعيف وليس كما قال الحافظ: حسنٌ، فإنَّ فيه مؤمَّل ابن إسماعيل، وهو سيئ الحفظ كثير الخطأ لا يُحتمل تفردُه، وقد وقع له في هذا الخبر ألفاظ منكرة.

قوله: «وتقول بيدِها هكذا» هو حكايةُ فعلها، وهذا من إطلاق القول على الفعل، وفي حديث عليّ: «فجَعَلَت تَحبِس الماء، فقال: دَعيهِ، فإنَّها رَوَاءٌ».

قوله: «لو تَرَكت زَمْزَم، أو قال: لو لم تَغرِف من زَمْزَم» شَكٌّ من الراوي، وفي رواية ابن نافع: «لو تَـرَكته»، وهذا القَدْر صَرَّحَ ابن عبَّاس برفعِه عن النبي ﷺ، وفيه إشعار بأنَّ جميع الحديث مرفوع.

قوله: «عَيناً مَعِيناً» أي: ظاهراً جارياً على وجه الأرض، وفي رواية ابن نافع: «كان الماء ظاهراً» فعلى هذا فقوله: «مَعيناً» صفة الماء، فلذلك ذكره، ومَعِين: بفتح أوَّله إن كان من عانَهُ، فهو بوَزنِ مَفعِل، وأصله مَعْيونٌ فحُذِفَت الواو، وإن كان من الـمَعْن: وهو المبالَغة في الطَّلَب، فهو بوَزْن فَعِيل.

قال ابن الجَوْزي: كان ظُهور زَمزَم نِعمةً من الله مَـحْضة بغير عمل عامل، فلمَّا خالَطَها تحويطُ هاجَرَ داخَلَها كسبُ البشر، فقُصِرَت على ذلك، فأغنى ذلك عن توجيه تذكير مَعِين، مع أنَّ الموصوف ـ وهو العين[1] ـ مؤنَّث.

قوله: «لا تَخافُوا الضَّيعة» بفتح المعجَمة وسكون التَّحتانية، أي: الهلاك، وفي حديث أبي جَهْم: «لا تَخافي أن يَنفَد الماء»، وفي رواية عليّ بن الوازع عن أيوب عند الفاكِهي: «لا تَخافي على أهل هذا الوادي ظَمأً، فإنَّها عين يَشرَب بها ضِيفانُ الله»، زاد في حديث أبي جَهْم: «فقالت: بَشَّرَكِ الله بخيرٍ».

قوله: «فإنَّ هذا بيت الله» في رواية الكُشْمِيهني: «فإنَّ هاهنا بيتَ الله».

قوله: «يَبْني هذا الغلام» كذا فيه بحذفِ المفعول، وفي رواية الإسماعيلي: «يبنيه»، زاد ابن إسحاق في روايته: «وأشارَ لها إلى البيت وهو يومَئذٍ مَدَرةٌ حمراءُ فقال: هذا بيت الله العَتيق، واعلَمي أنَّ إبراهيم وإسماعيل يَرفَعانِه».

قوله: «وكان البيت مُرْتَفِعاً من الأرض كالرَّابِية» بالموحَّدة ثمَّ المثنّاة، وروى ابن أبي حاتم

---

(١) تحرف في (س) إلى: المعين.

من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص قال: لمَّا كان زمن الطُّوفان رُفِعَ البيت، وكان الأنبياء يَحُجّونَه ولا يعلمونَ مكانه، حتَّى بَوَّأه الله لإبراهيم وأعلَمَه مكانه [1]، وروى البيهقي في «الدَّلائل» (٢/ ٤٤-٤٥) من طريق أُخرى عن عبد الله بن عَمْرو مرفوعاً: «بَعَثَ الله جِبْريل إلى آدم فأمَرَه ببناءِ البيت، فبناه آدم، ثمَّ أمَرَه بالطَّواف به وقيل له: أنتَ أوَّل الناس، وهذا أوَّل بيت وُضِعَ للنَّاس»[2]، وروى عبد الرَّزّاق عن ابن جُرَيج عن عطاء: أنَّ آدم أوَّل مَن بنى البيت، وقيل:/ بَنَته الملائكة قبله، وعن وَهْب بن مُنبِّه: أوَّل مَن بناه شِيثُ بن آدم. والأوَّل أثبَت، وسيأتي مَزِيد لذلك آخر شرح هذا الحديث. ٤٠٣/٦

قوله: «فكانت» أي: هاجَرُ «كذلك» أي: على الحال الموصوفة، وفيه إشعار بأنَّها كانت تَغْتَذي بماءِ زَمزَم، فيَكفِيها عن الطَّعام والشَّراب.

قوله: «حتَّى مرَّت بهم رُفْقة» بضمِّ الرّاء وسكون الفاء ثمَّ قاف: وهم الجماعة المختَلِطونَ، سواء كانوا في سَفَر أم لا.

قوله: «من جُرْهُم» هو ابن قَحْطان بن عامر بن شالَخ بن أَرفَخشَذ بن سام بن نوح، وقيل: ابن يَقطُن، قال ابن إسحاق[3] : وكان جُرهم وأخوه قَطُورا أوَّل مَن تَكلَّمَ بالعربية عند تَبَلْبُل الألسُن، وكان رئيس جُرهم مُضاض بن عَمْرو، ورئيس قَطورا السَّمَيدَع، ويُطلَق على الجميع جُرهُم، وفي رواية عطاء بن السائب: وكانت جُرهم يومئذٍ بوادٍ قريب من مكَّة، وقيل: إنَّ أصلهم من العَمالقةِ.

قوله: «مُقبِلينَ من طريق كَدَاء فنزلوا في أسفَل مكَّة» وَقَعَ في جميع الرِّوايات بفتح الكاف والمدّ، واستَشكَلَه بعضهم بأنَّ كَداء بالفتح والمدّ في أعلى مكَّة، وأمَّا الذي في أسفل مكَّة فبالضَّمِّ والقصر، يعني: فيكون الصَّواب هنا بالضَّمِّ والقصر، وفيه نظر؛ لأنَّه لا مانع أن

---

(١) وأخرجه بهذا اللفظ أيضاً الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٤٦-٥٤٧ من طريق أبي قلابة عن عبد الله بن عمرو، وأبو قلابة لا يُعرَف له سماع من عبد الله.

(٢) وإسناده ضعيف، في إسناده غير راوٍ مجروحٍ.

(٣) انظر «السيرة» لابن هشام ١/ ١١١.

يَدخُلوها من الجِهَة العُليا ويَنزِلوا من الجِهَة السُّفلى.

قوله: «فرَأَوْا طائراً عائفاً» بالمهمَلة والفاء: هو الذي يَحُوم على الماء ويَتَرَدَّد ولا يمضي عنه.

قوله: «فأرسَلوا جَرِيّاً» بفتح الجيم وكسر الرّاء وتشديد التَّحتانية، أي: رسولاً، وقد يُطلَق على الوكيل وعلى الأجير، قيل: سُمّي بذلك لأنَّه يَجري مَجرى مُرسِله أو موكِّله، أو لأنَّه يجري مُسرِعاً في حوائجه، وقوله: «جَرِيّاً أو جَرِيَّين» شَكٌّ من الراوي: هل أرسَلوا واحداً أو اثنينِ، وفي رواية إبراهيم بن نافع: «فأرسَلوا رسولاً»[1]، ويَحتَمِل الزّيادة على الواحد، ويكون الإفراد باعتبار الجِنس لقوله: «فإذا هم بالماء» بصيغة الجمع، ويحتمل أن يكون الإفراد باعتبار المقصود بالإرسال، والجمع باعتبار مَن يَتبَعُه من خادِم ونحوه.

قوله: «فألفَى ذلك» بالفاءِ، أي: وَجَدَ «**أُمَّ إسماعيل**» بالنَّصبِ على المفعولية «**وهي تُحِبّ الأُنسَ**» بضمِّ الهمزة: ضِدّ الوَحْشة، ويجوز الكسر، أي: تُحِبّ جِنسَها.

قوله: «وشَبَّ الغلام» أي: إسماعيل، وفي حديث أبي جَهْم: ونَشَأ إسماعيل بين وِلْدانهم.

قوله: «وتَعلَّمَ العربيةَ منهم» فيه إشعار بأنَّ لسان أمّه وأبيه لم يكن عربياً، وفيه تضعيف لقولِ مَن روى أنَّه أوَّل مَن تَكلَّمَ بالعربية، وقد وَقَعَ ذلك من حديث ابن عبَّاس عند الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٥٥٢-٥٥٣) بلفظ: أوَّل مَن نَطَقَ بالعربية إسماعيل[2]، وروى الزُّبَير بن بَكّارٍ في «النَّسَب» من حديث عليّ بإسنادٍ حسنٍ قال: أوَّل مَن فتَقَ الله لسانه بالعربية الـمُبِينة إسماعيل؛ وبهذا القَيْد يُجمَع بين الخبرَين، فتكون أوَّليَّتُه في ذلك بحَسَبِ الزّيادة في البيان، لا الأوَّلية المطلَقة، فيكون بعدَ تعلُّمه أصلَ العربية من جُرهم ألهَمَه الله العربية الفصيحة الـمُبِينة، فنَطَقَ بها، ويَشهَد لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشَّرقي بن قَطَاميّ: أنَّ عربية إسماعيل كانت أفصَحَ من عربيّة يَعرُب بن قَحطان وبقايا حِمير وجُرهم. ويحتمل أن تكون الأوَّلية في الحديث مُقيَّدة بإسماعيل بالنِّسبة إلى بقيّة إخوَته من ولد إبراهيم، فإسماعيل أوّل

(١) لفظ رواية إبراهيم بن نافع عند البخاري (٣٣٦٥): فبعثوا رسولهم.

(٢) وهو على وقفه إسناده ضعيف جداً.

مَن نَطَقَ بالعربية من ولد إبراهيم، وقال ابن دُرَيدٍ في «كتاب الوِشاح»: أَوَّل مَن نَطَقَ بالعربية يَعرُب بن قَحْطان ثمَّ إسماعيل. قلت: وهذا لا يوافق مَن قال: إنَّ العرب كلَّها من ولد إسماعيل، وسيأتي الكلام فيه في أوائل السِّيرة النَّبوية (٣٥٠٧).

قوله: «وأنفَسَهم» بفتح الفاء بلفظ أفعَل التَّفضيل من النَّفاسة، أي: كَثُرَت رغبتُهم فيه، ووَقَعَ عند الإسماعيلي: «وأنَسَهم» بغير فاء من الأُنس، وقال الكِرْماني: «أنفَسهم» أي: رغَّبهم في مُصاهَرَته لنَفاسَتِه عندهم، وقال ابن الأثير: «أنفَسَهم» عَطفاً على قوله: «تعلَّمَ العربية» أي: رَغَّبَهم فيه إذ صارَ نفيساً عندهم.

قوله: «زَوَّجوه امرأةً منهم» حَكَى الأزرَقي عن ابن إسحاق: أنَّ اسمها عُمارة بنت سعد ابن أُسامة، وفي حديث أبي جَهْم: أنَّها/ بنت صُدَي، ولم يُسمِّها، وحَكَى السُّهَيلي أنَّ اسمها جُدَيّ بنت سعد، وعند عمر بن شَبَّة: أنَّ اسمها حُبَّى بنت أسعَد بن عَملَق، وعند الفاكِهي عن ابن إسحاق: أنَّه خطَبَها إلى أبيها فزَوَّجها منه. ٦/٤٠٤

قوله: «وماتتْ» هاجَرُ، أي: في خِلال ذلك.

قوله: «فجاء إبراهيم بعدَما تزوَّجَ إسماعيل» في رواية عطاء بن السائب: «فقَدِمَ إبراهيم وقد ماتت هاجَر».

قوله: «يُطالِعُ تَرِكَته» بكسر الرّاء، أي: يَتَفَقَّد حال ما تَرَكَه هناك، وضَبَطَها بعضهم بالسُّكون وقال: التَّرِكة بالكسر: بيض النَّعام، ويقال لها: التَّرِيكة، قيل لها ذلك لأنَّها حين تبيض تَترُك بيضَها وتذهب، ثمَّ تعود تَطلُبه فتَحضُن ما وَجَدَت سواء كان هو أم غيره، وفيها ضَرَبَ الشّاعر المثَل بقوله:

كتارِكَةٍ بيضَها بالعَراءِ وحاضنةٍ بيضَ أُخرى صَباحا

قال ابن التِّين: هذا يُشعِر بأنَّ الذَّبيح إسحاق؛ لأنَّ المأمور بذَبحِه كان عندما بَلَغَ السَّعيَ، وقد قال في هذا الحديث: إنَّ إبراهيم تَرَكَ إسماعيل رضيعاً وعادَ إليه وهو مُتزوِّج، فلو كان هو المأمورَ بذَبحِه لَذُكِرَ في الحديث أنَّه عادَ إليه في خِلال ذلك بين زمان الرَّضاع والتَّزويج،

وتُعقِّبَ بأنَّه ليس في الحديث نفيُ هذا المجيء، فيحتمل أن يكون جاء وأُمِرَ بالذَّبحِ ولم يُذكَر في الحديث.

قلت: وقد جاء ذِكْر مجيئِه بين الزَّمانَين في خبر آخر، ففي حديث أبي جَهْم[1]: «كان إبراهيم يزور هاجَرَ كلّ شهر على البُراق، يَغدُو غَدوَة فيأتي مكَّة ثمَّ يَرجِع فيَقِيل في مَنزِله بالشّام»، وروى الفاكِهي من حديث عليّ بإسنادٍ حسنٍ نحوه، وأنَّ إبراهيم كان يزور إسماعيل وأُمَّه على البُراق، فعلى هذا فقوله: «فجاء إبراهيم بعدَما تزوَّجَ إسماعيل» أي: بعد مجيئِه قبل ذلك مِراراً، والله أعلم.

قوله: «فقالت: خَرَجَ يَبتَغي لنا» أي: يَطلُب لنا الرِّزق، وفي رواية ابن جُرَيج: «وكان عَيشُ إسماعيل الصَّيد يَخرُج فيَتَصَيَّد»، وفي حديث أبي جَهْم: «وكان إسماعيل يرعى ماشيتَه ويَخرُج مُتنكِّباً قَوسَه فيرمي الصَّيد»، وفي حديث ابن إسحاق: «وكانت مَسارحُه التي يرعى فيها السِّدرة إلى السِّرِّ من نواحي مكَّة».

قوله: «ثمَّ سألَها عن عَيشِهم» زاد في رواية عطاء بن السائب: «وقال: هل عندك ضيافةٌ؟».

قوله: «فقالت: نحنُ بشَرٍّ، نحنُ في ضيق وشِدَّة، فشَكَت إليه» في حديث أبي جَهْم: «فقال لها: هل من مَنزِل؟ قالت: لاها اللّٰهِ إذَن، قال: فكيف عَيشُكم؟ قال: فذكرت جَهداً فقالت: أمَّا الطَّعام فلا طعام، وأمَّا الشّاءُ فلا تَحلُب إلّا المِصْر - أي: الشَّخْب - وأمَّا الماء فعلى ما ترى من الغِلَظ». انتهى، والشَّخْب، بفتح المعجَمة وسكون الخاء المعجَمة ثمَّ موحَّدة: السَّيَلان.

قوله: «جاءنا شيخ كذا وكذا» في رواية عطاء بن السائب: «كالمستَخِفَّة بشأنِه».

قوله: «عَتَبة بابك» بفتح المهمَلة والمثنّاة والموحَّدة: كِناية عن المرأة، وسَمّاها بذلك لمَا فيها من الصِّفات الموافقة لها: وهو حِفْظ الباب، وصَوْن ما هو داخله، وكونها مَحَلَّ الوَطْء.

ويُستَفاد منه أنَّ تغيير عَتَبة الباب يَصِحّ أن يكون من كِنايات الطَّلاق، كأن يقول مثلاً:

---

(١) هو عند الفاكهي في «أخبار مكة».

غَيِّرت عَتَبة بابي، أو عَتَبة بابي مُغيَّرة، ويَنوي بذلك الطَّلاق فيقع، أُخبِرت بذلك عن شيخنا الإمام البُلْقِيني، وتمامه التَّفريع على شرع مَن قبلنا إذا حكاه النبي ﷺ ولم يُنكِره.

قوله: «وتزوَّجَ منهم امرأة أُخرى» ذكر الواقدي وتَبِعَه المسعودي ثمَّ السُّهَيلي: أنَّ اسمها سامَةُ بنت مُهَلهِل بن سعد، وقيل: اسمها عاتكة، ورأيت في نُسخَة قديمة من «كتاب مكَّة» لعمر بن شَبَّة: أنَّها بَشَامة بنت مُهَلهِل بن سعد بن عَوْف، وهي مضبوطة «بَشَامة» بموحَّدةٍ ثمَّ مُعجَمة خفيفة قال: وقيل: اسمها جدة[1] بنت الحارث بن مُضَاض، وحَكَى ابن سعد عن ابن إسحاق أنَّ اسمها رَعْلة بنت مضاض بن عَمْرو الجُرهمية، وعن ابن الكَلْبي: أنَّها رعلة بنت يَشجُب بن يَعرُب بن لَوْذان بن جُرهُم، وذكر الدّارَقُطني في «المختَلِف» أنَّ اسمها السَّيِّدة بنت مُضاض، وحكاه السُّهَيلي أيضاً، وفي حديث أبي جَهْم: «ونَظَرَ إسماعيل إلى/ بنت مضاض بن عَمْرو فأعجَبَتْه فخَطَبَها إلى أبيها فتزوَّجَها»، وحَكَى محمَّد بن أسعد[2] الجَوّاني أنَّ اسمها هالة بنت الحارث، وقيل: الـخَيفاء[3]، وقيل: سَلمى، فحَصَلنا من اسمها على ثمانية أقوال، ومن اسم أبيها على أربعة. ٦/٤٠٥

قوله: «نحنُ بخيرٍ وسَعَة» في حديث أبي جَهْم: «نحنُ في خير عيش بحَمدِ الله، ونحنُ في لَبَن كثير، ولحم كثير، وماء طيِّب».

قوله: «ما طعامكم؟ قالت: اللَّحْم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء» في حديث أبي جَهْم ذكر اللَّبَن مع اللَّحم والماء.

قوله: «اللهمَّ بارِكْ لهم في اللَّحْم والماء» في رواية إبراهيم بن نافع (٣٣٦٥): «اللهمَّ بارِكْ لهم في طعامهم وشرابهم، قال: قال أبو القاسم ﷺ: بَرَكَةٌ بدَعْوة إبراهيم» وفيه حذف

(١) كذا وقع عند الحافظ، ووقع اسمها في كتب التاريخ والأدب: جندلة، وانظر «الاشتقاق» لابن دريد ص٤١.

(٢) تحرف في (س) إلى: سعد. وهو محمد بن أسعد بن علي، أبو علي، شرف الدِّين الجَوّاني المالكي، عالم بالأنساب، أصله من الموصل، مولده ووفاته بمصر، له «طبقات الطالبيين» و«تاج الأنساب»، توفي سنة ثمان وثمانين وخمس مئة. انظر «الأعلام» للزركلي ٦/ ٣١.

(٣) هكذا في (أ)، وفي (ع) و(س): الحنفاء.

تقديره: في طعام أهل مكَّة وشرابهم بَرَكة.

قوله: «فهما لا يَخْلو عليهما أحد بغيرِ مكَّة إلّا لم يوافقاه» في رواية الكُشْمِيهني: «لا يَخْلُوان» بالتَّثنية، قال ابن القُوطية: خَلَوتُ بالشيءِ واختَلَيتُ: إذا لم أخلِطْ به غيره، ويقال: أخلى الرجلُ اللَّبَن: إذا لم يشرب غيره.

وفي حديث أبي جَهْم: «ليس أحد يَخْلُو على اللَّحم والماء بغير مكَّة إلّا اشتَكى بطنه»، وزاد في حديثه وكذا في حديث عطاء بن السائب نحوه: «فقالت له: انزِلْ رَحِمَك الله فاطعَمْ واشرَب. قال: إنّي لا أستَطيع النُّزول. قالت: فإنّي أراك شَعِثاً، أفلا أغسِلُ رأسك وأدهنه؟ قال: بلى إن شئتِ. فجاءَتْه بالمقام، وهو يومئذٍ أبيض مِثل المَهاة، وكان في بيت إسماعيل مُلقًى فوَضَعَ قدمه اليُمنى وقَدَّمَ إليها شِقّ رأسه وهو على دابَّته، فغَسَلَت شِقّ رأسه الأيمَن، فلمَّا فَرَغَ حَوَّلَت له المقام حتَّى وَضَعَ قدمه اليُسرى وقدمَ إليها برأسِه، فغَسَلَت شِقّ رأسه الأيسَر، فالأثر الذي في المقام من ذلك، ظاهر فيه موضع العَقِب والإصبَع»، وعند الفاكِهي من وجه آخر عن ابن جُرَيج عن رجل عن سعيد بن جُبَير عن ابن عبَّاس: أنَّ سارةَ داخَلَتها غَيْرة، فقال لها إبراهيم: لا أنزِلُ حتَّى أرجِعَ إليك، ونحوه في رواية عطاء ابن السائب عند عمر بن شَبَّة.

قوله: «هل أتاكم من أحد؟» في رواية عطاء بن السائب: «فلمَّا جاء إسماعيل وَجَدَ ريح أبيه، فقال لامرأتِه: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجهاً، وأطيَبهم ريحاً».

قوله: «يُثبِّت عَتَبة بابه» زاد في حديث أبي جَهْم: «فإنَّها صلاحُ المنزِل».

قوله: «أن أُمْسِكَكِ» زاد في حديث أبي جَهْم: «ولقد كنت عليَّ كَرِيمة، وقد ازدَدتِ عليَّ كَرامةً، فوَلَدَت لإسماعيل عشرة ذُكور»، زاد مَعمَر[1] في روايته: «فسمعت رجلاً يقول: كان إبراهيم يأتي على البُراق» يعني: في كلّ مرَّة، وفي رواية عمر بن شَبَّة: «وأُعجِبَ إبراهيم بجدَّة بنت الحارث، فدَعا لها بالبَركة».

---

(١) وروايته عند الإسماعيلي في «المستخرج» كما سلف.

قوله: «يَبْرِي» بفتح أوَّله وسكون الموحَّدة، والنَّبْل ـ بفتح النُّون وسكون الموحَّدة ـ: السَّهم قبل أن يُركَّب فيه نَصْلُه وريشه، وهو السَّهم العربي. ووَقَعَ عند الحاكم (٢/ ٥٥١-٥٥٢) من رواية إبراهيم بن نافع في هذا الحديث: «يُصلِح بيتاً له»، وكأنَّه تصحيف، والذي في البخاري هو الموافق لغيرها من الرِّوايات.

قوله: «دَوْحة» هي التي نزلَ إسماعيل وأُمّه تحتها أوَّلَ قُدومهما كما تقدَّم، ووَقَعَ في رواية إبراهيم بن نافع[1]: «من وراءِ زَمزَمَ».

قوله: «فصَنَعا كما يَصْنَعُ الوالد بالولدِ، والولدُ بالوالد» يعني: من الاعتناق والمصافَحة وتقبيل اليد ونحو ذلك، وفي رواية مَعمَر: قال: سمعت رجلاً يقول: بَكَيا حتَّى أجابَهما الطَّير؛ وهذا إن ثَبَتَ يدلّ على أنَّه تَباعَدَ لقاؤُهما.

قوله: «إنَّ الله أمَرَني بأمرٍ» في رواية إبراهيم بن نافع: «إنَّ ربَّك أمَرَني أن أبنيَ له بيتاً»، ووَقَعَ في حديث أبي جَهْم عند الفاكِهي: «أنَّ عُمُرَ إبراهيم كان يومئذٍ مئة سنة، وعمر إسماعيل ثلاثينَ سنة».

قوله: «وتُعِينُني؟ قال: وأُعينك» في رواية الكُشْمِيهني: «فأُعينك» بالفاءِ، وفي رواية إبراهيم بن نافع: «إنَّ الله قد أمَرَني أن تُعينني عليه، قال: إذن أفعلَ» بنصب اللّام.

قال ابن التِّين: يحتمل أن يقال: أمَرَه الله أن يبنيَ أوَّلاً وحده، ثمَّ أمَرَه أن يُعينه إسماعيل، قال: فيكون الحديث الثّاني مُتأخِّراً بعد الأوَّل. قلت: ولا يخفى تكلُّفُه، بل الجمع بينهما مُمكِن بأن يكون أمَرَه أن/ يبني وأنَّ إسماعيل يُعينه، فقال إبراهيم لإسماعيل: إنَّ الله أمَرَني أن أبنيَ البيت وتُعِينني. وتَخلَّلَ بين قوله: أبني البيت، وبين قوله: وتُعِينني، قول إسماعيل: فاصنَع ما أمَرَكَ ربُّك. ٤٠٦/٦

قوله: «وأشارَ إلى أكَمة» بفتح الهمزة والكاف، وقد تقدَّم بيان ذلك في أوائل الكلام على هذا الحديث، وللفاكِهي من حديث عثمان: «فبناه إبراهيمُ وإسماعيل وليس معهما يومئذٍ

---

(١) عند المصنف (٣٣٦٥)، والحاكم ٢/ ٥٥١-٥٥٢.

غيرُهما» يعني: في مُشارَكتهما في البناء، وإلّا فقد تقدَّم أنَّه كان قد نزلَ الجُرْهُميونَ مع إسماعيل.

قوله: «رَفَعا القواعدَ من البيت» في رواية أحمد عن عبد الرَّزّاق عن مَعمَر عن أيوب عن سعيد عن ابن عبَّاس: القواعدُ التي رَفَعَها إبراهيم، كانت قواعد البيت قبل ذلك[1]، وفي رواية مجاهد عند ابن أبي حاتم[2]: أنَّ القواعد كانت في الأرض السابعة، ومن طريق سعيد ابن جُبَير عن ابن عبَّاس: رَفَعَ القواعد التي كانت قواعدَ البيت قبل ذلك، ومن طريق عطاء قال: قال آدم: يا ربِّ إنّي لا أسمَع أصوات الملائكة، قال: ابن لي بيتاً ثمَّ احفُفْ به كما رأيتَ الملائكة تَحُفّ ببيتي الذي في السماء[3].

وفي حديث عثمان وأبي جَهْم: «فبَلَغَ إبراهيمُ من الأساس، أساسِ آدم، وجَعَلَ طوله في السماء تِسعة أذرُع، وعَرضه في الأرض ـ يعني: دوْره ـ ثلاثينَ ذِراعاً»، وكان ذلك بذِراعهم، وزاد أبو جَهم: «وأدخَلَ الحِجْرَ في البيت، وكان قبل ذلك زَرْباً لغنم إسماعيل، وإنَّما بناه بحجارةٍ بعضُها على بعض، ولم يجعل له سَقفاً، وجَعَلَ له باباً، وحَفَرَ له بئراً عند بابه خِزانةً للبيت، يُلقى فيها ما يُهدَى للبيت»، وفي حديثه أيضاً: «إنَّ الله أوحى إلى إبراهيم: أنِ اتَّبع السَّكينة، فحَلَّقَت على موضع البيت كأنَّها سَحابة، فحَفَرا يريدان أساسَ آدم الأوَّل»، وفي حديث عليّ عند الطَّبَري (١/ ٥٥١) والحاكم (٢/ ٥٥١): رأى على رأسه في موضع البيت مِثلَ الغَمامة فيه مِثلُ الرَّأس، فكَلَّمَه فقال: يا إبراهيمُ، ابنِ على ظِلّي ـ أو على قَدْري ـ ولا تَزِدْ ولا تَنقُص، وذلك حين يقول الله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية [الحج:٢٦][4].

---

(١) لم نقف عليه عند أحمد في «المسند»، وهو في «مصنف عبد الرزاق» (٩١٠٧) بلفظ: فقاما يحفران عن القواعد، فعند ذلك رفع القواعد من البيت.

(٢) في «تفسيره» (١/ ٢٣١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٩٢).

(٤) هذا موقوف على عليٍّ، وإسناده إليه ضعيف كما أشرنا إلى ذلك فيما سلف ص ٨٠.

قوله: «جاء بهذا الحَجَر» يعني: المَقَام، وفي رواية إبراهيم بن نافع (٣٣٦٥): «حتَّى ارتَفَعَ البناء وضَعُفَ الشَّيخ عن نقل الحجارة، فقامَ على حَجَر المقام»، زاد في حديث عثمان[١]: «ونزلَ عليه الرُّكن والمقام، فكان إبراهيم يقوم على المقام يبني عليه ويَرفَعه له إسماعيل، فلمَّا بَلَغَ الموضعَ الذي فيه الرُّكن وَضَعَه يومئذٍ موضعه، وأَخَذَ المقام فجعله لاصقاً بالبيت، فلمَّا فَرَغَ إبراهيم من بناء الكعبة جاءه جِبْريل فأراه المناسكَ كلَّها، ثمَّ قامَ إبراهيم على المقام فقال: يا أيُّها الناس، أجِيبوا ربَّكم، فوَقَفَ إبراهيم وإسماعيل تلكَ المواقف، وحَجَّه إسحاقُ وسارةُ من بيت المَقدِس، ثمَّ رَجَعَ إبراهيم إلى الشّام فماتَ بالشّام».

وروى الفاكِهي بإسنادٍ صحيحٍ من طريق مجاهد عن ابن عبَّاس قال: «قامَ إبراهيم على الحجر فقال: يا أيُّها الناس، كُتِبَ عليكم الحجّ، فأسمَعَ مَن في أصلاب الرِّجال وأرحام النِّساء، فأجابَه مَن آمَنَ ومَن كان سَبَقَ في عِلم الله أنَّه يَحُجّ إلى يوم القيامة: لَبَّيكَ اللهمَّ لَبَّيكَ».

وفي حديث أبي جَهْم: «ذهب إسماعيلُ إلى الوادي يَطلُب حجراً، فنزلَ جِبْريل بالحجرِ الأسود، وقد كان رُفِعَ إلى السماء حين غَرِقَت الأرض، فلمَّا جاء إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال: من أين هذا، مَن جاءَك به؟ قال إبراهيم: مَن لم يَكِلْني إليك ولا إلى حجرك»، ورواه ابن أبي حاتم من طريق السُّدّي نحوه، وأنَّه كان بالهندِ وكان ياقوتةً بيضاءَ مِثل الثَّغَامة ـ وهي بالمثلَّثة والمعجَمة ـ: طير أبيض كبير، وروى الفاكِهي من طريق أبي بِشْر عن سعيد بن جُبَير عن ابن عبَّاس قال: والله ما بَنَياه بقَصَّةٍ ولا مَدَرٍ، ولا كان لهما من السَّعَة والأعوان ما يَسقُفانه، ومن حديث عليّ: كان إبراهيم يبني كلَّ يوم سافاً.

ومن حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص عنده وعند ابن أبي حاتم: أنَّه كان بناه من خمسة أجبُل: من حِراء وثَبيرٍ ولُبنان وجبل الطُّور وجبل الخَمَر، قال ابن أبي حاتم: جبل الخَمَر ـ يعني: بفتح الخاء المعجَمة ـ هو جبل بيت المَقدِس. وقال عبد الرَّزّاق (٩٠٩٢) عن ابن/ جُرَيج عن عطاء: إنَّ آدم بناه من خمسة أجبُل: حِراء وطور زِيتا وطور سَيْناءَ ٤٠٧/٦

(١) يعني عند الفاكهي في «أخبار مكة».

والجُودي ولُبنان، وكان رَبَضُه من حِراء، ومن طريق محمَّد بن طلحة التَّيْمي قال: سمعت أنَّه أَسَّسَ البيت من ستَّة أجبُل: من أبي قُبَيسٍ ومن الطّور ومن قُدْس ومن وَرِقان ومن رَضْوَى ومن أُحُد.

الطريق الثالثة: قوله: «حدَّثنا أبو عامر» هو العَقَدي، وإبراهيم بن نافع: هو المخزومي المكِّي.

قوله: «لمَّا كان بين إبراهيم وبين أهله» يعني: سارةَ **«ما كان»** يعني: من غَيْرة سارةَ لمَّا وَلدَت هاجَرُ إسماعيلَ، وقد مَضَت بقيَّة شرح الحديث ضِمن الذي قبله.

١٠- [باب]

الحديث الثالث عشر:

٣٣٦٦- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا عبدُ الواحِدِ، حدَّثنا الأعمَشُ، حدَّثنا إبراهيمُ التَّيْميُّ، عن أبيه، قال: سمعتُ أبا ذرٍّ ﷺ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّلُ؟ قال: «المسجدُ الحرامُ» قال: قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «المسجدُ الأقصَى» قلتُ: كم كان بينَهما؟ قال: «أربعونَ سنةً، ثمَّ أينَما أدرَكَتْكَ الصَّلاةُ بعدُ فصَلِّهْ، فإنَّ الفَضْلَ فيه».

[طرفه في: ٣٤٢٥]

قوله: «عبد الواحد» هو ابن زياد، وإبراهيم التَّيْمي: هو ابن يزيد بن شَريك، وفي رواية لمسلمٍ (٥٢٠/ ٢) وابن خُزَيمةَ (١٢٩٠) من طريق أُخرى عن الأعمَش عن إبراهيم التَّيْمي: كنت أنا وأبي نَجلِس في الطَّريق فيَعرِضُ عليَّ القرآن وأعرِضُ عليه، فقرأ القرآن فسَجَدَ، فقلت: تَسجُد في الطَّريق؟ قال: نعم، سمعت أبا ذرٍّ... فذكره. ٤٠٨/٦

قوله: «أيُّ مسجد وُضِعَ في الأرض أوَّلُ» بضمِّ اللّام، قال أبو البَقَاء: وهي ضَمَّة بناءٍ لقطعِهِ عن الإضافة، مثل: قبلُ وبعدُ، والتَّقدير: أوَّلُ كلّ شيء، ويجوز الفتح مصروفاً وغير مصروف.

قوله: «ثمَّ أيٌّ» بالتَّنوين وتَـرْكه كما تقدَّم في حديث ابن مسعود (٢٧٨٢): «أيّ

الأعمال أفضل»، وهذا الحديث يُفسِّر المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران:٩٦]، ويدلّ على أنَّ المراد بالبيت بيتُ العبادة لا مُطلَق البيوت، وقد وَرَدَ ذلك صريحاً عن عليٍّ أخرجه إسحاق بن راهويه وابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٧) وغيرهما بإسنادٍ صحيحٍ عنه قال: كانت البيوت قبلَه، ولكنَّه كان أوَّل بيت وُضِعَ لعبادة الله.

قوله: «المسجد الأقصى» يعني: مسجد بيت المَقدِس، قيل له: الأقصى لبُعدِ المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل: لأنَّه لم يكن وراءَه موضع عبادة، وقيل: لبُعدِه عن الأقذار والخبائث، والمَقدِس: المطهَّر عن ذلك.

قوله: «أربعونَ سنةً» قال ابن الجَوْزي: فيه إشكال، لأنَّ إبراهيم بنى الكعبة وسليمانُ بنى بيت المَقدِس، وبينهما أكثر من ألف سنة. انتهى، ومُستنَده في أنَّ سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النَّسائي (٦٩٣) من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص مرفوعاً بإسنادٍ صحيحٍ: «أنَّ سليمان لمَّا بنى بيت المَقدِس سألَ الله تعالى خِلالاً ثلاثاً» الحديث، وفي الطبراني (٤٤٧٧) من حديث رافع بن عميرةَ: «أنَّ داود عليه السلام ابتَدَأ ببناءِ بيت المَقدِس، ثمَّ أوحى الله إليه: إنِّي لأَقضِي بناءَه على يد سليمان» وفي الحديث قصَّة[1]، قال: وجوابه أنَّ الإشارة إلى أوَّل البناء ووَضْع أساس المسجد، وليس إبراهيمُ أوَّل مَن بنى الكعبة، ولا سليمان أوَّل مَن بنى بيت المَقدِس، فقد رُوينا أنَّ أوَّل مَن بنى الكعبة آدم، ثمَّ انتَشَرَ ولدُه في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وَضَعَ بيت المَقدِس، ثمَّ بنى إبراهيم الكعبةَ بنَصِّ القرآن، وكذا قال القُرطُبي: إنَّ الحديث لا يدلّ على أنَّ إبراهيم/ وسليمان لمَّا بَنَيا المسجدين ابتَدَآ وَضْعَهما لهما، بل ذلك تجديد لمَا كان أَسَّسَه غيرهما.

٦/٤٠٩

قلت: وقد مَشَى ابن حِبّان في «صحيحه» (٦٢٢٨) على ظاهر هذا الحديث فقال: في هذا الخبر رَدٌّ على مَن زَعَمَ أنَّ بين إسماعيل وداود ألفَ سنة؛ ولو كان كما قال لكان بينهما

(١) وفي إسناده محمد بن أيوب بن سويد، متَّهم بالوضع.

أربعونَ سنة، وهذا عين المحال لطولِ الزّمان بالاتّفاق بين بناء إبراهيم عليه السلام البيتَ وبين موسى عليه السلام، ثمَّ إنَّ في نَصِّ القرآن أنَّ قصَّة داود في قتل جالوتَ كانت بعد موسى بمُدَّةٍ. وقد تَعقَّبَ الحافظُ الضّياءُ بنحو ما أجابَ به ابن الجَوْزي.

وقال الخَطّابي: يُشبِه أن يكون المسجد الأقصى أوَّل ما وُضِعَ بناه بعضُ أولياء الله قبل داود وسليمان، ثمَّ داودُ وسليمان فزادا فيه ووَسَّعاه، فأُضيفَ إليهما بناؤُه، قال: وقد يُنسَب هذا المسجد إلى إيلِياءَ، فيحتمل أن يكون هو بانِيهِ أو غيره، ولست أُحقِّقُ لِمَ أُضيفَ إليه؟

قلت: الاحتمال الذي ذكره أوّلاً موجَّه، وقد رأيت لغيره أنَّ أوَّل مَن أسَّسَ المسجد الأقصى آدم عليه السلام، وقيل: الملائكة، وقيل: سام بن نوح عليه السلام، وقيل: يعقوب عليه السلام، فعلى الأوَّلَين يكون ما وَقَعَ ممَّن بعدهما تجديداً، كما وَقَعَ في الكعبة، وعلى الأخيرَين يكون الواقع من إبراهيم أو يعقوب أصلاً وتأسيساً، ومن داود تجديداً لذلك وابتداءَ بناءٍ فلم يَكمُل على يده حتَّى أكمَلَه سليمان عليه السلام، لكنَّ الاحتمال الذي ذكره ابن الجَوْزي أوجَهُ، وقد وَجَدتُ ما يَشهَد له ويُؤيِّد قول مَن قال: إنَّ آدم هو الذي أسَّسَ كلًّا من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التِّيجان»: أنَّ آدم لمَّا بنى الكعبة أمَرَه الله بالسَّير إلى بيت المَقدِس وأن يبنيَه، فبناه ونَسَكَ فيه، وبناء آدم للبيت مشهور، وقد تقدَّم قريباً حديث عبد الله بن عَمْرو: أنَّ البيت رُفِعَ زمنَ الطُّوفان حتَّى بَوَّأه الله لإبراهيم. وروى ابن أبي حاتم من طريق مَعمَر عن قَتادة قال: وَضَعَ الله البيت مع آدم لمَّا هَبَطَ، ففَقَدَ أصوات الملائكة وتسبيحهم، فقال الله له: يا آدم، إنّي قد أَهبَطتُ بيتاً يُطاف به كما يُطاف حول عَرشي، فانطَلِقْ إليه، فخَرَجَ آدمُ إلى مكَّة، وكان قد هَبَطَ بالهندِ، ومُدَّ له في خَطوِه، فأتى البيت فطافَ به. وقيل: إنَّه لمَّا صَلّى إلى الكعبة أُمِرَ بالتَّوَجُّه إلى بيت المَقدِس فاتَّخَذَ فيه مسجداً وصَلّى فيه ليكونَ قِبلة لبعضِ ذُرّيّته.

وأمَّا ظَنُّ الخَطّابي أنَّ إيلِيَاء اسم رجل، ففيه نظرٌ، بل هو اسم البلد فأُضيفَ إليه المسجد، كما

يقال: مسجد المدينة، ومسجد مكَّة. وقال أبو عُبيد البكري في «مُعجَم البلدان»: إيلِيَاء مدينة بيت المَقدِس، فيها ثلاث لُغات: مَدّ آخره، وقصرُه، وحذف الياء الأولى، قال الفَرَزدَق:

لَوَى ابنُ أبي الرَّقْراقِ عينَيهِ بعدَما دَنَا من أعالي إيلِيَاءَ وغَوَّرا

وعلى ما قاله الخَطّابي يُمكِن الجمع بأن يقال: إنّها سُمّيت باسم بانيها كغيرها، والله أعلم.

قوله: «فصَلِّهْ» بهاءٍ ساكنة، وهي هاء السَّكت، وللكُشْمِيهني بحذفِها.

قوله: «فإنَّ الفَضْل فيه» أي: في فعل الصلاة إذا حَضَرَ وقتُها، زاد من وجه آخر عن الأعمَش (٣٤٢٥) في آخره: «والأرض لك مسجد» أي: للصلاة فيه، وفي «جامع سفيان ابن عُيَينَةَ» عن الأعمَش: «فإنَّ الأرض كلَّها مسجد» أي: صالحة للصلاة فيها، ويُخَصُّ هذا العموم بما وَرَدَ فيه النَّهي، والله أعلم.

٣٣٦٧- حدَّثنا عبدُ الله بنُ مَسْلَمةَ، عن مالكٍ، عن عَمْرِو بنِ أبي عَمرٍو مولى المطَّلِبِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ طَلَعَ له أُحُدٌ، فقال: «هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه، اللهمَّ إنَّ إبراهيمَ حَرَّمَ مَكّةَ، وإنّي أُحَرِّمُ ما بينَ لابَتَيْها».

رواه عبدُ الله بنُ زيدٍ، عن النبيِّ ﷺ.

٣٣٦٨- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، أخبرنا مالكٌ، عن ابنِ شِهابٍ، عن سالم بنِ عبدِ الله: أنَّ ابنَ أبي بكرٍ أخبَرَ عبدَ الله بنَ عمرَ، عن عائشةَ رضي الله عنهم زوجِ النبيِّ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ألم تَرَيْ أنَّ قومَكِ لمَّا بَنَوُا الكَعْبةَ اقتَصَروا عن قواعدِ إبراهيمَ؟!» فقلتُ: يا رسولَ الله، ألا تَرُدُّها على قواعدِ إبراهيمَ؟ فقال: «لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكُفْر».

فقال عبدُ الله بنُ عمرَ: لَئِن كانت عائشةُ سمعَت هذا من رسولِ الله ﷺ، ما أَرَى أنَّ رسولَ الله ﷺ تَرَكَ استِلامَ الرُّكْنَين اللَّذَين يَلِيَانِ الحِجْرَ، إلّا أنَّ البيتَ لم يُتَمَّم على قواعدِ إبراهيمَ.

وقال إسماعيلُ: عبدُ الله بنُ محمَّدِ بنِ أبي بكرٍ.

٣٣٦٩- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، أخبرنا مالكُ بنُ أنسٍ، عن عبدِ الله بنِ أبي بكرِ بنِ

محمَّدِ بن عَمْرِو بنِ حَزْمٍ، عن أبيه، عن عَمْرِو بنِ سُلَيم الزُّرَقيِّ، أخبرني أبو حُميدٍ الساعدِيُّ ﷺ: أنَّهم قالوا: يا رسولَ الله، كيفَ نُصَلِّي عليكَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «قولوا: اللهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وأزواجِه وذُرِّيَّتِه، كما صَلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ، وبارِكْ على محمَّدٍ وأزواجِه وذُرِّيَّتِه، كما بارَكْتَ على آلِ إبراهيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

[طرفه في: ٦٣٦٠]

٣٣٧٠- حدَّثنا قيسُ بنُ حفصٍ وموسى بنُ إسماعيلَ، قالا: حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ، حدَّثنا أبو قُرَّةَ مسلمُ بنُ سالمٍ الهَمْدانيُّ، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ عيسى، سمعَ عبدَ الرحمن بنَ أبي ليلى، قال: لَقِيَني كَعْبُ بنُ عُجْرةَ، فقال: ألا أُهْدي لكَ هَدِيَّةً سمعتُها مِن النبيِّ ﷺ؟ فقلتُ: بَلَى، فأَهدِها لي، فقال: سألْنا رسولَ الله ﷺ فقُلْنا: يا رسولَ الله، كيفَ الصَّلاةُ عليكم أهلَ البيتِ؟ فإنَّ الله قد عَلَّمَنا كيفَ نُسلِّمُ، قال: «قولوا: اللهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صَلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، اللهمَّ بارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

[طرفاه في: ٤٧٩٧، ٦٣٥٧]

٣٣٧١- حدَّثنا عُثمانُ بنُ أبي شَيْبةَ، حدَّثنا جَريرٌ، عن منصورٍ، عن المِنْهال، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: كان النبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ، ويقول: «إنَّ أباكما كان يُعوِّذُ بها إسماعيلَ وإسحاقَ: أعوذُ بكلماتِ الله التامّةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامّةٍ».

الحديث الرابع عشر، والخامس عشر: حديثُ أنسٍ موصولاً وعبدِ الله بن زيد مُعلَّقاً في حَرَم المدينة وذِكْر أُحُد، والغرض منهما ذِكْر إبراهيم وأنَّه حَرَّم مكَّة، وقد تقدَّم الكلام عليهما في أواخر الحجّ، وتقدَّم حديث عبد الله بن زيد موصولاً هناك[1].

---

(١) حديث أنس سلف في أواخر الحج برقم (١٨٦٧) بمعناه، وأما حديث عبد الله بن زيد فسلف موصولاً في كتاب البيوع برقم (٢١٢٩) وليس في الحج.

الحديث السادس عشر: حديثُ عائشة في قصَّة بناء الكعبة، تقدَّم شرحه في أثناء الحجّ أيضاً (١٥٨٣).

قوله: «وقال إسماعيل: عبد الله بن أبي بَكْر» يعني: أنَّ إسماعيل بن أبي أُوَيْس روى الحديث المذكور عن مالك كما/ رواه عبد الله بن يوسف فقال بدل قول عبد الله بن ٦/٤١٠ يوسف: «أنَّ ابن أبي بكر أخبر»: «أنَّ عبد الله بن أبي بكر أخبَرَ»، وأبو بكر جَدُّ عبد الله المذكور هو الصِّدِّيق، وقد ساقَ المصنِّف حديث إسماعيل في التَّفسير (٤٤٨٤) ولفظه: «عبد الله بن محمَّد بن أبي بكر» وهو الواقع، وكأنَّه عند التَّعليق نَسَبَه لجدِّه، وأغفَلَ المِزِّيُّ ذِكْر هذا التَّعليق في أحاديث الأنبياء.

الحديث السابع عشر: حديثُ أبي حُميدٍ الساعدي في صفة الصلاة على النبي ﷺ، وسيأتي شرحه في الدَّعَوات (٦٣٦٠). والغرض منه قوله فيه: «كما صَلَّيتَ على إبراهيم».

الحديث الثامن عشر: حديثُ كعب بن عُجْرة في صفة الصلاة على النبي ﷺ، وسيأتي شرحه في الدَّعَوات أيضاً (٦٣٥٧)، وقد أورَدَه في أواخر تفسير الأحزاب (٤٧٩٧)، وتأتي الإشارة إليه هناك إن شاء الله تعالى.

ووَهِمَ المِزِّي في «الأطراف» فعَزَا رواية كعب بن عُجْرة هذه إلى الصلاة فقال: روى البخاري في الصلاة عن قيس بن حفص وموسى بن إسماعيل كلاهما عن عبد الواحد بن زياد... إلى آخر كلامه، واغتَرَّ بذلك شيخُنا ابن الملقِّن، فإنَّه لمَّا وَصَلَ إلى شرح هذا الحديث هنا أحالَ بشرحِه على الصلاة وقال: تقدَّم في الصلاة، وكأنَّه تَبِعَ شيخه مُغَلْطاي في ذلك فإنَّه كذلك صَنَعَ، ولم يَتقدَّم هذا الحديث عند البخاري في كتاب الصلاة أصلاً، والله الهادي إلى الصَّواب.

الحديث التاسع عشر: حديثُ ابن عبَّاس في التَّعويذ بكلمات الله التامَّة.

قوله: «حدَّثنا جَرِير» لعثمان بن أبي شَيْبة فيه شيخ آخر، أخرجه الإسماعيلي عن عِمران ابن موسى وإبراهيم بن موسى قالا: حدَّثنا عثمان بن أبي شَيْبة، حدَّثنا جَرِير وأبو حفص

الأَبّار ـ فرَّقَها ـ عن منصور.

قوله: «**عن منصور**» هو ابن المعتمِر «**عن المِنهال**» هو ابن عَمْرو، والإسناد إلى سعيد بن جُبَير كوفيُّونَ، وقد رواه النَّسائي (ك١٠٧٨٠) من طريق جَرِير عن الأعمَش عن المِنهال فقال: «عن عبد الله بن الحارث» بدل سعيد، ولم يَذكُر فيه: عن ابن عبَّاس، ورواه الإسماعيلي من طريق أبي حفص الأبَّار عن الأعمَش ومنصور، فحَمَلَ رواية الأعمش على رواية منصور، والصَّواب التَّفصيل، ولذلك لم يُخرِّج البخاريُّ[1] رواية الأبّار.

قوله: «**إنَّ أباكما**» يريد إبراهيم عليه السلام، وسَمّاه أباً لكَونِه جَدّاً أَعلى.

قوله: «**بكلمات الله**» قيل: المراد بها كلامه على الإطلاق، وقيل: أقضيتُه، وقيل: ما وَعَدَ به كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٧]، والمراد بها قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥]، والمراد بالتامَّة: الكاملة، وقيل: النافعة، وقيل: الشّافية، وقيل: المبارَكة، وقيل: القاضية التي تَمْضي وتَستَمِرُّ، ولا يَرُدُّها شيء، ولا يَدخُلها نقص ولا عَيْب.

قال الخَطّابي: كان أحمد يَستَدِلّ بهذا الحديث على أنَّ كلام الله غيرُ مخلوق، ويَحتَجُّ بأنَّ النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوقٍ.

قوله: «**من كلّ شيطان**» يَدخُل تحته شياطين الإنس والجِنّ.

قوله: «**وهامَّة**» بالتَّشديد: واحدة الهوامّ ذوات السُّموم، وقيل: كلّ ما له سُمٌّ يَقتُل، فأمَّا ما لا يَقتُل سمُّه فيقال له: السَّوَامّ، وقيل: المراد كلّ نَسَمة تَهُمُّ بسوءٍ.

قوله: «**ومن كلّ عين لامَّة**» قال الخَطّابي: المراد به كلُّ داء وآفة تُلِمّ بالإنسان من جنون وخَبَل. وقال أبو عُبيد: أصله من ألْـمَمْت إلماماً، وإنَّما قال: «لامَّة» لأنَّه أراد أنَّها ذات لَـمَمٍ، وقال ابن الأنباري: يعني أنَّها تأتي في وقتٍ بعدَ وقت، وقال: «لامَّة» ليُؤاخيَ لفظ: «هامَّة» لكَونِه أخَفَّ على اللِّسان.

---

(١) لفظ «البخاري» سقط من (س).

١١- باب قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾ الآية

﴿لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر:٥١-٥٣]: لا تَخَفْ

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية [البقرة:٢٦٠]

٣٣٧٢- حدَّثنا أحمدُ بنُ صالحٍ، حدَّثنا ابنُ وَهْب، قال: أخبرني يونسُ، عن ابنِ شِهابٍ، عن أبي سَلَمةَ بنِ/ عبدِ الرحمن وسعيد بنِ المسيّبِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «نحنُ أحقُّ بالشَّكِّ من إبراهيمَ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، ويرحمُ اللهُ لُوطاً، لقد كانَ يَأوِي إلى رُكْنٍ شديدٍ، ولو لَبِثْتُ في السِّجْنِ طولَ ما لَبِثَ يوسفُ، لأجَبتُ الدّاعيَ».

[أطرافه في: ٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢]

٤١١/٦ **قوله: «باب قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية، ﴿لَا تَوْجَلْ﴾: لا تَخَفْ»** كذا اقتَصَرَ في هذا الباب على تفسير هذه الكلمة، وبذلك جَزَمَ الإسماعيلي وقال: ساقَ الآيتَين بلا حديث. انتهى، والتَّفسير المذكور مَرويٌّ عن عِكْرمة عند ابن أبي حاتم، ولعلَّه كان عَقِبَ هذا في الأصل بياضٌ فحُذِفَ.

وقصَّة أضياف إبراهيم أورَدَها ابن أبي حاتم من طريق السُّدِّي مُبيَّنة، وفيها: أنَّه لمَّا قَرَّبَ إليهم العِجلَ قالوا: إنّا لا نأكُل طعاماً إلّا بثَمَنٍ، قال إبراهيم: إنَّ له ثَمَناً، قالوا: وما ثَمَنُه؟ قال: تَذكُرونَ اسم الله على أوَّله، وتَحمَدونَه على آخره، قال: فنَظَرَ جِبْريل إلى ميكائيلَ فقال: حُقَّ لهذا أن يَتَّخِذه ربُّه خليلاً، فلمَّا رأى أنَّهم لا يأكلونَ فَزِعَ منهم. ومن طريق عثمان بن مِحصَن قال: كانوا أربعةً: جِبْريل وميكائيل وإسرافيل ورَفاييل. ومن طريق نوح بن أبي شَدّاد: أنَّ جِبْريل مَسَحَ بجناحَيه العِجلَ فقامَ يَدرُج حتَّى لَحِقَ بأُمِّه في الدّار.

قوله: «﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾» كذا وَقَعَ هذا الكلام لأبي ذرٍّ مُتَّصِلاً بالباب، ووَقَعَ في رواية كَريمة بدلَه[1] قولُه: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، وحَكَى

(١) في (س): بدل، وهو خطأ.

الإسماعيلي أنَّه وَقَعَ عنده: «باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ ...﴾» إلى آخره، وسقط كلُّ ذلك للنَّسَفي، فصارَ حديث أبي هريرة تكملةَ الباب الذي قبله، فكَمُلَت به الأحاديث عشرينَ حديثاً، وهو مُتَّجِه.

قوله: «عن أبي سَلَمةَ بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيّب» في رواية الطَّبَري (٣/ ٤٩) من طريق عَمْرو بن الحارث عن يونس عن الزُّهْري: «أخبرني أبو سَلَمةَ وسعيد» كذا قال يونس بن يزيد عن الزُّهْري، ورواه مالك عن الزُّهْري فقال: أنَّ سعيد بن المسيّب وأبا عُبيدٍ[1] أخبَراه عن أبي هريرة، وسيأتي ذلك للمصنِّف قريباً (٣٣٨٧)، وتابَعَ مالكاً أبو أُوَيس عن الزُّهْري، أخرجه أبو عَوَانة (٢٣٢) من طريقه، ورَجَحَ ذلك عند النَّسائي (ك١٠٩٨٤) فاقتَصَرَ عليه، وكأنَّ البخاري جَنَحَ إلى تصحيح الطَّريقَين فأخرجها معاً، وهو نظرٌ صحيح، لأنَّ الزُّهْري صاحب حديث، وهو معروف بالرِّواية عن هؤلاءِ، فلعلَّه سمعَه منهم جميعاً، ثمَّ هو من الأحاديث التي حدَّث بها مالك خارج «الموطَّأ» واشتهرَ أنَّ جُوَيرِيةَ تفرَّد به عنه، ولكن تابَعَه سعيد بن داود عن مالك، أخرجه الدّارَقُطني في «غرائب مالك» من طريقه[2].

قوله: «نحنُ أحقّ بالشكِّ من إبراهيم» سقط لفظُ «الشكّ» من بعض الرِّوايات.

واختَلَفَ السَّلَف في المراد بالشكِّ هنا، فحَمَلَه بعضهم على ظاهره وقال: كان ذلك قبل النبوَّة، وحَمَلَه أيضاً الطَّبَري على ظاهره وجَعَلَ سببَه حُصول وَسوَسة الشيطان، لكنَّها لم تَستَقِرَّ ولا زَلزَلَت الإيمان الثّابت، واستَنَدَ في ذلك إلى ما أخرجه هو وعبد بنُ حُميدٍ وابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٩) والحاكم (١/ ٦٠و٤/ ٢٦٠-٢٦١) من طريق عبد العزيز الماجِشُون عن محمَّد بن المنكَدِر عن ابن عبَّاس قال: أرجى آية في القرآن هذه الآية: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ الآية، قال ابن عبَّاس: هذا لمَا يَعرِضُ في الصُّدور ويُوَسوِس به الشيطان، فرضيَ الله

---

(١) تحرف في الأصلين و(س) إلى: عبيدة، وأبو عبيدٍ هذا: هو سعد بن عبيدٍ مولى عبد الرحمن بن أزهر.

(٢) وأخرجه من طريقه أيضاً الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٢٨).

من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى، ومن طريق مَعمَر عن قَتَادة عن ابن عبَّاس نحوه، ومن طريق عليّ بن زيد عن سعيد بن المسيّب عن ابن عبَّاس نحوه، وهذه طرق يَشُدّ بعضُها بعضاً، وإلى ذلك جَنَحَ عطاء، فروى ابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٨) من طريق ابن جُرَيج: سألت عطاءً عن هذه الآية قال: دَخَلَ قلبَ إبراهيمَ بعضُ/ ما يَدخُل قلوبَ الناس، فقال ذلك، وروى الطَّبَري (٣/ ٤٧) من طريق سعيد عن قَتَادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ إبراهيم أتى على دابَّة تَوَزَّعَتها الدَّوابُّ والسِّباع، ومن طريق حَجّاج عن ابن جُرَيج قال: بَلَغَني أنَّ إبراهيم أتى على جِيفَة حِمار عليه السِّباع والطَّير، فعَجِبَ وقال: ربِّ لقد عَلمتُ لَتَجمَعَنَّها، ولكن ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتى. ٦/ ٤١٢

وذهب آخرونَ إلى تأويل ذلك، فروى الطَّبَري وابن أبي حاتم من طريق السُّدّي قال: لمَّا اتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً استأذَنه مَلَك الموت أن يُبشِّره، فأذِنَ له؛ فذكر قصَّة معه في كيفية قَبْض روح الكافر والمؤمن، قال: فقامَ إبراهيم يَدعُو ربَّه: ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتى حتَّى أعلمَ أنّي خليلُك، وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي العَوّام عن أبي سعيد قال: ليطمَئِنَّ قلبي بالخُلَّة، ومن طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جُبَير قال: ليطمَئِنَّ قلبي أنّي خليلُك، ومن طريق الضَّحّاك عن ابن عبَّاس: لأعلمَ أنَّك أجَبْتَ دُعائي، ومن طريق عليّ بن أبي طلحة عنه: لأعلم أنَّك تُجيبني إذا دَعَوتُك. وإلى هذا الأخير جَنَحَ القاضي أبو بكر الباقِلّاني.

وحَكَى ابن التِّين عن الدّاوودي الشّارح أنَّه قال: طلبَ إبراهيمُ ذلك لتذهبَ عنه شِدَّةُ الخوف، قال ابن التِّين: وليس ذلك بالبيِّن.

وقيل: كان سببُ ذلك أنَّ نُمرودَ لمَّا قال له: ما ربُّك؟ قال: ربِّي الذي يُحيي ويُميت، فذكر ما قَصَّ اللهُ ممَّا جَرَى بينهما، فسأل إبراهيمُ بعد ذلك ربّه أن يُرِيَه كيفية إحياء الموتى من غير شَكٍّ منه في القُدرة، ولكن أَحبَّ ذلك واشتاقَ إليه، فأراد أن يَطمَئِنّ قلبُه بحصولِ ما أرادَه، أخرجه الطَّبَري (٣/ ٤٩) عن ابن إسحاق. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الحَكَم بن أبانَ عن عِكْرمة قال: المراد ليطمَئِنَّ قلبي أنَّهم يعلمونَ أنَّك تُحيي الموتى.

وقيل: معناه: أقدِرْني على إحياء الموتى، فتأدَّبَ في السُّؤال، وقال ابن الحَصّار: إنَّما سأل أن يُحييَ الله الموتى على يَدَيه، فلهذا قيل له في الجواب: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

وحَكَى ابن التِّين عن بعض مَن لا تحصيل عنده أنَّه أراد بقوله: ﴿قَلْبِى﴾ رجلاً صالحاً كان يَصحَبُه سأله عن ذلك، وأبعَدُ منه ما حكاه القُرطُبي المفسِّر عن بعض الصّوفية: أنَّه سأل من ربّه أن يُرِيَه كيف يُحيي القلوبَ، وقيل: أراد طُمأنينة النَّفس بكَثْرة الأدلَّة، وقيل: محبَّة المراجَعة في السُّؤال.

ثمَّ اختلَفوا في معنى قوله ﷺ: «نحنُ أحقُّ بالشكّ» فقال بعضهم: معناه: نحن أشدُّ اشتياقاً إلى رُؤية ذلك من إبراهيم، وقيل: معناه: إذا لم نَشُكَّ نحنُ فإبراهيم أَولى أن لا يَشُكّ، أي: لو كان الشكّ مُتَطرِّقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحقَّ به منهم، وقد عَلمتُم أنّي لم أشُكَّ، فاعلَموا أنَّه لم يَشُكّ؛ وإنَّما قال ذلك تَواضُعاً منه، أو من قبل أن يُعلِمه الله بأنَّه أفضل من إبراهيم، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم (٢٣٦٩): أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البَرِيّة! قال: «ذاكَ إبراهيم».

وقيل: إنَّ سبب هذا الحديث أنَّ الآية لمَّا نزلت قال بعض الناس: شَكَّ إبراهيمُ ولم يَشُكَّ نبيُّنا، فبَلَغَه ذلك فقال: «نحنُ أحقّ بالشكِّ من إبراهيم»، وأراد ما جَرَت به العادة في المخاطَبة لمن أراد أن يَدفعَ عن آخر شيئاً، قال: مهما أردتَ أن تقوله لفلانٍ فقُله لي، ومقصوده: لا تَقُل ذلك. وقيل: أراد بقوله: «نحنُ» أمَّتَه الذينَ يجوز عليهم الشكُّ، وأخرجه هو منه بدلالة العِصْمة. وقيل: معناه: هذا الذي تَرَونَ أنّه شَكٌّ، أنا أَولى به، لأنَّه ليس بشَكٍّ إنَّما هو طلب لمزِيد البيان.

وحَكَى بعض علماء العربية أنَّ «أفعل» رُبَّما جاءت لنفي المعنى عن الشَّيئين، نحو قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان:٣٧]، أي: لا خيرَ في الفريقَينِ، ونحو قول القائل: الشيطانُ خيرٌ من فلان، أي: لا خيرَ فيهما، فعلى هذا فمعنى قوله: «نحنُ أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم» لا شَكَّ عندنا جميعاً.

وقال ابن عَطيّة: تَرجَمَ الطَّبَري في «تفسيره» فقال: وقال آخرونَ: شَكَّ إبراهيم في القُدْرة؛ وذكر أثر ابن عبَّاس وعطاء، قال ابن عَطيّة: ومَحمَل قول ابن عبَّاس عندي: «إنَّها أرجى آية» لمَا فيها من الإدلال على الله وسؤال الإحياء في الدُّنيا، أو لأنَّ الإيمان يكفي فيه الإجمالُ ولا/ يَحتاج إلى تنقير وبحث. قال: ومَحمَل قول عطاء: «دَخَلَ قلبَ إبراهيم بعضُ ما يَدخُل قلوب الناس» أي: من طلب المعايَنة. قال: وأمَّا الحديث فمَبنيٌّ على نفي الشكّ، والمراد بالشكِّ فيه الخواطر التي لا تَثبُت، وأمَّا الشكُّ المصطَلَح: وهو التوقُّفُ بين الأمرَين من غير مَزِيَّة لأحدِهما على الآخر، فهو مَنفيٌّ عن الخليل قطعاً؛ لأنَّه يَبعُد وقوعُه ممَّن رَسَخَ الإيمان في قلبه، فكيف بمَن بَلَغَ رُتْبة النبوَّة. قال: وأيضاً فإنَّ السُّؤال لمَّا وَقَعَ بكيفَ، دَلَّ على حال شيء موجود مُقرَّر عند السائل والمسؤول، كما تقول: كيف عِلمُ فلان؟ فكيف في الآية سؤال عن هيئة الإحياء، لا عن نفس الإحياء، فإنَّه ثابت مُقرَّر. ٦/٤١٣

وقال ابن الجَوْزي: إنَّما صارَ أحقَّ من إبراهيم لمَا عانى من تكذيب قومه، ورَدّهم عليه، وتَعَجُّبهم من أمر البَعث، فقال: أنا أحقّ أن أسأل ما سأل إبراهيم، لعظيمِ ما جَرَى لي مع قومي المنكِرينَ لإحياءِ الموتى، ولمعرفتي بتفضيلِ الله لي، ولكن لا أسألُ في ذلك.

قوله: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ الاستفهام للتَّقريرِ، ووجهه أنَّه طلب الكيفية، وهو مُشعِر بالتَّصديق بالإحياء.

قوله: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أي: ليزيدَ سكوناً بالمشاهَدة المنضَمَّة إلى اعتقاد القلب، لأنَّ تَظاهُر الأدلَّة أسكَنُ للقلوب، وكأنَّه قال: أنا مُصَدِّق، ولكن للعِيان لطيفُ معنًى.

وقال عياض: لم يَشُكّ إبراهيمُ بأنَّ الله يُحيي الموتى، ولكن أراد طُمأنينة القلب وتَرْك المنازَعة لمشاهَدة الإحياء، فحَصَلَ له العلمُ الأوَّل بوقوعِه، وأراد العلمَ الثّاني بكيفيَّتِه ومُشاهَدَته، ويحتمل أنَّه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن في الأوَّل شَكٌّ، لأنَّ العلوم قد تَتَفاوَت في قوَّتها، فأراد التَّرقِّي من عِلم اليقين إلى عين اليقين، والله أعلم.

قوله: «ويرحم الله لوطاً...» إلى آخره، يأتي الكلام عليه قريباً في ترجمة لوط (٣٣٧٥).

قوله: «ولو لَبِثْتُ في السِّجْن طول ما لَبِثَ يوسف لَأجَبْت الدّاعي» أي: لأسرَعت الإجابة في الخروج من السِّجن، ولمَا قَدَّمت طلب البراءَة، فوَصَفَه بشِدَّة الصَّبر حيثُ لم يُبادِر بالخروج، وإنَّما قاله ﷺ تواضُعاً، والتَّواضُع لا يَحُطُّ مَرتَبة الكبير، بل يزيده رِفعةً وجَلالاً، وقيل: هو من جِنس قوله: «لا تُفضِّلوني على موسى[1]»، وقد قيل: إنَّه قاله قبل أن يعلم أنَّه أفضل من الجميع، وسيأتي تكملةٌ لهذا الحديث في قصَّة يوسف (٣٣٨٧).

١٢- باب قول الله تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤]

٣٣٧٣- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا حاتمٌ، عن يزيدَ بنِ أبي عُبيدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ ﷺ، قال: مرَّ النبيُّ ﷺ على نَفَرٍ من أسلَمَ يَنتَضِلونَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ارْمُوا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكم كان رامِياً، ارْمُوا وأنا مَعَ ابنِ فلانٍ» قال: فأمسَكَ أحدُ الفَريقَين بأيدِيهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما لكم لا تَرْمُونَ؟» فقالوا: يا رسولَ الله، نَرْمي وأنتَ معهم؟! قال: «ارْمُوا وأنا معكم كلِّكم».

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾» تقدَّم في أواخر الشَّهادات سببُ تسميته صادقَ الوَعْد[2].

ثم ذكر المصنف حديثَ سَلَمةَ بن الأكوَع: «ارموا بني إسماعيل»، وقد تقدَّم شرحه في «باب التَّحريض على الرَّمي» من كتاب الجهاد (٢٨٩٩)، واحتَجَّ به المصنِّف على أنَّ اليمن من بني إسماعيل كما سيأتي في أوائل المناقب (٣٥٠٧) مع الكلام عليه.

---

(١) هكذا في (أ)، وهو الصواب، وتحرف في (ع) و(س) إلى: يونس، والحديث سلف عند البخاري برقم (٢٤١١) من حديث أبي هريرة مرفوعاً لكن بلفظ: «لا تخيِّروني على موسى».

(٢) تحت باب (٢٨): من أمَرَ بإنجاز الوعد.

قوله: «**وأنا مع ابن فلان**» وَقَعَ في رواية الكُشْمِيهني: «وأنا مع بني فلان»، وكذا هو في الجهاد، قيل: والصَّواب الأوَّل، لقوله في حديث أبي هريرة: «وأنا مع ابن الأدرَع»[1]، وقد تقدَّم تسمية ابن/ الأدرَع في الجهاد، وقد تقدَّم كثير من أخبار إسماعيل فيما مضى قريباً. ٤١٤/٦

١٣ - قصّة إسحاق بن إبراهيم النبيِّ عليهما السلام

فيه ابنُ عمرَ وأبو هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ.

قوله: «**قصَّة إسحاق بن إبراهيم النبي عليهما السلام**» ذكر ابن إسحاق: أنَّ هاجَرَ لمَّا حَمَلَت بإسماعيل غارَت سارةُ فحَمَلَت بإسحاق، فوَضَعَتا معاً، فشَبَّ الغلامان. ونُقِلَ عن بعض أهل الكتاب خِلافُ ذلك، وأنَّ بين مَولِديهما ثلاث عشرة سنة، والأوَّل أولى.

قوله: «**فيه ابن عمر وأبو هريرة**» كأنَّه يشير بحديث ابن عمر إلى ما سيأتي في قصَّة يوسف (٣٣٨٢)، وبحديث أبي هريرة إلى الحديث المذكور في الباب الذي يَليه، وأغرَبَ ابن التِّين فقال: لم يَقِف البخاري على سنده فأرسَلَه، وهو كلام مَن لم يفهم مقاصد البخاري، لأنَّه يَستَلزِم أن يكون البخاري أثبَتَ في كتابه حديثاً لا يَعرف له سنداً، ومع ذلك ذكره مُرسَلاً، ولم تَجرِ للبخاري بذلك عادةٌ حتَّى يُحمَل هذا الموضعُ عليها، ونحوه قول الكِرْماني: قوله: «فيه» أي: في الباب، حديث من رواية ابن عمر في قصَّة إسحاق بن إبراهيم عليهما السَّلام؛ فأشارَ البخاري إليه إجمالاً ولم يَذكُره بعينِه، لأنَّه لم يكن بشرطِه انتهى، وليس الأمر كذلك لمَا بيَّنته، والله المستعان.

١٤ - باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ الآيةَ [البقرة:١٣٣]

٣٣٧٤- حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، سمعَ المعتَمِرَ، عن عُبيد الله، عن سعيد بنِ أبي سعيدٍ المقبُريِّ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قيلَ للنبيِّ ﷺ: مَن أكرَمُ الناسِ؟ قال: «أكرَمُهم أتقاهم»

---

(١) أخرجه البزار (٨٠٢٤)، وابن حبان (٤٦٩٥) وإسناده حسن.

قالوا: يا نبيَّ الله، ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «فأكرَمُ الناسِ يوسفُ نبيُّ الله ابنُ نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله، ابنِ خليلِ الله» قالوا: ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «أفعَن مَعادِنِ العربِ تسألونَني؟» قالوا: نعم، قال: «فخِيارُكم في الجاهليَّةِ خِيارُكم في الإسلامِ، إذا فَقُهوا».

قوله: «باب ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ ﴾ الآيَةَ» أورَدَ فيه حديث أبي هريرة: «أكرَمُ الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله» الحديث، ومُناسَبته لهذه التَّرجمة من جِهَة مُوافَقة الحديث للآية في سياق نَسَب يوسف عليه السلام، فإنَّ الآية تَضَمَّنَت أنَّ يعقوب خاطَبَ أولاده عند موته مُحَرِّضاً لهم على الثَّبات على الإسلام، وقال له أولاده: إنَّهم يَعبُدونَ إلهه وإله آبائه إبراهيمَ وإسماعيل وإسحاق، ومن جُملة أولاد يعقوب يوسف عليهم السَّلام، فنَصَّ الحديث على نَسَب يوسف، وأنَّه ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وزاد أنَّ الأربعة أنبياء في نَسَقٍ.

قوله: «حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم» هو ابن راهويه الإمام المشهور.

قوله: «سمعَ المعتَمِرَ» أي: أنَّه سمعَ المعتمِر، وهم يَحذِفونَ «أنَّه» خَطّاً كما يَحذِفونَ «قال» خَطّاً، ولا بُدَّ من ثُبوتهما لفظاً. وعُبيد الله: هو ابن عمر العُمَري.

قوله: «أكرَمُهم أتقاهم» هو موافق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣].

قوله: «قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نَسألك، قال: فأكرَمُ الناس يوسُف» الجواب الأوَّل من جِهَة الشَّرَف بالأعمال الصالحة، والثَّاني من جِهَة الشَّرَف بالنَّسَبِ الصالح.

قوله: «أفَعن مَعادِن العرب» أي: أُصولِهم التي يُنسَبونَ إليها ويَتَفاخَرونَ بها، وإنَّما جُعِلَت مَعادِنَ لمَا فيها من الاستعداد المتفاوِت، أو شَبَّهَهم بالمعادنِ لكَونِهم أوعيةَ الشَّرَف، كما أنَّ المعادن أوعيةٌ للجواهر.

٤١٥/٦ **قوله:/ «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فَقُهوا»** يحتمل أن يريد بقوله: «خياركم» جمع خيِّر، ويحتمل أن يريد أفعلَ التَّفضيل، تقول في الواحد: خَيْر وأَخْيَر، ثمَّ

القسمة رُباعية، فإنَّ الأفضل مَن جَمَع بين الشَّرَف في الجاهلية والشَّرَف في الإسلام، وكان شَرَفُهم في الجاهلية بالخِصال المحمودة من جِهَة مُلاءَمة الطَّبع ومُنافَرَته، خُصوصاً بالانتِساب إلى الآباء المتَّصِفينَ بذلك، ثمَّ الشَّرَف في الإسلام بالخِصال المحمودة شرعاً، ثمَّ أرفَعُهم مَرتَبةً مَن أضافَ إلى ذلك التفقُّهَ في الدِّين، ومُقابِل ذلك مَن كان مشروفاً في الجاهلية واستَمرَّ مشروفاً في الإسلام، فهذا أدنى المراتب، والقسم الثّالث: مَن شَرُفَ في الإسلام وفَقُهَ، ولم يكن شريفاً في الجاهلية، ودونَه مَن كان كذلك لكن لم يَتَفَقَّه، والقسم الرّابع: مَن كان شريفاً في الجاهلية ثمَّ صارَ مشروفاً في الإسلام، فهذا دون الذي قبله، فإن تَفَقَّهَ فهو أعلى رُتْبةً من الشَّريف الجاهل.

١٥- بابٌ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [النمل:٥٤-٥٨]

٣٣٧٥- حدَّثنا أبو اليَمان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَغفِرُ اللهُ لِلُوطٍ، إنْ كان لَيَأوِي إلى رُكْنٍ شديدٍ».

قوله: «بابٌ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾» يقال: إنَّه لوط بن هاران بن تارخ، وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وقد قَصَّ الله تعالى قِصَّته مع قومه في الأعراف وهود والشُّعَراء والنَّمل والصّافّات وغيرها، وحاصلها أنَّهم ابتَدَعوا وَطْءَ الذُّكور، فدَعَاهم لوط إلى التَّوحيد وإلى الإقلاع عن الفاحشة، فأصَرُّوا على الامتناع، ولم يَتَّفِق أن يُساعدَه منهم أحدٌ، وكانت مدائنهم تُسَمّى سَدُوم، وهي بغَوْرِ زُغَر من البلاد الشّامية، فلمَّا أراد الله إهلاكهم بَعَثَ جِبْرِيل وميكائيل وإسرافيل إلى إبراهيم فاستضافوه، فكان ما قَصَّ الله في سورة هود، ثمَّ تَوَجَّهوا إلى لوط فاستضافوه، فخافَ عليهم من قومه وأراد أن يُخفِيَ عليهم خبرَهم، فنَمَتْ عليهم امرأتُه، فجاؤوا إليه وعاتَبوه على كِتمانه أمرهم، وظَنُّوا أنَّهم ظَفِروا بهم، فأهلَكَهم الله على يد جِبْرِيل، فقَلَبَ مدائنَهم بعد أن خَرَجَ عنهم لوط بأهلِ بيته، إلّا امرأتَه فإنَّها تأخَّرت مع

قومها، أو خَرَجَت مع لوطٍ فأدرَكَها العذاب، فقَلَبَ جِبْريل المدائنَ بطَرَفِ جناحه، فصارَ عالِيُها سافلَها، وصارَ مكانَها بُحَيْرةٌ مُنتِنةٌ لا يُنتَفَع بمائها ولا بشيءٍ ممَّا حولها.

قوله: «يَغفِر الله للوطٍ إن كان لَيأوي إلى رُكْنٍ شديدٍ» أي: إلى الله سبحانه وتعالى، يشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠]، ويقال: إنَّ قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتَمِع معه في نَسَبه، لأنَّهم من سَدُوم، وهي من الشّام، وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق، فلمَّا هاجَرَ إبراهيم إلى الشّام هاجَرَ معه لوط، فبَعَثَ الله لوطاً إلى أهل سَدُوم، فقال: لو أنَّ لي مَنَعةً وأقارب وعَشيرةً لكنت أستَنصِر بهم عليكم ليدفعوا عن ضِيفاني، ولهذا جاء في بعض طرق هذا الحديث كما أخرجه أحمد (١٠٩٠٣) من طريق محمَّد بن عَمْرو عن أبي سَلَمةَ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال لوط: لو أنَّ لي بكم قوَّةً أو آوي إلى رُكنٍ شديدٍ، قال: فإنه كان يأوي إلى رُكْن شديد ولكنَّه عَنَى عَشِيرتَه، فما بَعَثَ الله نبيّاً إلّا في/ ذُرْوةٍ من قومه»، زاد ابن مَرْدَويه من هذا الوجه: «ألم تَرَ إلى قول قوم شعيب: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود:٩١]»، وقيل: معنى قوله: «لقد كان يأوي إلى رُكْن شديد» أي: إلى عشيرته، لكنَّه لم يَأْوِ إليهم، وأوى إلى الله. انتهى، والأوَّل أظهَر لمَا بيَّنّاه. ٤١٦/٦

وقال النَّوَوي: يجوز أنَّه لمَّا اندَهَش بحال الأضياف قال ذلك، أو أنَّه التَجأ إلى الله في باطنه وأظهَرَ هذا القولَ للأضياف اعتذاراً، وسَمَّى العشيرة رُكناً لأنَّ الرُّكن يُستَنَد إليه ويُمتَنَع به، فشَبَّهَهم بالرُّكنِ من الجبل لشِدَّتِهم ومَنَعَتهم، وسيأتي في الباب الذي بعده تفسير الرُّكن بلفظٍ آخر.

١٦ - باب

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الحجر:٦١-٦٢]

﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ [الذاريات:٣٩]: بمَن معه لأنَّهم قوَّتُه.

﴿تَرْكَنُوٓاْ﴾ [هود:١١٣]: تَميلوا. فأنكَرَهم ونكِرَهم واستَنكَرَهم، واحدٌ.

﴿يُهْرَعُونَ﴾ [هود:٧٨]: يُسرِعونَ.

دابِرٌ: آخِرٌ.

صَيْحةٌ: هَلَكةٌ.

﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]: للنّاظِرِينَ.

﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ [الحجر:٧٦]: لَبِطريقٍ.

٣٣٧٦- حدَّثنا محمودٌ، حدَّثنا أبو أحمدَ، حدَّثنا سفيانُ، عن أبي إسحاقَ، عن الأسوَدِ، عن عبدِ الله ﷺ: قال: قرأَ النبيُّ ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

قوله: «باب ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾» أي: أنكَرَهم لوط.

قوله: «برُكْنِه: بمَن معه لأنَّهم قوَّته» هو تفسير الفَرّاء، وقال أبو عُبيدة: فتَولَّى برُكنِه وبجانبِه سواء، إنَّما يعني ناحيتَه. وقال في قوله: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي: عَشيرة عزيزة مَنِيعة.

كذا أورَدَ المصنِّف هذه الجملة في قصَّة لوط، وهو وهمٌ، فإنَّها من قصَّة موسى والضَّمير لفِرعَون، والسَّبَب في ذلك أنَّ ذلك وَقَعَ تِلْوَ قصَّة لوط، حيثُ قال تعالى في آخر قصَّة لوط: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ثمَّ قال عَقِب ذلك: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾، أو ذكره استطراداً لقوله في قصَّة لوط: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠].

قوله: «تركَنوا: تَميلوا» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: لا تَعدِلوا إليهم ولا تَميلوا، تقول: رَكَنتُ إلى قولك، أي: أحبَبتُه وقَبِلته، وهذه الآية لا تتعلَّق بقصَّة لوط أصلاً. ثمَّ ظَهَرَ لي أنَّه ذكر هذه اللَّفظة من أجل مادَّة (رَكَنَ) بدليلِ إيراده الكلمة الأُخرى وهي ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾.

قوله: «فأنكَرَهم ونكِرَهم واستَنكَرَهم، واحد» قال أبو عُبيدة: نَكِرَهم وأنكَرَهم واحد، وكذلك استَنكَرَهم. وهذا الإنكار من إبراهيم غير الإنكار من لوط، لأنَّ إبراهيم أنكَرَهم لمَّا لم يأكلوا من طعامه، وأمَّا لوط فأَنكَرَهم لمَّا لم يُبالُوا بمجيءِ قومه إليهم، ولكن لها

تعلُّق مع كَونها لإبراهيم بقصَّة لوط.

قوله: «﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسرِعونَ» قال أبو عُبيدة: يُهرَعونَ إليه، أي: يُستَحثُّون إليه، قال الشّاعر:

بمُـعـجَــلاتٍ نحـوَهم مَهـارِعُ[1]

أي: سِرَاع. وقيل: معناه يُزعَجونَ مع الإسراع.

قوله: «دابِرٌ: آخِرٌ» قال أبو عُبيدة في تفسير قوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الحجر: ٦٦] أي: آخرهم.

قوله: «صَيحة: هَلَكَة» هو تفسير قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس:٢٩]، ولم أعرف وَجْهَ دخوله هنا، لكن لعلَّه أشارَ إلى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر:٧٣] فإنَّها تتعلَّق بقومِ لوط.

قوله: «﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للنّاظرينَ» قال الفَرّاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: للمُتَفَكِّرينَ، ويقال: للنّاظرينَ المتفرِّسينَ، وقال أبو عُبيدة:، أي: المتبصِّرينَ المتثبِّتينَ.

قوله: «﴿لَبِسَبِيلٍ﴾: لَبِطَرِيقٍ» هو تفسير أبي عُبيدة، والضَّمير في قوله: ﴿وَإِنَّهَا﴾ يعود على مدائن قوم لوط، وقيل: يعود على الآيات.

ثم أورد المصنف حديثَ عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال: «قرأ النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾» يعني: بالدال المهملة، وسيأتي بيان ذلك في تفسير القمر (٤٨٧٢).

تنبيهان:

أحدُهما: هذه التَّفاسير وَقَعَت في رواية المُستَمْلي وحده.

ثانيهما: أورَدَ المصنِّف عَقِبَ هذا قصَّة ثَمُود وصالح، وقد قَدَّمتُها في مكانها عَقِب قصَّة عادٍ وهود[2]، وكأنَّ السَّبَب في إيرادها هنا أنَّه لمَّا أورَدَ التَّفاسير من سورة الحِجْر، كان

---

(١) في (س): نهارع، وفيها أيضاً: «أي: نسارع»، والمثبت من أصولنا و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٩٤.

(٢) يعني عقب الباب رقم (٦) من كتاب أحاديث الأنبياء.

٤١٧/٦ آخرها قوله: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي / ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى آخره، فجاءت قصَّة ثَمُود ـ وهم أصحاب الحِجر في هذه السّورة ـ تاليةً لقصَّة قوم لوط، وتَخلَّل بينهما قصَّة أصحاب الأَيكة مختصرة، فأورَدَها مَن أورَدَها على ذلك، وقد قَدَّمتُ الاعتذار على ذلك فيما مضى.

١٨ - باب ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ [البقرة:١٣٣]

٣٣٨٢- حدَّثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ، أخبرنا عبدُ الصَّمَد، حدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيم: يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ» عليهم السَّلام.

[طرفاه في: ٣٣٩٠، ٤٦٨٨]

قوله: «باب ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾» كذا ثبتت هذه التَّرجمةُ هنا، وهي مُكرَّرةٌ كما سَبَقَ قريباً، والصَّوابُ أنَّ حديثَها تِلوَ حديث الباب الذي يَليها، وهي من قصَّة يوسف عليه السلام.

وقوله: «أخبَرَنا عبدُ الصَّمَد» هو ابن عبد الوارث.

قوله: «يوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ» وفي رواية الطبراني[(١)] من طريق أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعودٍ عن أبيه: «يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاقَ ذَبيحِ الله»، ولَه[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ: قالوا: يا رسولَ الله، مَن السَّيِّدُ؟ قال: «يوسفُ بنُ يعقوب»[(٣)]، قالوا: فما في أمَّتِك سَيِّدٌ؟ قال: «رجلٌ أُعطِيَ مالاً حلالاً، ورُزِقَ سَماحةً» وإسنادُه ضعيفٌ.

---

(١) في «المعجم الكبير» (١٠٢٧٨)، وإسناده ضعيف.

(٢) في «الأوسط» (٧٠٠٦).

(٣) وقع هنا في (س) زيادة: «ابن إسحاق ذبيح الله»، وليست في أصولنا، ولفظ: «ذبيح الله» في هذه الرواية ليس عند الطبراني في «الأوسط» ولا في «مجمع الزوائد» للهيثمي ٣/ ١٢٨ و٨/ ٢٠٢.

١٩- باب قول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف:٧]

٣٣٨٣- حدَّثني عُبيدُ بنُ إسماعيلَ، عن أبي أُسامةَ، عن عُبيدِ الله، قال: أخبرني سعيدُ بنُ أبي سعيدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: مَن أكرَمُ الناسِ؟ قال: «أتقاهم لله» قالوا: ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «فأكرَمُ الناسِ يوسفُ نبيُّ الله ابنُ نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله ابنِ خليلِ الله» قالوا: ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «فعن مَعادِنِ العربِ تسألُونَني؟ الناسُ مَعادِنُ، خِيارُهم في الجاهليَّةِ خِيارُهم في الإسلامِ، إذا فَقُهوا».

أَخبرنا محمَّدُ بنُ سَلَامٍ، أَخبرني عَبْدةُ، عن عُبيدِ الله، عن سعيدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ... بهذا.

٣٣٨٤- حدَّثنا بَدَلُ بنُ المحبَّرِ، أخبرنا شُعْبةُ، عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ، قال: سمعتُ عُرْوةَ ابنَ الزُّبَيرِ، عن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: «مُرِي أبا بكرٍ يُصَلِّي بالناسِ» قالت: إنَّه رجلٌ أَسِيفٌ، متى يَقُمْ مَقامَكَ رَقَّ، فعادَ فعادَتْ، قال شُعْبةُ: فقال في الثّالثةِ أو الرّابعة: «إنَّكُنَّ صَوَاحبُ يوسفَ، مُرُوا أبا بكرٍ...».

٣٣٨٥- حدَّثنا الرَّبِيعُ بنُ يحيى البَصْريُّ، حدَّثنا زائدةُ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ، عن أبي بُرْدةَ بنِ أبي موسى، عن أبيه، قال: مَرِضَ النبيُّ ﷺ فقال: «مُرُوا أبا بكرٍ فلْيُصَلِّ بالناس» فقالت عائشة: إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ كذا، فقال مِثلَه، فقالت مِثلَه، فقال: «مُرُوا أَبا بكرٍ، فإنَّكُنَّ صَوَاحبُ يوسفَ» فأمَّ أبو بكرٍ في حياةِ رسولِ الله ﷺ.

وقال حسينٌ، عن زائدةَ: «رجلٌ رَقِيقٌ».

٣٣٨٦- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اللهمَّ أَنْجِ عيّاشَ بنَ أبي رَبِيعةَ، اللهمَّ أَنْجِ سَلَمةَ بنَ هشامٍ، اللهمَّ أَنْجِ الوليدَ بنَ الوليدِ، اللهمَّ أَنْجِ المستَضعَفِينَ مِن المؤمنينَ، اللهمَّ اشدُدْ وَطْأتكَ على مُضَرَ، اللهمَّ اجْعَلْها سِنِينَ كسِنِي يوسفَ».

٣٣٨٧- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدِ بنِ أسماءَ ابنُ أخي جُوَيرِيَةَ، حدَّثنا جُوَيرِيةُ بنُ أسماءَ، عن مالكٍ، عن الزُّهْريِّ: أنَّ سعيدَ بنَ المسيّبِ وأبا عُبيدٍ أخبَراه، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يرحمُ الله لُوطاً، لقد كان يَأْوي إلى رُكْنٍ شديدٍ، ولو لَبِثْتُ في السِّجْنِ ما لَبِثَ يوسفُ ثمَّ أتاني الدّاعي لأَجبتُه».

٣٣٨٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ سَلَامٍ، أخبرنا ابنُ فُضَيلٍ، حدَّثنا حُصَينٌ، عن شَقِيقٍ، عن مَسْروقٍ، قال: سألتُ أمَّ رُومانَ، وهي أمُّ عائشةَ، لمَّا قيلَ فيها ما قيلَ، قالت: بينَما أنا معَ عائشةَ جالسَتانِ، إذ وَلَجَت علينا امرأةٌ مِن الأنصار وهي تقولُ: فعلَ الله بفلانٍ وفَعَل، قالت: فقلتُ: لِمَ؟ قالت: إنَّه نَمَا ذِكْرَ الحديثِ، فقالت عائشةُ: أيُّ حديثٍ؟ فأخبَرتْها، قالت: فسمعَه أبو بكرٍ ورسولُ الله؟ قالت: نعم، فخَرَّت مَغْشِيّاً عليها، فما أفاقَتْ إلا وعليها حُمَّى بنافِضٍ، فجاء النبيُّ ﷺ فقال: «ما هٰذِه؟» قلتُ: حُمَّى أخَذَتْها من أجْلِ حديثٍ تُحُدِّثَ به، فقعَدَت، فقالت: والله لَئِن حَلَفتُ لا تُصَدِّقونني، ولَئِنِ اعْتَذَرتُ لا تَعْذِرُونَني، فمَثَلي ومَثَلُكم كمَثَلِ يعقوبَ وبَنِيه، فاللهُ المستَعانُ على ما تَصِفُونَ، فانصَرَفَ النبيُّ ﷺ، فأنزَلَ اللهُ ما أنزَلَ، فأخبَرَها، فقالت: بحَمْدِ الله لا بحَمْدِ أحدٍ.

[أطرافه في: ٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١]

٣٣٨٩- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيل، عن ابنِ شِهابٍ، قال: أخبرني عُرْوةُ: أنَّه سأل عائشةَ رضي الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ: أرأيتِ قولَ الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [يوسف:١١٠] أو كُذِّبُوا؟ قالت: بل كَذَّبَهم قومُهم، فقلتُ: والله لقد استيقَنوا أنَّ قومَهم كَذَّبوهم، وما هو بالظَّنِّ، فقالت: يا عُرَيَّةُ، لقد استيقَنوا بذلك، قلتُ: فلعلَّها «كُذِبُوا»، قالت: مَعاذَ الله! لم تكنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذلك بربِّها، وأمَّا هذه الآيةُ، قالت: هم أتباعُ الرُّسُلِ الذينَ آمنوا بربِّهم، وصَدَّقوهم، وطالَ عليهم البلاءُ، واستَأخَرَ عنهم النَّصْرُ، حتَّى إذا استَيأَسَت ممَّن كَذَّبَهم من قومِهم، وظَنُّوا أنَّ أتباعَهم كَذَّبوهم، جاءَهم نَصْرُ الله.

قال أبو عبد الله: ﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: استفعَلوا، من يَئِسْتُ ﴿مِنْهُ﴾ [يوسف:٨٠]: من يوسفَ.
﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٧]: مَعْناه: من الرَّجاءِ.

[أطرافه في: ٤٥٢٥، ٤٦٩٥، ٤٦٩٦]

٣٣٩٠- أخبرني عَبْدةُ، حدَّثنا عبدُ الصَّمَد، عن عبدِ الرحمن، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ» عليهم السَّلام.

٤١٩/٦ **قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾»** اسمُ إخوة يوسف: رُوبيلُ بضمِّ الرّاءِ وسكونِ الواو وكسر الموحَّدة بعدَها تحتانيةٌ ساكنةٌ، ثمَّ لامٌ وهو أكبرُهم، وشَمعُونُ بالشّين المعجَمة، ولاوي، ويهوذا، وداني، ونفتالي بفاءٍ ومُثنّاةٍ، وكاد، وإسبر، وإيشاجر، ورايلون، وبنيامينُ، وهم الأسباط، وقد اختُلِفَ فيهم فقيل: كانوا أنبياءَ، ويقال: لم يكن فيهم نبيٌّ، وإنَّما المرادُ بالأسباط قبائلُ من بني إسرائيلَ، فقد كان فيهم من الأنبياءِ عَدَدٌ كثيرٌ.

ثم ذكر المصنف في الباب سبعة أحاديث:

أحدها: حديثُ أبي هريرة في أكرَمِ الناس، أي: أصلاً، ذكره من وجهَين عن عُبيد الله ابنِ عمرَ.

ثانيها: قال فيه: **«أخبرنا محمَّدُ بنُ سَلَام أخبرني عَبْدة»** وهو ابن سليمانَ. ووَقَعَ في «المستَخرَج» لأبي نُعَيم أنَّ البخاري أخرجه عن عثمانَ بن أبي شَيْبةَ عن عَبْدة، فالله أعلم، وقد تقدَّم شرحُه قريباً (٣٣٧٤).

الحديث الثاني: حديثُ عائشةَ: **«مُروا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالناس»**، وقد تقدَّم شرحُه في أبواب الإمامة (٦٧٩)، وأورَدَه هنا مختصراً، والغرضُ منه قوله: **«إنَّكُنَّ صَوَاحبُ يوسفَ»**.

وقوله في أوَّلِ الإسناد: «حدَّثنا الرَّبيعُ بنُ يحيى» في رواية أبي ذرٍّ بغير ألِفٍ ولامٍ، وزاد في رواية كَرِيمة: «البَصْري»، ووَقَعَ في نُسخَة: «حدَّثنا النَّضرُ حدَّثنا زائدة»، وهو غَلَطٌ فاحشٌ

تصحيفٌ من «البصري»، وقد تقدَّم ذِكرُ مُناسَبتِه هناك، وقد قَصَّ الله تعالى قصَّةَ يوسف مُطوَّلةً في سورةٍ لم يَذكُر فيها قصَّةً لغيره، وقد روى ابن حِبّان (٦٢٠٦) من طريق محمَّدِ بن عَمرٍو عن أبي سَلَمةَ عن أبي هريرة مرفوعاً: «رَحِمَ الله يوسف، لولا الكلمةُ التي قالها ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] ما لَبِثَ في السِّجنِ ما لَبِثَ».

الثالث: حديث أبي موسى في المعنى، وقد تقدم أيضاً.

الرابع: حديثُ أبي هريرة في الدُّعاءِ عند الرفع من الرُّكوع: «اللهمَّ أنجِ المستَضعَفينَ»، وقد تقدَّم شرحُه في الصلاة أيضاً (٧٩٧و٨٠٤و١٠٠٦)، والغرضُ منه قوله: «اجعَلها عليهم سنين كَسِني يوسف»، المرادُ بسِني يوسف ما قَصَّه الله من ذِكْر السِّنينَ المجدِبة في زمانه، ويقال: اسمُ الملكِ الذي رأى الرُّؤيا الرَّيّانُ بنُ الوليد من ذُرّية لاوذ بن سام بن نوحٍ.

الخامس: حديثُه في ذِكْر لوطٍ ويوسف، وقد تقدَّم في ترجمة إبراهيمَ (٣٣٧٢).

السادس: حديثُ أمِّ رُومانَ والدة عائشةَ في قصَّة الإفكِ، أَورَدَهُ لقولِ عائشةَ فيه: «فمَثَلي ومَثَلُكم كمَثَلِ يعقوب وبَنيه»، وسيأتي في تفسير النّورِ (٤٧٥٧) في سياق قصَّة الإفكِ عن عائشةَ بلفظ: «والتَمَستُ اسمَ يعقوب فلم أجِده، فقلت: ما أجِدُ لي ولكم مثلاً إلّا أبا يوسف»، ويأتي الكلامُ على ما قيل في هذا الإسناد من التَّعليلِ بالانقطاع، والجوابُ عنه في غزوة بني المصطَلِق من كتاب المغازي (٤١٤٣) إن شاء الله تعالى.

السابع: حديثُ عائشةَ في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾، وسيأتي شرحُه في آخرِ تفسير سورة يوسف (٤٦٩٥).

٦/٤٢٠ **قوله**: «﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾: استَفْعَلوا من يَئِسْتُ، ﴿مِنۡهُ﴾: من يوسُفَ» وَقَعَ في كثيرٍ/ من الرِّوايات «افتَعَلوا»، والصَّوابُ الأوَّل. وفي «تفسير ابن أبي حاتم» من طريق ابن إسحاقَ: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾، أي: لمَّا حَصَلَ لهم اليأسُ من يوسف.

قوله: «﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: معناه: من الرَّجاء» وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بَشيرٍ عن قَتادة: «لا تَيأسوا من رَوْح الله، أي: من رحْمة الله».

تنبيه: مُطابقةُ هذا الحديث للتَّرجمة وقوعُ الآية في سورة يوسف، ودخولُه هو في عمومِ قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾ [يوسف:١٠٩]، وكان مُقامُه في السِّجنِ تلكَ المدَّةَ الطَّويلةَ إلى أن جاءه النَّصرُ من عندِ الله تعالى بعدَ اليأسِ، لأنَّه أمَرَ الفتى الذي ظنَّ أنَّه ناجٍ أن يَذكُرَ قِصَّتَه، وأنَّه حُبِسَ ظُلماً، فلم يَذكُرها إلّا بعدَ سبع سنين، وفي مِثل هذا يَحصُلُ اليأسُ في العادة المطَّرِدة.

الحديث الثامن: حديثُ ابن عمرَ: «الكريمُ ابن الكريم» الحديث، تقدَّم شرحُه قبلَ هذا (٣٣٨٢).

وعَبْدةُ شيخُ المصنِّف: هو ابن عبد الله المروَزي، وعبدُ الصَّمَد: هو ابن عبد الوارثِ، وعبدُ الرحمن: هو ابن عبد الله بن دينارٍ.

٢٠- باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ الآيةَ [الأنبياء:٨٣]

﴿ ٱرۡكُضۡ ﴾ [ص:٤٢]: اضرِبْ.

﴿ يَرۡكُضُونَ ﴾ [الأنبياء:١٢]: يَعْدُونَ.

٣٣٩١- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ الجُعْفيُّ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّامٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «بَيْنا أيوبُ يَغتَسِلُ عُرْياناً، خَرَّ عليه رِجْلُ جَرادٍ من ذهبٍ، فجَعَلَ يَحْثي في ثَوْبِه، فنادَى ربُّه: يا أيوبُ، ألم أكُن أغنَيْتُكَ عمّا تَرَى؟ قال: بلى يا ربِّ، ولكن لا غِنَى لي عن بَرَكَتِكَ».

قوله: «باب قولِ الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ الآيةَ» يقال: هو أيوبُ بنُ ساري ابن رغوال بن عيصو بن إسحاقَ بن إبراهيمَ، وقيل: اسمُ أبيه موص، والباقي سواءٌ، وقيل: مَوص بن رزاح بن عيص، وقيل: أيوبُ بنُ رزاح بن موص بن عيصو، ومنهم مَن زاد بين موص وعيصو ليفزن، وزَعَمَ بعضُ المتأخِّرينَ أنَّه من ذُرِّية رُومِ بن عيص، ولا يَثبُتُ ذلك.

وحَكَى ابن عساكرَ أنَّ أمَّه بنتُ لوطٍ عليه السلام، وأنَّ أباه كان ممَّن آمَنَ بإبراهيمَ، وعلى هذا فكان قبلَ موسى. وقال ابن إسحاقَ: الصَّحيحُ أنَّه كان من بني إسرائيلَ، ولم يَصِحَّ في نَسَبِه شيءٌ إلّا أنَّ اسمَ أبيه آمص، والله أعلم. وقال الطَّبَري: كان بعدَ شعيبٍ. وقال ابن أبي خَيْثمةَ: كان بعدَ سليمانَ، وكان عيصو تزوَّجَ بشمت بنت عمِّه إسماعيلَ، فرُزِقَ منها رغوال، وهو بغَينٍ مُعجَمةٍ.

قوله: «﴿ٱرۡكُضۡ﴾: اضرِب، ﴿يَرۡكُضُونَ﴾: يَعْدونَ» روى ابن جَرِير (٢٣/ ١٦٦) من طريق شُعْبةَ عن قَتَادة في قوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ قال: ضَرَبَ برِجلِه الأرضَ فإذا عينان تَنبَعان، فشَرِبَ من إحداهما واغتَسَلَ من الأُخرى.

وقال الفَرّاءُ في قوله تعالى: ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ أي: يَهرُبونَ. وأخرج الطَّبَري (١٧/ ٨) من طريق مجاهدٍ في قوله: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ [الأنبياء:١٣]، أي: لا تَفِرّوا.

قوله: «بَيْنا أيوبُ يغتسل» أصلُ «بَيْنا» بينَ أُشبِعَت الفتحة، ويَغتَسِلُ خبرُ المبتَدَأ، والجملةُ في محَلِّ الجر بإضافة بين إليه، والعاملُ «خَرَّ عليه»، أو هو مُقدَّرٌ و«خَرَّ» مُفسِّرٌ له، ووَقَعَ عند أحمد (٨٠٣٨) وابن حِبّان (٦٢٢٩و٦٢٣٠) من طريق بشير بن نَـهِيكٍ عن أبي هريرة: «لمَّا عافى الله أيوبَ أمطَرَ عليه جَراداً من ذهبٍ».

قوله: «عُرْياناً» تقدَّم القولُ فيه في كتاب الغُسلِ (٢٧٩).

قوله: «خَرَّ عليه» أي: سقط عليه.

وقوله: «رِجلُ جَرادٍ» أي: جماعةُ جَرادٍ، والجَرادُ: اسمُ جمعٍ، واحدُه: جَرادةٌ، كتَمْرٍ وتمرةٍ، وحَكَى ابن سِيدَهْ: أنَّه يقال للذَّكَرِ: جَرادٌ، وللأُنثى: جَرادةٌ.

قوله: «يحَثي» بالمثلَّثة، أي: يأخُذُ بيدَيه جميعاً، وفي رواية بشير بن نَـهِيكٍ: «يَلتَقِط».

٦/٤٢١ قوله: «في ثَوْبِه» في حديث ابن عبَّاسٍ عند ابن أبي حاتم:/ «فجَعَلَ أيوبُ يَنشُرُ طَرَفَ ثوبِه فيأخُذُ الجَرادَ فيجعلُه فيه، فكلَّما امتَلأَت ناحيةٌ نَشَرَ ناحيةً».

قوله: «فناداه ربُّه» يحتملُ أن يكونَ بواسطةٍ أو بإلهامٍ، ويحتملُ أن يكونَ بغير واسطةٍ.

قوله: «قال: بلى» أي: أغنَيتني.

قوله: «ولكن لا غِنَى لي» بالقصرِ بغير تنوينٍ، وخبرُ «لا» قوله: لي، أو قوله: عن بَـرَكَتِك، وفي رواية بشير بن نَـهِيكٍ: «فقال: ومَن يَشبَعُ من رَحمَتِك» أو قال: «من فضلِك».

وفي الحديث جوازُ الحِرصِ على الاستكثار من الحلال في حَقِّ مَن وَثِقَ من نفسِه بالشُّكرِ عليه، وفيه تسميةُ المال الذي يكون من هذه الجِهَة بَـرَكةً، وفيه فضلُ الغني الشّاكرِ، وسيأتي بقيَّةُ مباحثِ هذه الخَصْلة الأخيرة في الرِّقاق إن شاء الله تعالى[1].

واستَنبَطَ منه الخَطّابي جوازَ أخذِ النِّثار في الإملاكِ، وتَعقَّبَه ابن التِّين فقال: هو شيءٌ خَصَّ الله به نبيه أيوبَ، وهو بخِلاف النِّثار فإنَّه من فعلِ الآدمي، فيُكرَه لمَا فيه من السَّرَفِ، ورُدَّ عليه بأنَّه أُذِنَ فيه من قِبَلِ الشّارع إن ثَبَتَ الخبر، ويُستأنَسُ فيه بهذه القصَّة، والله أعلم.

تنبيه: لم يَثبُت عند البخاري في قصَّة أيوبَ شيءٌ، فاكتَفى بهذا الحديث الذي على شرطِه. وأصحُّ ما وَرَدَ في قِصَّتِه ما أخرجه ابن أبي حاتمٍ وابن جرير[2] وصَحَّحَه ابن حِبّان (٢٨٩٨) والحاكمُ (٢/ ٥٨١-٥٨٢) من طريق نافع بن يزيدَ عن عُقَيل عن الزُّهْري عن أنسٍ: «أنَّ أيوبَ عليه السلام ابتُلي فلَبِثَ في بَلائِه ثلاثَ عشرةَ سنةً، فرَفَضَه القريبُ والبعيدُ إلّا رجلين من إخوانه، فكانا يَغدُوان إليه ويَروحان، فقال أحدُهما للآخر: لقد أذنَبَ أيوبُ ذَنباً عظيماً، وإلّا لكُشِفَ عنه هذا البلاء، فذكره الآخرُ لأيوبَ، يعني: فحَزِنَ ودَعَا الله حينئذٍ فخَرَجَ لحاجته وأمسَكَت امرأتُه بيدِه، فلمَّا فَرَغَ أبطَأَت عليه، فأوحى الله إليه: أن اركُضْ برِجلِك، فضَرَبَ برِجلِه الأرضَ فنَبَعَت عينٌ فاغتَسَلَ منها، فرَجَعَ صحيحاً، فجاءت امرأتُه فلم تَعرِفْه، فسألته عن أيوبَ فقال: إنّي أنا هو، وكان له أندَرانِ[3]: أحدُهما للقمح، والآخرُ للشَّعيرِ، فبَعَثَ الله له سَحابةً فأفرَغَت في أَندَرِ القمحِ الذَّهَبَ حتَّى فاضَ، وفي أندَرِ الشَّعيرِ الفِضَّةَ حتَّى فاضَ».

---

(١) في الباب رقم (١٦) منه: باب فضل الفقر.

(٢) تحرف في (س) إلى: ابن جريج. وهذا الحديث في «تفسير» ابن جرير الطبري ٢٣/ ١٦٧.

(٣) الأندَر: البيدر، وهو الموضع الذي يُداس ويُذرَّى به القمح والشعير.

وروى ابن أبي حاتم نحوَه من حديث ابن عبَّاسٍ، وفيه: «فكَسَاه الله حُلَّةً من حُلَلِ الجنَّة، فجاءت امرأتُه فلم تَعرِفه فقالت: يا عبدَ الله، هل أبصرتَ المبتَلى الذي كان هنا، فلعلَّ الذِّئابَ ذهبَت به؟ فقال: ويحَكِ أنا هو»، وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عُبيد ابن عُمَيرٍ نحوَ حديث أنسٍ، وفي آخره: «قال: فسَجَدَ وقال: وعِزَّتِكَ لا أرفَعُ رأسي حتَّى تَكشِفَ عنِّي، فكَشَفَ عنه»، وعن الضَّحّاكِ عن ابن عبَّاسٍ: «رَدَّ الله على امرأتِه شَبابَها حتَّى وَلدَت له ستَّةً وعشرينَ ولداً ذَكَراً».

وذكر وهبُ بنُ مُنبِّهٍ ومحمَّدُ بنُ إسحاقَ في «المبتَدَأ» قصَّةً مُطوَّلةً جدّاً، وحاصلُها: أنَّه كان بحَوْرانَ، وكان له البَثَنيَّةُ سَهلُها وجبلُها، وله أهلٌ ومالٌ كثيرٌ ووَلَدٌ، فسُلِبَ ذلك كلَّه شيئاً فشيئاً، وهو يَصبِرُ ويَحتَسِب، ثمَّ ابتُلي في جسدِه بأنواعٍ من البلاءِ حتَّى أُلقيَ خارجاً من البلد، فرَفَضَه الناسُ إلّا امرأتَه، فبَلَغَ من أمرها أنَّها كانت تَخدُمُ بالأُجْرة وتُطعِمُه إلى أن تَجَنَّبَها الناسُ خَشْيةَ العَدْوى، فباعَت إحدى ضَفيرتيها من بعضِ بنات الأشراف، وكانت طويلةً حسنةً فاشتَرَت له به طعاماً طيِّباً، فلمَّا أحضَرَته له حَلَفَ أن لا يأكلَه حتَّى تُخبِرَه من أين لها ذلك، فكَشَفَت عن رأسِها، فاشتَدَّ حُزنُه وقال حينئذٍ: ربِّ إني مسَّني الضُّرُّ وأنت أرحمُ الراحمين، فعافاه الله تعالى. وروى ابن أبي حاتم عن مجاهدٍ: أنَّ أيوبَ أوَّلُ مَن أصابه الـجُدَري.

ومن طريق الحسن: أنَّ إبليس أتى امرأته فقال لها: إن أكَلَ أيوبُ ولم يُسمِّ عُوفي، فعَرَضت ذلك على أيوبَ فحَلَفَ لَيَضرِبَنَّها مئةً، فلمَّا عُوفيَ أمَرَه الله أن يأخُذَ عُرجوناً فيه مئةُ شِمْراخٍ فيضربَها ضربةً واحدةً، وقيل: بل قَعَدَ إبليسُ على الطَّريق في صورة طَبيبٍ، فقال لها: إذا داوَيتُه فقال: أنتَ شَفَيتني، قَنَعتُ بذلك، فعَرَضَت ذلك عليه فغَضِبَ وكان ما كان. وذكر الطَّبَري أنَّ اسمَها ليا بنتُ يعقوب، وقيل: رحمةُ بنتُ/ يوسف بن يعقوب، وقيل: بنتُ إفرائيم أو ميشا بن يوسف، وأفادَ ابن خالويه أنَّه يقال لها: أمُّ زيدٍ. ٤٢٢/٦

واختُلِفَ في مُدَّة بَلائِه، فقيل: ثلاثَ عشرةَ سنةً، كما تقدَّم، وقيل: ثلاثُ سنين، وهذا

قولُ وَهْبٍ، وقيل: سبعُ سنين، وهو عن الحسن وقَتَادة، وقيل: إنَّ امرأته قالت له: ألا تَدعُو الله ليُعافيَك، فقال: قد عِشتُ صحيحاً سبعينَ سنةً، أفلا أصبِرُ سبعَ سنين؟ والصَّحيحُ ما تقدَّم أنَّه لَبِثَ في بَلائه ثلاثَ عشرةَ سنةً. وروى الطَّبَري أنَّ مُدَّةَ عمره كانت ثلاثاً وتسعينَ سنةً، فعلى هذا فيكون عاشَ بعدَ أن عُوفي عشرَ سنين، والله أعلم.

٢١ - بابٌ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ كلَّمه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥١-٥٣]

يقال للواحدِ وللاثنَيْنِ، ويقال: خَلَصوا نَجِيّاً: اعْتَزَلوا نَجِيّاً، والجميعُ أَنْجِيةٌ يَتَناجَوْنَ.

تَلَقَّفُ: تَلَقَّمُ.

٣٣٩٢- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، حدَّثنا اللَّيثُ، قال: حدَّثني عُقَيلٌ، عن ابنِ شِهابٍ، سمعتُ عُرْوةَ، قال: قالت عائشةُ رضي الله عنها: فرَجَعَ النبيُّ ﷺ إلى خَدِيجةَ يَرْجُفُ فُؤادُه، فانطَلَقَت به إلى وَرَقةَ بنِ نَوْفَلٍ ـ وكان رجلاً تَنَصَّرَ، يَقرأُ الإنجيلَ بالعربيَّةِ ـ فقال وَرَقةُ: ماذا تَرَى؟ فأخبَرَه، فقال وَرَقةُ: هذا النامُوسُ الذي أنزَلَ اللهُ على موسى، وإنْ أدرَكَني يومُكَ أنصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً.

النامُوسُ: صاحبُ السِّرِّ الذي يُطلِعُه بما يَستُرُه عن غيرِه.

قوله: «بابٌ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿نَجِيًّا﴾» في رواية أبي ذرٍّ: «قولُ الله: واذكُر...» إلى آخره، وليس فيه «بابٌ»، وساقَ في رواية كَرِيمة إلى قوله: ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

قوله: «يقال للواحدِ والاثنَين» زاد الكُشْمِيهني: «والجميع: نَجيٌّ». **«ويقال: خَلَصوا: اعتزَلوا نَجيّاً، والجميعُ أنجِيةٌ يَتَناجَوْنَ»** قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف:٨٠]: أي: اعتزَلوا نَجيّاً يَتَناجَوْنَ، والنَّجِيُّ يقعُ لفظُه على الواحدِ والجمع أيضاً. وقد يُجمَعُ فيقال: نَجيٌّ وأنجِيةٌ، قال لَبِيدٌ:

وشَـهِدتُ أنجيـةَ الأُفاقـةِ عاليـاً كَعْبـي، وأردافُ الملـوكِ شُـهودُ[1]

وموسى: هو ابن عِمرانَ بن لاهب بن عازر بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، لا اختلافَ في نَسَبِه، ذكر السُّدّي في «تفسيره» بأسانيدِه أنَّ بَدْءَ أمرِ موسى أنَّ فِرعَون رأى كأنَّ ناراً أقبلَت من بيتِ المَقدِس، فأحرَقَت دورَ مِصرَ وجميعَ القِبْطِ إلّا دورَ بني إسرائيلَ، فلمَّا استيقَظَ جَمَعَ الكَهَنةَ والسَّحَرةَ فقالوا: هذا غلامٌ يولدُ من هؤلاءِ يكون خَرابُ مِصرَ على يدِه، فأمَرَ بقتل الغِلْمان، فلمَّا وُلِدَ موسى أوحى الله إلى أمِّه أنْ أرضِعيه، فإذا خِفتِ عليه فألقيه في اليَمِّ، قالوا: فكانت تُرضِعُه، فإذا خافَت شيئاً جَعَلَته في تابوتٍ وألقَته في البحر، وجَعَلَت الحبلَ عندها، فنَسِيَت الحبلَ يوماً فجرَى به النّيلُ حتَّى وَقَفَ على باب فِرعَون، فالتَقَطَه الجواري فأحضَروه عند امرأتِه، ففَتَحَت التابوتَ فرأته فأعجَبَها،/ فاستَوهَبَته من فِرعَون فوَهَبَه لها، فربَّته حتَّى كان من أمره ما كان. ٤٢٣/٦

قوله: «**تَلَقَّفُ: تَلَقَّمُ**» هو تفسيرُ أبي عُبيدة، قاله في سورة الأعراف[2].

ثم أورَدَ المصنِّفُ طَرَفاً من حديث بَدْءِ الوحي، وقد تقدَّم شرحُه بتمامه في أوّل الكتاب (٣)، والغرضُ منه قوله: «الناموسُ الذي أُنزِلَ على موسى».

قوله: «**الناموسُ: صاحبُ السِّرِّ الذي يُطلِعُه بما يَستُرُه عن غيرِه**» هو قولُ المصنِّف، وقد تقدَّم قولُ مَن خَصَّه بسِرِّ الخير.

٢٢- باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه:٩-١٢]

﴿ءَانَسۡتُ﴾: أبصرتُ ﴿نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ الآيةَ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المبارَك.

---

(١) الأفاقة: اسم موضع في البحرين، وأرداف الملوك: هم الذين يخلُفونهم في القيام بأمر المملكة، بمنزلة الوزراء واحدهم ـ رِدْف. انظر «اللسان» (ردف) و(أفق).

(٢) الآية (١١٧)، والقراءة المذكورة قرأ بها السبعة إلّا عاصماً في رواية حفص عنه فإنه قرأ: ﴿تَلۡقَفُ﴾ ساكنة اللام خفيفة القاف. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٢٩٠.

﴿طُوًى﴾: اسمُ الوادي.

﴿سِيرَتَهَا﴾ [طه:٢١]: حالَتَها.

﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه:١٢٨]: التُّقَى.

﴿بِمَلْكِنَا﴾ [طه:٨٧]: بأمرِنا.

﴿هَوَىٰ﴾ [طه:٨١]: شَقِيَ.

﴿فَٰرِغًا﴾ [القصص:١٠]: إلا من ذِكْرِ موسى.

﴿رِدْءًا﴾ [القصص:٣٤]: كي يُصدِّقَني، ويقال: مُغِيثاً أو مُعِيناً.

﴿يَبْطِشَ﴾ [القصص:١٩] ويَبْطُش.

﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ [القصص:٢٠]: يَتَشاورونَ.

والجذْوةُ: قِطْعةٌ غَلِيظةٌ مِن الخشبِ ليس فيها لهبٌ.

﴿سَنَشُدُّ﴾ [القصص:٣٥]: سنُعِينُكَ، كلَّما عَزَّزْتَ شيئاً، فقد جَعَلْتَ له عَضُداً.

وقال غيرُه: كلَّما لم يَنْطِق بحَرْفٍ، أو فيه تَمْتَمةٌ، أو فَأْفاةٌ، فهِيَ عُقْدةٌ.

﴿أَزْرِى﴾ [طه:٣١]: ظَهْرِي.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه:٦١]: فيُهْلِكَكم.

﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه:٦٣]: تأنيثُ الأمثَلِ، يقول: بدِينِكم، يقال: خُذِ المُثْلَى، خُذِ الأمثَلَ.

﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه:٦٤]: يقال: هل أتيتَ الصَّفَّ اليومَ؟ يعني: المصَلَّى الذي يُصَلَّى فيه.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ [طه:٦٧]: أَضْمَرَ خَوْفاً، فذهبَتِ الواوُ من ﴿خِيفَةً﴾ لكَسْرةِ الخاء.

﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]: على جُذوع.

﴿خَطْبُكَ﴾ [طه:٩٥]: بالُكَ.

﴿مِسَاسَ﴾ [طه:٩٧]: مَصْدَرُ ماسَّه مِساساً.

﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه:٩٧]: لَنُذْرِيَنَّه.

الضَّحاءُ: الحرُّ.

﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١]: اتَّبِعي أثَرَه، وقد يكونُ أن تَقُصَّ الكلامَ؛ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [يوسف:٣].

﴿عَن جُنُبٍ﴾ [القصص:١١]: عن بُعْدٍ، وعن جَنابةٍ وعن اجْتِنابٍ، واحدٌ.

قال مجاهدٌ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ [طه:٤٠]: مَوْعِدٌ.

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [طه:٤٢]: لا تَضْعُفا.

﴿مَكَانًا سُوًى﴾: مَنصَفٌ بينَهم.

﴿يَبَسًا﴾ [طه:٧٧]: يابساً.

﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه:٨٧]: الحُلِيِّ الذي استَعاروا من آلِ فِرْعَونَ.

فقَذَفتُها: ألقَيتُها.

﴿أَلْقَى﴾: صَنَعَ.

﴿فَنَسِيَ﴾ موسى، هم يقولونه: أخطأَ الرَّبَّ ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه:٨٩] في العِجْلِ.

قوله: «باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذْ رَءَا نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾» سقط لفظُ «باب» عند أبي ذرٍّ وكَريمة.

٤٢٤/٦ قوله: «﴿ءَانَسْتُ﴾: أبصَرْت» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩] أي: أبصَرَ.

قوله: «قال ابن عبَّاسٍ: المقدَّسُ: المبارَكُ، طُوًى: اسمُ الوادي» هكذا وَقَعَ هذا التَّفسيرُ وما بعدَه في رواية أبي ذرٍّ عن المُستَمْلي والكُشْمِيهني خاصَّةً، ولم يَذكُره جميعُ رواة البخاري هنا، وإنَّما ذَكَروا بعضَه في تفسير سورة طه، وها أنا أشرَحُه هنا وأُبيِّنُ إذا أُعِيدَ في تفسير «طه» إن شاء الله تعالى ما سَبَقَ منه هنا. وقولُ ابن عبَّاسٍ هذا وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليِّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ به، وروى هو والطَّبَري (١٦/ ١٤٥) من وجهٍ آخرَ عن ابن عبَّاسٍ أنَّه سُمِّي طُوًى، لأنَّ موسى طَواه ليلاً. قال الطَّبَري: فعلى هذا فالمعنى: إنَّك بالوادي المقدَّس طَوَيتَه، وهو مصدَرٌ أُخرِجَ من غير لفظِه، كأنَّه قال: طَوَيتَ الوادي المقدَّسَ طُوًى.

وعن سعيد بن جُبَير قال: قيل له: طوًى، أي: طَأِ الأرضَ حافياً، وروى الطَّبَري عن مجاهدٍ مِثلَه، وعن عِكْرمةَ، أي: طَأِ الوادي، ومن وجهٍ آخرَ عنه[1] عن ابن عبَّاسٍ كذلك، وروى ابن أبي حاتم من طريق مُبشِّرِ بن عُبيدٍ، والطَّبَري من طريق الحسن قال: قيل له: طُوًى، لأنَّه قُدِّسَ مرَّتَين.

وقال الطبري: قال آخرون: معنى قوله: ﴿ طُوًى ﴾ أي: ثِنًى، أي: ناداه ربُّه مرَّتَين: إنَّك بالوادي المقدَّسِ، وأنشَدَ لذلك شاهداً قولَ عَديٍّ بن زيدٍ:

أَعــاذِلُ إنَّ اللَّــومَ في غــيرِ حِينِــهِ   عــليَّ طِــوًى مــن غَيِّــكِ المتــرَدِّدِ

وقال أبو عُبيدة: طِوًى يكسر أوَّلَه قومٌ، كقولِ الشّاعر[2]:

وإنْ كـان حيَّانـا عِـدَى آخـرَ الدَّهـرِ

قال: ومَن جَعَلَ طوى اسمَ أرضٍ لم يُنوِّنه، ومَن جعله اسمَ الوادي صَرَفَه، ومَن جعله مصدراً بمعنى: نُودِي مرَّتَين، صَرَفَه تقولُ: نادَيتُه ثِنًى وطوًى، أي: مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، وأنشَدَ البيتَ المذكورَ.

قوله: «سِيرَتَها: حالتَها» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يقول: حالتَها الأولى، ورواه ابن جَرير (١٦/ ١٥٧) كذلك. ومن طريق مجاهدٍ وقَتَادة: سيرتَها: هيئتَها.

قوله: «والنُّهى: التُّقى» وَصَلَه الطَّبَري (١٦/ ٢٣١) من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ قال: لأولي التُّقى. ومن طريق سعيدٍ عن قَتَادة ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: لأولي الوَرَع. قال الطَّبَري: خَصَّ أولي النُّهى لأنَّهم أهلُ التفكُّرِ والاعتبار.

قوله: «بمَلْكِنا: بأمرِنا» وَصَلَه ابن أبي حاتم والطَّبَري من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن

(١) لفظ «عنه» سقط من (س)، ورواية عكرمة عن ابن عباس هذه عند الطبري ١٦/ ١٤٦.

(٢) هو الأخطل، انظر «ديوانه» ص١٢٨.

ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ يقول: بأمرِنا، ومن طريق سعيدٍ عن قَتَادة: بمَلْكِنا، أي: بطاقَتِنا، وكذا قال السُّدّي، ومن طريق ابن زيدٍ: بهَوانا. واختَلَفَ أهلُ القراءة في ميمِ «مَلْكِنا» فقرؤوا بالضَّمِّ وبالفتح وبالكسر[1]، ويُمكِنُ تخريجُ هذه التَّأويلات على هذه القراءات.

قوله: «﴿هَوَىٰ﴾: شَقِيَ» وَصَلَه ابن أبي حاتم من الطَّريق المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ قال: يعني: شقيَ. وكذا أخرجه الطَّبَري (١٦/ ١٩٤).

قوله: «﴿فَٰرِغًا﴾: إلّا من ذِكْرِ موسى» وَصَلَه سعيدُ بنُ عبد الرحمنِ المخزومي في «تفسير» ابن عُيَينَةَ من طريق عِكْرِمةَ عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ قال: من كلٍّ إلّا من ذِكْر موسى، وأخرج الطَّبَري (٢٠/ ٣٥) من طريق سعيد بن جُبَير عن ابن عبَّاسٍ نحوَه، ومن طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ: ﴿فَٰرِغًا﴾: لا تَذكُر إلّا موسى، ومن طريق مجاهدٍ وقَتَادة نحوَه، ومن طريق الحسن البصري: أصبَحَ فارغاً من العَهدِ الذي عُهِدَ إليها أنَّه سيُرَدُّ عليها. وقال أبو عُبيدة في قوله ﴿فَٰرِغًا﴾ أي: من الحُزنِ لعِلمِها أنَّه لم يَغرَق. ورَدَّ ذلك الطَّبَري وقال: إنَّه مخالفٌ لجميع أقوال أهلِ التَّأويل. وأُمُّ موسى: اسمُها بادونا، وقيل: أباذخت، ويقال: بوخيذ.

٦/٤٢٥ قوله: «﴿رِدْءًا﴾: كَي يُصدِّقَني» وَصَلَه ابن أبي حاتم من الطَّريق المذكورة قبلُ، وروى/ الطَّبَري (٢٠/ ٧٥) من طريق السُّدّي قال: كَيما يُصدِّقَني، ومن طريق مجاهدٍ وقَتَادة: ﴿رِدْءًا﴾ أي: عَوناً.

قوله: «ويقال: مُغيثاً أو مُعيناً» يعني بالمعجَمة والمثلَّثة وبالمهمَلة والنّونِ؛ قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أي: مُعِيناً، يقال فيه: أردَأتُ فلاناً على عدوِّه، أي: أكنَفتُه وأعَنتُه، أي: صِرتُ له كَنَفاً.

---

(١) قرأ نافع وعاصم بفتح الميم على المصدر، وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وبكسرها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. انظر «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٤٦١.

قوله: «يَبْطِشُ، ويَبْطُش» يعني: بكسر الطاءِ وبضمِّها، قال أبو عُبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: بالطاءِ مكسورةً ومضمومةً لُغتان. قلت: الكسرُ القراءةُ المشهورةُ هنا، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان:١٦]، والضَّمُّ قراءةُ أَبي[١] جعفرٍ، ورُويت عن الحسن أيضاً.

قوله: «﴿يَأْتَمِرُونَ﴾: يَتَشاورونَ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ أي: يَهمّونَ بك ويتآمَرونَ ويَتَشاورونَ. انتهى، وهي بمعنى يتآمَرونَ، ومنه قولُ الشّاعر[٢]:

أَرى النــاسَ قــد أَحــدَثوا شِــيمةً وفي كــلِّ حادثــةٍ يُؤْتَمــرْ

وقال ابن قُتَيبَةَ: معناه: يأمرُ بعضُهم بعضاً، كقوله: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٦].

قوله: «والجَذْوَةُ: قِطْعةٌ غليظةٌ من الخشبِ ليس فيها لهبٌ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص:٢٩] أي: قِطعةٌ غليظةٌ من الحَطَبِ ليس فيها لهبٌ، قال الشّاعرُ[٣]:

باتَــتْ حَواطــبُ لــيلى يَلتَمِــسنَ لهــا جَــزْلَ الجِــذَا غــيرَ خَــوّارٍ ولا دَعِــرِ

والجَذوَةُ: مُثلَّثَةُ الجيم.

قوله: «﴿سَنَشُدُّ﴾: سَنُعِينُك، كلَّما عَزَّزْتَ شيئاً فقد جَعَلْتَ له عَضُداً» وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:٣٥] أي: سنُقوّيك به ونُعِينُك، تقولُ: شَدَّ فلانٌ عَضُدَ فلانٍ: إذا أعانَه، وهو من: عاضَدْتُه على أمره، أي: عاوَنتُه.

قوله: «وقال غيرُه: كلَّما لم يَنْطِقْ بحَرْفٍ، أو فيه تَمْتَمةٌ أو فَأْفَأةٌ، فهي عُقْدةٌ» هو قولُ أبي عُبيدة، قال في قوله تعالى: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه:٢٧]: العُقدةُ في اللِّسان ما لم يَنطِق

---

(١) تحرف في (س) إلى: «ابن»، وأبو جعفر هذا: هو يزيد بن القعقاع المدني أحد القراء العشرة.

(٢) هو النَّمِر بن تَولَب كما في «تفسير الطبري» ٢٠/ ٥٢.

(٣) هو تميم بن مقبل كما في «تفسير الطبري» ٢٠/ ٦٩.

بحرفٍ أو كانت فيه مُسْكةٌ من تَمتَمةٍ أو فأفاةٍ.

وروى الطَّبَري (١٦/ ١٥٩) من طريق السُّدّي قال: لمَّا تَحرَّكَ موسى أخَذَته آسيةُ امرأةُ فِرعَون ترقِّصُه ثمَّ ناوَلَته لِفرعَون، فأخَذَ موسى بلحيتِه فنتَفَها، فاستَدعى فِرعَونُ الذَّبّاحينَ، فقالت آسيةُ: إنَّه صبيٌّ لا يَعقِل، فوَضَعَت له جَمراً وياقوتاً وقالت: إن أخَذَ الياقوتَ فاذبَحْه، وإن أخَذَ الجَمرةَ فاعرف أنَّه لا يَعقِل، فجاء جِبْريلُ فطَرَحَ في يدِه جمرةً فطَرَحَها في فيه، فاحتَرَقَ لسانُه، فصارت في لسانه عُقدةٌ من يومِئذٍ. ومن طريق مجاهدٍ وسعيد بن جُبَير نحوَ ذلك.

والتَّمتَمةُ: هي التردُّدُ في النُّطقِ بالمثنّاة الفَوْقانية، والفَأفأةُ بالهمزة: التردُّدُ في النُّطقِ بالفاء.

قوله: «﴿أَزْرِى﴾: ظَهْري» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ أي: ظَهري، ويقال: قد آزَرَني، أي: كان لي ظَهراً ومُعيناً. وأورَدَ الطبري[1] بإسنادٍ لَيِّنٍ عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ قال: ظَهْري.

قوله: «﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: فيُهْلِكَكم» وَصَلَه الطَّبَري (١٦/ ١٧٨) من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ، وهو قولُ أبي عُبيدة قال: وتقولُ: سَحَتَه وأسحَتَه، بمعنًى، قال الطَّبَري: سَحَتَ أكثرُ من أسحَتَ، وروى من طريق قَتَادة في قوله: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ أي: يَستأصِلَكم، والخِطابُ للسَّحَرة، ويقال: إنَّ اسمَ رُؤَسائهم: عاذور وسابور وحطحط والمصفا.

قوله: «﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾: تأنيثُ الأمثَلِ، يقول: بدينِكم. يقال: خُذ المُثْلى، خُذ الأمثَلَ» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه:٦٣] أي: بسُنَّتِكم ودينِكم وما أنتم عليه، والـمُثْلى تأنيثُ الأمثَلِ، تقول: خذ الـمُثْلى منهما للأُنثَيَينِ، وخُذ الأمثَلَ منهما إذا كان ذَكَراً، والمرادُ بالـمُثْلى: الفُضلى.

قوله: «﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ يقال:/ هل أتيت الصَّفَّ اليومَ، يعني: المصَلّى الذي يُصَلّى فيه» ٤٢٦/٦

---

(١) قوله: الطبري، سقط من (س)، وهذا الأثر أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٦/ ١٦٠ بإسناده عن محمد بن سعد عن أبيه عن عمه، قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، فذكره، وهو إسناد ضعيف كما ذكر الحافظ.

قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ أي: صُفوفاً، وله معنًى آخرُ من قولهم: هل أتيت الصَّفَّ اليومَ؟ أي: المصلَّى الذي يُصَلّى فيه.

قوله: «﴿فَأَوْجَسَ﴾: أَضْمَرَ خَوْفاً، فذهبَت الواوُ من ﴿خِيفَةً﴾ لكَسْرةِ الخاء» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: فأضمَرَ منهم خيفةً، أي: خَوفاً، فذهبَت الواوُ فصارت ياءً من أجلِ كسرة الخاء. قال الكِرْماني: مِثلُ هذا الكلام لا يَليقُ بجَلالة هذا الكتاب أن يُذكَرَ فيه. انتهى، وكأنَّه رأى فيه ما يخالفُ اصطِلاحَ المتأخِّرينَ من أهلِ عِلمِ التَّصريفِ فقال ذلك حيثُ قالوا في مِثل هذا: أصلُ «خيفة» خَوفةٌ، فقُلِبَت الواوُ ياءً لسُكونها[1] بعدَ كسرةٍ، وما عَرَفَ أنَّه كلامُ أحد الرُّؤوسِ العلماءِ باللِّسان العربي، وهو أبو عُبيدة مَعمَرُ بنُ المثنَّى البصري.

قوله: «﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: على جُذوع» هو قولُ أبي عُبيدة، واستَشهَدَ بقولِ الشّاعر[2]:

هُـمُ صَـلَبوا العَبْـديَّ في جِـذْعِ نخلـةٍ

وقال: إنَّما جاء «على» موضع «في» إشارةً لبيانِ شِدَّة التَّمَكُّن في الظَّرْفية.

قوله: «﴿خَطْبُكَ﴾: بالُكَ» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ أي: ما بالُك وشأنُك؟ قال الشّاعرُ[3]:

يـا عَجَبـاً مـا خَطْبُـهُ وخَطْبـي

وروى الطَّبَري (١٦/ ٢٠٤) من طريق السُّدّي في قولِ الله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ قال: ما لَكَ يا سامريّ؟ واسمُ السامري المذكورِ يأتي.

قوله: «﴿مِسَاسَ﴾: مَصْدَرُ ماسَّه مِساساً» قال الفرّاء: قوله: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أَمَسُّ ولا أُمَسّ، والمرادُ أنَّ موسى أمَرَهم أن لا يُؤاكِلوه ولا يخالطوه، وقُرِئَ: «لا مَساسَ» بفتح

---

(١) في (س): لكونها، وهو تحريف.

(٢) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري كما في «لسان العرب» (عبد).

(٣) هو رؤبة بن العجّاج كما في «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢٦٨.

الميم[1]، وهي لغةٌ فاشيَةٌ، واسمُ السامري موسى بنُ ظفر، وكان من قومٍ يَعبُدونَ البقرَ. وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿لَا مِسَاسَ﴾: إذا كُسِرت الميم جازَ النَّصبُ والرفعُ والجرُّ بالتَّنوين، وجاءت هنا مَنفيةً ففُتِحَت بغير تنوينٍ، قال النابغةُ:

فأصبَحَ من ذاكَ كالسامري إذ قال موسى له: لا مِساسا

قال: والمماسَّةُ والمخالَطةُ واحدٌ، قال: ومنهم مَن جعلها اسماً فكَسَرَ آخرَها بغير تنوينٍ، قال الشّاعر:

تَميمٌ كرَهطِ السامريِّ وقولِه ألا لا يريدُ السامري مَساسِ

أجراها مجرى قَطَامِ وحَذَامِ.

قوله: «﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: لَنُذرِيَنَّه» وَصَلَه الطَّبَري (١٦/ ٢٠٩) من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ يقول: لَنُذرينَّه في البحر.

قوله: «الضَّحاء: الحَرُّ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٩] أي: لا تَعطَشُ ولا تَضْحى للشمس فتَجِدَ الحَرَّ، وروى الطَّبَري (١٦/ ٢٢٣) من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ: لا يُصيبُك فيها عَطَشٌ ولا حَرٌّ. قلت: وهذا الموضعُ وَقَعَ استطراداً، وإلّا فلا تعلُّقَ له بقصَّة موسى عليه السلام.

قوله: «﴿قُصِّيهِ﴾: اتَّبِعي أثَرَهُ، وقد يكون أن تَقصَّ الكلامَ، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾» أمّا الأوَّلُ فهو قولُ مجاهدٍ والسُّدّي وغيرهما أخرجه ابن جَرِير (١٦/ ٣٨ و٣٩)، وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتَّبِعي أثَره، تقولُ: قَصَصتُ آثارَ القومِ، وأمّا الثّاني فهو من قِبَلِ المصنِّف. وأُختُ موسى اسمُها مريمُ، وافَقَتها في ذلك مريمُ بنتُ عِمرانَ والدةُ عيسى عليه السلامُ.

قوله: «﴿عَن جُنُبٍ﴾: عن بُعْدٍ، وعن جَنابةٍ وعن اجْتِنابٍ، واحدٌ» روى الطَّبَري (٢٠/ ٣٩) من طريق مجاهدٍ في قوله: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ قال: عن بُعدٍ. وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى:

---

(١) وهي قراءة شاذّة، انظر «المحتسب» لابن جنّي ٢/ ٥٦.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بُعدٍ وتجنُّبٍ، ويقال: ما تأتينا إلّا عن جَنابةٍ وعن جُنُبٍ، قال الشّاعرُ[1]:

فــلا تحرِمنِّــي نــائلاً عــن جَنابــةٍ　　فـإنّي امـرُؤٌ وَسْـطَ القِبـاب غريـبُ

وفي حديث الفُتون[2] الطَّويلِ عن ابن عبَّاسٍ: الجُنُب أن يَسمُوَ بَصَرُ الإنسان إلى الشيءِ البعيد وهو إلى جنبِه لم يَشعُر.

قوله: «قال مجاهدٌ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾: موعدٍ» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيح عنه، روى الطَّبَري (١٦/ ١٦٧) من طريق العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ أي: على ميقاتٍ. ٤٢٧/٦

قوله: «﴿وَلَا تَنِيَا﴾: لا تَضْعُفا» وَصَلَه الفِرْيابي أيضاً عن مجاهدٍ، وروى الطَّبَري (١٦/ ١٦٨) من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ قال: لا تُبطِئا.

قوله: «﴿مَكَانًا سُوًى﴾: مَنصَفٌ بينهم» وَصَلَه الفِرْيابي أيضاً عن مجاهدٍ، وقال أبو عُبيدة: بضمِّ أوَّلِه وبكسره كعُدًى وعِدًى، والمعنى: النِّصفُ والوَسَط.

قوله: «﴿يَبَسًا﴾: يابساً» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيح عن مجاهدٍ في قوله: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابساً، وقال أبو عُبيدة في قوله: ﴿طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾: مُتَحرِّكُ الحروفِ، وبعضُهم يُسكِّنُ الباءَ، وتقولُ: شاةٌ يَبَسٌ بالتَّحريكِ، أي: يابسةٌ ليس لها لَبَنٌ.

قوله: «﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: الحُلِيُّ الذي استَعاروا من آلِ فِرعَونَ» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيح عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: الحُلي الذي استَعاروا من آلِ فِرعَون، وهي الأثقالُ، أي: الأوزار، وروى الطَّبَري (١٦/ ١٩٩) من طريق ابن زيدٍ قال: الأوزارُ: الأثقالُ، وهي الحُلي الذي استَعاروه من آلِ فِرعَون، وليس المرادُ بها الذُّنوب، ومن طريق قَتادة قال: كان الله وَقَّتَ لموسى ثلاثينَ ليلةً ثمَّ أتـمَّها بعشرٍ،

---

(١) هو علقمة بن عبدة كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ٩٨.

(٢) تحرف في الأصلين و(س) إلى: القنوت. والحديث أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣).

فلمَّا مَضَت الثلاثونَ قال السامري لبني إسرائيل: إنَّما أصابكم الذي أصابكم عُقوبةً بالحُلي الذي كان معكم، وكانوا قد استَعاروا ذلك من آلِ فِرعَون فساروا وهي معهم، فقَذَفوها إلى السامري فصَوَّرَها صورةَ بقرةٍ، وكان قد صَرَّ في ثوبِه قَبضةً من أثرِ حافر فرسِ جِبْريلَ، فقَذَفَها مع الحُلي في النار فأخرج عِجلاً يَخُور.

قوله: «فقَذَفتها: ألقيتُها، ﴿أَلْقَى﴾: صَنَعَ» وَقَعَ في رواية الكُشْمِيهني: ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ [طه:٨٧]، وَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيحٍ عن مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه:٩٦]، ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ قال: ألقيناها، وفي قوله: ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي: صَنَعَ، وفي قوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتُها.

قوله: «﴿فَنَسِيَ﴾: موسى، هم يقولونه: أخطأَ الرَّبَّ» وَصَلَه الفِرْيابي عن مجاهدٍ كذلك، وروى الطَّبَري (١٦/ ٢٠٠) من طريق السُّدّي قال: لمَّا خَرَجَ العِجلُ فخارَ قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، فنَسيَ، أي: فنسيَ موسى وضَلَّ، ومن طريق قَتادة نحوُه قال: نَسي موسى ربَّه. ومن طريق سعيد بن جُبَير عن ابن عبَّاسٍ: ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: السامريُّ نَسي ما كان عليه من الإسلام.

قوله: «﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: في العِجْل» وَصَلَه الفِرْيابي عن مجاهدٍ كذلك، وقال أبو عُبيدة: تقديرُ القراءة بالضَّمِّ: أنَّه لا يَرجِعُ، ومَن لم يَضُمَّ العينَ نَصَبَ بأَنْ[1].

تنبيه: لَمَّح المصنِّفُ بهذه التَّفاسير لمَا جَرَى لموسى في خروجِه إلى مَديَنَ، ثمَّ في رُجوعِه إلى مِصرَ، ثمَّ في أخباره مع فِرعَون، ثمَّ في غَرَقِ فِرعَون، ثمَّ في ذهابه إلى الطُّور، ثمَّ في عبادة بني إسرائيلَ العِجلَ، وكأنَّه لم يَثبُت عنده في ذلك من المرفوعات ما هو على شرطِه، وأصحُّ ما وَرَدَ في جميع ذلك ما أخرجه النَّسائي (ك١١٣٢٥) وأبو يَعْلى (٢٦١٨) بإسنادٍ حسنٍ[2] عن ابن

---

(١) وهي قراءة شاذّة، وقراءة الجمهور: «يرجعُ» بالرفع.

(٢) ذكره بطوله الحافظُ ابن كثير في «البداية والنهاية» ١/ ٢٨٠-٢٨٦، وقال في آخره بعد أن عزاه للنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم: والأشبه والله أعلم أنه موقوف، وكونه مرفوعاً فيه نظر، وغالبه متلقًّى من الإسرائيليات، وفيه شيء يسير مصرَّحٌ برفعه في أثناء الكلام، وفي بعض ما فيه نظر ونكارة، والأغلب أنه =

عبَّاسٍ في حديث الفُتون[1] الطَّويلِ في قَدْرِ ثلاثِ ورقاتٍ، وهو في تفسير طه عنده وعند ابن أبي حاتم وابن جَرِير (١٦/ ١٦٤-١٦٧) وابن مَرْدويه وغيرهم ممَّن خَرَّجَ التَّفسيرَ المسنَدَ.

٣٣٩٣- حدَّثنا هُدْبةُ بنُ خالدٍ، حدَّثنا همَّامٌ، حدَّثنا قَتادةُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن مالكِ ابنِ صَعْصَعة: أنَّ رسولَ الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةَ أُسْرِيَ به: «حتَّى أَتى السماءَ الخامسةَ، فإذا هارونُ قال: هذا هارونُ، فسَلِّمْ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فرَدَّ ثمَّ قال: مَرْحباً بالأخِ الصالحِ، والنبيِّ الصالحِ».

تابَعَه ثابتٌ وعبّادُ بنُ أبي عليٍّ، عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ.

ثم ذكر المصنِّفُ طَرَفاً من حديث الإسراءِ من رواية قَتَادة عن أنسٍ عن مالكِ بن صَعصَعةَ، وسيأتي بتمامه في السِّيرة النَّبوية (٣٨٨٧)، واقتَصَرَ منه هنا على قوله: «حتَّى أتى السماءَ الخامسةَ فإذا هارون» الحديثَ، بهذه القصَّة خاصَّةً، ثمَّ قال: «تابعَه ثابتٌ وعبّادُ بنُ أبي عليّ عن أنسٍ»، وأراد بذلك أنَّ هذَينِ تابَعا قَتادةَ عن أنسٍ في ذِكْر هارونَ في السماءِ الخامسة، لا في جميع الحديث، بل ولا في الإسناد، فإنَّ روايةَ ثابتٍ موصولةٌ في «صحيح مسلم» (١٦٢/ ٢٥٩) من طريق حمَّادِ بن سَلَمةَ عنه، ليس فيها ذِكرُ مالكِ بن صَعْصَعةَ، نعم فيها ذِكرُ هارونَ في السماءِ الخامسة، وكذلك في رواية عبّادِ بن أبي عليّ، وهو بصري، ليس له/ في البخاري ذِكرٌ إلّا في هذا الموضع، ووافَقَ ثابتاً في أنَّه لم يَذكُر لأنسٍ فيه شيخاً، وقد وافَقَهما شَرِيكٌ عن أنسٍ في ذلك وفي كَونِ هارونَ في الخامسة، وسيأتي حديثُه في أثناءِ السِّيرة النَّبوية[2]. وأمَّا قَتَادة فقال: عن أنسٍ عن مالكِ بن صَعصَعةَ، وأمَّا الزُّهْري فقال: عن أنسٍ عن أبي ذرٍّ، كما مضى في أوَّل الصلاة (٣٤٩)، ولم يَذكُر في حديثِه هارونَ أصلاً، وإلى هذا أشارَ المصنِّفُ بالمتابَعة، والله أعلم. ٦/٤٢٨

= كلام كعب الأحبار، وقد سمعت شيخنا أبا الحجاج المزي يقول ذلك، والله أعلم.

(١) تحرَّف في الأصلين و(س) إلى: القنوت.

(٢) برقم (٣٥٧٠) لكنه مختصر جدّاً، وأما روايته المطوَّلة فستأتي في التوحيد برقم (٧٥١٧) لكن وقع فيها أنَّ هارون في الرابعة وليس في الخامسة.

٢٣- باب ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ ﴾
إلى قوله: ﴿ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨]

قوله: «باب ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾» كذا وَقَعَت هذه التَّرجمةُ بغير حديثٍ، ولعلَّه أخلى بياضاً في الأصلِ فوُصِلَ كنظائره، ووَقَعَ هذا في رواية النَّسَفي[1] مضموماً إليه ما في الباب الذي بعدَه، وهو مُتَّجِهٌ.

واختُلِفَ في اسم هذا الرجلِ، فقيل: هو يُوشَعُ بنُ نونٍ، وبه جَزَمَ ابن التِّين، وهو بعيدٌ لأنَّ يُوشَعَ كان من ذُرِّية يوسف عليه السلام، ولم يكن من آلِ فِرعَون، وقد قيل: إنَّ قوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ مُتعلِّقٌ بيكتُمُ إيمانَه، والصَّحيحُ أنَّ المؤمنَ المذكورَ كان من آلِ فِرعَون، واستَدَلَّ لذلك الطَّبَري بأنَّه لو كان من بني إسرائيلَ لم يُصْغِ فِرعَونُ إلى كلامه ولم يَستَمِع منه. وذكر الثَّعلَبي عن السُّدِّي ومقاتلٍ: أنَّه ابن[2] عمِّ فِرعَون، وقيل: اسمُه شمعان، بالشِّين المعجَمة، قال الدّارَقُطني في «المؤتَلِف»: لا يُعرَفُ شمعان بالشِّين المعجَمة إلّا هذا، وصَحَّحَه السُّهَيلي، وعن الطبري: اسمُه حيزور، وقيل: حزقيل بن برحايا، وقيل: حربيال، قاله وهبُ بنُ مُنبِّهٍ، وقيل: حابوت، وعن ابن إسحاق[3]: اسمُه حبيبٌ، وهو ابن عمِّ فِرعَون، وأخرجه عبدُ بن حُميدٍ، وقيل: هو حبيبٌ النَّجّارُ، وهو غَلَطٌ، وذكر الوزيرُ أبو القاسم المغربي في «أدب الخواصّ»: أنَّ اسمَ صاحبِ فِرعَون حَوْتَكةُ بنُ سودِ بن أسلَمَ من قُضاعةَ، وعزاه لرواية أبي هريرة.

٢٤- باب قول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [طه:٩]
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]

٣٣٩٤- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى، أخبرنا هشامُ بنُ يوسفَ، أخبرنا مَعمَرٌ، عن الزُّهْريِّ، عن سعيد بنِ المسيَّبِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليلةَ أُسْرِيَ بي رأيتُ

---

(١) في (ع): المستملي!

(٢) في (س): ابن ابن، بتكرار لفظ «ابن» وهو خطأ.

(٣) تحرف في (س) إلى: ابن عباس.

موسى، وإذا هو رجلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ كأنَّه من رجال شَنُوءةَ، ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رَبْعةٌ أحمرُ كأنَّما خَرَجَ من دِيماسٍ، وأنا أشبَهُ ولدِ إبراهيمَ به، ثمَّ أُتيتُ بإناءَين في أحدِهما لَبَنٌ وفي الآخَرِ خمرٌ، فقال: اشرَبْ أيَّهما شئتَ، فأخَذْتُ اللَّبَنَ فشَرِبتُه، فقيل: أخَذْتَ الفِطْرةَ، أمَا إنَّكَ لو أخَذْتَ الخمرَ، غَوَتْ أُمّتُكَ».

[أطرافه في: ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣]

٣٣٩٥- حدَّثني محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا غُندَرٌ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن قَتادةَ، قال: سمعتُ أبا العاليةِ، حدَّثنا ابنُ عَمِّ نبيِّكم - يعني: ابنَ عبَّاسٍ - عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يَنبَغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونُسَ بنِ مَتَّى» ونَسَبَه إلى أبيه.

[أطرافه في: ٣٤١٣، ٤٦٣٠، ٧٥٣٩]

٣٣٩٦- وذَكَر النبيُّ ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به، فقال: «موسى آدمُ طُوَالٌ، كأنَّه من رجال شَنُوءةَ»، وقال: «عيسى جَعْدٌ مَرْبوعٌ». وذَكَر مالكاً خازنَ النار، وذكر الدَّجّالَ.

٣٣٩٧- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، حدَّثنا أيوبُ السَّخْتِيانيُّ، عن ابنِ سعيدِ ابنِ جُبَير، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا قَدِمَ المدينةَ، وَجَدَهم يصومونَ يوماً - يعني: يومَ عاشُوراءَ - فقالوا: هذا يومٌ عظيمٌ، وهو يومٌ نَجَّى اللهُ فيه موسى، وأغرَقَ آلَ فِرْعَونَ، فصامَ موسى شُكْراً لله، فقال: «أنا أَوْلَى بموسى منهم»، فصامَه وأمَرَ بصيامِه.

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾» ٤٢٩/٦

ذكر في الباب ثلاثةَ أحاديث:

أحدها: حديثُ أبي هريرة في صفة موسى وعيسى وغير ذلك.

ثانيها: حديثُ ابن عبَّاسٍ في ذلك، وفيه ذِكرُ يونُسَ.

ثالثها: حديثُه في صوم عاشُوراءَ.

وقوله في حديث أبي هريرة: «رأيت موسى وإذا هو رجلٌ ضَرْبٌ» بفتح المعجَمة وسكونِ الرّاءِ بعدَها موحَّدةٌ، أي: نحيفٌ.

قوله: «رَجِلٌ» بفتح الرّاءِ وكسر الجيم، أي: دَهِينُ الشَّعرِ مُستَرسِلُه، وقال ابن السِّكِّيت: شَعرٌ رَجِلٌ، أي: غيرُ جَعدٍ.

قوله: «كأنَّه من رجال شَنُوءةَ» بفتح المعجَمة وضمِّ النّونِ وسكونِ الواو بعدَها همزةٌ ثمَّ هاءُ تأنيثٍ: حَيٌّ من اليمن يُنسَبونَ إلى شَنُوءةَ: وهو عبدُ الله بنُ كعبِ بن عبد الله بن مالكِ ابن نَصْر بن الأزْدِ، ولُقِّبَ شَنُوءةَ لشَنَآنٍ كان بينه وبين أهلِه، والنِّسبةُ إليه شَنُوئيّ بالهمز بعدَ الواو وبالهمز بغير واوٍ، قال ابن قُتَيبةَ: سُمّي بذلك من قولِك: رجلٌ فيه شَنُوءةٌ، أي: تَقَزُّزٌ، والتقزُّزُ بقافٍ وزايين: التَّباعُدُ من الأدْناس، قال الدّاوودي: رجالُ الأزدِ معروفونَ بالطُّولِ. انتهى، ووَقَعَ في حديث ابن عمرَ عند المصنِّف (٣٤٣٨) بعدُ: «كأنَّه من رجال الزُّطّ»: وهم معروفونَ بالطّولِ والأُدْمة.

قوله: «ورأيت عيسى» سيأتي الكلامُ على ذلك في ترجمة عيسى (٣٤٣٧).

قوله: «وأنا أشبَهُ ولدِ إبراهيمَ به» أي: الخليلَ عليه السلام، وزاد مسلمٌ (١٦٧) من رواية أبي الزُّبَير عن جابرٍ: «ورأيت جِبْريلَ فإذا أقربُ الناس به شَبَهاً دِحْية».

قوله: «ثمَّ أُتِيتُ بإناءَين» سيأتي الكلامُ عليه في حديث الإسراءِ في السِّيرة النَّبوية (٣٨٨٧) إن شاء الله تعالى.

وقوله في حديث ابن عبَّاسٍ: «سمعْتُ أبا العاليَة» هو الرِّياحي، بكسر الرّاءِ وتخفيفِ التَّحتانية ثمَّ مُهمَلةٍ، واسمُه رُفَيعٌ بالفاءِ مُصغَّرٌ، وروى عن ابن عبَّاسٍ آخرُ يقال له: أبو العاليَة، وهو البَرّاءُ بالتَّشديد، نِسبةً إلى بَرْي السِّهام، واسمُه زيادُ بنُ فيروزَ، وقيل غيرُ ذلك، وحديثُه عن ابن عبَّاسٍ سَبَقَ في تقصير الصلاة (١٠٨٥).

قوله: «لا يَنبَغي لعبدٍ» يأتي الكلامُ عليه في ترجمة يونُسَ عليه السلام (٣٤١٣).

قوله: «وذكر النبي ﷺ ليلةَ أُسْريَ به» في رواية الكُشْمِيهني: «ليلةَ أُسري بي» على الحكاية. وهذا الحديثُ الواحدُ أفرَدَه أكثرُ الرُّواة فجعَلوه حديثَين: أحدُهما يَتعلَّقُ بيونُسَ عليه السلام، والثّاني حديثٌ آخر.

وقوله: «فقال: موسى آدمُ طُوَالٌ» زَعَمَ ابن التِّين أنَّه وَقَعَ هنا: «آدمُ جَسِيمٌ طوالٌ»،

ولم أرَ لفظَ: «جَسيم» في هذه الرِّواية. وقوله: «آدمُ» بالمدِّ، أي: أسمَر، وطُوَالٌ: بضمِّ المهمَلة وتخفيفِ الواو.

وأما حديثُ ابن عبَّاسٍ في صوم عاشُوراءَ، سَبَقَ شرحُه في كتاب الصِّيام (٢٠٠٤).

٢٥- باب قول الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢-١٤٣]

يقال: دَكَّه: زَلْزَلَه، ﴿فَدُكَّتَا﴾ [الحاقة:١٤]: فدُكِكْنَ، جَعَلَ الجبالَ كالواحدةِ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء:٣٠] ولم يَقُل: كُنَّ رَتْقاً: مُلتَصِقتَينِ.

﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ [البقرة:٩٣]: ثوبٌ مُشْرَبٌ: مصبوغٌ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف:١٦٠]: انفجَرَتْ.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأعراف:١٧١]: رَفَعْنا.

٣٣٩٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ يوسفَ، حدَّثنا سفيانُ، عن عَمْرِو بنِ يحيى، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ: قال: «الناسُ يَصْعَقونَ يومَ القيامةِ، فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العَرْشِ، فلا أدري أفاقَ قبلي، أم جُوزِيَ بصَعْقةِ الطُّور؟».

٣٣٩٩- حدَّثني عبدُ الله بنُ محمَّدٍ الجُعْفيُّ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «لولا بنو إسرائيلَ لم يَخْنَزِ اللَّحْمُ، ولولا حَوّاءُ لم تَخُنْ أُنثى زوجَها الدَّهْرَ».

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾» ٦/٤٣٠ ساقَ في رواية كَريمة الآيتَين كِلْتَيهما.

وقوله: «﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾» فيه إشارةٌ إلى أنَّ المواعَدة وَقَعَت مرَّتَينِ، وقوله: ﴿صَعِقًا﴾ أي: مَغشيّاً عليه.

قوله: «يقال: دَكَّه: زَلْزَلَه» هذا ذكره هنا لقوله في قصَّة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال أبو عُبيدة: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: مُستَوياً مع وجه

الأرضِ، وهو مصدَرٌ جُعِلَ صفةً، ويقال: ناقةٌ دكّاءُ، أي: ذاهبةُ السَّنام مُستَوٍ ظَهرُها. ووَقَعَ عند ابن مَرْدويه مرفوعاً: «إنَّ الجبلَ ساخَ في الأرضِ فهو يهوي فيها إلى يومِ القيامة»، وسندُه واهٍ، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي مالكٍ رَفَعَه: «لمَّا تجلَّى اللهُ للجبلِ طارَتْ لعَظَمَتِه ستَّةُ أجبُلٍ، فوَقَعَت ثلاثةٌ بمكَّةَ: حِراء وثَوْرٌ وثَبِيرٌ، وثلاثةٌ بالمدينة: أُحُدٌ ورَضْوَى ووَرِقان»، وهذا غريبٌ مع إرساله.

قوله: «**فدُكَّتا: فدُكِكنَ، جَعَلَ الجبالَ كالواحدةِ كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ولم يَقُل: كُنَّ رَتقاً**» ذكر هذا استطراداً، إذ لا تعلُّقَ له بقصَّة موسى، وكذا قوله: «**رَتقاً: مُلتَصِقَتَين**»، وقال أبو عُبيدة: الرَّتْقُ: التي ليس فيها ثَقبٌ، ثمَّ فَتَقَ الله السماءَ بالمطرِ، وفَتَقَ الأرضَ بالشَّجَر.

قوله: «**﴿وَأُشْرِبُوا﴾، ثوبٌ مُشْرَبٌ: مصبوغٌ**» يشيرُ إلى أنَّه ليس من الشُّربِ، وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾، أي: سُقُوه حتَّى غَلَبَ عليهم، وهو من مَجاز الحذفِ، أي: أُشرِبوا في قلوبهم حُبَّ العِجل. ومَن قال: إنَّ العِجلَ أُحرِقَ ثمَّ ذُرِّي في الماءِ فشَرِبوه، فلم يُعرَف في كلام العرب، لأنَّها لا تقولُ في الماء: أُشرِبَ فلانٌ في قلبِه.

قوله: «**قال ابن عبَّاسٍ: انبَجَسَت: انفَجَرَتْ**» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عنه كذلك.

قوله: «**﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: رَفَعْنا**» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عنه أيضاً.

ثم ذكر المصنف في الباب حديثين:

أحدهما: حديثُ أبي هريرة[1] في أنَّ الناسَ يُصعَقونَ، وسيأتي شرحُه قريباً (٣٤٠٨).

ثانيهما: حديثُه: «لولا بنو إسرائيلَ لم يَخنَز اللَّحمُ» وسَبَقَ شرحُه في ترجمة آدمَ (٣٣٣٠).

---

(١) هذا سبق قلمٍ من الحافظ رحمه الله، والصواب أنه من حديث أبي سعيد، والذي سيأتي هو حديث أبي هريرة.

٢٦- بابٌ

طُوفانٍ من السَّيل، يقال للموتِ الكَثير: طُوفانٌ.

القُمَّل [الأعراف: ١٣٣]: الحُمْنانُ يُشبِه صِغارَ الحَلَم.

﴿حَقِيقٌ﴾ [الأعراف:١٠٥]: حَقٌّ.

﴿سُقِطَ﴾ [الأعراف:١٤٩]: كلُّ مَن نَدِمَ فقد سُقِطَ في يدِه.

قوله: «بابٌ» كذا لهم بغير ترجمةٍ، وهو كالفصل من الباب الذي قبلَه، وتعلُّقُه به ظاهرٌ، وسقط جميعُه من رواية النَّسَفي.

قوله: «طُوفانٍ من السَّيلِ، ويقال للموتِ الكَثيرِ: طُوفانٌ» قال أبو عُبيدة: الطُّوفانُ مجازُه: من السَّيلِ، وهو من الموت: المتتابِع الذَّريع.

قوله: «القُمَّلُ: الحُمْنانُ يُشبِه صِغارَ الحَلَم» قال أبو عُبيدةُ: القُمَّلُ عند العربِ هي الحُمنانُ، قال الأثرَمُ الراوي عنه: والحُمنانُ ـ يعني: بالمهمَلة ـ ضربٌ من القِرْدان، وقيل: هي أصغَر، وقيل: أكبر، وقيل: الدَّبَا، بفتح المهمَلة وتخفيفِ الموحَّدة مقصورٌ.

قوله: «﴿حَقِيقٌ﴾: حَقٌّ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ﴾ مجازُه: حَقٌّ عليَّ أن لا أقولَ على الله إلّا الحقَّ، وهذا على قراءة مَن قرأ: «حقيقٌ عليَّ» بالتَّشديد[1]، وأمَّا مَن قرأها «عَلَى» فإنَّه يقول: معناه: حَريصٌ أو مُحِقٌّ.

قوله: «﴿سُقِطَ﴾: كلُّ مَن نَدِمَ فقد سُقِطَ في يدِه» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾: يقال لكلِّ مَن نَدِمَ وعَجَزَ عن شيءٍ: سُقِطَ في يدِه.

٢٧- باب حديث الخَضِر مع موسى عليهما السلام

٣٤٠٠- حدَّثنا عَمْرو بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثني أبي، عن صالحٍ، عن ابنِ شِهابٍ: أنَّ عُبيدَ الله بنَ عبدِ الله أخبَره عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه تَمارَى هو والحُرُّ بنُ قيسٍ

---

(١) وهي قراءة نافع من السبعة، وقرأ الباقون «عَلَى». انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٢٨٧.

الفَزَارِيُّ في صاحبِ موسى، قال ابنُ عبَّاسٍ: هو خَضِرٌ، فمرَّ بهما أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، فدَعاه ابنُ عبَّاسٍ، فقال: إنّي تَمَارَيتُ أنا وصاحبي هذا في صاحبِ موسى الذي سأل السَّبِيلَ إلى لُقِيِّه، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يَذكُرُ شأنَه؟ قال: نعم، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينَما موسى في مَلإٍ من بني إسرائيلَ، جاءه رجلٌ فقال: هل تعلمُ أحداً أعلمَ منكَ؟ قال: لا، فأَوْحَى اللهُ إلى موسى: بَلَى، عبدُنا خَضِرٌ، فسأل موسى السَّبِيلَ إليه، فجُعِلَ له الحوتُ آيةً، وقيلَ له: إذا فَقَدْتَ الحوتَ فارجِعْ، فإنَّكَ ستَلْقاهُ، فكان يَتبَعُ الحوتَ في البحرِ، فقال لموسى فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسانِيهِ[1] إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، فوَجَدَا خَضِراً، فكان من شأنِهما الذي قَصَّ اللهُ في كتابِه».

٣٤٠١- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، حدَّثنا عَمْرو بنُ دِينارٍ، قال: أخبرني سعيدُ ابنُ جُبَير، قال: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: إنَّ نَوْفاً البِكَاليَّ يَزعُمُ أنَّ موسى صاحبَ الخَضِرِ ليس هو موسى بني إسرائيلَ، إنَّما هو موسى آخَرُ. فقال: كَذَبَ عدوُّ الله، حدَّثنا أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ موسى قامَ خَطِيباً في بني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا، فعَتِبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العِلْمَ إليه، فقال له: بَلَى، لي عبدٌ بمَجْمَعِ البحرَين/ هو أعلمُ منكَ، قال: أيْ ربِّ، ومَن لي به؟ ـ ورُبَّما قال سفيانُ: أيْ ربِّ، وكيفَ لي به؟ ـ قال: تَأخُذُ حوتاً فتَجْعَلُه في مِكْتَلٍ، حيثُما فَقَدْتَ الحوتَ فهو ثَمَّ ـ ورُبَّما قال: فهو ثَمَّهْ ـ وأخَذَ حوتاً فجعلَه في مِكْتَلٍ، ثمَّ انطَلَقَ هو وفَتاه يُوشَعُ بنُ نُونٍ، حتَّى أتيَا الصَّخْرةَ وَضَعا رؤوسَهما، فرَقَدَ موسى، واضْطَرَبَ الحوتُ فخَرَجَ فسَقَطَ في البحرِ، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، فأمسَكَ اللهُ عن الحوتِ جِرْيَةَ الماءِ، فصارَ مِثلَ الطَّاقِ ـ فقال هكذا مِثلُ الطاق ـ فانطَلَقَا يَمْشِيان بَقيَّةَ ليلَتِهما ويومِهما، حتَّى إذا كان مِن الغَدِ ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، ولم يَجِدْ موسى النَّصَبَ حتَّى جاوَزَ حيثُ أمَرَه اللهُ، قال له فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسانِيهِ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، فكان للحوتِ سَرَباً، ولهما عَجَباً، قال له

٤٣٢/٦

---

(١) «أنسانيهِ» بفتح السين وكسر الهاء هي قراءة السبعة غير حفص عن عاصم فقرأها بضم الهاء مع فتح السين، وغير الكسائي فقرأها بإمالة السين مع كسر الهاء. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٣٩٣.

موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي[1] فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾؛ رَجَعا يَقُصّانِ آثارَهما.

حتَّى انتهَيا إلى الصَّخرةِ، فإذا رجلٌ مُسجًّى بثوبٍ، فسَلَّمَ موسى، فرَدَّ عليه فقال: وأنَّى بأرضِكَ السَّلامُ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيلَ؟ قال: نعم، أتيتُكَ لتُعلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشْداً، قال: يا موسى، إنّي على عِلْمٍ من عِلْمِ الله عَلَّمَنيهِ اللهُ لا تَعلَمُه، وأنتَ على عِلْمٍ من عِلْمِ الله عَلَّمَكَه اللهُ لا أعلمُه، قال: هل أتَّبِعُكَ؟ قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ إلى قولِه: ﴿إِمْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٧١]، فانطلَقا يَمْشِيانِ على ساحِلِ البحرِ، فمرَّت بهما سَفِينةٌ كَلَّموهم أن يَحمِلوهم، فعرَفوا الخَضِرَ فحَمَلوه بغيرِ نَوْلٍ، فلمَّا رَكِبا في السَّفِينةِ جاء عُصْفورٌ فوقَعَ على حَرْفِ السَّفِينةِ، فنَقَرَ في البحرِ نَقْرةً أو نَقْرَتَينِ، قال له الخَضِرُ: يا موسى، ما نَقَصَ عِلْمي وعِلْمُكَ من عِلْمِ الله إلَّا مِثْلَ ما نَقَصَ هذا العُصْفورُ بمِنْقارِه مِن البحرِ، إذْ أخَذَ الفَأسَ فنَزَعَ لَوْحاً، قال: فلم يَفْجَأْ موسى إلَّا وقد قَلَعَ لَوْحاً بالقَدُّومِ، فقال له موسى: ما صَنَعْتَ؟! قومٌ حَمَلونا بغيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سَفِينتِهم فخَرَقْتَها لتُغرِقَ أهلَها، لقد جئتَ شيئاً إمْراً، قال: ألم أقل لكَ: إنَّك لا تستطيعُ معي صبراً؟ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾. فكانتِ الأُولَى من موسى نِسْياناً، فلمَّا خَرَجا مِن البحرِ مَرُّوا بغلامٍ يَلْعَبُ معَ الصِّبْيان، فأخَذَ الخَضِرُ برأسِه فقلَعَه بيَدِه هكذا ـ وأَوْمأَ سفيانُ بأطرافِ أصابعِه كأنَّه يَقْطِفُ شيئاً ـ فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ مائلاً ـ أَوْمأَ بيَدِه هكذا، وأشارَ سفيانُ كأنَّه يَمْسَحُ شيئاً إلى فوقُ، فلم أسمَعْ سفيانَ يَذكُرُ «مائلاً» إلَّا مَرّةً ـ قال: قومٌ أتيناهم فلم يُطْعِمونا ولم يُضَيِّفونا، عَمَدْتَ إلى حائطِهم؟! ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾» قال النبيُّ ﷺ: «وَدِدْنا أنَّ موسى كان صَبَرَ،

---

(١) «نبغي» قرأها ابن كثير بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وأثبتها أبو عمرو ونافع والكسائي وصلاً لا وقفاً، وقرأها عاصم وابن عامر وحمزة بحذف الياء مطلقاً. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص ٤٠٣.

فقصَّ اللهُ علينا من خَبرِهما».

قال سفيانُ: قال النبيُّ ﷺ: «يرحمُ اللهُ موسى، لو كان صَبَرَ يُقَصُّ علينا من أمرِهما».

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: أمامَهم مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غَصْباً، وأمَّا الغلامُ فكان كافراً وكان أبواهُ مُؤْمِنَين.

ثُمَّ قال لي سفيانُ: سمعتُه منه مرَّتَينِ، وحَفِظتُه منه.

قيلَ لسفيانَ: حَفِظتَه قبلَ أن تَسْمعَه من عَمرٍو، أو تَحفَّظْتَه من إنسانٍ؟ فقال: ممَّن أتحفَّظُه؟ ورواه أحدٌ عن عَمرٍو غيري؟! سمعتُه منه مرَّتَين أو ثلاثاً وحَفِظتُه منه.

٣٤٠٢- حدَّثنا محمَّدُ بنُ سعيدٍ الأصبهانيُّ، أخبرنا ابنُ المبارَكِ، عن مَعمَر، عن همَّامِ بنِ مُنبِّهٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّما سُمِّيَ الخَضِرَ، أنَّه جَلَسَ على فَرْوةٍ بيضاءَ، فإذا هي تَهتَزُّ من خَلْفِه خضراءَ».

٦/٤٣٣ قوله: «باب حديث الخَضِر مع موسى عليهما السَّلام» ذكر فيه حديث ابن عبَّاس عن أُبيِّ ابن كعب من وجهَينِ، وسيأتي أوَّلهما بأتمَّ من سياقه في تفسير سورة الكَهف (٤٧٢٥) ونَستَوفي شرحَه هناك، ووَقَعَ هنا في رواية أبي ذرٍّ عن المُستَمْلي خاصَّة عن الفِرَبْري: «حدَّثنا عليّ بن خَشرَم حدَّثنا سفيان بن عُيَينة، الحديث بطولِه»، وقد تقدَّم التَّنبيه على مِثل ذلك في كتاب العلم (٧٤).

وذكر المصنف في هذا الباب حديثُ أبي هريرة: «إنَّما سُمّيَ الخَضِرُ لأنَّه جَلَسَ على فَرْوةٍ بيضاءَ، فإذا هي تَهتَزُّ من خَلفِه خَضراءَ»، وتعلُّقُه بالباب ظاهرٌ من جِهَة ذِكْر الخَضِرِ فيه.

وقد زاد عبدُ الرَّزّاق في «مُصنَّفِه»[1] بعدَ أن أخرجه بهذا الإسناد: الفَرْوة: الحَشيشُ الأبيضُ وما أشبَهَه. قال عبدُ الله بنُ أحمد بعدَ أن رواه عن أبيه[2] عنه: أظنُّ هذا تفسيراً من عبد الرَّزّاق. انتهى. وجَزَمَ بذلك عياضٌ، وقال الحَرْبي: الفَرْوةُ من الأرضِ قِطعةٌ يابسةٌ

---

(١) لم نقف عليه في المطبوع منه!

(٢) في «المسند» (٨٢٢٨).

من حَشيشٍ، وهذا موافقٌ لقولِ عبد الرَّزّاق، وعن ابن الأعرابي: الفَرْوةُ أرضٌ بيضاءُ ليس فيها نَباتٌ، وبهذا جَزَمَ الخَطّابي ومَن تَبِعَه، وحُكي عن مجاهدٍ أَنَّه قيل له: الخَضِرُ؛ لأنَّه كان إذا صَلَّى اخضَرَّ ما حولَه.

والخَضِر قد اختُلِفَ في اسمه قبل ذلك وفي اسم أبيه وفي نَسَبِه وفي نُبوَّته وفي تعميره، فقال وَهْب بن مُنبِّه: هو بَلْيا، بفتح الموحَّدة وسكون اللّام بعدها تحتانية، ووُجِدَ بخَطِّ الدِّمياطي في أوَّل الاسم بنُقطتَينِ، وقيل: كالأوَّل بزيادة أَلِفٍ بعد الياء، وقيل: اسمه إلياس، وقيل: اليَسَع، وقيل: عامر، وقيل: خَضْرون، والأوَّل أثبَت، ابن مَلكان بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن أَرفَخشَذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فمَولِدُه قبل إبراهيم الخليل، لأنَّه يكون ابن عمِّ جَدِّ إبراهيم، وقد حَكَى الثَّعلَبي قولَين في أنَّه كان قبل الخليل أو بعده، قال وَهْب: وكُنْيته أبو العبَّاس، وروى الدّارَقُطني في «الأفراد» من طريق مُقاتل عن الضَّحّاك عن ابن عبَّاس قال: هو ابن آدم لصُلْبِه، وهو ضعيف مُنقَطِع، وذَكَر أبو حاتم السِّجِستاني في «المعمَّرينَ» أنَّه ابن قابيل بن آدم، رواه عن أبي عُبيدة وغيره، وقيل: اسمه إِرميا بن طيفا، حكاه ابن إسحاق عن وَهْب، وإرميا بكسر أوَّله، وقيل: بضمِّه، وأشبَعها بعضهم واواً.

واختُلِفَ في اسم أبيه فقيل: ملكان، وقيل: كليان، وقيل: عاميل، وقيل: قابل، والأوَّل أشهَر، وعن إسماعيل بن أبي أُوَيس: هو المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر/ بن الأزد، ٤٣٤/٦ وحَكَى السُّهَيلي عن قوم: أنَّه كان مَلَكاً من الملائكة وليس من بني آدم، وعن ابن لَهِيعة: كان ابنَ فِرعَون نفسه، وقيل: ابن بنت فِرعَون، وقيل: اسمه خضرونَ بن عابيل بن معمر ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل: كان أبوه فارسيّاً، رواه الطَّبَري من طريق عبد الله بن شوذب، وحَكَى ابن ظَفَر في «تفسيره» أنَّه كان من ذُرّية بعض مَن آمَنَ بإبراهيم، وقيل: إنَّه الذي أماته الله مئة عام ثمَّ بَعَثَه، فلا يموت حتَّى يُنفَخ في الصُّور، وروى الدّارَقُطني في الحديث المذكور قال: مُدَّ للخَضِرِ في أجله حتَّى يُكذِّب الدَّجّال.

وقال عبد الرَّزّاق في «مُصنَّفه» (٢٠٨٢٤) عن مَعمَر في قصَّة الذي يَقتُله الدَّجّال ثمَّ يُحييه: بَلَغَني أنَّه الخَضِر! وكذا قال إبراهيم بن سفيان الراوي عن مسلم في «صحيحه»، وروى ابن إسحاق في «المبتَدَأ» عن أصحابه: أنَّ آدم أخبر بَنيهِ عند الموت بأمرِ الطُّوفان، ودَعا لمن يَحفَظ جسده بالتَّعمير حتَّى يَدفِنه، فجَمَعَ نوح بَنيهِ لمَّا وَقَعَ الطّوفان وأعلمَهم بذلك فحَفِظوه، حتَّى كان الذي تولَّى دفنَه الخَضِر.

وروى خَيْثمة بن سليمان من طريق جعفر الصّادِق عن أبيه: أنَّ ذا القَرنَين كان له صديق من الملائكة، فطلب منه أن يدلَّه على شيء يَطولُ به عُمُره، فدَلَّه على عين الحياة وهي داخل الظُّلمة، فسارَ إليها والخَضِر على مُقدّمَته، فظَفِرَ بها الخضر ولم يَظفَر بها ذو القَرنَين. وروى عن مكحول عن كعب الأحبار قال: أربعة من الأنبياء أحياءٌ أمانٌ لأهلِ الأرض: اثنان في الأرض: الخَضِر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى. وحَكَى ابن عَطيَّة والبَغَوي عن أكثر أهل العلم أنَّه نبيٌّ، ثمَّ اختَلَفوا هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القُشَيري: هو وليٌّ. وقال الطَّبَري في «تاريخه»: كان الخَضِر في أيام أفريدون في قول عامَّة علماء الكتاب الأوَّل، وكان على مُقدّمة ذي القَرنَين الأكبر.

وأخرج النَّقّاش أخباراً كثيرة تَدُلّ على بقائه لا تقوم بشيءٍ منها حُجَّة. قاله ابن عَطيّة، قال: ولو كان باقياً لكان له في ابتداء الإسلام ظُهور، ولم يَثبُت شيء من ذلك. وقال الثَّعلَبي في «تفسيره»: هو مُعمَّر على جميع الأقوال، محَجوب عن الأبصار، قال: وقد قيل: إنَّه لا يموت إلّا في آخر الزَّمان حين يُرفَع القرآن.

قال القُرطُبي: هو نبيٌّ عند الجمهور، والآية تَشهَد بذلك، لأنَّ النبي ﷺ لا يَتعلَّم ممَّن هو دونه، ولأنَّ الحُكم بالباطنِ لا يَطَّلِع عليه إلّا الأنبياء.

وقال ابن الصلاح: هو حَيٌّ عند جُمهور العلماء والعامَّة معهم في ذلك، وإنَّما شَذَّ بإنكاره بعض المحدِّثينَ. وتَبِعَه النَّوَوي وزادَ: أنَّ ذلك مُتَّفَق عليه بين الصّوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رُؤْيَته والاجتماع به أكثر من أن تُحصَر. انتهى، والذي جَزَمَ بأنَّه غير موجود

الآن البخاري وإبراهيم الحَرْبي وأبو جعفر بن المنادي[١] وأبو يَعْلى بن الفَرّاء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر بن العربي وطائفة، وعُمدَتُهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر[٢] وغيرهما أنَّ النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مئة سنة ممَّن هو عليها اليوم أحدٌ» قال ابن عمر: أراد بذلك انخِرامَ قَرْنِه. وأجابَ مَن أثبتَ حياتَه بأنَّه كان حينئذٍ على وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خُصَّ منه إبليس بالاتِّفاق.

ومن حُجَج مَن أنكَرَ ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤] وحديث ابن عبَّاس: ما بَعَثَ الله نبيّاً إلّا أخَذَ عليه الميثاق: لَئِن بُعِثَ محمَّد وهو حَيّ لَيُؤمِنَنَّ به ولَيَنصُرَنَّه، أخرجه البخاري[٣]، ولم يأتِ في خبر صحيح أنَّه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتَلَ معه، وقد قال ﷺ يوم بدر: «اللهمَّ إن تُهلِكْ هذه العِصابة لا تُعبَدْ في الأرض»[٤]، فلو كان الخضرُ موجوداً لم يَصِحَّ هذا النَّفي، وقال ﷺ: «رَحِمَ الله موسى، لَوَدِدْنا لو كان صَبَرَ حتَّى يُقَصَّ علينا من خبرهما»، فلو كان الخَضِر موجوداً لمَا حَسُنَ هذا التمنِّي، ولَأحضَرَه بين يَدَيه وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

وجاء في اجتماعه بالنبي ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عَديٍّ (٦/ ٦٢) من طريق كثير ابن عبد الله بن عَمْرو بن عَوْف عن أبيه/ عن جَدّه: أنَّ النبي ﷺ سمعَ وهو في المسجد كلاماً فقال: «يا أنس، اذهَبْ إلى هذا القائل فقل له: يَستَغفِر لي» فذهب إليه فقال: قل له: إنَّ الله فضَّلَكَ على الأنبياء بما فضَّلَ به رمضانَ على الشُّهور. قال: فذهبوا يَنظُرونَ فإذا هو

٦/٤٣٥

---

(١) كذا نسبه الحافظ هنا إلى أبي جعفر بن المنادي، ولعله سبقُ قلمٍ منه، فقد نسبه ابنُ الجوزي في «المنتظم» ١/ ٣٦٣ إلى أبي الحسين بن المنادي، وهو حفيد هذا، وكذا نسبه إليه الحافظُ نفسه في ترجمة الخضر من «الإصابة» ٢/ ٣٠٠.

(٢) حديث ابن عمر سلف برقم (١١٦)، وأخرجه مسلم (٢٥٣٧)، وحديث جابر أخرجه مسلم (٢٥٣٨).

(٣) لم نقف على هذا الأثر عند البخاري لا في «صحيحه» ولا في غيره، وقد سبقه في عزوه للبخاريّ ابنُ كثير في غير موضع من كتابه «البداية والنهاية»! وإنما روي نحوه عن عليٍّ ﷺ عند الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٣٢ بسند ضعيف، والله تعالى أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٨)، ومسلم (١٧٦٣) (٥٨) وغيرهما من حديث عمر.

الخَضِر، إسناده ضعيف. وروى ابن عساكر[١] من حديث أنس نحوه بإسنادٍ أَوْهى منه، وروى الدّارَقُطني في «الأفراد» من طريق عطاء عن ابن عبَّاس مرفوعاً: «يَجتَمِع الخَضِرُ وإلياسُ كلَّ عام في الموسِم، فيَحلِق كلُّ واحد منهما رأسَ صاحبه، ويتفرَّقانِ عن هؤلاءِ الكلمات: باسْمِ الله ما شاءَ الله» الحديث، في إسناده محمَّد بن أحمد بن زَبْد ـ بمُعجَمة ثمَّ موحَّدة ساكنة ـ وهو ضعيف. وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى عن ابن أبي رَوّاد نحوه، وزادَ: ويَشرَبان من ماءِ زَمزَمَ شَربةً تَكفِيهما إلى قابل[٢]، وهذا مُعضَل. ورواه أحمد في «الزُّهد»[٣] بإسناد حسن عن ابن أبي رَوّاد وزادَ: أنَّهما يصومان رمضان ببيتِ المَقدِس، وروى الطَّبَري من طريق عبد الله بن شَوْذَب نحوه. ورويَ عن عليّ: أنَّه دَخَلَ الطَّواف فسمعَ رجلاً يقول: يا مَن لا يَشغَله سَمعٌ عن سَمْع... الحديث، فإذا هو الخَضِر، أخرجه ابن عساكر من وجهَين في كلٍّ منهما ضعف، وهو في «المجالَسة» (١٠٢) من الوجه الثّاني.

وجاء في اجتماعه ببعضِ الصَّحابة فمَن بعدهم أخبارٌ أكثرها واهي الإسناد، منها ما أخرجه ابن أبي الدُّنيا والبيهقي[٤] من حديث أنس: لمَّا قُبِضَ النبيُّ ﷺ دَخَلَ رجل فتَخَطّاهم ـ فذكر الحديث في التَّعزية ـ فقال أبو بكر وعلي: هذا الخَضِر، في إسناده عبّاد بن عبد الصَّمَد، وهو واهٍ. وروى سيْف في «الرِّدَّة» نحوه بإسناد آخر مجهول. وروى ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمَّد عن أبيه عن عليّ نحوه. وروى ابن وَهْب من طريق ابن المنكَدِر: «أنَّ عمر صَلّى على جِنازة، فسمعَ قائلاً يقول: لا تَسبِقْنا ـ فذكر القصَّة وفيها: أنَّه دَعَا للميِّتِ ـ فقال عمر: خُذوا الرجلَ، فتَوارَى عنهم، فإذا أثر قدمِه ذِراع، فقال عمر: هذا والله الخَضِرُ، في إسناده مجهول مع انقطاعه. وروى أحمد في «الزُّهد» من طريق مِسعَر عن

---

(١) في «تاريخ دمشق» ١٦/ ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٤٢٨، وهو موقوف على ابن أبي رواد من كلامه.

(٣) «الزهد» ص٢٣٠، لكنه من رواية عبد الله بن أحمد وليس من رواية أبيه.

(٤) في «دلائل النبوة» ٧/ ٢٦٩.

مَعْن بن عبد الرحمن عن عَوْن بن عبد الله قال: بينا رجل بِمِصر في فِتْنة ابن الزُّبَير مَهموماً إذ لَقيه رجل فسأله، فأخبَرَه باهتِمامه بما فيه الناس من الفتن، فقال: قل: اللهمَّ سَلِّمني وسَلِّم منِّي، قال: فقالها فسَلِمَ. قال مسعر: يَرَونَ أنَّه الخَضِر.

وروى يعقوب بن سفيان في «تاريخه» (١/ ٥٧٧) وأبو عَرُوبة من طريق رِياح ـ بالتَّحتانية ـ بن عُبيدة قال: رأيت رجلاً يُماشي عمرَ بن عبد العزيز مُعتَمِداً على يَدَيه، فلمَّا انصَرفَ قلت له: مَن الرجل؟ قال: رأيتَه؟ قلت: نعم. قال: أحسَبُك رجلاً صالحاً، ذاكَ أخي الخَضِرُ بَشَّرَني أنّي سأَلِي وأعدِل. لا بأس برجاله، ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيِّد غيره[1]، وهذا لا يعارض الحديثَ الأوَّل في مئة سنة، فإنَّ ذلك كان قبل المئة!

وروى ابن عساكر[2] من طريق كُرْز بن وَبَرة قال: أتاني أخ لي من أهل الشّام فقال: اقبَل منِّي هذه الهدية، إنَّ إبراهيم التَّيْمي حدَّثني قال: كنت جالساً بفِناء الكعبة أذكُر الله، فجاءني رجل فسَلَّمَ عليَّ، فلم أرَ أحسنَ وجهاً منه ولا أطيَبَ رِيحاً، فقلت: مَن أنت؟ فقال: أنا أخوك الخَضِر، قال: فعلَّمَه شيئاً إذا فعلَه رأى النبي ﷺ في المنام. وفي إسناده مجهول وضعيف. وروى ابن عساكر (٣٨/ ٣٣-٣٤) في ترجمة أبي زُرْعة الرّازي بسند صحيح[3]: أنَّه رأى وهو شابٌّ رجلاً نَهاه عن غِشْيان أبواب الأُمَراء، ثمَّ رآه بعدَ أن صارَ شيخاً كبيراً على حالَته الأولى، فنَهاه عن ذلك أيضاً، قال: فالتَفَتَ لأُكلِّمه فلم أرَه، فوَقَعَ في نفسي أنَّه الخَضِر. وروى عمر الجُمَحي في «فوائده» والفاكِهي في «كتاب مكَّة» بسندٍ فيه مجهول عن جعفر بن محمَّد: أنَّه رأى شيخاً كبيراً يُحدِّث أباه ثمَّ ذهبَ، فقال له أبوه: رُدَّه عليَّ، قال: فتَطَلَّبته فلم أقدِرْ عليه، فقال لي/ أبي: ذاكَ الخَضِرُ. وروى البيهقي[4] من طريق الحجّاج بن ٤٣٦/٦

---

(١) في إسناده ضمرة بن ربيعة الفلسطيني، وهذا رجل صدوق لكن له أوهام وعنده مناكير، وهذا الخبر من جملة مناكيره، والله تعالى أعلم.

(٢) في «تاريخ دمشق» ١٦/ ٤٣٠.

(٣) كيف هذا وفيه طاهر بن سهل الإسفراييني شيخ ابن عساكر، وقد غمزه ابن عساكر نفسه في ترجمته من «التاريخ» ٢٤/ ٤٥١ ونعته بالجهل في الحديث وعدم الثقة.

(٤) في «شعب الإيمان» (٤٨٥٦)، وإسناده ضعيف لانقطاعه، الحجاج بن فرافصة لم يدرك ابنَ عمر.

فُرافِصَة: أنَّ رجلين كانا يَتَبايعان عند ابن عمر، فقامَ عليهم رجل فنَهاهما عن الحَلِف بالله ووَعَظَهم بمَوعِظَةٍ، فقال ابن عمر لأحدِهما: اكتُبها منه، فاستَعادَه حتَّى حَفِظَها ثُمَّ تَطَلَّبَه فلم يَرَه، قال: وكانوا يُرَونَ أنَّه الخَضِر.

٢٨- بابٌ

٣٤٠٣- حدَّثني إسحاقُ بنُ نَصْرٍ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، عن مَعمَر، عن همَّام بنِ مُنبِّهٍ، أنَّه سمعَ أبا هريرةَ ﷺ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «قيلَ لبني إسرائيلَ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ فبَدَّلُوا، ودَخَلُوا يَزْحَفونَ على أَسْتاهِهم، وقالوا: حَبَّةٌ في شَعْرةٍ».

[طرفاه في: ٤٤٧٩، ٤٦٤١]

٣٤٠٤- حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادَةَ، حدَّثنا عَوْفٌ، عن الحسنِ ومحمَّدٍ وخِلَاسٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ موسى كان رجلاً حَيِيّاً سَتِيْراً، لا يُرَى من جِلْدِه شيءٌ استِحْياءً منه، فآذاهُ مَن آذاه مِن بني إسرائيلَ فقالوا: ما يَسْتَتِرُ هذا التَّستُّرَ إلَّا من عَيبٍ بجِلْدِه: إمّا بَرَصٍ، وإمّا أُدْرةٍ، وإمّا آفةٍ، وإنَّ اللهَ أرادَ أن يُبرِّئَه ممَّا قالوا لموسى، فخَلَا يوماً وَحْدَه فوَضَعَ ثِيابَه على الحجَرِ، ثمَّ اغتسَلَ، فلمَّا فَرَغَ أقبَلَ إلى ثِيابِه ليأخُذَها، وإنَّ الحجرَ عَدَا بثوبِه، فأخَذَ موسى عَصَاهُ وطَلَبَ الحجرَ، فجَعَلَ يقول: ثَوْبي حَجَرُ، ثَوْبي حَجَرُ، حتَّى انتَهَى إلى مَلإٍ من بني إسرائيلَ، فرَأَوْه عُرْياناً أحسنَ ما خَلَقَ اللهُ، وأبرَأَه ممَّا يقولون، وقامَ الحجرُ فأخَذَ ثوبَه فلَبِسَه، وطَفِقَ بالحجرِ ضَرْباً بعَصَاهُ، فوالله إنَّ بالحجرِ لَنَدَباً من أثَرِ ضَرْبِه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلكَ قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب:٦٩]».

٣٤٠٥- حدَّثنا أبو الوليدِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن الأعمَشِ، قال: سمعتُ أبا وائلٍ، قال: سمعتُ عبدَ الله ﷺ قال: قَسَمَ النبيُّ ﷺ قَسْماً فقال رجلٌ: إنَّ هذه لَقِسْمةٌ ما أُرِيدَ بها وَجْهُ الله، فأَتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبَرتُه، فغَضِبَ حتَّى رأيتُ الغضبَ في وجهِه، ثمَّ قال: «يرحمُ اللهُ موسى، قد أُوذِيَ بأكثَرَ من هذا فصَبَرَ».

قوله: «بابٌ» كذا لأبي ذرٍّ وغيره بغير ترجمةٍ، وهو كالفَصْل من الباب الذي قبلَه، وتعلُّقُه به ظاهرٌ، وأورَدَ فيه أحاديثَ:

أحدها: حديثُ أبي هريرة: «قيل لبني إسرائيلَ: ادخُلوا البابَ سُجَّداً»، وسيأتي شرحُه في تفسير الأعراف (٤٦٤١).

ثانيها: حديثه: «إنَّ موسى كان رجلاً حَيِيّاً» بفتح المهمَلة وكسر التَّحتانية الخفيفة بعدَها أُخرى مُثقَّلةٌ، بوَزنِ فَعِيلٍ من الحياء.

وقوله: «سَتِيراً» بوَزنِه من السَّترِ، ويقال: سِتِّيراً بالتَّشديد.

قوله في الإسناد: «حدَّثنا عَوْفٌ» هو الأعرابي.

قوله: «عن الحسنِ ومحمَّدٍ وخِلَاسٍ» أمَّا الحسنُ: فهو البصري، وأمَّا محمَّدٌ: فهو ابن سِيرِين، وسماعُه من أبي هريرة ثابتٌ، فقد أخرج أحمدُ (١٠٦٧٨) هذا الحديثَ عن رَوْحٍ عن عَوْفٍ عن محمَّدٍ وحدَه[1] عن أبي هريرة.

وأمَّا خِلَاسُ، فبكسر المعجَمة وتخفيفِ/ اللّام وآخرُه مُهمَلةٌ: هو ابن عَمرو، بصري، ٦/٤٣٧ يقال: إنَّه كان على شُرَطة علي، وحديثُه عنه في التِّرمِذي (٩١٤) والنَّسائي (٤٨١١ و٥٠٤٩) وجَزَمَ يحيى القَطّانُ بأنَّ روايتَه عنه من صَحِيفة، وقال أبو داود عن أحمدَ: لم يَسمَعْ خِلَاسٌ من أبي هريرة. وقال ابن أبي حاتم عن أبي زُرْعةَ: كان يحيى القَطّانُ يقول: روايتُه عن عليّ من كتابٍ، وقد سمعَ من عمَّار وعائشةَ وابن عبَّاسٍ. قلت: إذا ثَبَتَ سماعُه من عمَّار وكان على شُرَطة عليٍّ، كيف يَمتَنِعُ سماعُه من علي؟ وقال أبو حاتم: يقال: وَقَعَت عنده صَحيفةٌ عن علي، وليس بقَوي، يعني: في عليٍّ. وقال صالحُ بنُ أحمد عن أبيه: كان يحيى القَطّانُ يَتوقَّى أن يُحدِّثَ عن خِلَاسٍ عن عليّ خاصَّةً. وأطلقَ بقيَّةُ الأئمَّة توثيقَه.

قلت: وما له في البخاري سوى هذا الحديثِ، وقد أخرجه له مقروناً بغيره، وأعادَه سنداً

---

(١) بل مقروناً بخِلاس، ورواية محمد وحده عن أبي هريرة أخرجها الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٧).

ومَتناً في تفسير الأحزاب (٤٧٩٩)، وله عنه حديثٌ آخرُ أخرجه في الأيمان والنُّذورِ مقروناً أيضاً بمحمَّدِ بن سِيرين عن أبي هريرة (٦٦٦٩)، ووَهِمَ المِزّي فنَسَبَه إلى الصوم.

وأمَّا الحسنُ البصري فلم يَسمَعْ من أبي هريرة عند الحُفّاظِ النُّقّاد، وما وَقَعَ في بعضِ الرِّوايات ممَّا يخالفُ ذلك فهو محكومٌ بوَهمِه عندهم، وما له في البخاري عن أبي هريرة سوى هذا مقروناً، وله حديثٌ آخرُ في بَدْءِ الخلق (٣٣٢١) مقروناً بابن سِيرين، وثالثٌ ذكره في أوائلِ الكتاب في الإيمان (٤٧) مقروناً بابن سِيرين أيضاً.

قوله: «لا يُرى من جِلْدِه شيءٌ استِحْياءً منه» هذا يُشعِرُ بأنَّ اغتِسالَ بني إسرائيلَ عُراةً بمَحضَرٍ منهم كان جائزاً في شرعِهم، وإنَّما اغتَسَلَ موسى وحدَه استحياءً.

قوله: «وإمّا أُدْرةٍ» بضمِّ الهمزة وسكونِ الدّال على المشهور، وبفتحَتَين أيضاً فيما حكاه الطَّحاوي عن بعضِ مشايخِه ورَجَّحَ الأوَّلَ، وتقدَّم بيانُه في كتاب الغُسل (٢٧٨)، ووَقَعَ في رواية ابن مَرْدويه من طريق عثمانَ بن الهيثم عن عَوْفٍ الجزمُ بأنَّهم قالوا: إنَّه آدَرُ.

قوله: «فخَلَا يوماً وحدَه فوَضَعَ ثيابَه» في رواية الكُشْمِيهني: ثياباً، أي: ثياباً له، والأوَّلُ هو المعروف، وظاهرُه أنَّه دَخَلَ الماءَ عُرياناً، وعليه بَوَّبَ المصنِّفُ في الغُسلِ: «مَن اغتَسَلَ عُرياناً»، وقد قَدَّمتُ توجيهَه في كتاب الغُسلِ، ونَقَلَ ابن الجَوْزي عن الحسن بن أبي بكرٍ النَّيسابوري: أنَّ موسى نزلَ إلى الماءِ مُؤْتَزِراً، فلمَّا خَرَجَ تَتبَّعَ الحجرَ والمِئزَرُ مُبتَلٌّ بالماءِ فعَلِموا عند رُؤيَتِه أنَّه غيرُ آدَرَ، لأنَّ الأُدْرةَ تَبِينُ تحت الثَّوب المبلولِ بالماءِ. انتهى، وهذا إن كان هذا الرجلُ قاله احتمالاً، فيُحتَملُ، لكنّ المنقول يخالفُه، لأنَّ في رواية عليّ بن زيدٍ[1] عن أنسٍ عند أحمد (١٣٧٦٤) في هذا الحديث: «إنَّ موسى كان إذا أراد أن يَدخُلَ الماءَ لم يُلقِ ثوبَه حتَّى يواريَ عورتَه في الماء».

قوله: «عَدَا بثوبِه» بالعين المهمَلة، أي: مضى مُسرِعاً.

---

(١) أي: ابن جُدْعان، وهو ضعيف عند الجمهور، وحديث أبيّ الذي أخرجه البخاري يُغني عن الاستدلال بهذا الحديث.

قوله: «ثَوْبي حجرُ، ثَوْبي حجرُ»[١] أي: أعطِني ثوبيَ، أو رُدَّ ثوبيَ، و«حجرُ» بالضَّمِّ على حذفِ حرف النِّداءِ، وتقدَّم في الغُسلِ بلفظ: «ثوبي يا حجرُ».

قوله: «وأبرَأه ممَّا يقولون» في رواية قَتَادة عن الحسن عن أبي هريرة عند ابن مَرْدويه وابن خُزَيمةَ: «وأعدَلَه صورةً»، وفي روايتِه: «فقالت بنو إسرائيلَ: قاتَلَ الله الأفّاكينَ. وكانت براءَته»، وفي رواية رَوْح بن عُبَادة المذكورة[٢]: «فرأَوْه كأَحسنِ الرِّجال خلقاً، فبرَّأه ممَّا قالوا».

قوله: «وقامَ حجرٌ فأخَذَ بثوبِه» قلت: كذا فيه، وفي «مُسنَد إسحاق بن إبراهيم» (١١٨) شيخِ البخاري فيه: «وقامَ الحجر» بالألفِ واللّام، وكذا أخرجه أبو نُعَيم وابن مَرْدويه من طريقِه.

قوله: «فوالله إنَّ بالحجرِ لَنَدَباً» ظاهرُه أنَّه بقيَّةُ الحديث، وقد بيَّن في رواية همَّام في الغُسلِ (٢٧٨) أنَّه قولُ أبي هريرة.

قوله: «ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً» في رواية همَّام المذكورة: «ستَّةً أو سبعةً»، ووَقَعَ عند ابن مَرْدويه من رواية حبيبِ بن سالم عن أبي هريرة الجزمُ بستِّ ضَرَباتٍ.

قوله: «فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾» لم يقع هذا في رواية همَّام، وروى ابن مَرْدويه من طريق عِكْرمةَ عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ/ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ الآيةَ، قال: «إنَّ بني إسرائيلَ كانوا يقولون: إنَّ موسى آدَرُ، فانطَلَقَ موسى إلى النَّهر يَغتَسِلُ» فذكر نحوَه، وفي رواية عليّ بن زيدٍ المذكورة قريباً[٣] في آخره: «فرأَوه ليس كما قالوا، فأنزَلَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾». ٤٣٧/٦

(١) زاد في (س) وحدها بعد هذا: «هو بفتح الياء الأخيرة من ثوبي»، وليست في أصولنا الخطية، ولم تُضبَط الياء في شيء من روايات «الصحيح» المعتمدة في النسخة اليونينية. وكلا الوجهين في ياء المتكلم: التسكين والفتح، جائز.

(٢) وهي عند أحمد (١٠٦٧٨).

(٣) وهي من حديث علي بن زيد عن أنس عند أحمد (١٣٧٦٤)، لكن ليس فيها ما ذكره الحافظ، والله أعلم.

وفي الحديث جوازُ المشي عُرياناً للضَّرورة، وقال ابن الجَوْزيّ: لمَّا كان موسى في خَلْوةٍ وخَرَجَ من الماءِ فلم يَجِدْ ثوبَه، تَبِعَ الحجرَ بناءً على أن لا يُصادِفَ أحداً وهو عُريان، فاتَّفَقَ أنَّه كان هناك قومٌ فاجتازَ بهم، كما أنَّ جوانبَ الأنهار وإن خَلَتْ غالباً، لا يُؤمَنُ وجودُ قومٍ قريباً منها، فبنى الأمرَ على أنَّه لا يراه أَحدٌ لأجلِ خَلاءِ المكان، فاتَّفَقَ رؤيةُ مَن رآه. والذي يَظهَرُ أنَّه استمرَّ يَتبَعُ الحجرَ على ما في الخبرِ حتَّى وقَفَ على مجلِسٍ لبني إسرائيلَ كان فيهم مَن قال فيه ما قال، وبهذا تَظهَرُ الفائدة، وإلّا فلو كان الوقوفُ على قومٍ منهم في الجملة، لم يقع ذلك الموقِعَ.

وفيه جوازُ النَّظَرِ إلى العَورة عند الضَّرورة الدّاعية لذلك من مُداواةٍ أو براءَةٍ من عَيبٍ، كما لو ادَّعى أحدُ الزَّوجَين على الآخرِ البَرَصَ ليفسَخَ النِّكاحَ فأنكرَ. وفيه أنَّ الأنبياءَ في خَلقِهم وخُلُقِهم على غاية الكمال، وأنَّ مَن نَسَبَ نبيّاً من الأنبياءِ إلى نقصٍ في خِلْقَتِه فقد آذاه، ويُخشى على فاعلِه الكفر. وفيه مُعجِزةٌ ظاهرةٌ لموسى عليه السلام، وأنَّ الآدمي يَغلِبُ عليه طِباعُ البشرِ، لأنَّ موسى عَلِمَ أنَّ الحجرَ ما سارَ بثوبِه إلّا بأمرٍ من الله، ومع ذلك عامَلَه مُعامَلَةَ مَن يَعقِلُ حتَّى ضَرَبَه. ويحتملُ أنَّه أراد بيانَ مُعجِزةٍ أُخرى لقومِه بتأثير الضَّربِ بالعَصا في الحجر. وفيه ما كان في الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ من الصَّبرِ على الجُهّال واحتمال أذاهم، وجعل الله تعالى العاقبةَ لهم على مَن آذاهم.

وقد روى أحمدُ بنُ مَنِيعٍ في «مُسنَدِه» بإسنادٍ حسنٍ والطَّحاوي[1] وابن مَرْدويه من حديث عليٍّ: أنَّ الآيةَ المذكورةَ نزلت في طَعنِ بني إسرائيلَ على موسى بسَبَبِ هارونَ؛ لأنَّه تَوَجَّهَ معه إلى زيارةٍ فماتَ هارونُ فدَفَنَه موسى، فطَعَنَ فيه بعضُ بني إسرائيل، وقالوا: أنتَ قتلته، فبَرَّأه الله تعالى بأن رَفَعَ لهم جسدَ هارونَ وهو ميِّتٌ فخاطَبَهم بأنَّه ماتَ. وفي الإسناد ضعفٌ، ولو ثَبَتَ لم يكن فيه ما يَمنَعُ أن يكونَ في الفريقَين معاً، لِصِدقِ أنَّ كلًّا منهما آذى موسى فبَرَّأه الله ممَّا قالوا، والله أعلم.

---

(١) في «شرح مشكل الآثار» بإثر الحديث (٦٧).

ثم أورد المصنف في الباب حديثَ ابن مسعودٍ في قولِ الرجلِ: «إنَّ هذه لَقِسمةٌ ما أُريدَ بها وجهُ الله»، والغرضُ منه ذِكرُ موسى، وقد تقدَّم في أواخر فرضِ الخُمسِ من الجهاد في «باب ما كان النبي ﷺ يُعطي من المؤلَّفة» (٣١٥٠) وعُيِّنَ هناك موضعُ شرحِه، والله أعلم.

٢٩- باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف:١٣٨]

﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف:١٣٩]: خُسْرانٌ.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُدمِّروا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ [الإسراء:٧]: ما غَلَبوا.

٣٤٠٦- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن يونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن أبي سَلَمةَ ابنِ عبدِ الرحمن، أنَّ جابرَ بنَ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: كنَّا معَ رسولِ الله ﷺ نَجْني الكَبَاثَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عليكم بالأسوَدِ منه، فإنَّه أطيَبُه» قالوا: أكنتَ تَرْعَى الغنمَ؟ قال: «وهَلْ من نبيٍّ إلَّا وقدْ رَعَاها؟!».

[طرفه في: ٥٤٥٣]

قوله: «بابٌ ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾. ﴿مُتَبَّرٌ﴾: خُسْرانٌ، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُدمِّروا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: ما غَلَبوا» ثمَّ ساقَ حديثَ جابرٍ: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ نَجْني الكَبَاثَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عليكم بالأسوَدِ منه فإنَّه أطيبُه» قالوا: أكنتَ/ تَرعى الغنمَ؟ قال: «وهل من نبيٍّ إلّا وقد رَعَاها؟!» والكَبَاثُ ـ بفتح الكاف والموحَّدة الخفيفة وآخرُه مُثلَّثةٌ ـ: هو ثَمَرُ الأراكِ، ويقال ذلك للنَّضيجِ منه، كذا نَقَلَه النَّوَوي عن أهلِ اللُّغة، وقال أبو عُبيدٍ: هو ثَمَرُ الأرَاكِ إذا يَبِسَ وليس له عَجَمٌ، وقال القَزّازُ: هو الغَضُّ من ثَمَرِ الأراكِ، وإنَّما قال له الصَّحابةُ: «أكنتَ ترعى الغنمَ؟» لأنَّ في قوله لهم: «عليكم بالأسودِ منه» دلالةٌ على تمييزِه بين أنواعه، والذي يُميِّزُ بين أنواع ثَمَرِ الأراكِ غالباً مَن يُلازِمُ رَعْيَ الغنمِ على ما أَلِفوه. ٦/٤٣٩

وقوله في التَّرجمة: «باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾» أي: تفسيرُ ذلك، والمرادُ تفسيرُ قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾، ولم يُفسِّر المؤلِّفُ من الآية إلّا قوله تعالى فيها: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ فقال: إنَّ تفسيرَ مُتبَّر: خُسرانٌ، وهذا

أخرجه الطَّبَري (٩/ ٤٦) من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ قال في قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ قال: خُسرانٌ، والخسرانُ تفسيرُ التَّبيير الذي اشتُقَّ منه المتبَّر، وأمَّا قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾: ليُدمِّروا، فذكره استطراداً، وهو تفسيرُ قَتَادة أخرجه الطَّبَري (١٥/ ٤٣) من طريق سعيدٍ[1] عنه في قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ قال: ليُدمِّروا ما غَلَبوا عليه تدميراً.

وأمَّا حديثُ جابرٍ في رَعْي الغنم، فمُناسَبتُه للتَّرجمة غيرُ ظاهرةٍ، وقال شيخُنا ابن الـمُلقِّن في «شرحِه»: قال بعضُ شيوخِنا: لا مُناسَبةَ [له]، قال شيخُنا: بل هي ظاهرةٌ لدخولِ عيسى فيمَن رَعى الغنمَ. كذا رأيت في النُّسخَة، وكأنَّه سَبقُ قَلَمٍ وإنَّما هو موسى لا عيسى، وهذا مُناسبٌ لِذِكْر المتنِ في أخبار موسى، وأمَّا مُناسَبةُ التَّرجمة للحديث فلا، والذي يَهجِسُ في خاطري أنَّه كان بين التَّفسير المذكورِ وبين الحديث بياضٌ أُخليَ لحديثٍ ليُدخَلَ في التَّرجمة، ولترجمةٍ تَصلُحُ لحديث جابرٍ، ثمَّ وُصِلَ ذلك كما في نظائره.

ومُناسَبةُ حديث جابرٍ لقَصَصِ موسى من جِهَة عمومِ قوله: «وهَل من نبي إلّا وقد رَعاها»، فدَخَلَ فيه موسى كما أشارَ إليه شيخُنا، بل وَقَعَ في بعضِ طرق هذا الحديث: «ولقد بُعِثَ موسى وهو يَرعى الغنمَ»، وذلك فيما أخرجه النَّسائي في التَّفسير[2] من طريق أبي إسحاقَ عن نَصرِ بن حَزْنٍ قال: افتخَرَ أهلُ الإبل والشّاء، فقال النبي ﷺ: «بُعِثَ موسى وهو راعي غَنَمٍ» الحديثَ، ورجالُ إسنادِه ثِقاتٌ، ويُؤيِّدُ هذا الذي قلتُ أنَّه وَقَعَ في رواية النَّسَفي «باب» بغير ترجمةٍ، وساقَ فيه حديثَ جابرٍ ولم يَذكُر شيئاً قبلَه، وكأنَّه حَذَفَ البابَ الذي فيه التَّفاسيرُ الموقوفةُ كما هو الأغلَبُ من عادتِه، واقتَصَرَ على الباب الذي فيه الحديثُ المرفوع.

وقد تَكلَّفَ بعضُهم وجهَ المناسَبة ـ وهو الكِرْماني ـ فقال: وجه المناسَبة بينهما أنَّ بني إسرائيلَ كانوا مُستَضعَفِينَ جُهّالاً، ففَضَّلهم الله على العالَـمينَ، وسياقُ الآية يدلُّ عليه ـ أي: فيما يَتعلَّقُ ببني إسرائيلَ ـ فكذلك الأنبياءُ كانوا أوَّلاً مُستَضعَفينَ بحيثُ إنَّهم كانوا يَرعَونَ

---

(١) بل هو عنده من طريق معمر وليس من طريق سعيد، ولعلَّ سعيداً هنا محرَّف عن معمر.

(٢) من «سننه الكبرى» (١١٢٦٢).

الغنمَ. انتهى، والذي قاله الأئمَّةُ: أنَّ الحكمةَ في رِعاية الأنبياءِ للغنم ليأخُذوا أنفُسَهم بالتَّواضُعِ، وتَعتادَ قلوبُهم بالخَلْوة، ويَتَرقَّوا من سياسَتِها إلى سياسة الأُمَمِ، وقد تقدَّم إيضاحُ هذا في أوائلِ الإجارة (٢٢٦٢)، ولم يَذكُر المصنِّفُ من الآيات بالعِبارة والإشارة إلّا قوله: ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ ولا شَكَّ أنَّ قوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٠] إنَّما ذُكِرَ بعدَ هذا، فكيف يُحمَلُ على أنَّه أشارَ إليه دونَ ما قبلَه، فالمعتمَدُ ما ذكرتُه. ونَقَلَ الكِرْماني عن الخَطّابي قال: أراد أنَّ الله لم يَضَع النبوَّةَ في أبناءِ الدُّنيا والمترَفينَ منهم، وإنَّما جعلها في أهلِ التَّواضُع كرُعاة الشّاءِ وأصحاب الحِرَف. قلت: وهذه أيضاً مناسبةٌ للمَتنِ لا لـخُصوصِ التَّرجمة، وقد نَقَلَ القُطبُ الحَلَبي هذا عن الخَطّابي ثمَّ قال: ويُنظَرُ في وجه مُناسَبة هذا الحديث للتَّرجمة، والله أعلم.

٣٠- باب

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ الآيةَ [البقرة:٦٧]

قال أبو العاليَةِ: العَوَانُ: النَّصَفُ بينَ البِكْرِ والهَرِمة.

﴿فَاقِعٌ﴾: صافٍ.

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾: لم يُذِلَّها العملُ.

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: ليست بذَلُولٍ تُثيرُ الأرضَ، ولا تَعمَلُ في الحَرْث.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: مِن العُيوب.

﴿لَّا شِيَةَ﴾: بياضٌ.

﴿صَفْرَآءُ﴾ إن شئتَ سوْداءُ، ويقال: صَفْراءُ، كقولِه: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:٣٣].

﴿فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ﴾ [البقرة:٧٢]: اختلَفتُم.

قوله: «﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ الآيَة» لم يذكر فيه سوى شيء من التَّفسير عن أبي العاليَـة، وقصَّةُ البقرة أورَدَها آدمُ بنُ أبي إياسٍ في «تفسيره» قال: ٤٤٠/٦

حدَّثنا أبو جعفرٍ الرّازي عن الرَّبيع بن أنسٍ عن أبي العاليَة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ قال: كان رجلٌ من بني إسرائيلَ غَنيّاً ولم يكن له ولدٌ وكان له قريبٌ وارثٌ، فقتَلَه ليرِثَه ثمَّ ألقاه على مَجمَع الطَّريقِ، وأتى موسى فقال: إنَّ قريبي قُتِلَ، وأتى إليّ أمرٌ عظيمٌ، وإنّي لا أجِدُ أحداً يُبيِّنُ لي قاتلَه غيرَك يا نبي الله، فنادى موسى في الناس: مَن كان عنده عِلمٌ من هذا فليُبيِّنه، فلم يكن عندهم عِلمٌ، فأوحى الله إليه: قل لهم: فليَذبَحوا بقرةً، فعَجِبوا وقالوا: كيف نَطلُبُ معرفةَ مَن قتل هذا القتيلَ فنُؤمَرُ بذَبْح بقرةٍ؟ وكان ما قصَّه الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني: لا هَرِمةٌ ولا صغيرةٌ ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نَصَفٌ بين البِكرِ والهَرِمة ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي: صافٍ ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: تُعجِبُهم ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ الآيةَ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾، أي: لم يُذِلَّها العملُ ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: ليست بذَلولٍ فتُثيرُ الأرضَ ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾، يقول: ولا تَعمَلُ في الحَرثِ ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: من العُيوب ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾، أي: لا بياضَ ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال: ولو أنَّ القومَ حينَ أُمِروا بذَبحِ بقرةٍ استعَرَضوا[1] أيَّ بقرةٍ كانت لَأجزأت عنهم، ولكنَّهم شَدَّدوا فشُدِّدَ عليهم، ولولا أنَّهم استثنَوا فقالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لمَا اهتدَوْا إليها أبداً، فبَلَغَنا أنَّهم لم يَجِدوها إلّا عند عجوزٍ، فأَغْلَت عليهم في الثَّمَنِ، فقال لهم موسى: أنتم شَدَّدتُم على أنفُسِكم، فأعطوها ما سألت، فذَبَحوها، فأَخَذوا عَظماً منها فضَرَبوا به القتيلَ فعاشَ، فسَمّى لهم قاتلَه، ثمَّ ماتَ مكانه فأُخِذَ قاتلُه، وهو قريبُه الذي كان يريدُ أن يَرِثَه فقتَلَه الله على سوء عملِه.

وأخرج ابن جَرير (١/ ٣٣٩-٣٤٠) هذه القصَّةَ مُطوَّلةً من طريق العَوْفي عن ابن عبّاسٍ، ومن طريق السُّدّي كذلك، وأخرجها هو وابن أبي حاتم وعبدُ بنُ حُميدٍ بإسنادٍ صحيحٍ عن محمَّدِ بن سِيرين عن عَبيدة بن عَمرٍو السَّلْماني أحدِ كِبار التابعين.

(١) تحرف في (س) إلى: استرضوا.

وأمَّا قوله: «﴿صَفْرَآءُ﴾ إن شئت سوداءُ، ويقال: صَفْراءُ، كقوله: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾» فهو قولُ أبي عُبيدة، قال في قوله تعالى: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: إن شئت صفراءُ، وإن شئت سوداءُ، كقوله: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾، أي: سُودٌ، والمعنى أنَّ الصُّفرةَ يُمكِنُ حَملُها على معناها المشهور، وعلى معنى السَّوادِ كما في قوله: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ فإنَّها فُسِّرت بأنَّها صُفرٌ تَضرِبُ إلى سوادٍ. وقد روي عن الحسن أنَّه أخَذَ أنَّها سوداءُ من قوله: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾.

وقوله: «﴿فَادَّٰرَءْتُمْ﴾: اختَلَفتُم»، هو قولُ أبي عُبيدة أيضاً، قال: وهو من التَّدارُؤ: وهو التَّدافُع.

٣١- وفاةُ موسى، وذِكرُه بعدُ

٣٤٠٧- حدَّثنا يحيى بنُ موسى، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن ابنِ طاووسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: أُرسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى عليهما السَّلام، فلمَّا جاءَه صَكَّه، فرَجَعَ إلى ربِّه فقال: أرسَلْتَني إلى عبدٍ لا يُرِيدُ الموتَ، قال: ارجِعْ إليه، فقُلْ له: يَضَعُ يدَه على مَتْنِ ثَوْرٍ، فلَه بما غَطَّى يَدُه بكلِّ شَعَرةٍ سنةٌ، قال: أيْ ربِّ، ثمَّ ماذا؟ قال: ثمَّ الموتُ، قال: فالآنَ، قال: فسأَلَ اللهَ أن يُدْنِيَه مِن الأرضِ المقدَّسةِ رَمْيةً بحَجَرٍ. قال أبو هريرةَ: فقال رسولُ الله ﷺ: «لو كنتُ ثَمَّ، لأَرَيتُكم قَبْرَه من جانبِ الطَّريقِ، تحتَ الكَثِيبِ الأحمرِ».

قال: وأخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّام: حدَّثنا أبو هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ... نحوَه.

قوله: «وفاةُ موسى وذِكرُه بعدُ» كذا لأبي ذرٍّ بإسقاط «باب» ولغيره بإثباته. وقوله: «وذِكرُه بعدُ» بضمِّ دال «بعدُ» على البناء.

ثم أورد فيه أحاديث:

الأول: حديثُ أبي هريرة في قصَّة موسى مع مَلَكِ الموت، أورَدَه موقوفاً من طريق طاووسٍ عنه، ثمَّ عَقَّبَه برواية همَّام عنه مرفوعاً، وهذا هو المشهورُ عن عبد الرَّزّاق، وقد رَفَعَ محمَّدُ بنُ يحيى عنه روايةَ طاووسٍ أيضاً، أخرجه الإسماعيلي.

قوله: «أُرسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى عليهما السَّلامُ فلمَّا جاءَه صَكَّه» أي: ضَرَبَه على

عينِه، وفي رواية همَّام عن أبي هريرة عند أحمد (٨١٧٢) ومسلمٍ (١٥٨/٢٣٧٢): «جاء مَلَكُ الموت إلى موسى فقال: أَجِبْ ربَّك، فلَطَمَ موسى عينَ مَلَكِ الموت ففقَأَها»، وفي رواية عمَّار بن أبي عمَّار عن أبي هريرة عند أحمد (١٠٩٠٤) والطَّبَري[1]: «كان مَلَكُ الموت يأتي الناسَ عِياناً، فأتى موسى فلَطَمَه ففقَأ عينَه».

٤٤٢/٦ قوله: «لا يريدُ الموتَ» زاد همَّامٌ: «وقد فقَأَ عيني، فرَدَّ الله/ عليه عينَه»، وفي رواية عمَّار: «فقال: يا ربِّ، عبدُك موسى فقَأَ عيني، ولولا كَرامَتُه عليك لَشَقَقتُ عليه».

قوله: «فقُل له: يَضَعُ يدَه» في رواية أبي يونُسَ[2]: «فقل له: الحياةَ تريد؟ فإن كنت تريدُ الحياةَ فضَعْ يدَك».

قوله: «على مَتْن» بفتح الميمِ وسكونِ المثنّاة: هو الظَّهر، وقيل: مُكتَنَفُ الصُّلْبِ بين العَصَبِ واللَّحمِ، وفي رواية عمَّار: «على جِلْد ثَورٍ».

قوله: «فلَه بما غَطَّى يدُه» في رواية الكُشْمِيهني: «بما غَطَّت يَدُه».

قوله: «ثمَّ الموتُ» في رواية أبي يونس: «قال: فالآنَ يا ربِّ من قريبٍ»، وفي رواية عمَّار: «فأتاه فقال له: ما بعدَ هذا؟ قال: الموتُ، قال: فالآنَ»، و«الآنَ» ظَرفُ زمانٍ غيرُ مُتمكِّنٍ، وهو اسمٌ لزمان الحال الفاصلِ بين الماضي والمستَقبَل.

قوله: «فسأل اللهَ أن يُدْنِيَه من الأرضِ المقدَّسَةِ رَمْيةً بحجرٍ» قد تقدَّم شرحُ ذلك وبيانُه في الجنائز (١٣٣٩).

قوله: «فلو كنتُ ثَمَّ» بفتح المثلَّثة، أي: هناك.

قوله: «من جانبِ الطَّريق» في رواية المُستَمْلي والكُشْمِيهني: «إلى جانبِ الطَّريق» وهي روايةُ همَّام.

قوله: «تحتَ الكَثِيبِ الأحمر» في روايتهما: «عند الكَثِيبِ الأحمر» وهي روايةُ همَّام أيضاً،

---

(١) في «التاريخ» ١/ ٤٣٤.

(٢) عند أحمد في «المسند» (٨٦١٦).

والكَثيبُ بالمثلَّثة وآخرُه موحَّدةٌ وزنُ عظيمٍ: الرَّملُ المجتَمِع، وزَعَمَ ابن حِبّان أنَّ قبرَ موسى بمَدْيَنَ بين المدينة وبيتِ المَقدِس، وتَعقَّبَه الضِّياءُ بأنَّ أرضَ مَدْيَنَ ليست قريبةً من المدينة ولا من بيتِ المَقدِس، قال: وقد اشتَهرَ عن قبرٍ بأَرِيحا عنده كَثِيبٌ أحمرُ أنَّه قبرُ موسى، وأَرِيحا من الأرضِ المقدَّسة، وزاد عمّارٌ في روايتِه: «فشَمَّه شَمَّةً فقَبَضَ روحَه، وكان يأتي الناسَ خُفيةً» يعني: بعدَ ذلك، ويقال: إنَّه أتاه بتُفّاحةٍ من الجنَّة فشَمَّها فماتَ.

وذكر السُّدِّي في «تفسيره»: أنَّ موسى لمَّا دَنَتْ وفاتُه مَشَى هو وفَتاه يُوشَعُ بنُ نونٍ، فجاءت ريحٌ سوداء، فظَنَّ يُوشَعُ أنَّها الساعةُ فالتَزَمَ موسى، فانسَلَّ موسى من تحتِ القميصِ، فأقبَلَ يُوشَعُ بالقميص. وعن وَهْب بن مُنبِّهٍ: أنَّ الملائكةَ تَوَلَّوا دفنَه والصلاةَ عليه، وأنَّه عاشَ مئةً وعشرينَ سنةً.

قوله: «قال: وأخبَرَنا مَعمَرٌ عن همَّام...» إلى آخره، هو موصولٌ بالإسناد المذكورِ، ووَهِمَ مَن قال: إنَّه مُعلَّقٌ، فقد أخرجه أحمدُ (٨١٧٢) عن عبد الرَّزّاق عن مَعمَر، ومسلمٌ (٢٣٧٢/ ١٥٨) عن محمَّدِ بن رافعٍ عن عبد الرَّزّاق كذلك.

وقوله في آخره: «نحوه» أي: إنَّ روايةَ مَعمَر عن همَّام بمعنى روايتِه عن ابن طاووسٍ لا بلفظه، وقد بيَّنتُ ذلك فيما مضى.

قال ابن خُزَيمةَ: أنكَرَ بعضُ المبتَدِعة هذا الحديثَ وقالوا: إن كان موسى عَرَفَه فقد استَخَفَّ به، وإن كان لم يَعرِفْه فكيف لم يُقتَصَّ له من فَقْءِ عينِه؟ والجوابُ: أنَّ الله لم يَبعَث مَلَكَ الموت إلى موسى وهو يريدُ قَبضَ روحِه حينئذٍ، وإنَّما بَعَثَه إليه اختباراً، وإنَّما لَطَمَ موسى مَلَكَ الموت لأنَّه رأى آدميّاً دَخَلَ دارَه بغير إذنِه، ولم يعلم أنَّه مَلَكُ الموت، وقد أباحَ الشّارعُ فَقْءَ عين الناظرِ في دار المسلم بغير إذنٍ، وقد جاءت الملائكةُ إلى إبراهيمَ وإلى لوطٍ في صورة آدميينَ فلم يَعرِفاهم ابتداءً، ولو عَرَفَهم إبراهيمُ لمَا قَدَّمَ لهم المأكولَ، ولو عَرَفَهم لوطٌ لمَا خافَ عليهم من قومِه. وعلى تقدير أن يكونَ عَرَفَه، فمِن أين لهذا المبتَدِع مشروعيةُ القِصاص بين الملائكة والبشرِ؟ ثمَّ من أين له أنَّ مَلَكَ الموت طلبَ القِصاصَ من موسى فلم يُقتَصَّ له؟

ولخَّصَ الخَطّابي كلامَ ابن خُزَيمةَ وزاد فيه: أنَّ موسى دَفَعَه عن نفسِه لمَا رُكِّبَ فيه من الحِدَّة، وأنَّ الله رَدَّ عينَ مَلَكِ الموت ليعلمَ موسى أنَّه جاءه من عندِ الله، فلهذا استَسلَمَ حينئذٍ. وقال النَّوَوي: لا يَمتَنِعُ أن يأذَنَ الله لموسى في هذه اللَّطْمة امتحاناً للملطوم. وقال غيرُه: إنَّما لَطَمَه لأنَّه جاء لقَبْض روحِه من قَبلِ أن يُخيِّرَه، لمَا ثَبَتَ أنَّه لم يُقبَض نبيٌّ حتَّى يُخيَّرَ، فلهذا لمَّا خَيَّرَه في المرَّة الثَّانية أذعَنَ، قيل: وهذا أَولى الأقوال بالصَّواب، وفيه نظرٌ، لأنَّه يعودُ أصلُ السُّؤال فيقال: لِمَ أقدَمَ مَلَكُ الموت على قَبْضِ نبي الله وأخَلَّ بالشَّرطِ؟ فيعودُ الجوابُ: أنَّ ذلك وَقَعَ امتحاناً.

وزَعَمَ بعضُهم أنَّ معنى قوله: «فقَأ عينَه» أي: أبطَلَ حُجَّتَه، وهو مردودٌ بقوله في نفسِ الحديث: «فرَدَّ الله عينَه»، وبقوله: «لَطَمَه وصَكَّه»/ وغير ذلك من قرائنِ السِّياق، وقال ابن قُتَيبةَ: إنَّما فقَأَ موسى العينَ التي هي تخييلٌ وتمثيلٌ، وليست عيناً حقيقةً، ومعنى «رَدَّ الله عينَه» أي: أعادَه إلى خِلْقَتِه الحقيقية، وقيل: على ظاهره، ورَدَّ الله إلى مَلَكِ الموت عينه البشريةَ ليرجِعَ إلى موسى على كمال الصّورة، فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهذا هو المعتمَد. وجَوَّزَ ابن عَقيلٍ أن يكونَ موسى أُذِنَ له أن يَفعلَ ذلك بمَلَكِ الموت، وأُمِرَ مَلَكُ الموت بالصَّبرِ على ذلك، كما أُمِرَ موسى بالصَّبرِ على ما يصنعُ الخَضِر. ٤٤٣/٦

وفيه أنَّ المَلَكَ يتصوَّر بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في عِدَّة أحاديث. وفيه فضلُ الدَّفنِ في الأرضِ المقدَّسة، وقد تقدَّم شرحُ ذلك في الجنائز (١٣٣٩).

واستُدلَّ بقوله: «فلَكَ بكلِّ شَعرةٍ سنةٌ» على أنَّ الذي بقي من الدُّنيا كثيرٌ جدّاً؛ لأنَّ عَدَدَ الشَّعرِ الذي تواريه اليدُ قَدْرُ المدَّة التي بين موسى وبِعثة نبينا ﷺ مرَّتَين وأكثر. واستُدِلَّ به على جواز الزّيادة في العُمُرِ، وقد قال به قومٌ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١] أنَّه زيادةٌ ونقصٌ في الحقيقة، وقال الجمهورُ: والضَّميرُ في قوله: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ للجِنسِ لا للعينِ، أي: ولا يُنقَصُ من عُمُرٍ آخرَ، وهذا كقولهم: عندي ثوبٌ ونصفُه، أي: ونصفُ ثوبٍ آخرَ. وقيل: المرادُ بقوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ

عُمُرِهِۦٓ﴾ أي: وما يذهبُ من عمره، فالجميعُ معلومٌ عند الله تعالى.

والجوابُ عن قصَّة موسى: أنَّ أجَلَه قد كان قَرُبَ حضورُه ولم يَبقَ منه إلّا مِقدارُ ما دارَ بينه وبين مَلَكِ الموت من المراجَعَتَين، فأُمِرَ بقَبضِ روحِه أوّلاً مع سَبْقِ علمِ الله أنَّ ذلك لا يقعُ إلّا بعدَ المراجَعة، وإن لم يُطلِعْ مَلَكَ الموت على ذلك أوّلاً، والله أعلم.

٣٤٠٨- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمن وسعيدُ بنُ المسيّبِ، أنَّ أبا هريرةَ ﷺ قال: استَبَّ رجلٌ مِن المسلمينَ ورجلٌ مِن اليهودِ، فقال المسلمُ: والذي اصْطَفَى محمَّداً ﷺ على العالَمِينَ - في قَسَمٍ يُقسِمُ به - فقال اليهوديُّ: والذي اصْطَفَى موسى على العالَمِينَ، فرَفَعَ المسلمُ عندَ ذلك يدَه فلَطَمَ اليهوديَّ، فذهب اليهوديُّ إلى النبيِّ ﷺ، فأخبَره الذي كان من أمرِه وأمرِ المسلمِ، فقال: «لا تُخيِّروني على موسى، فإنَّ الناسَ يَصْعَقونَ، فأكونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فإذا موسى باطِشٌ بجانبِ العَرْشِ، فلا أدري أكان فيمَن صَعِقَ فأفاقَ قبلي، أو كان ممَّنِ استَثْنَى اللهُ».

الحديث الثاني: حديثُ أبي هريرة أيضاً.

قوله: «أخبَرَني أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمن وسعيدُ بنُ المسيّب» كذا قال شعيبٌ عن الزُّهْري، وتابَعَه محمَّدُ بنُ أبي عَتيقٍ عن ابن شِهابٍ كما سيأتي في التَّوحيد (٧٤٧٢)، وقال إبراهيمُ بنُ سعدٍ: «عن الزُّهْري عن أبي سلمة والأعرج» كما سيأتي في الرقاق (٦٥١٧)[1]، والحديث محفوظ للزهري على الوجهَين. وقد جَمَعَ المصنِّفُ بين الرِّوايتَين في التَّوحيد إشارةً إلى ثُبوتِ ذلك عنه على الوجهَينِ، وله أصلٌ من حديث الأعرَجِ من رواية عبد الله بن الفضل عنه وسيأتي بعدَ ثلاثة أبوابٍ (٣٤١٤)، ومن طريق أبي الزِّنادِ عنه كما سيأتي في الرِّقاق (٦٥١٨)، ومن طريق أبي سَلَمَةَ عن أبي هريرة أخرجه التِّرمِذي (٣٢٤٥) وابن ماجَهْ (٤٢٧٤) من طريق محمَّدِ بن عَمرٍو عنه، ورواه مع أبي هريرة أبو سعيدٍ، وقد تقدَّم في الإشخاص (٢٤١٢) بتمامه.

---

(١) وسلف كذلك في الإشخاص والخصومة برقم (٢٤١١).

قوله: «استَبَّ رجلٌ من المسلمينَ ورجلٌ من اليهود» وَقَعَ في رواية عبد الله بن الفضل سببُ ذلك، وأوَّلُ حديثِه: «بينَما يهوديٌّ يَعرِضُ سِلعةً أُعطِيَ بها شيئاً كَرِهَه فقال: لا والذي اصطَفى موسى على البشر»، ولم أَقِفْ على اسم هذا اليهودي في هذه القصَّة، وزَعَمَ ابن بَشكُوالَ أنَّه فِنحاصُ ـ بكسر الفاءِ وسكونِ النّونِ ومُهمَلتَين ـ وعزاه لابن إسحاقَ، والذي ذكره ابن إسحاقَ لِفنحاصَ مع أبي بكرٍ الصِّدّيق في لَطمِه إياه قصَّةٌ أُخرى في نزولِ قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآيةَ [آل عمران:١٨١]. وأمَّا كَونُ اللّاطمِ في هذه القصَّة هو الصِّدّيقَ، فهو مُصرَّحٌ به فيما أخرجه سفيانُ بنُ عُيَينةَ في «جامعِه» وابن أبي الدُّنيا في كتاب «البَعث» من طريقِه عن عَمرِو بن دينارٍ عن عطاءٍ، وابن جُدْعانَ عن سعيد بن المسيّب قال: كان بين رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ وبين رجلٍ من اليهودِ كلامٌ في شيءٍ ـ فقال عَمرو بنُ دينارٍ: هو أبو بكرٍ الصِّدّيقُ ـ فقال اليهودي: والذي اصطَفى موسى على البشرِ، فلَطَمَه المسلم... الحديثَ.

قوله: «فرَفَعَ المسلمُ يدَه عند ذلك فلَطَمَ اليهودي» أي: عند سماعه قولَ اليهودي: «والذي اصطَفى موسى على العالَـمينَ» وإنَّما صَنَعَ ذلك لمَا فَهِمَه من عمومِ لفظِ العالَـمينَ فدَخَلَ فيه محمَّدٌ ﷺ، وقد تَقرَّرَ عند المسلم أنَّ محمَّداً أفضل، وقد جاء ذلك مُبيَّناً في حديث أبي سعيدٍ[1] أنَّ الضّاربَ قال لليهودي حينَ قال ذلك: «أيْ خبيثُ، على محمَّدٍ؟!»، فدَلَّ على أنَّه لَطَمَ اليهودي عُقوبةً له على كذِبه عنده. ووَقَعَ/ في رواية إبراهيمَ بن سعدٍ (٦٥١٧): «فلَطَمَ وجهَ اليهودي»، ووَقَعَ عند أحمد (٧٥٨٦) من هذا الوجه: «فلَطَمَ عينَ اليهودي»، وفي رواية عبد الله بن الفضل (٣٤١٤): «فسمعَه رجلٌ من الأنصار فلَطَمَ وجهَه وقال: أتقولُ هذا ورسولُ الله ﷺ بين أظهُرِنا»، وكذا وَقَعَ في حديث أبي سعيدٍ: أنَّ الذي ضَرَبَه رجلٌ من الأنصار، وهذا يُعكِّرُ على قولِ عَمرِو بن دينارٍ: إنَّه أبو بكرٍ الصِّدّيق، إلّا إن كان المرادُ بالأنصار المعنى الأعمَّ، فإنَّ أبا بكرٍ الصِّدّيقَ ﷺ من أنصار رسولِ الله ﷺ قطعاً، بل هو رأسُ مَن نَصَرَه ومُقدَّمُهم وسابقُهم.

---

(١) سلف برقم (٢٤١٢).

قوله: «فأخبَرَه الذي كان من أمرِ المسلم» زاد في رواية إبراهيمَ بن سعدٍ: «فدَعا النبيُّ ﷺ المسلمَ فسأله عن ذلك فأخبَرَه»، وفي رواية ابن الفضل: «فقال ـ أي: اليهودي ـ: يا أبا القاسمِ، إنَّ لي ذِمَّةً وعَهداً، فما بالُ فلانٍ لَطَمَ وجهي؟ فقال: لِمَ لَطَمْتَ وجهَه؟ ـ فذكره ـ فغَضِب النبي ﷺ حتَّى رُئِيَ في وجهه»، وفي حديث أبي سعيدٍ: «فقال: ادعوه ـ أي: فجاءَ ـ فقال: أضربتَه؟ قال: سمعته بالسّوقِ يَحلِف» فذكر القصَّةَ.

قوله: «لا تُخيِّروني على موسى» في رواية ابن الفضل: «فقال: لا تُفضِّلوا بين أنبياءِ الله»، وفي حديث أبي سعيدٍ: «لا تُخيِّروا بين الأنبياء».

قوله: «فإنَّ الناسَ يُصْعَقونَ فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيق» في رواية إبراهيم بن سعدٍ[1]: «فإنَّ الناسَ يَصعَقونَ يومَ القيامة فأَصعَقُ معهم، فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيق»، لم يُبيِّن في رواية الزُّهْري من الطَّريقَين مَحَلَّ الإفاقة من أيِّ الصَّعقَتَين، ووَقَعَ في رواية عبد الله بن الفضل: «فإنَّه يُنفَخُ في الصُّورِ فيَصعَقُ مَن في السَّماوات ومَن في الأرضِ إلّا مَن شاءَ الله، ثمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى فأكونُ أوَّلَ مَن بُعِثَ»، وفي رواية الكُشْمِيهني: «أوَّلُ مَن يُبعَث»، والمرادُ بالصَّعْق غَشْيٌ يَلحَقُ مَن سمعَ صوتاً أو رأى شيئاً يُفزِعُ منه.

وهذه الرِّوايةُ ظاهرةٌ في أنَّ الإفاقةَ بعدَ النَّفخَة الثّانية، وأصرَحُ من ذلك روايةُ الشَّعبي عن أبي هريرة في تفسير الزُّمَرِ (٤٨١٣) بلفظ: «إنِّي أوَّلُ مَن يَرفَعُ رأسَه بعدَ النَّفخَة الأخيرة»، وأمَّا ما وَقَعَ في حديث أبي سعيدٍ: «فإنَّ الناسَ يَصعَقونَ يومَ القيامة فأكونُ أوَّلَ مَن تَنشَقُّ عنه الأرض»، كذا وَقَعَ بهذا اللَّفظِ في كتاب الإشخاص (٢٤١٢)، ووَقَعَ في غيرها (٣٣٩٨): «فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيق»، وقد استُشكِلَ، وجَزَمَ المِزّي فيما نَقَلَه عنه ابن القَيِّم في «كتاب الرُّوح»: أنَّ هذا اللَّفظَ وهمٌ من راويه، وأنَّ الصَّوابَ ما وَقَعَ في رواية غيره: «فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيق» وأنَّ كَونَه ﷺ أوَّلَ مَن تَنشَقُّ عنه الأرضُ صحيحٌ، لكنَّه في حديثٍ آخرَ ليس فيه قصَّةُ موسى، انتهى.

---

(١) التي في الإشخاص برقم (٢٤١١).

ويُمكِنُ الجمعُ بأنَّ النَّفخَةَ الأولى يَعقُبُها الصَّعقُ من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم، وهو الفَزَعُ كما وَقَعَ في سورة النَّملِ: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل:٨٧] ثمَّ يَعقُبُ ذلك الفَزَعُ للموتى زيادةً فيما هم فيه وللأحياءِ موتاً، ثمَّ يُنفَخُ الثَّانيةَ للبَعثِ فيُفيقونَ أجمَعينَ، فمَن كان مقبوراً انشقَّت عنه الأرضُ فخَرَجَ من قبره، ومَن ليس بمقبورٍ لا يَحتاجُ إلى ذلك. وقد ثَبَتَ أنَّ موسى ممَّن قُبِرَ في الحياة الدُّنيا، ففي «صحيح مسلم» (٢٣٧٥/ ١٦٤) عن أنسٍ أنَّ النبي ﷺ قال: «مَرَرتُ على موسى ليلةَ أُسرِيَ بي عند الكَثيبِ الأحمرِ، وهو قائمٌ يُصَلِّي في قبره»، أخرجه عَقِبَ حديث أبي هريرة وأبي سعيدٍ المذكورَين، ولعلَّه أشارَ بذلك إلى ما قَرَّرتُه.

وقد استُشكِلَ كَونُ جميع الخلق يَصعَقونَ مع أنَّ الموتى لا إحساسَ لهم، فقيل: المرادُ أنَّ الذينَ يَصعَقونَ هم الأحياء، وأمَّا الموتى فهم في الاستثناءِ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل:٨٧]، أي: إلّا مَن سَبَقَ له الموتُ قبلَ ذلك فإنَّه لا يَصعَق، وإلى هذا جَنَحَ القُرطُبي، ولا يعارضُه ما وَرَدَ في هذا الحديث أنَّ موسى ممَّن استَثنى اللهُ؛ لأنَّ الأنبياءَ أحياءٌ عند الله وإن كانوا في صورة الأموات بالنِّسبة إلى أهلِ الدُّنيا، وقد ثَبَتَ ذلك للشُّهَداء، ولا شَكَّ أنَّ الأنبياءَ أرفَعُ رُتبةً من الشُّهَداءِ، ووَرَدَ التَّصريحُ بأنَّ الشُّهَداءَ ممَّن استَثنى الله، أخرجه إسحاقُ بنُ راهويه وأبو يَعْلى من طريق زيد بن أسلَمَ عن أبيه عن أبي هريرة[1].

٦/٤٤٥ وقال عياضٌ: يحتملُ أن يكونَ المرادُ صَعْقةَ فزعٍ بعدَ البَعثِ حينَ تَنشَقُّ/ السماءُ والأرض، وتَعقَّبَه القُرطُبي بأنَّه صَرَّحَ ﷺ بأنَّه حينَ يَخرُجُ من قبره يلقى موسى وهو مُتعلِّقٌ بالعرشِ، وهذا إنَّما هو عند نَفْخة البَعْث. انتهى، ويَرُدُّه قوله صريحاً كما تقدَّم: «إنَّ النّاسَ يَصعَقونَ فأَصعَقُ معهم» إلى آخرِ ما تقدَّم، قال: ويُؤيِّدُه أنَّه عَبَّرَ بقوله: «أفاقَ» لأنَّه

---

(١) وأخرجه أيضاً الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٥٣ من طريق عمر بن محمد ـ وهو ابن زيد بن عبد الله بن عمر ـ عن زيد بن أسلم به، وصحح إسناده، وهو كما قال، ولفظ الحديث: أن النبي ﷺ سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] مَن الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم شهداء الله عز وجل.

إنَّما يقال: أفاقَ من الغَشْي، وبُعِثَ من الموت، وكذا عَبَّرَ عن صَعْقة الطُّور بالإفاقة؛ لأنَّها لم تكن موتاً بلا شَكٍّ، وإذا تَقرَّرَ ذلك كلُّه ظَهَرَ صِحَّةُ الحَملِ على أنَّها غَشيةٌ تَحصُلُ للنّاس في الموقِف. هذا حاصلُ كلامه وتَعقُّبِه.

قوله: «فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيق» لم تَختَلِف الرِّواياتُ في «الصحيحين» في إطلاق الأوَّلية، ووَقَعَ في رواية إبراهيمَ بن سعدٍ عند أحمد (٧٥٨٦) والنَّسائي (ك٧٧١٠و١١٣٩٣): «فأكونُ في أوَّل مَن يُفيق» أخرجه أحمدُ عن أبي كاملٍ، والنَّسائي من طريق يونُسَ بن محمَّدٍ، كلاهما عن إبراهيمَ، فعُرِفَ أنَّ إطلاقَ الأوَّلية في غيرها محمولٌ عليها، وسببُه التردُّدُ في موسى عليه السلام كما سيأتي، وعلى هذا يُحمَلُ سائرُ ما وَرَدَ في هذا الباب، كحديث أنسٍ عند مسلمٍ[1] رَفَعَه: «أنا أوَّلُ مَن تَنشَقُّ عنه الأرض»، وحديث عبد الله بن سَلَامٍ عند الطبراني (١٤٩٨٢).

قوله: «فإذا موسى باطشٌ بجانبِ العَرْش» أي: آخِذٌ بشيءٍ من العَرشِ بقوَّةٍ، والبَطْشُ: الأخذُ بقوَّةٍ، وفي رواية ابن الفضل[2]: «فإذا موسى آخِذٌ بالعَرش»، وفي حديث أبي سعيدٍ[3]: «آخِذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العَرش»، وكذا في رواية محمَّدِ بن عَمرٍو عن أبي سَلَمةَ عن أبي هريرة[4].

قوله: «فلا أدري أكان ممَّن صَعِقَ فأَفاقَ قبلي، أو كان ممَّن استَثْنى اللهُ» أي: فلم يكن ممَّن صَعِقَ، أي: فإن كان أفاقَ قبلي فهي فضيلةٌ ظاهرةٌ، وإن كان ممَّن استَثنى اللهُ فلم يَصعَق، فهي فضيلةٌ أيضاً. ووَقَعَ في حديث أبي سعيدٍ: «فلا أدري كان فيمَن صَعِقَ - أي: فأفاقَ قبلي - أم حُوسِبَ بصَعقَتِه الأولى» أي: التي صَعِقَها لمَّا سأل الرُّؤيةَ، وبيَّن ذلك ابن

(١) كذا نسبه الحافظ إلى مسلم من حديث أنس فوهمَ، وإنما هو عند مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة لكن بلفظ: «أول من ينشقُّ عنه القبر»، وأما حديث أنس فعند أبي يعلى (٤٣٠٥) وبنحوه عند أحمد (١٢٤٦٩).

(٢) ستأتي برقم (٣٤١٤).

(٣) سلف برقم (٢٤١٢).

(٤) عند الترمذي (٣٢٤٥)، وابن ماجه (٤٢٧٤).

الفضل في روايتِه بلفظ: «أُحُوسِبَ بصَعقَتِه يومَ الطُّور»، والجمعُ بينه وبين قوله: «أو كان ممَّن استَثنى الله»، أنَّ في رواية ابن الفضل وحديث أبي سعيدٍ بيانَ السَّبَبِ في استثنائه، وهو أنَّه حُوسِبَ بصَعقَتِه يومَ الطّور فلم يُكلَّف بصَعقةٍ أُخرى.

والمرادُ بقوله: «ممَّن استَثنى الله» قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وأغرَبَ الدّاوودي الشّارحُ فقال: معنى قوله: «استَثنى اللهُ» أي: جعله ثانياً لي، كذا قال، وهو غَلَطٌ شَنيعٌ. وقد وَقَعَ في مُرسَلِ الحسن في كتاب «البَعْث» لابن أبي الدُّنيا في هذا الحديث: «فلا أدري أكان ممَّن استَثنى اللهُ أن لا تُصيبَه النَّفخَةُ، أو بُعِثَ قبلي».

وزَعَمَ ابن القَيِّم في كتاب «الرُّوح» أنَّ هذه الرِّوايةَ، وهو قوله: «أكان ممَّن استَثنى الله»، وهمٌ من بعضِ الرُّواة، والمحفوظُ: «أو جُوزيَ بصَعقة الطّور»، قال: لأنَّ الذينَ استَثنى الله قد ماتوا من صعقة النَّفخَة، لا من الصَّعقة الأُخرى، فظَنَّ بعضُ الرُّواة أنَّ هذه صَعقةُ النَّفخَة، وأنَّ موسى داخلٌ فيمَن استَثنى الله، قال: وهذا لا يَلْتَئِمُ على سياق الحديث، فإنَّ الإفاقة حينئذٍ هي إفاقةُ البَعْث، فلا يَحسُنُ التردُّدُ فيها، وأمّا الصَّعقةُ العامَّةُ فإنَّها تَقَعُ إذا جمعهم الله تعالى لفصل القضاءِ فيَصعَقُ الخلقُ حينئذٍ جميعاً إلّا مَن شاءَ الله، ووَقَعَ التردُّدُ في موسى عليه السلام. قال: ويدلُّ على ذلك قوله: «وأكونُ أوَّلَ مَن يُفيق»، وهذا دالٌّ على أنَّه ممَّن صَعِقَ، وتَرَدَّدَ في موسى هل صَعِقَ فأفاقَ قبلَه أم لم يَصعَق؟ قال: ولو كان المرادُ الصَّعقةَ الأولى، لَلَزِمَ أن يكونَ النبي ﷺ جَزَمَ بأنَّه ماتَ، وتَرَدَّدَ في موسى هل ماتَ أم لا، والواقعُ أنَّ موسى قد كان ماتَ لمَا تقدَّم من الأدلَّة، فدَلَّ على أنَّها صَعقةُ فَزَعٍ لا صَعقةُ موتٍ، والله أعلم.

ووَقَعَ في رواية محمَّدِ بن عَمرٍو عن أبي سَلَمةَ عند ابن مَرْدويه: «أنا أوَّلُ مَن تَنشَقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامة، فأنفُضُ التُّرابَ عن رأسي، فآتي قائمةَ العَرشِ فأَجِدُ موسى قائماً عندها، فلا أدري أنفَضَ التُّرابَ عن رأسِه قبلي، أو كان ممَّن استَثنى الله»، ويَحتَمِلُ قوله في هذه الرِّواية: «أنفَضَ التُّرابَ قبلي» تجويزَ المعيّة في الخروجِ من القبرِ، أو هي كِنايةٌ عن الخروجِ

٤٤٦/٦ من القبرِ، وعلى كلِّ تقديرٍ ففيه فضيلةٌ لموسى كما/ تقدَّم.

تكميلٌ: زَعَمَ ابن حَزْمٍ أنَّ النَّفَخات يومَ القيامة أربعٌ: الأولى: نَفْخةُ إماتةٍ يموتُ فيها مَن بقي حَيّاً في الأرضِ، والثّانيةُ: نَفْخةُ إحياءٍ يقومُ بها كلُّ ميِّتٍ ويُنشَرونَ من القُبورِ ويُجمَعونَ للحِساب، والثّالثةُ: نَفْخةُ فزَعٍ وصَعقٍ يُفيقونَ منها كالمَغْشيّ عليه لا يموتُ منها أحدٌ، والرّابعةُ: نَفْخةُ إفاقةٍ من ذلك الغَشْي.

وهذا الذي ذكره من كَونِ الثِّنتَين أربعاً ليس بواضحٍ، بل هما نَفختان فقط، ووَقَعَ التَّغايُرُ في كلِّ واحدةٍ منهما باعتبار مَن يَستَمِعُها، فالأولى: يموتُ بها كلُّ مَن كان حَيّاً ويُغشَى على مَن لم يَمُت ممَّن استَثنى الله، والثّانيةُ: يعيشُ بها مَن ماتَ ويُفيقُ بها مَن غُشِيَ عليه، والله أعلم.

قال العلماءُ في نَهيِه ﷺ عن التَّفضيلِ بين الأنبياء: إنَّما نَهى عن ذلك مَن يقوله برأيِه، لا مَن يقوله بدليلٍ، أو مَن يقوله بحيثُ يُؤدّي إلى تنقيصِ المفضولِ، أو يُؤدّي إلى الخصومة والتَّنازُع، أو المرادُ: لا تُفضِّلوا بجميع أنواع الفضائلِ بحيثُ لا يُترَكُ للمفضولِ فضيلةٌ، فالإمامُ مثلاً إذا قلنا: إنَّه أفضل من المؤذِّن، لا يَستَلزِم نقص فضيلة المؤذِّن بالنِّسبة إلى الأذان، وقيل: النَّهي عن التَّفضيل إنَّما هو في حَقِّ النبوَّة نفسها، كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ولم يَنهَ عن تفضيل بعض الذَّوات على بعض، لقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية [البقرة:٢٥٣]. وقال الحَلِيمي: الأخبار الواردة في النَّهي عن التَّخيير إنَّما هي في مُجادَلة أهل الكتاب، وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايَرة، لأنَّ المخايرة إذا وَقَعَت بين أهل دينَين لا يُؤمَنُ أن يَخرُج أحدُهما إلى الإزراء بالآخرِ فيُفضي إلى الكفر، فأمَّا إذا كان التَّخيير مُستَنِداً إلى مُقابَلة الفضائل لتحصيلِ الرُّجْحان، فلا يَدخُلُ في النَّهي، وسيأتي مزيدٌ لذلك في قصَّة يونس إن شاء الله تعالى (٣٤١٤).

٣٤٠٩- حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمن، أنَّ أبا هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «احتَجَّ آدمُ وموسى، فقال له

موسى: أنتَ آدمُ الذي أخرَجَتْكَ خَطِيئتُكَ مِن الجنَّةِ، فقال له آدمُ: أنتَ موسى الذي اصْطَفاكَ اللهُ برِسالاتِه وبِكلامِه، ثمَّ تَلُومُني على أمرٍ قُدِّرَ عليَّ قبلَ أن أُخْلَقَ؟» فقال رسولُ الله ﷺ: «فحَجَّ آدمُ موسى» مرَّتَين.

[أطرافه في: ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥]

٣٤١٠- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا حُصَينُ بنُ نُمَير، عن حُصَين بنِ عبدِ الرحمن، عن سعيدِ بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: خَرَجَ علينا النبيُّ ﷺ يوماً، قال: «عُرِضَت عليَّ الأُمَمُ، ورأيتُ سواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فقيل: هذا موسى في قومِه».

[أطرافه في: ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١]

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة: «احتَجَّ آدم وموسى»، سيأتي شرحه في كتاب القَدَر (٦٦١٤)، والغرض منه شهادة آدم لموسى أنَّ الله اصطَفاه.

تنبيه: قوله: «ثمَّ تَلومُني» كذا للأكثر بالمثلَّثة والميم المشدَّدة، ووَقَعَ للأَصِيلي والمُستَمْلي بالموحَّدة وتخفيفِ الميم.

الحديث الرابع: حديث ابن عبَّاس في عرض الأُمَم، أورَدَه مختصراً، وسيأتي بتمامه مع شرحه في الرِّقاق (٦٥٤١) إن شاء الله تعالى، وفيه أنَّ أمَّةَ موسى أكثرُ الأُمَم بعدَ أمَّة محمَّدٍ ﷺ.

٣٢- باب قولِ الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١١-١٢]

٣٤١١- حدَّثنا يحيى بنُ جعفرٍ، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن شُعْبةَ، عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ، عن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ، عن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كَمُلَ مِن الرِّجالِ كَثيرٌ، ولم يَكمُلْ مِن النِّساءِ إلا آسِيةُ امرأةُ فِرْعَونَ، ومريمُ بنتُ عِمْرانَ، وإنَّ فضلَ عائشةَ على النِّساءِ، كفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعام».

[أطرافه في: ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨]

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾» كذا للأكثر، وسقط من رواية أبي ذرٍّ ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، والغرض من هذه التَّرجمة ذِكْر آسية: وهي بنت مُزاحِم امرأة فِرعَون، قيل: إنَّها من بني إسرائيل، وإنَّها عَمَّة موسى، وقيل: إنَّها من العَماليق، وقيل: ابنة عَمّ فِرعَون. وأمَّا مريم فسيأتي ذِكْرها مُفرَداً بعدُ[1].

قوله: «عن عَمْرو بن مُرَّة عن مُرَّة الهَمْداني» مُرَّة والد عَمْرو غير مُرَّة شيخه، وهو عَمْرو ابن مُرَّة بن عُبيد الله بن طارق الجَمَلي - بفتح الجيم والميم - المرادي، ثقةٌ عابد من صِغار التابعينَ،/ وقد وَقَعَ في الأطعمة (٥٤١٨): عَمْرو بن مُرَّة الجَمَلي، وأمَّا شيخه مُرَّة: فهو ابن ٦/٤٤٧ شَرَاحيل، مُخضرَم ثقة عابد أيضاً من كبار التابعينَ، يقال له: مُرَّة الطيِّب، ومُرَّة الخير.

قوله: «كَمُلَ» بضمِّ الميم وبفتحِها.

قوله: «ولم يَكمُل من النِّساء إلّا آسيةُ امرأة فِرْعَون ومريمُ بنت عِمْران» استُدِلَّ بهذا الحَصْر على أنَّهما نبيّتان، لأنَّ أكمَلَ النَّوع الإنساني الأنبياء ثمَّ الأولياء والصِّدِّيقونَ والشُّهَداء، فلو كانتا غير نبيّتَين لَلَزِمَ ألّا يكون في النِّساء وليّةً ولا صِدِّيقة ولا شهيدة، والواقع أنَّ هذه الصِّفات في كثير منهنَّ موجودة، فكأنَّه قال: ولم يُنبَّأ من النِّساء إلّا فلانة وفلانة، ولو قال: لم تَثبُت صفة الصِّدِّيقية أو الوِلاية أو الشَّهادة إلّا لفلانةَ وفلانة، لم يَصِحَّ، لوجودِ ذلك في غيرهنَّ، إلّا أن يكون المراد في الحديث كمالَ غير الأنبياء، فلا يَتِمُّ الدَّليل على ذلك لأجلِ ذلك، والله أعلم.

وعلى هذا فالمراد مَن تَقَدَّم زمانَه ﷺ، ولم يَتعرَّض لأحدٍ من نساء زمانه إلّا لعائشة، وليس فيه تصريح بأفضليّة عائشة رضي الله عنها على غيرها، لأنَّ فضل الثَّريد على غيره من الطَّعام إنَّما هو لمَا فيه من تيسير المؤنة، وسُهولة الإساغة، وكان أَجَلَّ أطعِمَتهم يومئذٍ، وكلُّ هذه الخِصال لا تَستَلزِم ثُبوتَ الأَفضلية له من كلِّ جِهَة، فقد يكون مفضولاً بالنِّسبة

---

(١) في الباب رقم (٤٨).

لغيره من جِهات أُخرى.

وقد وَرَدَ في هذا الحديث من الزّيادة بعد قوله: «ومريم ابنة عِمران»: «وخديجة بنت خوَيلِد وفاطمة بنت محمَّد»، أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عَمْرو ابن مرزوق عن شُعْبة بالسَّنَدِ المذكور هنا[١]، وأخرجه أبو نُعَيم في «الحِلية» (٥/ ٩٩) في ترجمة عَمْرو بن مُرَّة أحد رواته عند الطبراني بهذا الإسناد[٢]، وأخرجه الثَّعلَبي في «تفسيره» من طريق عَمْرو بن مرزوق به، وقد وَرَدَ من طريق صحيح ما يقتضي أفضليَّةَ خديجة وفاطمة على غيرهما، وذلك فيما سيأتي في قصَّة مريم من حديث عليّ (٣٤٣٢) بلفظ: «خيرُ نسائها خديجة»، وجاء في طريق أُخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة، وذلك فيما أخرجه ابن حِبّان (٧٠١٠) وأحمد (٢٦٦٨) وأبو يَعْلى (٢٧٢٢) والطبراني وأبو داود في كتاب «الزُّهد» والحاكم (٣/ ١٨٥) كلّهم من طريق موسى بن عُقْبة عن كُرَيب عن ابن عبَّاس[٣] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنَّة خديجة بنت خُوَيلِد وفاطمة بنت محمَّد ومريم بنت عِمران وآسية امرأة فِرعَون»، وله شاهد من حديث أبي هريرة في «الأوسط» للطَّبَراني (٧٤٢٨)، ولأحمد (١١٦١٨) في حديث أبي سعيد رَفَعَه: «فاطمة سَيِّدة نساء أهل الجنَّة إلّا ما كان من مريم بنت عِمران»، وإسناده حسن، وإن ثَبَتَ ففيه حُجَّة لمن قال: إنّ آسية امرأة فِرعَون ليست نبيّةً، وسيأتي في مناقب فاطمة قوله ﷺ لها: «إنَّها سَيِّدة نساء أهل الجنَّة»[٤] مع مَزِيد بسطٍ لهذه المسألة هناك إن شاء الله تعالى، ويأتي في الأطعمة (٥٤١٨) زيادة فيما يَتعلَّق بالثَّريد.

---

(١) وهمَ الحافظُ ابن حجر رحمه الله في عزو هذه الزيادة إلى الطبراني، فالحديث عنده في «المعجم الكبير» ٢٣/ (١٠٦) بهذا الإسناد لكن من دون الزيادة المذكورة، وإنما هي عند الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٦٣ عن المثنى بن إبراهيم عن آدم بن أبي إياس عن شعبة به، وشيخ الطبري لم نقف له على ترجمة.

(٢) ولم يذكر فيه الزيادة أيضاً.

(٣) كلهم رووه من طريق عِلباء عن عكرمة عن ابن عباس، غير الطبراني فقد أخرجه في «الكبير» (١٢١٧٩) و«الأوسط» (١١٠٧) من طريق إبراهيم بن عقبة ـ وليس موسى بن عقبة ـ عن كريب به.

(٤) تحت باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، بين يدي الحديث رقم (٣٧١١).

قال القُرطُبي: الصَّحيح أنَّ مريم نبيّة، لأنَّ الله تعالى أَوحى إليها بواسطة المَلَك، وأمَّا آسية فلم يَرِدْ ما يدلُّ على نُبوَّتها.

وقال الكِرْماني: لا يَلزَم من لفظة الكمال ثبوتُ نُبوَّتها، لأنَّه يُطلَق لتمام الشيء وتَناهِيه في بابه، فالمراد بُلوغُها النِّهايةَ في جميع الفضائل التي للنِّساء، قال: وقد نُقِلَ الإجماع على عَدَم نُبوَّة النِّساء. كذا قال، وقد نُقِلَ عن الأشعَري أنَّ من النِّساء من نُبِّئَ، وهُنَّ ستٌّ: حَوّاء وسارة وأُمّ موسى وهاجَر وآسية ومريم، والضّابط عنده أنَّ مَن جاءه المَلَك عن الله بحُكم من أمر أو نَهي أو بإعلام ممَّا سيأتي، فهو نبيّ، وقد ثَبَتَ مجيء المَلَك لهؤلاءِ بأُمور شَتَّى من ذلك من عند الله عزَّ وجلَّ، ووَقَعَ التَّصريح بالإيحاءِ لبعضِهنَّ في القرآن.

وذَكَر ابن حَزْم في «المِلَل والنِّحَل» أنَّ هذه المسألة لم يَحدُث التَّنازُع فيها إلّا في عصره بقُرطُبة، وحَكَى عنهم أقوالاً ثالثها الوَقْف، قال: وحُجَّة المانعينَ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ [يوسف:١٠٩] قال: وهذا لا حُجَّة فيه، فإنَّ أحداً لم يَدَّعِ فيهِنَّ الرِّسالة، وإنَّما الكلام في النبوَّة فقط. قال: وأصرَحُ ما وَرَدَ في ذلك قصَّة مريم، وفي قصَّة أمّ موسى ما يدلّ على ثُبوت ذلك لها من مُبادَرَتها بإلقاءِ/ ولدها في البحر بمُجرَّدِ الوحي إليها بذلك، ٦/٤٤٨ قال: وقد قال الله تعالى بعد أن ذكر مريمَ والأنبياء بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [مريم:٥٨] فدَخَلَت في عمومه، والله أعلم.

ومن فضائل آسيةَ امرأة فِرعَون أنَّها اختارَت القتل على المُلْك، والعذابَ في الدُّنيا على النَّعيم الذي كانت فيه، وكانت فِراسَتُها في موسى عليه السلام صادِقة حين قالت: ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي ﴾ [القصص:٩].

٣٣- باب ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ الآية [القصص:٧٦]

﴿لَتَنُوٓأُ﴾: لَتُثقِلُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾: لا يرفعُها العُصْبةُ مِن الرِّجال، يقال: ﴿ٱلۡفَرِحِينَ﴾: المَرِحِينَ.

﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [القصص:٨٢] مِثلُ: ألم تَرَ أنَّ الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ... وَيَقْدِرُ﴾: ويُوسِّعُ عليه ويُضَيِّق.

قوله: «باب ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ الآية» هو قارون بن يصفد بن يصهر ابنُ عَمّ موسى، وقيل: كان عَمَّ موسى، والأوَّل أصحّ، فقد روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عبَّاس: أنَّه كان ابنَ عمّ موسى. قال: وكذا قال قَتَادة وإبراهيم النَّخَعي وعبد الله بن الحارث وسِماك بن حَرْب.

واختُلِفَ في تفسير بَغْي قارون فقيل: الحَسَد، لأنَّه قال: ذهب موسى وهارون بالأمرِ فلم يَبْقَ لي شيء. وقيل: إنَّه واطأ امرأةً من البَغَايا أن تَقذِفَ موسى بنفسِها، فألهَمَها الله أن اعترَفَت بأنَّه هو الذي حَمَلَها على ذلك. وقيل: الكِبْر، لأنَّه طَغى بكَثْرة ماله. وقيل: هو أوَّل مَن أطالَ ثيابه حتَّى زادَت على قامَته شِبراً.

قوله: «﴿لَتَنُوٓأُ﴾: لَتُثقِل» هو تفسير ابن عبَّاس أورَدَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه في قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ يقول: تُثقِل[١].

قوله: «قال ابن عبَّاس: ﴿أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾: لا يرفعُها العُصْبة من الرِّجال» واختُلِفَ في العُصبة، فقيل: عشرة، وقيل: خمسة عشر، وقيل: أربعونَ، وقيل: من عشرة إلى أربعينَ.

قوله: «الفَرِحِينَ: المَرِحِينَ» هو تفسير ابن عبَّاس أورَدَه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق ابن أبي طلحة عنه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي: المَرِحينَ، والمعنى: أنَّهم يَبطَرونَ فلا يَشكُرونَ الله على نِعَمه.

قوله: «﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ مِثْلُ: ألم تَرَ أنَّ الله» هو قول أبي عُبيدة، واستَشهَدَ بقولِ الشّاعر[٢]:

---

(١) انظر لزاماً «زاد المسير» ٦/ ٢٤٠.

(٢) قيل: هو زيد بن عمرو بن نفيل، وقيل: نُبيه بن الحجاج السَّهمي. انظر «خزانة الأدب» للبغدادي ٦/ ٤١٥.

وَيْكَأَنْ مَن يَكُنْ لَه نَشَبٌ يُحـ　　ـبَبْ ومَن يَفتَقِرْ يَعِشْ عيش ضُرِّ

وذهب قُطرُب إلى أنَّ «وَيْ» كلمة تَفَجُّع و«كأنَّ» حرف تشبيه، وعن الفَرّاء: هي كلمة موصولة.

قوله: «﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ... وَيَقْدِرُ﴾: يُوسِّعُ عليه ويُضَيِّق» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: يوسِّع ويُكثِر، وفي قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ هو مِثل قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق:٧] أي: ضاقَ.

تنبيه: لم يَذكُر المصنِّف في قصَّة قارون إلّا هذه الآثار، وهي ثابتة في رواية المُستَمْلي والكُشْمِيهني فقط.

وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح[1] عن ابن عبَّاس قال: كان موسى يقول لبني إسرائيل: إنَّ الله يأمُركم بكذا، حتَّى دَخَلَ عليهم في أموالهم فشَقَّ ذلك على قارونَ، فقال لبني إسرائيل: إنَّ موسى يقول: مَن زَنى رُجِمَ، فتعالَوْا نَجعَلْ لبَغِيٍّ شيئاً حتَّى تقول: إنَّ موسى فعلَ بها، فيُرجَم فنَستَرِيح منه، ففَعَلوا ذلك، فلمَّا خَطَبَهم موسى قالوا له: وإن كنتَ أنتَ؟ قال: وإن كنت أنا. فقالوا: فقد زَنيتَ، فجَزِعَ، فأرسَلوا إلى المرأة فلمَّا جاءت عَظُمَ عليها موسى، وسأَلها بالذي فلَقَ البحر لبني إسرائيل إلّا صَدَقَت، فأقَرَّت بالحقِّ، فخَرَّ موسى ساجِداً يبكي، فأَوحى الله إليه: إنِّي أمَرتُ الأرض أن تُطيعَك، فأْمُرها/ بما شئت، فأمَرَها فخَسَفَت بقارونَ ومَن معه. ٦/٤٤٩

وكان من قصَّة قارون أنَّه حَصَّلَ أموالاً عظيمة جدّاً حتَّى قيل: كانت مفاتيح خزائنه من جُلودٍ تُحمَل على أربعينَ بَغلاً، وكان يَسكُن تِنِّيس، فحُكِيَ أنَّ عبد العزيز الجَرَويّ[2] ظَفِرَ ببعضِ كُنوز قارون وهو أمير على تِنِّيس، فلمَّا ماتَ تأمَّرَ ابنه عليّ مكانه وتَوَرَّعَ ابنه الحسن بن عبد العزيز عن ذلك، فيقال: إنَّ عليّاً كَتَبَ إلى أخيه الحسن: إنّي استَطَبتُ لك

---

(١) بل أحسن أحواله أن يكون حسناً، وهو عند ابن أبي حاتم في «التفسير» ٩/ ٣٠٠٥.

(٢) تحرف في (س) إلى: الحروري، والتصويب من (أ) و(ع)، وقد سلف ضبط هذا الحرف عند الحديث (١٣٠٣).

من مال أبيك مئة ألف دينار فخُذها، فقال: أنا تَرَكت الكثير من ماله لأنَّه لم يَطِبْ لي، فكيف آخُذُ هذا القليل؟ وقد روى البخاري في هذا «الصَّحيح» عن الحسن بن عبد العزيز هذا.

٣٤- باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف:٨٥]: إلى أهلِ مَدْيَنَ، لأنَّ مدينَ بلدٌ

ومِثلُه: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢]، واسألِ العِيرَ؛ يعني: أهلَ القَرْيةِ، وأهلَ العِيرِ.

﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [هود:٩٢]: لم يَلْتَفِتوا إليه، يقال إذا لم تَقْضِ حاجَتَه: ظَهَرْتَ حاجَتي، وجَعَلْتَني ظِهْرِياً. قال: الظِّهْرِيُّ: أن تأخُذَ مَعَكَ دابّةً، أو وِعاءً تَستَظهِرُ به.

مَكَانَتُهم ومَكانُهم واحدٌ.

﴿يَغْنَوْاْ ﴾ [الأعراف:٩٢]: يَعِيشوا.

﴿تَأْسَ ﴾ [المائدة:٢٦]: تَحزَنْ، ﴿ءَاسَىٰ ﴾ [الأعراف:٩٣]: أحزَنُ.

وقال الحسنُ: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود:٨٧]: يَسْتَهزِئونَ به.

وقال مجاهدٌ: لَيْكَةُ: الأَيكَةُ.

﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ [الشعراء:١٨٩]: إظْلالُ العذابِ عليهم.

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾» هو شعيب بن ميكيل بن يشجن[١] بن لاوي بن يعقوب، كذا قال ابن إسحاق، ولا يَثبُت، وقيل: يشجن بن عنقا بن مَدْيَن بن إبراهيم، وقيل: هو شعيب بن صفور بن عنقا بن ثابت بن مَدْيَن، وكان مَديَن ممَّن آمَنَ بإبراهيم لمَّا أُحرِقَ. وروى ابن حِبّان (٣٦١) في حديث أبي ذرٍّ الطَّويل: «أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ومحمَّد»[٢]، فعلى هذا هو من العرب العاربة، وقيل: إنَّه من بني عَنَزة بن أسَد، ففي حديث سَلَمةَ بن سعيد العَنَزي: أنَّه قَدِمَ على النبي ﷺ

---

(١) هكذا في (أ) و(ع)، وفي (س) في الموضعين: يشجر.

(٢) وإسناده ضعيف.

فانتَسَبَ إلى عَنَزة فقال: «نِعمَ الحيُّ عَنَزة، مَبغيٌّ عليهم منصورونَ، رَهْط شعيب وأَختان موسى»، أخرجه الطبراني (٦٣٦٤)، وفي إسناده مجاهيل.

قوله: «إلى أهل مَدْيَن، لأنَّ مَدْيَن بَلَد، ومِثْله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، واسأل العِير، يعني: أهلَ القرية، وأهلَ العير» هو قول أبي عُبيدة قاله في تفسير سورة هود.

قوله: «﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: لم يَلْتَفِتوا إليه، ويقال إذا لم تَقْضِ حاجَتَه: ظَهَرْتَ حاجَتي، وجَعَلْتني ظِهْريّاً، قال: الظِّهْري: أن تَأْخُذ مَعَك دابَّة أو وِعاءً تَستَظهِرُ به» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي: ألقَيتُموه خلفَ ظُهوركم، فلم تَلتَفِتوا إليه، وتقول للَّذي لا يقضي حاجتك ولا يَلتَفِت إليها: ظَهَرْتَ بحاجتي وجَعَلتَها ظِهريّة، أي: خلف ظَهرِك، قال الشّاعر[1]:

وَجَدْنا بني البَرْصاء من ولدِ الظَّهْرِ

أي: من الذينَ يَظهَرون بهم ولا يَلتَفِتونَ إليهم.

قوله: «مكانتُهم ومكانُهم واحد» هكذا وَقَعَ، وإنَّما هو في قصَّة شعيب ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: ٩٣]، ثمَّ هو قول أبي عُبيدة قال في تفسير سورة يسٓ في قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾[2] المكانُ والمكانة واحد.

قوله: «﴿يَغْنَوْاْ﴾: يعيشوا» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أي: لم يَنزِلوا فيها ولم يعيشوا فيها، قال: والـمَغنَى: الدّار، الجمع مَغاني، يعني: بالغَين المعجَمة.

قوله: «﴿تَأْسَ﴾: تَحزَن، ﴿ءَاسَىٰ﴾: أَحْزَنُ» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾، أي: أحزَنُ وأتندَّمُ وأتوَجَّع، والمصدَر: الأسى، وأمَّا قوله: «﴿تَأْسَ﴾: تَحزَن» فهو من قوله تعالى

---

(١) هو أرطاة بن سُهيَّة كما في «المحكم» لابن سيده ٤/ ٢٨٩، و«لسان العرب» و«تاج العروس» (ظهر). وأرطاة هذا شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام.

(٢) في الأصلين و(س): «على مكانتكم»، وهو خطأ، فإنَّ هذه الآية في سورة هود، أما التي في سورة يس فهي التي أثبتنا.

٤٥٠/٦ لموسى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦]، وذكَره/ المصنِّف هنا استطراداً.

قوله: «وقال الحسن: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ يَسْتَهْزِئونَ به» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق أبي الـمَلِيح عن الحسن البصري بهذا، وأراد الحسن أنَّهم قالوا له ذلك على سبيل الاستعارة التَّهَكُّمية، ومُرادهم عكسُ ذلك.

قوله: «وقال مجاهد: لَيْكَةُ: الأيكة، ﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: إظْلالُ العذاب عليهم» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نَجِيح عن مجاهد في قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَيْكَةَ﴾ [الشعراء: ١٧٦] كذا قرأها، وهي قراءة أهل مكَّة ابنِ كثير وغيره[١]، وفي قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ قال: إظلال العذاب إياهم.

تنبيه: لم يَذكُر المصنِّف في قصَّة شعيب سوى هذه الآثار، وهي للكُشْمِيهني والمُستَمْلي فقط، وقد ذكر الله تعالى قِصَّته في الأعراف وهود والشُّعَراء والعنكَبوت وغيرها، وجاء عن قَتَادة أنَّه أُرسِلَ إلى أمَّتَين: أصحاب مَدْيَن وأصحاب الأيكة، ورَجَّحَ بأنَّه وُصِفَ في أصحاب مَديَن بأنَّه أخوهم بخِلاف أصحاب الأيكة، وقال في أصحاب مَديَن: أَخذتهم الرَّجْفةُ والصَّيحة[٢]، وفي أصحاب الأيكة ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:١٨٩]، والجمهور على أنَّ أصحاب مَديَن هم أصحاب الأيكة، وأجابوا عن ترك ذِكْر الأُخوَّة في أصحاب الأيكة، بأنَّه لمَّا كانوا يَعبُدونَ الأيكة ووَقَعَ في صَدْر الكلام بأنَّهم أصحاب الأيكة، ناسَبَ أن لا يَذكُر الأُخوَّة، وعن الثّاني بأنَّ المغايَرة في أنواع العذاب إن كانت تَقتَضي المغايرةَ في المعَذَّبين، فليكن الذينَ عُذِّبوا بالرَّجفة غير الذينَ عُذِّبوا بالصَّيحة، والحقّ أنَّهم أصابهم جميع ذلك، فإنَّهم أصابهم حرٌّ شديد فخَرَجوا من البيوت فأظَلَّتهم سَحابة فاجتَمَعوا تحتها فرَجَفَت بهم الأرض من تحتهم وأَخذَتهم الصَّيحة من فوقهم، وسيأتي الكلام على الأيكة في التَّفسير[٣] إن شاء الله تعالى.

---

(١) قرأها هكذا من السبعة ابنُ كثير ونافع وابن عامر، وقرأ الباقون: «أصحابُ الأَيكةِ».

(٢) الرجفة في الآية (٩١) من سورة الأعراف، والصيحة في الآية (٩٤) من سورة هود.

(٣) في تفسير سورة الشعراء عند الآية (١٧٦).

٣٥- باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٣٩-١٤٢]

قال مجاهدٌ: مُذْنِبٌ.

﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات:١٤٠]: المُوقَر.

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ الآيةَ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ ﴾: بوَجْه الأرضِ ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾: من غيرِ ذات أصلٍ، الدُّبَّاءِ ونحوِه ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨]: كَظِيمٌ مَغْمومٌ.

٣٤١٢- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا يحيى، عن سفيانَ، قال: حدَّثني الأعمَش (ح) حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا سفيانُ، عن الأعمَشِ، عن أبي وائلٍ، عن عبدِ الله ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يقولَنَّ أحدُكم: إنّي خيرٌ من يونُس».

زادَ مُسدَّدٌ: «يونُسَ بنِ مَتَّى».

[طرفاه في: ٤٦٠٣، ٤٨٠٤]

٣٤١٣- حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن قَتَادةَ، عن أبي العاليَةِ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما يَنبَغي لعبدٍ أن يقولَ: إنّي خيرٌ من يونُسَ بنِ مَتَّى». ونَسَبَه إلى أبيه.

٣٤١٤- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، عن اللَّيثِ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبي سَلَمةَ، عن عبدِ الله بنِ الفَضْلِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: بينَما يهوديٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَه، أُعْطِيَ بها شيئاً كَرِهَه، فقال: لا والذي اصْطَفَى موسى على البشرِ، فسمعَه رجلٌ مِن الأنصار، فقامَ فلَطَمَ وجهَه، وقال: تقولُ: والذي اصْطَفَى موسى على البشرِ، والنبيُّ ﷺ بينَ أظْهُرِنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسمِ، إنَّ لي ذِمّةً وعَهْداً، فما بالُ فلانٍ لَطَمَ وجهي؟ فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وجهَه؟»

فذكره، فغَضِبَ النبيُّ ﷺ حتَّى رُئِيَ في وجهِه، ثمَّ قال: «لا تُفضِّلوا بينَ أنبياءِ الله، فإنَّه يُنفَخُ في الصُّورِ، فيَصْعَقُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ، إلَّا مَن شاءَ الله، ثمَّ يُنفَخُ فيه أُخرَى فأكونُ أوَّلَ مَن بُعِثَ، فإذا موسى آخِذٌ بالعَرْشِ، فلا أدري أَحُوسِبَ بصَعْقَتِه يومَ الطُّور، أم بُعِثَ قبلي».

٣٤١٥- «ولا أقولُ: إنَّ أحداً أفضلُ من يونُسَ بنِ مَتَّى».

[أطرافه في: ٣٤١٦، ٤٦٠٤، ٤٦٣١، ٤٨٠٥]

٣٤١٦- حدَّثنا أبو الوليدِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، سمعتُ حُميدَ بنَ عبدِ الرحمن، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يَنبَغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونُسَ بنِ مَتَّى».

٦/٤٥١ **قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾»** هو يونس ابن مَتَّى، بفتح الميم وتشديد المثنّاة مقصور، ووَقَعَ في «تفسير» عبد الرَّزّاق أنَّه اسم أمّه، وهو مردود بما في حديث ابن عبَّاس في هذا الباب: «ونَسَبَه إلى أبيه» فهذا أصحُّ، ولم أقِفْ في شيء من الأخبار على اتِّصال نَسَبه، وقد قيل: إنَّه كان في زمن ملوك الطَّوائف من الفُرس.

قوله: «قال مجاهد: مُذْنِب» يعني: تفسير قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، وقد أخرجه ابن جَرِير (٢٣/ ٩٩) من طريق مجاهد قال: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ من ألامَ الرجلُ: إذا أتى بما يُلام عليه. ثمَّ قال الطَّبَري: الـمُلِيم: هو المكتَسِب اللَّوم.

قوله: «﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المُوقَر» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نَجِيح عن مجاهد قال: المشحون: المملوء، ومن طريق سعيد بن جُبَير عن ابن عبَّاس: المشحون: الـمُوقَر.

قوله: «﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ الآية ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾: بوَجْه الأرض» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ أي: بوجه الأرض، والعرب تقول: نَبذْتُه بالعَراءِ، أي: بالأرضِ الفضاء، قال الشّاعر:

ونَبَـــذتُ بالبلـــدِ العَـــراءِ ثيابـــي

والعَرَاء: الذي لا شيءَ فيه يواري من شَجَر ولا غيره، وقال الفَرّاء: العَراء: المكان الخالي.

قوله: «﴿مِّن يَقْطِينٍ﴾: من غير ذاتِ أصل: الدُّبّاءِ ونحوه» وَصَلَه عبد بن حُميدٍ من طريق مجاهد وزادَ: ليس لها ساق، وكذا قال أبو عُبيدة: كلّ شجرة لا تقوم على ساقٍ فهي يقطين نحو الدُّبّاء والحَنظَل والبِطّيخ، والمشهور أنّه القَرْع، وقيل: التّين، وقيل: الموز، وجاء في حديث مرفوع في القَرع: «هي شجرةُ أخي يونس»[١].

قوله: «﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: كَظيمٌ مَغْموم» كذا فيه، والذي قاله أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: أي: من الغَمّ مِثل: كَظيم. وروى ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول: مغموم.

ثمَّ ذكر حديث ابن مسعود: «لا يقولن أحدكم: إنّي خير من يونس بن مَتّى»، وحديث ابن عبّاس: «لا ينبغي لعَبد أن يقول: إنّي خير من يونس بن مَتّى، ونَسَبَه إلى أبيه»، وحديث أبي هريرة في قصَّة المسلم الذي لَطَمَ اليهودي، وقد تقدَّم شرحها في أواخر قصَّة موسى (٣٤٠٨)، وقال في آخره في هذه الرِّواية: «ولا أقول: إنَّ أحداً أفضل من يونس بن مَتّى»، وحديثه من وجه آخر مختصراً مُقتَصِراً على مِثل لفظ حديثِ ابن عبّاس.

وقد وَقَعَ في حديث عبد الله بن جعفر عند الطبراني[٢] بلفظ: «لا ينبغي لنبي أن يقول...» إلى آخره، وهذا يُؤيِّد أنَّ قوله في الطَّريق الأولى: «إني» المراد بها النبي ﷺ، وفي رواية للطَّبَراني (١١١٢٢) في حديث ابن عبّاس: «ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا عند الله خيرٌ من يونس»، وفي رواية للطَّحاوي: «إنّه سَبَّحَ الله في الظُّلُمات»[٣] فأشارَ إلى جِهَة الخيرية المذكورة.

وأمّا قوله في الرِّواية الأولى: «ونَسَبَه إلى أبيه» ففيه إشارة إلى الردّ على/ مَن زَعَمَ أنَّ مَتّى ٤٥٢/٦ اسم أمّه، وهو محكيٌّ عن وَهْب بن مُنبِّه في «المبتَدأ»، وذكره الطَّبَري وتَبِعَه ابن الأثير في

---

(١) ذكره المناوي في «الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي» (٨٤٤) وقال: قال الوليّ العراقي: لم أقف عليه، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

(٢) في «المعجم الكبير» (١٤٧٧٩)، وعزوه لأبي داود (٤٦٧٠)، ولعبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (١٧٥٧) أولى.

(٣) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/ ٣١٦ من حديث علي ﷺ.

«الكامل»، والذي في «الصَّحيح» أصحّ. وقيل: سبب قوله: «ونَسَبَه إلى أبيه» أنَّه كان في الأصل يونس بن فلان فنسيَ الراوي اسم الأب وكَنّى عنه بفلان، وقيل: إن ذلك هو السَّبَب في نِسبَته إلى أمّه، فقال الذي نَسي اسم أبيه: يونس بنُ مَتَّى وهي أمّه، ثمَّ اعتَذَرَ فقال: ونَسَبَه ـ أي: شيخه ـ إلى أبيه، أي: سَمّاه فنَسَبَه، ولا يَخفى بُعدُ هذا التَّأويل وتكلُّفه.

قال العلماء: إنَّما قال ﷺ ذلك تَواضُعاً إن كان قاله بعد أن أُعلمَ أنَّه أفضلُ الخلق، وإن كان قاله قبل عِلمه بذلك فلا إشكال، وقيل: خَصَّ يونس بالذِّكرِ لمَا يُخشَى على مَن سمع قِصَّته أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالَغَ في ذِكْر فضله لسَدِّ هذه الذَّريعة.

وقد روى قِصَّته السُّدّي في «تفسيره» بأسانيدِه عن ابن مسعود وغيره: أنَّ الله بَعَثَ يونس إلى أهل نِينَوى، وهي من أرض الموصِل، فكذَّبوه، فوَعَدَهم بنزولِ العذاب في وقت مُعيَّن، وخَرَجَ عنهم مُغاضِباً لهم، فلمَّا رأَوا آثار ذلك خَضَعوا وتَضَرَّعوا وآمنوا، فرَحِمَهم الله فكَشَفَ عنهم العذاب، وذهب يونس فرَكِبَ سفينةً فلَجَّجَت به، فاقتَرَعوا فيمَن يَطرَحونَه منهم، فوَقَعَت القُرعة عليه ثلاثاً، فالتَقَمَه الحوت.

وروى ابن أبي حاتم من طريق عَمْرو بن ميمون عن ابن مسعود بإسناد صحيح إليه نحو ذلك، وفيه: وأصبَحَ يونس فأشرَفَ على القرية فلم يَرَ العذاب وَقَعَ عليهم، وكان في شريعتهم مَن كَذَبَ قُتِلَ، فانطَلَقَ مُغاضباً حتَّى رَكِبَ سفينة ـ وقال فيه ـ: فقال لهم يونس: إنَّ معهم عبداً آبِقاً من ربّه، وإنَّها لا تسير حتَّى تُلقُوه، فقالوا: لا نُلقيك يا نبي الله أبداً، قال: فاقتَرِعوا فخَرَجَ عليه ثلاث مرَّات، فألقَوه فالتَقَمَه الحوت فبَلَغَ به قَرارَ الأرض، فسمعَ تسبيح الحَصى ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ الآية.

وروى البزَّار (٨٢٢٧) وابن جَرير (١٧/ ٨١) من طريق عبد الله بن رافع[١] عن أبي هريرة رَفَعَه: «لمَّا أراد الله حَبْسَ يونس في بطن الحوت، أمَرَ الله الحوتَ أن لا يَكسِرَ له عَظماً ولا يَخدِش له لحماً، فلمَّا انتهى به إلى قَعْر البحر سَبَّحَ الله، فقالت الملائكة: يا ربّنا إنّا

(١) تحرف في الأصلين و(س) إلى: نافع. وعبد الله بن رافع هذا هو المدني مولى أم سلمة.

نَسمَع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة، قال: ذاكَ عبدي يونس، فشَفعوا له، فأمَرَ الحوتَ فقذَفَه في الساحل» قال ابن مسعود: كهَيْئة الفَرْخ ليس عليه ريش.

وروى ابن أبي حاتم من طريق السُّدّي عن أبي مالك قال: لَبِثَ في بطن الحوت أربعينَ يوماً، ومن طريق جعفر الصّادِق قال: سبعة أيام، ومن طريق قَتادة قال: ثلاثاً، ومن طريق الشَّعبي قال: التَقَمَه ضُحًى، ولَفَظَه عَشيَّة.

٣٦- باب قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يَتعدَّوْنَ، يُجاوِزونَ في السَّبْت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: شَوارعَ، إلى قولِه: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦]» الجمهور أنَّ القرية المذكورة أيلةَ، وهي التي على طريق الحاجّ الذّاهب إلى مكَّةَ من مصر، وحَكَى ابن التِّين عن الزُّهْري أنَّها طَبَريَّة.

قوله: «﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: يَتَعدَّوْنَ، يَتَجاوَزونَ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: أي: يَتَعدَّونَ فيه عمَّا أُمِروا به ويَتَجاوَزُون.

قوله: «﴿شُرَّعًا﴾: شوارعَ -إلى قوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾» هو قول أبي عُبيدة أيضاً.

قوله: «﴿بَـِٔيسٍۭ﴾: شديد»، قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾، أي: شديد وزناً ومعنًى، قال الشّاعر[1]:

حَنَقاً عليَّ وما ترى　لي فيهم أمراً بَئيسا

وهذا على إحدى القراءتَين، والأُخرى بوَزنِ حِذْرٍ[2]، وقُرِئَ شاذّاً بوَزنِ هَيْن وهَيِّن مُذكَّرين. ٦/٤٥٣

تنبيه: لم يَذكُر المصنِّف في هذه القصَّة حديثاً مُسنَداً، وقد روى عبد الرَّزّاق[3] من حديث

(١) هو ذو الإصبع العَدْواني كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٣١.

(٢) وهي قراءة ابن عامر من السبعة، قرأ: «بِئْسٍ»، وهكذا قرأ نافع إلّا أنه سهّل الهمز فقرأ: «بِيسٍ». انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٢٩٦.

(٣) في «تفسيره» ٢/ ٢٤٠-٢٤١.

ابن عبَّاس بسند فيه مُبهَم، وحكاه مالك عن يزيد بن رُومان مُعضَلاً، وكذا قال قَتَادة: إن أصحاب السَّبت كانوا من أهل أَيلَة، وإنَّهم لمَّا تَحيَّلوا على صيد السَّمَك بأن نَصَبوا الشِّباك يوم السَّبت، ثمَّ صادوها يوم الأحد، فأنكَرَ عليهم قوم ونَـهَوهم فأغلَظوا لهم، فقالت طائفة أُخرى: دَعُوهم واعتزِلوا بنا عنهم، فأصبَحوا يوماً فلم يَـرَوا الذينَ اعتَدَوا فتحوا أبوابهم، فأمَروا رجلاً أن يَصعَد على سُلَّم، فأشرَفَ عليهم فرآهم قد صاروا قِرَدة، فدخلوا عليهم فجعَلوا يَلُوذونَ بهم، فيقول الذينَ نَـهَوهم: ألم نَقُل لكم، ألم نَنهَكم؟ فيشيرونَ برؤوسِهم.

وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عبَّاس: إنَّهم لم يعيشوا إلَّا قليلاً وهَلَكوا.

وروى ابن جَرير (٩/ ١٠١) من طريق العَوْفي عن ابن عبَّاس: صارَ شَبابُهم قِرَدةً وشيوخهم خنازيرَ.

٣٧- باب قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء:١٦٣]

والزُّبُر: الكتبُ، واحدُها زَبُورٌ، زَبَرْتُ: كَتَبتُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ:١٠]: قال مجاهدٌ: سَبِّحي معه.

﴿وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ [سبأ:١٠-١١]: الدُّروعَ.

﴿وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ﴾ [سبأ:١١]: المسامِيرِ والحَلَقِ، ولا تُرِقَّ المِسْمارَ فيَسلَسَ، ولا تُعظِّم فينفَصِمَ.

﴿أَفْرِغْ﴾ [البقرة:٢٥]: أنزِلْ.

﴿بَسْطَةً﴾ [البقرة:٢٤٧]: زيادةً وفَضْلاً.

﴿ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ:١٠].

٣٤١٧- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «خُفِّفَ على داودَ عليه السلام القرآنُ، فكانَ يأمرُ بدَوابِّه فتُسرَجُ،

فيَقرأُ القرآنَ قبلَ أن تُسرَجَ دَوابُّه، ولا يأكلُ إلَّا من عملِ يدِه».

رواه موسى بنُ عُقْبَةَ، عن صَفْوانَ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ.

٣٤١٨- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيل، عن ابنِ شِهابٍ، أنَّ سعيدَ بنَ المسيّبِ أخبرَه وأبا سَلَمةَ بنَ عبدِ الرحمن، أنَّ عبدَ الله بنَ عَمرٍو رضي الله عنهما قال: أُخْبِرَ رسولُ الله ﷺ أنّي أقولُ: والله لأصومَنَّ النَّهارَ، ولأقومَنَّ اللَّيلَ ما عِشْتُ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أنتَ الذي تقولُ: والله لأصومَنَّ النَّهارَ، ولأقومَنَّ اللَّيلَ ما عِشْتُ؟» قلتُ: قد قلتُه، قال: «إنَّكَ لا تستطيعُ ذلك، فصُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَمْ، وصُم مِن الشَّهْرِ ثلاثةَ أيامٍ، فإنَّ الحسنةَ بعَشْرِ أمثالِها، وذلك مِثلُ صيامِ الدَّهْر»، فقلتُ: إنّي أُطِيقُ أفضلَ من ذلك يا رسولَ الله، قال: «فصُمْ يوماً، وأفطِرْ يومين»، قال: قلتُ: إنّي أُطِيقُ أفضلَ من ذلك، قال: «فصُمْ يوماً، وأفطِرْ يوماً، وذلك صيامُ داودَ، وهو أعْدَلُ الصِّيام»، قلتُ: إنّي أُطِيقُ أفضلَ منه يا رسولَ الله، قال: «لا أفضلَ من ذلك».

٣٤١٩- حدَّثنا خَلّادُ بنُ يحيى، حدَّثنا مِسعَرٌ، حدَّثنا حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ، عن أبي العبَّاسِ، عن عبدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «ألم أُنبَأْ أنَّكَ تقومُ اللَّيلَ وتصومُ النَّهارَ؟» فقلتُ: نعم، فقال: «فإنَّكَ إذا فعلْتَ ذلك، هَجَمَتِ العينُ، ونَفِهَتِ النَّفْسُ، صُمْ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ، فذلك صومُ الدَّهرِ، أو كصومِ الدَّهْر» قلتُ: إنّي أجِدُ بي - قال مِسعَرٌ: يعني: قوّةً - قال: «فصُمْ صومَ داودَ عليه السلام، وكان يصومُ يوماً، ويُفطِرُ يوماً، ولا يَفِرُّ إذا لاقَى».

٦/٤٥٤ قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾» هو داود بن إيشا - بكسر الهمز وسكون التَّحتانية بعدها مُعجَمة - بن عَوبَد - بوَزنِ جعفر بمُهمَلة وموحَّدة - بن باعَر - بموحَّدة ومُهمَلة مفتوحة - بن سلمون بن يارب - بتحتانية وآخره موحَّدة - بن رامَ بن حضرون - بمُهمَلة ثمَّ مُعجَمة - بن فارص - بفاء وآخره مُهمَلة - بن يَهُوذا بن يعقوب.

قوله: «والزُّبُر: الكُتب، واحدها: زَبُور، زَبَرْتُ: كَتَبْتُ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى:

﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٩٦]، أي: كُتب الأوَّلينَ، واحدها: زَبُور، وقال الكِسائي: زَبور بمعنى مَزبُور، تقول: زَبَرتُه فهو مزبور، مِثل: كَتَبتُه فهو مكتوب، وقُرِئَ بضمِّ أوَّله وهو جمع زَبْر. قلت: الضَّمّ قراءة حمزة.

قوله: «﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ قال مجاهد: سَبِّحي معه» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق مجاهد مِثله، وعن الضَّحاك: هو بلسان الحبشة، وقال قَتَادة: معنى أوِّبي: سِيري.

قوله: «﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: الدُّروعَ» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾، أي: دُروعاً واسعةً طويلة.

قوله: «﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: المساميرِ والحَلَق، ولا تُرِقَّ المِسْمارَ فيَسْلَس، ولا تُعظِّمْ فينفَصِمَ» كذا في رواية الكُشْمِيهني، ولغيره: **«لا تُدِقَّ»** بالدّال بدل الرّاء، وعندهم: **«فيَتَسلسَل»** وفي آخره: **«فيَفصِمَ»** بغير نون، ووافقَه الأَصِيلي في قوله: **«فيَسْلَس»** وهو بفتح اللّام ومعناه: فيَخرُج من الثَّقب برِفق، أو يصير مُتحرِّكاً، فيَلِين عند الخروج، وأمَّا الرِّواية الأُخرى: **«فيَتَسلسَل»** أي: يصير كالسِّلسِلة في اللِّين، والأوَّل أوجَه، والفَصْم بالفاءِ: القطعُ من غير إبانة. وهذا التَّفسير وَصَلَه الفِرْيابي من طريق مجاهد في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: قَدِّر المسامير والحَلَق، وروى إبراهيم الحَرْبي في «غريب الحديث» من طريق مجاهد في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: لا تُرِقَّ المسامير فيَسْلَس، ولا تُغلِظْه فيَفصِمَها. وقال أبو عُبيدة: يقال: دِرع مُسرَّدة، أي: مُستَديرة الحَلَق، قال أبو ذُؤَيب:

وعليهما مسرودتانِ قَضاهُما داودُ أو صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ

وهو مِثل مِسمار السَّفينة.

قوله: «﴿أَفْرِغْ﴾: أَنزِلْ» لم أعرف المراد من هذه الكلمة هنا، واستَقرَيتُ قصَّة داود في المواضع التي ذُكِرَت فيها فلم أجِدْها، وهذه الكلمة والتي بعدها في رواية الكُشْمِيهني وحده.

قوله: ﴿بَسْطَةً﴾ زيادةً وفَضْلاً» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾، أي: زيادة وفضلاً وكَثْرة، وهذه الكلمة في قصَّة طالوت وكأنَّه ذكرها لمَّا

كان آخرها مُتعلِّقاً بداود، فلَمَّحَ بشيء من قصَّة طالوت، وقد قَصَّها الله في القرآن.

ثم ذكر ثلاثة أحاديث: الأول: حديث همَّام عن أبي هريرة: «**خُفِّفَ على داود القرآن**»، في رواية الكُشْمِيهني: «القراءة». قيل:/ المراد بالقرآن: القراءة، والأصل في هذه اللَّفظة ٦/٤٥٥ الجمعُ، وكلّ شيء جمعتَه فقد قرأتَه، وقيل: المراد الزَّبور، وقيل: التَّوراة، وقرآنُ[1] كلِّ نبي يُطلَق على كتابه الذي أوحي إليه، وإنَّما سَمّاه قرآناً للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن، أشارَ إليه صاحب «المصابيح»، والأوَّل أقرَب، وإنَّما تَرَدَّدوا بين الزَّبور والتَّوراة، لأنَّ الزَّبور كلّه مواعظ، وكانوا يَتَلَقَّونَ الأحكام من التَّوراة.

قال قَتَادة: كنَّا نَتَحَدَّث أنَّ الزَّبور مئة وخمسونَ سورة، كلُّها مواعظُ وثَناء، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، بل كان اعتماده على التَّوراة، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره.

وفي الحديث: أنَّ البَرَكة قد تقعُ في الزَّمَن اليسير حتَّى يقعَ فيه العمل الكثير، قال النَّوَوي: أكثر ما بَلَغَنا من ذلك من كان يقرأ أربع خَتَمات باللَّيلِ وأربعاً بالنَّهار، وقد بالَغَ بعض الصّوفية في ذلك فادَّعى شيئاً مُفرِطاً، والعلم عند الله.

قوله: «بدَوابِّه» في رواية موسى بن عُقْبة الآتية: «بدابَّتِه» بالإفراد، وكذا هو في التَّفسير (٤٧١٣)، ويُحمَل الإفراد على الجِنس، أو المراد بها ما يَختَصّ برُكوبه، وبالجمع ما يُضاف إليها ممَّا يَركَبه أتباعه.

قوله: «فيَقْرأ القرآن قبل أن تُسرَج» في رواية موسى: «فلا تُسرَج حتَّى يقرأ القرآن».

قوله: «ولا يأكل إلّا من عمل يده» تقدَّم شرحه في أوائل البيوع (٢٠٧٣)، وأنَّ فيه دليلاً على أنَّه أفضل المكاسب، وقد استُدِلَّ به على مشروعية الإجارة من جِهَة أنَّ عمل اليد أعمُّ من أن يكون للغير أو للنَّفسِ، والذي يَظهَر أنَّ الذي كان يعمله داودُ بيدِه هو نَسْج الدُّروع، وألانَ الله له الحديدَ، فكان يَنسِج الدُّروع ويبيعها ولا يأكل إلّا من ثَمَن ذلك مع

---

(١) تحرف في (س) إلى: وقراءة.

كَونِه كان من كِبار الملوك، قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص:٢٠]، وفي حديث الباب أيضاً ما يدلّ على ذلك، وأنَّه مع سَعَته بحيثُ إنَّه كان له دَوابُّ تُسرَج إذا أراد أن يَركَب، ويَتولّى خِدمتَها غيرُه، ومع ذلك كان يَتورَّع ولا يأكل إلّا ممَّا يعمل بيدِه.

قوله: «رواه موسى بن عُقْبة، عن صَفْوان بن سُلَيم...» إلى آخره، وَصَلَه المصنِّف في كتاب «خلق أفعال العِباد» (٥٩٩) عن أحمد بن أبي عَمْرو عن أبيه ـ وهو حفص بن عبد الله ـ عن إبراهيم بن طَهْمان عن موسى بن عُقْبة.

الحديث الثاني والثالث: حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص في مُراجَعة النبي ﷺ له في قيام اللَّيل وصيام النَّهار، أورَدَه من طريقَينِ، وقد تقدَّم في صلاة اللَّيل (١١٣١)، والغرض منه قوله: «صيام داود».

٣٨- بابٌ أحبُّ الصَّلاة إلى الله صلاةُ داود، وأحبُّ الصِّيام إلى الله صيامُ داود:
كان ينامُ نصفَ الليل، ويقومُ ثُلُثَه، وينامُ سُدُسَه،
ويصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً

قال عليٌّ: وهو قولُ عائشةَ: ما أَلْفاهُ السَّحَرُ عندي إلَّا نائماً.

٣٤٢٠- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا سفيانُ، عن عَمْرِو بنِ دِينارٍ، عن عَمْرِو بنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، سمعَ عبدَ الله بنَ عَمرٍو، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيامِ إلى الله صيامُ داودَ، كان يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، وأَحَبُّ الصَّلاةِ إلى الله صلاةُ داودَ، كان يَنامُ نِصْفَ اللَّيلِ، ويقومُ ثُلُثَه، ويَنامُ سُدُسَه».

قوله: «بابٌ أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود...» إلى آخره، يشير إلى الحديث المذكور قبله.

قوله: «قال علي: هو قول عائشة: ما ألفاه السَّحَرُ عندي إلّا نائماً» هكذا وَقَعَ في رواية المُستَمْلي والكُشْمِيهني، وأمَّا غيرهما فذَكَر الطَّريق الثّالثة مضمومة إلى ما قبله دون الباب، ودون قول علي، ولم أَرَه منسوباً، وأظنُّه عليّ بن المَدِيني شيخ البخاري، وأراد/ ٦/٤٥٦ بذلك بيانَ المراد بقوله: «ويَنام سُدُسه» أي: السُّدُس الأخير، وكأنَّه قال: يوافق ذلك

حديث عائشة: «ما أَلفاه» بالفاءِ، أي: وَجدَه، والضَّمير للنبي ﷺ، والسَّحَر الفاعل، أي: لم يجئِ السَّحَرُ والنبي ﷺ عندي إلّا وَجدَه نائماً، كما تقدَّم بيان ذلك في قيام اللَّيل (١١٣١).

٣٩- باب ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾

قال مجاهدٌ: الفَهْمُ في القضاء.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص:٢٢]: لا تُسْرِفْ.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يقال للمرأةِ: نَعْجةٌ، ويقال لها أيضاً: شاةٌ ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص:٢٣] مِثلُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران:٣٧]: ضَمَّها.

﴿وَعَزَّنِى﴾: غَلَبَني، صارَ أعزَّ منّي، أعزَزْتُه: جعَلْتُه عَزيزاً ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾ يقال: المحاوَرة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى﴾ إلى قوله: ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: اختبَرناه. وقرأ عمرُ: «فتَّنّاهُ»: بتشديدِ التاءِ. ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

٣٤٢١- حدَّثنا محمَّدٌ، حدَّثنا سَهْلُ بنُ يوسفَ، قال: سمعتُ العَوّامَ، عن مجاهدٍ قال: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: أنسْجُدُ في «صٓ»؟ فقرأَ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ حتَّى أَتى ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: نبيُّكم ﷺ ممَّن أُمِرَ أن يَقْتَدِيَ بهم.

[أطرافه في: ٤٦٣٢، ٤٨٠٦، ٤٨٠٧]

٣٤٢٢- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا وُهَيبٌ، حدَّثنا أيوبُ، عن عِكْرمةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ليس «صٓ» من عَزائمِ السُّجودِ، ورأيتُ النبيَّ ﷺ يَسجُدُ فيها.

قوله: «باب ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:١٧-٢٠]» الأَيْد: القوَّة، وكان داود موصوفاً بفَرْطِ الشَّجاعة، والأوّاب

يأتي تفسيره قريباً.

قوله: «قال مجاهد: الفَهْم في القضاء» أي: المراد بفصل الخِطاب، وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي بِشر عن مجاهد، قال: الحكمة: الصَّواب. ومن طريق ليث عن مجاهد: فصل الخِطاب: إصابة القضاء وفهمه، ومن طريق ابن جُرَيج عن مجاهد، قال: فصل الخِطاب: العَدْل في الحُكم وما قال من شيء أنفَذَه. وقال الشَّعبي: فصل الخِطاب: قوله: أمَّا بعد، وفي ذلك حديث مُسنَد من طريق بلال بن أبي بُرْدة عن أبيه عن جَدّه، قال: «أوَّل مَن قال: أمَّا بعدُ: داودُ النبيُّ ﷺ، وهو فَصْل الخِطاب»، أخرجه ابن أبي حاتم[1]، وذكر ابن جَرِير (٢٣/ ١٤٠) بإسناد صحيح[2] عن الشَّعبي مِثله، وروى ابن أبي حاتم من طريق شُرَيح قال: فصل الخِطاب: الشُّهود والأيمان، ومن طريق أبي عبد الرحمن السُّلَمي نحوه.

قوله: «﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾: لا تُسرِفْ» كذا وَقَعَ هنا، وقال الفَرّاء: معناه لا تَـجُرْ، وروى ابن جَرِير (٢٣/ ١٤٢) من طريق قَتَادة في قوله: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَـمِلْ، ومن طريق السُّدّي قال: لا تَـحِفْ.

قوله: «يقال للمرأةِ: نَعْجة، ويقال لها أيضاً: شاة» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: امرأة، قال الأعشى:

فرَمَيْـتُ غَفْلَـةَ عينِـه عـن شـاته فأصَـبتُ حَبَّـة قلبهـا وطِحالِهـا

قوله: «﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾، مِثْل ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: ضَمَّها» قال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ هو/ كقوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، أي: ضَمَّها إليه، وتقول: كَفَلْتُ بالنَّفسِ أو بالمال: ضَمِنته. ٤٥٧/٦

قوله: «﴿وَعَزَّنِي﴾: غَلَبني صارَ أعَزّ منّي، أعْزَزْتُه: جَعَلْته عَزيزاً، ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾ يقال:

---

(١) في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» ٧/ ٥١، لكن إسناده إلى بلال ضعيف جداً، فيه عبد العزيز بن أبي ثابت، وهو متروك الحديث.

(٢) بل ضعيف، فيه جابر بن نوح، والحافظ ابن حجر نفسه ضعَّفه في «تقريب التهذيب».

المحاوَرة» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾: أي: صارَ أعزَّ منِّي فيه.

وروى الطَّبَري (٢٣/ ١٤٤) من طريق العَوْفي عن ابن عبَّاس، قال: إن دَعا ودَعَوتُ كان أكثر منِّي، وإن بَطَشْتُ وبَطَش كان أشدَّ منِّي. ومن طريق قَتَادة قال: معناه: قَهَرَني وظَلَمَني.

وأمَّا قوله: «يقال: المحاوَرة» فمُراده تفسير الخِطاب بالمحاوَرة، وهي بالحاءِ المهمَلة، أي: المراجَعة بين الخَصْمَين، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

قوله: «الخُلَطاء: الشُّركاء» حكاه ابن جَرِير أيضاً.

قوله: «﴿فَتَنَّٰهُ﴾ قال ابن عبَّاس: اختبَرناهُ، وقرأ عمر: فَتَّنَّاهُ، بتشديد التاء» أمَّا قول ابن عبَّاس فوَصَلَه ابن جَرِير (٢٣/ ١٤٦) وابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه، وأمَّا قراءة عمر فمذكورة في الشَّواذّ[1]، ولم يَذكُرها أبو عُبيد في القراءات المشهورة، ونُقِلَ التَّشديد أيضاً عن أبي رَجَاء العُطاردي والحسن البصري.

ثم ذكر حديث ابن عبَّاس في السُّجود في «صَ» أورَدَه من وجهَين، ومحمَّد شيخه في الطَّريق الأولى: هو ابن سَلَام، والعَوّام: هو ابن حَوشَبٍ، بمُهمَلة ثمَّ مُعجَمة.

قوله: «أنسجُد» بنون، وللكُشْمِيهنيّ والمُستَمْلي: «أأسجُد»، وسيأتي شرح الحديث في التَّفسير (٤٨٠٦) إن شاء الله تعالى .

٤٠- قولُ الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]: الرّاجعُ المُنِيب

وقولُه: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص:٣٥]، وقولُه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: أذَبْنا له عينَ الحديدِ

---

(١) والتشديد فيها على سبيل المبالَغة، وانظر «المحتسب» لابن جنِّي ٢/ ٢٣٢.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ إلى قولِه: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ قال مجاهدٌ: بُنْيانٌ ما دونَ القُصور ﴿وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ:١٢-١٣]: كالحِيَاض للإبل، وقال ابنُ عبَّاسٍ: كالجَوْبةِ مِن الأرض ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: الأَرَضَة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: عَصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٢-١٤].

﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٢-٣٣]: يَمْسَحُ أعرافَ الخيلِ وعَرَاقيبَها.

﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص:٣٨]: الوَثاق.

قال مجاهدٌ: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ [ص:٣١]: صَفَنَ الفَرَسُ: رَفَعَ إحدَى رِجْلَيه حتَّى تكونَ على طَرَفِ الحافر.

﴿ٱلْجِيَادُ﴾ [ص:٣١]: السِّراع.

﴿جَسَدًا﴾ [ص٣٤]: شيطاناً.

﴿رُخَآءً﴾: طيِّبةً ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص٣٦]: حيثُ شاءَ.

﴿فَٱمْنُنْ﴾: أَعطِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩]: بغيرِ حَرَجٍ.

قوله: «قولُ الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾» في رواية غيرِ أبي ذرٍّ: «باب قول الله».

قوله: «﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ الرَّاجعُ المنيب» هو تفسير الأوّاب. وقد أخرج ابن جَرِير[1] من طريق مجاهد قال: الأوّاب: الرَّجّاع عن الذُّنوب، ومن طريق قَتَادة قال: المطيع، ومن طريق السُّدّي قال: هو المسبِّح.

قوله: «﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ قال مجاهد: بُنْيانٌ ما دون القُصور» وَصَلَه عبد بن حُميدٍ عنه كذلك. وقال أبو عُبيدة: المحاريب جمع مِحراب، وهو مُقدَّم كلِّ بيت، وهو أيضاً المسجد والمصَلَّى.

---

(١) تحرف في (س) إلى: جريج. وهذا الأثر عند ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢٣/ ١٣٦.

قوله: «﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ كالحِياض للإبلِ، وقال ابن عبَّاس: كالجَوْبةِ من الأرض» أمَّا قول مجاهد فوَصَلَه عبد بن حُميدٍ عنه، وأمَّا قول ابن عبَّاس فوَصَلَه ابن أبي حاتم عنه، وقال أبو عُبيدة: الجوابي جمع جابيَةٍ، وهو الحوض الذي يُجبَى فيه الماء.

قوله: «﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ الأَرَضَة».

قوله: «مِنْسأته: عَصَاه» هو قول ابن عبَّاس، وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه، قال أبو عُبيدة: المِنسأة: العصا. ثمَّ ذكر تصريفها، وهي مِفْعلة من نَسأتُ: إذا زَجَرتَ/ الإبلَ، أي: ضَرَبتَها بالمِنسأة. ٤٥٩/٦

قوله: «﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾: يَمْسَح أعْرافَ الخيل وعَراقيبها» هو قول ابن عبَّاس، أخرجه ابن جَرِير (٢٣/ ١٥٦) من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه، وزاد في آخره: «حُبّاً لها»، وروى من طريق الحسن قال: كَشَفَ عَراقيبَها وضَرَبَ أعناقها، وقال: لا تَشغَليني عن عبادة ربّي مرَّة أُخرى.

قال أبو عُبيدة: ومنه قوله: مَسَحَ عِلاوَتَه: إذا ضَرَبَ عُنُقه. قال ابن جَرِير: وقول ابن عبَّاس أقرَبُ إلى الصَّواب.

قوله: «﴿ ٱلْأَصْفَادِ ﴾: الوَثَاق» روى ابن جَرِير (٢٣/ ١٦٢) من طريق السُّدّي قال: ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أن تجمعَ اليدين إلى العُنُق بالأغلال. وقال أبو عُبيدة: الأصفاد: الأغلال، واحدها صَفَدٌ، ويقال للغِطاءِ أيضاً: صَفَد.

قوله: «قال مجاهد: ﴿ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ﴾، صَفَنَ الفَرَسُ: رَفَعَ إحدى رِجْلَيه حتَّى تكون على طَرَف الحافر» وَصَلَه الفِرْيابي من طريقه، قال: صَفَنَ الفَرَس... إلى آخره، لكن قال: «يَدَيه»، ووَقَعَ في أصل البخاري: «رِجلَيه»، وصَوَّبَ عياض ما عند الفِرْيابي. وقال أبو عُبيدة: الصّافن: الذي يجمع بين يَدَيه، ويثني مُقدَّم حافر إحدى رِجلَيه.

قوله: «﴿ٱلْجِيَادُ﴾: السِّراع» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق مجاهد أيضاً. وروى ابن جَرِير (٢٣/ ١٥٤) من طريق إبراهيم التَّيْمي: أنَّها كانت عشرينَ فرساً ذوات أجنِحة.

قوله: «﴿جَسَدًا﴾: شيطاناً» قال الفِرْيابي: حدَّثنا ورقاءُ عن ابن أبي نَجِيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: شيطاناً يقال له: آصف، قال له سليمان: كيف تَفتِن الناس؟ قال: أرِني خاتَمك أُخبِرْك، فأعطاه، فنَبَذَه آصف في البحر فساخَ، فذهب مُلك سليمان، وَقَعَدَ آصف على كُرسيِّه، ومَنَعَه الله نساء سليمان فلم يَقرَبْهنَّ، فأنكَرَته أمّ سليمان، وكان سليمان يَستَطعِم ويُعرِّفهم بنفسِه، فيُكذِّبونَه، حتَّى أعطَته امرأة حوتاً فطَيَّبَ بطنه، فوَجَدَ خاتمَه في بطنه فرَدَّ الله إليه مُلكَه، وفَرَّ آصف فدَخَلَ البحر[١].

وروى ابن جَرِير (٢٣/ ١٥٧) من وجه آخر[٢] عن مجاهد: أنَّ اسمه آصر، آخره راء، ومن طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: أنَّ اسم الجِنّي صخر، ومن طريق السُّدّي كذلك[٣]، وأخرج القصَّة من طريقه مُطوَّلة، والمشهور أنَّ آصف اسم الرجل الذي كان عنده عِلمٌ من الكتاب، والله أعلم.

قوله: «﴿رُخَآءً﴾: طيِّبة» في رواية الكُشْمِيهني: «طَيِّباً»، رواه الفِرْيابي من الوجه المذكور في قوله: ﴿رُخَآءً﴾ قال: طيِّبة.

قوله: «﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيثُ شاءَ» وَصَلَه الفِرْيابي كذلك.

قوله: «﴿فَٱمْنُنْ﴾: أعطِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير حَرَجٍ» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق مجاهد كذلك، وقال أبو عُبيدة في قوله: «بغير حِساب» أي: بغير ثواب ولا جزاء، أو بغير مِنَّة ولا قِلَّة.

ثم أورد المصنف أربعة أحاديث:

أولها: حديث أبي هريرة في تَفَلُّت العِفريت على النبي ﷺ.

---

(١) لم يصح في هذا شيءٌ عن النبي ﷺ، وإنما هو منقولٌ عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة وغيرهم، والظاهر أنَّه مما تُلُقي من الأخبار عن بني إسرائيل، فإن في كثيرٍ منها نكارةً شديدةً، كما قال ابن كثير رحمه الله. وانظر بسط ذلك في «البداية والنهاية» لابن كثير ٢/ ٢٤، و«التفسير» له ٧/ ٥٧-٥٩، و«البحر المحيط» لأبي حيان ٧/ ٣٩٧، و«عمدة القاري» للعيني ٣٦/ ١٤، و«روح المعاني» للألوسي ٢٣/ ١٩٩.

(٢) بل من نفس طريق ورقاء.

(٣) الذي في طريق السُّدي اسمه: حبقيق، وليس آصر.

٣٤٢٣- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن محمَّدِ بنِ زيادٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ عِفْرِيتاً مِن الجِنِّ تَفَلَّتَ البارِحةَ ليَقْطَعَ عليَّ صَلَاتي، فأمكَنَني اللهُ منه، فأخَذْتُه، فأرَدْتُ أن أربُطَه على ساريةٍ من سَوَاري المسجدِ حتَّى تَنظُروا إليه كلُّكم، فذَكَرتُ دَعْوةَ أخي سليمانَ: ربِّ هَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ مِن بَعْدي، فرَدَدْتُه خاسِئاً».

عِفْرِيتٌ: مُتَمرِّدٌ من إنسٍ أو جانٍّ، مِثلُ زِبْنِيَةٍ: جماعَتُها الزَّبَانيةُ.

قوله: «تَفَلَّتَ عليَّ» بتشديد اللّام، أي: تعرَّضَ لي فَلْتةً، أي: بَغتةً.

قوله: «البارِحةَ» أي: اللَّيلة الخالية الزّائلة، والبارح: الزّائل، ويقال: من بعد الزَّوال إلى آخر النَّهار البارحةُ.

قوله: «فذَكَرْتُ دَعْوة أخي سليمان» أي: قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ﴾ وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك إلّا[1] أنَّه تـركَه رِعاية لسليمان عليه السلام، ويحتمل أن تكون خَصُوصيَّة سليمان استخدامَ الجِنّ في جميع ما يريده لا في هذا القَدْر فقط، واستَدَلَّ الخَطّابي بهذا الحديث على أنَّ أصحاب سليمان كانوا يَرونَ الجِنّ في أشكالهم وهيئتهم حال تصرُّفهم، قال: وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧] فالمراد الأكثر الأغلَب من أحوال بني آدم، وتُعقِّبَ بأنَّ نفي رُؤية الإنس للجِنِّ على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرُها أنَّه مُمكِن، فإنَّ نفي رُؤيَتنا إياهم مُقيَّد بحال رُؤيَتهم لنا، ولا يَنفي إمكان رُؤيتنا لهم في غير تلكَ الحالة. ويحتمل العموم، وهذا الذي فَهِمَه أكثر العلماء، حتَّى قال الشّافعي: مَن زَعَمَ أنَّه يَرى الجِنّ أبطَلْنا شهادته، واستَدَلَّ بهذه الآية، والله أعلم.

قوله: «عِفْريت: مُتَمرِّدٌ من إنس أو جانٍّ، مِثْل: زِبْنِيَة، جماعَتُه: زَبَانِيَة» الزَّبانية في الأصل اسم أصحاب الشُّرطة، مُشتَقّ من الزَّبْن: وهو الدَّفع، وأُطلِقَ على الملائكة، ذلك لأنَّهم يَدفَعونَ الكفّار في النار، وواحد/ الزَّبانية زِبْنِيَـة، وقيل: زِبْنيّ، وقيل: زابن، وقيل: زَبَانيّ، ٤٦٠/٦

(١) قوله: «أنه ﷺ كان يقدر على ذلك إلّا» سقط من (س).

وقال قوم: لا واحد له من لفظه، وقيل: واحده زِبْنِيتٌ وزن عِفريت، ويقال: عِفْرِيَة لغة مُستَقِلَّة ليست مأخوذةً من عِفريت، ومُراد المصنِّف بقوله: «مِثل زِبْنية» أي: أنَّه قيل في عِفريت: عِفْرية، وهي قراءة رُويَت في الشَّواذّ عن أبي بكر الصِّدِّيق، وعن أبي رَجَاء العُطاردي وأبي السَّمَّال، بالمهمَلة واللّام، وقال ذو الرُّمَّة:

كـأنَّـه كوكـبٌ في إثـر عِفْرِيَـةٍ مُصوَّبٌ في ظَلام اللَّيل مُنْقَضِبُ[1]

وقد تقدَّم كثير من بيان أحوال الجِنّ في «باب صفة إبليس وجنوده» من بَدْء الخلق[2].

قال ابن عبد البَرّ: الجِنُّ على مراتب، فالأصل جِنّي، فإن خالَطَ الإنس قيل: عامر، ومَن تَعرَّضَ منهم للصِّبيان قيل: أرواح، ومن زاد في الخُبْث قيل: شيطان، فإن زاد على ذلك قيل: مارِدٌ، فإن زاد على ذلك قيل: عِفْريت.

وقال الرّاغِب: العِفريت من الجِنّ هو العارِم الخبيث، وإذا بُولِغَ فيه قيل: عِفْريت نِفْريت.

وقال ابن قُتَيبة: العِفْريت: المُوثَق الخَلْق، وأصله من العِفْر: وهو التُّراب، ورجلٌ عِفِرٌّ، بكسر أوَّله وثانيه وتثقيل ثالثه: إذا بُولِغَ فيه أيضاً.

٣٤٢٤- حدَّثنا خالدُ بنُ مَخلَدٍ، حدَّثنا مُغِيرةُ بنُ عبدِ الرحمن، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «قال سليمانُ بنُ داودَ: لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ على سبعينَ امرأةً، تَحمِلُ كلُّ امرأةٍ فارساً يجاهدُ في سبيلِ الله، فقال له صاحبُه: إنْ شاءَ الله، فلم يَقُلْ، ولم تَحمِلْ شيئاً إلَّا واحداً ساقطاً أَحدُ شِقَّيهِ» فقال النبيُّ ﷺ: «لو قالها لَجاهَدوا في سبيلِ الله».

قال شعيبٌ وابنُ أبي الزِّنادِ: «تسعينَ»، وهو أصحُّ.

قوله: «حدَّثنا مُغيرة بن عبد الرحمن» هو الحِزَامي وليس بالمخزومي، واسم جَدّ الحِزامي عبد الله بن خالد بن حِزام، واسم جَدّ المخزومي الحارث بن عبد الله.

قوله: «قال سليمان بن داود: لَأطوفَنَّ اللَّيلةَ» في رواية الحَمُّويّ والمُستَملي: «لأُطِيفَن»

---

(١) في الأصلين و(س): منتصب، والمثبت من «ديوان ذي الرمّة» ص١١١، وهو الصواب، ومعناه: مُنقَضٌّ.

(٢) ورقم الباب فيه (١١).

وهما لُغَتان. طافَ بالشيءِ، وأطافَ به: إذا دارَ حوله، وتَكَرَّرَ عليه، وهو هنا كِناية عن الجِماع، واللّام جواب القَسَم وهو محذوف، أي: والله لَأطوفَنَّ، ويُؤيِّده قوله في آخره: «لم يَحنَث» لأنَّ الحِنْث لا يكون إلّا عن قَسَم، والقَسَم لا بدَّ له من مُقسَمٍ به.

قوله: «على سبعينَ امرأة» كذا هنا من رواية مُغِيرة، وفي رواية شعيب كما سيأتي في الأيمان والنُّذور (٦٦٣٩): «فقال: تسعينَ»، وقد ذَكَرَ المصنِّف ذلك عَقِب هذا الحديث، ورَجَّحَ تسعينَ بتقديم المثنّاة على سبعين، وذَكَر أنَّ ابن أبي الزِّناد رواه كذلك.

قلت: وقد رواه سفيان بن عُيَينةَ عن أبي الزِّناد فقال: «تسعينَ» وسيأتي في كفَّارة الأيمان (٦٧٢٠) من طريقه، ولكن رواه مسلم (١٦٥٤/ ٢٣) عن ابن أبي عمر عن سفيان فقال: «سبعينَ» بتقديم السِّين، وكذا هو في «مُسنَد الحُميدي» (١١٧٤) عن سفيان، وكذا أخرجه مسلم (١٦٥٤/ ٢٥) من رواية وَرْقاء عن أبي الزِّناد[1].

وأخرجه الإسماعيلي والنَّسائي (ك٨٩٨٣) وابن حِبّان (٤٣٣٧) من طريق هشام بن عُرْوة عن أبي الزِّناد، قال: «مئة امرأة»، وكذا قال طاووس عن أبي هريرة كما سيأتي في الأيمان والنُّذور[2] من رواية مَعمَر، وكذا قال أحمد عن عبد الرَّزّاق، [و]مِن[3] رواية هشام ابن حُجَير عن طاووس: «تسعينَ»، وستأتي في كفَّارة الأيمان (٦٧٢٠).

ورواه مسلم (١٦٥٤/ ٢٤) عن عبد بن حُمَيدٍ عن عبد الرَّزّاق فقال: «سبعينَ»، وسيأتي في التَّوحيد (٧٤٦٩) من رواية أيوب عن ابن سِيرِين عن أبي هريرة: «كان لسليمان ستّونَ امرأة». ورواه أحمد (٧١٣٧) وأبو عَوَانة (٥٩٩٤) من طريق هشام عن ابن سِيرِين فقال: «مئة امرأة»، وكذا قال عِمران بن خالد عن ابن سِيرِين عند ابن مَرْدويه، وتقدَّم في الجهاد

---

(١) الذي في المطبوع من «صحيح مسلم» من رواية ورقاء بلفظ: تسعين.

(٢) بل في كتاب النكاح برقم (٥٢٤٢).

(٣) الواو زيادة منّا يقتضيها السِّياق، فإنَّ رواية أحمد عن عبد الرزاق إنما هي عن معمر بلفظ: «مئة امرأة»، وهي في «مسنده» برقم (٧٧١٥)، ولم يخرِّج رواية هشام بن حجير التي أشار إليها الحافظ، حتى الحافظ نفسه لم يذكرها له في كتابه «أطراف المسند»، والله تعالى أعلم.

(٢٨١٩) من طريق جعفر بن ربيعة عن الأعرَج فقال: «مئة امرأة أو تِسع وتسعين» على الشكّ.

فمُحصَّل الرِّوايات ستّونَ وسبعونَ وتسعونَ وتسع وتسعونَ ومئة، والجمع بينها أنَّ السِّتّينَ كُنَّ حرائرَ وما زاد عليهِنَّ كُنَّ سَراريَّ أو بالعكس، وأمَّا السَّبعونَ فللمُبالَغة، وأمَّا التِّسعونَ والمئة فكُنَّ دون المئة وفوقَ التِّسعينَ، فمَن قال: تِسعونَ، ألغى الكسر، ومن قال: مئة، جَبَرَه، ومن ثَمَّ وَقَعَ التردُّد في رواية جعفر.

وأمَّا قول بعض الشُّرّاح: ليس في ذِكْر القليل نفيُ الكثير، وهو من مفهوم العَدَد، وليس بحُجَّة عند الجمهور، فليس بكافٍ في هذا المقام، وذلك أنَّ مفهوم العَدَد مُعتبَر عند كثيرينَ، والله أعلم.

وقد حَكَى وَهْب بن مُنبِّه في «المبتَدَأ»: أنَّه كان لسليمان ألف امرأة: ثلاث مئة مَهيرة، وسبع مئة سُرِّيَّة، ونحوه/ ممَّا أخرج الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٥٨٩) من طريق أبي مَعشَر عن محمَّد بن كعب قال: بَلَغَنا أنَّه كان لسليمان ألفُ بيت من قواريرَ على الخشب فيها ثلاث مئة صَريحة وسبع مئة سُرِّيَّة. ٦/٤٦١

قوله: «تَحمِل كلّ امرأة فارساً يُجاهد في سبيل الله» هذا قاله على سبيل التَّمَنّي للخيرِ، وإنَّما جَزَمَ به لأنَّه غَلَبَ عليه الرَّجاءُ، لكَونِه قَصَدَ به الخير وأمرَ الآخرة، لا لغَرَضِ الدُّنيا.

قال بعض السَّلَف: نبَّه ﷺ في هذا الحديث على آفة التَّمَنّي والإعراض عن التَّفويض، قال: ولذلك نسيَ الاستثناءَ ليمضيَ فيه القدرُ.

قوله: «فقال له صاحبه: إن شاء الله» في رواية مَعمَر عن طاووسٍ الآتية (٥٢٤٢): «فقال له المَلَك»، وفي رواية هشام بن حُجَير (٦٧٢٠): «فقال له صاحبه، قال سفيان: يعني المَلَك»، وفي هذا إشعار بأنَّ تفسير صاحبه بالمَلَكِ ليس بمرفوع، لكن في «مُسنَد الحُميدي» (١١٧٤) عن سفيان: «فقال له صاحبه أو المَلَك» بالشكِّ، ومِثلها لمسلم (١٦٥٤/ ٢٣)، وفي الجملة ففيه رَدٌّ على مَن فَسَّرَ صاحبه بأنَّه الذي عنده عِلم من الكتاب، وهو آصِف ـ بالمدِّ وكسر

المهمَلة[1] بعدها فاء ـ بن بَرْخِيا، بفتح الموحَّدة وسكون الرّاء وكسر المعجَمة بعدها تحتانية.

وقال القُرطُبي في قوله: «فقال له صاحبه أو الملَك»، إن كان «صاحبُه» فيعني به وزيرَه من الإنس والجِنّ، وإن كان الملَك فهو الذي كان يأتيه بالوحي، وقال: وقد أبعَدَ مَن قال: المراد به خاطره. وقال النَّوَوي: قيل: المراد بصاحبِه الملَك، وهو الظّاهر من لفظه، وقيل: القَرِين، وقيل: صاحبٌ له آدميّ. قلت: ليس بين قوله: صاحبه والملَك مُنافاة، إلّا أنَّ لفظة: «صاحبه» أعمُّ، فمِن ثَمَّ نَشَأ لهم الاحتمال، ولكنّ الشكَّ لا يُؤَثِّر في الجزم، فمَن جَزَمَ بأنَّه الملَك حُجَّة على مَن لم يَجزِم.

قوله: «فلم يَقُلْ» قال عياض: بُيِّنَ في الطَّريق الأُخرى بقوله: «فنَسيَ». قلت: هي رواية ابن عُيَينةَ عن شيخه (٦٧٢٠)، وفي رواية مَعمَر (٥٢٤٢) قال: «ونسيَ أن يقول: إن شاء الله». ومعنى قوله: «فلم يَقُل» أي: بلسانه، لا أنَّه أَبى أن يُفوِّض إلى الله، بل كان ذلك ثابتاً في قلبه، لكنَّه اكتَفى بذلك أوَّلاً ونسي أن يُجريَه على لسانه لمَّا قيل له، لشيءٍ عَرَضَ له.

قوله: «فطافَ بهنَّ» في رواية ابن عُيَينة: «فأطافَ بهنَّ»[2] وقد تقدَّم توجيهه.

قوله: «إلّا واحداً ساقطاً أحدُ شِقَّيه» في رواية شعيب (٦٦٣٩): «فلم يَحمِل منهنَّ إلّا امرأةٌ واحدة جاءت بشِقِّ رجل»، وفي رواية أيوب عن ابن سِيرين (٧٤٦٩): «ولدَت شِقَّ غلام»، وفي رواية هشام عنه[3]: «نصف إنسان»، وهي رواية مَعمَر[4]، حَكَى النَّقّاش في «تفسيره»: أنَّ الشِّقّ المذكور هو الجسد الذي أُلقيَ على كُرسيّه؛ وقد تقدَّم قولُ غير واحد من المفسِّرينَ: أنَّ المراد بالجسدِ المذكور شيطان، وهو المعتمَد، والنَّقّاش صاحب مَناكير.

قوله: «لو قالها لَجاهَدوا في سبيل الله» في رواية شعيب: «لو قال: إن شاء الله» وزاد في

---

(١) كذا قال، والذي في «القاموس»: آصَفُ كهاجَرَ: كاتب سليمان.

(٢) هذه اللفظة عند المصنف من رواية معمر (٥٢٤٢)، أما رواية ابن عيينة التي عند البخاري (٦٧٢٠) فبلفظ: «فطاف بهن».

(٣) أخرجها أحمد في «المسند» (١٠٥٨٠).

(٤) ستأتي برقم (٥٢٤٢).

آخره: «فُرساناً أجمعونَ»، وفي رواية ابن سِيرِين: «لو استَثنى لحَمَلَت كلُّ امرأة منهنَّ فوَلَدَت فارساً يقاتل في سبيل الله»، وفي رواية طاووس: «لو قال: إن شاء الله، لم يَحنَث، وكان دَرَكاً لحاجته». كذا عند المصنِّف (٦٧٢٠) من رواية هشام بن حُجَير، وعند أحمد (٧٧١٥) ومسلم (١٦٥٤/ ٢٤) مِثله من رواية مَعمَر، وعند المصنِّف (٥٢٤٢) من طريق معمر: «وكان أرجى لحاجته». وقوله: «دَرَكاً» بفتحتَين من الإدراك، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ [طه:٧٧]، أي: لَحاقاً، والمراد أنَّه كان يحصُل له ما طلبَ، ولا يَلزَمُ من إخباره ﷺ بذلك في حَقِّ سليمان في هذه القصَّة أن يقع ذلك لكلِّ مَن استَثنى في أُمنيَّته، بل في الاستثناء رَجْوُ الوقوع، وفي ترك الاستثناء خَشْيةُ عَدَم الوقوع، وبهذا يُجاب عن قول موسى للخَضِر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾ [الكهف:٦٩] مع قول الخَضِر له آخِراً: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف:٨٢]، والله أعلم.

٤٦٢/٦ وفي الحديث فضلُ فعل الخير وتَعاطي أسبابه، وأن كثيراً من/ المباح والمَلاذِّ يصير مُستَحَباً بالنّية والقصد. وفيه استحبابُ الاستثناء لمن قال: سأفعلُ كذا، وأنَّ إتباع المشيئةِ اليمينَ يَرفَع حُكمَها، وهو مُتَّفَق عليه بشرطِ الاتِّصال، وسيأتي بيان ذلك في الأيمان والنُّذور (٦٦٣٩) مع بَسطٍ فيه.

وقد استَدَلَّ بهذا الحديث مَن قال: الاستثناء إذا أعقبَ اليمين ولو تَخلَّلَ بينهما شيء يسير لا يَضُرّ، فإنَّ الحديث دَلَّ على أنَّ سليمان لو قال: إن شاء الله، عَقِبَ قول الملَك له قُل: إن شاء الله، لَأفادَ مع التَّخلُّل بين كلامَيهِ بمِقدار كلام الملَك، وأجابَ القُرطُبي باحتمال أن يكون الملَك قال ذلك في أثناء كلام سليمان، وهو احتمال مُمكِن يَسقُط به الاستدلال المذكور.

وفيه أنَّ الاستثناء لا يكون إلّا باللَّفظِ، ولا يكفي فيه النِّية. وهو اتِّفاق إلّا ما حُكيَ عن بعض المالكية. وفيه ما خُصَّ به الأنبياء من القوَّة على الجِماع الدّالِّ ذلك على صِحَّة البُنية وقوَّة الفُحوليّة وكمال الرُّجوليّة مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم، وقد وَقَعَ للنبي ﷺ من ذلك أبلَغُ المعجزة، لأنَّه مع اشتغاله بعبادة ربِّه وعلومه ومُعالجَة الخَلْق، كان

مُتقلِّلاً من المآكِل والمشارب المقتَضية لضعفِ البَدَن على كَثْرة الجِماع، ومع ذلك فكان يَطُوف على نسائه في ليلة بغُسلٍ واحد وهُنَّ إحدى عشرة امرأة، وقد تقدَّم في كتاب الغُسل (٢٦٨)، ويقال: إنَّ كلّ مَن كان أتقى لله فشَهوَته أشدُّ، لأنَّ الذي لا يَتَّقي يَتَفرَّج بالنَّظَرِ ونحوه.

وفيه جواز الإخبار عن الشيء ووقوعه في المستَقبَل بناء على غَلَبة الظَّنّ، فإنَّ سليمان عليه السلام جَزَمَ بما قال، ولم يكن ذلك عن وحي وإلّا لَوَقَعَ، كذا قيلَ، وقال القُرطُبي: لا يظنُّ بسليمان عليه السلام أنَّه قَطَعَ بذلك على ربِّه إلّا مَن جَهِلَ حال الأنبياء وآدابَهم مع الله تعالى.

وقال ابن الجَوْزي: فإن قيل: من أين لسليمان أن يُخلَق من مائه هذا العَدَد في ليلة؟ لا جائزٌ أن يكون بوَحْي، لأنَّه ما وَقَعَ، ولا جائزٌ أن يكون الأمر في ذلك إليه، لأنَّ الإرادة لله. والجواب: أنَّه من جِنس التَّمَنّي على الله، والسُّؤال له أن يَفعلَ، والقَسَم عليه كقولِ أنس ابن النَّضر: «والله لا تُكسَر سِنُّها»[1]، ويحتمل أن يكون لمَّا أجابَ الله دعوتَه أن يهبَ له مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، كان هذا عنده من جُملة ذلك فجَزَمَ به. وأقربُ الاحتمالات ما ذكرتُه أوَّلاً، وبالله التَّوفيق.

قلت: ويحتمل أن يكون أُوحي إليه بذلك مُقيَّداً بشرطِ الاستثناء، فنَسيَ الاستثناء فلم يقع ذلك لفِقْدان الشَّرط، ومن ثَمَّ ساغَ له أوَّلاً أن يَحلِف. وأبعَدَ مَن استَدَلَّ به على جواز الحَلِف على غَلَبة الظَّنّ.

وفيه جواز السَّهو على الأنبياء، وأنَّ ذلك لا يَقدَحُ في عُلوِّ مَنصِبهم. وفيه جواز الإخبار عن الشيء أنَّه سيقعُ، ومُستنَدُ المخبِرِ الظَّنُّ مع وجود القَرينة المقوِّية لذلك.

وفيه جواز إضمار المقسَم به في اليمين لقوله: «لَأطوفَنَّ» مع قوله عليه السلام: «لم يَحنَث»، فدَلَّ على أنَّ اسم الله فيه مُقدَّر، فإن قال أحدٌ بجواز ذلك، فالحديث حُجَّة له بناءً على أنَّ شرع مَن قبلنا شرعٌ لنا، إذا وَرَدَ تقريره على لسان الشّارع، وإن وَقَعَ الاتِّفاق على عَدَم الجواز، فيُحتاج إلى تأويله كأن يقال: لعلَّ التلفُّظ باسم الله وَقَعَ في الأصل وإن لم يقع

(١) سيأتي هذا عند البخاري برقم (٤٦١١) في حديث أنس بن مالك.

في الحكاية، وذلك ليس بمُمتَنِع، فإنَّ مَن قال: «والله لَأطوفَنَّ» يَصدُق أنَّه قال: «لَأطوفَن»، فإنَّ اللّافظ بالمركَّبِ لافظٌ بالمفرَدِ، وفيه حُجَّة لمن قال: لا يُشتَرَط التَّصريح بمُقسَم به مُعيَّن، فمَن قال: أحلِفُ أو أشهَدُ ونحو ذلك، فهو يمين، وهو قول الحنفية، وقَيَّدَه المالكية بالنِّيّة، وقال بعض الشّافعية: ليست بيمين مُطلَقاً.

وفيه جواز استعمال لو ولولا، وسيأتي الكلام عليه في باب مُفرَد عَقَدَه له المصنِّف في أواخر الكتاب. وفيه استعمال الكِناية في اللَّفظ الذي يُستَقبَح ذِكْره لقوله: «لَأطوفَنَّ» بدل قوله: لَأُجامعَنَّ.

الحديث الثالث:

٣٤٢٥- حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا أَبي، حدَّثنا الأعمَشُ، حدَّثنا إبراهيمُ التَّيميُّ، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضِعَ أوَّلُ؟ قال: «المسجدُ الحرامُ». قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «ثمَّ المسجدُ الأقصَى» قلتُ: كم كان بينَهما؟ قال: «أربعونَ» ثمَّ قال: «حيثُما أدرَكَتْكَ الصَّلاةُ فصَلِّ، والأرضُ لكَ مسجدٌ».

قوله: «حدَّثنا إبراهيم التَّيْمي عن أبيه» هو يزيد بن شَرِيك.

قوله: «أيُّ مسجد وُضِعَ أوَّلُ» تقدَّم التَّنبيه عليه في أثناء قصَّة إبراهيم عليه السلام (٣٣٦٦).

وقوله: «أدرَكَتك الصلاة» أي: وقتُ الصلاة، وفيه إشارة إلى المحافَظَة على الصلاة في أوَّل وقتها، ويَتَضَمَّن ذلك/ النَّدبَ إلى معرفة الأوقات. وفيه إشارة إلى أنَّ المكان الأفضل للعبادة إذا لم يَحصُل، لا يُترَكُ المأمور به لفَوَاتِه، بل يفعلُ المأمور في المفضول، لأنَّه ﷺ كأنَّه فَهِمَ عن أبي ذرٍّ من تخصيصه السُّؤال عن أوَّل مسجد وُضِعَ، أنَّه يريد تخصيصَ صلاته فيه، فنبَّه على أنَّ إيقاع الصلاة إذا حَضَرَت لا يَتوقَّف على المكان الأفضل. ٦/٤٦٣

وفيه فضيلة الأُمَّة المحمَّدية لمَا ذُكِرَ أنَّ الأُمَم قبلهم كانوا لا يُصلُّونَ إلّا في مكان مخصوص، وقد تقدَّم التَّنبيه عليه في كتاب التيمُّم (٣٣٥).

وفيه الزِّيادة على السُّؤال في الجواب لا سيما إذا كان للسائلِ في ذلك مَزِيدُ فائدة.

الحديث الرابع:

٣٤٢٦- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن عبدِ الرحمن حدَّثه: أنَّه سمعَ أبا هريرةَ ﷺ، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَثَلي ومَثَلُ الناسِ، كمَثَلِ رجلٍ استوْقَدَ ناراً، فجَعَلَ الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ تَقَعُ في النارِ».

٣٤٢٧- وقال: «كانتِ امرأتانِ معهما ابناهُما، جاء الذِّئبُ فذهبَ بابنِ إحداهما، فقالت صاحبتُها: إنَّما ذهبَ بابنِكِ، وقالت الأُخرَى: إنَّما ذهبَ بابنِكِ، فتَحاكَما إلى داودَ، فقَضَى به للكُبْرى، فخَرَجَتا على سليمانَ بنِ داودَ فأخبَرَتاه، فقال: ائتُوني بالسِّكِّين أشُقُّه بينَهما، فقالت الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ الله، هو ابنُها، فقَضَى به للصُّغْرَى».

قال أبو هريرةَ: والله إنْ سمعتُ بالسِّكِّين إلّا يومَئذٍ، وما كنَّا نقولُ إلّا المُدْيَةَ.

[طرفه في: ٦٧٦٩]

قوله في الإسناد: «عن عبد الرحمن» هو الأعرَج، وهو كذلك في نُسخَة شعيب عن أبي الزِّناد عند الطبراني(١).

قوله: «أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: مَثَلي ومَثَلُ الناس كمَثَلِ رجل استوقَدَ ناراً، فجَعَلَ الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ تقعُ في النار. وقال: كانت امرأتان معهما ابناهما» هكذا أورَدَه، ومُراده الحديثُ الثاني؛ فإنَّه هو الذي يَدخُل في ترجمة سليمان، وكأنَّه ذكر ما قبله ـ وهو طَرَفٌ من حديث طويل ـ لكَونِه سمعَ نُسخَة شعيب عن أبي الزِّناد، وهذا الحديث مُقدَّم على الآخر، وسمعَ الإسناد في السابق دون الذي يَلِيه، فاحتاجَ أن يَذكُر شيئاً من لفظ الحديث الأوَّل لأجلِ الإسناد، وقد تقدَّم في الطَّهارة للمصنِّف مِثلُ هذا الصَّنيع، فذكر من هذه النُّسخَة بعينِها حديث: «لا يَبولَنَّ أحدكم في الماء الدّائم» (٢٣٩) وذكر قبله طَرَفاً من حديث: «نحنُ الآخِرونَ السابقونَ» أيضاً، ولمَّا ذكر في الجمعة (٨٧٦) حديث: «نحنُ الآخرونَ

---

(١) في «مسند الشاميين» وبداية النسخة عنده برقم (٣٢٣١)، أما حديث «مثلي ومثل الناس» فعنده برقم (٣٣٤٨)، وأما حديث «كانت امرأتان» فعنده برقم (٣٣٢٠).

السابقونَ» لم يَضُمَّ معه شيئاً، وذكر في الجهاد (٢٩٥٧) حديث: «مَن أطاعَني فقد أطاعَ الله» الحديث، فقال قبله: «نحنُ الآخرونَ السابقونَ» أيضاً، وذكر في الدِّيات (٦٨٨٨) حديث: «لو اطَّلَعَ عليك رجل» وقَدَّمَ ذلك قبله أيضاً، لكنَّه أورَدَ حديث المرأتين في الفرائض (٦٧٦٩)، ولم يَضُمَّ معه في أوَّله شيئاً من الحديث الآخر، وكذا في بقيَّة هذه النُّسخَة، فلم يَطَّرِد للمصنِّف في ذلك عمل، وكأنَّه حيثُ ضَمَّ إليه شيئاً أراد الاحتياط، وحيثُ لم يَضُمَّ نبَّه على الجواز، والله أعلم.

وأمَّا مسلم فإنَّه في نُسخَة همَّام عن أبي هريرة، يُنبِّه على أنَّه لم يَسمَع الإسناد في كلِّ حديث منها، فإنَّه يَسُوق الإسناد إلى أبي هريرة، ثمَّ يقول: فذكر أحاديث منها كذا وكذا. وصَنِيعه في ذلك حسن جدّاً، والله أعلم.

تنبيه: لم أرَ الحديث الأوَّل تامّاً في «صحيح البخاري»، وقد أورَدَه الحُميدي في «الجمع» من طريق شعيب هذه، وساقَ المتن بتمامه وقال: إنَّه لفظ البخاري وإنَّ مسلماً أخرجه (١٧/٢٢٨٤) من رواية مُغِيرة وسفيان عن أبي الزِّناد به، ومن طريق همَّام عن أبي هريرة، وكذلك أطلقَ المِزِّي أنَّ البخاري أخرجه في أحاديث الأنبياء، فإنْ كان عَنَى هذا الموضع، فليس هو فيه بتمامه، وإن كان عَنَى موضعاً آخر، فلم أرَه فيه. ثمَّ وجدتُه في «باب الانتهاء عن المعاصي» من كتاب الرِّقاق (٦٤٨٣)، ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى.

قوله: «مَثَلي» أي: في دُعائي الناسَ إلى الإسلام المُنقِذ لهم من النار «ومَثَلُ» ما تُزيِّن لهم أنفسُهم من التَّمادي على الباطل «كمَثَلِ رجل...» إلى آخره، والمراد تمثيلُ الجملة بالجملة، لا تمثيلَ فردٍ بفرد.

قوله: «استَوْقَدَ» أي: أوقَدَ، وزيادة السِّين والتاء للإشارة إلى أنَّه عالَجَ إيقادها وسَعَى في تحصيل آلاتها. ووَقَعَ في حديث جابر عند مسلم (٢٢٨٥): «مَثَلي ومَثَلكم كمَثَلِ رجل أوقَدَ ناراً»، زاد أحمد (٨١١٧) ومسلم (١٨/٢٢٨٤) من رواية همَّام عن أبي هريرة: «فلمّا أضاءت ما حولَه»[1].

---

(١) وهذه الزيادة أيضاً في رواية شعيب عن أبي الزناد لكن فيما سيأتي عند البخاري برقم (٦٤٨٣).

قوله: «فجَعَلَ الفَراشُ» بفتح الفاء والشِّين المعجَمة، معروف ويُطلَق الفراشُ أيضاً على غَوْغاء الجَراد الذي يَكثُر ويَتَراكَم. وقال في «المحكَم»: الفَراش: دَوابُّ مِثل البَعوض واحدتها فَرَاشة، وقد شَبَّهَ الله تعالى الناس في المحشَر بالفراش المبثوث، أي: في الكَثْرة والانتِشار والإسراع إلى الدّاعي.

قوله: «وهذه الدَّوابّ تقع في النار» قلت: منها البَرغَش والبعوض، ووَقَعَ في حديث جابر[1]: «فجَعَلَ الجَنابد والفراشُ» والجَنابد جمع جُنبُد، وهو على القلب، والمعروف: الجَنادِب، جمع جُندُب بفتح الدّال وضمّها، والجيم مضمومة وقد/ تُكسَر، وهو على خِلقة ٤٦٤/٦ الجَرادة يَصِرّ في اللَّيل صَرّاً شديداً، وقيل: إنّ ذَكَر الجرادِ يُسَمّى أيضاً الجُندُب.

قوله: «تَقَع في النار» كذا فيه، وإنَّما هو في نُسخَة شعيب كما أخرجه أبو نُعَيم في «المستَخرَج»: «وهذه الدَّوابّ التي تَقَعْنَ في النار يَقَعْنَ فيها»[2]، قال النَّوَوي: مقصود الحديث أنَّه ﷺ شَبَّهَ المخالِفينَ له بالفَراش، وتَساقُطَهم في نار الآخرة بتَساقُطِ الفراش في نار الدُّنيا، مع حِرْصهم على الوقوع في ذلك ومَنعِه إياهم، والجامع بينهما اتِّباع الهوى وضعفُ التَّمييز وحِرْص كلٍّ من الطائفتَين على هلاك نفسه.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا مَثَلٌ كثير المعاني، والمقصود أنَّ الخلق لا يأتونَ ما يَجُرّهم إلى النار على قصد الهَلَكة، وإنَّما يأتونَه على قصد المنفَعة واتِّباع الشَّهْوة، كما أنَّ الفَراش يَقتَحِم النار لا ليَهلك فيها، بل لمَا يُعجِبه من الضِّياء.

وقد قيل: إنَّها لا تُبصِر بحالٍ، وهو بعيد، وإنَّما قيل: إنَّها تكون في ظُلمة فإذا رأت الضّياءَ اعتَقَدَت أنَّها كُوَّة يَظهَر منها النّور، فتَقصِده لأجلِ ذلك فتحترِق وهي لا تَشعُر.

وقيل: إنَّ ذلك لضعفِ بَصَرها، فتَظُنّ أنَّها في بيت مُظلِم وأنَّ السِّراج مثلاً كُوَّةٌ فترمي بنفسِها إليه، وهي من شِدَّة طَيَرانها تُجاوِزه فتَقَع في الظُّلمة فتَرجِع إلى أن تحترق.

---

(١) عند أحمد (١٤٨٨٧)، ومسلم (٢٢٨٥) وغيرهما، ووقع عندهم جميعاً: «الجنادب» بتقديم الدال على الأصل، ولم نقف على الرواية التي ذكرها الحافظ.

(٢) فات الحافظَ هنا أنه سيأتي بهذا اللفظ من حديث شعيب أيضاً فيما سيأتي عند البخاري برقم (٦٤٨٣).

وقيل: إنَّها تَتَضَرَّر بشِدَّة النّور فتَقصِد إطفاءَه، فلِشِدَّة جهلها تورِّط نفسها فيما لا قُدرة لها عليه، ذكر مُغَلْطاي أنَّه سمعَ بعض مشايخ الطِّبّ يقوله.

وقال الغَزالي: التَّمثيل وَقَعَ على صورة الإكباب على الشَّهَوات من الإنسان بإكباب الفَراش على التَّهافُت في النار، ولكنّ جهل الآدمي أشدُّ من جهل الفَراش، لأنَّها باغتِرارها بظواهر الضَّوء إذا احتَرَقَت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار مُدَّة طويلة أو أبداً، والله المستعان.

قوله: «وقال: كانت امرأتان» ليس في سياق البخاري تصريحٌ برفعِه، وهو مرفوع عنده عن أبي اليَمان عن شعيب في أواخر كتاب الفرائض (٦٧٦٩) أورَدَه هناك، وكذا هو في نُسخَة شعيب عند الطبراني[1] وغيره، وفي رواية النَّسائي (٥٤٠٢) من طريق عليّ بن عيّاش عن شعيب: حدَّثني أبو الزِّناد ممَّا حدَّثه عبد الرحمن الأعرَج، ممَّا ذكر أنَّه سمعَ أبا هريرة يُحدِّث به عن رسول الله ﷺ قال: «بينَما امرأتان».

قلت: ولم أقِفْ على اسم واحدة من هاتَين المرأتين، ولا على اسم واحد من ابنَيهما في شيء من الطُّرق.

قوله: «فتَحاكَما» في رواية الكُشْمِيهني: «فتَحاكَمَتا»، وفي رواية شعيب: «فاختَصَما»[2].

قوله: «فقضى به للكُبْرى...» إلى آخره، قيل: كان ذلك على سبيل الفُتْيا منهما لا الحُكم، ولذلك ساغَ لسليمان أن يَنقُضَه، وتَعقَّبَه القُرطُبي بأنَّ في لفظ الحديث أنَّه قضى بأنَّهما تَحاكَما، وبأنَّ فُتيا النبي وحُكمه سواءٌ في وجوب تنفيذ ذلك. وقال الدَّاوودي: إنَّما كان منهما على سبيل المشاوَرة، فوَضَحَ لداود صِحَّةُ رأي سليمان فأمضاه.

وقال ابن الجَوْزي: استَوَيا عند داود في اليد، فقَدَّمَ الكبرى للسِّنّ. وتَعقَّبَه القُرطُبي وحَكَى أنَّه قيل: كان من شرع داود أن يَحكُم للكُبرى، قال: وهو فاسد لأنَّ الكِبَر والصِّغَر

(١) في «مسند الشاميين» (٣٣٢٠).

(٢) رواية شعيب هذه عند النسائي (٥٤٠٤).

وصفٌ طَرْدي كالطّولِ والقِصَر والسَّواد والبياض، ولا أثر لشيءٍ من ذلك في التَّرجيح، قال: وهذا ممَّا يكاد يُقطَع بفسادِه.

قال: والذي ينبغي أن يقال: إنَّ داود عليه السلام قضى به للكُبرى لسَبَبٍ اقتَضى به عنده ترجيحَ قولها، إذ لا بَيِّنة لواحدة منهما، وكَونُه لم يُعيَّن في الحديث اختصاراً، لا يَلزَم منه عَدَمُ وقوعه، فيحتمل أن يقال: إنَّ الولد الباقي كان في يد الكبرى وعَجَزَت الأُخرى عن إقامة البيِّنة، قال: وهذا تأويلٌ حسنٌ جارٍ على القواعد الشَّرعية، وليس في السِّياق ما يأباه ولا يَمنَعه، فإن قيل: فكيف ساغَ لسليمان نَقضُ حُكمه؟ فالجواب أنَّه لم يَعمَدْ إلى نَقضِ الحُكم، وإنَّما احتالَ بحيلة لطيفة أظهَرَت ما في نفس الأمر، وذلك أنَّهما لمَّا أخبَرَتا سليمان بالقصَّة فدَعَا بالسِّكِّين ليشُقَّه بينهما، ولم يَعزِمْ على ذلك في الباطن، وإنَّما أراد استكشاف الأمر، فحَصَلَ مقصوده لذلك لجَزَع الصُّغرى الدّالِّ على عظيم الشَّفَقة، ولم يَلتَفِتْ إلى إقرارها بقولها: هو ابن الكبرى، لأنَّه عَلِمَ أنَّها آثَرَت/ حياته، فظَهَرَ له من قَرِينة شَفَقة الصُّغرى وعَدَمِها في الكبرى ـ مع ما انضافَ إلى ذلك من القَرينة الدّالَّة على صِدقها ـ ما هَجَمَ به على الحُكم للصُّغرى. ٤٦٥/٦

ويحتمل أن يكون سليمان عليه السلام ممَّن يَسُوغ له أن يحكمَ بعِلمِه، أو تكون الكبرى في تلكَ الحالة اعتَرَفَت بالحقِّ لمَّا رأت من سليمان الجِدَّ والعَزْم في ذلك. ونَظِير هذه القصَّة ما لو حَكَمَ حاكم على مُدَّعٍ مُنكِرٍ بيمين، فلمَّا مضى ليُحَلِّفه حَضَرَ مَن استَخرَجَ من المنكِر ما اقتَضى إقرارَه بما أراد أن يَحلِف على جَحْده، فإنَّه ـ والحالة هذه ـ يَحكُم عليه بإقراره، سواء كان ذلك قبل اليمين أو بعدها، ولا يكون ذلك من نَقضِ الحُكم الأوَّل، ولكن من باب تبدُّل الأحكام بتبدُّلِ الأسباب.

وقال ابن الجَوْزي: استَنبَطَ سليمانُ لمَّا رأى الأمر مُحتَمَلاً فأجادَ، وكلاهما حَكَمَ بالاجتهاد، لأنَّه لو كان داودُ حَكَمَ بالنَّصِّ لمَا ساغَ لسليمان أن يحكمَ بخِلافه. ودلَّت هذه القصَّة على أنَّ الفِطْنة والفَهْم مَوهِبة من الله لا تتعلَّق بكِبَرِ سِنّ ولا صِغَره.

وفيه أنَّ الحقّ في جِهَة واحدة، وأنَّ الأنبياء يَسُوغُ لهم الحكمُ بالاجتهاد، وإنْ كان وجود النَّصّ مُمكِناً لَدَيهم بالوحي، لكن في ذلك زيادة في أُجورهم، ولعِصمَتِهم من الخطأ في ذلك إذ لا يُقَرُّونَ ـ لعِصمَتِهم ـ على الباطل.

وقال النَّوَوي: إنَّ سليمان فعلَ ذلك تَحيُّلاً على إظهار الحقّ، فكان كما لو اعتَرَفَ المحكوم له بعد الحُكم أنَّ الحقّ لخَصمِه.

وفيه استعمال الحِيَل في الأحكام لاستخراجِ الحقوق، ولا يَتأتَّى ذلك إلّا بمَزِيد الفِطنة ومُمارَسة الأحوال.

قوله: «لا تَفْعَل يرحمُك الله» وَقَعَ في رواية مسلم (١٧٢٠/ ٢٠) والإسماعيلي من طريق وَرْقاء عن أبي الزِّناد: «لا، يرحمُك الله». قال القُرطُبي: ينبغي على هذه الرِّواية أن يَقِفَ قليلاً بعد «لا» حتَّى يَتبيَّن للسامع أنَّ الذي بعده كلام مُستأنَف، لأنَّه إذا وَصَلَه بما بعده يَتوهَّم السامعُ أنَّه دُعاءٌ عليه، وإنَّما هو دعاء له، ويَزُول الإيهام في مِثل هذا بزيادة واو، كأن يقول: لا ويرحمك الله.

وفيه حُجَّة لمن قال: إنَّ الأُمّ تَستَلحِقُ، والمشهور من مذهب مالك والشّافعي: أنَّه لا يَصِحُّ، وقد تَعرَّضَ المصنِّف لذلك في أواخر كتاب الفرائض (٦٧٦٩)، ويأتي البحث فيه هناك إن شاء الله تعالى.

قوله: «قال أبو هريرة» يعني: بالإسناد إليه وليس تعليقاً، وقد وَقَعَ كذلك في رواية الإسماعيلي من طريق وَرْقاء عن أبي الزِّناد.

والمُدْية مُثلَّثة الميم، قيل للسِّكّينِ ذلك، لأنَّها تَقطَع مَدَى حياة الحيوان، والسِّكّين تُذكَّر وتُؤنَّث، قيل لها ذلك، لأنَّها تُسكِّن حركة الحيوان.

٤١- باب قولِ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٢-١٨]

﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: الإعراضُ بالوَجْه.

٣٤٢٨- حدَّثنا أبو الوليدِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن الأعمَشِ، عن إبراهيمَ، عن عَلْقمةَ، عن عبدِ الله قال: لمَّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] قال أصحابُ النبيِّ ﷺ: أيُّنا لم يَلْبِس إيمانَه بظُلْمٍ؟ فنزلتْ: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

٣٤٢٩- حدَّثنا إسحاقُ، أخبرنا عيسى بنُ يونُسَ، حدَّثنا الأعمَشُ، عن إبراهيمَ، عن عَلْقمةَ، عن عبدِ الله ﷺ، قال: لمَّا نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على المسلمينَ، فقالوا: يا رسولَ الله، أيُّنا لا يَظلِمُ نفسَه؟ قال: «ليس ذلك، إنَّما هو الشِّرْكُ، ألم تَسْمَعوا ما قال لُقْمانُ لابنِهِ وهو يَعِظُه: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَخُورٍ﴾» اختُلِفَ في لُقمان فقيل: كان حَبَشيّاً، وقيل: كان نُوبياً. واختُلِفَ هل كان نبيّاً؟ قال السُّهَيلي: كان نوبياً من أهل أَيلة، واسم أبيه عنقا بن شيرون. وقال غيره: هو ابن باعور بن ناحر بن آزَرَ، فهو ابن أخي إبراهيم، وذكر وَهْب في «المبتدَأ»: أنَّه كان ابن أُخت أيوب، وقيل: ابن خالتِه. ٤٦٦/٦

وروى الثَّوري في «تفسيره» عن أشعَث عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس قال: كان لُقمان عبداً حَبَشيّاً نَجّاراً. وفي «مُصنَّف ابن أبي شَيْبة» (١٣/ ٢١٤) عن خالد بن ثابت[1] الرَّبَعي أحد التابعينَ مِثلُه، وحَكَى أبو عُبيد البَكْري في «شرح الأمالي»: أنَّه كان مولى لقوم من الأزدِ، وروى الطَّبَري (٢١/ ٦٧) من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيّب: كان لقمانُ من سودان مِصرَ ذو مَشافر، أعطاه الله الحكمة ومَنَعَه النبوَّة.

وفي «المستدرَك» (٢/ ٤٢٢) بإسناد صحيح عن أنس قال: كان لُقمان عند داود وهو يَسرُد الدِّرع، فَجعل لقمان يَتَعجَّب ويريد أن يسأله عن فائدته، فتَمنَعُه حِكمَته أن يسأل.

---

(١) كذا وقع في أصول «الفتح»، وهو كذلك في «مصنف ابن أبي شيبة»: ثابت، والصواب أنَّ اسمه خالد بن باب، بموحَّدتين، هكذا سمَّاه غير واحدٍ ممن ترجم له منهم البخاري في «التاريخ الكبير» ٣/ ١٤١، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٢٢ وقال: ترك أبو زرعة حديثه.

وهذا صريح في أنَّه عاصَرَ داود عليه السلام، وقد ذكره ابن الجَوْزي في «التَّلقيح» بعد إبراهيم قبل إسماعيل وإسحاق، والصَّحيح أنَّه كان في زمن داود.

وقد أخرج الطَّبَري (٢١/ ٦٧) وغيره عن مجاهد: أنَّه كان قاضياً على بني إسرائيل زمنَ داود عليه السلام، وقيل: إنَّه عاشَ ألف سنة، نُقِلَ عن ابن إسحاق وهو غَلَطٌ ممَّن قالَه، وكأنَّه اختَلَطَ عليه بلُقمان بن عاد، وقيل: إنَّه كان يُفتي قبل بَعْث داود، وأغرَبَ الواقدي فزَعَمَ: أنَّه كان بين عيسى ونبيِّنا عليهما الصلاة والسَّلام، وشُبْهته ما حكاه أبو عُبيد البَكْري: أنَّه كان عبداً لبني الحَسْحاس بن الأزدِ.

والأكثر أنَّه كان صالحاً. قال شُعْبة عن الحكم عن مجاهد: كان صالحاً ولم يكن نبيّاً، وقيل: كان نبيّاً، أخرجه ابن أبي حاتم وابن جَرِير من طريق إسرائيل عن جابر عن عِكْرِمة. قلت: وجابر هو الجُعْفي ضعيف، ويقال: إنَّ عِكْرِمة تفرَّد بقوله: كان نبيّاً، وقيل: كان لرجل من بني إسرائيل فأعتَقَه وأعطاه مالاً يَتَّجِرُ فيه.

وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قَتَادة: أنَّ لُقمان خُيِّرَ بين الحكمة والنبوَّة فاختارَ الحكمة، فسُئِلَ عن ذلك فقال: خِفتُ أن أضعُفَ عن حمل أعباء النبوَّة. وفي سعيد بن بشير ضعف.

وقد روى سعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتَادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: التفقُّه في الدِّين، ولم يكن نبيّاً، وقد تقدَّم تفسير المراد بالحكمة في أوائل كتاب العلم (٧٥) في شرح حديث ابن عبَّاس: «اللهمَّ عَلِّمه الحكمة».

وقيل: كان خَيّاطاً، وقيل: كان نَجّاراً.

وقوله: «﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾» قال السُّهيلي: اسم ابنه بارانَ، بموحَّدة وراء مُهمَلة، وقيل فيه بالدّال في أوَّله، وقيل: اسمه أنعَمُ، وقيل: شَكُور، وقيل: ماثان[1].

---

(١) تحرف في (أ) و(ع) إلى: ماثلي. وفي (س) إلى: بابلي، وانظر «عمدة القاري» للعيني ١٩/ ١١٢، و«روح المعاني» للألوسي ٢١/ ٨٤.

قوله: «﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾: الإعْراض بالوَجْه» هو تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ وهو تفسير عِكْرمة، أورَدَه عنه الطَّبَري (٢١/ ٧٥)، وأورَدَ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾: لا تَتَكبَّر عليهم. قال الطَّبَري: أصل الصَّعَر ـ يعني: بالمهمَلتَين ـ: داء يأخذ الإبل في أعناقها حتَّى يُلْفِتَ أعناقها عن رؤوسها، فيُشَبَّه به الرجلُ المتكبِّر المعرِض عن الناس، انتهى.

وقوله: «﴿تُصَعِّرْ﴾» هي قراءة عاصم وابن كثير وأبي جعفر، وقال أبو عُبيد في «القراءات» له: حدَّثنا هُشَيم عن يونس عن الحسن: أنَّه قرأها كذلك، وقرأها الباقونَ «تُصاعِرْ»، قال أبو عُبيد: والأوَّل أحَبُّ إليَّ لمَا في الثّانية من المفاعَلة، والغالب أنَّه من اثنينِ، وتكون الأولى أشمَلَ في اجتناب ذلك. وقال الطَّبَري: القراءتان مشهورتان ومعناهما صحيح، والله أعلم.

ثم ذكر المصنف حديثَ ابن مسعود في نزول قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، وسيأتي شرحه في تفسير الأنعام (٤٦٢٩)، أورَدَه من وجهَينِ، وإسحاق شيخه في الطَّريق الثّانية هو ابن راهويه، وبذلك جَزَمَ أبو نُعَيم في «المستَخرَج».

٤٢ - باب ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ الآية [يس:١٣]

﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ [يس:١٤]: قال مجاهدٌ: شَدَّدْنا.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿طَٰٓئِرُكُم ﴾ [يس:١٩]: مَصائبُكم.

قوله: «باب ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ الآية، ﴿فَعَزَّزْنَا ﴾ قال مجاهد: شَدَّدْنا، وقال ابن عبَّاس: ﴿طَٰٓئِرُكُم ﴾: مَصائبكم» أمَّا قول مجاهد، فوَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيح عنه بهذا، وأمَّا قول ابن عبَّاس فوَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه به. ٦/٤٦٧

والقرية المراد بها: أنطاكِيَةُ فيما ذكر ابن إسحاق ووَهْب في «المبتَدَأ»، ولعلَّها كانت مدينةً بالقُربِ من هذه الموجودة، لأنَّ الله أخبر أنَّه أهلَكَ أهلها، وليس لذلك أثرٌ في هذه المدينة الموجودة الآن، ولم يَذكُر المصنِّف في ذلك حديثاً مرفوعاً.

وقد روى الطبراني (١١١٥٢) من حديث ابن عبَّاس مرفوعاً: «السُّبَّق ثلاثة: يُوشَعُ إلى موسى، وصاحبُ يسّ إلى عيسى، وعليٌّ إلى محمَّد ﷺ» وفي إسناده حُسين بن حسن[1] الأشقَر، وهو ضعيف، فإن ثَبَتَ دَلَّ على أنَّ القصَّة كانت في زمن عيسى أو بعده، وصَنيع المصنِّف يقتضي أنَّها قبل عيسى.

وروى ابن إسحاق في «المبتَدَأ» عن أبي طُوَالة عن كعب الأحبار: أنَّ اسم صاحب يسّ حبيبٌ النَّجّار، وروى الثَّوري في «تفسيره» عن عاصم عن أبي مِجْلَز قال: كان اسمه حبيب بن مُرّي، وعن شبيب بن بشر عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس: هو حبيب النَّجّار، وعن السُّدّي: كان قَصّاراً، وقيل: كان إسكافاً.

قال ابن إسحاق: واسم الرُّسُل الثلاثة: صادق وصدوق وشلوم، وقال ابن جُرَيج عن وَهْب بن سليمان عن شعيب الجَبَئي ـ بالجيم والموحَّدة والهمز بلا مَدّ ـ: كان اسم الرَّسولَين شَمعون ويُوحَنا، واسم الثّالث بولِص، وعن قَتَادة: كانوا رُسُلاً من قِبَل المسيح، والله أعلم.

٤٣ - باب قول الله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ إلى قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٢-٧]

قال ابنُ عبَّاسٍ: مِثْلاً.

يقال: ﴿رَضِيًّا﴾ مَرْضِياً.

﴿عِتِيًّا﴾ [مريم:٨]: عَصِياً، عَتَا يَعْتُو.

قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم:٨-١٠] ويقال: صَحِيحاً.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: فأشارَ.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٢-١٥].

---

(١) تحرف في (س) إلى: حُسين بن حُسين. وحُسين هذا منكر الحديث وبعضهم اتهمه بالكذب.

﴿حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧]: لَطِيفاً.

﴿عَاقِرًا﴾ [مريم:٥]: الذَّكَرُ والأُنْثَى سواءٌ.

٣٤٣٠- حدَّثنا هُدْبةُ بنُ خالدٍ، حدَّثنا همَّامُ بنُ يحيى، حدَّثنا قَتَادةُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن مالكِ بنِ صَعْصَعةَ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةَ أُسْرِيَ به: «ثُمَّ صَعِدَ حتَّى أَتى السماءَ الثَّانيةَ، فاستَفْتَحَ، قيل: مَن هذا؟ قال: جِبْرِيلُ، قيل: ومَن مَعَكَ؟ قال: محمَّدٌ، قيل: وقد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. فلمَّا خَلَصْتُ فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالةٍ، قال: هذا يحيى وعيسى، فسَلِّمْ عليهما، فسَلَّمْتُ فرَدَّا، ثمَّ قالا: مَرْحباً بالأخِ الصالحِ، والنبيِّ الصالحِ».

٤٦٨/٦ قوله: «**باب قول الله تعالى:** ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ **إلى قوله:** ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾» في زكريّا أربع لُغات: المدّ والقصر، وحذف الألف مع تخفيف الياء، وفيه تشديدها أيضاً وحذفها، وقال الجَوْهري: لا يُصرَف مع المدّ والقصر.

قوله: «**قال ابن عبَّاس: مِثلاً**» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يقول: هل تعلم له مِثلاً أو شِبْهاً، ومن طريق سِماك بن حَرْب عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال: لم يُسَمَّ يحيى قبلَه غيرُه، وأخرجه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٣٧٢).

قوله: «**يقال:** ﴿رَضِيًّا﴾: **مَرْضيّاً**» حكاه الطَّبَري قال: مَرضيّاً: ترضاه أنتَ وعِبادُك.

قوله: «﴿عِتِيًّا﴾: **عَصِيّاً، عَتَا يعتُو**» كذا فيه بالصّادِ المهمَلة والصَّواب بالسِّين، وروى الطَّبَري (١٦/ ٥١) بإسنادٍ صحيح عن ابن عبَّاس قال: ما أدري أكان رسول الله ﷺ يقرأ عِتيّاً أو عِسِيّاً.

وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: كلّ مُبالِغٍ من كِبَر أو كفر أو فسادٍ فقد عَتا يَعتُو عِتيّاً.

قوله: «﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ **ويقال: صحيحاً**» هو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلَمَ أخرجه ابن أبي حاتم عنه، قال في قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾: وأنتَ صحيح، فحُبِسَ لسانه فكان لا

يستطيع أن يتكلَّم وهو يقرأ التَّوراة ويُسبِّح، ولا يستطيع أن يُكلِّم الناس، أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه، وأخرج من طريق أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: اعتَقَلَ لسانُه من غير مرض.

قوله: «﴿ فَأَوۡحَىٰٓ ﴾: فأشارَ» هو قول محمَّد بن كعب ومجاهد وغير واحد، أخرجه ابن أبي حاتم عنهم.

قوله: «﴿ حَفِيّٗا ﴾: لطيفاً» هو قول ابن عبَّاس، أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه.

وقال أبو عُبيدة في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾، أي: مُحتَفياً، يقال: تَحفَّيتُ بفلان.

قوله: «﴿ عَاقِرٗا ﴾ الذَّكَرُ والأُنثى سواءٌ» قال أبو عُبيدة: العاقر: التي لا تَلِدُ، والعاقر: الذي لا يَلِد، قال عامر بن الطُّفَيل:

لَبِئسَ الفتى إن كنتُ أعورَ عاقراً جَباناً فما عُذْري لَدَى كلِّ مَحضَرِ

وقال أيضاً: لفظ الذَّكَر فيه مِثل لفظ الأُنثى. قال الثَّعلَبي: وُلِد يحيى وعُمْرُ زكريَّا مئة وعشرونَ سنة، وقيل: تسعينَ، وقيل: اثنين وتسعينَ، وقيل: مئة إلّا ستَّين، وقيل: إلّا سنة.

ثم أورَدَ المصنِّف طَرَفاً من حديث الإسراء من رواية أنس عن مالك بن صَعصَعة، والغرض منه ذِكْر يحيى بن زكريَّا، وقال فيه وفي عيسى ابن مريم: إنَّهما ابنا خالةٍ، وزكريَّا: هو ابن أدن، ويقال: ابن: بشوى، ويقال: ابن بارخيا، ويقال: ابن أَخي[1] ابن بارخيا، ومريم بنت عِمران بن ناشي، وهما من ذُرِّية سليمان بن داود عليهما السَّلام، واسم أمّ مريم حَنَّة، بمُهمَلة ونون، بنت فاقود، واسم أُختها والدة يحيى إيشاع، قال ابن إسحاق في «المبتَدَأ»: كانت حَنَّة عند عِمران، وأُختها عند زكريَّا، وكانت حَنَّة أُمسِكَ عنها الولد، ثمَّ حَمَلَت بمريم فماتَ عِمرانُ وهي حامل.

وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم: سمعت مالك بن أنس يقول: بَلَغَني أنَّ عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريَّا كان حَملُهما جميعاً، فبَلَغَني أنَّ أمّ يحيى قالت

---

(١) في (س): ابن أبي.

لمريم: إنّي أرى ما في بطني يَسجُد لمَا في بطنك، قال مالك: أراه لفضلِ عيسى على يحيى. وقال الثَّعلَبي: وُلِد يحيى قبل عيسى بستَّة أشهُر.

واختُلِفَ في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢] فقيل: نُبِّئ وهو ابن سبع سنين، وقيل: أقلّ من ذلك، والمراد بالحُكْم الفَهْم في الدِّين.

قال ابن إسحاق: كان زكريَّا وابنُه آخرَ مَن بُعِثَ من بني إسرائيل قبل عيسى، وقال أيضاً: أراد بنو إسرائيل قتل زكريَّا ففرَّ منهم، فمرَّ بشجرة فانفَلَقَت له فدَخَلَ فيها فالْتأمَت عليه، فأخَذَ الشيطان بهُدْبة ثوبه، فرأَوها فوَضَعوا المِنشار على الشَّجَرة، فنَشَروها حتَّى قَطَعوه من وَسَطه في جَوْفها.

وأمَّا يحيى فقُتِلَ بسَبَبِ امرأة أراد مَلِكُهم أن/ يَتزوَّجها، فقال له يحيى: إنَّها لا تَحِلّ لك ٤٦٩/٦ لكَونِها كانت بنت امرأته، فتَوَصَّلَت إلى الملك حتَّى قتل يحيى، قال ابن إسحاق: كان ذلك قبل أن يُرفَع عيسى. وروى أصل هذه القصَّة الحاكم في «المستدرَك» (٣/ ٥٥٥) من حديث عبد الله بن الزُّبَير، وروى أيضاً (٢/ ٥٩١-٥٩٢) من حديث ابن عبَّاس: أنَّ دمَ يحيى كان يَفُور حتَّى قتل عليه بُختُنَصَّر من بني إسرائيل سبعينَ ألفاً فسَكَنَ.

٤٤- باب قول الله تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:١٦]

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾ [آل عمران:٤٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٣-٣٧]، قال ابنُ عبَّاسٍ: وآلُ عِمْرانَ: المؤمنونَ من آلِ إبراهيمَ، وآلِ عِمْرانَ، وآلِ ياسِينَ، وآلِ محمَّدٍ ﷺ، يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران:٦٨]: وهم المؤمنونَ.

ويقال: آلُ يعقوبَ: أهلُ يعقوبَ، فإذا صَغَّروا «آلَ» ثمَّ رَدُّوه إلى الأصلِ، قالوا: أُهَيلٌ.

٣٤٣١- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: حدَّثني سعيدُ بنُ المسيّبِ،

قال: قال أبو هريرةَ ﷺ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مِن بني آدمَ مَوْلودٌ إلا يَمَسُّه الشيطانُ حينَ يُولَدُ، فيَسْتَهِلُّ صارخاً من مَسِّ الشيطانِ، غيرَ مريمَ وابنِها»، ثمَّ يقول أبو هريرةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦].

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾. وقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾» هذه التَّرجمة معقودة لأخبار مريم عليها السَّلام، وقد قَدَّمتُ شيئاً من شأنها في الباب الذي قبله. ومريم بالسُّريانية: الخادِم، وسُمّيت به والدة عيسى فامتَنَعَ الصَّرفُ للتَّأنيثِ والعَلَميَّة، ويقال: إنَّ مريم بلسان العرب مَن تُكثِر من زيارة الرِّجال من النِّساء، كالزِّير: وهو من يُكثِر زيارة النِّساء، واستَشهَدَ مَن زَعَمَ هذا بقولِ رُؤبة:

قلتُ لِزِيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُهْ

حكاه أبو حَيّان في تفسير سورة البقرة، وفيه نظرٌ.

قوله: «قال ابن عبَّاس: ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾: المؤمنونَ من آلِ إبراهيم وآلِ عِمْران وآلِ ياسين وآلِ محمَّد ﷺ، يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم المؤمنون» وَصَلَه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه، وحاصله أنَّ المراد بالاصطِفاءِ بعضُ آلِ عِمران، وإن كان اللَّفظ عامّاً فالمراد به الخُصوص.

قوله: «ويقال: آلُ يعقوب: أهل يعقوب، إذا صَغَّروا آلَ رَدُّوه إلى الأصل، قالوا: أُهَيْل» اختُلِفَ في «آل» فقيل: أصله: أهلٌ، فقُلِبَت الهاء همزة، بدليلِ ظُهور ذلك في التَّصغير، وهو يَرُدّ الأشياء إلى أصلها، وهذا قول سيبويه والجمهور، وقيل: أصله: أَوَلٌ، من آلَ يؤولُ: إذا رَجَعَ، لأنَّ الإنسان يَرجِع إلى آلِهِ، فتَحرَّكَت الواو وانفتَحَ ما قبلها فقُلِبَت أَلِفاً، وتصغيره على أُوَيل.

قوله: «عن الزُّهْري، قال: حدَّثني سعيد بن المسيّب» كذا قال أكثر أصحاب الزُّهْري، وقال الزُّبَيدي: عن الزُّهْري عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة، أخرجه الطَّبَري (٣/ ٢٤٠).

قوله: «ما مِن بني آدم مولود إلّا يَمَسُّه الشيطان حين يولد» في رواية/ سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة[١] الماضية في «باب صفة إبليس» (٣٢٨٦) بيانُ المسّ المذكور ولفظه: «كلّ بني آدم يَطعُن الشيطانُ في جنبَيه بإصبَعِه حين يولد، غير عيسى ابن مريم ذهب يَطعُن فطَعَنَ في الحِجاب» أي: في المَشِيمة التي فيها الولد. ٤٧٠/٦

قال القُرطُبي: هذا الطَّعن من الشيطان هو ابتداء التَّسليط، فحَفِظَ الله مريمَ وابنها منه ببَرَكة دَعْوة أمّها حيثُ قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ولم يكن لمريم ذُرِّية غير عيسى. ووَقَعَ في رواية مَعمَر عن الزُّهْري عند مسلم (٢٣٦٦/ ١٤٦): «إلّا نَخَسَه الشَّيطان» بنون وخاء مُعجَمة ثمَّ مُهمَلة.

قوله: «فيَسْتَهِلّ صارخاً من مَسّ الشيطان» في رواية مَعمَر المذكورة: «من نَخْسة الشيطان» أي: سبب صُراخ الصَّبي أوّلَ ما يولد الألمُ من نخس الشيطان إياه، والاستهلال: الصِّياح.

قوله: «غيرَ مريم وابنها» تقدَّم في «باب إبليس» بذِكْر عيسى خاصَّة، فيحتمل أن يكون هذا بالنِّسبة إلى المسّ، وذاكَ بالنِّسبة إلى الطَّعن في الجنب، ويحتمل أن يكون ذاكَ قبل الإعلام بما زادَ، وفيه بُعْد، لأنَّه حديث واحد، وقد رواه خِلَاس عن أبي هريرة بلفظ: «كلّ بني آدم قد طَعَنَ الشيطانُ فيه حين وُلِدَ، غير عيسى وأُمّه، جَعَلَ الله دون الطَّعنة حِجاباً، فأصاب الحِجابَ ولم يُصِبهما»[٢]، والذي يَظهَر أنَّ بعض الرُّواة حَفِظَ ما لم يَحفَظ الآخر، والزّيادة من الحافظ مقبولة، وأمَّا قول بعضهم: يحتمل أن يكون من العَطْف التَّفسيري، والمقصود الابن، كقولِك: أعجَبَني زيد وكَرَمُه، فهو تَعَسُّف شديد.

قوله: «ثمَّ يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾...» إلى آخره، فيه بيانٌ، لأنَّ في رواية أبي صالح عن أبي هريرة إدراجاً[٣]، وأنَّ تِلاوة الآية موقوفة على أبي هريرة.

---

(١) بل من رواية الأعرج، عن أبي هريرة... فذكره بلفظه.

(٢) لم نقف على رواية خلاس هذه فيما بين أيدينا من مصادر!

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

٤٥- بابٌ ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾[آل عمران:٤٢-٤٤]

يقال: ﴿يَكْفُلُ﴾ يَضُمّ. كَفَلَها: ضَمَّها، مُخَفَّفةً، ليس من كَفالةِ الدُّيون وشِبْهِها.

٣٤٣٢- حدَّثني أحمدُ بنُ أبي رَجَاءٍ، حدَّثنا النَّضْرُ، عن هشامٍ، قال: أخبرني أَبي، قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ جعفرٍ، قال: سمعتُ علياً ﷺ، يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ، يقول: «خيرُ نسائِها مريمُ ابنةُ عِمْرانَ، وخيرُ نسائِها خَدِيجةُ».

[طرفه في: ٣٨١٥]

قوله: «﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾، يقال: يَكْفُل: يَضُمّ، كَفَلَها: ضَمَّها، مُخففةً، ليس من كَفَالة الدُّيون وشِبْهِها» أشارَ بقوله: «مُخَفَّفة» إلى قراءة الجمهور، وقرأها الكوفيُّونَ «كَفَّلها» بالتَّشديد، أي: كَفَّلها الله زكريَّا، وفي قراءتهم «زكريَّا» بالقَصْر إلّا أنَّ أبا بكر بن عيّاش قرأه بالمدِّ، فاحتاجَ إلى أن يقرأ: «زكريَّاءَ» بفتح الهمزة، وقال أبو عُبيدة في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ يقال: كَفَلها، بفتح الفاء وكسرها، أي: ضَمَّها، وفي قوله: ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ أي: يَضُمّ. انتهى، وكسر الفاء هو في قراءة بعض التابعينَ.

واستُدِلَّ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ على أنّها كانت نبيَّة، وليس بصريح في ذلك، وأُيِّدَ بذِكْرها مع الأنبياء في سورة/ مريم، ولا يَمنَعُ وصفُها بأنَّها صِدّيقة، فقد وُصِفَ يوسف بذلك. وقد نُقِلَ عن الأشعَري: أنَّ في النِّساء عِدَّة نبيّات، وحَصَرَهُنَّ ابن حَزْم في ستٍّ: حَوّاء وسارة وهاجَر وأُمّ موسى وآسيَة ومريم. ولم يذكر القُرطُبي سارةَ وهاجَر، ونَقَلَه في «التَّمهيد» عن أكثر الفقهاء، وقال القُرطُبي: الصَّحيح أنَّ مريم نبيَّة، وقال عياض: الجمهور على خِلافه. وذكر النَّوَوي في «الأذكار» أنَّ الإمام[1] نَقَلَ الإجماع على أنَّ مريم ليست نبيَّة، ونسبه في «شرح المهذب» لجماعة، وجاء عن الحسن: ليس في النِّساء نبيَّة

٤٧١/٦

---

(١) يعني إمام الحرمين الجُويني كما يأتي بعدُ في الباب التالي.

ولا في الجِنّ. وقال السُّبكي الكبير: اختُلف في هذه المسألة ولم يَصِحَّ عندي في ذلك شيء، ونَقَلَه السُّهَيلي في آخر «الرَّوض» عن أكثر الفقهاء[1].

قوله: «حدَّثنا النَّضْر» هو ابن شُمَيلٍ، وهشام: هو ابن عُرْوة بن الزُّبَير، وعبد الله بن جعفر، أي: ابن أبي طالب. قال الدّارَقُطني: رواه أصحاب هشام بن عُرْوة عنه هكذا، وخالَفَهم ابن جُرَيج وابن إسحاق، فرَوَياه عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن الزُّبَير عن عبد الله بن جعفر، زاد في الإسناد عبدَ الله بن الزُّبَير، والصَّواب إسقاطه، والله أعلم.

قوله: «خيرُ نسائها مريمُ» أي: نساء أهل الدُّنيا في زمانها، وليس المراد أنَّ مريم خير نسائها، لأنَّه يصير كقولهم: زيد أفضلُ إخوانه، وقد صَرَّحوا بمَنعِه، فهو كما لو قيل: فلان أفضل الدُّنيا. وقد رواه النَّسائي (ك٨٢٩٧) من حديث ابن عبَّاس بلفظ: «أفضل نساء أهل الجنَّة»، فعلى هذا فالمعنى: خير نساء أهل الجنَّة مريم، وفي رواية: «خير نساء العالَـمينَ»[2]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وظاهره أنَّ مريم أفضل من جميع النِّساء، وهذا لا يَمتَنِع عند مَن يقول: إنَّها نبيّـة، وأمَّا مَن قال: ليست بنبيّة، فيَحمِله على عالَـمِي زمانها، وبالأوَّل جَزَمَ الزَّجّاج وجماعة، واختارَه القُرطُبي، ويحتمل أيضاً أن يُرادَ نساء بني إسرائيل، أو نساء تلكَ الأُمَّة، أو «مِن» فيه مُضمَرة، والمعنى: أنَّها من جُملة النِّساء الفاضلات، ويَدفَعُ ذلك حديث أبي موسى المتقدِّم (٣٤١١) بصيغة الحَصْر: أنَّه لم يَكمُل من النِّساء غيرها وغير آسية.

قوله: «وخيرُ نسائها خديجة» أي: نساء هذه الأُمَّة، قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الأُمَّة مُطلَقاً لهذا الحديث. وقد تقدَّم في آخر قصَّة موسى حديث أبي موسى (٣٤١١) في ذِكْر مريم وآسية، وهو يقتضي فضلَها على غيرهما من النِّساء، ودَلَّ هذا الحديث على أنَّ مريم أفضل من آسية، وأنَّ خديجة أفضل نساء هذه الأُمَّة، وكأنَّه لم

---

(١) يعني كونَ مريم نبيّة، انظر «الروض الأنف» ٤/ ٢٦٨.

(٢) أخرجها ابن حبان (٦٩٥١).

يَتعرَّض في الحديث الأوَّل لنساءِ هذه الأُمَّة، حيثُ قال: «ولم يَكمُل من النِّساء» أي: من نساء الأمم الماضية، إلّا إن حملْنا الكمال على النبوَّة فيكون على إطلاقه. وعند النَّسائي (ك٨٢٩٧) بإسنادٍ صحيح عن ابن عبَّاس: «أفضل نساء أهل الجنَّة خديجة وفاطمة ومريم وآسية»، وعند التِّرمِذي (٣٨٧٨) بإسنادٍ صحيح عن أنس: «حَسبُك من نساء العالمينَ» فذكرهنَّ، وللحاكمِ (٣/ ١٥١) من حديث حُذَيفة: «أنَّ رسول الله ﷺ أتاه مَلَك فبَشَّرَه أنَّ فاطمة سَيِّدة نساء أهل الجنَّة»، وسيأتي مَزِيدٌ لذلك في ترجمة خديجة من مناقب الصَّحابة (٣٨١٥).

٤٦- باب قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران:٤٥-٤٧]

﴿يُبَشِّرُكِ ﴾ ويَبْشُرُكِ: واحدٌ ﴿وَجِيهًا ﴾ [آل عمران:٤٥]: شَرِيفاً.

وقال إبراهيمُ: المَسِيحُ: الصِّدِّيق.

وقال مجاهدٌ: الكَهْلُ: الحَلِيمُ، والأكمَه: مَن يُبصِرُ بالنَّهار ولا يُبصِرُ باللَّيل. وقال غيرُه: مَن يُولَدُ أعمَى.

٤٧٢/٦ **قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾»** وَقَعَ في رواية أبي ذرٍّ بزيادة واو في أوَّل هذه الآية، وهو غلطٌ، وإنَّما وَقَعَت الواو في أوَّل الآية التي قبلها، وأمَّا هذه فبغير واو.

قوله: «﴿يُبَشِّرُكِ ﴾ ويَبشُرُكِ واحدٌ» يعني: بفتح أوَّله وسكون الموحَّدة وضمّ المعجَمة، وبضمِّ أوَّله وفتح الموحَّدة وتشديد المعجَمة، والأولى ـ وهي بالتَّخفيفِ ـ قراءة يحيى بن وثّاب وحمزة والكِسائي، والبشير: هو الذي يُخبِر المرءَ بما يَسُرّه من خير، وقد يُطلَق في الشرّ مجازاً.

قوله: «﴿وَجِيهًا ﴾ أي: شريفاً» قال أبو عُبيدة: الوَجيه: الذي يَشرُف وتوجِّهُه الملوك،

أي: تُشرِّفه، وانتَصَبَ قوله: «وجيهاً» على الحال.

قوله: «وقال إبراهيم: المَسِيح: الصِّدّيق» وَصَلَه سفيان الثَّوري في «تفسيره» رواية أبي حُذَيفة موسى بن مسعود عنه عن منصور عن إبراهيم: هو النَّخَعي، قال: المسيح: الصِّدّيق. قال الطَّبَري: مُرادُ إبراهيم بذلك أنَّ الله مَسَحَه فطَهَّرَه من الذُّنوب، فهو فَعِيل بمعنى مفعول.

قلت: وهذا بخِلاف تسمية الدَّجّال المسيح فإنَّه فَعيل بمعنى فاعل، يقال: إنَّه سُمّي بذلك لكَونِه يَمسَح الأرض، وقيل: سُمّي بذلك لأنَّه ممسوح العين، فهو بمعنى مفعول، قيل في المسيح عيسى أيضاً: إنَّه مُشتَقٌّ من مَسْح الأرض، لأنَّه لم يكن يَستَقِرّ في مكان، ويقال: سُمّي بذلك لأنَّه كان لا يَمسَح ذا عاهَة إلّا بَرِئَ، وقيل: لأنَّه مُسِحَ بدُهنِ البَرَكة، مَسَحَه زكريَّا، وقيل: يحيى، وقيل: لأنَّه كان ممسوح الأخمَصَينِ، وقيل: لأنَّه كان جميلاً يقال: مَسَحَه الله، أي: خَلَقَه خلقاً حسناً، ومنه قولهم: به مَسْحة من جَمال. وأغرَبَ الدَّاوودي فقال: لأنَّه كان يَلبَس المُسُوح[1].

قوله: «وقال مجاهد: الكَهْل: الحليم» وَصَلَه الفِرْيابي من طريق ابن أبي نَجِيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: الكَهل: الحليم. انتهى، وقد قال أبو جعفر النَّحّاس: إنَّ هذا لا يُعرَف في اللُّغة، وإنَّما الكَهلُ عندهم: مَن ناهَزَ الأربعينَ أو قارَبَها، وقيل: مَن جاوَزَ الثلاثينَ، وقيل: ابن ثلاث وثلاثين. انتهى، والذي يَظهَر أنَّ مجاهداً فَسَّرَه بلازِمه الغالب، لأنَّ الكَهل غالباً يكون فيه وَقارٌ وسَكِينة.

وقد اختَلَفَ أهل العربية في قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ [آل عمران:٤٦] هل هو معطوف على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ أو هو حال من الضَّمير في «يُكلِّم»، أي: يُكلِّمهم صغيراً وكَهلاً، وعلى الأوَّل يتَّجه تفسير مجاهد.

قوله: «الأكمَه: مَن يُبصِر بالنَّهار ولا يُبصِر باللَّيلِ، وقال غيره: مَن يولد أعْمى» أمَّا قول مجاهد فوَصَلَه الفِرْيابي أيضاً، وهو قول شاذٌّ تفرَّد به مجاهد، والمعروف أنَّ ذلك هو

---

(١) جمع مِسْح: وهو ثوب غليظ يُصنَع من الشَّعر.

الأعشى.

٤٧٣/٦ وأمَّا قول غيره فهو قول الجمهور، وبه جَزَمَ أبو عُبيدة، وأخرجه الطَّبَري/ (٣/ ٢٧٦) عن ابن عبَّاس، وروى عبد بن حُميدٍ من طريق سعيد عن قَتَادة: كنَّا نَتحَدَّث أنَّ الأكمَه: الذي يولد وهو مضموم العين. ومن طريق عِكْرِمة: الأكمَه: الأعمى. وكذا رواه الطَّبَري (٣/ ٢٧٧) عن السُّدِّي، وعن ابن عبَّاس أيضاً، وعن الحسن ونحوهم.

قال الطَّبَري: الأشبَه بتفسير الآية قول قَتَادة، لأنَّ عِلاجَ مِثل ذلك لا يَدَّعيه أحد، والآية سِيقَت لبيان مُعجِزة عيسى عليه السلام، فالأشبَه أن يُحمَل المرادُ عليها، ويكون أبلَغَ في إثبات المعجزة، والله أعلم.

٣٤٣٣- حدَّثنا آدمُ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ، قال: سمعتُ مُرَّةَ الهَمْدانيَّ يُحدِّثُ، عن أبي موسى الأشعَرِيِّ ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «فَضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطَّعامِ، كَمَلَ مِن الرِّجال كَثيرٌ، ولم يَكمُلْ مِن النِّساءِ إلا مريمُ بنتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امرأةُ فِرْعَونَ».

٣٤٣٤- وقال ابنُ وَهْب: أخبرني يونسُ، عن ابنِ شِهابٍ، قال: حدَّثني سعيدُ بنُ المسيّبِ، أنَّ أبا هريرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «نساءُ قريشٍ خيرُ نساءٍ رَكِبنَ الإبلَ: أَحْناهُ على طِفْلٍ، وأَرْعاهُ على زوجٍ في ذاتِ يدِه». يقول أبو هريرةَ على إثْرِ ذلكَ: ولم تَركَبْ مريمُ بنتُ عِمْرانَ بَعِيراً قَطُّ.

تابَعَه ابنُ أخي الزُّهْريِّ وإسحاقُ الكَلْبيُّ، عن الزُّهْريّ.

[طرفاه في: ٥٠٨٢، ٥٣٦٥]

ثم ذكر المصنف حديثين:

أحدهما: حديث أبي موسى الأشعَري في فضل مريم وآسية، وقد تقدَّم شرحه في آخر قصَّة موسى عليه السلام (٣٤١١).

ثانيهما: حديث أبي هريرة في فضل نساء قريش.

قوله: «وقال ابن وَهْب...» إلى آخره، وَصَلَه مسلم (٢٥٢٧/ ٢٠١) عن حَرمَلة عن ابن وَهْب، وكذلك أخرجه الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن حَرمَلة، وسيأتي للمصنِّف موصولاً من وجه آخر عن ابن وَهْب في النِّكاح[1].

قال القُرطُبي: هذا تفضيل لنساءِ قريش على نساء العرب خاصَّة، لأنَّهم أصحاب الإبل غالباً، وسيأتي بقيَّة شرحه في كتاب النِّكاح (٥٠٨٢) إن شاء الله تعالى.

قوله: «أحْناه» أشفَقُه، حَنَى يَحنُو ويَحني من الثُّلاثي، وأحنى يُحني من الرُّباعي: أشفَقَ عليه وعَطَفَ، والحانيَةُ: التي تقوم بوَلَدِها بعد موت الأب، قال: وحَنَت المرأة على ولدها: إذا لم تَتزوَّج بعد موت الأب. قال ابن التِّين: فإن تزوَّجَت فليست بحانية. قال الحسن في الحانية: التي لها ولد ولا تَتزوَّج. وفي بعض الكتب: أحنَّى بتشديد النُّون والتَّنوين، حكاه ابن التِّين، وقال: لعلَّه مأخوذ من الحَنان، بفتح المهملة وتخفيف النون: وهو الرَّحمة، وحَنَّت المرأة على ولدها وإلى زوجها سواء كان بصوت أم لا، ومن الذي بالصَّوتِ حَنين الجِذْع، وأصله ترجيعُ صوت الناقة على أثر ولدها، وكان القياس: أحناهُنَّ، لكن جَرَى لسان العرب بالإفراد.

وقوله: «ولم تَركَب مريمُ بعيراً قَطّ» إشارة إلى أنَّ مريم لم تَدخُل في هذا التَّفضيل، بل هو خاصٌّ بمَن يَركَب الإبل، والفضل الوارد في خديجة وفاطمة وعائشة هو بالنِّسبة إلى جميع النِّساء إلّا مَن قيل: إنَّها نبيّة، فإن ثَبَتَ في حَقّ امرأة أنَّها نبيّة فهي خارجة بالشَّرعِ، لأنَّ دَرَجة النبوَّة لا شيء بعدها، وإن لم يَثبُت فيحتاج مَن يُخرِجُهنَّ إلى دليل خاصّ لكلٍّ منهنَّ، فأشارَ أبو هريرة إلى أنَّ مريم لم تَدخُل في هذا العموم، لأنَّه قَيَّدَ أصل الفضل بمَن يَركَب الإبل، ومريم لم تَركَب بعيراً قطُّ.

وقد اعتَرَضَ بعضهم فقال: كأنَّ أبا هريرة ظنَّ أنَّ البعير لا يكون إلّا من الإبل، وليس كما ظنَّ، بل يُطلَق البعير على الحِمار، وقال ابن خالويه: لم يكن إخوة يوسف رُكباناً إلّا على

---

(١) ما سيأتي في النكاح (٥٠٨٢) هو عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

أحمِرة، ولم يكن عندهم إبل، وإنَّما كانت تَحمِلهم في أسفارهم وغيرها الأحمِرة، وكذا قال مجاهد هنا: البعير: الحِمار، وهي لغة حكاها الكَوَاشي[1].

واستُدِلَّ بقوله: ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢] على أنَّها كانت نبيَّة، ويُؤيِّده ذِكْرها في سورة مريم بمِثل ما ذُكِرَ به الأنبياء، ولا يَمنَع وصفها بأنَّها صِدّيقة، فإنَّ يوسف وُصِفَ بذلك مع كَونه نبيّاً، وقد نُقِلَ عن الأشعَري: أنَّ في النِّساء نبيّات، وجَزَمَ ابن حَزْم بستٍّ: حَوّاء وسارة وهاجَر وأُمّ موسى وآسية ومريم، ولم يَذكُر القُرطُبي سارة ولا هاجر، ونَقَلَه السُّهَيلي في آخر «الرَّوض» عن أكثر الفقهاء.

وقال القُرطُبي: الصَّحيح أنَّ مريم نبيّة، وقال عياض: الجمهور على خِلافه. وذَكَر النَّوَوي في «الأذكار» عن إمام الحَرَمَين: أنَّه نَقَلَ الإجماع على أنَّ مريم ليست نبيَّة، ونَسَبَه في «شرح المهَذَّب» لجماعة، وجاء عن الحسن البصري: ليس في النِّساء نبيَّة ولا/ في الجِنّ، وقال السُّبكي: اختُلِفَ في هذه المسألة ولم يَصِحَّ عندي في ذلك شيء. ٤٧٣/٦

قوله: «يقول أبو هريرة على إثْر ذلك: ولم تركَبْ مريمُ بنت عِمْران بعيراً قَطّ» في رواية لأحمد (١٠٩١) وأبي يَعْلى (٦٦٧٣): «وقد عَلِمَ رسول الله ﷺ أنَّ مريم لم تَركَب بعيراً قَطُّ» أراد أبو هريرة بذلك أنَّ مريم لم تَدخُل في النِّساء المذكورات بالخيرية، لأنَّه قَيَّدَهنَّ برُكوب الإبل، ومريم لم تكن ممَّن يَركَب الإبل، وكأنَّه كان يرى أنَّها أفضل النِّساء مُطلَقاً.

قوله: «تابَعَه ابن أخي الزُّهْري وإسحاقُ الكَلْبي عن الزُّهْري» أمَّا مُتابَعة ابن أخي الزُّهْري: وهو محمَّد بن عبد الله بن مسلم، فوَصَلها أبو أحمد بن عَديٍّ في «الكامل» من طريق الدَّراوَرْدي عنه، وأمَّا مُتابَعة إسحاق الكَلْبي فوَصَلها الذُّهْلي في «الزُّهْريات» عن يحيى بن صالح عنه.

---

(١) هاتان الفِقرتان تقدَّمتا في أول الباب الذي قبل هذا، قال مصحح طبعة بولاق: والنسخ التي بأيدينا متفقة على إثباته في المحلين مع تفاوت يسير جداً، وإنما أعادها هنا لمناسبة المقام لها.

٤٧- باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾

إلى: ﴿وَكِيلٗا﴾ [النساء:١٧١]

قال أبو عُبيدٍ: كَلِمتُه: كُنْ فكانَ.

وقال غيرُه: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾: أَحْياهُ فجعَلَه رُوحاً ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾.

٣٤٣٥- حدَّثنا صَدَقةُ بنُ الفَضْلِ، حدَّثنا الوليدُ، عن الأوْزاعيِّ، قال: حدَّثني عُمَيرُ بنُ هانئٍ، قال: حدَّثني جُنادةُ بنُ أبي أُميَّةَ، عن عُبادةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن شَهِدَ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ له، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه، وكَلِمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنَّةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، أدخَلَه الله الجنَّةَ على ما كان مِن العملِ».

قال الوليدُ: وحدَّثني ابنُ جابرٍ، عن عُمَيرٍ، عن جُنادةَ وزادَ: «مِن أبوابِ الجنَّةِ الثَّمانيةِ أيَّها شاءَ».

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ إلى ﴿وَكِيلٗا﴾» قال عياض: وَقَعَ في رواية الأَصِيلي: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ولغيره بحذفِ «قُل» وهو الصَّواب. قلت: هذا هو الصَّواب في هذه الآية التي هي من سورة النِّساء، لكن قد ثَبَتَ «قُل» في الآية الأُخرى في سورة المائدة ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ الآية [المائدة: ٧٧]، ولكنّ مُرادَ المصنِّف آية سورة النِّساء، بدليلِ إيراده لتفسير بعض ما وَقَعَ فيها، فالاعتراض مُتَّجِه.

قوله: «قال أبو عُبيد: كَلِمتُه: كُنْ فكان» هكذا في جميع الأُصول، والمراد به أبو عُبيد القاسم بن سَلّام، ووَقَعَ نَظِيره في كلام أبي عُبيدة مَعمَر بن المثنَّى، وفي «تفسير عبد الرَّزّاق» (١/ ١٧٧) عن مَعمَر عن قَتَادة مِثلُه.

قوله: «وقال غيره: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾: أحْياه فجعله روحاً» هو قول أبي عُبيدة، قال في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ قوله: كُن فكان، ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾: الله تَبارَكَ وتعالى أحياه فجعله روحاً، ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾: أي: لا تقولوا: هم ثلاثة.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ﴾ هو بقيَّة الآية التي فَسَّرَها أبو عُبيدة.

قوله: «عن الأوْزاعي» في رواية الإسماعيلي من طريق عليّ بن المَدِيني عن الوليد: حدَّثنا الأوزاعي.

قوله: «عن عُبَادَة» هو ابن الصّامت، في رواية ابن المَدِيني المذكورة: حدَّثني عُبَادة، وفي رواية مسلم (٢٨/ ٤٦) عن جُنَادة: حدَّثنا عُبَادةُ بن الصّامت.

٦/٤٧٥ قوله: «وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه» زاد ابن/ المَدِيني في روايته: «وابن أمَته». قال القُرطُبي: مقصود هذا الحديث التَّنبيه على ما وَقَعَ للنَّصارى من الضَّلال في عيسى وأُمّه، ويُستَفاد منه ما يُلقَّنه النَّصراني إذا أسلَمَ.

قال النَّوَوي: هذا حديث عظيم الموقِع، وهو من أجمَع الأحاديث المشتَمِلة على العقائد، فإنَّه جُمِع فيه ما يَخرُج عنه جميع مِلَل الكفر على اختلاف عقائدهم وتَباعُدهم.

وقال غيره: في ذِكْر عيسى تعريضٌ بالنَّصارى وإيذانٌ بأنَّ إيمانهم مع قولهم بالتَّثليثِ شِركٌ مَحضٌ، وكذا قوله: «عَبْده»، وفي ذِكْر «رسوله» تعريض باليهودِ في إنكارهم رسالتَه وقَذفِه بما هو مُنزَّه عنه وكذا أُمّه، وفي قوله: «وابن أَمَته» تشريف له، وكذا تسميته بالرُّوحِ ووَصْفه بأنَّه «منه» كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] فالمعنى: أنَّه كائن منه، كما أنَّ معنى الآية الأُخرى: أنَّه سَخَّرَ هذه الأشياء كائنةً منه، أي: أنَّه مُكوِّن كلّ ذلك ومُوجِده بقُدرَته وحِكمَته.

وقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ إشارة إلى أنَّه حُجَّة الله على عِباده أبدَعَه من غير أب، وأنطَقَه في غير أوانه، وأحيا الموتى على يده، وقيل: سُمّي كلمة الله لأنَّه أوجَدَه بقوله: كُن، فلمَّا كان بكلامه سُمّي به، كما يقال: سيف الله، وأسَد الله، وقيل: لمَا قال في صِغَره: إنّي عبدُ الله.

وأمَّا تسميته بالرُّوحِ فلمَا كان أقدَرَه عليه من إحياء الموتى، وقيل: لكَونِه ذا روح وُجِدَ من غير جُزء من ذي روح.

وقوله: «أدخَلَه الله الجنَّة من أيِّ أبواب الجنَّة شاءَ»[١] يقتضي دخوله الجنَّة وتخييره في الدُّخول من أبوابها، وهو بخِلاف ظاهر حديث أبي هريرة الماضي في بَدْء الخلق[٢] فإنَّه يقتضي أنَّ لكلِّ داخلِ الجنَّة باباً مُعيَّناً يَدخُل منه، قال: ويُجمَع بينهما بأنَّه في الأصل مُخيَّر، لكنَّه يَرى أنَّ الذي يَختَصّ به أفضلُ في حقّه، فيختاره فيَدخُله مُختاراً لا مجبوراً ولا ممنوعاً من الدُّخول من غيره.

قلت: ويحتمل أن يكون فاعل «شاءَ»: هو الله، والمعنى: أنَّ الله يُوفِّقه لعملٍ يُدخِله برحمة الله من الباب المعَدِّ لعاملِ ذلك العمل.

قوله: «قال الوليد» هو ابن مسلم، وهو موصول بالإسناد المذكور، وقد أخرجه مسلم (٢٨) عن داود بن رُشَيد عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر وحدَه به، ولم يَذكُر الأوزاعي، وأخرجه من وجه آخر عن الأوزاعي.

قوله: «عن جُنَادةَ، وزادَ» أي: عن جُنَادة عن عُبَادة بالحديث المذكور وزاد في آخره، وكذا أخرجه مسلم (٢٨/ ٤٦) بالزِّيادة، ولفظه: «أدخَلَه الله من أيّ أبواب الجنَّة الثَّمانية شاءَ»، وقد تقدَّمت الإشارة إليه في صفة الجنَّة من بَدْء الخلق (٣٢٥٧)، وقد تقدَّم الكلام على ما يَتعلَّق بدخولِ جميع الموحِّدينَ الجنَّةَ في كتاب الإيمان (٢٢) بما أغنى عن إعادَته.

ومعنى قوله: «على ما كانَ من العمل» أي: من صلاح أو فساد، لكنّ أهل التَّوحيد لا بُدَّ لهم من دخول الجنَّة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: «على ما كان من العمل» أي: يَدخُل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ على حَسَب أعمال كلٍّ منهم في الدَّرَجات.

تنبيه: وَقَعَ في رواية الأوزاعي وحده: فقال في آخره: «أدخَلَه الله الجنَّة على ما كان عليه من العمل» بدل قوله في رواية ابن جابر: «من أبواب الجنَّة الثَّمانية أيّها شاءَ»، وبيَّنه مسلم (٢٨/ ٤٦) في روايته، وأخرج مسلم (٢٩) من هذا الحديث قِطعةً من طريق الصُّنابِحي عن

---

(١) هذا معنى رواية ابن جابر التي علَّقها البخاري بإثر رواية الأوزاعي.

(٢) بل في كتاب الصوم برقم (١٨٩٧).

عُبَادة: «مَن شَهِدَ أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله، حَرَّمَ الله عليه النار»، وهو يُؤيِّد ما سيأتي ذِكْره في الرِّقاق في شرح حديث أبي ذرٍّ (٦٤٤٣و٦٤٤٤) أنَّ بعض الرُّواة يَختَصِر الحديث، وأنَّ المتعيِّن على مَن يتكلَّم على الأحاديث أن يجمع طرقها ثمَّ يجمع ألفاظ المتون إذا صَحَّت الطُّرق ويشرحها على أنّه حديث واحد، فإنَّ الحديث أَولى ما فُسِّرَ بالحديث.

قال البَيْضاوي: في قوله: «على ما كان عليه من العمل» دليل على المعتَزِلة من وجهَين: دَعْواهم أنَّ العاصي يُخلَّد/ في النار، وأنَّ مَن لم يَتُبْ يجب دخولُه في النار، لأنَّ قوله: «على ما كان من العمل» حالٌ من قوله: «أدخَلَه الله الجنَّة» والعمل حينئذٍ غير حاصل، ولا يُتصوَّر ذلك في حَقِّ مَن ماتَ قبل التَّوبة إلّا إذا أُدخِلَ الجنَّة قبل العُقوبة. وأمَّا ما ثَبَتَ من لازم أحاديث الشَّفاعة أنَّ بعض العُصاة يُعذَّب ثمَّ يَخرُج، فيُخَصّ به هذا العموم، وإلّا فالجميع تحت الرَّجاء، كما أنّهم تحت الخوف، وهذا معنى قول أهل السُّنَّة: إنّهم في خَطَر الـمَشِيئة.

٤٧٦/٦

٤٨- باب قول الله:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم:١٦]

نَبذْناه: ألقَيْناه.

اعْتزَلَت شَرْقِيّاً: ممَّا يَلِي الشَّرْق.

﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ [مريم:٢٣]: أفعلْتُ من جِئْتُ، ويقال: أَلْجَأَها، اضْطرَّها.

« تسَّاقَطْ»: تَسْقُطْ.

﴿قَصِيًّا ﴾ [مريم:٢٢]: قاصياً.

﴿فَرِيًّا﴾ [مريم:٢٧]: عظيماً.

قال ابنُ عبَّاسٍ: «نِسْياً»: لم أكُن شيئاً. وقال غيرُه: النِّسْيُ: الحقِير.

وقال أبو وائلٍ: عَلِمَت مريمُ أنَّ التَّقيَّ ذو نُهْيةٍ حينَ قالت: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨].

وقال وَكِيعٌ، عن إسرائيلَ، عن أبي إسحاقَ، عن البراءِ: ﴿سَرِيًّا﴾ [مريم:٢٤]: نَهرٌ صغيرٌ، بالسُّرْيانيَّة.

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ الآية» هذا الباب معقود لأخبار عيسى عليه السلام، والأبواب التي قبله لأخبار أمّه مريم، وقد روى الطَّبَري (١٦/ ٥٩) من طريق السُّدّي قال: أصاب مريمَ حيضٌ، فخَرَجَت من المسجد، فأقامَت شَرقيَّ المِحراب.

قوله: «نَبَذْناه: أَلقَيْناه» وَصَلَه الطَّبَري من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ﴾ قال: ألقيناه. وقال أبو عُبيدة في قوله: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾، أي: اعتزَلَت وتَنَحَّت.

قوله: «اعْتزَلَت شَرْقياً: ممَّا يَلي الشَّرْقَ» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾: ممَّا يَلي الشَّرق، وهو عند العرب خير من الغَربيِّ الذي يَلي الغربَ.

قوله: «﴿فَأَجَآءَهَا﴾: أَفعَلْتُ من جِئتُ، ويقال: أَلْجَأَها اضْطَرَّها» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾: مجازُه: أفعَلَها مِن جاءت، وأجاءها غيرُها إليه، يعني فهو من مَزِيد جاء، قال زُهَير:

وجـارٍ سـارَ[1] مُعتَمِـداً إلـيكم أَجاءَتْـه المخافـةُ والرَّجـاءُ

والمعنى: ألجَأَته. وقال الزَّمَخشَري: إنَّ أجاءَ منقول من جاءَ، إلّا أنَّ استعماله تَغيَّرَ بعد النَّقل إلى معنى الإلجاء.

قوله: «تَسَّاقَطْ: تَسْقُطْ» هو قول أبي عُبيدة، وضُبِطَ تُسقِط بضمٍّ أوَّله من الرُّباعي[2]، والفاعل النَّخلةُ عند مَن قرأها بالمثنّاة، أو الجِذعُ عند مَن قرأها بالتَّحتانية.

قوله: «﴿قَصِيّٗا﴾: قاصياً» هو تفسير مجاهد، أخرجه الطَّبَري (١٦/ ٦٣) عنه، وقال أبو

---

(١) تحرفت في الأصلين إلى: وجا وسار، وفي (س) إلى: وجاء وسار.

(٢) هذا معنى كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ٥-٦، حيث جعل صيغة «تسَّاقط» التي تفيد اللزوم في موضع صيغة «تُسقِط» التي تفيد التعدية، واستشهد لجواز ذلك بشواهد من الشعر. والمثبت من أصل الصحيح من اليونينية، ووجهُه بقاء الفعل «تسَّاقط» على أصله في اللزوم، والله أعلم.

عُبيدة في قوله: ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾، أي: بعيداً.

قوله: «﴿فَرِيًّا﴾: عَظيماً» هو تفسير مجاهد، وَصَلَه الطَّبَري (١٦/ ٧٦) من طريق ابن أبي نَجِيح عنه، ومن طريق سعيد عن قَتَادة كذلك، قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾، أي: عَجَباً فائقاً.

قوله: «قال ابن عبَّاس: نِسْياً: لم أكُنْ شيئاً» وَصَلَه ابن جَرِير (١٦/ ٦٦) من طريق ابن جُرَيج، أخبرني عطاء عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا﴾، أي: لم أُخلَق ولم أكُن شيئاً.

قوله: «وقال غيره: النَّسْي: الحقير» هو قول السُّدّي، وقيل: هو ما سقط في منازل المرتَحِلينَ من رُذَالة أمتِعَتهم، وروى الطَّبَري (١٦/ ٦٦) من طريق سعيد عن قَتَادة، قال في قوله: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾: أي: شيئاً لا يُذكَر.

قوله: «وقال أبو وائل: عَلِمَت مريم أنَّ التَّقيَّ ذو نُهْية حين قالت: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾» وَصَلَه عبد بن حُمَيدٍ من طريق عاصم قال: قرأ أبو وائل ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ قال: لقد عَلِمَت مريم أنَّ التَّقي ذو نُهية. وقوله: «نُهية» بضمِّ النُّون وسكون الهاء، أي: ذو عقل وانتِهاء عن فعل القبيح، وأغرَبَ مَن قال: إنَّه اسم رجل يقال له: تقيٌّ كان مشهوراً بالفسادِ فاستَعاذَت منه.

قوله: «وقال وكيع عن إسرائيل...» إلى آخره، ذكر خَلَفٌ في «الأطراف» أنَّ البخاري وَصَلَه عن يحيى عن وكيع، وأنَّ ذلك وَقَعَ في التَّفسير، ولم نَقِفْ عليه في شيء من النُّسَخ، فلعلَّه في رواية حمَّاد بن شاكِر عن البخاري.

قوله: «﴿سَرِيًّا﴾: نهر صغير بالسُّريانية» كذا ذَكَره موقوفاً من حديث البراء مُعلَّقاً، وأورَدَه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٣٧٣) وابن أبي حاتم من طريق الثَّوري، والطَّبَري (١٦/ ٦٩) من طريق شُعْبة، كلاهما عن أبي إسحاق مِثله، وأخرجه ابن مَرْدويه من طريق آدم عن إسرائيل به، لكن لم يَقُل: بالسُّريانية، وإنَّما قال البراء: السّرِي: الجَدوَل؛ وهو النَّهر الصَّغير.

وقد ذكر أبو عُبيدة أنَّ السَّري: النَّهر الصَّغير بالعربية أيضاً، وأنشدَ للَبيد بن ربيعة:

فرَمَى بها عُرضَ السَّرِيِّ فغادَرا　　مَسجُورةً مُتَجاوِراً قُلَّامُها

والعُرْض بالضَّمِّ: الناحية، وروى الطَّبَري (١٦/ ٦٩) من طريق حُصَينٍ عن عَمْرو بن ميمون قال: السَّري: الجَدوَل، ومن طريق الحسن البصري قال: السَّري هو عيسى، وهذا شاذٌّ. وقد روى ابن مَرْدويه في «تفسيره» من حديث ابن عمر/ مرفوعاً: «السَّري في هذه الآية ٤٧٩/٦ نهرٌ أخرجه الله لمريمَ لتشربَ منه».

ثم ذكر المصنف في الباب عشرة أحاديث:

٣٤٣٦- حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا جَرِيرُ بنُ حازمٍ، عن محمَّدِ بنِ سِيرِينَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لم يتكلَّمْ في المَهْدِ إلا ثلاثةٌ: عيسى، وكان في بني إسرائيلَ رجلٌ يقال له: جُرَيجٌ، كان يُصَلِّي فجاءَتْهُ أمُّه فدعَتْه، فقال: أُجِيبُها أو أُصَلِّي؟ فقالت: اللهمَّ لا تُمِتْه حتَّى تُرِيَه وجوهَ المُومِسَاتِ، وكان جُرَيجٌ في صَومَعَتِه، فتَعرَّضَت له امرأةٌ وكَلَّمَتْه فأبَى، فأتتْ راعياً فأمكَنَتْه من نفسِها، فوَلَدَت غلاماً، فقالت: مِن جُرَيجٍ، فأتَوْه فكَسَروا صَومَعَتَه، وأنزَلوه وسَبُّوه، فتوَضَّأَ وصَلَّى، ثمَّ أتى الغلامَ فقال: مَن أبوكَ يا غلامُ؟ قال: الرّاعي، قالوا: نَبْني صَومَعتَكَ من ذهبٍ؟ قال: لا، إلَّا من طِينٍ، وكانتِ امرأةٌ تُرضِعُ ابناً لها من بني إسرائيلَ، فمرَّ بها رجلٌ راكِبٌ ذو شارَةٍ، فقالت: اللهمَّ اجْعَلِ ابني مِثلَه، فترَكَ ثَدْيَها، وأقبَلَ على الرّاكِبِ، فقال: اللهمَّ لا تَجْعَلْني مِثلَه، ثمَّ أقبَلَ على ثَدْيِها يَمَصُّه» قال أبو هريرةَ: كأنِّي أنظُرُ إلى النبيِّ ﷺ يَمَصُّ إصْبعَه «ثمَّ مُرَّ بأَمَةٍ فقالت: اللهمَّ لا تَجْعَلِ ابني مِثلَ هذه، فترَكَ ثَدْيَها فقال: اللهمَّ اجْعَلْني مِثلَها، فقالت: لمَ ذاكَ؟ فقال: الرّاكِبُ جَبّارٌ مِن الجبابرةِ، وهذه الأَمَةُ يقولون: سَرَقْتِ زَنَيتِ، ولم تَفعَلْ».

أولها: حديث أبي هريرة في قصَّة جُرَيج الرّاهب وغيره، والغرض منه ذِكْر الذينَ تكلَّموا في المهد، وأورَدَه في ترجمة عيسى لأنه أوَّلهم.

قوله: «لم يتكلَّمْ في المَهْد إلّا ثلاثة» قال القُرطُبي: في هذا الحَصْر نظرٌ، إلّا أن يُحمَل على

أنَّه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم الزِّيادةَ على ذلك، وفيه بُعْد، ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورينَ مُقيَّداً بالمهدِ، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مَهْد، لكن يُعكِّر عليه أنَّ في رواية ابن قُتَيبة: أنَّ الصَّبي الذي طَرَحَته أمُّه في الأُخدود كان ابن سبعة أشهُر، وصرَّحَ بالمهدِ في حديث أبي هريرة، وفيه تَعقُّب على النَّوَوي في قوله: إن صاحب الأُخدود لم يكن في المهد، والسَّبَب في قوله هذا ما وَقَعَ في حديث ابن عبَّاس عند أحمد (٢٨٢١)، والبزَّار (٥٠٦٧)، وابن حِبّان (٢٩٠٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٩): «لم يتكلَّم في المهد إلّا أربعة» فلم يَذكُر الثَّالث الذي هنا، وذكر شاهدَ يوسف والصَّبي الرَّضيع الذي قال لأُمِّه ـ وهي ماشطة بنت فِرعَون لمَّا أراد فِرعَونُ إلقاء أمّه في النار ـ: «اصبِري يا أمَّهْ فإنّا على الحقّ». وأخرج الحاكم (٢/ ٥٩٥) نحوه من حديث أبي هريرة، فيَجتَمِع من هذا خمسة.

ووَقَعَ ذِكْر شاهد يوسف أيضاً في حديث عِمران بن حُصَينٍ لكنَّه موقوف[1]، وروى ابن أبي شَيْبة (١١/ ٥٤٥) من مُرسَل هلال بن يِسَاف مِثل حديث ابن عبَّاس إلّا أنَّه لم يَذكُر ابن الماشطة.

وفي «صحيح مسلم» (٣٠٠٥/ ٧٣) من حديث صُهَيب في قصَّة أصحاب الأُخدود: «أنَّ امرأة جِيءَ بها لتُلقَى في النار أو لتَكفُر، ومعها صبي يَرضَع، فتَقاعَسَت، فقال لها: يا أمَّهْ، اصبِري فإنَّك على الحقّ».

وزَعَمَ الضَّحّاك في «تفسيره»: أنَّ يحيى تَكلَّمَ في المهد، أخرجه الثَّعلَبي، فإن ثَبَتَ صاروا سبعة. وذكر البَغَوي في «تفسيره»: أنَّ إبراهيم الخليل تَكلَّمَ في المهد. وفي «سِيَر الواقدي»: أنَّ النبي ﷺ تَكلَّمَ أوائل ما وُلِدَ. وقد تَكلَّمَ في زمن النبي ﷺ مُبارَكُ اليَمامة، وقِصَّته في «دلائل النبوَّة» للبيهقي (٦/ ٥٩ و٦٠) من حديث مُعرِّض[2] بالضّادِ المعجَمة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٤٩٨)، و«الكبير» ١٨/ (٥٥٨) من طريق أبي حرب بن أبي الأسود عن عمران بن حصين، وفي آخره: زعم أبو حرب أنه لم يتكلم في المهد إلّا ثلاثة عيسى ابن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج.

(٢) هذه الأخبار المذكورة في هذه الفِقرة لا يصحُّ منها شيء.

على أنَّه اختُلِفَ في شاهد يوسف، فقيل: كان صغيراً، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس، وسنده ضعيف، وبه قال الحسن وسعيد بن جُبَيْر. وأخرج عن ابن عبَّاس أيضاً ومجاهد: أنَّه كان ذا لحية. وعن قَتَادة والحسن أيضاً: كان حَكيماً من أهلها.

قوله: «وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جُرَيجٌ» بجِيمَين مُصغَّر، وقد روى حديثه عن أبي هريرة محمَّدُ بن سِيرِين كما هنا، وتقدَّم في المظالم (٢٤٨٢) من طريقه بهذا الإسناد، والأعرَجُ كما تقدَّم في أواخر الصلاة (١٢٠٦)، وأبو رافع وهو عند مسلم (٢٥٥٠/ ٧) وأحمد (٨٩٩٤)، وأبو سَلَمةَ وهو عند أحمد (٩٦٠٣)، ورواه عن النبي ﷺ مع أبي هريرة عِمرانُ بن حُصَينٍ[1]، وسأذكُرُ ما في رواية كلٍّ منهم من الفائدة.

وأوَّل حديث أبي سَلَمةَ: «كان رجل في بني إسرائيل تاجِراً، وكان يَنقُص مرَّة ويزيد أُخرى، فقال: ما في هذه التِّجارة خير، لَألتَمِسَنَّ تجارةً هي خير من هذه، فبنى صَومَعةً وتَرَهَّبَ فيها، وكان يقال له: جُرَيجٌ» فذكر الحديث، ودَلَّ ذلك على أنَّه كان بعد عيسى ابن مريم، وأنَّه كان من أتباعه لأنَّهم الذينَ ابتَدَعوا التَّرَهُّب وحَبْس النَّفس في الصَّوامع. والصَّوْمعة بفتح المهمَلة وسكون الواو: هي البناء المرتَفِع المحدَّد أعلاه، ووزنها: فَوْعَلة، من صَمَّعْتُ: إذا دَقَّقت، لأنَّها دَقيقة الرَّأس.

قوله: «جاءتْه أمّه» في رواية الكُشْمِيهني: «فجاءته أمّه»، وفي رواية أبي رافع: «كان جُرَيجٌ يَتَعَبَّد في صَومَعَته، فأتته أمّه» ولم أقِفْ في شيء من الطُّرق على اسمها. وفي حديث عِمران بن حُصَينٍ: «وكانت أمّه تأتيه فتُناديه فيُشرِف عليها فيُكلِّمها، فأتته يوماً وهو في صلاته»، وفي رواية أبي رافع عند أحمد: «فأتته أمّه ذات يوم فنادَته قالت: أيْ جُرَيجُ، أشرِفْ عليَّ أُكلِّمْك، أنا أمّك».

قوله: «فدَعَتْه فقال: أُجيبُها أو أُصَلّي» زاد المصنِّف في المظالم (٢٤٨٢) بالإسناد الذي ذكره هنا: «فأبى أن يُجيبَها» ومعنى قوله: أمّي وصلاتي، أي: اجتَمَعَ عليَّ إجابةُ أمّي وإتمام

---

(١) عند الطبراني في «الكبير» ١٨/ (٥٥٨)، و«الأوسط» (٧٤٩٨).

٤٨١/٦ صلاتي فوَفِّقني لأفضلِهما، وفي رواية أبي رافع: «فصادَفَته يُصَلّي،/ فوَضَعَت يدَها على حاجبها فقالت: يا جُرَيج، فقال: يا ربِّ أمّي وصلاتي، فاختارَ صلاته، فرَجَعَت، ثمَّ أتته فصادَفَته يُصَلّي، فقالت: يا جُرَيج أنا أمّك فكَلِّمني، فقال مِثلَه» فذكره. وفي حديث عِمران ابن حُصَينٍ: أنَّها جاءته ثلاث مرَّات تُناديه في كلّ مرَّة ثلاث مرَّات، وفي رواية الأعرَج عند الإسماعيلي: «فقال: أمّي وصلاتي لربّي، أُوثِر صلاتي على أمّي، ذكره ثلاثاً»، وكلُّ ذلك محمول على أنَّه قاله في نفسه لا أنَّه نَطَقَ به، ويحتمل أن يكون نَطَقَ به على ظاهره، لأنَّ الكلام كان مُباحاً عندهم، وكذلك كان في صَدْر الإسلام، وقد قَدَّمتُ في أواخر الصلاة[1] ذِكْر حديث يزيد بن حَوشَبٍ عن أبيه رَفَعَه: «لو كان جُرَيج عالماً لَعَلِمَ أنَّ إجابة أمّه أَولى من صلاته».

قوله: **«فقالت: اللهمَّ لا تُمِتْه حتَّى تُرِيَه وجوه المُومِسات»** في رواية الأعرَج: «حتَّى يَنظُر في وجوه المياميس»، ومِثله في رواية أبي سَلَمَةَ، وفي رواية أبي رافع: «حتَّى تريه المومِسة» بالإفراد، وفي حديث عِمران بن حُصَينٍ: «فغَضِبَت فقالت: اللهمَّ لا يموتَن جُرَيجٌ حتَّى يَنظُر في وجوه المومِسات». والمومِسات جمع مُومِسة، بضمِّ الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها مُهمَلة: وهي الزّانية، وتُجمَع على مَواميس بالواو، وجُمِعَ في الطَّريق المذكورة بالتَّحتانية، وأنكَرَه ابن الخشَّاب أيضاً، ووَجَّهَه غيره كما تقدَّم في أواخر الصلاة، وجَوَّزَ صاحب «المطالع» فيه الهمزة بدل الياء، بل أثبَتَها روايةً، ووَقَعَ في رواية الأعرَج: «فقالت: أبيتَ أن تُطلِعَ إليَّ وجهَك، لا أماتَك الله حتَّى تَنظُر في وجهك زَواني المدينة».

قوله: **«فتعَرَّضَت له امرأة فكَلَّمَتْه فأبى، فأتت راعياً فأمكَنَته من نفسها»** في رواية وَهْب ابن جَرِير بن حازم عن أبيه عند أحمد (٨٠٧١): «فذكر بنو إسرائيل عبادة جُرَيج، فقالت بَغيٌّ منهم: إن شئتُم لَأفتِنَنَّه، قالوا: قد شِئنا. فأتته فتعَرَّضَت له فلم يَلتَفِت إليها، فأمكَنَت نفسها من راعٍ كان يُؤوي غنمَه إلى أصل صَومَعة جُرَيج»، ولم أقِفْ على اسم هذه المرأة،

(١) أثناء شرح الحديث (١٢٠٦).

لكن في حديث عِمران بن حُصَينٍ: أنَّها كانت بنت مَلِك القرية، وفي رواية الأعرَج: «وكانت تأوي إلى صومَعَته راعيةٌ تَرعى الغنم»، ونحوه في رواية أبي رافع عند أحمد (٨٩٩٤)، وفي رواية أبي سَلَمَةَ: «وكان عند صومَعَته راعي ضَأْن وراعية مِعزَى»، ويُمكِن الجمع بين هذه الرِّوايات بأنَّها خَرَجَت من دار أبيها بغير عِلم أهلها مُتنكِّرة، وكانت تَعمَل الفساد إلى أن ادَّعَت أنَّها تستطيع أن تَفتِن جُرَيجاً، فاحتالَت بأن خَرَجَت في صورة راعية ليُمكِنَها أن تأويَ إلى ظِلِّ صَوْمعته لتَتَوصَّل بذلك إلى فِتْنته.

قوله: «فوَلَدَت غلاماً» فيه حذف تقديره: فحَمَلَت حتَّى انقَضَت أيامُها فوَلَدَت، وكذا قوله: «فقالت: مِن جُرَيج» فيه حذف تقديره: فسُئِلَت ممَّن هذا؟ فقالت: من جُرَيج، وفي رواية أبي رافع التَّصريحُ بذلك، ولفظه: «فقيل لها: ممَّن هذا؟ فقالت: هو من صاحب الدَّير»، وزاد في رواية أحمد: «فأُخِذَت، وكان مَن زنى منهم قُتِلَ، فقيل لها: ممَّن هذا؟ قالت: هو من صاحب الصَّومَعَة»، زاد الأعرَج: «نزلَ إليَّ من صَوْمعته»، وفي رواية الأعرَج: «فقيل لها: مَن صاحبك؟ قالت: جُرَيجٌ الرّاهب، نزلَ إليَّ فأصابني»، زاد أبو سَلَمَةَ في روايته[1]: «فذهبوا إلى الملك فأخبَروه، قال: أدرِكوه فأتوني به».

قوله: «فأتَوْه فكَسَروا صَوْمعتَه وأنزَلوه»، وفي رواية أبي رافع: «فأقبَلوا بفُؤوسِهم ومَساحِيهم إلى الدَّير، فنادَوه فلم يُكلِّمهم، فأقبَلوا يَهدِمونَ دَيْره»، وفي حديث عِمران: «فما شَعَرَ حتَّى سمعَ بالفُؤوسِ في أصل صَوْمعته، فجَعَلَ يسألهم: ويلكم ما لكم؟ فلم يُجيبوه، فلمَّا رأى ذلك أَخَذَ الحبل فتَدَلّى».

قوله: «وسَبُّوه» زاد أحمد (٨٠٧١) عن وَهْب بن جَرِير: «وضَرَبوه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: إنَّك زنيتَ بهذه»، وفي رواية أبي رافع عنده: «فقالوا: أيْ جُرَيجُ، انزِل، فأبى إلّا[2] يُقبِل على صلاته، فأَخَذوا في هَدْم صَوْمعته، فلمَّا رأى ذلك نزلَ، فجَعَلوا في عُنُقه وعُنُقها

---

(١) سبق أن عزا الحافظ رواية أبي سلمة إلى «مسند أحمد» (٩٦٠٣)، وروايته مختصرة، وما سيذكره الحافظ من روايته أثناء نقله للفروق هي عند العقيلي في «الضعفاء» ٣/ ١٦٤-١٦٥، ولم ينبِّه على ذلك.

(٢) لفظ «إلّا» من (ع) وحدها، ولفظ رواية أبي رافع عند أحمد (٨٩٩٤): «فأبى وأقبل على صلاته يصلِّي».

حَبلاً، وجَعَلوا يَطُوفونَ بها في الناس»، وفي رواية أبي سَلَمَةَ: «فقال له الملك: ويحك يا جُرَيج، كنَّا نَراكَ خيرَ/ الناس فأحبَلتَ هذه، اذهَبوا به فاصلُبوه»، وفي حديث عِمران: «فجَعَلوا يَضرِبونَه ويقولون: مُراءٍ تُخادِع الناس بعملِك»، وفي رواية الأعرَج: «فلمَّا مرُّوا به نحو بيت الزَّواني، خَرَجنَ يَنظُرنَ فتبسَّمَ، فقالوا: لم يَضحَكْ حتَّى مرَّ بالزَّواني».

٤٨٢/٦

قوله: «فتوَضَّأ وصَلّى» وفي رواية وَهْب بن جَرِير: «فقامَ وصَلّى ودَعا»، وفي حديث عِمران: «قال: فتوَلَّوا عنِّي، فتوَلَّوا عنه فصَلّى ركعتَين».

قوله: «ثمَّ أتى الغلامَ فقال: مَن أبوك يا غلام؟ فقال: الرّاعي» زاد في رواية وَهْب بن جَرِير: «فطَعَنَه بإصبَعِه فقال: بالله يا غلام مَن أبوك؟ فقال: أنا ابن الرّاعي»، وفي مُرسَل الحسن عند ابن المبارَك في «البِرّ والصِّلة»[1]: أنَّه سألهم أن يُنظِروه فأنظَروه، فرأى في المنام مَن أمَرَه أن يَطعُن في بطن المرأة فيقول: أيَّتُها السَّخلة مَن أبوك؟ ففعَلَ، فقال: راعي الغنم، وفي رواية أبي رافع[2]: «ثمَّ مَسَحَ رأس الصَّبي فقال: مَن أبوك؟ قال: راعي الضَّأن»، وفي روايته عند أحمد (٨٩٩٤): «فوَضَعَ إصبَعه على بطنها»، وفي رواية أبي سَلَمَةَ: «فأُتي بالمرأة والصَّبي وفَمُه في ثَدْيها، فقال له جُرَيج: يا غلام مَن أبوك؟ فنَزَعَ الغلام فاه من الثَّدي، وقال: أبي راعي الضَّأن»، وفي رواية الأعرَج: «فلمَّا أُدخِلَ على مَلِكهم قال جُرَيج: أين الصَّبي الذي ولدَتْه؟ فأُتي به، فقال: مَن أبوك؟ قال: فلان، سَمّى أباه».

قلت: ولم أقِفْ على اسم الرّاعي، ويقال: إنَّ اسمه صُهَيب، وأمَّا الابن فتقدَّم في أواخر الصلاة (١٢٠٦) بلفظ: «فقال: يا بابُوسُ»، وتقدَّم شرحه أواخر الصلاة وأنَّه ليس اسمَه كما زَعَمَ الدّاوودي، وإنَّما المراد به الصَّغير، وفي حديث عِمران: «ثمَّ انتهى إلى شجرة فأخَذَ منها غُصناً، ثمَّ أتى الغلام وهو في مَهْده فضَرَبَه بذلك الغُصن، فقال: مَن أبوك؟»، ووَقَعَ في «التَّنبيه» لأبي اللَّيث السَّمرقَندي بغير إسناد: «أنَّه قال للمرأة: أين أصَبتُكِ؟ قالت: تحت

---

(١) هو فيه برقم (٥٣)، لكن من زيادات راوية ابن المبارك: الحسين بن الحسن المروزي، وليس من رواية ابن المبارك، ثم إن الحسن البصري لم يأثُره عن النبي ﷺ.

(٢) عند مسلم (٢٥٥٠)، وأحمد (٩٦٠٢).

شجرة، فأتى تلكَ الشَّجَرة فقال: يا شجرةُ، أسألكِ بالذي خَلَقَك مَن زنى بهذه المرأة؟ فقال كلُّ غصن منها: راعي الغنم».

ويُجمَع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذُكِرَ، بأنَّه مَسَحَ رأس الصَّبي، ووَضَعَ إصبعَه على بطن أمّه، وطَعَنَه بإصبَعِه، وضَرَبَه بطَرَفِ العصا التي كانت معه. وأبعَدَ مَن جَمَعَ بينها بتعدُّدِ القصَّة، وأنَّه استَنطَقَه وهو في بطنها مرَّة قبل أن تَلِد، ثمَّ استَنطَقَه بعد أن وُلِدَ.

زاد في رواية وَهْب بن جَرِير: «فوَثَبوا إلى جُرَيج فجَعَلوا يُقبِّلونَه»، وزاد الأعرَج في روايته: «فأبرأَ اللهُ جُرَيجاً، وأعظَمَ الناسُ أمر جُرَيج»، وفي رواية أبي سَلَمَةَ: «فسَبَّحَ الناس وعَجِبوا».

قوله: «قالوا: نَبْني صَوْمعتَك من ذهب؟ قال: لا إلّا من طين» وفي رواية وَهْب بن جَرِير: «ابنوها من طين كما كانت»، وفي رواية أبي رافع: «فقالوا: نَبني ما هَدَمنا من دَيْرك بالذَّهَب والفِضَّة؟ قال: لا، ولكن أعيدوه كما كان، ففَعَلوا»، وفي نقل أبي اللَّيث: «فقال له الملك: نبنيها من ذهب؟ قال: لا، قال: من فِضَّة؟ قال: لا، إلّا من طين»، زاد في رواية أبي سَلَمَةَ: «فرَدُّوها فرَجَعَ في صَوْمعته، فقالوا له: بالله مِمَّ ضَحِكت؟ فقال: ما ضَحِكت إلّا من دَعْوة دَعَتها عليَّ أمّي».

وفي الحديث إيثارُ إجابة الأُمّ على صلاة التطوُّع، لأنَّ الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأُمّ وبِرّها واجب، قال النَّوَوي وغيره: إنَّما دَعَت عليه فأُجيبَت، لأنَّه كان يُمكِنه أن يُخفِّف ويُجيبها، لكن لعلَّه خَشِيَ أن تَدعوَه إلى مُفارَقة صَوْمعته والعَوْد إلى الدُّنيا وتعلُّقاتها؛ كذا قال النَّوَوي، وفيه نظر لمَا تقدَّم من أنَّها كانت تأتيه فيُكلِّمها، والظّاهر أنَّها كانت تَشتاقُ إليه فتزوره وتَقتَنِع برُؤيَته وتكليمه، وكأنَّه إنَّما لم يُخفِّف ثمَّ يُجيبها، لأنَّه خشيَ أن يَنقَطِعَ خشوعُه. وقد تقدَّم في أواخر الصلاة[1] من حديث يزيد بن حَوشَبٍ عن أبيه: أنَّ النبي ﷺ

(١) أثناء شرح حديث (١٢٠٦).

قال: «لو كان جُرَيج فقيهاً لعَلِمَ أنَّ إجابة أمّه أَولى من عبادة ربّه»، أخرجه الحسن بن سفيان، وهذا إذا حُمِلَ على إطلاقه، استُفيدَ منه جوازُ قطع الصلاة مُطلَقاً لإجابة نِداء الأُمّ نَفلاً كانت أو فرضاً، وهو وجه في مذهب الشّافعي حكاه الرُّوياني.

٤٨٣/٦ وقد قال النَّوَوي تَبَعاً لغيره: هذا محمولٌ على أنَّه/ كان مُباحاً في شرعهم، وفيه نظر قَدَّمتُه في أواخر الصلاة، والأصحُّ عند الشّافعية: أنَّ الصلاة إن كانت نَفلاً وعَلِمَ تأذِّي الوالد بالتَّركِ، وَجَبَت الإجابةُ وإلّا فلا، وإن كانت فرضاً وضاقَ الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يَضِقْ وجَبَت عند إمام الحَرَمَين، وخالَفَه غيره لأنَّها تَلزَم بالشُّروعِ، وعند المالكية: أنَّ إجابة الوالد في النافلة أفضل من التَّمادي فيها، وحَكَى القاضي أبو الوليد أنَّ ذلك يَختَصُّ بالأُمِّ دون الأب، وعند ابن أبي شَيْبة (٢/ ٤٣١) من مُرسَل محمَّد بن المنكَدِر ما يَشهَد له، وقال به مكحول، وقيل: إنَّه لم يَقُل به من السَّلَف غيره.

وفي الحديث أيضاً عِظَم بِرّ الوالدين وإجابة دُعائهما ولو كان الولد معذوراً، لكن يختلف الحال في ذلك بحَسَبِ المقاصد. وفيه الرِّفق بالتابع إذا جَرَى منه ما يقتضي التَّأديب، لأنَّ أمّ جُرَيج مع غَضَبها منه لم تَدْعُ عليه إلّا بما دَعَت به خاصَّة، ولولا طلبها الرِّفقَ به لَدَعَت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. وفيه أنَّ صاحب الصِّدق مع الله لا تَضُرّه الفتن.

وفيه قوَّة يقين جُرَيج المذكور وصِحَّة رَجَائه، لأنَّه استَنطَقَ المولود مع كَون العادةِ أنَّه لا يَنطِق، ولولا صِحَّة رجائه بنُطقِه ما استَنطَقَه. وفيه أنَّ الأمرَين إذا تَعارَضا بُدِئَ بأهمِّهما، وأنَّ الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مَخارجَ، وإنَّما يَتأخَّر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادة لهم في الثَّواب. وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكَرَامة لهم باختيارهم وطلبهم.

وقال ابن بَطّال: يحتمل أن يكون جُرَيجٌ كان نبيّاً فتكون مُعجِزةً. كذا قال، وهذا الاحتمال لا يَتأتّى في حَقّ المرأة التي كَلَّمَها ولدُها المرضَعُ كما في بقيَّة الحديث.

وفيه جواز الأخذ بالأشدِّ في العبادة لمن عَلِمَ من نفسه قوَّة على ذلك.

واستَدَلَّ به بعضهم على أنَّ بنيَ إسرائيل كان من شرعهم أنَّ المرأة تُصدَّقُ فيما تَدَّعيه على الرِّجال من الوَطْء ويَلحَقُ به الولد، وأنَّه لا يَنفَعه جَحْدُ ذلك إلّا بحُجَّة تَدفَع قولها.

وفيه أنَّ مُرتَكِب الفاحشة لا تبقى له حُرْمة، وأنَّ المفزَع في الأُمور المهمَّة إلى الله يكون بالتَّوَجُّه إليه في الصلاة.

واستَدَلَّ بعض المالكية بقولِ جُرَيج: «مَن أبوك يا غلام؟» بأنَّ مَن زنى بامرأة فوَلَدَت بنتاً لا يَحِلُّ له التزوُّج بتلكَ البنت خِلافاً للشّافعية ولابن الماجِشُون من المالكية. ووجه الدَّلالة أنَّ جُرَيجاً نَسَبَ ابن الزِّنى للزّاني، وصَدَّقَ الله نِسبتَه بما خَرَقَ له من العادة في نُطْق المولود بشهادتِه له بذلك وقولِه: أبي فلان الرّاعي، فكانت تلكَ النِّسبة صحيحة، فيَلزَم أن تجريَ بينهما أحكام الأُبوَّة والبُنوَّة، خَرَجَ التَّوارُث والوَلاءُ بدليل، فبقي ما عَدَا ذلك على حُكمه.

وفيه أنَّ الوُضوء لا يَختَصّ بهذه الأُمَّة خِلافاً لمن زَعَمَ ذلك، وإنَّما الذي يَختَصّ بها الغُرَّة والتَّحجيل في الآخرة، وقد تقدَّم في قصَّة إبراهيم أيضاً مِثلُ ذلك في خبر سارة مع الجبّار[1]، والله أعلم.

قوله: «**وكانت امرأةٌ**» بالرفع، ولم أَقِفْ على اسمها ولا على اسم ابنها، ولا على اسم أحد ممَّن ذُكِرَ في القصَّة المذكورة.

قوله: «**إذ مرَّ بها راكِب**» وفي رواية خِلَاس عن أبي هريرة عند أحمد (٩١٣٥): «فارس مُتَكَبِّر».

قوله: «**ذو شارة**» بالشّين المعجَمة، أي: صاحب حُسْن، وقيل: صاحب هيئة ومَنظَر ومَلبَس حسن، يُتعجَّب منه ويُشار إليه، وفي رواية خِلَاس: «ذو شارة حسنة»[2].

---

(١) انظر الرواية رقم (٢٢١٧).

(٢) عند أحمد (٩١٣٥) لكن بلفظ: «عليه شارة حسنة».

قوله: «قال أبو هريرة: كأنِّي أنظُر» هو موصول بالإسناد المذكور، وفيه المبالَغة في إيضاح الخبر بتمثيلِه بالفعل.

قوله: «ثمَّ مُرَّ» بضمِّ الميم على البناء للمجهول.

قوله: «بأَمة» زاد أحمد (٨٠٧١) عن وَهْب بن جَرِير: «تُضرَبُ»، وفي رواية الأعرَج عن أبي هريرة الآتية في ذِكْر بني إسرائيل (٣٤٦٦): «تُجرَّر ويُلعَب بها» وهي بجيم مفتوحة بعدها راء ثقيلة ثمَّ راء أُخرى.

قوله: «فقالت له ذلك» أي: سألت الأمُّ ابنها عن سبب كلامه.

قوله: «قال: الرّاكِب جَبّار» في رواية أحمد: «فقال: يا أُمَّتاه، أمَّا الرّاكبُ ذو الشّارة فجَبّار من الجبابرة»، وفي رواية الأعرَج: «فإنَّه كافر».

قوله: «يقولون: سَرَقْتِ، زَنَيتِ» بكسر المثنّاة فيهما على المخاطَبة، وبسكونها على الخبر.

٦/٤٨٤ قوله: «ولم تَفْعَل» في رواية أحمد:/ «يقولون: سَرَقتْ ولم تَسرِق، زَنَتْ ولم تَزنِ، وهي تقول: حسبيَ الله»، وفي رواية الأعرَج: «يقولون لها: تَزني، وتقول: حسبيَ الله، ويقولون لها: تَسرِق، وتقول: حسبيَ الله»، ووَقَعَ في رواية خِلَاس المذكورة[1]: أنَّها كانت حَبَشية أو زِنْجية، وأنَّها ماتت فجَرُّوها حتَّى ألقَوها، وهذا معنى قوله في رواية الأعرَج: «تُجرَّر».

وفي الحديث أنَّ نفوس أهل الدُّنيا تَقِفُ مع الخَيال الظّاهر فتخاف سوء الحال، بخِلاف أهل التَّحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة، فلا يُبالُونَ بذلك مع حُسن السَّريرة كما قال تعالى حكايةً عن أصحاب قارون حيثُ خَرَجَ عليهم: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٠].

وفيه أنَّ البشر طُبِعوا على إيثار الأولاد على الأنفُس بالخير، لطلبِ المرأة الخيرَ لابنِها ودفع الشرّ عنه ولم تَذكُر نفسها.

---

(١) عند أحمد (٩١٣٥).

٣٤٣٧- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى، أخبرنا هشامٌ، عن مَعمَر (ح) وحدَّثني محمودٌ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني سعيدُ بنُ المسيّبِ، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به: «لَقِيتُ موسى - قال: فنعَتَه - فإذا رجلٌ - حَسِبتُه قال: - مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأسِ، كأنَّه من رجالِ شَنُوءةَ» قال: «ولَقِيتُ عيسى» فنعَتَه النبيُّ ﷺ فقال: «رَبْعةٌ أحمرُ، كأنَّما خَرَجَ من دِيماسٍ - يعني: الحمّامَ - ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبَهُ ولدِه به، قال: وأُتِيتُ بإناءَينِ أحدُهما لَبَنٌ، والآخَرُ فيه خمرٌ، فقيلَ لي: خُذْ أيَّهما شئتَ، فأخَذْتُ اللَّبَنَ فشَرِبتُه، فقيلَ لي: هُدِيتَ الفِطْرةَ - أو أصَبْتَ الفِطْرةَ - أمَا إنَّكَ لو أخَذْتَ الخمرَ، غَوَتْ أمَّتُكَ».

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة في ذِكْر موسى وعيسى، وقد تقدَّم في قصَّة موسى (٣٣٩٤) من هذا الوجه، لكن زاد هنا إسناداً آخر فقال: «حدَّثنا محمود - وهو ابن غَيْلان - عن عبد الرَّزّاق»، وساقَه على لفظه، وكان ساقَه هناك على لفظ هشام بن يوسف، وقوله في هذه الرِّواية: «فإذا رجل، حَسِبتُه قال: مُضطَرِب» القائل: «حَسِبته» هو عبد الرَّزّاق، والمضطَرِب: الطَّويل غير الشَّديد، وقيل: الخفيف اللَّحم، وتقدَّم في رواية هشام بلفظ: «ضَرْبٌ» وفُسِّرَ بالنَّحيفِ، ولا مُنافاةَ بينهما.

وقال ابن التِّين: هذا الوصف مُغايِر لقوله بعد هذا: «إنَّه جَسيم» يعني في الرِّواية (٣٤٣٨) التي بعد هذه، وقال: والذي وَقَعَ نَعتُه بأنَّه جَسيم إنَّما هو الدَّجّال.

وقال عياض: رواية مَن قال: «ضَرْب» أصحّ من رواية مَن قال: «مُضطَرِب» لمَا فيها من الشكّ، قال: وقد وَقَعَ في الرِّواية الأُخرى: «جَسِيم» وهو ضِدّ الضَّرْب، إلّا أن يُراد بالجَسيمِ الزّيادة في الطّول.

وقال التَّيْمي: لعلَّ بعض لفظ هذا الحديث دَخَلَ في بعض، لأنَّ الجَسيم إنَّما وَرَدَ في صفة الدَّجّال، لا في صفة موسى. انتهى، والذي يَتَعيَّن المصيرُ إليه ما جَوَّزَه عياض أنَّ المراد بالجَسيمِ في صفة موسى الزّيادةُ في الطّول، ويُؤيِّده قوله في الرِّواية التي بعد هذه: «كأنَّه من رجال الزُّطّ» وهم طِوالٌ غير غِلاظ، ووَقَعَ في حديث الإسراء وهو في بَدْء الخلق

(٣٢٣٩): «رأيت موسى جَعداً طُوَالاً» واستَنكَرَه الدّاوودي، فقال: لا أُراه محفوظاً، لأنَّ الطَّويل لا يُوصَف بالجَعْدِ، وتُعقِّبَ بأنَّهما لا يَتَنافَيان، وقال النَّوَوي: الجُعودة في صفة موسى جُعودة الجسم، وهو اكتِنازُه واجتماعه، لا جُعودة الشَّعر، لأنَّه جاء أنَّه كان رَجِلَ الشَّعر.

قوله في صِفَة عيسى: **«رَبْعة»** هو بفتح الرّاء وسكون الموحَّدة، ويجوز فتحها: وهو المربوع، والمراد: أنَّه ليس بطويل جدّاً، ولا قصير جدّاً، بل وَسَطٌ.

وقوله: **«من دِيماس»** هو بكسر المهمَلة وسكون التَّحتانية وآخره مُهمَلة.

قوله: **«يعني الحمّام»** هو تفسير عبد الرَّزّاق، ولم يقع ذلك في رواية هشام، والدِّيماس في اللُّغة: السَّرَب، ويُطلَق أيضاً على الكِنّ، والحمّام من جُملة الكِنّ. والمراد من ذلك وصفه بصَفاءِ اللَّون ونَضارة الجسم وكَثْرة ماء الوجه، حتَّى كأنَّه كان في موضع كِنٍّ فخَرَجَ منه وهو عَرْقان، وسيأتي في رواية ابن عمر (٣٤٤١) بعد هذا: **«يَنطِف رأسه ماءً»** وهو مُحتَمَل لأن يُراد الحقيقة، وأنَّه عَرِقَ حتَّى قَطَرَ الماء من رأسه، ويحتمل أن يكون كِناية عن مَزيد نَضارة وجهه، ويُؤيِّده أنَّ في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عند أحمد (٩٢٧٠ و٩٦٣٢) وأبي داود (٤٣٢٤): **«يَقطُر رأسه ماء وإن لم يُصِبْه بَلَل»**.

قوله: **«وأُتيتُ بإناءَين»** يأتي الكلام عليه في الكلام على الإسراء في السِّيرة النَّبوية (٣٢٣٩) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثالث:

٣٤٣٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ كَثير، أخبرنا إسرائيلُ، أخبرنا عُثْمانُ بنُ المغيرةِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، قال: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ، فأمَّا عيسى فأحمرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وأمَّا موسى فآدَمُ جَسِيمٌ سَبِطٌ، كأنَّه من رجال الزُّطِّ».

قوله: **«أخبَرَنا عُثْمان بن المغيرة»** هو الثَّقَفي مولاهم الكوفي، ويقال له: عثمان بن أبي زُرْعة، وهو ثقة من صِغار التابعينَ، وليس له في البخاري غير هذا الحديث الواحد.

قوله: «عن ابن عمر» كذا وَقَعَ في جميع الرِّوايات التي وَقَعَت لنا من نُسَخ البخاري، وقد تَعقَّبَه أبو ذرٍّ في روايته، فقال: كذا وَقَعَ في جميع الرِّوايات المسموعة عن الفِرَبْري: «مجاهد، عن ابن عمر»، قال: ولا أدري/ أهكذا حدَّث به البخاري أو غَلِطَ فيه الفِرَبري؟ ٤٨٥/٦ لأنّي رأيته في جميع الطُّرق عن محمَّد بن كثير وغيره: عن مجاهد عن ابن عبَّاس، ثمَّ ساقَه بإسنادِه إلى حَنبَل بن إسحاق قال: حدَّثنا محمَّد بن كثير، وقال فيه: ابن عبَّاس. قال: وكذا رواه عثمان بن سعيد الدَّارِمي، عن محمَّد بن كثير، قال: وتابَعَه نَصْر بن عليّ عن أبي أحمد الزُّبَيري عن إسرائيل، وكذا رواه يحيى بن زكريَّا بن أبي زائدة عن إسرائيل. انتهى.

وأخرجه أبو نُعَيم في «المستَخرَج» عن الطبراني[1] عن أحمد بن محمد الخُزَاعي عن محمَّد ابن كثير، وقال: رواه البخاري عن محمَّد بن كثير، فقال: مجاهد عن ابن عمر، ثمَّ ساقَه من طريق نَصْر بن عليّ عن أبي أحمد الزُّبَيري عن إسرائيل، فقال: ابن عبَّاس. انتهى.

وأخرجه ابن مَندَهْ في «كتاب الإيمان» (٧٢٦) من طريق محمَّد بن أيوب بن الضُّريس وموسى بن سعيد الدَّنداني كلاهما عن محمَّد بن كثير، فقال فيه: ابن عبَّاس، ثمَّ قال: قال البخاري: عن محمَّد بن كثير... عن ابن عمر، والصَّواب: عن ابن عبَّاس.

وقال أبو مسعود في «الأطراف»: إنَّما رواه الناس عن محمَّد بن كثير، فقال: مجاهد عن ابن عبَّاس، ووَقَعَ في البخاري في سائر النُّسَخ: مجاهد عن ابن عمر، وهو غَلَط، قال: وقد رواه أصحاب إسرائيل منهم: يحيى بن أبي زائدة وإسحاق بن منصور والنَّضر بن شُمَيلٍ وآدم بن أبي إياس وغيرهم عن إسرائيل، فقالوا: ابن عبَّاس. قال: وكذلك رواه ابن عَوْن عن مجاهد عن ابن عبَّاس. انتهى.

ورواية ابن عَوْن تقدَّمت في ترجمة إبراهيم عليه السلام (٣٣٥٥)، ولكن لا ذِكرَ لعيسى عليه السلام فيها، وأخرجها مسلم (١٦٦/ ٢٧٠) عن شيخ البخاري فيها، وليس فيها لعيسى ذِكْر، إنَّما فيها ذِكْر إبراهيم وموسى حَسْبُ.

---

(١) وهو عند الطبراني في «معجمه الكبير» (١١٠٥٧).

وقال محمَّد بن إسماعيل التَّيْمي: ويقع في خاطري أنَّ الوَهم فيه من غير البخاري، فإنَّ الإسماعيلي أخرجه من طريق نَصْر بن عليّ عن أبي أحمد، وقال فيه: عن ابن عبَّاس، ولم يُنبِّه على أنَّ البخاري قال فيه: عن ابن عمر، فلو كان وَقَعَ له كذلك لَنبَّه عليه كعادَتِه، والذي يُرجِّحُ أنَّ الحديث لابن عبَّاس لا لابن عمر ما سيأتي (٣٤٤١) من إنكار ابن عمر على مَن قال: إنّ عيسى أحمر، وحَلِفه على ذلك، وفي رواية مجاهد هذه: «فأمَّا عيسى فأحمرُ جَعْد»، فهذا يُؤيِّد أنَّ الحديث لمجاهد عن ابن عبَّاس، لا عن ابن عمر، والله أعلم.

قوله: «سَبِط» بفتح المهمَلة وكسر الموحَّدة[1]، أي: ليس بجَعِدٍ، وهذا نعتٌ لشَعرِ رأسه.

قوله: «كأنَّه من رجال الزُّطّ» بضمِّ الزّاي وتشديد المهمَلة: جِنس من السُّودان، وقيل: هم نوع من الهُنود، وهم طِوالُ الأجسام مع نَحافة فيها، وقد زَعَمَ التيمي[2] أنَّ قوله في صفة موسى: «جَسِيم»، مخالف لقوله في الرِّواية الأُخرى في ترجمته (٣٣٩٤): «ضَرْبٌ من الرِّجال» أي: خفيف اللَّحم، قال: فلعلَّ راويَ الحديث دَخَلَ له بعضُ لفظه في بعض، لأنَّ الجَسيم وَرَدَ في صفة الدَّجّال. وأُجيبَ بأنَّه لا مانع أن يكون مع كَونِه خفيفَ اللَّحم جَسيماً بالنِّسبة لطولِه، فلو كان غير طويل لاجتَمَعَ لحمُه وكان جَسيماً.

٣٤٣٩- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذِرِ، حدَّثنا أبو ضَمْرةَ، حدَّثنا موسى، عن نافعٍ، عن عبدِ الله: ذَكَرَ النبيُّ ﷺ يوماً بينَ ظَهرَيِ الناسِ المسيحَ الدَّجّالَ، فقال: «إنَّ اللهَ ليس بأعوَرَ، ألا إنَّ المسيحَ الدَّجّالَ أعورُ عَينِه اليُمنَى، كأنَّ عينَه عِنَبةٌ طافيَةٌ».

٣٤٤٠- «وأَرَاني اللَّيلةَ عندَ الكَعْبةِ في المنامِ، فإذا رجلٌ آدَمُ كأَحسنِ ما يُرَى من أُدْمِ الرِّجال، تَضرِبُ لِمَّتُه بينَ مَنكِبَيهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رأسُه ماءً، واضعاً يَدَيهِ على مَنكِبَيْ رجلَينِ، يَطُوفُ بالبيتِ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالوا: هذا المسيحُ ابنُ مريمَ، ثمَّ رأيتُ رجلاً وراءَه جَعْداً قَطِطاً، أعورَ عينِ اليُمْنَى، كأشبَهِ مَن رأيتُ بابنِ قَطَنٍ، واضعاً يَدَيهِ على مَنكِبَيْ رجلٍ

---

(١) قال القسطلاني في «شرحه» ٥/ ٤١٤: بفتح السين وسكون الموحدة وكسرها وفتحها.

(٢) في (س): ابن التين، وهو خطأ، والتصويب من (ع)، ومن «عمدة القاري» ١٦/ ٣٢.

يَطُوفُ بالبيتِ، فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: المسيحُ الدَّجّالُ».

تابَعَه عُبيدُ الله، عن نافعٍ.

[أطرافه في: ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨]

٣٤٤١- حدَّثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ المكِّيُّ، قال: سمعتُ إبراهيمَ بنَ سعدٍ، قال: حدَّثني الزُّهْريُّ، عن سالمٍ، عن أبيه، قال: لا والله، ما قال النبيُّ ﷺ لعيسى: أحمرُ، ولكن قال: «بينَما أنا نائمٌ أطوفُ بالكَعْبةِ، فإذا رجلٌ آدمُ سَبِطُ الشَّعَرِ يُهادَى بينَ رجُلَينِ، يَنْطِفُ رأسُه ماءً ـ أو يُهَراقُ رأسُه ماءً ـ فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ مريمَ، فذهبتُ ألتَفِتُ، فإذا رجلٌ أحمرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأسِ، أعوَرُ عينِه اليُمْنَى، كأنَّ عَينَه طافيةٌ، قلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذا الدَّجّالُ، وأقرَبُ الناسِ به شَبَهاً ابنُ قَطَنٍ».

قال الزُّهْريُّ: رجلٌ من خُزَاعةَ هَلَكَ في الجاهليَّة.

الحديث الرابع: حديث ابن عمر في ذِكْر عيسى والدَّجّال، أورَدَه من طريق نافع عنه من وجهَينِ موصولة ومُعلَّقة، ومن طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه.

قوله: «حدَّثنا موسى» هو ابن عُقْبة.

قوله: «بين ظَهْرانَي» بفتح الظّاء المعجَمة وسكون الهاء بلفظ التَّثنية، أي: جالساً في وَسَط الناس، والمراد أنَّه جَلَسَ بينهم مُستَظهِراً لا مُستخفياً، وزِيدَت فيه الألف والنُّون تأكيداً، أو معناه أنَّ ظَهراً منه قُدّامه، وظَهراً خلفَه، وكأنَّهم حَفُّوا به من جانبَيه، فهذا أصله، ثمَّ كَثُرَ حتَّى استُعمِلَ في الإقامة بين القوم مُطلَقاً، ولهذا زَعَمَ بعضهم أنَّ لفظة «ظَهرانَي» في هذا الموضع زائدة.

قوله: «ألا إنَّ المسيح الدَّجّال أعْوَرُ العين اليُمْنى، كأنَّ عينه عِنَبة طافية» أي: بارزة، وهو من طَفَا الشيء يَطفُو[1] بغير همز: إذا عَلَا على غيره، وشَبَّهَها بالعِنَبة التي تقع في العُنقود بارزةً عن نظائرها، وسيأتي بَسطُ ذلك في كتاب الفتن (٧١٢٣).

---

(١) في (س): يطفا، وهو خطأ.

قوله: «وأَراني» بفتح الهمزة، ذكره بلفظ المضارَعة مُبالَغةً في استحضار صورة الحال.

قوله: «آدَم» بالمدِّ، أي: أسمَر/ . ٤٨٦/٦

قوله: «كأحْسَنِ ما يُرى» في رواية مالك عن نافع الآتية في كتاب اللِّباس (٥٩٠٢): «كأحسن ما أنتَ راءٍ».

قوله: «تَضْرِب لِمَّتُه» بكسر اللّام، أي: شَعرُ رأسه، ويقال له إذا جاوَزَ شَحمةَ الأُذُنين وألَـمَّ بالمنكِبَين: لِـمَّة، وإذا جاوَزَت المنكِبين فهي جُـمَّة، وإذا قَصُرَت عنهما فهي وَفْرة.

قوله: «رَجِل الشَّعْر» بكسر الجيم، أي: قد سَرَّحَه ودَهَنَه، وفي رواية مالك: «له لـمَّة قد رَجَّلها فهي تَقطُر ماء»، وقد تقدَّم أنَّه يحتمل أن يريد أنَّها تَقطُر من الماء الذي سَرَّحَها به، أو أنَّ المراد الاستعارةُ وكُنّي بذلك عن مَزيدِ النَّظافة والنَّضارة، ووَقَعَ في رواية سالم الآتية (٣٤٤١) في نعْت عيسى: «أنَّه آدمُ سَبِط الشَّعر»، وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى: «أنَّه جَعْد»، والجَعْد ضِدّ السَّبِط، فيُمكِن أن يُجمَع بينهما بأنَّه سَبِط الشَّعر، ووَصَفَه بالجعودة في جِسمه لا شَعْره، والمراد بذلك اجتماعُه واكتِنازه، وهذا الاختلاف نَظِير الاختلاف في كَونِه آدمَ أو أحمَرَ، والأحمر عند العرب: الشَّديد البياض مع الحُمرة، والآدم: الأسمَر، ويُمكِن الجمع بين الوصفَين بأنَّه احمرَّ لونُه بسَبَبٍ كالتَّعَبِ وهو في الأصل أسمَر، وقد وافَقَ أبو هريرة على أنَّ عيسى أحمرُ، فظَهَرَ أنَّ ابن عمر أنكَرَ شيئاً حَفِظَه غيره، وأمَّا قول الدّاوودي إنَّ رواية مَن قال: «آدم» أثبَتُ، فلا أدري من أين وَقَعَ له ذلك مع اتِّفاق أبي هريرة وابن عبَّاس على مُخالَفة ابن عمر. وقد وَقَعَ في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في نَعْت عيسى: «أنَّه مَربُوعٌ إلى الحُمرة والبياض»، والله أعلم.

قوله: «واضعاً يَدَيه على مَنكِبَي رجُلَين» لم أقِفْ على اسمهما، وفي رواية مالك: «مُتَّكِئاً على عَواتق رجلين»، والعَواتق جمع عاتق: وهو ما بين المنكِب والعُنُق.

قوله: «قَطَطاً» بفتح القاف والمهمَلة بعدها مِثلُها، هذا هو المشهور، وقد تُكسَر الطاء الأولى، والمراد به شِدَّة جُعودة الشَّعر، ويُطلَق في وصف الرجل ويُراد به الذَّمّ، يقال: جَعدُ

اليدين وجَعدُ الأصابع، أي: بخيل، ويُطلَق على القصير أيضاً، وأمَّا إذا أُطلِقَ في الشَّعر فيَحتَمِل الذَّمَّ والمدح.

قوله: «كأشبَهِ مَن رأيتُ بابن قَطَن» بفتح القاف والمهمَلة، يأتي في الطَّريق التي تَلي هذه.

قوله: «تابَعَه عُبيد الله» يعني: ابنَ عمر العُمري **«عن نافع»** أي: عن ابن عمر، وروايته وَصَلَها أحمد (٤٩٤٨)، ومسلم (٢٩٣٢/ ١٠٠) من طريق أبي أُسامة ومحمَّد بن بِشر جميعاً عن عبد الله بن عمر في ذِكْر المسيح الدَّجّال فقط إلى قوله: «عِنَبة طافية» ولم يَذكُر ما بعده، وهذا يُشعِر بأنَّه يُطلِق المتابَعة ويريد أصل الحديث، لا جميعَ ما اشتَمَلَ عليه.

قوله: «حدَّثنا أحمد بن محمَّد المكِّي» هو الأزرَقي واسم جَدّه الوليد بن عُقْبة، ووَهِمَ مَن قال: إنَّه القَوّاس، واسم جدِّ القَوّاس: عَوْن.

قوله: «عن سالم» هو ابن عبد الله بن عمر.

قوله: «لا والله ما قال رسول الله ﷺ لعيسى: أحمر» اللّام في قوله: «لِعيسى» بمعنى «عن» وهي كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١]، وقد تقدَّم بيان الجمع بين ما أنكَرَه ابن عمر وأثبَتَه غيرُه، وفيه جواز اليمين على غَلَبة الظَّنّ، لأنَّ ابن عمر ظنَّ أنَّ الوصفَ اشتَبَهَ على الراوي، وأنَّ الموصوف بكَونِه أحمَرَ إنَّما هو الدَّجّال لا عيسى، وقَرَّب ذلك أنَّ كلًّا منهما يقال له: المسيح، وهي صفة مدح لعيسى وصفة ذَمٍّ للدَّجّال كما تقدَّم، وكأنَّ ابن عمر قد سمعَ سماعاً جَزماً في وصف عيسى أنَّه آدم، فساغَ له الحَلِفُ على ذلك لمَا غَلَبَ على ظنّه أنَّ مَن وَصَفَه بأنَّه أحمر واهمٌ.

قوله: «بَيْنا أنا نائم أطوف بالكَعْبة» هذا يدلُّ على أنَّ رُؤيتَه للأنبياءِ في هذه المَرَّة غير المَرَّة التي تقدَّمت في حديث أبي هريرة (٣٤٣٧)، فإنَّ تلكَ كانت ليلةَ الإسراء، وإن كان قد قيل في الإسراء: إنَّ جميعه مَنامٌ، لكن الصَّحيح أنَّه كان في اليَقَظَة، وقيل: كان مرَّتَين أو مِراراً كما سيأتي في مكانه، ومِثله ما أخرجه أحمد (١٠٨٣٠) من وجه آخر عن أبي هريرة رَفَعَه: «ليلة أُسريَ بي وَضَعتُ قَدَمي حيثُ يَضَع الأنبياء أقدامهم من بيت المَقدِس، فعُرِضَ عليَّ

عيسى ابن مريم» الحديث.

٦/٤٨٧ قال عياض: رُؤيا النبي ﷺ للأنبياءِ على ما ذُكِرَ في هذه الأحاديث/ إن كان مَناماً فلا إشكال فيه، وإن كان في اليَقِظَة ففيه إشكال. وقد تقدَّم في الحجّ (١٥٥٥).

ويأتي في اللِّباس (٥٩١٣) من رواية ابن عَون عن مجاهد عن ابن عبَّاس، في حديث الباب من الزّيادة: «وأمَّا موسى فرجل آدمُ جَعْدٌ، على جَمَل أحمرَ مَخطوم بخُلْبة، كأنّي أنظُر إليه إذا انحَدَرَ في الوادي» وهذا ممّا يزيد الإشكال. وقد قيل عن ذلك أجوبة:

أحدها: أنَّ الأنبياء أفضل من الشُّهَداء، والشُّهَداء أحياء عند ربّهم فكذلك الأنبياء، فلا يَبعُد أن يُصَلّوا ويَحُجّوا ويَتَقَرَّبوا إلى الله بما استَطاعوا، ما دامَت الدُّنيا وهي دارُ تكليف باقيةٌ.

ثانيها: أنَّه ﷺ أُري حالهم التي كانوا في حياتهم عليها فمُثِّلوا له كيف كانوا، وكيف كان حَجّهم وتَلبيتهم، ولهذا قال أيضاً في رواية أبي العاليَة عن ابن عبَّاس عند مسلم (١٦٦/ ٢٦٨): «كأنّي أنظُر إلى موسى... وكأنّي أنظُر إلى يونس...».

ثالثها: أن يكون أخبرَ عمَّا أوحي إليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم، فلهذا أدخَلَ حرف التَّشبيه في الرِّواية، وحيثُ أطلقَها فهي محمولة على ذلك، والله أعلم.

وقد جَمَعَ البيهقي كتاباً لطيفاً في «حياة الأنبياء في قُبورهم» أورَدَ فيه (٢) حديث أنس: «الأنبياء أحياء في قُبورهم يُصَلّونَ» أخرجه من طريق يحيى بن أبي بكير[1] ـ وهو من رجال الصَّحيح ـ عن المستَلم بن سعيد ـ وقد وثَّقه أحمد وابن حِبّان ـ عن الحجّاج الأسوَد ـ وهو ابن أبي زياد البصري، وقد وثَّقه أحمد وابن مُعين ـ عن ثابت عنه.

وأخرجه أيضاً أبو يَعلى في «مُسنَده» (٣٤٢٥) من هذا الوجه، وأخرجه البزّار (٦٨٨٨) لكن وقع عنده عن حَجّاج الصَّوّاف، وهو وهم، والصَّواب: الحجّاج الأسوَد، كما وَقَعَ التَّصريح به في رواية البيهقي (١) وصَحَّحَه البيهقي[2]، وأخرجه أيضاً من طريق الحسن

---

(١) تحرف في (أ) و(س) إلى: يحيى بن أبي كثير. والتصويب من (ع) موافقاً ما جاء في مطبوع الكتاب المذكور.

(٢) صححه البيهقي في غير كتابه المذكور، فيما نقله عنه ابن الملقن في «البدر المنير» ٥/ ٢٨٥، ووافقه عليه.

ابن قُتَيبة عن المستَلم، وكذلك أخرجه البزَّار (٦٨٨٨) وابن عَدي (٢/ ٣٢٧). والحسن بن قُتَيبة ضعيف.

وأخرجه البيهقي (٤) أيضاً من رواية محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أحد فقهاء الكوفة عن ثابت بلفظ آخر، قال: «إنَّ الأنبياء لا يُترَكونَ في قُبورهم بعد أربعينَ ليلة، ولكنَّهم يُصَلّونَ بين يَدَي الله حتَّى يُنفَخ في الصّوَر». ومحمَّد سَيِّئ الحِفظ.

وذكر الغَزالي ثمَّ الرّافعي حديثاً مرفوعاً: «أنا أكرَم على ربّي من أن يَترُكني في قبري بعد ثلاث ولا أُصَلّي له» إلّا إن أُخِذَ من رواية ابن أبي ليلى هذه، وليس الأخذ بجيِّدٍ لأنَّ رواية ابن أبي ليلى قابلة للتّأويلِ، قال البيهقي: إن صَحَّ فالمراد أنَّهم لا يُترَكونَ يُصَلّونَ إلّا هذا المِقدار، ثمَّ يكونونَ مُصَلّينَ بين يَدَي الله.

قال البيهقي: وشاهد الحديث الأوَّل ما ثَبَتَ في «صحيح مسلم» (٢٣٧٥/ ١٦٤) من رواية حمَّاد بن سَلَمَةَ عن ثابت[1] عن أنس رَفَعَه: «مَرَرت بموسى ليلة أُسري بي عند الكَثيب الأحمر، وهو قائم يُصَلّي في قبره»، وأخرجه أيضاً (٢٣٧٥/ ١٦٥) من وجه آخر عن أنس.

فإن قيل: هذا خاصّ بموسى، قلنا: قد وَجَدْنا له شاهداً من حديث أبي هريرة، أخرجه مسلم أيضاً (١٧٢) من طريق عبد الله بن الفضل عن أبي سَلَمَةَ عن أبي هريرة رَفَعَه: «لقد رأيتني في الحِجر وقريش تسألني عن مَسْراي» الحديث وفيه: «وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يُصَلّي، فإذا رجل ضَرْب[2] جَعْد كأنَّه» وفيه: «وإذا عيسى ابن مريم قائم يُصَلّي، أقرب الناس به شَبَهاً عُرْوة بن مسعود، وإذا إبراهيم قائم يُصَلّي، أشبَهُ الناس به صاحبُكم، فحانَت الصلاة فأمَمتُهم».

قال البيهقي: وفي حديث سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة: أنَّه لقيَهم ببيتِ المَقدِس[3]،

---

(١) وقرن به سليمان التيمي.

(٢) قال ابن الأثير: الضرب: الخفيف اللحم الممشوق المُستَدِقُّ.

(٣) كذا نقل الحافظ عن البيهقي، مع أنَّ الذي في «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٣٨٨ وكذا في جزء «حياة الأنبياء» له، أنَّه قال: في حديث ابن المسيب أنه لقيهم ببيت المقدس. فلم يذكر أبا هريرة، وهذا هو =

فحَضَرَت الصلاة فأمَّهم نبيُّنا ﷺ، ثمَّ اجتَمَعوا في بيت المَقدِس. وفي حديث أبي ذرٍّ[١] ومالك بن صَعصَعة[٢] في قصَّة الإسراء: أنَّه لَقِيَهم بالسماوات، وطرق ذلك صحيحة، فيُحمَل على أنَّه رأى موسى قائماً يُصَلِّي في قبره، ثمَّ عُرِجَ به هو ومن ذُكِرَ من الأنبياء إلى السَّماوات، فلَقِيهم النبي ﷺ، ثمَّ اجتَمَعوا في بيت المَقدِس، فحَضَرَت الصلاة، فأمَّهم نبيُّنا ﷺ. قال: وصلاتهم في أوقات مُختَلِفة، وفي أماكن مُختَلِفة لا/ يَرُدّه العقل، وقد ثَبَتَ به النَّقل، فدَلَّ ذلك على حياتهم. ٦/٤٨٨

قلت: وإذا ثَبَتَ أنَّهم أحياء من حيثُ النَّقل، فإنَّه يُقوِّيه من حيثُ النَّظَر كَون الشُّهَداء أحياء بنَصِّ القرآن، والأنبياء أفضل من الشُّهَداء.

ومن شواهد الحديث ما أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رَفَعَه، وقال فيه: «وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبلُغني حيثُ كنتُم» سنده صحيح، وأخرجه أبو الشَّيخ في كتاب «الثَّواب» بسند جيِّد[٣] بلفظ: «مَن صَلَّى عليَّ عند قبري سمعته، ومَن صَلَّى عليَّ نائياً بُلِّغتُه».

وعند أبي داود (١٠٤٧) والنَّسائي (١٣٧٤) وصَحَّحَه ابن خُزَيمةَ (١٧٣٣) وغيره عن أوس بن أوس رَفَعَه في فضل يوم الجمعة: «فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضةٌ عليَّ» قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَض صلاتُنا عليك وقد أرِمْتَ؟ قال: «إنَّ الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكُل أجساد الأنبياء»[٤].

= الصحيح، لأنَّ يونس بن بكير قد روى هذا الخبر في زياداته على «السيرة» لابن إسحاق (٤٦٣) من طريق ابن المسيب مرسلاً، بذكر قصة إمامته ﷺ بالأنبياء. وهو في الصحيحين من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة لكن دون ذكر الصلاة بالأنبياء.

(١) سلف حديثه عند البخاري برقم (٣٤٩).

(٢) سيأتي حديثه بطوله برقم (٣٨٨٧).

(٣) الحديث أخرجه أيضاً البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٨٣)، وفي «حياة الأنبياء» له (١٨)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٦٦)، ومداره على محمد بن مروان السُّدِّي وهو ضعيف جداً، فلا يكون إسناده جيداً!

(٤) وهو في «مسند أحمد» (١٦١٦٢)، وانظر تمام تخريجه فيه.

ومِمَّا يُشكِل على ما تقدَّم ما أخرجه أبو داود (٢٠٤١) من وجه آخر عن أبي هريرة رَفَعَه: «ما من أحد يُسلِّم عليَّ إلّا رَدَّ اللهُ عليَّ روحي حتَّى أَرُدَّ عليه السلامَ» ورواته ثِقات. ووجه الإشكال فيه أنَّ ظاهره أنَّ عَوْد الرّوح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه، وهو الموت، وقد أجابَ العلماء عن ذلك بأجوبةٍ:

أحدها: أنَّ المراد بقوله: «رَدَّ الله عليَّ روحي» أنَّ رَدَّ روحه كانت سابقة عَقِب دفنه، لا أنَّها تُعاد ثمَّ تُنزَع ثمَّ تُعاد.

الثّاني: سَلَّمْنا، لكن ليس هو نَـزْع موتٍ، بل لا مَشَقَّة فيه.

الثّالث: أنَّ المراد بالرّوحِ المَلَك الموكَّل بذلك.

الرّابع: المراد بالرّوحِ النُّطق، فتجوَّزَ فيه من جِهَة خِطابنا بها نَفهَمه.

الخامس: أنَّه يَستَغرِق في أُمور الملأ الأعلى، فإذا سُلِّمَ عليه رَجَعَ إليه فهمُه ليُجيبَ مَن سَلَّمَ عليه. وقد استُشكِلَ ذلك من جِهَة أُخرى، وهو أنَّه يَستَلزِم استغراق الزَّمان كلّه في ذلك لاتِّصال الصلاة والسَّلام عليه في أقطار الأرض ممَّن لا يُحصى كَثْرةً، وأُجيبَ بأنَّ أُمور الآخرة لا تُدرَك بالعقلِ، وأحوال البَرزَخ أشبَهُ بأحوال الآخرة، والله أعلم.

قوله: «**سَبِط الشَّعر**» تقدَّم ما فيه.

قوله: «**يُهادَى**» أي: يمشي مُتَمايِلاً بينهما.

قوله: «**يَنْطِف**» بكسر الطاء المهمَلة، أي: يَقطُر، ومنه النُّطفة، كذا قال الدّاوودي، وقال غيرُه: النُّطفة: الماء الصّافي.

وقوله: «**أو يُهَراق**» هو شَكٌّ من الراوي.

قوله: «**أعْوَر عينِه اليُمْنى**» كذا هو بالإضافة، و«عينِه» بالجرِّ للأكثر، وهو من إضافة الموصوف إلى صِفَته، وهو جائزٌ عند الكوفيينَ، وتقديره عند البصريينَ: عين صَفْحة وجهه اليُمنى، ورواه الأَصِيلي: «عينُه» بالرفع، كأنَّه وَقَفَ على وصفه أنَّه أعوَرُ، وابتَدَأَ الخبر عن صفة عينه، فقال: عينه كأنَّها كذا، وأبرَزَ الضَّمير، وفيه نظر، لأنَّه يصير كأنَّه قال: عينه كأنَّ

عينه، ويحتمل أن يكون رُفِعَ على البدل من الضَّمير في «أعوَر» الرّاجِع على الموصوف، وهو بدل بعض من كلٍّ.

وقال السُّهَيلي: لا يجوز أن يَرتَفِع بالصِّفة كما تَرفَع الصِّفةُ المشَبَّهَةُ باسم الفاعل، لأنَّ أعوَر لا يكون نَعتاً إلّا لمذكَّرٍ، ويجوز أن تكون «عينه» مُرتَفِعةً بالابتداءِ وما بعدها الخبر، وقوله: «كأنَّ عِنَبَةً طافيةً» بالنَّصبِ على اسم كأنَّ، والخبر محذوف تقديره: كأنَّ في وجهه، وشاهده قول الشّاعر[1]:

إنَّ مَحَـــلًّا وإنَّ مُرتَحَـــلاً

أي: إنَّ لنا محَلًّا وإنَّ لنا مُرتَحلاً.

قوله: «كأنَّ عَيْنَه طافية» كذا للكُشْمِيهني، ولغيره: «كأنَّ عينه عِنَبَة طافية» وقد تقدَّم ضبطه قبلُ.

قوله: «وأقرَب النّاس به شَبَهاً ابنُ قَطَن، قال الزُّهْري» أي: بالإسناد المذكور «رَجُلٌ» أي: ابن قَطَن **«من خُزاعة هَلَكَ في الجاهلية»**. قلت: اسمه عبد العُزّى بن قَطَن بن عَمْرو بن جُندُب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن المصطَلِق، وأُمّه هالة بنت خُوَيلِد. أفادَه الدِّمياطي، قال: وقال ذلك أيضاً عن أكثَم بن أبي الجَوْن، وأنّه قال: يا رسول الله، هل يَضُرّني شَبَهُه؟ قال: «لا، أنتَ مسلم وهو كافر» حكاه عن ابن سعد.

والمعروف في الذي شَبَّهَ به ﷺ أكثَم[2]: عَمْرُو بن لُحَيّ جَدّ خُزاعة لا الدَّجّال، كذلك أخرجه أحمد[3] وغيره، وفيه دلالة على أنَّ قوله ﷺ: «إنَّ/ الدَّجّال لا يَدخُل المدينة ولا ٦/٤٨٩

(١) القائل هو الأعشى، انظر «ديوانه» القصيدة رقم (٣٥)، وهذا مطلعها، وعجزه:

وإن في الـــسَّفْر مـــا مـــضى مَهَـــلا

(٢) أقحم في (ع) و(س) بعد «أكثم» لفظة «بن»، وهو خطأ.

(٣) الذي في «المسند» (١٤٨٠٠) من حديث جابر بن عبد الله بذكر معبد بن أكثم الكعبي، وليس بذكر أكثم ابن أبي الجون، فأما الرواية التي فيها ذكر تشبيه عمرو بن لحي بأكثم بن أبي الجون فأخرجها ابنُ إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ١/ ٧٦، ومن طريقه البزار (٨٩٩١)، والطبري في «تفسيره» ٧/ ٨٦، وغيرهما، وأخرجه كذلك ابن حبان (٧٤٩٠) من طريق آخر.

مكَّة»[1]، أي: في زمن خروجه، ولم يُرِد بذلك نفيَ دخوله في الزَّمَن الماضي، والله أعلم.

٣٤٤٢- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني أبو سَلَمَةَ بن عبدِ الرحمن، أنَّ أبا هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أنا أَوْلَى الناسِ بابنِ مريمَ، والأنبياءُ أَوْلادُ عَلَّاتٍ، ليس بيني وبينَه نبيٌّ».

[طرفه في: ٣٤٤٣]

٣٤٤٣- حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ سِنانٍ، حدَّثنا فُلَيحُ بنُ سليمانَ، حدَّثنا هلالُ بنُ عليٍّ، عن عبدِ الرحمن بنِ أبي عَمْرةَ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أَوْلَى الناسِ بعيسى ابنِ مريمَ في الدُّنْيا والآخرةِ، والأنبياءُ إخْوةٌ لعَلَّاتٍ، أمَّهاتُهم شَتَّى، ودِينُهم واحدٌ».

الحديث الخامس: حديث أبي هريرة في ذِكْر عيسى ابن مريم، أورَدَه من ثلاثة طرق: طريقَين موصولَين، وطريقة مُعلَّقة.

قوله: «أنا أولى الناس بابن مريم» في رواية عبد الرحمن بن أبي عَمْرة عن أبي هريرة: «بعيسى ابن مريم في الدُّنيا والآخرة» أي: أخَصّ الناس به وأقرَبهم إليه، لأنَّه بَشَّرَ بأنَّه يأتي من بعده.

قال الكِرْماني: التَّوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [آل عمران:٦٨] أنَّ الحديثَ وارد في كَونه ﷺ مَتبوعاً، والآية واردة في كَونه تابعاً، كذا قال. ومَساق الحديث كَمَساق الآية فلا دليل على هذه التَّفرِقة. والحقّ أنَّه لا مُنافاة ليُحتاجَ إلى الجمع، فكما أنَّه أولى الناس بإبراهيم كذلك هو أولى الناس بعيسى، ذاكَ من جِهَة قوَّة الاقتِداء به، وهذا من جِهَة قوَّة قُرب العَهد به.

قوله: «والأنبياء أولاد عَلَّات» في رواية عبد الرحمن المذكورة: «والأنبياء إخوة لِعَلَّات» والعَلَّات بفتح المهمَلة: الضَّرائر، وأصله أنَّ مَن تزوَّجَ امرأة، ثمَّ تزوَّجَ أُخرى كأنَّه عَلَّ منها، والعَلَل: الشُّرب بعد الشُّرب، وأولاد العَلَّات: الإخوة من الأب وأُمَّهاتهم شَتَّى، وقد بيَّنه في رواية عبد الرحمن فقال: «أُمَّهاتهم شَتَّى ودينهم واحد» وهو من باب التَّفسير

(١) سلف عند المصنف برقم (١٨٨١).

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١] ومعنى الحديث: أنَّ أصل دينهم واحد، وهو التَّوحيد، وإن اختَلَفَت فُروع الشَّرائع، وقيل: المراد أنَّ أزمِنَتَهم مُختَلِفة.

قوله: «ليس بيني وبينه نبي» هذا أورَدَه كالشّاهِدِ لقوله: إنَّه أقرَب الناس إليه. ووقعَ في رواية عبد الرحمن بن آدم: «وأنا أولى الناس بعيسى، لأنَّه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ»[١].

واستُدِلَّ به على أنَّه لم يُبعَث بعد عيسى أحد إلّا نبينا ﷺ، وفيه نظر، لأنَّه وَرَدَ أنَّ الرُّسُل الثلاثة الذينَ أُرسِلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قِصَّتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى، وأنَّ جرجيس وخالد بن سِنان كانا نبيّين وكانا بعد عيسى، والجواب أنَّ هذا الحديث يُضَعِّف ما وَرَدَ من ذلك، فإنَّه صحيح بلا تَرَدُّد، وفي غيره مقال، أو المراد أنَّه لم يُبعَث بعد عيسى نبي بشَريعةٍ مُستَقِلَّة، وإنَّما بُعِثَ بعده مَن بُعِثَ بتقرير شَريعة عيسى، وقصَّة خالد بن سِنان أخرجها الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٥٩٨-٦٠٠) من حديث ابن عبَّاس، ولها طرق جمعتها في ترجمته في كتابي في الصَّحابة[٢].

٣٤٤٤- وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ، عن موسى بنِ عُقْبَةَ، عن صَفْوانَ بنِ سُلَيم، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ.

وحدَّثني عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «رَأى عيسى رجلاً يَسرِقُ، فقال له: أسَرَقْتَ؟ قال: كلَّا والله الذي لا إلهَ إلّا الله، فقال عيسى: آمَنْتُ بالله، وكَذَّبتُ عَيْنَيَّ».

الحديث السادس: حديث أبي هريرة: «رأى عيسى رجلاً يَسرِق» الحديث، أورَدَه من طريقَين موصولة ومُعلَّقة.

قوله: «وقال إبراهيم بن طَهْمان...» إلى آخره، وصلَه النَّسائي (٥٤٢٧) عن أحمد بن

---

(١) أخرجها أحمد (٩٢٧٠).

(٢) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة» ٢/ ٣٦٩-٣٧٣.

حفص بن عبد الله النَّيسابوري عن أبيه عن إبراهيم، وأحمد من شيوخ البخاري.

قوله: «كَلّا والذي لا إله إلّا الله» في رواية الكُشْميهَني: «إلّا هو»، وفي رواية ابن طَهْمان عند النَّسائي (٥٤٢٧): «فقال: لا والذي لا إله إلّا هو».

قوله: «وكذَّبْتُ عينَيَّ» بالتَّشديد على التَّثنية، ولبعضِهم بالإفراد، وفي رواية المُستَمْلي: «كذَبَتْ» بالتَّخفيفِ وفتح الموحَّدة، و«عيني» بالإفرادِ في مَحَلّ رفع، ووقعَ في رواية مسلم (٢٣٦٨/ ١٤٩): «وكذَّبت نفسي»، وفي رواية ابن طَهْمان: «وكذَّبت بَصري».

قال ابن التِّين: قال عيسى ذلك على المبالَغة في تصديق الحالف.

وأمَّا قوله: «وكذَّبت عيني» فلم يُرِد حقيقة التَّكذيب، وإنَّما أراد كذَّبت عيني في غير هذا. قاله ابن الجَوْزي، وفيه بُعد.

وقيل: إنَّه أراد بالتَّصديق والتَّكذيب ظاهر الحُكم لا باطن الأمر، وإلّا فالمشاهَدة أعلى اليقين، فكيف يُكذِّب عينَه ويُصدِّق قول المدَّعي؟ ويحتمل أن يكون رآه مَدّ يده إلى الشيء، فظَنَّ أنَّه تَناوَلَه، فلمَّا حَلَفَ له رَجَعَ عن ظنّه.

وقال القُرطُبي: ظاهر قول عيسى للرجلِ: «سَرَقت» أنَّه خبر جازم عمَّا فعَلَ الرجل من السَّرِقة، لكَونِه رآه أخَذَ مالاً من حِرز في خُفية. وقول الرجل: كَلّا، نفي لذلك، ثمَّ أكَّدَه باليمين، وقول عيسى: «آمَنت بالله وكذَّبت عينَيَّ» أي: صَدَّقت مَن حَلَفَ بالله، وكذَّبت ما ظَهَرَ لي من كَون الأخذ المذكور سَرِقة، فإنَّه/ يحتمل أن يكون الرجل أَخَذَ ما له فيه حَقّ، أو ما أَذِنَ له صاحبه في أخذه، أو أخَذَه ليقَلِّبه ويَنظُر فيه، ولم يَقصِد الغَصب والاستيلاء. قال: ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنَّما أراد استفهامه بقوله: «سَرَقت؟» وتكون أداة الاستفهام محذوفة، وهو سائغ كثير. انتهى. ٦/٤٩٠

واحتمال الاستفهام بعيد مع جَزمه ﷺ بأنَّ عيسى رأى رجلاً يَسرِق، واحتمال كَونه يَحِلّ له الأخذ بعيد أيضاً بهذا الجزم بعينِه، والأوَّل مأخوذ من كلام القاضي عياض، وقد تَعقَّبَه ابن القَيِّم في كتابه «إغاثة اللهفان» فقال: هذا تأويل مُتَكلَّف، والحقّ أنَّ الله كان في

قلبه أجَلّ من أن يَحلِف به أحد كاذِباً، فدارَ الأمر بين تُهمة الحالف وتُهمة بَصَره، فرَدَّ التُّهمة إلى بَصَره، كما ظنَّ آدم صِدق إبليس لمَّا حَلَفَ له أنَّه له ناصح. قلت: وليس بدونِ تأويل القاضي في التَّكَلُّف، والتَّشبيه غير مُطابق، والله أعلم.

واستُدِلَّ به على دَرء الحَدّ بالشُّبهَة، وعلى مَنع القضاء بالعلمِ، والرّاجِح عند المالكية والحَنابلة مَنعه مُطلَقاً، وعند الشّافعية جوازه إلّا في الحدود، وهذه الصّورة من ذلك، وسيأتي بَسطه في كتاب الأحكام (٧١٧٠) إن شاء الله تعالى.

٣٤٤٥- حدَّثنا الحُمَيديُّ، حدَّثنا سفيانُ، قال: سمعتُ الزُّهْريَّ يقول: أخبرني عُبيدُ الله ابنُ عبدِ الله، عن ابنِ عبَّاسٍ، سَمِعَ عمرَ ﷺ يقول على المِنْبر: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا تُطْرُوني كما أطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه».

٣٤٤٦- حدَّثنا محمَّدُ بنُ مُقاتِلٍ، أخبرنا عبدُ الله، أخبرنا صالحُ بنُ حَيٍّ: أنَّ رجلاً من أهلِ خُراسانَ قال للشَّعْبيِّ، فقال الشَّعْبيُّ: أخبَرني أبو بُرْدةَ، عن أبي موسى الأشعَرِيِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أدَّبَ الرجلُ أمَتَه فأحسنَ تأدِيبَها، وعَلَّمَها فأحسنَ تَعْلِيمَها، ثمَّ أعتَقَها فتزوَّجَها كان له أجْرانِ، وإذا آمَنَ بعيسى، ثمَّ آمَنَ بي فلَهُ أجْرانِ، والعبدُ إذا اتَّقَى ربَّه، وأطاعَ مَوَاليَه فلَهُ أجْرانِ».

٣٤٤٧- حدَّثنا محمَّدُ بنُ يوسفَ، حدَّثنا سفيانُ، عن المغيرةِ بنِ النُّعْمان، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُحشَرونَ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً» ثمَّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ «فأوَّلُ مَن يُكْسَى إبراهيمُ، ثمَّ يُؤْخَذُ برجالٍ من أصحابي ذاتَ اليَمين وذاتَ الشِّمالِ، فأقولُ: أصحابي، فيقال: إنَّهم لم يزالُوا مُرْتَدِّينَ على أعقابِهم منذُ فارَقْتَهم، فأقولُ كما قال العبدُ الصالحُ عيسى ابنُ مريمَ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾».

قال مُحَمَّدُ بنُ يوسفَ الفِرَبْريُّ: ذُكِرَ عن أبي عبدِ الله، عن قَبِيصةَ قال: هم المرتَدُّونَ الذين ارتَدُّوا على عَهْدِ أبي بكرٍ، فقاتَلَهم أبو بكرٍ ﷺ.

الحديث السابع: حديث ابن عبَّاس عن عمر، هو من رواية الصَّحابي عن الصَّحابي.

قوله: «لا تُطْروني» بضمِّ أوَّله، والإطراء: المدح بالباطلِ، تقول: أطرَيت فلاناً: مَدَحته فأفرَطت في مَدحه.

قوله: «كما أطْرَتِ النَّصارى ابن مريم» أي: في دَعْواهُم فيه الإلٰهية وغير ذلك، وهذا الحديث طَرَف من حديث السَّقيفة، وقد ساقَه المصنِّف مُطوَّلاً في كتاب المحاربين (٦٨٣٠)، وذكر منه قِطعاً مُتَفرِّقة فيما مضى (٢٤٦٢)، ويأتي التَّنبيه عليها في مكانها.

الحديث الثامن:

قوله: «أخبَرَنا عبد الله» هو ابن المبارَك.

قوله: «أنَّ رجلاً من أهل خُراسان قال للشَّعْبي، فقال الشَّعْبي» حَذَفَ السُّؤالَ، وقد بيَّنه في رواية حِبّان بن موسى عن ابن المبارَك فقال: إنَّ رجلاً من أهل خُراسان قال للشَّعبي: إنّا نقول عندنا: إنَّ الرجل إذا أعتَقَ أمّ ولده ثمَّ تزوَّجَها فهو كالرّاكِبِ بَدَنَتَه، فقال الشَّعبي، فذكره. أخرجه الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عنه.

قوله: «إذا أدَّبَ الرجل أمَته» يأتي الكلام عليه في النِّكاح (٥٠٨٣).

قوله: «وإذا آمَنَ الرجل بعيسى، ثمَّ آمَنَ بي فلَه أجْران» تقدّمت مباحث ذلك في كتاب العلم (٩٧) مُستَوفاةً، وفيه إشارة إلى أنَّه لم يكن بين عيسى وبين نبيِّنا ﷺ نبيّ، وقد تقدَّم البحث في ذلك قريباً[1].

قوله: «والعبد إذا اتَّقى ربّه...» إلى آخره، تقدَّمت الإشارة إليه في كتاب العِتق (٢٥٤٧).

الحديث التاسع: حديث ابن عبَّاس: «إنَّكم مَحشورونَ إلى الله حُفاةً»، الحديث، وسيأتي

(١) عند شرح الحديث (٣٤٤٢).

البحث فيه في أواخر الرِّقاق (٦٥٢٤)، والغرض منه ذِكْر عيسى ابن مريم في قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾.

قوله: «قال الفِرَبْري: ذُكِرَ عن أبي عبد الله» هو البخاري «عن قبيصَة» هو ابن عُقْبة أَحد شيوخ البخاري، أي: إنَّه حَمَلَ قوله: «من أصحابي» أي: باعتبار ما كان قبل الرِّدَّة لا أنَّهم ماتوا على ذلك، ولا شَكَّ أنَّ مَن ارتَدَّ سُلِبَ اسمَ الصُّحبة، لأنَّها نِسبة شريفة إسلامية، فلا يَستَحِقّها مَن ارتَدَّ بعد أنَّ اتَّصَفَ بها، وقد أخرجَ الإسماعيلي الحديث المذكور عن إبراهيم ابن موسى عن إسحاق عن قبيصَة عن سفيان الثَّوري به.

٤٩- نزولُ عيسى ابن مريمَ عليهما السلام

٣٤٤٨- حدَّثنا إسحاقُ، أخبرنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا أبي، عن صالحٍ، عن ابنِ شِهابٍ، أنَّ سعيدَ بنَ المسيِّبِ، سمعَ أبا هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيَدِه، لَيُوشِكَنَّ أن يَنزِلَ فيكمُ ابنُ مريمَ حَكَماً عَدْلاً، فيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الحَرْبَ، ويَفِيضَ المالُ حتَّى لا يقبلَه أحدٌ، حتَّى تكونَ السَّجْدةُ الواحدةُ خيراً مِن الدُّنيا وما فيها».

ثُمَّ يقول أبو هريرةَ: واقرؤوا إن شئتُم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]

٣٤٤٩- حدَّثنا ابنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن يونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن نافعٍ مولى أبي قَتادةَ الأنصاريِّ، أنَّ أبا هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كيفَ أنتم إذا نزلَ ابنُ مريمَ فيكم وإمامُكم مِنكم».

تابعَه عُقَيلٌ والأوزاعيّ.

٤٩١/٦ قوله: «نزول عيسى ابن مريم» يعني في آخر الزَّمان، كذا لأبي ذرٍّ بغير «باب»، وأثبتَه غيره. وذكر فيه المصنف حديثين عن أبي هريرة:

أحدهما: حديث: «والذي نفسي بيدِه لَيُوشِكَن أن يَنزِل فيكم ابن مريم» الحديث.

قوله: «حدَّثنا إسحاق» هو ابن إبراهيم المعروف بابن راهويه، وإنَّما جَزَمتُ بذلك مع تجويز أبي عليٍّ الجَيّاني أنَّ يكون هو أو إسحاق بن منصور، لتَعبيره بقوله: أخبرنا يعقوب ابن إبراهيم، لأنَّ هذه العِبارة يَعتَمِدها إسحاق بن راهويه كما عُرِفَ بالاستقراءِ من عادَته أنَّه لا يقول إلّا: أخبرنا، ولا يقول: حدَّثنا، وقد أخرج أبو نُعَيم في «المستَخرَج» هذا الحديث من مُسنَد إسحاق بن راهويه، وقال: أخرجه البخاري عن إسحاق.

قوله: «أخبَرَنا يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا أبي» هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف.

قوله: «والذي نفسي بيدِه» فيه الحَلِف في الخبر مُبالَغة في تأكيده.

قوله: «لَيُوشِكَن» بكسر المعجَمة، أي: لَيَقرُبَنّ، أي: لا بدَّ من ذلك سَريعاً.

قوله: «أن يَنزِل فيكم» أي: في هذه الأُمَّة، فإنَّه خِطاب لبعضِ الأُمَّة ممَّن لا يُدرِك نزولَه.

قوله: «حَكَماً» أي: حاكماً، والمعنى أنَّه يَنزِل حاكماً بهذه الشَّريعة، فإنَّ هذه الشَّريعة باقية لا تُنسَخ، بل يكون عيسى حاكماً من حُكّام هذه الأُمَّة. وفي رواية اللَّيث عن ابن شِهاب عند مسلم[1] (١٥٥/ ٢٤٢): «حَكَماً مُقسِطاً»، وله (١٥٥/ ٢٤٢) من طريق ابن عُيَينَةَ عن ابن شِهاب: «إماماً مُقسِطاً»[2]. والمقسِط: العادِل، بخِلاف القاسط: فهو الجائر.

ولأحمد (٩١٢١) من وجه آخر عن أبي هريرة: أَقرِئُوه من رسول الله ﷺ السَّلام، وعند أحمد (٢٤٤٦٧) من حديث عائشة: «ويَمكُث عيسى في الأرض أربعينَ سنة»[3]، وللطَّبَراني[4] من حديث عبد الله بن مُغَفَّل: «يَنزِل عيسى ابن مريم مُصَدِّقاً لمحمدٍ على مِلَّته».

قوله: «فيَكسِر الصَّليب، ويَقتُل الخِنزير» أي: يُبطِل دين النَّصرانية، بأن يَكسِر الصَّليب حقيقة، ويُبطِل ما تَزعُمه النَّصارى من تعظيمه.

---

(١) فاتَ الحافظ رحمه الله أن يعزوه للبخاري، فهو فيه بهذا الإسناد وبهذا اللفظ برقم (٢٢٢٢).

(٢) قال في روايته: «إماماً مقسطاً وحكماً عادلاً» فجمع بينهما.

(٣) وروي في مكثه أربعين سنة أيضاً في حديث أبي هريرة عند أحمد (٩٢٧٠)، وأبي داود (٤٣٢٤).

(٤) في «الأوسط» (٤٥٨٠). وروي أيضاً من حديث سمرة بن جندب عند أحمد برقم (٢٠١٥١).

ويُستَفاد منه تحريم اقتِناء الخِنزير، وتحريم أكله، وأنَّه نَجِس، لأنَّ الشيء المنتَفَع به لا يُشرَع إتلافه، وقد تقدَّم ذِكْر شيء من ذلك في أواخر البيوع (٢٢٢٢). ووقعَ للطَّبَراني في «الأوسط»[1] (١٣٤٢) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة: «فيَكسِر الصَّليب ويَقتُل الخِنزير والقِرد» زاد فيه: القِرد، وإسناده لا بأس به، وعلى هذا فلا يَصِحّ الاستدلال به على نَجاسة عين الخِنزير، لأنَّ القِرد ليس بنَجِسِ العين اتِّفاقاً، ويُستَفاد منه أيضاً تغيير المنكَرات وكسر آلةِ الباطل. ووَقَعَ في رواية عطاء بن ميناء عن أبي هريرة عند مسلم (١٥٥/ ٢٤٣): «ولَتذهبَن الشَّحناءُ والتَّباغُض والتَّحاسُد».

قوله: «ويَضَع الحرب» في رواية الكُشْمِيهني: «الجِزية»، والمعنى: أنَّ الدِّين يصير واحداً، فلا يبقى أحد من أهل الذِّمَّة يُؤَدّي الجِزية، وقيل: معناه أنَّ المال يَكثُر حتَّى لا يبقى مَن يُمكِن صَرفُ مالِ الجِزية له، فتُترَك الجِزية استغناءً عنها.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجِزية تقريرها على الكفّار من غير مُحاباة، ويكون كَثْرة المال بسَبَبِ ذلك. وتَعقَّبَه/ النَّوَوي وقال: الصَّواب أنَّ عيسى لا يقبل إلّا الإسلام. قلت: ويُؤيِّده أنَّ عند أحمد (٩١٢١) من وجه آخر عن أبي هريرة: «وتكون الدَّعوى واحدة»[2] قال النَّوَوي: ومعنى وضع عيسى الجِزية مع أنَّها مشروعة في هذه الشَّريعة أنَّ مشروعيتها مُقيَّدة بنزولِ عيسى لِمَا دَلَّ عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخٍ لحُكمِ الجِزية بل نبيُّنا ﷺ هو المبيِّن للنَّسخِ بقوله هذا.

٤٩٢/٦

قال ابن بَطّال: وإنَّما قَبِلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخِلاف زمن عيسى فإنَّه لا يُحتاج فيه إلى المال، فإنَّ المال في زَمَنه يَكثُر حتَّى لا يقبله أحد.

ويحتمل أن يقال: إنَّ مشروعية قَبُولها من اليهود والنَّصارى لِمَا في أيديهم من شُبهَة

---

(١) وهو أيضاً عند البزار كما في «الأحكام الكبرى» لعبد الحق الإشبيلي ٤/ ٥٨١، وعند أبي بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٨٢٤) من طرق عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. لكنه عند أبي بكر الشافعي غير مرفوع إلى النبي ﷺ، ومداره على عاصم بن بهدلة قد تفرد به.

(٢) وعند البزار أيضاً في من وجه آخر (٨٥٣٠)، بلفظ: «وتصير القبلةُ واحدة».

الكتاب، وتعلُّقهم بشرعٍ قديم بزَعمِهم، فإذا نزلَ عيسى عليه السلام زالَت الشُّبهَة بحصولِ مُعاينَته فيصيرونَ كَعَبَدة الأوثان في انقطاع حُجَّتهم وانكِشاف أمرهم، فناسَبَ أن يُعامَلوا مُعامَلَتهم في عَدَم قَبُول الجِزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً، والله أعلم.

قوله: «ويَفيض المال» بفتح أوَّله وكسر الفاء وبالضّادِ المعجَمة، أي: يَكثُر، وفي رواية عطاء بن مِيناء المذكورة: «ولَيَدعُوَنّ إلى المال فلا يقبله أحد» وسَبَب كَثرته نزول البَركات وتَوالي الخيرات بسَبَبِ العَدل وعَدَم الظُّلم، وحينئذٍ تُخرِج الأرض كُنوزها وتَقِلّ الرَّغَبات في اقتِناء المال لعِلمِهم بقُربِ الساعة.

قوله: «حتَّى تكون السَّجْدة الواحدة خيراً[1] من الدُّنْيا وما فيها» أي: أنَّهم حينئذٍ لا يَتقرَّبونَ إلى الله إلّا بالعبادة، لا بالتَّصَدُّقِ بالمال، وقيل: معناه أنَّ الناس يَرغَبونَ عن الدُّنيا حتَّى تكون السَّجدة الواحدة أَحَبّ إليهم من الدُّنيا وما فيها. وقد روى ابن مَرْدويه من طريق محمَّد بن أبي حفصة عن الزُّهري بهذا الإسناد في هذا الحديث: «حتَّى تكون السَّجدة واحدةً لله ربّ العالَمينَ»[2].

قوله: «ثمَّ يقول أبو هريرة: واقرَؤوا إن شئتُم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية» هو موصول بالإسناد المذكور، قال ابن الجَوزي: إنَّما تَلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مُناسَبتها لقوله: «حتَّى تكون السَّجدة الواحدة خيراً من الدُّنيا وما فيها» فإنَّه يشير بذلك إلى صلاح الناس وشِدَّة إيمانهم وإقبالهم على الخير، فهم لذلك يُؤثِرونَ الرَّكعة الواحدة على جميع الدُّنيا. والسَّجدة تُطلَق ويُراد بها الرَّكعة.

قال القُرطُبي: معنى الحديث أنَّ الصلاة حينئذٍ تكون أفضلَ من الصَّدَقة، لكَثْرة المال

---

(١) جاء في اليونينية والأصلين عندنا: «خير» بالرفع، وهو كذلك في رواية غير أبي ذر والأصيلي، حيث جاء في روايتهما بالنصب على الجادّة كما أثبتناه، وهو كذلك في (س)، والرفع موجه على أنَّ اسم «كان» هو ضمير الشأن المضمر، ويكون ما بعدها مرفوعاً بالابتداء والخبر. انظر «المقتضب» للمبرد ٤/ ٩٩-١٠٠.

(٢) وهو أيضاً بهذا اللفظ عند أبي بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٨٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (١٣٤٢).

إذ ذاكَ وعَدَم الانتِفاع به حتَّى لا يقبله أحد. وقوله في الآية: ﴿وَإِن﴾ بمعنى ما، أي: لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنَّصارى إذا نزلَ عيسى إلّا آمَنَ به، وهذا مَصير من أبي هريرة إلى أنَّ الضَّمير في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ وكذلك في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود على عيسى، أي: إلّا لَيُؤمِنَنّ بعيسى قبل موت عيسى، وبهذا جَزَمَ ابن عبَّاس فيما رواه ابن جَرِير (٦/ ١٨) من طريق سعيد بن جُبَير عنه، بإسنادٍ صحيح، ومن طريق أبي رَجَاء عن الحسن قال: قبل موت عيسى، والله إنَّه الآن لَحَيّ ولكن إذا نزلَ آمَنوا به أجمَعونَ. ونَقَلَه عن أكثر أهل العلم ورَجَّحَه ابن جَرِير وغيره.

ونَقَلَ أهل التَّفسير في ذلك أقوالاً أُخر، وأنَّ الضَّمير في قوله: «به» يعود لله أو لمحمَّد، وفي «موته» يعود على الكتابي على القولَين، وقيل: على عيسى.

وروى ابن جَرِير من طريق عِكْرمة عن ابن عبَّاس: لا يموت يهودي ولا نَصراني حتَّى يُؤمِن بعيسى، فقال له عِكْرمة: أرأيت إن خَرَّ من بيت، أو احتَرَقَ أو أكَلَه السَّبُع؟ قال: لا يموت حتَّى يُحرِّك شَفَتَيه بالإيمان بعيسى، وفي إسناده خُصَيفٌ، وفيه ضعف[1].

ورَجَّحَ جماعةٌ هذا المذهب بقراءة أُبيّ بن كعب: «إلّا لَيُؤمِنَنّ به قبل موتهم» أي: أهل الكتاب.

قال النَّوَوي: معنى الآية على هذا: ليس من أهل الكتاب أحد يَحضُره الموت إلّا آمَنَ عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى، وأنَّه عبد الله وابن أمته، ولكن لا يَنفَعه هذا الإيمان في تلكَ الحالة كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء:١٨] قال: وهذا المذهب أظهَر،/ لأنَّ الأوَّل يَخُصّ الكتابي الذي يُدرِك نزول عيسى، وظاهر القرآن عمومه في كلّ كتابي في زمن نزول عيسى وقبله. ٤٩٣/٦

(١) إنما أخرج الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١ نحو هذا اللفظ الذي ساقه الحافظ بتمامه، لكن من طريق السُّدِّي عن ابن عباس، وليس فيه خصيف، ولا عكرمة، ومنشأ هذا الوهم أنَّ الطبري أخرج بعض هذا ٦/ ٢٠ لكن عن خصيف عن عكرمة، دون ذكر ابن عباس.

قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الردّ على اليهود في زَعمهم أنّهم قَتَلُوه، فبيَّن الله تعالى كذِبهم وأنّه الذي يَقتُلهم، أو نزوله لدُنوِّ أجَله ليُدفَن في الأرض، إذ ليس لمخلوقٍ من التُّراب أن يموت في غيرها. وقيل: إنَّه دَعَا الله لمَّا رأى صفة محمَّد وأُمَّته أن يجعله منهم، فاستَجابَ الله دعاءَه وأبقاه حتَّى يَنزِل في آخر الزَّمان مُجَدِّداً لأمر الإسلام، فيوافق خروجَ الدَّجّال، فيَقتُله. والأوَّل أوجَه.

وروى مسلم (٢٩٤٠) من حديث ابن عمرو في مُدَّة إقامة عيسى بالأرضِ بعد نزوله أنّها سبعُ سنين، وروى نُعَيم بن حمَّاد في «كتاب الفتن» من حديث ابن عبَّاس[1]: أنَّ عيسى إذ ذاكَ يَتزوَّج في الأرض ويُقيم بها تِسعَ عشرةَ سنة. وبإسناد فيه مُبهَم (١٦٢٢) عن أبي هريرة: يُقيم بها أربعينَ سنة، وروى أحمد (٩٢٧٠) وأبو داود (٤٣٢٤) بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مِثله مرفوعاً[2]. وفي هذا الحديث: «يَنزِل عيسى عليه ثوبان مُمَصَّران فيَدُقّ الصَّليب، ويَقتُل الخِنزير، ويَضَع الجِزية، ويَدعُو الناس إلى الإسلام، ويُهلِكُ اللهُ في زمانه المِلَل كلَّها إلّا الإسلام، وتَقَع الأمَنة في الأرض حتَّى ترتَع الأُسود مع الإبل وتَلعَب الصِّبيان بالحيّات ـ وقال في آخره ـ: ثمَّ يُتَوفّى ويُصَلِّي عليه المسلمونَ». وروى أحمد (٧٢٧٣) ومسلم (١٢٥٢) من طريق حَنظَلَة بن عليّ الأسلَمي عن أبي هريرة: «لَيُهِلَّن ابن مريم بفَجِّ الرَّوحاء بالحجِّ والعمرة»[3] الحديث، وفي رواية لأحمد (٧٩٠٣) من هذا الوجه: «يَنزِل عيسى فيَقتُل الخِنزير، ويَمحَى الصَّليبَ، وتُجمَع له الصلاة، ويُعطي المالَ حتَّى لا يُقبَل، ويَضَع الخَراج، ويَنزِل الرَّوحاء، فيَحُجّ منها أو يَعتَمِر أو يجمعهما» وتَلَا أبو هريرة ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ﴾ الآية، قال حَنظَلَة: قال أبو هريرة: يُؤمِن به قبل موت عيسى.

(١) الذي في «الفتن» لنعيم (١٦١٦) عن يحيى بن سعيد العطار، عن سليمان بن عيسى قال: بلغني. ليس فيه ذكر ابن عباس.

(٢) وثبت ذلك أيضاً عن عائشة عند أحمد (٢٤٤٦٧).

(٣) كذا ساق الحافظ الرواية، وإنما الرواية: «حاجّاً أو معتمراً أو ليُثنِّيَنَّهما».

وقد اختُلِفَ في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران:٥٥] فقيل: على ظاهره، وعلى هذا فإذا نزلَ إلى الأرض ومَضَت المدَّة المقدَّرة له يموت ثانياً. وقيل: معنى قوله: ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ من الأرض، فعلى هذا لا يموت إلّا في آخر الزَّمان[١]. واختُلِفَ في عُمُره حين رُفِعَ فقيل: ابن ثلاث وثلاثينَ، وقيل: مئة وعشرينَ.

الحديث العاشر: قوله: «عن نافع مَوْلى أبي قَتَادةَ الأنصاري» هو أبو محمَّد بن عبّاس الأقرَع، قال ابن حِبّان: هو مولى امرأة من غِفار، وقيل له: مولى أبي قَتَادة، لملازمَتِه له[٢]. قلت: وليس له عن أبي هريرة في «الصَّحيح» سوى هذا الحديث الواحد.

قوله: «كيف أنتم إذا نزلَ ابن مريم فيكم وإمامكم مِنْكم» سقط قوله: «فيكم» من رواية أبي ذرٍّ[٣].

قوله: «تابَعَه عُقَيل والأوْزاعي» يعني: تابَعا يونس عن ابن شِهاب في هذا الحديث، فأمَّا مُتابَعة عُقَيل فوَصَلها ابن مَندَهْ في «كتاب الإيمان» (٤١٦) من طريق اللَّيث عنه، ولفظه مِثل سياق أبي ذرٍّ[٤] سواء، وأمَّا مُتابَعة الأوزاعي فوَصَلها ابن مَندَهْ أيضاً (٤١٣) وابن

---

(١) وهو الصحيح المتعين، قال الإمام الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة» - ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها - «ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»، ثم قال: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن بالذي يُميته ميتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأنَّ الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يُميتهم ثم يُحييهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ فتأويل الآية إذاً: قال الله لعيسى: يا عيسى، إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ، ومطهِّرك من الذين كفروا فجحدوا نبوَّتك.

(٢) الذي في «الثقات» لابن حبان ٥/ ٤٦٨: مولى عقيلة بنت طلق الغفارية، وهو الذي يقال له: نافع بن أبي نافع مولى أبي قتادة، نُسب إليه ولم يكن مولاه.

(٣) كذا قال الحافظ رحمه الله وتبعه العيني، مع أنه ليس في اليونينية أية إشارة إلى سقوط هذا الحرف عند أحدٍ من رواة الصحيح، فالله أعلم.

(٤) يعني أبا ذر الهروي.

حِبّان (٦٨٠٢)، والبيهقي في «البَعث»، وابن الأعرابي في «مُعجَمه» (٢٢٦١) من طرق عنه، ولفظه مِثل رواية يونس.

وقد أخرجه مسلم (١٥٥/ ٢٤٦) من طريق ابن أبي ذِئْب عن ابن شِهاب بلفظ: «وأَمَّكم منكم» قال الوليد بن مسلم: فقلت لابن أبي ذِئْب: إنَّ الأوزاعي حدَّثنا عن الزُّهْري فقال: «وإمامُكم منكم»؟ قال ابن أبي ذِئْب: أتدري ما أَمَّكم منكم؟ قلت: تُخبِرني، قال: فأَمَّكم بكتاب ربّكم[1]. وأخرجه مسلم (١٥٥/ ٢٤٥) من رواية ابن أخي الزُّهْري عن عَمّه بلفظ: «كيف بكم إذا نزلَ فيكم ابن مريم فأَمَّكم».

وعند أحمد (١٤٩٥٤) من حديث جابر في قصَّة الدَّجّال ونزول عيسى: «وإذا هم بعيسى، فيقال: تقدَّم يا روح الله، فيقول: ليتقدَّمْ إمامكم، فليُصَلِّ بكم».

ولابن ماجَهْ (٤٠٧٧) في حديث أبي أُمامةَ الطَّويل في الدَّجّال قال: «وجُلّهم - أي المسلمونَ - ببيتِ المَقدِس، وإمامهم رجل صالح قد تقدَّم ليصلّيَ بهم، إذ نزلَ عيسى ابن مريم، فرَجَعَ الإمام يَنكُص ليتقدَّم عيسى، فيَقِف عيسى بين كَتِفَيهِ[2] ثمَّ يقول: تقدَّم، فإنَّها لك أُقيمت».

وقال أبو الحسن[3] الآبُري[4] في «مناقب الشّافعي»: تَواتَرَت الأخبار/ بأنَّ المهدي من هذه الأُمَّة، وأنَّ عيسى يُصَلّي خَلفه، ذكر ذلك رَدّاً للحديث الذي أخرجه ابن ماجَهْ (٤٠٣٩) ٦/ ٤٩٤

(١) الذي في مسلم بزيادة: وسنة نبيكم ﷺ.

(٢) الذي في نسختنا المحققة من «سنن ابن ماجه»: «فيضع عيسى يده بين كتفيه».

(٣) وقع في (ع) قبل نسبة الآبُري كلمةٌ أخرى، كأنها نسبة أيضاً، لكننا لم نتبينها، ولم تظهر في (أ) لانطماس الورقة، وقد أُثبتت في (س) على أنها: الخسعي، والظاهر أنَّ هذه الكلمة محرفة عن «الحسين» مع سقوط لفظة «بن» بين أبي الحسن وبين الحسين، وتكون في الأصل: أبو الحسن بن الحسين، لأنَّ اسم هذا الرجل محمد بن الحسين الآبري السِّجزي، لا يُنسب إلاّ بهاتين النِّسبتين، فسِجْزي نسبة إلى سِجستان، ولهذا يقال له: السجستاني أيضاً، وآبري نسبة إلى آبُر إحدى قرى سجستان. وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٢٩٩، و«طبقات الشافعية الكبرى» ٣/ ١٤٧.

(٤) تحرفت في (س) إلى: الأبدي.

عن أنس وفيه: «ولا مَهدي إلّا عيسى».

وقال أبو ذرٍّ الهَرَوي: حدَّثنا الجَوزَقي عن بعض المتقدِّمينَ قال: معنى قوله: «وإمامكم منكم» يعني: أنَّه يَحكم بالقرآن لا بالإنجيل.

وقال ابن التِّين: معنى قوله: «وإمامكم منكم» أنَّ الشَّريعة المحمَّدية مُتَّصِلة إلى يوم القيامة، وأنَّ في كلّ قَرن طائفة من أهل العلم.

وهذا والذي قبله لا يُبيِّن كَونَ عيسى إذا نزلَ يكون إماماً أو مأموماً، وعلى تقدير أن يكون عيسى إماماً، فمعناه أنَّه يصير معكم بالجماعة من هذه الأُمَّة.

قال الطِّيبي: المعنى: يَؤُمّكم عيسى حال كَونه في دِينكم. ويُعكِّر عليه قوله في حديث آخر عند مسلم (١٥٦): «فيقال له: صَلِّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أُمَراء، تَكرِمةً لهذه الأُمَّة».

وقال ابن الجَوزي: لو تقدَّم عيسى إماماً لَوَقَعَ في النَّفس إشكال، ولَقيل: أتُراه تقدَّم نائباً أو مُبتَدِئاً شرعاً، فصلّى مأموماً لئلّا يَتَدَنَّس بغُبار الشُّبهَة وجهُ قوله: «لا نبيَّ بعدي».

وفي صلاة عيسى خَلف رجل من هذه الأُمَّة مع كَونه في آخر الزَّمان وقُرب قيام الساعة، دلالة للصَّحيحِ من الأقوال أنَّ الأرض لا تَخلو من قائم لله بحُجَّةٍ، والله أعلم.

٥٠- باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل

٣٤٥٠- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا أبو عَوانةَ، حدَّثنا عبدُ الملكِ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ، قال: قال عُقْبةُ بنُ عَمرٍو لحُذَيفةَ: ألا تُحَدِّثُنا ما سمعتَ من رسولِ الله ﷺ؟ قال: إنّي سمعتُه يقول: «إنَّ معَ الدَّجّال إذا خَرَجَ ماءً وناراً، فأمّا التي يَرَى الناسُ أنَّها النارُ فماءٌ باردٌ، وأمّا الذي يَرَى الناسُ أنّه ماءٌ باردٌ فنارٌ تُحرِقُ، فمَن أدرَكَ مِنكم فلْيَقَع في الذي يَرَى أنَّها نارٌ، فإنّه عَذْبٌ باردٌ».

[طرفه في: ٧١٣٠]

٣٤٥١- قال حُذَيفةُ: وسمعتُه يقول: «إنَّ رجُلاً كان فيمَن كان قبلَكم، أتاه المَلَكُ ليَقبِضَ

روحَه، فقيلَ له: هل عَمِلْتَ من خَيرٍ؟ قال: ما أعلَمُ، قيلَ له: انظُر، قال: ما أعلمُ شيئاً، غيرَ أنّي كنتُ أبايِعُ الناسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهم، فأُنظِرُ المُوسِرَ، وأتجاوَزُ عن المُعْسِرِ، فأدخَلَه الله الجنَّةَ».

٣٤٥٢- قال: وسمعتُه يقول: «إنَّ رجلاً حَضَرَه الموتُ، فلمَّا يَئِسَ مِن الحياةِ أَوْصَى أهلَه: إذا أنا مُتُّ فاجْمَعوا لي حَطَباً كثيراً وأَوْقِدوا فيه ناراً، حتَّى إذا أكَلَت لَحْمِي وخَلَصَتْ إلى عَظْمي، فامتُحِشَتْ، فخُذوها فاطْحَنوها، ثمَّ انظُروا يوماً رَاحاً فاذْرُوه في اليَمِّ، ففَعَلوا. فجَمَعَه اللهُ، فقال له: لِمَ فعلْتَ ذلك؟ قال: من خَشْيَتِكَ، فغَفَرَ الله لَه».

قال عُقْبةُ بنُ عَمرٍو: وأنا سمعتُه يقول ذاكَ، «وكان نَبّاشاً».

[طرفاه في: ٣٤٧٩، ٦٤٨٠]

٣٤٥٣، ٣٤٥٤- حدَّثنا بِشرُ بنُ محمَّدٍ، أخبرنا عبدُ الله، أخبرني مَعمَرٌ ويونسُ، عن الزُّهريِّ، قال: أخبرني عُبيدُ الله بنُ عبدِ الله، أنَّ عائشةَ وابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهم، قالا: لمَّا نُزِلَ برسولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَح خَمِيصةً على وجهِه، فإذا اغتَمَّ كَشَفَها عن وجهِه، فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ الله على اليهودِ والنَّصارَى، اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مَساجِدَ» يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا.

٣٤٥٥- حدَّثني محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن فُراتٍ القَزّاز، قال: سمعتُ أبا حازمٍ، قال: قاعَدْتُ أبا هريرةَ خمسَ سِنِينَ، فسمعتُه يُحدِّثُ عن النبيِّ ﷺ، قال: «كانت بنو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كلَّما هَلَكَ نبيٌّ خَلَفَه نبيٌّ، وإنَّه لا نبيَّ بعدي، وسَيكونُ خُلَفاءُ، فَيَكْثُرونَ» قالوا: فما تَأمُرُنا؟ قال: «فُوْا ببيعةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ، أعطُوهم حَقَّهم، فإنَّ اللهَ سائلُهم عمَّا استَرْعاهم».

٣٤٥٦- حدَّثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، حدَّثنا أبو غَسّانَ، قال: حدَّثني زيدُ بنُ أسلَمَ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن أبي سعيدٍ ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَن قبلكم شِبْراً بشِبْرٍ، وذِراعاً بذِراعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُموهُ»، قُلْنا: يا رسولَ الله، اليهودَ والنَّصارَى؟ قال النبيُّ ﷺ: «فمَنْ؟».

[طرفه في: ٧٣٢٠]

٣٤٥٧- حدَّثنا عِمْرانُ بنُ مَيسَرةَ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ، حدَّثنا خالدٌ، عن أبي قِلابةَ، عن أنسٍ ﷺ، قال: ذَكَروا النارَ والناقوسَ، فذَكَروا اليهودَ والنَّصارَى، فأُمِرَ بلالٌ أن يَشْفَعَ الأذانَ، وأن يوتِرَ الإقامةَ.

٣٤٥٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ يوسفَ، حدَّثنا سفيانُ، عن الأعمَشِ، عن أبي الضُّحَى، عن مَسْروقٍ، عن عائشةَ رضي الله عنها: كانت تَكْرَه أن يَجْعَلَ يدَهُ في خاصرَتِه، وتقولُ: إنَّ اليهودَ تَفْعَلُه.

تابَعَه شُعْبةُ، عن الأعمَش.

٣٤٥٩- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا الليثُ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «إنَّما أجَلُكم في أجَلِ مَن خَلا مِن الأُمَمِ ما بينَ صلاةِ العَصْرِ إلى مَغرِبِ الشمس، وإنَّما مَثَلُكم ومَثَلُ اليهودِ والنَّصارَى، كَرجلٍ استَعمَلَ عُمّالاً، فقال: مَن يَعْمَلُ لي إلى نِصْفِ النَّهار على قِيراطٍ قِيراطٍ؟ فعَمِلَتِ اليهودُ إلى نِصْفِ النَّهار على قِيراطٍ قِيراطٍ، ثمَّ قال: مَن يَعْمَلُ لي من نِصْفِ النَّهار إلى صلاةِ العَصْرِ على قِيراطٍ قِيراطٍ؟ فعَمِلَتِ النَّصارَى من نِصْفِ النَّهار إلى صلاةِ العَصْرِ على قِيراطٍ قِيراطٍ، ثمَّ قال: مَن يَعْمَلُ لي من صلاةِ العَصْرِ إلى مَغْرِبِ الشمس على قِيراطَين قِيراطَينِ؟ ألا فأنتمُ الذينَ تَعْمَلونَ مِن صلاةِ العَصْرِ إلى مَغرِبِ الشمس على قِيراطَين قِيراطَينِ، ألا لكمُ الأجْرُ مرَّتَينِ، فغَضِبَتِ اليهودُ والنَّصارَى، فقالوا: نحنُ أكثَرُ عملاً، وأقلُّ عطاءً! قال الله: هل ظَلَمْتُكم من حَقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنَّه فضلي أُعْطيه مَن شئتُ».

٣٤٦٠- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، عن عَمرٍو، عن طاووسٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: سمعتُ عمرَ ﷺ يقول: قاتَلَ اللهُ فلاناً، ألم يَعْلم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَعن الله اليهودَ، حُرِّمَت عليهم الشُّحومُ، فجَمَلوها فباعُوها».

تابَعَه جابرٌ وأبو هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ.

٣٤٦١- حدَّثنا أبو عاصمٍ الضَّحّاكُ بنُ مَخلَدٍ، أخبرنا الأوْزاعيُّ، حدَّثنا حسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ،

عن أبي كَبْشَةَ، عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «بَلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحَدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ، ومَن كَذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً، فلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَه مِن النار».

٣٤٦٢- حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، قال: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن صالحٍ، عن ابنِ شِهابٍ، قال: قال أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمن، إنَّ أبا هريرةَ ﷺ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اليهودَ والنَّصارَى لا يَصْبُغُونَ، فخالِفوهم».

[طرفه في: ٥٨٩٩]

٣٤٦٣- حدَّثنا محمَّدٌ، قال: حدَّثنا حَجّاجٌ، حدَّثنا جَرِيرٌ، عن الحسنِ، حدَّثنا جُنْدُبُ بنُ عبدِ الله في هذا المسجدِ، وما نَسِينا منذُ حدَّثنا، وما نَخْشَى أن يكونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ على النبيِّ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كان فيمَن كان قبلَكم رجلٌ به جُرْحٌ، فجَزِعَ فأخَذَ سِكِّيناً فحَزَّ بها يدَه، فما رَقَأَ الدَّمُ حتَّى ماتَ، قال الله عز وجَلّ: بادَرَني عبدي بنفسِه، حَرَّمْتُ عليه الجنَّةَ».

٤٩٦/٦ قوله: «باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل» أي: ذُرِّية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإسرائيلُ لَقَب يعقوب، أي: من الأعاجيب التي كانت في زمانهم، ذكر فيه أربعةً وثلاثين حديثاً:

الحديث الأول: وهو يَشتَمِل على ثلاثة أحاديث.

وقوله: «حدَّثنا موسى بن إسماعيل» هذا هو الصَّواب. ولبعضِهم: حدَّثنا مُسدَّد، بدل: موسى، وليس بصَواب، لأنَّ رواية مُسدَّد ستأتي في آخر هذا الباب موصولة، ورواية موسى مُعلَّقة من أجل كلمة اختلَفا فيها على أبي عَوَانة، وكلامُ أبي عليّ الغَسّاني يُوهِم أنَّ ذلك وَقَعَ هنا، وليس كذلك.

وقوله: «حدَّثنا عبد الملك» هو ابن عُمَير.

قوله: «قال عُقْبة بن عَمْرو» هو أبو مسعود الأنصاري المعروف بالبدْري.

قوله: «إنَّ مع الدَّجّال إذا خَرَجَ ماءً» الحديث يأتي الكلام عليه مُستَوفًى في كتاب الفتن (٧١٣٠)، والغرض منه هنا إيراد ما يَليه، وهو قصَّة الرجل الذي كان يُبايِع الناسَ، وقصَّة

الرجل الذي أوصَى بَنيهِ أن يُحرقوه.

فأمَّا قصَّة الذي كان يُبايِع الناس فقد أورَدَها أيضاً في أواخر هذا الباب من حديث أبي هريرة، وتقدَّم الكلام عليه في أثناء كتاب البيوع (٢٠٧٧).

وقوله في هذه الرِّواية: «كنتُ أُبايع الناس في الدُّنيا وأُجازيهم» أي: أُقاضيهم، والـمُجازاة: المقاضاة، أي: آخُذ منهم وأُعطي. ووَقَعَ في رواية الإسماعيلي: «وأُجازِفُهم» بالجيم/ والزّاي والفاء، وفي أُخرى بالمهمَلة والرّاء، وكلاهما تصحيف[1] لا يَظهَر، والله أعلم. ٦/٤٩٧

وأمَّا قصَّة الذي أوصى بَنيهِ أن يُحرقوه، فسيأتي الكلام عليها في أواخر هذا الباب حيثُ أورَدَه المصنِّف مُفرَداً (٣٤٧٩ و٣٤٨١) إن شاء الله تعالى.

قوله: «فامْتُحِشَت» بضمِّ المثنّاة وكسر المهمَلة بعدها مُعجَمة، أي: احتَرَقَت، ولبعضِهم بوَزنِ احتَرَقَتْ، وهو أشبَه.

وقوله: «ثمَّ انظُروا يوماً راحاً» أي: شديد الرِّيح.

قوله في آخره: «قال عُقْبة بن عَمْرو: وأنا سمعْتُه» يعني: النبي ﷺ **«يقول ذاكَ. وكان نَبّاشاً»** ظاهره أنَّ الذي سمعَه أبو مسعود هو الحديث الأخير فقط، لكن تَبيَّن من رواية شُعْبة عن عبد الملك بن عُمَير أنَّه سمعَ الجميع، فإنَّه أورَدَ في الفتن[2] قصَّة الذي كان يُبايِع الناس من حديث حُذَيفة، وقال في آخره: قال أبو مسعود: وأنا سمعته، وكذلك قال في حديث الذي أوصى بنيه، كما سيأتي في أواخر هذا الباب (٣٤٧٩).

وقوله: «وكان نَبّاشاً» ظاهره أنَّه من زيادة أبي مسعود في الحديث، لكن أورَدَه ابن حِبّان (٦٥١) من طريق رِبعي عن حُذَيفة قال: «تُوُفّيَ رجل كان نبّاشاً، فقال لولدِه: أحرِقوني» فدَلَّ على أنَّ قوله: «وكان نبّاشاً» من رواية حُذَيفة وأبي مسعود معاً.

---

(١) لا نظن ذلك تصحيفاً، فقد جاءت كذلك في رواية أحمد (٢٣٣٥٣)، ومردّ الأمر فيما يظهر إلى بيع الجزاف، وهو البيع والشراء من غير كيل ولا وزن، وفيه معنى السهولة.

(٢) بل في الاستقراض (٢٣٩١).

ووقَعَ في رواية للطَّبَراني[1] بلفظ: بينَما حُذَيفة وأبو مسعود جالِسَين، فقال أحدهما: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ رجلاً من بني إسرائيل كان يَنبُش القُبور» فذكره، وعُرِفَ منها وجه دخوله في هذا الباب.

الحديث الثاني: قوله: «لمَّا نُزِلَ» بضمٍّ أوَّله، وفي نُسخَة عند أبي ذرٍّ بفتحَتَين **«برسولِ الله ﷺ»** يعني: الموت، أو مَلَك الموت، ونَقَلَ النَّوَوي أنَّه في مسلم للأكثر بالضَّمِّ، وفي رواية بزيادة مُثنَّاة يعني: المنية، أورَدَه مختصراً، وقد تقدَّم بأتمّ من هذا السياق في الصلاة (٤٣٥ و٤٣٦). ويأتي شرحه في أواخر المغازي (٤٤٤١ و٤٤٤٣ و٤٤٤٤) إن شاء الله تعالى، والغرض منه ذَمّ اليهود والنَّصارى في اتِّخاذهم قُبورَ أنبيائهم مَساجِدَ، وعبد الله الذي في الإسناد: هو ابن المبارَك.

الحديث الثالث: قوله: «عن فُرَات القَزّاز» بِقاف وزايين مُعجَمَتَين، وهو فُرات، بضمِّ الفاء وتخفيف الرّاء آخره مُثنّاة، ابن عبد الرحمن، وأبو حازم: هو سَلمان الأشجَعي.

قوله: «تَسُوسُهم الأنبياء» أي: أنَّهم كانوا إذا ظَهَرَ فيهم فساد بَعَثَ الله لهم نبيّاً يُقيم لهم أمرهم، ويُزيل ما غَيَّروا من أحكام التَّوراة، وفيه إشارة إلى أنَّه لا بدَّ للرَّعية من قائم بأُمورها يَحمِلها على الطَّريق الحسنة، ويُنصِف المظلوم من الظّالم.

قوله: «وإنَّه لا نبي بعدي» أي: فيَفعل ما كان أولئكَ يَفعلونَ.

قوله: «وسَيكون خُلَفاء» أي: بعدي.

وقوله: «فيَكثُرونَ» بالمثلَّثة، وحَكَى عياض أنَّ منهم مَن ضَبَطَه بالموحَّدة، وهو تصحيف، ووُجِّهَ بأنَّ المراد إكبار قبيح فعلهم.

قوله: «فُوْا» فعل أمر بالوفاءِ، والمعنى: أنَّه إذا بويِعَ لخليفةٍ بعد خليفةٍ فبيعة الأوَّل صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثّاني باطلة.

قال النَّوَوي: سواء عَقَدوا للثّاني عالِمين بعَقدِ الأوَّل أم لا، سواء كانوا في بَلَد واحد

(١) في «الأوسط» (٣٦٦٥).

أو أكثر، سواء كانوا في بَلَد الإمام المنفَصِل أم لا، هذا هو الصَّواب الذي عليه الجمهور، وقيل: تكون لمن عُقِدَت له في بَلَد الإمام دون غيره، وقيل: يُقرَع بينهما. قال: وهما قولان فاسدان.

وقال القُرطُبي: في هذا الحديث حُكم بيعة الأوَّل، وأنَّه يجب الوفاء بها، وسَكَتَ عن بيعة الثّاني. وقد نَصَّ عليه في حديث عَرفَجة[1] في «صحيح مسلم» (١٨٥٢/ ٦٠) حيثُ قال: «فاضرِبوا عُنُق الآخر».

قوله: «**أعْطُوهم حقّهم**» أي: أطيعوهم وعاشِروهم بالسَّمع والطاعة، فإنَّ الله يُحاسبهم على ما يَفعلونَه بكم، وستأتي تَتِمَّة القول في ذلك في أوائل كتاب الفتن (٧٠٥٢).

قوله: «**فإنَّ الله سائلُهم عمّا استرْعاهم**» هو كحديث ابن عمر المتقدِّم (٨٩٣): «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مَسْؤولٌ عن رَعِيّته»، وسيأتي شرحه في كتاب الأحكام (٧١٣٨) إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث تقديم أمر الدّين على أمر الدُّنيا، لأنَّه ﷺ أمر بتَوْفية حَقّ السُّلطان لمَا فيه من إعلاء كلمة الدّين وكَفّ الفتنة والشرّ، وتأخير المرء المطالَبة بحَقّه لا يُسقِطه، وقد وعَدَه الله أنَّه يُخلِّصه ويُوفِّيه إياه، ولو في الدّار الآخرة.

٦/٤٩٨ **الحديث الرابع**:/ حديث أبي سعيد.

قوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ**» بضمِّ العين وتشديد النُّون «**سَنَن**» بفتح المهمَلة، أي: طريق «**مَن قبلكم**» أي: الذينَ قبلكم.

قوله: «**جُحْر**» بضمِّ الجيم وسكون الـمُهمَلة «**ضَبّ**» بفتح المعجَمة وتشديد الموحَّدة: دُوَيبَّة معروفة، يقال: خُصَّت بالذِّكرِ لأنَّ الضَّبّ يقال له: قاضي البَهائم. والذي يَظهَر أنَّ

---

(١) كذا قال الحافظ رحمه الله، وهو وهم منه، لأنَّ اللفظ المذكور إنما هو لعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو عند مسلم برقم (١٨٤٤)، وأما لفظ حديث عرفجة الذي عند مسلم برقم (١٨٥٢) فهو: «إنه ستكون هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فمن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

التَّخصيص إنَّما وقعَ لجُحرِ الضَّبّ لشِدَّة ضيقه ورَداءَته، ومع ذلك فإنَّهم لاقتِفائهم آثارَهم واتِّباعهم طَرائقَهم، لو دخلوا في مِثل هذا الضَّيِّق الرَّديء لَوافقوهم[1].

قوله: «قال النبي ﷺ: فمَن؟!» هو استفهام إنكاري، أي: ليس المراد غيرهم، وسيأتي بقيَّة الكلام على هذا الحديث في كتاب الاعتصام (٧٣٢٠).

الحديث الخامس: حديث أنس: ذَكَروا النار والناقوس، الحديث، أورَدَه مختصراً، وقد مضى شرحه تامّاً في كتاب الصلاة[2].

الحديث السادس: حديث عائشة: كانت تَكرَه أن يجعل يده في خاصرَته، وتقول: إنَّ اليهودَ تَفعله. في رواية أبي نُعَيم من طريق أحمد بن الفُرات عن محمَّد بن يوسف شيخ البخاري فيه بلفظ: أنَّها كَرِهَت الاختصار في الصلاة، وقالت: إنَّما يَفعل ذلك اليهود، ووقعَ عند الإسماعيلي من طريق يزيد بن هارون عن سفيان، وهو الثَّوري، بهذا الإسناد: يعني وضع اليد على الخاصرة في الصلاة، وقد تقدَّم البحث في هذه المسألة في أواخر الصلاة في الكلام على حديث أبي هريرة (١٢١٩): نُهي عن الخَصر في الصلاة.

قوله: «تابَعَه شُعْبة عن الأعْمَش» وصلَه ابن أبي شَيْبة من طريقه[3].

الحديث السابع: حديث ابن عمر: «مَثَلكم ومَثَل اليهود والنَّصارى كَرجلٍ استعملَ عُمّالاً» الحديث، تقدَّم شرحه مُستَوفًى في كتاب الصلاة (٥٥٧).

الحديث الثامن: حديث عمر: قاتَلَ الله فلاناً أورَدَه مختصراً، وقد تقدَّم تامّاً في كتاب البيوع في أواخره (٢٢٢٣) مع شرحه.

قوله: «تابَعَه جابر وأبو هريرة عن النبي ﷺ» يعني: في تحريم شُحوم الميتة دون القصَّة، فأمَّا حديث جابر فوصلَه المصنِّف في أواخر البيوع (٢٢٣٦)، وفيه غير ذلك، وتقدَّم شرحه هناك.

---

(١) في (س): لتبعوهم.

(٢) بل في كتاب الأذان برقم (٦٠٣).

(٣) الأثر عند ابن أبي شيبة ٢/ ٤٧ عن وكيع عن الأعمش، وليس عن شعبة عن الأعمش.

وأمّا حديث أبي هريرة فوصلَه المصنِّف في أواخر البيوع أيضاً (٢٢٢٤) من طريق سعيد بن المسيّب عنه.

الحديث التاسع: قوله: «عن أبي كَبْشَة» يعني السَّلُوليّ، تقدَّم ذِكْره في كتاب الهِبة (٢٦٣١) في حديث آخر، وليس له في البخاري سوى هذين الحديثَين.

قوله: «بَلِّغوا عنِّي ولو آية» قال الـمُعافَى النَّهْرواني في «كتاب الجَليس» له: الآية في اللُّغة تُطلَق على ثلاثة مَعانٍ: العلامة الفاصلة، والأُعجوبة الحاصلة، والبَليَّة النازلة. فمِن الأوّل قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[آل عمران:٤١]، ومن الثّاني: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [آل عمران:٤٩] ومن الثّالث: جَعَلَ الأمير فلاناً اليوم آية. قال: ويَجمَع بين هذه المعاني الثلاثة أنَّه قيل لها: آية، لدلالتِها وفَصلها وإبانَتها. وقال في الحديث: «ولو آية» أي: واحدة ليسارع كلّ سامع إلى تَبليغ ما وقعَ له من الآي ولو قَلَّ، ليتَّصِل بذلك نَقلُ جميع ما جاء به ﷺ. انتهى كلامه.

قوله: «وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج» أي: لا ضَيق عليكم في الحديث عنهم، لأنَّه كان تقدَّم منه ﷺ الزَّجر عن الأخذ عنهم، والنَّظَر في كُتُبهم[1]، ثمَّ حَصَلَ التَّوسُّع في ذلك، وكأنَّ النَّهي وَقَعَ قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدِّينية، خَشية الفتنة، ثمَّ لمَّا زالَ المحذور وقعَ الإذن في ذلك لِـمَا في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.

وقيل: معنى قوله: «لا حَرَج»: لا تَضيق صُدوركم بما تَسمَعونَه عنهم من الأعاجيب، فإنَّ ذلك وقعَ لهم كثيراً، وقيل: لا حَرَج في أنَّ لا تُحَدِّثوا عنهم، لأنَّ قوله أوَّلاً: «حَدِّثوا» صيغة أمر تَقتَضي الوجوب، فأشارَ إلى عَدَم الوجوب، وأنَّ الأمر فيه للإباحة بقوله: «ولا حَرَج» أي: في تَرك التَّحديث عنهم. وقيل: المراد رفع الحَرَج عن حاكي ذلك لِـمَا في أخبارهم من الألفاظ الـمُستبشَعة، نحو قولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾[المائدة:٢٤] وقولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨] وقيل: المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل

(١) انظر لزاماً كلام الحافظ وما ساقه من الأحاديث في ذلك عند شرح الباب (٥٥) قبل الحديث (٧٥٥٣).

نفسه، وهم أولاد يعقوب، والمراد حَدِّثوا عنهم بِقِصَّتِهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعَد الأوجُه.

وقال مالك: المراد جواز التَّحدُّث عنهم/ بما كان من أمرٍ حسن، أمَّا ما عُلمَ كذِبه فلا. ٤٩٩/٦ وقيل: المعنى حَدِّثوا عنهم بمِثلِ ما وَرَدَ في القرآن والحديث الصَّحيح. وقيل: المراد جواز التَّحدُّث عنهم بأيِّ صورة وقعَت من انقطاع أو بَلاغ لتعذُّرِ الاتِّصال في التَّحدُّث عنهم، بخِلاف الأحكام الإسلامية، فإنَّ الأصل في التَّحدُّث بها الاتِّصال، ولا يَتعذَّر ذلك لقُربِ العَهد.

وقال الشّافعي: من المعلوم أنَّ النبي ﷺ لا يُجيز التَّحدُّث بالكذِبِ، فالمعنى: حَدِّثوا عن بني إسرائيل بما لا تَعلَمونَ كذِبه، وأمَّا ما تُـجَوِّزونَه فلا حَرَج عليكم في التَّحدُّث به عنهم، وهو نَظِير قوله: «إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تُصَدِّقوهم ولا تُكذِّبوهم»[1]، ولم يَرِدِ الإذن ولا المنع من التَّحدُّث بما يُقطَع بصِدقِه.

قوله: «ومَن كذَبَ عليَّ مُتَعَمِّداً» تقدَّم شرحه مُستَوفًى في كتاب العلم (١٠٧)، وذكرت عَدَد مَن رواه، وصفة مَخارجه بما يُغني عن الإعادة. وقد اتَّفَقَ العلماء على تَغليظ الكذِب على رسول الله ﷺ وأنَّه من الكَبائر، حتَّى بالَغَ الشَّيخ أبو محمَّد الـجُوَيني فحَكَمَ بكفرِ مَن وقعَ منه ذلك، وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يَميل إليه.

وجَهِلَ مَن قال من الكَرّامية وبعض المتزهِّدة: إنَّ الكذِب على النبي ﷺ يجوز فيما يَتعلَّق بتَقوية أمر الدّين، وطريقة أهل السُّنَّة والتَّرغيب والتَّرهيب، واعتلّوا بأنَّ الوعيد وَرَدَ في حَقِّ مَن كذَبَ عليه لا في الكذِب له، وهو اعتلال باطل، لأنَّ المراد بالوعيد مَن نَقَلَ عنه الكذِب سواء كان له أو عليه، والدّين بحَمدِ الله كامل غير مُحتاج إلى تقويةٍ بالكذِب.

الحديث العاشر: قوله: «إنَّ اليهود والنَّصارى لا يَصْبُغونَ فخالفوهم» يقتضي مشروعية الصَّبغ، والمراد به صَبغ شَيب اللِّحية والرَّأس، ولا يعارضه ما وَرَدَ من النَّهي عن إزالة

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥)، وأبو داود (٣٦٤٤).

الشَّيب، لأنَّ الصَّبغ لا يقتضي الإزالة. ثمَّ إنَّ المأذون فيه مُقيَّد بغير السَّواد، لمَا أخرجه مسلم (٢١٠٣/ ٧٩) من حديث جابر أنَّه ﷺ قال: «غَيِّروه وجَنِّبوه السَّواد»، ولأبي داود (٤٢١٢)[1] وصَحَّحَه ابن حِبّان[2] من حديث ابن عبَّاس مرفوعاً: «يكون قوم في آخر الزَّمان يخضِبونَ كَحَواصل الحَمام، لا يَجِدونَ ريح الجنَّة» وإسناده قوي، إلّا أنَّه اختُلِفَ في رفعه ووَقفه، وعلى تقدير ترجيح وقفه، فمِثله لا يقال بالرَّأيِ، فحُكمه الرفع.

ولهذا اختارَ النَّوَوي أنَّ الصَّبغ بالسَّوادِ يُكرَه كَراهية تحريم. وعن الحَلِيمي: أنَّ الكراهة خاصَّة بالرِّجال دون النِّساء، فيجوز ذلك للمرأة لأجلِ زوجها. وقال مالك: الحِنّاء والكَتَم واسع، والصَّبغ بغير السَّواد أحَبّ إليَّ. ويُستَثنى من ذلك المجاهد اتِّفاقاً.

وليس المراد بالصَّبغِ في هذا الحديث صَبغ الثِّياب، ولا خَضب اليدين والرِّجلَين بالحِنّاءِ مثلاً، لأنَّ اليهود والنَّصارى لا يَترُكونَ ذلك، وقد صَرَّحَ الشّافعية بتحريمِ لُبس الثِّياب المزَعفَرة للرجلِ، وبتحريمِ خَضب الرِّجال أيديَهم وأرجُلَهم إلّا للتَّداوي، وسيأتي بَسط القول في ذلك في كتاب اللِّباس (٥٨٩٩) إن شاء الله تعالى.

الحديث الحادي عشر: قوله: «حدَّثنا محمَّد» هو ابن مَعمَر، نَسَبَه ابن السَّكَن عن الفِرَبْري، وقيل: هو الذُّهْلي.

قوله: «حدَّثنا حَجّاج» هو ابن مِنهال، وجَرِير: هو ابن حازم، والحسن: هو البصري.

قوله: «في هذا المسجد» هو مسجد البَصرة.

قوله: «وما نَسينا منذُ حدَّثنا» أشارَ بذلك إلى تَحقُّقِه لمَا حدَّث به، وقُرب عَهْده به، واستمرار ذِكْره لَه.

قوله: «وما نَخشى أن يكون جُنْدُبٌ كذَبَ» فيه إشارة إلى أنَّ الصَّحابة عُدول، وأنَّ

---

(١) وهو أيضاً عند النسائي (٥٠٧٥).

(٢) كذا عزاه الحافظ هنا لابن حبان، وأنه صححه، مع أنه لم يَعزُه إليه هو نفسه في «إتحاف المهرة» (٧٦٥٦)، بل اقتصر على عزوه لأحمد، وقد صححه الضياء المقدسي في «مختارته» (٢٤٤)، والذهبي في «تلخيص كتاب الموضوعات» (٧١٢).

الكذِب مأمونٌ مِن قِبَلهم، ولا سيَّما على النبي ﷺ.

قوله: «كان فيمَن كان قبلكم رجل» لم أقِفْ على اسمه.

قوله: «به جُرْح» بضمِّ الجيم وسكون الرّاء بعدها مُهمَلة، وتقدَّم في الجنائز (١٣٦٤) بلفظ: «به جِراح» وهو بكسر الجيم، وذكره بعضهم بضمِّ المعجَمة وآخره جيم، وهو تصحيف، ووقعَ في رواية مسلم (١١٣/ ١٨٠): «أنَّ رجلاً خَرَجَت به قَرْحة» وهي بفتح القاف وسكون الرّاء: حَبَّة تَخرُج في البَدَن، وكأنَّه كان به جُرح، ثمَّ صارَ قَرحةً.

قوله: «فجَزِعَ» أي: فلم يَصبِر على ألَم تلكَ القَرحة.

قوله: «فأخَذَ سِكِّيناً فحَزَّ بها يَده» السِّكِّين تُذكَّر وتُؤنَّث، وقوله: «حَزَّ» بالحاءِ المهمَلة والزّاي: هو القطع بغير/ إبانة، ووقعَ في رواية مسلم: «فلمَّا آذَتْه انتَزَعَ سهماً من كِنانَته ٦/ ٥٠٠ فنَكأها» وهو بالنّونِ والهمز، أي: نَخَسَ موضع الجُرح، ويُمكِن الجمع بأن يكون فجَرَ الجُرحَ بذُبابة السَّهم، فلم يَنفَعه فحَزَّ موضعه بالسِّكِّينِ، ودَلَّت رواية البخاري على أنَّ الجُرح كان في يَده.

قوله: «فما رَقَأَ الدَّمُ» بالقاف والهمز، أي: لم يَنقَطِع.

قوله: «قال الله عزَّ وجلَّ: بادَرَني عبدي بنفسِه» هو كِناية عن استعجال المذكورِ الموتَ، وسيأتي البحث فيه.

وقوله: «حَرَّمت عليه الجنَّة» جارٍ مَجرى التَّعليل للعُقوبة، لأنَّه لمَّا استَعجَلَ الموت بتَعاطي سببه من إنفاذ مقاتله فجَعَلَ له فيه اختياراً عَصى اللهَ به، فناسَبَ أن يُعاقبه. ودَلَّ ذلك على أنَّه حَزَّها لإرادة الموت، لا لقصدِ المداواة التي يَغلِب على الظَّنّ الانتِفاع بها.

وقد استُشكِلَ قوله: «بادَرَني بنفسِه» وقوله: «حَرَّمت عليه الجنَّة»، لأنَّ الأوَّل يقتضي أن يكون مَن قُتِلَ فقد ماتَ قبل أجَله، لمَا يُوهِمه سياق الحديث من أنَّه لو لم يَقتُل نفسه كان قد تأخَّرَ عن ذلك الوقت وعاشَ، لكنَّه بادَرَ فتقدَّم، والثّاني يقتضي تَخليدَ الموحِّد في النار.

والجواب عن الأوَّل: أنَّ المبادَرة من حيثُ التَّسبُّب في ذلك والقصد له والاختيار،

وأطلقَ عليه المبادَرة لوجودِ صورتها، وإنَّما استَحقَّ المعاقَبة، لأنَّ الله لم يُطلِعه على انقضاء أجَله، فاختارَ هو قتل نفسه، فاستَحقَّ المعاقَبة لِعِصيانه.

وقال القاضي أبو بكر: قَضاءُ الله مُطلَق ومُقيَّد بصفة، فالمطلَق يمضي على الوجه بلا صارف، والمقَيَّد على وجهين، مِثاله أن يُقَدِّر لواحد أنَّ يعيش عشرينَ سنة إن قتل نفسَه، وثلاثينَ سنة إن لم يَقتُل، وهذا بالنِّسبة إلى ما يعلم به المخلوق كَمَلَكِ الموت مثلاً، وأمَّا بالنِّسبة إلى عِلم الله فإنَّه لا يقع إلّا ما عَلمَه. ونَظِير ذلك الواجب المخَيَّر، فالواقع منه معلوم عند الله، والعَبد مُخيَّر في أيِّ الخِصال يَفعل.

والجواب عن الثَّاني من أوجُه:

أحدها: أنَّه كان استَحلَّ ذلك الفعل، فصارَ كافراً.

ثانيها: كان كافراً في الأصل وعُوقِبَ بهذه المعصية زيادةً على كفره.

ثالثها: أنَّ المرادَ أنَّ الجنَّة حَرِّمَت عليه في وقت ما، كالوقتِ الذي يَدخُل فيه السابقونَ، أو الوقت الذي يُعذَّب فيه الموحِّدونَ في النار ثمَّ يَخرُجونَ.

رابعها: أنَّ المراد جَنَّة مُعيَّنة كالفِردَوسِ مثلاً.

خامسها: أنَّ ذلك وَرَدَ على سبيل التَّغليظ والتَّخويف، وظاهره غير مُراد.

سادسها: أنَّ التَّقدير: حُرَّمتُ عليه الجنَّة إن شئتُ استمرار ذلك.

سابعها: قال النَّوَوي: يحتَمل أن يكون ذلك شرْعَ مَن مضى: أنَّ أصحاب الكَبائر يَكفُرونَ بفعلها.

وفي الحديث تحريم قتل النَّفس، سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وقتل الغير يُؤخَذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأَولى.

وفيه الوقوف عند حقوق الله ورَحمَته بخلقِه حيثُ حَرَّمَ عليهم قتل نفوسهم، وأنَّ الأنفُس مِلكُ الله.

وفيه التحدُّث عن الأُمَم الماضية، وفضيلة الصَّبر على البلاء، وتَرك التَّضَجُّر من الآلام لئلّا يُفضيَ إلى أشدَّ منها.

وفيه تحريم تَعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النَّفس.

وفيه التَّنبيه على أنَّ حُكم السِّراية[1] على ما يَتَرتَّب عليه ابتداءُ القتل. وفيه الاحتياط في التَّحديث وكيفية الضَّبط له، والتَّحَفُّظ فيه بِذِكْر المكان والإشارة إلى ضبط المحدِّث وتوثيقه لمن حدَّثه ليَركَن السامع لذلك، والله أعلم.

٥١- حديثُ أبرصَ وأقرعَ وأعمى

٣٤٦٤- حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا عَمْرو بنُ عاصمٍ، حدَّثنا همَّامٌ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ عبدِ الله، قال: حدَّثني عبدُ الرحمن بنُ أبي عَمْرةَ، أنَّ أبا هريرةَ حدَّثه، أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ.

وحدَّثني محمَّدٌ، حدَّثنا عبدُ الله بنُ رَجاءٍ، أخبرنا همَّامٌ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله، قال: حدَّثني عبدُ الرحمن بنُ أبي عَمْرةَ، أنَّ أبا هريرةَ ﷺ حدَّثه، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيلَ: أبرَصَ وأقرَعَ وأعمَى، بَدا لله عزّ وجلَّ أن يَبْتَليَهم، فبَعَثَ إليهم مَلَكاً، فأتى الأبرَصَ، فقال: أيُّ شيءٍ أَحَبُّ إليكَ؟ قال: لَونٌ حسنٌ، وجِلْدٌ حسنٌ، قد قَذِرَني الناسُ، قال: فمَسَحَه فذَهَبَ، وأُعْطِيَ لَوْناً حسناً، وجِلْداً حسناً، فقال: وأيُّ المال أَحَبُّ إليكَ؟ قال: الإبلُ ـ أو قال: البقرُ، هو شَكَّ في ذلك أنَّ الأبرَصَ والأقرَعَ قال أحدُهما: الإبلُ، وقال الآخَرُ: البقرُ ـ فأُعْطِيَ ناقةً عُشَراءَ، فقال: يُبارَكُ لكَ فيها.

وأتى الأقرَعَ فقال: أيُّ شيءٍ أَحَبُّ إليكَ؟ قال: شَعَرٌ حسنٌ، ويَذْهَبُ هذا عنِّي ، قد قَذِرَني الناسُ، قال: فمَسَحَه، فذهبَ، وأُعْطِيَ شَعَراً حسناً، قال: فأيُّ المال أَحَبُّ إليكَ؟ قال: البقرُ، قال: فأعطاه بقرةً حامِلاً، وقال: يُبارَكُ لكَ فيها.

---

(١) هي تأثير الجرح في النفس حتى تهلِك، ويكون ذلك بالمبالغة في القِصاص حتى يتجاوز العطبُ ما هو مقرر في الحد إلى غيره، فيلتهبُ المكانُ، فيسري ذلك إلى جميع البدن فيموت الإنسان. انظر «المغرب في ترتيب المعرب» ١/ ٣٩٥، و«البحر الرائق» ٨/ ٣٨٧.

وأتى الأعمَى فقال: أيُّ شيءٍ أحَبُّ إليكَ؟ قال: يَرُدُّ الله إليَّ بَصري، فأُبْصِرُ به الناسَ، قال: فمَسَحَه، فرَدَّ الله إليه بَصَرَه، قال: فأيُّ المال أحَبُّ إليكَ؟ قال: الغنمُ، فأعطاه شاةً والداً، فأُنتِجَ هذان ووَلَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبِلِ، ولهذا وادٍ من بَقَرٍ، ولهذا وادٍ من غَنَمٍ.

ثمَّ إنَّه أتى الأبرَصَ في صورتِه وهيئتِه، فقال: رجلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَت به الحِبالُ في سَفرِه، فلا بَلاغَ اليومَ إلا بالله ثمَّ بكَ، أسألُكَ بالذي أعطاكَ اللَّونَ الحسنَ والجِلْدَ الحسنَ والمالَ، بَعِيراً أتبَلَّغُ عَلَيه في سَفَري، قال له: إنَّ الحقوقَ كثيرةٌ، فقال له: كأنِّي أعرفُكَ، ألم تكن أبرَصَ يَقْذَرُكَ الناسُ، فقِيراً فأعطاكَ الله؟ فقال: لقد ورِثْتُ لكابرٍ عن كابرٍ. فقال: إن كنتَ كاذِباً، فصَيَّرَكَ الله إلى ما كُنتَ.

وأتى الأقرَعَ في صورتِه وهيئتِه، فقال له مِثلَ ما قال لهذا، وَرَدَّ عليه مِثلَ ما رَدَّ عَلَيه، فقال: إن كنتَ كاذِباً فصَيَّرَكَ الله إلى ما كنتَ.

وأتى الأعمَى في صورتِه، فقال: رجلٌ مِسْكِينٌ وابنُ السَّبيلِ وتَقَطَّعَت به الحِبالُ في سفرِه، فلا بَلاغَ اليومَ إلا بالله ثمَّ بكَ، أسألُكَ بالذي رَدَّ عليكَ بَصَرَكَ، شاةً أتبَلَّغُ بها في سَفَري. وقال: قد كنتُ أعمَى فرَدَّ الله بَصري، وفَقِيراً فقد أغناني، فخُذ ما شئتَ، فوالله لا أَحْمَدُكَ اليومَ لِشَيءٍ أخَذْتَه لله، فقال: أمسِك مالَكَ، فإنَّما ابتُلِيتُم، فقد رُضِيَ عنكَ، وسُخِطَ على صاحبَيكَ».

[طرفه في: ٦٦٥٣]

قوله: «حديث أبرَص وأقرَع وأعْمى» هكذا تَرجَمَ لهذا الحديث في أثناء ذِكْر بني إسرائيل، وهو الحديث الثاني عشر.

قوله: «حدَّثنا أحمد بن إسحاق» هو السَّرْماري بفتح المهمَلة، ويجوز كسرها[1]، وبعدها راء ساكنة، نِسبة إلى سَرْمارة من قُرى بُخارى، الزّاهد المجاهد، وهو من أقران البخاري، ماتَ سنة اثنتَين وأربعينَ ومئتَين.

---

(١) كذا ضبطها الحافظ رحمه الله، ونظنه تبع في ذلك الأصيلي فيما نقله عنه شارح القاموس، وكذلك ضبطه القاضي عياض في «مشارق الأنوار» ٢/ ٢٤١، ولكن هذا يخالف قول السمعاني وياقوت وابن الأثير والسيوطي حيث ضبطوه بضم السين، وقالوا: سرماري، بالألف المقصورة، فالله أعلم.

قوله: في السَّنَد الثّاني: «وحدَّثني محمَّد، حدَّثنا عبد الله بن رَجاء» يقال: إن محمَّداً هذا هو الذُّهْلي، ويقال: إنَّه المصنِّف نفسه، كما قيل في الحديث الذي قبله، ويُؤيِّد ذلك أنَّه روى عن عبد الله بن رَجاء في اللُّقَطة[1] (٢٤٣٩) وعِدَّة مواضع بغير واسطة، لكن جَزَمَ أبو ذرٍّ بأنَّه عند المصنِّف عن محمَّد غير منسوب عن عبد الله بن رَجاء، وجَوَّزَ أنَّه الذُّهْلي، وساقَه عن الجَوزَقي عن/ مَكّي بن عبدان عن الذُّهْلي بطولِه، وكذلك جَزَمَ أبو نُعَيم وساقَه من طريق ٦/٥٠٢ موسى بن العبَّاس عن محمَّد بن يحيى، وسيأتي في التَّوحيد حديث آخر أخرجه البخاري بهذَين السَّنَدين سواء إلى أبي هريرة، وليس في البخاري لإسحاق بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة سوى هذَين الحديثَين.

قوله: «حدثنا إسحاق بن عبد الله» هو ابن أبي طلحة، صَرَّحَ به شَيْبان في روايته عن همَّام عند مسلم (٢٩٦٤) والإسماعيلي.

قوله: «بَدَا لله» بتخفيفِ الدّال المهمَلة بغير همز، أي: سَبَقَ في عِلم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنَّه ظَهَرَ له بعد أن كان خافياً، لأنَّ ذلك مُحال في حَقّ الله تعالى، وقد أخرجه مسلم (٢٩٦٤) عن شَيْبانَ بن فرّوخ عن همَّام، بهذا الإسناد بلفظ: «أراد الله أن يَبتَليَهم»، فلعلَّ التَّغيير فيه من الرُّواة، مع أنَّ في الرِّواية أيضاً نظراً، لأنَّه لم يزل مُريداً[2]، والمعنى: أظهَر الله ذلك فيهم، وقيل: معنى أرادَ: قضى.

وقال صاحب «المطالع»: ضَبطناه على مُتقِني شيوخنا بالهمزِ، أي: ابتَدَأ الله أن يَبتَليهم، قال: ورواه كثير من الشُّيوخ بغير همز، وهو خطأ. انتهى، وسَبَقَ إلى التَّخطِئة أيضاً الخَطّابي،

---

(١) وقبل ذلك في الصلاة (٣٩٩)، وفي الحج (١٦٨٣).

(٢) هذا لا يُعارض التعبير بالماضي، ألم تر قولَ الله سبحانه وتعالى على لسان الخضر: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾، فإنَّ الله تعالى لم يزل مُريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأما إرادةُ الشيء المعين فإنما يريده في وقته، وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها ثم بعد ذلك يخلقها، فهو إذا قدَّرها علم ما سيفعله وأراد فعله في الوقت المستقبل، لكن لم يُرد فعله في تلك الحال، فإذا جاء وقته أراد فعله. انظر «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٦/ ٣٠٣.

وليس كما قال، لأنَّه موجَّه كما ترى، وأولى ما يُحمَل عليه أنَّ المراد قَضَى الله أن يَبتَليهم، وأمَّا البَدء الذي يُراد به تَغيُّر الأمر عمَّا كان عليه فلا.

قوله: «قَذِرَني الناس» بفتح القاف والذّال المعجَمة المكسورة، أي: اشمأزّوا من رُؤيَتي، وفي رواية حكاها الكِرْماني: «قَذِروني الناس» وهي على لغة أكَلوني البَراغيث.

قوله: «فمَسَحَه» أي: مَسَحَ على جِسمه.

قوله: «فقال: وأيّ المال» في رواية الكُشْمِيهني بحذفِ الواو.

قوله: «الإبل، أو قال: البقر، هو شَكّ في ذلك، أنَّ الأبرَص والأقرَع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخَر: البقر» وقعَ عند مسلم عن شَيْبانَ بن فرّوخ عن همَّام التَّصريح بأنَّ الذي شَكَّ في ذلك هو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة راوي الحديث.

قوله: «فأُعْطي ناقةً عُشَراء» أي الذي تَمنّى الإبلَ، والعُشَراء، بضمِّ العين المهمَلة وفتح الشّين المعجَمة مع المدّ: هي الحامل التي أتى عليها في حَملها عشرة أشهُر من يوم طَرَقَها الفَحل، وقيل: يقال لها ذلك إلى أن تَلِد، وبعدَما تَضَع، وهي من أَنفَس المال.

قوله: «يُبارَك لك فيها» كذا وقعَ: «يُبارَك» بضمِّ أوَّله، وفي رواية شَيْبانَ: «بارَكَ الله» بلفظ الفعل الماضي وإبراز الفاعل.

قوله: «فمَسَحَه» أي: مَسَحَ على عينَيه.

قوله: «شاة والداً» أي: ذات ولد، ويقال: حامل.

قوله: «فأُنتِجَ هذان» أي: صاحب الإبل والبقر **«ووَلَّدَ هذا»** أي: صاحب الشّاة، وهو بتشديد اللّام، وأُنتِجَ في مِثل هذا شاذّ، والمشهور في اللُّغة: نُتِجَت الناقةُ، بضمِّ النّون، ونَتَجَ الرجلُ الناقةَ، أي: حَمَلَ عليها الفَحل، وقد سُمِعَ: أنتَجَت الفَرَس: إذا ولدَت، فهي نَتُوج.

قوله: «ثمَّ إنَّه أتى الأبرَص في صورته» أي: في الصّورة التي كان عليها لمَّا اجتَمَعَ به وهو أبرَص، ليكونَ ذلك أبلَغَ في إقامة الحُجَّة عليه.

قوله: «رجل مِسْكين» زاد شَيْبان: «وابن سبيل» **«تَقَطَّعَت به الحِبال في سَفَره»** في رواية

الكُشْمِيهني: «بي الحِبال في سَفَري» والحِبال، بكسر المهمَلة بعدها موحَّدة خفيفة: جمع حَبل، أي: الأسباب التي يَقطَعُها في طلب الرِّزق، وقيل: العَقَبات، وقيل: الحبل هو المستَطيل من الرَّمل. ولبعضٍ رواة مسلم: «الحِيال» بالمهمَلة والتَّحتانية: جمع حيلة، أي: لم يَبقَ لي حيلة، ولبعضٍ رواة البخاري: «الجبال» بالجيم والموحَّدة، وهو تصحيف.

قال ابن التِّين: قول الملَك له: «رجل مِسْكين...» إلى آخره، أراد أنَّك كنت هكذا، وهو من المعاريض، والمراد به ضرب المَثَل ليتيَقَّظ المخاطَبُ.

قوله: «أتبَلَّغ عليه» في رواية الكُشْمِيهني: «أتبلَّغ به» وأتبَلَّغ، بالغَين المعجَمة من البُلْغة، وهي الكفاية، والمعنى: أتوَصَّل به إلى مُرادي.

قوله: «لقد وَرِثْت لكابرٍ عن كابِر» في رواية الكُشْمِيهني: «كابراً عن كابر»، وفي رواية شَيْبانَ: «إنَّما ورِثتُ هذا المال كابراً عن كابر» أي: كبير عن كبير في العِزّ والشَّرَف.

قوله: «فقال: إن كنت كاذِباً/ فصَيَّرَك الله» أورَدَه بلفظ الفعل الماضي، لأنَّه أراد المبالَغة ٥٠٣/٦ في الدُّعاء عليه.

قوله: «فخُذ ما شئتَ» زاد شَيْبان: «ودَعْ ما شئتَ».

قوله: «لا أَحْمَدُك اليوم بشيء أخَذْتَه لله» كذا في البخاري، بالمهمَلة والميم، كذا قال عياض: إنَّ رواة البخاري لم تَختَلِف في ذلك، وليس كما قال، والمعنى: لا أحمدك على تَرك شيء تحتاج إليه من مالي، كما قال الشّاعر[1]:

لـــيس عـــلى طـــول الحيـــاة نَـــدَمْ

أي: فوت طول الحياة، وفي رواية كَريمة وأكثر روايات مسلم: «لا أَجهَدُك» بالجيم والهاء، أي: لا أَشُقّ عليك في رَدّ شيء تَطلُبه منِّي أو تأخُذه، قال عياض: لم يَتَّضِح هذا المعنى لبعضِ الناس، فقال: لعلَّه لا أحُدّك، بمُهمَلة وتشديد الدّال بغير ميم، أي: لا أمنَعك، قال: وهذا تكلُّف. انتهى، ويحتمل أن يكون قوله: «لا أُحَمِّدك» بتشديد الميم، أي: لا أطلُب

(١) هو المُرقِّش الأكبر. انظر «المفضليات» ص٢٣٩، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة ٣/ ١٢٢٢.

مِنك الحمد، من قولهم: فلان يَتحمَّد على فلان، أي: يَمتَنّ عليه، أي: لا أمتَنّ عليك.

قوله: «فإنَّما ابتُليتُمْ» أي: امتُحِنتُم.

قوله: «فقد رُضِيَ عنك» بضمٍّ أوَّله على البناء للمجهولِ في «رُضِي» و«سُخِطَ»، قال الكِرْماني ما مُحصَّله: كان مِزاج الأعمى أصحَّ من مِزاج رَفيقَيه، لأنَّ البَرَص مرض يَحصُل من فساد المِزاج وخَلَل الطَّبيعة وكذلك القَرَع، بخِلاف العَمى، فإنَّه لا يَستَلزِم ذلك بل قد يكون من أمر خارج، فلهذا حَسُنَت طِباع الأعمى وساءَت طِباع الآخَرين.

وفي الحديث جواز ذِكْر ما اتَّفَق لمن مضى، ليتَّعِظ به مَن سمعَه ولا يكون ذلك غِيبةً فيهم، ولعلَّ هذا هو السِّرّ في تَرك تسميتهم، ولم يُفصِح بما اتَّفَق لهم بعد ذلك، والذي يَظهَر أنَّ الأمر وَقَعَ فيهم كما قال الملَك.

وفيه التَّحذير من كفران النِّعَم، والتَّرغيب في شُكرها، والاعتراف بها، وحَمد الله عليها. وفيه فضل الصَّدَقة والحَثّ على الرِّفق بالضُّعَفاءِ وإكرامهم وتَبليغهم مَآرِبَهم. وفيه الزَّجر عن البخل، لأنَّه حَمَلَ صاحبه على الكذِب، وعلى جَحْد نِعمة الله تعالى.

٥٢- باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ [الكهف:٩]

﴿ٱلْكَهْفِ﴾: الفَتْحُ في الجبلِ ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: الكتاب. ﴿مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين:٩]: مكتوبٌ، مِن الرَّقْم.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الكهف:١٤]: ألهَمْناهم صَبْراً.

﴿شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤]: إفْراطاً.

﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف:١٨]: الفِناءُ، وجمعُه: وَصَائدُ ووُصُدٌ، ويقال: الوَصِيدُ: البابُ. ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد:٢٠]: مُطبَقةٌ، آصَدَ البابَ وأَوْصَدَ.

﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الكهف:١٩]: أحيَيْناهم.

﴿أَزْكَىٰ﴾ [الكهف:١٩]: أكثرُ رَيْعاً.

فضَرَبَ اللهُ على آذانهم: فناموا.

﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾[الكهف:٢٢]: لم يَسْتَبِنْ.

وقال مجاهدٌ: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ [الكهف:١٧]: تَترُكُهُم.

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ كذا لأبي ذرٍّ عن المُستَمْلي والكُشْمِيهني وحدهما إلى آخر التَّرجمة، ولغيره في أوَّله: «باب». ولم يُورِد في ذلك إلّا تفاسير ممَّا وَقَعَ في قصَّة أصحاب الكهف، وسقط كلّه من رواية النَّسَفي.

قوله: «﴿ٱلْكَهْفِ﴾: الفَتْح في الجبل» هو قول الضَّحّاك، أخرجه عنه ابن أبي حاتم، واختُلِفَ في مكان الكهف، فالذي تظافرت به الأخبار أنَّه في بلاد الرّوم.

وروى الطَّبَري (١٥/ ١٩٨) بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاس أنَّه بالقُربِ من أيلة، وقيل: بالقُربِ من طَرَسُوس، وقيل: بين أيلةَ وفِلَسطين، وقيل: بقُربِ زِيزاء، وقيل: بغَرناطة من الأندَلُس.

وفي «تفسير ابن مَرْدويه» عن ابن عبَّاس: أصحاب الكَهف أعوان المهدي. وسنده ضعيف، فإن ثَبَتَ حُمِلَ على أنَّهم لم يموتوا، بل هم في المنام إلى/ أن يُبعَثوا لإعانة المهدي. وقد وَرَدَ في حديث آخر بسند واهٍ أنَّهم يَحُجّونَ مع عيسى ابن مريم. ٥٠٤/٦

قوله: «﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: الكتاب ﴿مَّرْقُومٌ﴾: مكتوب، من الرَّقْم» روى الطَّبَري (١٥/ ١٩٨) من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس قال: الرَّقيم: الكتاب.

وقوله: «مَرْقُوم: مكتوب» هو قول أبي عُبيدة قاله في تفسير قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾.

ووَراء ذلك أقوال أُخرى: فأخرج الطَّبَري (١٥/ ١٩٨) من طريق سعيد عن قَتَادة، ومن طريق عَطيّة العَوْفي، وكذا قال أبو عُبيدة: الرَّقيم: الوادي الذي فيه الكَهف. وأخرج الطَّبَري (١٥/ ١٩٨) أيضاً من طريق ابن عبَّاس عن كعب الأحبار قال: هو اسم القرية.

وروى ابن أبي حاتم من طريق أنس بن مالك، ومن طريق سعيد بن جُبَير: أنَّ الرَّقيم اسم الكَلب، وقيل: الرَّقيم: هو الغار، كما سأُبيِّنُه في حديث الغار (٣٤٦٥)، وقيل: الرَّقيم الصَّخرة التي أطبَقَت على الوادي، وسيأتي في تفسير سورة الكَهف[١] قول ابن عبَّاس: إنَّ الرَّقيم لوح من رَصاص كُتِبَت فيه أسماء أصحاب الكَهف لمَّا تَوَجَّهوا عن قومهم، ولم يَدرُوا أين تَوَجَّهوا، وسأُشيرُ إليه هنا مختصراً. وقيل: إنَّ الذي كان مكتوباً في الرَّقيم شرعُهم الذي كانوا عليه. وقيل: الرَّقيم: الدَّواة.

وقال قوم: أخبر الله عن قصَّة أصحاب الكَهف، ولم يُخبِر عن قصَّة أصحاب الرَّقيم. قلت: وليس كذلك، بل السّياق يقتضي أنَّ أصحاب الكَهف هم أصحاب الرَّقيم، والله أعلم.

قوله: «﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾: ألهَمْناهم صَبْراً» هو قول أبي عُبيدة.

قوله: «﴿ شَطَطًا ﴾: إفْراطاً» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿ لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾، أي: جَوْراً وغُلوّاً، قال الشّاعر[٢]:

ألا يـا لَقَـومي قـد أَشَـطَّتْ عَـواذِلِي ... ويَـزعُمْنَ أن أوْدَى بحَقّـيَ بـاطِلي

وروى الطَّبَري (١٥/ ٢٠٨) عن سعيد عن قَتَادة في قوله: ﴿ شَطَطًا ﴾ قال: كذِباً.

قوله: «﴿ بِٱلْوَصِيدِ ﴾: الفِناء» هو بكسر الفاء والمدّ، وهو قول ابن عبَّاس (١٥/ ٢١٤)، أخرجه ابن أبي حاتم وابن جَرير (١٥/ ٢١٤) عن سعيد بن جُبَير[٣].

قوله: «وجمعُه: وصائد ووُصُد، ويقال: الوَصيد: الباب، ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾: مُطْبَقة، آصَدَ الباب وأوْصَدَ» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ أي: على الباب،

(١) في شرح الباب رقم (١٨) من كتاب التفسير.

(٢) هو الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت الشاعر المشهور. انظر «مجاز القرآن» لأبي عبيدة نفسه، حيث صرح باسمه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ [ص: ٢٢].

(٣) أي أنَّ الطبري أخرج هذا التفسير عن كلٍّ من ابن عباس وسعيد بن جبير، لا أنَّ سعيد بن جبير يرويه عن ابن عباس، كما يُوهِمه السّياق هنا.

وبِفِناءِ الباب، لأنَّ الباب يُوصَد، أي: يُغلَق، والجميع وصائد ووُصُد. وقالوا: الوَصيد: عَتَبة الباب أيضاً، تقول: أوصِدْ بابك وآصِده، وذكر الطَّبَري عن أبي عَمْرو بن العلاء: أنَّ أهل اليمن وتِهامة يقولون: الوَصيد، وأهل نَجد يقولون: الأصيد.

قوله: «﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مُطْبَقة» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾، أي: مُطبقة. تقول: أوصَدتُ وآصَدتُ، أي: أطبَقت. وهذا ذَكَره المؤلِّف استطراداً.

قوله: «﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أحْيَيناهم» هو قول أبي عُبيدة أيضاً.

قوله: «﴿أَزْكَىٰ﴾: أكثرُ رَيْعاً» قال أبو عُبيدة في قوله: ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾، أي: أكثر، قال الشّاعر[1]:

قبـائِـلُنا سـبعٌ وأنتـم ثـلاثـةٌ   ولَلسَّبعُ أزكى من ثلاثٍ وأكثرُ[2]

وروى عبد الرَّزّاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٠) عن مَعمَر عن قَتادة في قوله: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قال: خيرٌ طعاماً، وروى الطَّبَري (١٥/ ٢٢٣) عن سعيد بن جُبَير: أحَلُّ، ورَجَّحَه الطَّبَري.

قوله: «فضَرَبَ الله على آذانهم: فناموا» هو قول ابن عبَّاس كما سأذكُرُه من طريقه، وقيل: معنى ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف:١١]، أي: سَدَدنا عن نُفوذ الأصوات إليها.

قوله: «﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾: لم يَستَبِنْ» قال عبد الرَّزّاق في «تفسيره» (١/ ٤٠٠) عن مَعمَر عن قَتادة في قوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: قَذفاً بالظَّنّ، وقال أبو عُبيدة في قوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: الرَّجم ما لم تَستَيقِنه من الظَّنّ، قال الشّاعر[3]:

ومـا الحـربُ إلّا مـا علِمـتُمْ وذُقـتُمُ   ومـا هـو عنهـا بالحـديث المُـرَجَّمِ

---

(١) هو القَتّال الكلابي. انظر «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٥٦٥.

(٢) في (ع): وأطيب، بدل: وأكثر. وهو رواية في هذا البيت أيضاً، لكن في غير «مجاز القرآن» لأبي عبيدة.

(٣) الذي في «مجاز القرآن» ١/ ٤٥٠: قال زهير. قلنا: هو ابن أبي سُلْمى، وهذا البيت من معلقته المشهورة.

٦/٥٠٥ قوله: «وقال مجاهد: ﴿ تَقْرِضُهُمْ ﴾: تَتْرُكُهم» يأتي الكلام عليه في التَّفسير[١].

تنبيه: لم يَذكُر المصنِّف في هذه التَّرجمة حديثاً مُسنَداً، وقد روى عبدُ بن حُميدٍ بإسناد صحيح، عن ابن عبَّاس قصَّة أصحاب الكَهف مُطوَّلةً غير مرفوعة، ومُلخَّص ما ذُكِرَ: أنَّ ابن عبَّاس غَزَا مع معاوية الصَّائفة[٢]، فمَرّوا بالكَهفِ الذي ذكر الله في القرآن، فقال معاوية: أُريد أن أكشِف عنهم، فمَنَعَه ابن عبَّاس، فصَمَّمَ وبَعَثَ ناساً، فبَعَثَ الله ريحاً فأخرجتهم، قال: فبَلَغَ ابنَ عبَّاس فقال: إنَّهم كانوا في مملَكة جَبّار يَعبُد الأوثان، فلمَّا رأوا ذلك خَرَجوا منها، فجمعهم الله على غير ميعاد، فأَخَذَ بعضُهم على بعض العُهود والمواثيق، فجاء أهاليهم يَطلُبونَهم ففَقَدوهم، فأخبَروا الملك فأَمَرَ بكتابة أسمائهم في لَوح من رَصاص وجعله في خِزانَته، فدَخَلَ الفِتية الكَهف، فضَرَبَ الله على آذانهم فناموا، فأرسَلَ الله مَن يُقلِّبهم، وحَوَّلَ الشمس عنهم، فلو طَلَعَتْ عليهم لَأحرَقَتْهم، ولولا أنَّهم يُقلَّبونَ لَأكَلَتهم الأرض، ثمَّ ذهب ذلك الملك وجاء آخرُ فكَسَّرَ الأوثان وعَبَدَ الله وعَدَلَ، فبَعَثَ الله أصحابَ الكَهف فأرسَلوا واحداً منهم يأتيهم بما يأكلونَ، فدَخَلَ المدينة مُستخفياً فرأى هيئة وناساً أنكَرَهم لِطولِ المدَّة، فدَفَعَ دِرهَماً إلى خَبّاز فاستَنكَرَ ضَرْبه، وهَمَّ بأن يَرفَعه إلى الملك، فقال: أَتُخَوِّفُني بالملكِ وأبي دِهقانُه[٣]؟ فقال: مَن أبوك؟ قال: فلان، فلم يَعرفه، فاجتَمَعَ الناس فرَفَعوه إلى الملك، فسأله فقال: عليَّ باللَّوحِ، وكان قد سمعَ به فسَمّى أصحابه فعرَفَهم من اللَّوح، فكَبَّرَ الناسُ وانطَلَقوا إلى الكَهف، وسَبَقَ الفتى لئلّا يَخافوا من الجيش، فلمَّا دَخَلَ عليهم عَمَّى الله على الملك ومَن معه المكانَ، فلم يُدرَ أين ذهب الفتى، فاتَّفَقَ رأيهم على أن يَبنوا عليهم مسجداً، فجَعَلوا يَستَغفِرونَ لهم ويَدعُونَ لهم.

---

(١) عند شرح الباب (١٨) من كتاب التفسير.

(٢) هي الغزوة في الصيف، ومنها سميت غزوة الروم، لأنَّ سُنَّتهم أن يُغزَوا صيفاً، ويُقْفَلَ عنهم قبل الشتاء، لمكان البرد والثلج. انظر «لسان العرب» مادة (صيف).

(٣) الدهقان، بكسر الدال وضمها، وحكي بالفتح أيضاً، وهو فارسي معرّب، ومعناه: مُقدَّم قرية أو صاحبها أو رئيس إقليم أو زعيم الفلاحين عند العجم، وقيل غير ذلك. انظر «تاج العروس» مادة (دهقن).

وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن شهر بن حَوشَبٍ قال: كان لي صاحب قوي النَّفس، فمرَّ بالكَهف فأراد أن يَدخُله فنُهِي، فأبى فأشرَفَ عليهم فابيَضَّت عيناه وتَغيَّرَ شَعره.

وعن عِكْرمة: أنَّ السَّبَب فيما جَرَى لهم أنَّهم كانوا تَذَاكَرُوا: هل يَبعَثُ الله الرّوح والجسد، أو الرّوح فقط؟ فألقى الله عليهم النَّوم فناموا المدَّة المذكورة، ثمَّ بَعَثَهم، فعَرَفوا أنَّ الجسد يُبعَث كما تُبعَث الرّوح.

وعن ابن عبَّاس: أنَّ اسم الملك الأوَّل دِقيانوس، واسم الفِتية: مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس ودينموس، وفي النُّطق بها اختلاف كثير، ولا يقع الوُثوق من ضبطها بشيءٍ.

وأخرج أيضاً عن مجاهد: أنَّ اسم كَلبهم قطميروا، وعن الحسن: قِطمير، وقيل غير ذلك. وأمَّا لَونه فقال مجاهد: كان أصفَر، وقيل غير ذلك.

وعن مجاهد: أنَّ دَراهمهم كانت كَخِفاف الإبل، وأنَّ تمليخا هو الذي كان رسولَهم لشِراء الطَّعام. وقد ساقَ ابن إسحاق قِصَّتهم في «المبتَدَأ» مُطوَّلة، وأفادَ أنَّ اسم الملك الصالح الذي عاشوا في زَمَنه بدرسيس.

وروى الطَّبَري (١٥/ ٢٠٤-٢٠٥) من طريق عبد الله بن عُبيد بن عُمَير: أنَّ الكَلب الذي كان معهم كان كَلب صيد، وعن وَهْب بن مُنبِّه (١٥/ ٢٠٥): أنَّه كان كَلب حَرث، وعن مُقاتل: كان الكَلب لكبيرِهم، وكان كَلب غَنَم، وقيل: كان إنساناً طَبّاخاً تَبِعَهم، وليس بكَلب حقيقة، والأوَّل هو المعتمَد.

٥٣- حديثُ الغار

٣٤٦٥- حدَّثنا إسماعيلُ بنُ خليلٍ، أخبرنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن عُبيدِ الله بنِ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينَما ثلاثةُ نَفرٍ ممَّن كان قبلَكم يَمْشونَ إذ أصابهم مَطَرٌ، فأَوَوْا إلى غارٍ فانطَبَقَ عليهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: إنَّه والله يا هؤلاءِ لا يُنَجِّيكم إلَّا الصِّدْقُ، فليَدْعُ كلُّ رجلٍ مِنْكم بما يَعْلَمُ أنَّه قد صَدَقَ فيه، فقال: اللهمَّ إن كنتَ

تعلمُ أنَّه كان لي أجيرٌ عَمِلَ لي على فرَقٍ من أرُزٍّ، فذهب وتركَه، وأنّي عَمَدْتُ إلى ذلكَ الفرَقِ فزَرَعْتُه، فصارَ من أمرِه أنّي اشتَرَيتُ منه بَقَراً، وأنّه أتاني يَطْلُبُ أجْرَه، فقلتُ له: اعْمَد إلى تلكَ البقرِ، فسُقْها، فقال لي: إنَّما لي عندكَ فرَقٌ من أرُزٍّ، فقلتُ له: اعْمَدْ إلى تلكَ البقرِ، فإنَّها مِن ذلك الفَرَقِ، فساقَها، فإن كنتَ تعلمُ أنّي فعلْتُ ذلك من خَشْيَتِكَ ففرِّج عَنّا، فانساخَتْ عنهم الصَّخْرةُ.

فقال الآخَرُ: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّه كان لي أبَوان شيخان كَبِيران، وكنتُ آتِيهما كلَّ ليلةٍ بلَبَنِ غَنَمٍ لي، فأبطَأتُ عنهما ليلةً، فجِئتُ وقد رَقَدا، وأهلي وعِيالي يَتضاغَوْنَ مِن الجوعِ، وكنتُ لا أسقِيهم حتَّى يَشْرَبَ أبَواي، فكَرِهتُ أن أُوقِظَهما، وكَرِهْتُ أن أدَعَهما فيَسْتكِنا لِشَرْبَتِهما، فلم أزَل أنتَظِرُ حتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فإن كنتَ تعلمُ أنّي فعلْتُ ذلك من خَشْيَتِكَ ففرِّج عَنّا، فانساخَتْ عنهم الصَّخْرةُ حتَّى نَظروا إلى السماءِ.

فقال الآخَرُ: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّه كانت لي ابنةُ عَمٍّ من أحَبِّ الناسِ إليَّ، وأنّي راوَدْتُها عن نفسِها، فأبَتْ إلّا أن آتِيَها بمئةِ دِينارٍ، فطَلَبتُها حتَّى قَدَرتُ، فأتيتُها بها فدَفَعْتُها إليها، فأمكَنَتْني من نفسِها، فلمَّا قَعَدْتُ بينَ رِجْلَيها، فقالت: اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلّا بحَقِّه، فقُمْتُ وتَرَكْتُ المئةَ الدِّينارِ، فإن كنتَ تعلمُ أنّي فعلْتُ ذلك من خَشْيَتِكَ ففرِّج عَنّا، ففرَّجَ الله عنهم فخَرَجوا».

الحديث الثالث عشر: قوله: «حديث الغار» عقَّبَ المصنِّف قصَّة أصحاب الكَهف بحديث الغار إشارة إلى ما وَرَدَ أنّه قد قيل: إنَّ الرَّقيم المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف:٩] هو الغار الذي أصاب فيه الثلاثةَ ما أصابهم، وذلك فيما أخرجه البزّار[١] والطبراني[٢] بإسناد حسن عن النُّعمان بن بشير أنَّه سمعَ النبي ﷺ يَذكُر الرَّقيم قال: «انطلَقَ ثلاثة نفرٍ فكانوا في كَهف، فوَقَعَ الجبل على باب الكَهف

(١) الحديث عند البزار (٣٢٨٨-٣٢٩١) لكن ليس فيه ذكر الرقيم.

(٢) هو في «الأوسط» (٢٣٠٧) و«الدعاء» (١٩٠) و(١٩١)، وهو أيضاً في «معجمه الكبير» في مسند النعمان لكنه سقط من المطبوع، والحديث في «مسند أحمد» (١٨٤١٧)، والعزو إليه أولى وأعلى.

فأُوصِدَ عليهم» فذكر الحديث.

قوله: «بينَما ثلاثة نَفَر ممَّن كان قبلكم» لم أقِفْ على اسم واحد منهم، وفي حديث عُقْبة بن عامر عند الطبراني في «الدُّعاء» (١٩٥)[1]: أنَّ ثلاثة نَفَر من بني إسرائيل.

قوله: «يَمْشونَ» في حديث عُقْبة وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن حِبّان (٩٧١) والبزَّار(٩٤٩٨): «أنَّهم خَرَجوا يَرْتادُونَ لأهلِيهم»[2].

قوله: «فأوَوْا إلى غار» يجوز قصر أَلِف «أوَوا» ومَدّها. وفي حديث أنس عند أحمد (١٢٤٥٤) وأبي يَعْلى (٢٩٣٧) والبزَّار (٧١٨٩) والطبراني[3]: «فدخلوا غاراً فسقط عليهم حجر مُتَجافٍ حتَّى ما يَرَونَ منه خَصَاصةً»، وفي رواية سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه: «حتَّى أوَوا المبيت إلى غار» كذا للمصنِّف (٢٢٧٢)، ولمسلمٍ (٢٧٤٣) من هذا الوجه: «حتَّى آواهم المبيت» وهو أشهَر في الاستعمال، والمبيت في هذه الرِّواية[4] منصوب على المفعولية، وتوجيهه أنَّ دخول الغار من فعلهم فحَسُنَ أن يُنسَب الإيواء إليهم.

قوله: «فانطَبَقَ عليهم» أي: باب الغار، وفي رواية موسى بن عُقْبة عن نافع في المزارَعة (٢٣٣٣): «فانحَطَّت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطَبَقَت عليهم»، ويأتي في الأدب (٥٩٧٤) بلفظ: «فأطبقَتْ عليهم» وفيه حذف المفعول، والتَّقدير: نفسها أو المنفَذ، ويُؤيِّده أنَّ في رواية سالم (٢٢٧٢): «فدخلوه فانحَدَرَت صخرة من الجبل، فسَدَّت عليهمُ/ الغار»، ٥٠٧/٦ زاد الطبراني[5] في حديث النُّعمان بن بشير من وجه آخر: «إذ وَقَعَ حجر من الجبل ممَّا يَهبِط من خَشية الله حتَّى سَدَّ فم الغار».

---

(١) ومن قبله الروياني في «مسنده» (٢٦٥). وروي أنهم من بني إسرائيل أيضاً عند أبي عوانة (٥٥٧٦) من حديث النعمان بن بشير، وتمام الرازي عن «فوائده» (٣٩٥) من حديث ابن عمر.

(٢) وهو بهذا اللفظ أيضاً عند أحمد (١٢٤٥٤) وغيره من حديث أنس بن مالك.

(٣) في «الدعاء» (١٩٢).

(٤) يعني في رواية البخاري (٢٢٧٢)، وأما رواية مسلم فبالرفع على الفاعلية، كما أوضحه العيني ١٦/ ٥٢.

(٥) هو في «الدعاء» (١٨٩).

قوله: «فلْيَدْعُ كلّ رجل مِنكم بما يَعْلم أنَّه قد صَدَقَ فيه» في رواية موسى بن عُقْبة المذكورة: «انظُروا أعمالاً عَمِلتُموها صالحة لله»، ومِثله لمسلم (٢٧٤٣)، وفي رواية الكُشْمِيهني: «خالصَة ادعوا الله بها»، ومن طريقه في البيوع (٢٢١٥): «ادعوا الله بأفضل عمل عَمِلتُموه»، وفي رواية سالم: «إنَّه لا يُنجيكم إلّا أن تَدعوا الله بصالحِ أعمالكم»، وفي حديث أبي هريرة وأنس جميعاً: «فقال بعضهم لبعض: عَفا الأثر، ووَقَعَ الحجر، ولا يعلم بمكانكم إلّا الله، ادعوا الله بأوثَق أعمالكم»، وفي حديث عليّ عند البزّار (٩٠٦): «تَفكَّروا في أحسن أعمالكم فادعوا الله بها، لعلَّ الله يُفرِّج عنكم»، وفي حديث النُّعمان بن بشير[١]: «إنَّكم لَن تَجِدوا شيئاً خيراً من أن يَدعُوَ كلّ امرىءٍ منكم بخير عمل عَمِلَه قَطّ».

قوله: «فقال: اللهمَّ إن كنت تعلم» كذا لأبي ذرٍّ والنَّسَفي وأبي الوَقْت، لم يُذكَر القائل، وللباقين: «فقال واحد منهم».

قوله: «اللهمَّ إن كنت تعلم» فيه إشكال، لأنَّ المؤمن يعلم قطعاً أنَّ الله يعلم ذلك، وأُجيبَ بأنَّه تَرَدَّدَ في عمله ذلك هل له اعتبار عند الله أم لا؟ وكأنَّه قال: إن كان عملي ذلك مقبولاً فأجِب دُعائي، وبهذا التَّقرير يَظهَر أنَّ قوله: «اللهمَّ» على بابها في النِّداء، وقد تَرِدُ بمعنى تحقُّق الجواب، كمَن يسأل آخرَ عن شيء، كأن يقول: رأيتَ زيداً؟ فيقول: اللهمَّ نعم، وقد تَرِدُ أيضاً لنُدْرة المستَثنى، كأن يقول شيئاً، ثمَّ يَستَثني منه، فيقول: اللهمَّ إلّا إنْ كان كذا.

قوله: «على فَرَق» بفتح الفاء والرّاء بعدها قاف، وقد تُسكَّن الرّاء. وهو مِكيال يَسَع ثلاثة آصُع[٢].

لقوله: «من أرز» فيه ستّ لُغات: فتح الألف وضمّها مع ضَمّ الرّاء، وبضمِّ الألف مع سكون الرّاء، وتشديد الزّاي وتخفيفها، وقد تقدَّم في المزارَعة[٣] أنَّه فَرَق ذُرَة، وتقدَّم هناك

---

(١) في «الدعاء» (١٨٩).

(٢) أي: بما يساوي (٦٥٢٨) غم، لأنَّ الصاع (٢١٧٦) غم تقريباً.

(٣) بل في البيوع برقم (٢٢١٥).

بيان الجمع بين الرِّوايتَينِ، ويحتَمل أنَّه استأجَرَ أكثر من واحد، وكان بعضهم بفَرَقِ ذُرة، وبعضهم بفَرَقِ أَرُزّ. ويُؤيِّد ذلك أنَّه وَقَعَ في رواية سالم: «استأجَرتُ أُجَراء فأعطَيتهم أجرهم، غير رجل واحد تَـرَكَ الذي له وذهبَ»، وفي حديث النُّعمان بن بشير نحوه كما سأذكُرُه، ووَقَعَ في حديث عبد الله بن أبي أوفى عند الطبراني في «الدُّعاء» (١٩٦): «استأجَرت قوماً كلّ واحد منهم بنصفِ دِرهَم، فلمَّا فرَغوا أعطَيتُهم أُجورَهم، فقال أحدهم: والله لقد عَمِلتُ عمل اثنينِ، والله لا آخُذ إلّا دِرهَماً، فذهب وتَرَكَه، فبَذَرت من ذلك النِّصف دِرهَمٍ...» إلى آخره، ويُجمَع بينهما بأنَّ الفَرَق المذكور كانت قيمته نصف دِرهَم إذ ذاكَ.

قوله: «فذهب وتَرَكَه» في رواية موسى بن عُقْبة (٢٢١٥): «فأعطَيتُه فأبى ذاكَ أن يأخُذ»، وفي روايته في المزارَعة (٢٣٣٣): «فلمَّا قضى عمله قال: أعطِني حَقّي، فعَرَضت عليه حقّه فرَغِبَ عنه»، وفي حديث أبي هريرة: «فعَمِلَ لي نصفَ النَّهار فأعطَيته أجراً، فسَخِطَه ولم يأخُذه».

ووَقَعَ في حديث النُّعمان بن بشير[1] بيان السَّبَب في تَرك الرجل أُجرَته، ولفظه: «كان لي أُجَراء يعملونَ فجاءني عُمّال، فاستأجَرت كلّ رجل منهم بأجر معلوم، فجاء رجل ذات يوم نصفَ النَّهار، فاستأجَرته بشرطِ أصحابه فعَمِلَ في نصف نَهاره كما عَمِلَ رجل منهم في نَهاره كلّه، فرأيت عليَّ في الذِّمام أن لا أَنقُصه ممَّا استأجَرت به أصحابه لمّا جَهِدَ في عمله، فقال رجل منهم: تُعطي هذا مِثل ما أعطَيتني؟ فقلت: يا عبد الله لم أبخَسك شيئاً من شرطك، وإنَّما هو مالي أحكم فيه بما شئتُ، قال: فغَضِبَ وذهب وتَـرَكَ أجره».

وأمَّا ما وَقَعَ في حديث أنس[2]: «فأتاني يَطلُب أجره وأنا غَضبانُ، فزَبَرتُه فانطَلَقَ وتَـرَكَ أجره» فلا يُنافي ذلك، وطريق الجمع أنَّ الأجير لمَّا حَسَدَ الذي عَمِلَ نصف النَّهار وعاتَبَ المستأجِر غَضِبَ منه، وقال له: لم أبخَسك شيئاً... إلى آخره، وزَبَرَه فغَضِبَ

(١) عند أحمد (١٨٤١٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٠٧)، وغيرهما.

(٢) عند أحمد (١٢٤٥٤)، وأبي يعلى (٢٩٣٧)، وغيرهما.

الأجير وذهبَ، ووَقَعَ في حديث عليّ[1]: «وتَرَكَ واحد منهم أجره، وزَعَمَ أنَّ أجره أكثر من أُجور أصحابه».

قوله: «وأنّي عَمَدْت إلى ذلك الفَرَق فزرَعْته، فصارَ من أمره أنّي اشتَرَيت» وفي رواية الكُشْمِيهني: «أن اشتَرَيت» **«منه بَقَراً، وأنّه أتاني يَطلُب/ أجره فقلت له: اعمَد إلى تلكَ البقر فسُقْها»**، وفي رواية موسى بن عُقْبة: «فزَرَعته حتَّى اشتَرَيت منه بَقَراً وراعيها»، وفيه: «فقال: أتستَهزِئُ بي؟ فقلت: لا»، وفي رواية أبي ضَمرة[2] : «فأخَذَها»، وفي رواية سالم: «فثَمَّرتُ أجره حتَّى كَثُرَت منه الأموال»، وفيه: «فقلت له: كلّ ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرَّقيق من أجرك»، وفي رواية الكُشْمِيهني: «من أجلك»، وفيه: «فاستاقَه فلم يَترُك منه شيئاً». ودَلَّت هذه الرِّواية على أنَّ قوله في رواية نافع: «اشتَرَيت بَقَراً» أنَّه لم يُرِد أنَّه لم يَشتَرِ غيرها، وإنَّما كان الأكثر الأغلَبَ البقرُ، فلذلك اقتَصَرَ عليها.

٥٠٨/٦

وفي حديث أنس وأبي هريرة جميعاً: «فجمعته وثَمَّرته حتَّى كان منه كلّ المال»، وقال فيه: «فأعطَيته ذلك كلّه، ولو شئتُ لم أُعطِه إلّا الأجرَ الأوَّل».

ووَقَعَ في حديث عبد الله بن أبي أوفى: أنَّه دَفَعَ إليه عشرة آلاف دِرهَم. وهو محمول على أنَّها كانت قيمة الأشياء المذكورة، وفي حديث النُّعمان بن بشير[3]: «فبَذَرته على حِدة فأضعفَ، ثمَّ بَذَرته فأضعفَ، حتَّى كَثُرَ الطَّعام»، وفيه: «فقال: أتظلِمُني وتَسخَر بي؟» وفي رواية له[4]: «ثمَّ مرَّت بي بَقَر، فاشتَرَيت منها فَصِيلةً فبَلَغَت ما شاءَ الله». والجمع بينهما مُمكِن بأن يكون زَرَعَ أوَّلاً، ثمَّ اشتَرَى من بعضه بقرة، ثمَّ نُتِجَت.

قوله: «فإن كنت تَعْلم أنّي فعلْتُ ذلك من خَشْيَتك» وفي رواية موسى بن عُقْبة: «ابتغاء وجهك»، وكذا في رواية سالم، والجمع بينهما مُمكِن، وقد وَقَعَ في حديث عليّ عند

---

(١) عند البزار (٩٠٦).

(٢) هي التي سلفت في المزارعة برقم (٢٣٣٣).

(٣) عند الطبراني في «الدعاء» (١٨٩).

(٤) عند أحمد (١٨٤١٧)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٠) وغيرهما.

الطبراني[1]: «من مَخافَتك وابتغاء مَرضاتك»، وفي حديث النُّعمان[2]: «رَجاء رَحمَتك ومَخافة عذابك».

قوله: «ففَرِّجْ عَنّا» في رواية موسى بن عُقْبة: «فافرُج»[3] بوَصلٍ وضمّ الرّاء، من الثُّلاثي، وضَبَطَه بعضهم بهمزة وكسر الرّاء، من الرُّباعي، وزاد في روايته: «فافرُج عَنّا فُرجة نَرى منها السماء»، وفيه تقييد لإطلاق قوله في رواية سالم: «ففَرِّج عَنّا ما نحنُ فيه»، وقوله: «قال: ففُرِّجَ عنهم»، وفي رواية أبي ضَمرة: «ففَرَّجَ اللهُ فرأوا السماء» ولمسلم (٢٧٤٣) من هذا الوجه: «ففَرَّجَ الله منها فُرْجة فرأوا منها السماء».

قوله: «فانساخَت عنهم الصَّخْرة» أي: انشَقَّت، وأنكَرَه الخَطّابي لأنَّ معنى انساخَ بالمعجَمة: غابَ في الأرض، ويقال: انصاخَ، بالصّادِ المهمَلة بدلَ السّين، أي: انشَقَّ من قِبَلِ نفسه، قال: والصَّواب: انساحَت، بالحاءِ المهمَلة، أي: اتَّسَعَت، ومنه: ساحة الدّار، قال: وانصاحَ بالصّادِ المهمَلة بدل السّين، أي: تَصَدَّعَ، يقال ذلك للبَرق.

قلت: الرِّواية بالخاءِ المعجَمة صحيحة، وهي بمعنى: انشَقَّت، وإن كان أصله بالصّادِ فالصّاد قد تُقلَب سِيناً، ولا سيما مع الخاء المعجَمة كالصَّخرِ والسَّخر. ووَقَعَ في حديث سالم (٢٢٧٢): «فانفَرَجَت شيئاً لا يستطيعونَ الخروج»، وفي حديث النُّعمان بن بشير[4]: «فانصَدَعَ الجبل حتَّى رأوا الضَّوء»، وفي حديث عليّ[5]: «فانصَدَعَ الجبل حتَّى طَمِعوا في الخروج ولم يستطيعوا»، وفي حديث أبي هريرة وأنس: «فزالَ ثُلُث الحجر».

---

(١) في «الدعاء» (١٨٧)، وكذا عند البزار (٩٠٦).

(٢) لم نقف عليه عن النعمان بن بشير بهذا اللفظ، فلعل الحافظ رحمه الله أراد في حديث أنس أو في حديث أبي هريرة، فذهل فقال: في حديث النعمان. وهو عند أحمد (١٢٤٥٤) وغيره، من حديث أنس بهذا اللفظ، وعند ابن حبان (٩٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٤) وغيرهما، من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ أيضاً. وقد جاء عند ابن حبان (٨٩٧) من حديث موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر بهذا اللفظ كذلك.

(٣) وكذلك في رواية سالم عن ابن عمر السالفة برقم (٢٢٧٢) عند ذكر الأجير والمرأة.

(٤) عند أحمد (١٨٤١٧) وغيره. لكن بلفظ: «حتى رأوا منه وأبصروا».

(٥) عند البزار (٩٠٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٧) وغيرهما.

قوله: «فقال الآخَر: اللهمَّ إن كنت تَعْلم أنَّه كان لي» كذا للأكثر، ولأبي ذرٍّ بحذفِ «أنَّه».

قوله: «أبَوان» هو من التَّغليب، والمراد الأب والأُمّ، وصُرِّحَ بذلك في حديث ابن أبي أوفى[١].

قوله: «شيخان كبيران» زاد في رواية أبي ضَمرة عن موسى (٢٣٣٣): «ولي صِبية صِغار فكنت أرعى عليهم»[٢]، وفي حديث عليّ: «أبَوان ضعيفان فقيران، ليس لهما خادِمٌ ولا راعٍ ولا وليٌّ غيري، فكنت أرعى لهما بالنَّهار وآوي إليهما باللَّيل».

قوله: «فأبطأتُ عنهما ليلة» وفي رواية سالم: «فنأى بي طلبُ شيء يوماً، فلم أُرِح عليهما حتَّى ناما»، وقد تقدَّم شرح قوله: «نأى». و«الشيء» لم يُفَسَّر ما هو في هذه الرِّواية، وقد بُيِّنَ في رواية مسلم (٢٧٤٣) من طريق أبي ضَمرة، ولفظه: «وإنِّي نأى بي ذاتَ يوم الشَّجَرُ» والمراد أنَّه استَطرَدَ مع غَنَمه في الرَّعي إلى أن بَعُدَ عن مكانه زيادة على العادة، فلذلك أبطَأَ، وفي حديث عليّ: «فإنَّ الكَلَأَ تناءى عليَّ» أي: تَباعَدَ، والكَلَأُ: المرعى.

قوله: «وأهلي وعِيالي» قال الدّاودي: يريد بذلك الزَّوجة والأولاد والرَّقيق والدَّوابّ، وتَعقَّبَه ابن التِّين بأنَّ الدَّوابّ لا معنى لها هنا. قلت: إنَّما قال الدّاودي ذلك في رواية/ ٦/٥٠٩ سالم: «وكنت لا أغبِق قبلهما أهلاً ولا مالاً» وهو مُتَّجِه، فإنَّه إذا كان لا يُقَدِّم عليهما أولاده فكذلك لا يُقَدِّم عليهما دَوابَّه من باب الأَولى.

قوله: «يَتَضاغَونَ» بالمعجَمتَين، والضُّغاء بالمدِّ: الصِّياح ببُكاء.

وقوله: «من الجوع» أي: بسَبَبِ الجوع، وفيه رَدّ على مَن قال: لعلَّ الصِّياح كان بسَبَب غير الجوع، وفي رواية موسى بن عُقْبة: «والصِّبية يَتَضاغَونَ»[٣].

قوله: «وكنت لا أسقيهم حتَّى يَشْرَب أبواي، فكَرِهْت أن أُوقِظهما، وكَرِهْت أن أدَعهما فيَسْتَكِنّا لشَرْبَتِهما» أمَّا كَراهَته لإيقاظِهما فظاهر، لأنَّ الإنسان يَكرَه أن يُوقَظ من نومه،

---

(١) عند الطبراني في «الدعاء» (١٩٦).

(٢) وهذه الزيادة أيضاً في رواية إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن نافع عند البخاري برقم (٥٩٧٤).

(٣) وكذلك في رواية إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن نافع برقم (٥٩٧٤).

ووَقَعَ في حديث عليّ: «ثمَّ جلست عند رؤوسهما بإنائي كَراهية أن أُوَرِّقَهما وأوذيهما»، وفي حديث أنس: «كَراهية أن أرُدّ وسَنَهما»[1]، وفي حديث ابن أبي أوفى: «وكَرهت أن أوقِظهما من نَومهما فيَشُقّ ذلك عليهما».

وأمَّا كَراهَته أن يَدَعهما فقد فَسَّره بقوله: «فيَستَكِنا لشَربَتِهما» أي: يَضعُفا، لأنَّه عَشاؤُهما، وتَركُ العَشاء يُهرِم[2].

وقوله: «يَستكِنّا» من الاستكانة.

وقوله: «لِشَربَتِهما» أي: لعَدَمِ شَربَتهما، فيصيران ضعيفَين مِسْكينَين، والمِسْكين الذي لا شيء لَه.

قوله: «مِن أحَبِّ الناس إليَّ» هو مُقيِّدٌ لإطلاق رواية سالم حيثُ قال فيها: «كانت أحَبَّ الناس إليَّ»، وفي رواية موسى بن عُقْبة: «كأشدّ ما يُحِبّ الرجالُ النِّساء»[3]، والكاف زائدة، أو أراد تشبيه مَحبَّته بأشدّ المَحبّات.

قوله: «راوَدْتُها عن نفسها» أي: بسَبَب نفسها أو من جِهَة نفسها، وفي رواية سالم: «فأردتها على نفسها» أي: ليستعلي عليها.

قوله: «فأبتْ» في رواية موسى بن عُقْبة: «فقالت: لا تنالُ ذلك منها حتَّى».

قوله: «إلّا أن آتيها بمئةِ دينار» وفي رواية سالم: «فأعطَيتها عشرينَ ومئة دينار»، ويُحمَل على أنَّها طلبَت منه المئة فزادَها هو من قِبَل نفسه عشرينَ، أو ألغَى غيرُ سالم الكَسْرَ، ووَقَعَ في حديث النُّعمان[4] وعُقْبة بن عامر[5]: «مئة دينار» وأُبهِمَ ذلك في حديث عليّ وأنس وأبي هريرة، وقال في حديث ابن أبي أوفى: «مالاً ضَخماً».

---

(١) هذا لفظ رواية أبي يعلى (٢٩٣٧)، وعند أحمد (١٢٤٥٤) بلفظ: «أن أردّ سِنَتَهما».

(٢) هذا قول لا يستند إلى دليل علمي البتّة، وقد ورد فيه خبر عند الترمذي (١٨٥٦) بلفظ: «تركُ العشاء مَهرَمة»، وهو ضعيف جداً بل واهٍ.

(٣) وهي أيضاً رواية إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن نافع الآتية برقم (٥٩٧٤).

(٤) عند الطبراني في «الدعاء» (١٨٩).

(٥) عند الروياني في «مسنده» (٢٦٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٥).

قوله: «فلمَّا قَعَدْت بين رِجْلَيها» في رواية سالم: «حتَّى إذا قَدَرتُ عليها»، زاد في حديث ابن أبي أوفى: «وجلست منها مَجلِس الرجل من المرأة»، وفي حديث النُّعمان بن بشير[1]: «فلمَّا كَشَفتُها».

وبيَّن في رواية سالم سبب إجابَتها بعد امتناعها، فقال: «فامتَنَعَت منِّي حتَّى أَلَـمَّتْ بها سَنةٌ ـ أي: سنة قَحْط ـ فجاءتني فأعطَيتُها»، ويُجمَع بينه وبين رواية نافع بأنَّها امتَنَعَت أوَّلاً عِفَّة ودافَعَت بطلبِ المال، فلمَّا احتاجَت أجابَت.

قوله: «ولا تَفُضَّ» بالفاءِ والمعجَمة، أي: لا تَكسِر، والخاتَم كِناية عن عُذرَتها، وكأنَّها كانت بكراً وكَنَتْ عن الإفضاء بالكسر، وعن الفَرج بالخاتَمِ، إلَّا أنّ في حديث النُّعمان ما يدلّ على أنَّها لم تكن بكراً، ووَقَعَ في رواية أبي ضَمرة: «ولا تَفتَح الخاتَم» والألف واللَّام بدل من الضَّمير، أي: خاتَمي، ووَقَعَ كذلك في حديث أبي العاليَة عن أبي هريرة عند الطبراني في «الدُّعاء» (١٩٤) بلفظ: «إنَّه لا يَحِلّ لك أن تَفُضَّ خاتَمي إلَّا بحَقِّه».

وقولها: «بحَقِّه» أرادَت به الحلال، أي: لا أُحِلّ لك أن تَقرَبني إلَّا بتَزويج صحيح، ووَقَعَ في حديث عليّ[2]: «فقالت: أُذكِّرك الله أن تَركَب منِّي ما حَرَّمَ الله عليك قال: فقلت: أنا أحقّ أن أخاف ربِّي»، وفي حديث النُّعمان بن بشير[3]: «فلمَّا أمكَنَتني من نفسها بَكَتْ، فقلت: ما يُبكيك؟ قالت: فعلت هذا من الحاجة، فقلت: انطَلِقي»، وفي رواية أُخرى عن النُّعمان[4]: «أنَّها تَرَدَّدَت إليه ثلاث مرَّات تَطلُب منه شيئاً من معروفه، ويأبى عليها إلَّا أن تمكِنَه من نفسها، فأجابَت في الثّالثة بعد أن استأذَنَت زوجها، فأذِنَ لها، وقال لها: أغني عيالك، قال: فرَجَعَتْ فنَاشَدَتْني بالله فأبَيتُ عليها، فأسلَمَت إليَّ نفسها، فلمَّا كَشَفتها

(١) عند أحمد (١٨٤١٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٠٧)، و«الدعاء» (١٩٠). لكن قال في رواية أحمد: «فلما تكشَّفتُها».

(٢) عند البزار (٩٠٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٧).

(٣) عند الطبراني في «الدعاء» (١٨٩).

(٤) عند أحمد (١٨٤١٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٠٧)، وفي «الدعاء» (١٩٠).

ارتَعَدَت من تحتي، فقلت: ما لكِ؟ قالت: أخاف الله ربَّ العالَمِين، فقلتُ: خِفتيه في الشِّدَّة، ولم أَخَفْه في الرَّخاء، فتَرَكتُها»، وفي حديث ابن أبي أوفى[1]: «فلمَّا جلست منها مَجلِس الرجل من المرأة ذَكَرَتِ النار، فقُمت عنها». والجمع بين هذه الرِّوايات مُمكِن، والحديث يُفسِّر بعضه بعضاً.

وفي هذا الحديث استحباب الدُّعاء في الكَرب، والتَّقَرُّب إلى الله تعالى/ بذِكْر صالح العمل، ٦/٥١٠ واستنجاز وعده بسؤاله.

واستَنبَطَ منه بعض الفقهاء استحباب ذِكْر ذلك في الاستسقاء، واستَشكَلَه المحِبّ الطَّبَري لمَا فيه من رُؤية العمل، والاحتقار عند السُّؤال في الاستسقاء أولى لأنَّه مقام التَّضَرُّع، وأجابَ عن قصَّة أصحاب الغار بأنَّهم لم يَستَشفِعوا بأعمالهم، وإنَّما سألوا الله إن كانت أعمالهم خالصَةً وقُبِلَتْ، أن يجعل جزاءَها الفَرَجَ عنهم، فتَضَمَّنَ جوابه تَسليم السُّؤال لكن بهذا القَيد، وهو حسن.

وقد تَعرَّضَ النَّوَوي لهذا فقال في كتاب «الأذكار»: «باب دعاء الإنسان وتَوَسُّله بصالحِ عمله إلى الله» وذكر هذا الحديث، ونَقَلَ عن القاضي حسين وغيره استحباب ذلك في الاستسقاء، ثمَّ قال: وقد يقال: إنَّ فيه نوعاً من تَرك الافتقار المطلَق، ولكنَّ النبي ﷺ أثنى عليهم بفعلِهم، فدَلَّ على تَصويب فعلهم.

وقال السُّبكي الكبير: ظَهَرَ لي أنَّ الضَّرورة قد تُلجِئ إلى تَعجيل جزاء بعض الأعمال في الدُّنيا، وأنَّ هذا منه، ثمَّ ظَهَرَ لي أنَّه ليس في الحديث رُؤية عملٍ بالكلّية، لقولِ كلّ منهم: «إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك» فلم يَعتَقِد أحد منهم في عمله الإخلاص، بل أحالَ أمره إلى الله، فإذا لم يَجزِموا بالإخلاص فيه مع كَونه أحسنَ أعمالهم فغيره أولى، فيُستَفاد منه أنَّ الذي يَصلُح في مِثل هذا أن يَعتَقِد الشَّخص تقصيرَه في نفسه ويُسيءَ الظَّنّ بها، ويَبحَث على واحد مِن عمله يَظُنّ أنَّه أخلَصَ فيه فيُفَوِّض أمره إلى الله ويُعلِّق الدُّعاء

---

(١) في «الدعاء» للطبراني (١٩٥).

على عِلم الله به، فحينئذٍ يكون إذا دَعَا راجياً للإجابة خائفاً من الردّ، فإن لم يَغلِب على ظنّه إخلاصه ولو في عمل واحد، فليَقِف عند حَدّه ويستحيي أن يسأل بعمل ليس بخالص، قال: وإنَّما قالوا: «ادعوا الله بصالحِ أعمالكم» في أوَّل الأمر، ثمَّ عند الدُّعاء لم يُطلِقوا ذلك، ولا قال واحد منهم: أدعوك بعملي، وإنَّما قال: «إن كنت تَعلَم»، ثمَّ ذكر عمله. انتهى مُلخَّصاً، وكأنَّه لم يَقِف على كلام المحِبّ الطَّبَري الذي ذكرته فهو السابق إلى التَّنبيه على ما ذكره، والله أعلم.

وفيه فضل الإخلاص في العمل، وفضل برّ الوالدين وخِدمَتهما وإيثارهما على الولد والأهل وتَحمُّل المَشَقَّة لأجلِهما. وقد استُشكِلَ تَركُه أولادَه الصِّغار يَبكُونَ من الجوع طول ليلتهما مع قُدرَته على تسكين جوعهم، فقيل: كان في شرعهم تقديم نَفَقة الأصل على غيرهم، وقيل: يحتمل أنَّ بُكاءَهم ليس من الجوع، وقد تقدَّم ما يَرُدّه. وقيل: لعلَّهم كانوا يَطلُبونَ زيادة على سَدّ الرَّمَق، وهذا أَولى.

وفيه فضل العِفَّة والانكِفاف عن الحرام مع القُدرة، وأنَّ تَركَ المعصية يَمحو مُقدِّمات طلبها، وأنَّ التَّوبة تَجُبّ ما قبلها.

وفيه جواز الإجارة بالطَّعام المعلوم بين المتآجِرَينِ. وفضل أداء الأمانة. وإثبات الكَرامة للصالحينَ. واستُدِلَّ به على جواز بيع الفُضولي، وقد تقدَّم البحث فيه في البيوع (٢٢١٥).

وفيه أنَّ المستودَع إذا اتَّجر في مال الوَديعة كان الرِّبح لصاحبِ الوَديعة. قاله أحمد، وقال الخَطّابي: خالَفَه الأكثر فقالوا: إذا تَرتَّبَ المال في ذِمَّة الوَديع، وكذا المضارب، كأنْ تَصَرَّفَ فيه بغير ما أُذِنَ له فيَلزَم ذِمَّتَه، أنَّه إن اتَّجَرَ فيه كان الرِّبح له. وعن أبي حنيفة: الغرامة عليه، وأمَّا الرِّبح فهو له لكن يَتَصَدَّق به. وفَصَّلَ الشَّافعي فقال: إن اشتَرَى في ذِمَّته، ثمَّ نَقَدَ الثَّمَن من مال الغير فالعَقد له والرِّبح له، وإن اشتَرَى بالعين فالرِّبح للمالِكِ، وقد تقدَّم نقل الخِلاف فيه في البيوع أيضاً.

وفيه الإخبار عمَّا جَرَى للأُمَمِ الماضية ليعتَبِر السامعونَ بأعمالهم، فيُعمل بحسنِها ويُترَك قبيحُها، والله أعلم.

تنبيه: لم يُخرج الشَّيخان هذا الحديث إلّا من رواية ابن عمر، وجاء بإسناد صحيح عن أنس[1]، وأخرجه الطبراني في «الدُّعاء» (١٩٢) من وجه آخر حسن، وبإسناد حسن عن أبي هريرة (١٩٣)، وهو في «صحيح ابن حِبّان» (٩٧١). وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن أبي هريرة (١٩٤) وعن النُّعمان بن بشير من ثلاثة أوجُه حِسان (١٨٩ و١٩٠)، أحدها عند أحمد (١٨٤١٧) والبزَّار (٣٢٩١) وكلّها عند الطبراني، وعن عليّ وعُقْبة بن عامر وعبد الله بن عَمْرو بن العاص وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفة[2]، وقد استوعَبَ طرقه أبو عَوَانة في «صحيحه»/ (٥٥٤٩-٥٥٨٩) والطبراني في «الدُّعاء» (١٨٧-٢٠١). ٥١١/٦

واتَّفَقَت الرِّوايات كلّها على أنَّ القِصَص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوَين، إلّا حديث عُقْبة بن عامر ففيه بدل الأجير: أنَّ الثّالث قال: «كنت في غنم أرعاها فحَضَرَت الصلاة فقُمت أُصَلّي فجاء الذِّئب فدَخَلَ الغنم، فكَرهت أن أقطَع صلاتي فصَبَرت حتَّى فرَغت» فلو كان إسناده قويّاً لحُمِلَ على تعدُّد القصَّة، ووَقَعَ في رواية الباب من طريق عُبيد الله العمري عن نافع تقديم الأجير ثمَّ الأبَوَين ثمَّ المرأة، وخالَفَه موسى بن عُقْبة من الوجهَين، فقَدَّمَ الأبوَين ثمَّ المرأة ثمَّ الأجير، ووافَقَته رواية سالم. وفي حديث أبي هريرة: المرأة ثمَّ الأبَوَين ثمَّ الأجير، وفي حديث أنس: الأبوَين ثمَّ الأجير ثمَّ المرأة. وفي حديث النُّعمان: الأجير ثمَّ المرأة ثمَّ الأبوَينِ، وفي حديث عليّ وابن أبي أوفى معاً: المرأة ثمَّ الأجير ثمَّ الأبوَين.

وفي اختلافهم دلالة على أنَّ الرِّواية بالمعنى عندهم كانت سائغة شائعة، وأن لا أثر للتَّقديمِ والتَّأخير في مِثل ذلك، وأرجَحها في نظري رواية موسى بن عُقْبة لموافَقة سالم لها

---

(١) عند أحمد (١٢٤٥٤)، والبزار (٧١٨٩)، وأبي يعلى (٢٩٣٧)، وغيرهم.

(٢) عند الطبراني في «الدعاء» بالأرقام (١٨٧) و(١٩٥) و(١٩٦) و(٢٠١).

فهي أصحّ طرق هذا الحديث، وهذا من حيثُ الإسناد، وأمّا من حيثُ المعنى فيُنظَر أيّ الثلاثة كان أنفَع لأصحابه، والذي يَظهَر أنّه الثّالث، لأنّه هو الذي أمكَنَهم أن يَخرُجوا بدُعائه، وإلّا فالأوّل أفادَ إخراجهم من الظُّلمة، والثّاني أفادَ الزّيادةَ في ذلك وإمكانَ التّوسُّل إلى الخروج بأن يَمُرّ مثلاً هناك مَن يُعالِج لهم ذلك، والثّالث هو الذي تهَيّأ لهم الخروجُ بسَبَبِه، فهو أنفَعهم لهم فينبغي أن يكون عمل الثّالث أكثر فضلاً من عمل الآخرَين. ويَظهَر ذلك من الأعمال الثلاثة: فصاحب الأبَوَين فضيلَته مقصورة على نفسه، لأنّه أفادَ أنّه كان بارّاً بأبَوَيه، وصاحب الأجير نَفعُه مُتعَدٍّ، وأفادَ بأنّه كان عظيم الأمانة، وصاحب المرأة أفضلهم، لأنّه أفادَ أنّه كان في قلبه خَشية ربّه، وقد شَهِدَ الله لمن كان كذلك بأنّ له الجنَّة حيثُ قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، وقد أضافَ هذا الرجل إلى ذلك تركَ الذَّهَب الذي أعطاه للمرأة، فأضافَ إلى النَّفع القاصر النَّفع المتعدّي، ولا سيما وقد قال: إنّها كانت بنت عَمّه، فتكون فيه صِلة رَحِم أيضاً، وقد تقدَّم أنَّ ذلك كان في سنة قَحط فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى، فيَتَرَجَّح على هذا رواية عُبيد الله عن نافع. وقد جاءت قصَّة المرأة أيضاً أخيرة في حديث أنس، والله أعلم.

٥٤- بابٌ

٣٤٦٦- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن عبدِ الرحمن حدَّثه، أنَّه سمعَ أبا هريرةَ ﷺ، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «بَيْنا امرأةٌ تُرضِعُ ابنَها، إذ مرَّ بها راكِبٌ وهي تُرضِعُه، فقالت: اللهمَّ لا تُمِتِ ابني حتَّى يكونَ مِثلَ هذا، فقال: اللهمَّ لا تَجْعَلْني مِثلَه، ثمَّ رَجَعَ في الثَّدْيِ، ومُرَّ بامرأةٍ تُجرَّرُ ويُلْعَبُ بها، فقالت: اللهمَّ لا تَجْعَلِ ابني مِثْلَها، فقال: اللهمَّ اجْعَلْني مِثْلَها، فقال: أمّا الرّاكِبُ فإنَّه كافرٌ، وأمّا المرأةُ فإنّهم يقولون لها: تَزْني، وتقولُ: حسبيَ الله، ويقولون: تَسْرِقُ، وتقولُ: حسبيَ الله».

٣٤٦٧- حدَّثنا سعيدُ بنُ تَلِيدٍ، حدَّثنا ابنُ وَهْب، قال: أخبرني جَرِيرُ بنُ حازمٍ، عن أيوبَ،

عن محمَّدِ بنِ سِيرِينَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «بينَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كادَ يَقْتُلُه العَطَشُ، إذ رَأَته بَغِيٌّ مِن بَغايا بني إسرائيلَ، فنَزَعَت مُوقَها فسَقَتْه، فغُفِرَ لها».

٣٤٦٨- حدَّثنا عبدُ الله بنُ مَسْلَمةَ، عن مالكٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن حُميد بنِ عبدِ الرحمن، أنَّه سمعَ مُعاوِيةَ بنَ أبي سفيانَ عامَ حَجَّ على المِنْبرِ، فتَناوَلَ قُصَّةً من شَعَرٍ كانت في يدِ حَرَسِيٍّ، فقال: يا أهلَ المدينةِ، أينَ عُلَماؤُكم؟ سمعتُ النبيَّ ﷺ يَنْهَى عن مِثْلِ هذه، ويقول: «إنَّما هَلَكَت بنو إسرائيلَ حينَ اتَّخَذَها نِساؤُهم».

[أطرافه في: ٣٤٨٨، ٥٩٣٢، ٥٩٣٨]

٣٤٦٩- حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنَّه قد كان فيما مَضَى قبلَكم مِن الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وإنَّه إن كان في أمَّتي هذه منهم، فإنَّه عمرُ بنُ الخَطّاب».

[طرفه في: ٣٦٨٩]

الحديث الرابع عشر: حديث أبي هريرة في قصَّة المرأة التي كانت تُرضِع ولدها فتَكلَّمَ، وقد تقدَّم شرحه في قصَّة عيسى ابن مريم (٣٤٣٦). وعبد الرحمن المذكور في الإسناد: هو الأعرَج. ٥١٦/٦

الحديث الخامس عشر: حديثه في قصَّة المرأة التي سَقَت الكَلب.

قوله: «يُطيف» بضمِّ أوَّله، من أطافَ، يقال: أطَفت بالشيءِ: إذا أدَمْتُ المرور حوله.

قوله: «برَكيّةٍ» بفتح الرّاء وكسر الكاف وتشديد التَّحتانية: البئر مَطويّة أو غير مَطويّة، وغير المطويّة يقال لها: جُبٌّ وقَليب، ولا يقال لها: بئر، حتَّى تُطوى، وقيل: الرَّكي: البئر قبل أن تُطوى، فإذا طُوِيَت فهي الطَّوِيُّ.

قوله: «بَغِيٌّ» بفتح الموحَّدة وكسر المعجَمة: هي الزّانية، وتُطلَق على الأمَة مُطلَقاً.

قوله: «مُوقها» بضمِّ الميم وسكون الواو بعدها قاف: هو الخُفّ، وقيل: ما يُلبَس فوق الخُفّ.

قوله: «فغُفِرَ لها» زاد الكُشْمِيهني: «به»، وقد تقدَّم الكلام على هذا الحديث مشروحاً في كتاب الشّرب (٢٣٦٣)، لكن وَقَعَ هناك وفي الطَّهارة (١٧٣) أنَّ الذي سَقى الكَلب رجل، وأنّه سَقاه في خُفّه، ويحتَمل تعدُّد القصَّة. وقَدَّمتُ بقيَّة الكلام في كتاب الشّرب، والله أعلم.

الحديث السادس عشر: حديث معاوية.

قوله: «عام حَجّ» في رواية سعيد بن المسيّب الآتية آخر الباب (٣٤٨٨): «آخر قَدمة قَدِمَها». قلت: وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين، وهي آخر حَجَّة حَجَّها في خِلافَته.

قوله: «فتَناوَلَ قُصَّة» بضمِّ القاف وتشديد المهمَلة: هي شَعر الناصية، والحَرَسيّ منسوب إلى الحَرَس، وهو واحد الحُرّاس.

قوله: «أينَ عُلَماؤُكم» فيه إشارة إلى أنَّ العلماء إذ ذاكَ فيهم كانوا قد قَلّوا، وهو كذلك لأنَّ غالب الصَّحابة كانوا يومَئذٍ قد ماتوا، وكأنَّه رأى جُهّال عَوامّهم صَنَعوا ذلك، فأراد أن يُذكِّر علماءَهم ويُؤنِّبهم بما تَركوه من إنكار ذلك.

ويحتَمل أن يكون تَرك مَن بقي من الصَّحابة ومن أكابر التابعينَ إذ ذاكَ الإنكارَ، إمّا لاعتقادِ عَدَم التَّحريم ممَّن بَلَغَه الخبر، فحَمَلَه على كراهة التَّنزيه، أو كان يخشى من سَطوَة الأُمَراء في ذلك الزَّمان على مَن يَستَبِدّ بالإنكار لئلّا يُنسَب إلى الاعتراض على أُولي الأمر، أو كانوا ممَّن لم يَبلُغهم الخبر أصلاً، أو بَلَغَ بعضهم لكن لم يَتَذكَّروه حتَّى ذَكَّرَهم به معاوية، فكلّ هذه أعذارٌ مُمكِنة لمن كان موجوداً إذ ذاكَ من العلماء.

وأمَّا مَن حَضَرَ خُطبة معاويةَ وخاطَبَهم بقوله: أين عُلَماؤُكم، فلعلَّ ذلك كان في خُطبة غير الجمعة، ولم يَتَّفِق أن يَحضُره إلّا مَن ليس من أهل العلم، فقال: أين عُلَماؤُكم؟ لأنَّ الخِطاب بالإنكار لا يَتوجَّه إلّا على مَن عَلمَ الحُكم وأقَرَّه.

قوله: «ويقول» هو معطوف على «يَنهى»، وفاعل ذلك النبي ﷺ.

قوله: «إنَّما هَلَكَت بنو إسرائيل حين اتَّخذَها نِساؤُهم» فيه إشعار بأنَّ ذلك كان حَراماً

عليهم، فلمَّا فعلوه كان سبباً لهلاكِهم، مع ما انضَمَّ إلى ذلك من ارتكابهم ما ارتَكَبوه من المناهي، وسيأتي شرح ذلك مَبسوطاً في كتاب اللِّباس (٥٩٣٢) إن شاء الله تعالى.

الحديث السابع عشر: حديث أبي هريرة.

قوله: «عن أبيه» هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف.

قوله: «عن أبي هريرة» هذا هو المشهور عن إبراهيم بن سعد، وقيل: عنه، عن أبيه، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشة كما سيأتي[1].

قوله: «إنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمَم مُحَدَّثونَ» بفتح الدّال المهمَلة، وسيأتي شرحه مُستَوفًى في مناقب عمر (٣٦٨٩)، فإنَّ فيه أنَّهم كانوا من بني إسرائيل.

قوله: «وإنَّه إنْ كان في أمَّتي هذه منهم» في رواية أبي داود الطَّيالسي (٢٤٦٩) عن إبراهيم ابن سعد: «وإنَّه إن كان في أمَّتي أحد منهم».

قوله: «فإنَّه عمر بن الخطّاب» كذا قاله النبي ﷺ على سبيل التوقُّع، وكأنَّه لم يكن اطَّلَعَ على أنَّ ذلك كائن، وقد وَقَعَ بحَمدِ الله ما تَوَقَّعَه النبي ﷺ في عمر ﷺ، ووَقَعَ من ذلك لغيره ما لا يُحصى ذِكْرُه.

٣٤٧٠- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا محمَّدُ بنُ أبي عَدِيٍّ، عن شُعْبَةَ، عن قَتَادةَ، عن أبي الصِّدِّيقِ الناجِيِّ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «كان في بني إسرائيلَ رجلٌ قَتَلَ تسعةً وتسعينَ إنساناً، ثمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فأتى راهباً، فسأله فقال: له تَوْبةٌ؟ قال: لا، فقتَلَه، فجَعَلَ يَسْأَلُ، فقال له رجلٌ: ائْتِ قَرْيةَ كَذا وكَذا، فأدرَكَه الموتُ فناءَ بصَدْرِه نحوَها، فاختَصَمَتْ فيه ملائكةُ الرَّحْمةِ وملائكةُ العذاب، فأَوْحَى الله إلى هذه أن تَقرَّبي، وأَوْحَى الله إلى هذه أن تَباعَدي، وقال: قِيسُوا ما بينَهما، فوُجِدَ له هذه أقرَبُ بشِبْرٍ، فغُفِرَ له».

الحديث الثامن عشر: حديث أبي سعيد.

قوله: «عن أبي الصِّدّيق الناجي» في رواية مسلم (٢٧٦٦/ ٤٧) من طريق معاذ عن

---

(١) عند شرح الحديث (٣٦٨٩).

شُعْبة عن قَتَادة: أنَّه سمعَ أبا الصِّدّيق الناجي، واسم أبي الصِّدّيق ـ وهو بكسر الصّاد المهمَلة وتشديد الدّال المكسورة ـ/ بكر، واسم أبيه عَمْرو، وقيل: قيس، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث. ٥١٧/٦

قوله: «كان في بني إسرائيل رجل» لم أَقِفْ على اسمه، ولا على اسم أحد من الرِّجال ممَّن ذُكِرَ في القصَّة، زاد مسلم (٢٧٦٦/ ٤٦) من طريق هشام عن قَتَادة: «فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب».

قوله: «فأتى راهباً» فيه إشعار بأنَّ ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام، لأنَّ الرَّهبانية إنَّما ابتدَعَها أتباعه كما نُصَّ عليه في القرآن.

قوله: «فقال: له تَوْبةٌ؟» بِحذفِ أداة الاستفهام، وفيه تَجريدٌ أو التِفات، لأنَّ حَقّ السِّياق أن يقول: ألي تَوبة؟ ووقعَ في رواية هشام: «فقال: إنَّه قتل تِسعة وتسعينَ نفساً، فهَل له من توبة؟» وزادَ: «ثمَّ سأل عن أعلمِ أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم» وقال فيه: «ومن يَحُول بينه وبين التَّوبة؟».

قوله: «فقال له رجل: ائتِ قَرْية كذا وكذا» زاد في رواية هشام: «فإنَّ بها أُناساً يَعبُدونَ الله، فاعبُد الله معهم، ولا تَرجِع إلى أرضك، فإنَّها أرضُ سوء، فانطَلَقَ حتَّى إذا كان نصفُ الطَّريق أتاه الموت»[١]. ووَقَعَت لي تسمية القريَتَين المذكورتَين من حديث عبد الله ابن عَمْرو بن العاص مرفوعاً في «المعجَم الكبير» للطَّبَراني (١٤٦٦٠) قال فيه: إن اسم القرية الصالحة نصرة، واسم القرية الأُخرى كفرة.

قوله: «فناءَ» بنون ومَدّ وهمز، أي: بَعُدَ، أو المعنى: مالَ أو نَهَضَ مع تَثاقُل، فعلى هذا فالمعنى فمالَ إلى الأرض التي طلبَها، هذا هو المعروف في هذا الحديث، وحَكَى بعضهم فيه: فنأى، بغير مَدّ قبل الهمز، وبإشباعها بوَزنِ سَعى، تقول: نأى يَنأى نأياً، أي: بَعُدَ، وعلى هذا فالمعنى فبَعُدَ عن[٢] الأرض التي خَرَجَ منها. ووقعَ في رواية هشام عن قَتَادة ما

---

(١) وقع في (س): أتاه ملك الموت، بزيادة «ملك»، وهي مقحمة ليست في الرواية، ولم ترد في الأصلين.

(٢) تحرف في (س): إلى: على.

يُشعِر بأنَّ قوله: «فناءَ بصَدْره» إدراج، فإنَّه قال في آخر الحديث: قال قَتَادة: قال الحسن: ذُكِرَ لنا أنَّه لمَّا أتاه الموت ناءَ بصَدره.

قوله: «فاختصَمتْ فيه» في رواية هشام من الزِّيادة: «فقالت ملائكة الرَّحمة: جاء تائباً مُقبِلاً بقلبِه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنَّه لم يعمل خيراً قطّ، فأتاه مَلَك في صورة آدمي، فجَعَلوه بينهم، فقال: قِيسوا ما بين الأرضَين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لها».

قوله: «فأوْحى الله إلى هذه أن تَباعَدي» أي: إلى القرية التي خَرَجَ مِنها **«وإلى هذه أن تَقرَّبي»**[1] أي: القرية التي قَصَدَها. وفي رواية هشام: «فقاسوه فوَجَدوه أدنى إلى الأرض التي أرادَ».

قوله: «أقرَب بشِبْر فغُفِرَ له» في رواية معاذ عن شُعْبة[2]: «فجُعِلَ من أهلها»، وفي رواية هشام: «فقبَضَته ملائكة الرَّحمة».

وفي الحديث مشروعية التَّوبة من جميع الكَبائر حتَّى مِن قتل الأنفُس، ويُحمَل على أنَّ الله تعالى إذا قَبِلَ تَوبة القاتل تَكفَّلَ بِرضا خَصمه.

وفيه أنَّ المفتي قد يُجيب بالخطأ، وغَفَلَ مَن زَعَمَ أنَّه إنَّما قتل الأخيرَ على سبيل التَّأوُّل، لكَونِه أفتاه بغير عِلم، لأنَّ السِّياق يقتضي أنَّه كان غيرَ عالم بالحُكمِ حتَّى استَمرَّ يَستَفتي، وأنَّ الذي أفتاه استَبعَدَ أن تَصِحّ تَوبَته بعد قتله لِـمن ذكر أنَّه قتله بغير حَقّ، وأنَّه إنَّما قتله بناء على العمل بفَتواه، لأنَّ ذلك اقتَضى عنده أن لا نَجاة له، فيَئِسَ من الرَّحمة، ثمَّ تَدارَكَه الله فنَدِمَ على ما صَنَعَ فرَجَعَ يسأل.

وفيه إشارة إلى قِلَّة فِطنة الرّاهب، لأنَّه كان من حقّه التَّحرُّز ممَّن اجترأ على القتل حتَّى صارَ له عادةً، بأن لا يواجِهه بخِلاف مُراده وأن يَستَعمِل معه المعاريض مُداراةً عن نفسه،

---

(١) كذا هي رواية مسلم بهذا الترتيب (٢٧٦٦) (٤٨) عن محمد بن بشار، شيخ البخاري في هذ الحديث. وأما رواية البخاري: «فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي».

(٢) عند مسلم (٢٧٦٦) (٤٧).

هذا لو كان الحُكم عنده صريحاً في عَدَم قَبُول تَوبة القاتل، فضلاً عن أنَّ الحُكم لم يكن عنده إلّا مَظنوناً.

وفيه أنَّ الملائكة الموكَّلينَ ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقّهم بالنِّسبة إلى مَن يَكتُبونَه مُطيعاً أو عاصياً، وأنَّهم يَختَصِمونَ في ذلك حتَّى يقضي الله بينهم.

وفيه فضل التحوُّل عن الأرض التي يُصيب الإنسانُ فيها المعصيةَ لمَا يَغلِب بحُكمِ العادة على مِثل ذلك، إمّا لتَذَكُّره لأفعاله الصّادِرة قبل ذلك والفتنة بها، وإمّا لوجودِ مَن كان يُعينه على ذلك ويَحُضّه عليه، ولهذا قال له الأخير: «ولا تَرجِع إلى أرضك فإنَّها أرض سوء» ففيه إشارة إلى أنَّ التائب ينبغي له مُفارَقة الأحوال التي اعتادَها في زمان المعصية، والتحوُّل عنها كلّها والاشتغال/ بغيرها. ٥١٨/٦

وفيه فضل العالم على العابد، لأنَّ الذي أفتاه أوّلاً بأن لا تَوبة له، غَلَبَت عليه العبادة، فاستَعظَمَ وقوع ما وَقَعَ من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العَدَد الكثير، وأمّا الثّاني فغَلَبَ عليه العلم، فأفتاه بالصَّواب ودَلَّه على طريق النَّجاة.

قال عياض: وفيه أنَّ التَّوبة تَنفَع من القتل كما تَنفَع من سائر الذُّنوب، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا، وفي الاحتجاج به خِلافٌ لكن ليس هذا من موضع الخِلاف، لأنَّ موضع الخِلاف إذا لم يَرِد في شرعنا تقريره وموافَقَته، أمّا إذا وَرَدَ فهو شرعٌ لنا بلا خِلاف، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وحديث عُبادة بن الصّامت ففيه بعد قوله: «ولا تَقتُلوا النَّفس» وغير ذلك من المنهيات: «فمَن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله، إن شاءَ عَفا عنه، وإن شاءَ عَذَّبه» مُتَّفَق عليه[١].

قلت: ويُؤخَذ ذلك أيضاً من جِهَة تخفيف الآصار عن هذه الأُمَّة بالنِّسبة إلى مَن قبلهم من الأُمَم، فإذا شُرِعَ لهم قَبُول تَوبة القاتل، فمشروعيتها لنا بطريق الأَولى، وسيأتي البحث

---

(١) سلف عند المصنف برقم (١٨)، وهو عند مسلم برقم (١٧٠٩).

في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ الآية [النساء:٩٣]، في التَّفسير (٤٥٩٠) إن شاء الله تعالى.

واستُدِلَّ به على أنَّ في بني آدم مَن يَصلُح للحُكمِ بين الملائكة إذا تَنازَعوا. وفيه حُجَّة لمن أجازَ التَّحكيم، وأنَّ مَن رَضي الفريقان بتَحكيمِه، فحُكمه جائز عليهم، وسيأتي نقل الخِلاف في ذلك في الحديث الذي يَلي ما بعده.

وفيه أنَّ للحاكمِ إذا تَعارَضَت عنده الأحوال وتعذَّرت[1] البيِّنات أن يَستَدِلّ بالقرائنِ على التَّرجيح.

٣٤٧١- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، حدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي سَلَمةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ، ثمَّ أقبَلَ على الناسِ، فقال: «بَيْنا رجلٌ يَسُوقُ بقرةً إذ رَكِبَها فضَرَبَها، فقالت: إنّا لم نُخْلَق لهذا، إنَّما خُلِقْنا للحَرْث» فقال الناسُ: سُبْحانَ الله! بقرةٌ تَكَلَّمُ؟ فقال: «فإنِّي أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمرُ - وما هما ثَمَّ - وبينَما رجلٌ في غَنَمِه إذ عَدا الذِّئْبُ، فذهب منها بشاةٍ، فطَلَبَ حتَّى كأنَّه استَنْقَذَها منه، فقال له الذِّئْبُ: هذا استَنْقَذْتَها منِّي، فمَن لها يومَ السَّبُعِ يومَ لا راعِيَ لها غيري؟» فقال الناسُ: سُبْحانَ الله! ذِئْبٌ يتكلَّمُ، قال: «فإنِّي أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمر» وما هما ثَمَّ.

حدَّثنا عليٌّ، حدَّثنا سفيانُ، عن مِسعَرٍ، عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ، عن أبي سَلَمةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ مِثلَهُ.

٣٤٧٢- حدَّثنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ، أخبرنا عبدُ الرَّزّاق، عن مَعمَر، عن همَّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اشتَرَى رجلٌ من رجلٍ عَقاراً له، فوَجَدَ الرجلُ الذي اشتَرَى العَقارَ في عَقاره جَرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشتَرَى العَقارَ: خُذ ذهبَكَ منِّي، إنَّما اشتَرَيتُ منكَ الأرضَ، ولم أبتَعِ الذَّهَبَ، وقال الذي له الأرضُ: إنَّما بعتُكَ الأرضَ وما فيها، فتَحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تَحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ قال أحدُهما: لي غلامٌ، وقال الآخَرُ: لي جاريةٌ، قال:

---

(١) تحرفت في (س) إلى: وتعددت.

أَنكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفِقوا على أنفُسِهما منه، وتَصَدَّقا».

الحديث التاسع عشر: حديث أبي هريرة في قصَّة البقرة التي تَكلَّمَت.

قوله: «عن الأعرَج، عن أبي سَلَمة» هو من رواية الأقران، وقد رواه الزُّهْري أيضاً عن أبي سَلَمة، وسيأتي مع شرحه مُستَوفًى في المناقب(١).

قوله: «بَيْنا رجل يَسوق بقرة» لم أقِفْ على اسمه.

قوله: «إذ رَكِبَها فضَرَبَها، فقالت: إنّا لم نُخْلَق لهذا» استُدِلَّ به على أنَّ الدَّوابَّ لا تُستَعمَل إلّا فيما جَرَت العادة باستعمالها فيه، ويحتَمل أن يكون قولها: «إنَّما خُلِقنا للحَرثِ» للإشارة إلى مُعظَم ما خُلِقَت له، ولم تُرِد الحَصر في ذلك، لأنَّه غير مُراد اتِّفاقاً، لأنَّ من جُملة ما خُلِقَت له أنَّها تُذبَح وتُؤكَل بالاتِّفاق، وقد تقدَّم قول ابن بَطّال في ذلك في كتاب المزارَعة (٢٣٢٤).

قوله: «فإنّي أُوْمِن بهذا أنا وأبو بَكْر وعمر» هو محمول على أنَّه كان أخبَرَهما بذلك فصَدَّقاه، أو أطلَقَ ذلك لمّا اطَّلَعَ عليه من أنَّهما يُصدِّقان بذلك إذا سمعاه، ولا يَتَرَدَّدان فيه.

قوله: «وما هما ثَمَّ» بفتح المثلَّثة، أي: ليسا حاضرَينِ، وهو من كلام الراوي، ولم يقع ذلك في رواية الزُّهْري(٢).

قوله: «وبينا رجل» هو معطوف على الخبر الذي قبله بالإسناد المذكور.

قوله: «إذ عَدَا الذِّئْب» بالعين المهمَلة من العُدوان.

قوله: «هذا استَنقَذْتَها منِّي» في رواية الكُشْمِيهني: «استَنقَذَها» بإبهام الفاعل.

قوله: «حدَّثنا عليّ، حدَّثنا سُفيان، عن مِسعَر» هذا يدلُّ على أنَّه سمعَه من شيخه مُفرَّقاً، والحاصل أنَّ لسفيان فيه إسنادين: أحدهما: أبو الزِّناد عن الأعرَج، والآخر: مِسعَر عن

(١) سيأتي برقم (٣٦٦٣)، وانظر ما سلف برقم (٢٣٢٤).

(٢) كذا قال الحافظ رحمه الله، مع أنه ذكر في رواية الزهري الآتية عند البخاري برقم (٣٦٩٠).

سعد بن إبراهيم، كلاهما عن أبي سَلَمة، وفي كلّ من الإسنادين رواية القَرين عن قَرِينه، لأنَّ الأعرَج قَرِين أبي سَلَمةَ كما تقدَّم، لأنَّه شارَكَه في أكثر شيوخه ولا سيما أبو هريرة، وإن كان أبو سَلَمةَ أكبر سِنّاً من الأعرَج. وسفيان بن عُيَينةَ قَرِين مِسعَر، لأنَّه شارَكَه في أكثر شيوخه، لا سيما سعد بن إبراهيم، وإن كان مِسعَر أكبر سِنّاً من سفيان.

الحديث العشرون: حديث أبي هريرة أيضاً: «اشتَرى رجل من رجل عَقاراً» لم أَقِفْ على اسمهما، ولا على اسم أحد ممَّن ذُكِرَ في هذه القصَّة، لكن في «المبتَدَأ» لوَهْب بن مُنبِّه: أنَّ الذي تَحاكما إليه هو داودُ النبي عليه السلام، وفي «المبتَدَأ» لإسحاق بن بشر: أنَّ ذلك وَقَعَ في زمن ذي القَرنَين من بعض قُضاته، فالله أعلم. وصَنيع البخاري يقتضي ترجيح ما وَقَعَ عند وَهْب لكَونِه أورَدَه في ذِكْر بني إسرائيل.

قوله: «عَقاراً» العَقار في اللُّغة: المنزِل والضَّيعة، وخَصَّه بعضهم/ بالنَّخلِ، ويقال للمَتاع النَّفيس الذي للمنزِلِ: عَقار أيضاً، وأمَّا عياض فقال: العَقار: الأصل من المال، وقيل: المنزِل والضَّيعة، وقيل: مَتاع البيت، فجعله خِلافاً. والمعروف في اللُّغة أنَّه مَقُول بالاشتِراكِ على الجميع، والمراد به هنا الدّار، وصَرَّحَ بذلك في حديث وَهْب بن مُنبِّه. ٥١٩/٦

قوله: «فوَجَدَ الرجلُ الذي اشتَرى العَقار في عَقاره جَرَّة فيها ذهب، فقال له: خُذ ذهبَك فإنَّما اشتَريت مِنْك الأرض ولم أبتَعِ الذَّهَب» وهذا صريح في أنَّ العَقد إنَّما وَقَعَ بينهما على الأرض خاصَّة، فاعتَقَدَ البائع دخول ما فيها ضِمناً، واعتَقَدَ المشتَري أنَّه لا يَدخُل. وأمَّا صورة الدَّعوى بينهما فوَقَعَت على هذه الصّورة، وأنَّهما لم يختلفا في صورة العَقد التي وَقَعَت.

والحُكم في شَرْعنا على هذا في مِثل ذلك: أنَّ القول قول المشتَري، وأنَّ الذَّهَب باقٍ على مِلك البائع، ويحتَمل أنَّهما اختَلَفا في صورة العَقد بأن يقول المشتَري: لم يقع تصريح ببيع الأرض وما فيها، بل ببيع الأرض خاصَّة، والبائع يقول: وَقَعَ التَّصريح بذلك، والحُكم في هذه الصّورة أن يَتحالَفا ويُستَردَّ المبيع، وهذا كلّه بناء على ظاهر اللَّفظ أنَّه وَجَدَ فيها جَرَّة من ذهب، لكن في رواية إسحاق بن بشر: أنَّ المشتَري قال: إنَّه اشتَرى داراً، فعَمَرَها فوَجَدَ

فيها كَنزاً، وأنَّ البائع قال له لمَّا دَعاه إلى أخذه: ما دَفَنتُ ولا عَلمتُ، وأنَّهما قالا للقاضي: ابعَث مَن يَقبِضُه، وتَدَعُه حيثُ رأيت، فامتَنَعَ، وعلى هذا فحُكم هذا المال حُكم الرِّكاز في هذه الشَّريعة، إن عُرِفَ أنَّه من دَفين الجاهلية، وإلّا فإن عُرِفَ أنَّه من دَفين المسلمينَ فهو لُقَطة، وإن جُهِلَ فحُكمه حُكم المال الضّائع يوضَع في بيت المال، ولعله لم يكن في شرعهم هذا التَّفصيل، فلهذا حَكَمَ القاضي بما حَكَمَ به.

قوله: «وقال الذي له الأرض» أي: الذي كانت له، ووقعَ في رواية أحمد (٨١٩١) عن عبد الرَّزّاق بيان المراد من ذلك، ولفظه: **«فقال الذي باعَ الأرض: إنَّما بعتُك الأرض»**، ووقعَ في نُسَخ مسلم اختلاف، فالأكثر رَوَوْه بلفظ: **«فقال الذي شَرى الأرض»**[1] والمراد باعَ الأرض كما قال أحمد، ولبعضِهم: **«فقال الذي اشتَرى الأرض»**، ووَهَّمَها القُرطُبي قال: إلّا إن ثَبَتَ أنَّ لفظ: «اشتَرى» من الأضداد، كشَرَى، فلا وَهْم.

وقوله: «فتَحاكما» ظاهره أنَّهما حَكَّماه في ذلك، لكن في حديث إسحاق بن بشر التَّصريح بأنَّه كان حاكماً منصوباً للنّاس، فإن ثَبَتَ ذلك فلا حُجَّة فيه لمن جَوَّزَ للمُتَداعيَينِ أن يُحَكِّما بينهما رجلاً ويَنفُذ حُكمه، وهي مسألة مُختَلَف فيها: فأجازَ ذلك مالك والشّافعي بشرطِ أن يكون فيه أهلية الحُكم، وأن يَحكم بينهما بالحقِّ سواء وافَقَ ذلك رأيَ قاضي البلد أم لا، واستَثنى الشّافعي الحدود، وشرط أبو حنيفة أن لا يخالف ذلك رأيَ قاضي البلد.

وجَزَمَ القُرطُبي بأنَّه لم يَصدُر منه حُكمٌ على أحد منهما، وإنَّما أصلَحَ بينهما لما ظَهَرَ له أنَّ حُكم المال المذكور حُكم المالِ الضّائع، فرأى أنَّهما أحقّ بذلك من غيرهما لمَا ظَهَرَ له من ورَعِهما وحُسن حالهما، وارتَجى من طيب نَسلهما وصلاح ذُرّيتهما، ويَرُدّه ما جَزَمَ به الغَزالي في «نَصيحة الملوك» أنَّهما تَحاكما إلى كِسرى، فإن ثَبَتَ هذا ارتَفَعَت المباحث الماضية المتعلِّقة بالتَّحكيم، لأنَّ الكافر لا حُجَّة له فيما يَحكم به. ووَقَعَ في روايةٍ عن أبي هريرة: لقد رأيتُنا يَكثُر تَمارينا ومُنازَعَتنا عند النبي ﷺ أيّهما أكثر أمانة.

---

(١) هو عند مسلم برقم (١٧٢١).

قوله: «أَلَكما وَلَد؟» بفتح الواو واللّام، والمراد الجِنس، لأنَّه يَستَحيل أن يكون للرجلين جميعاً ولد واحد، والمعنى: أَلِكلٍّ منكما ولد؟ ويجوز أن يكون قوله: «أَلَكما وُلْدٌ؟» بضمِّ الواو وسكون اللّام، وهي صيغة جمع، أي: أولاد، ويجوز كسر الواو أيضاً في ذلك.

قوله: «فقال أحدهما: لي غلام» بيَّن في رواية إسحاق بن بشر أنَّ الذي قال: لي غلام، هو الذي اشتَرى العَقار.

قوله: «أَنكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفِقوا على أنفُسهما منه وتَصَدَّقا» هكذا وَقَعَ بصيغة الجمع في الإنكاح والإنفاق، وبصيغة التَّثنية في النَّفسَين وفي التَّصدُّق، وكأنَّ السِّرّ في ذلك أنَّ الزَّوجَين كانا محجورَين، وإنكاحهما/ لا بدَّ فيه مع وَليِّهما من غيرهما كالشّاهدين، ٥٢٠/٦ وكذلك الإنفاق قد يُحتاج فيه إلى الـمُعِين كالوكيل.

وأمّا تَثنية النَّفسَين فللإشارة إلى اختصاص الزَّوجَين بذلك، وقد وَقَعَ في رواية إسحاق ابن بشر ما يُشعِر بذلك، ولفظه: «اذهَبا، فزَوِّج ابنَتَك من ابن هذا، وجَهِّزوهما من هذا المال، وادفَعا إليهما ما بقي يعيشان به».

وأمّا تَثنية التصدُّق فللإشارة إلى أن يُباشراها بغير واسطة لمَا في ذلك من الفضل، وأيضاً فهي تبَـرُّع لا يَصدُر من غير الرَّشيد، ولا سيما ممَّن ليس له فيها مِلك. ووَقَعَ في رواية مسلم: «وأنفِقا على أنفُسِكما» والأوَّل أوجَه، والله أعلم.

٣٤٧٣- حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، قال: حدَّثني مالكٌ، عن محمَّدِ بنِ المنْكَدِرِ. وعن أبي النَّضْرِ مولى عمرَ بنِ عُبيدِ الله، عن عامرِ بنِ سَعْدِ بنِ أبي وَقّاصٍ، عن أبيه: أنَّه سمعَه يَسْأَلُ أُسامةَ بنَ زيدٍ: ماذا سمعتَ من رسولِ الله ﷺ في الطاعونِ؟ فقال أُسامةُ: قال رسولُ الله ﷺ: «الطاعونُ رِجْسٌ أُرسِلَ على طائفةٍ من بني إسرائيلَ ـ أو على مَن كان قبلَكم ـ فإذا سمعتُم به بأرضٍ فلا تَقْدَموا عليه، وإذا وَقَعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تَخْرُجوا فِراراً مِنْه». قال أبو النَّضْر: «لا يُخْرِجُكم إلّا فِراراً مِنْه».

[طرفاه في: ٥٧٣٨، ٦٩٧٤]

٣٤٧٤- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا داودُ بنُ أبي الفُرات، حدَّثنا عبدُ الله بنُ بُرَيدةَ،

عن يحيى بنِ يَعْمَرَ، عن عائشةَ رضي الله عنها زوجِ النبيِّ ﷺ، قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الطاعونِ، فأخبرني: «أنَّه عذابٌ يَبْعَثُه الله على مَن يشاءُ، وأنَّ الله جعله رحمةً للمُؤْمنينَ، ليس من أحدٍ يَقَعُ الطاعونُ فيَمْكُثُ في بَلَدِه صابراً مُحْتَسِباً، يَعْلَمُ أنَّه لا يُصِيبُه إلَّا ما كَتَبَ اللهُ له، إلَّا كان له مِثلُ أجْرِ شَهِيدٍ».

[طرفاه في: ٥٧٣٤، ٦٦١٩]

الحديث الحادي والعشرون: حديث أُسامة بن زيد في الطاعون، وسيأتي شرحه مُستَوفًى في الطِّبِّ (٥٧٢٨)، والغرض منه هنا قوله في الحديث: «الطاعون رِجزٌ أُرسِلَ على بني إسرائيل» ووقعَ هنا «رِجسٌ» بالسِّين المهمَلة بدل الزَّاي، والمحفوظ بالزَّاي، ووَجَّهَه القاضي بأنَّ الرِّجس يقع على العُقوبة أيضاً، وقد قال الفارابي والجَوهري: الرِّجس العذاب.

قوله في آخر الحديث: «فلا تَخْرُجوا فِراراً منه، قال أبو النَّضْر: لا يُخرِجُكم إلَّا فِراراً منه» يريد أنَّ الأولى رواية محمَّد بن المنكَدِر، والثَّانية رواية أبي النَّضر، فأمَّا رواية ابن المنكَدِر فلا إشكال فيها، وأمَّا رواية أبي النَّضر فروايتها بالنَّصبِ كالذي هنا مُشكِلة، ورواها جماعة بالرفع ولا إشكال فيها، قال عِياض في الشَّرح: وَقَعَ لأكثر رواة «الموطَّأ» بالرفع، وهو بيِّن، أي[1]: السَّبَب الذي يُخرِجكم الفِرارُ ومُجرَّد قصده، لا غير ذلك، لأنَّ الخروج إلى الأسفار والحوائج مُباح، ويُطابق الرِّواية الأُخرى: «فلا تَخرُجوا فِراراً منه»، قال: ورواه بعضهم: «إلَّا فِراراً منه» قال: وقال ابن عبد البَرّ: جاء بالوجهَينِ، ولعلَّ ذلك من مالك، وأهل العربية يقولون: دخول «إلَّا» هنا بعد النَّفي لإيجاب بعض ما نُفي قبلُ من الخروج، فكأنَّه نَهى عن الخروج إلَّا للفِرار خاصَّة، وهو ضِدّ المقصود فإنَّ المنهي عنه إنَّما هو الخروج للفِرار خاصَّة لا لغيره، قال: وجَوَّزَ ذلك بعضهم وجَعَلَ قوله: «إلَّا» حالاً من الاستثناء، أي: لا تَخرُجوا إذا لم يكن خروجكم إلَّا للفِرار، قال عياض: ووَقَعَ لبعضِ رواة «الموطَّأ»: «لا يُخرِجكم الإفرار» بأداة التَّعريف وبعدها إفرار، بكسر الهمزة، وهو وهمٌ ولحنٌ.

---

(١) تحرف في (س) إلى: أن.

وقال في «المشارق»[١] ما حاصله: يجوز أن تكون الهمزة للتَّعدية، يقال: أَفَرَّه كذا من كذا، ومنه قوله عليه الصلاة والسَّلام لعَديّ بن حاتم: «إن كان لا يُفِرُّك من هذا إلّا ما ترى»[٢] فيكون المعنى: لا يُخرِجكم إفراره إياكم.

وقال القُرطُبي في «المفهِم»: هذه الرِّواية غَلَط، لأنَّه لا يقال: أفَرَّ، وإنَّما يقال: فرَّ، قال: وقال جماعة من العلماء: إدخال «إلّا» فيه غَلَط، وقال بعضهم: هي زائدة، وتجوز زيادتُه كما تُزاد «لا»، وخَرَّجَه بعضهم بأنَّها للإيجاب، فذكر نحو ما مضى، قال: والأقرَب أن تكون زائدة.

وقال الكِرْماني: الجمع بين قول ابن المنكَدِر: «لا تَخرُجوا فِراراً منه» وبين قول أبي النَّضر: «لا يُخرِجكم إلّا فِراراً منه» مُشكِل، فإنَّ ظاهره التَّناقُض، ثمَّ أجابَ بأجوبةٍ: أحدها: أنَّ غَرَض الراوي أنَّ أبا النَّضر فَسَّرَ «لا تَخرُجوا» بأنَّ المراد منه الحَصْر، يعني: الخروج المنهي هو الذي يكون لمجرَّدِ الفِرار لا لِغَرَضٍ آخر، فهو تفسير للمُعلَّلِ المنهي عنه لا للنَّهي.

قلت: وهو بعيد لأنَّه يقتضي أنَّ هذا اللَّفظ من كلام أبي النَّضر زادَه بعد الخبر، وأنَّه موافق لابن المنكَدِر على اللَّفظ الأوَّل روايةً، والمتبادِر خِلاف ذلك.

والجواب الثّاني: كالأوَّل والزِّيادة مرفوعة أيضاً، فيكون روى اللَّفظَين، ويكون التَّفسير مرفوعاً أيضاً.

الثّالث: «إلّا» زائدة بشرطِ أن تَثبُت زيادَتها في كلام العرب.

الحديث الثاني والعشرون: حديث عائشة في ذلك، وسيأتي شرحه في الطِّبّ أيضاً (٥٧٣٤).

---

(١) لم نقف على هذا الكلام في «المشارق»، وإنما الذي في «المشارق»، ٢/ ١٥٤ هو كلام عياض السابق.

(٢) هذه قطعة من حديث طويل في قصة إسلام عدي بن حاتم، ولم تقع بهذا اللفظ، وإنما وردت بلفظ: «لعلك إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم» انظر «سيرة ابن هشام» ٢/ ٥٨٠-٥٨١، وهو غير متصل.

٣٤٧٥- حدَّثنا قُتَيبةُ، حدَّثنا ليثٌ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ قريشاً أهَمَّهم شأنُ المرأةِ المخزومِيَّةِ التي سَرَقَت، فقالوا: مَن يُكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أُسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسولِ الله ﷺ؟ فكَلَّمَه أُسامةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتَشْفَعُ في حَدٍّ من حدودِ الله؟!» ثمَّ قامَ فاختَطَبَ، ثمَّ قال: «إنَّما أهلَكَ الذينَ قبلَكم أنَّهم كانوا إذا سَرَقَ فيهم الشَّرِيفُ تَرَكوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضَّعِيفُ أقاموا عليه الحَدَّ. وايمُ الله لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سَرَقَت لَقَطَعْتُ يدَها».

٣٤٧٦- حدَّثنا آدمُ، حدَّثنا شُعْبةُ، حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ مَيسَرةَ، قال: سمعتُ النَّزَّالَ بنَ سَبْرَةَ الهِلَاليَّ، عن ابنِ مسعودٍ ﷺ، قال: سمعتُ رجُلاً قرأ آيةً وسمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأُ خِلافَها، فجِئْتُ به النبيَّ ﷺ، فأخبَرتُه، فعَرَفْتُ في وجهِه الكَراهيةَ، وقال: «كِلاكما مُحْسِنٌ. ولا تَخْتَلِفوا، فإنَّ مَن كان قبلَكمُ اختَلَفوا فهَلَكوا».

٣٤٧٧- حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمَشُ، قال: حدَّثني شَقِيقٌ، قال عبدُ الله: كأنِّي أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحكي نبيّاً مِن الأنبياءِ ضَرَبَه قومُه فأدْمَوْه، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقول: «اللهمَّ اغفِر لقومي، فإنَّهم لا يَعْلَمونَ».

[طرفه في: ٦٩٢٩]

الحديث الثالث والعشرون: حديث عائشة في قصَّة المخزومية التي سَرَقَت، وسيأتي شرحه في كتاب الحدود (٦٧٨٨)، وأورَدَه هنا بلفظ: «إنَّما أهلَكَ الذينَ من قبلكم»، وفي بعض طرقه (٣٧٣٢): «إنَّ بني/ إسرائيل كانوا» وهو المطابق للتَّرجمة، وسيأتي بَسط ذلك إن شاء الله تعالى. ٥٢١/٦

الحديث الرابع والعشرون: حديث ابن مسعود في النَّهي عن الاختلاف في القراءة، وسيأتي شرحه في فضائل القرآن (٥٠٦٢).

الحديث الخامس والعشرون: حديث عبد الله، وهو ابن مسعود، وشَقِيق: هو أبو وائل.

قوله: «كأنِّي أنظُر إلى النبي ﷺ يَحْكي نبياً من الأنبياء ضَرَبَه قومه فأدْمَوْه» لم أقِفْ على

اسم هذا النبي صريحاً، ويحتَمل أن يكون هو نوح عليه السلام، فقد ذكر ابن إسحاق في «المبتَدَأ»، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير الشُّعَراء (٥/ ١٥٠٥) من طريق ابن إسحاق قال: حدَّثني مَن لا أتَّهِم، عن عُبيد بن عُمَير اللَّيثي: أنَّه بَلَغَه أنَّ قوم نوح كانوا يَبطِشونَ به، فيَخنُقونَه حتَّى يُغشى عليه، فإذا أفاقَ قال: اللهمَّ اغفِر لقومي فإنَّهم لا يعلمونَ.

قلت: وإن صَحَّ ذلك فكأنَّ ذلك كان في ابتداء الأمر، ثمَّ لمَّا يَئِسَ منهم قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]. وقد ذكر مسلم بعد[1] تخريج هذا الحديث حديث (١٧٩١): أنَّه ﷺ قال في قصَّة أُحُد: «كيف يُفلِح قوم دَمَّوْا وجه نبيِّهم»[2] فأنزَلَ الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] ومن ثَمَّ قال القُرطُبي: إنَّ النبي ﷺ هو الحاكي والمحكيُّ كما سيأتي. وأمَّا النَّوَوي فقال: هذا النبي الذي جَرَى له ما حكاه النبي ﷺ من المتقدِّمينَ، وقد جَرَى لنبينا نحو ذلك يوم أُحُد.

قوله: «وهو يَمْسَح الدَّم عن وَجْهه» يحتَمل أنَّ ذلك لمَّا وَقَعَ للنبي ﷺ ذكَر لأصحابه أنَّه وَقَعَ لنبيٍّ آخر قبله، وذلك فيما وَقَعَ له يوم أُحُد لمَّا شُجَّ وجهه، وجَرَى الدَّم منه. فاستَحضَرَ في تلكَ الحالة قصَّة ذلك النبي الذي كان قبله، فذكر قِصَّته لأصحابه تَطييباً لقلوبهم.

وأغرَبَ القُرطُبي فقال: إنَّ النبي ﷺ هو الحاكي وهو المحكي عنه، قال: وكأنَّه أوحي إليه بذلك قبل وقوع القضية، ولم يُسمِّ ذلك النبي، فلمَّا وَقَعَ له ذلك تَعيَّنَ أنَّه هو المعنيُّ بذلك. قلت: ويُعكِّر عليه أنَّ التَّرجمة لبني إسرائيل فيَتَعيَّن الحَمل على بعض أنبيائهم.

وفي «صحيح ابن حِبّان» (٩٧٣) من حديث سَهل بن سعد: أنَّ النبي ﷺ قال: «اللهمَّ اغفِر لقومي فإنَّهم لا يعلمونَ». قال ابن حِبّان: معنى هذا الدُّعاء أنه قال يوم أُحُد لمَّا شُجَّ

---

(١) بل قبل.

(٢) لفظه عند مسلم: «كيف يفلح قومٌ شجّوا نبيَّهم، وكسروا رباعيَته، وهو يدعوهم إلى الله».

وجهه، أي: اغفِر لهم ذَنبهم في شَجّ وجهي، لا أنَّه أراد الدُّعاء لهم بالمغفِرة مُطلَقاً، إذ لو كان كذلك لَأُجيبَ، ولو أُجيبَ لَأسلَموا كلّهم. كذا قال، وكأنَّه بناه على أنَّه لا يجوز أن يَتَخلَّف بعض دُعائه على بعض أو عن بعض، وفيه نظر لثُبوتِ: «أعطاني اثنتَين ومَنَعَني واحدة»[1]، وسيأتي في تفسير سورة الأنعام (٤٦٢٨). ثمَّ وجَدت في «مُسنَد أحمد» (٤٠٥٧) من طريق عاصم عن أبي وائل ما يَمنَع تأويل القُرطُبي، ويُعيِّن الغزوة التي قال فيها رسول الله ﷺ ذلك، ولفظه: قَسَمَ رسول الله ﷺ غَنائم حُنَينٍ بالجِعْرانة، قال: فازدَحَموا عليه، فقال: «إن عبداً من عِباد الله بَعَثَه الله إلى قومه فكذَّبوه وشَجّوه، فجَعَلَ يَمسَحُ الدَّمَ عن جَبينه، ويقول: ربِّ اغفِر لقومي فإنَّهم لا يعلمونَ» قال عبد الله: فكأنِّي أنظُر إلى رسول الله ﷺ يَمسَح جَبهَتَه يَحكي الرجلَ. قلت: ولا يَلزَم من هذا الذي قاله عبد الله أنْ يكون النبي ﷺ مَسَحَ أيضاً، بل الظّاهر أنَّه حَكَى صفة مَسح جَبهَته خاصَّة كما مَسَحَها ذلك النبي، وظَهَرَ بذلك فسادُ ما زَعَمَه القُرطُبي.

٣٤٧٨- حدَّثنا أبو الوليدِ، حدَّثنا أبو عَوانةَ، عن قَتادةَ، عن عُقْبةَ بنِ عبدِ الغافرِ، عن أبي سعيدٍ ﵁، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ رجلاً كان قبلَكم رَغَسَهُ الله مالاً، فقال لبَنِيه لمَّا حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ، قال: فإنِّي لم أعمَلْ خيراً قَطُّ، فإذا مُتُّ فأحرِقوني، ثمَّ اسحَقُوني، ثمَّ ذَرُوني في يومٍ عاصفٍ، ففَعَلوا، فجَمَعَه الله عزَّ وجلَّ، فقال: ما حَمَلَكَ؟ قال: مَخافَتُكَ، فتَلَقّاهُ رحمَتَه».

وقال معاذٌ: حدَّثنا شُعبةُ، عن قَتادةَ، سَمِعَ عُقْبةَ بنَ عبدِ الغافرِ، سمعتُ أبا سعيدٍ الخُدْريَّ، عن النبيِّ ﷺ.

[طرفاه في: ٦٤٨١، ٧٥٠٨]

٣٤٧٩- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا أبو عَوانةَ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِرَاشٍ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يُهلك أُمَّتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلك أمَّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

قال: قال عُقْبةُ لحُذَيفةَ: ألا تُحدِّثُنا ما سمعتَ مِن النبيِّ ﷺ؟ قال: سمعتُه يقول: «إنَّ رجلاً حَضَرَه الموتُ، لمَّا أَيِسَ مِن الحياةِ أَوْصَى أهلَه: إذا مُتُّ فاجمَعُوا لي حَطَباً كثيراً، ثمَّ أَوْرُوا ناراً، حتَّى إذا أَكَلَت لَحْمي، وخَلَصَت إلى عَظْمي، فخُذُوها فاطْحَنوها فذُرُّوني في اليَمِّ في يومٍ حارٍّ - أو راحٍ - فجَمَعَه اللهُ، فقال: لمَ فَعلْتَ؟ قال: خَشْيتَكَ، فغفَرَ له».

قال عُقْبةُ: وأنا سمعتُه يقولُ.

حدَّثنا موسى، حدَّثنا أبو عَوَانةَ، حدَّثنا عبدُ الملك، وقال: «في يومٍ راحٍ».

٣٤٨١- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا هشامٌ، أخبرنا مَعمَرٌ، عن الزُّهْريِّ، عن حُميد بنِ عبدِ الرحمن، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «كان رجلٌ يُسرِفُ على نفسِه، فلمَّا حَضَرَه الموتُ قال لبَنِيه: إذا أنا مُتُّ فأحرِقوني، ثمَّ اطْحَنوني، ثمَّ ذَرُّوني في الرِّيحِ، فوالله لَئِن قَدَرَ اللهُ عليَّ، لَيُعذِّبَنِّي عذاباً ما عَذَّبَه أحداً. فلمَّا ماتَ فُعِلَ به ذلك، فأمَرَ اللهُ الأرضَ، فقال: اجْمَعي ما فيكِ منه، ففعَلَتْ، فإذا هو قائمٌ، فقال: ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟ قال: مَخافَتُكَ يا ربِّ، فغفَرَ لَه».

وقال غيرُه: «خَشْيتُكَ يا ربِّ».

[طرفه في: ٧٥٠٦]

الحديث السادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون: أحاديث أبي سعيد وحُذيفة وأبي هريرة في قصة الذي أوصى بأن يُحرَّق إذا مات، أورده من طرق، وتقدَّم في هذه الترجمة من وجه آخر (٣٤٥٢)، وسأذكر جميع فوائده هنا إن شاء الله تعالى.

قوله: «عن عُقْبة بن عبد الغافر» بيَّن في الرِّواية المعلَّقة تِلو هذه سماع قَتَادة من عُقْبة، وعُقْبة المذكور أزدي بصري، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وحديثٍ آخرَ تقدَّم في الوَكالة (٢٣١٢). وطريق معاذ هذه وصَلها مسلم (٢٧٥٧/ ٢٧) عن عُبيد الله بن معاذ العَنبَري عن أبيه، به.

قوله: «رَغَسَه الله» بفتح الرّاء والغَين المعجَمة بعدها سين مُهمَلة، أي: كَثَّرَ ماله، وقيل: رَغسُ كلّ شيء أصلُه، فكأنَّه قال: جَعَلَ له أصلاً من مال. ووَقَعَ في مسلم/ (٢٧٥٧/ ٢٧): ٥٢٢/٦

«رأَسَه الله» بهمزٍ بدل الغَين المعجَمة، قال ابن التِّين: وهو غَلَط، فإن صَحَّ ـ أي: من جِهَة الرِّواية ـ فكأنَّه كان فيه «راشه» يعني: بألِفٍ ساكنة بغير همز وبشينٍ مُعجَمة، والرِّيشُ والرِّياشُ: المال. انتهى[١]، ويحتَمل في توجيه رواية مسلم أن يقال: معنى «رأَّسَه» جعله رأساً، ويكون بتشديد الهمزة. وقوله: «مالاً»، أي: بسَبَبِ المال.

قوله: «قال عُقْبة لحُذَيفَة» هو عُقْبة بن عَمْرو أبو مسعود الأنصاري البدْري.

قوله: «حدَّثنا موسى» هو ابن إسماعيل التَّبُوذَكي، وفي رواية الكُشْمِيهني: حدَّثنا مُسدَّد، وصَوَّبَ أبو ذرٍّ روايةَ الأكثر، وبذلك جَزَمَ أبو نُعَيم في «المستَخرَج» أنَّه عن موسى، وموسى ومُسدَّد جميعاً قد سمعا من أبي عَوَانة، لكنَّ الصَّواب هنا موسى، لأنَّ المصنِّف ساقَ الحديث عن مُسدَّد، ثمَّ بيَّن أنَّ موسى خالَفَه في لفظة منه، وهي قوله: «في يوم راحٍ» فإنَّ في رواية مُسدَّد: «في يوم حارّ»، وقد تقدَّم سياق موسى في أوَّل «باب ذِكْر بني إسرائيل» (٣٤٥٢)، وقال فيه: «ثم انظُروا يوماً راحاً»، وقوله: «راحاً» أي: كثير الرّيح، ويقال ذلك للموضع الذي تَختَرِقه الرّياح.

قال الجَوْهري: يوم راحٍ، أي: شديد الرّيح، وإذا كان طيِّب الرّيح يقال: الرَّيِّح بتشديد الياء. وقال الخَطّابي: يوم راحٍ، أي: ذو رِيح، كما يقال: رجلٌ مالٌ، أي: ذو مال.

وأمّا رواية الباب فقوله: «في يوم حار» فهو بتخفيفِ الرّاء[٢]، قال ابن فارس: الحور[٣]

---

(١) قال النووي: هذه اللفظة رويت بوجهين في «صحيح مسلم»، أحدهما: راشه، بألف ساكنة غير مهموزة وبشين معجمة. والثاني: رأسه، بهمزة وسين مهملة، قال القاضي: والأول هو الصواب، وهو رواية الجمهور، ومعناه: أعطاه الله مالاً وولداً، قال: ولا وجه للمهملة هنا، وكذا قال غيره.

(٢) كذا ضبطه الحافظ رحمه الله هنا بالراء المخففة، وسيذكر عند شرح الحديث (٦٤٨٠) أنَّ هذه رواية أبي ذرٍّ الهروي، لكن دون الإشارة إلى تخفيف الراء، وذكر أنه في رواية المروزي والأصيلي: حازّ، بزاي ثقيلة، بمعنى أنه يحزُّ البدن لشدة حرّه، وقال القسطلاني في «إرشاد الساري» ٥/ ٤٣٧: بالحاء المهملة والراء المشددة في الفرع، وقيده في «الفتح» بتخفيفها، أي: شديد الحر. قلنا: وهي كذلك مشدَّدة في النسخة اليونينية.

(٣) كذا وقع هنا، وهو خطأ، لأنَّ الذي في «مقاييس اللغة» لابن فارس: الحنون: ريح إذا هبت كان لها كحنين الإبل.

رِيح تَحِنّ كحَنينِ الإبل.

وقد نبَّه أبو عليٍّ الجَيّاني على ما وَقَعَ من ذلك. وظَنَّ بعض المتأخِّرينَ أنَّه عَنى بذلك ما وَقَعَ في أوَّل ذِكْر بني إسرائيل، فاعتَرَضَ عليه بأنَّه ليس هناك إلّا روايته عن موسى بن إسماعيل في جميع الطُّرق، وهو صحيح، لكنَّ مُراد الجَيّاني ما وَقَعَ هنا، وهو بَيِّنٌ لمن تأمَّلَ ذلك.

قوله: «حدَّثنا عبد الملك» هو ابن عُمَير المذكور في الإسناد الذي قبله، ومُراده أنَّ عبد الملك رواه بالإسناد المذكور مِثل الرِّواية التي قبله، إلّا في هذه اللَّفظة، وهذا يقتضي خطأ مَن أورَدَه في الرِّواية الأولى بلفظ: «راحٍ» وهي رواية السَّرَخْسي، وقد رواه أبو الوليد عن أبي عَوَانة فقال فيه: «في ريح عاصف» أخرجه المصنِّف في الرِّقاق[1].

قوله: «حدَّثنا هشام» هو ابن يوسف.

قوله: «كان رجل يُسرِف على نفسه» تقدَّم في حديث حُذَيفة (٣٤٥٢): أنَّه كان نَبّاشاً، وفي الرِّواية التي في الرِّقاق[2] (٦٤٨٠): أنَّه كان يُسيء الظَّنّ بعملِه، وفيه[3] (٦٤٨١): أنَّه لم يَبتَئِر خيراً، وسيأتي نقل الخِلاف في تحريرها هناك، إن شاء الله تعالى، وفي حديث أبي سعيد[4]: «أنَّ رجلاً كان قبلكم».

قوله: «أَوْرُوا» بفتح الهمزة وسكون الواو وضمّ الرّاء، أي: اقدَحُوا وأَشعِلُوا.

قوله: «إذا أنا مُتّ فأحْرِقوني، ثمَّ اطْحَنوني، ثمَّ ذُرّوني» بضمِّ المعجَمة وتشديد الرّاء، في

---

(١) كذا وقع في (ع) و(س): أخرجه المصنف في الرقاق، ولم تظهر في (أ) لانطماس الورقة، وليس الحديث في الرقاق من هذا الطريق ولا بهذا اللفظ، فلعلَّ الحافظ أراد أن أن ابن حبان أخرجه في الرقاق، فيصح عندئذٍ، وهو عند ابن حبان برقم (٦٤٩). وأما الذي في الرقاق عند البخاري (٦٤٨١) فمن طريق سليمان التيمي عن قتادة، بلفظ: «إذا كان ريحٌ عاصف»، والله أعلم.

(٢) من حديث حذيفة أيضاً.

(٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) هو حديث الباب (٣٤٧٨).

حديث أبي سعيد: «فقال لبنيه لمَّا حُضِرَ - بضمِّ المهمَلة وكسر المعجَمة، أي: حَضَرَه الموت - أيَّ أبٍ كنت لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ، قال: فإنّي لم أعمَل خيراً قَطّ، فإذا مُتّ فأحرِقوني، ثمَّ اسحَقوني، ثمَّ ذَرُوني» بفتح أوَّله والتَّخفيف[1]، وفي رواية الكُشْمِيهني: «ثمَّ أذروني» بزيادة همزة مفتوحة في أوَّله، فالأوَّل بمعنى: دَعُوني، أي: اترُكوني، والثّاني من قوله: أَذْرَتِ الرّيحُ الشيءَ: إذا فرَّقَته بهُبوبها، وهو موافق لرواية أبي هريرة.

قوله: «في الرّيح» تقدَّم ما في رواية حُذَيفة من الخِلاف في هذه اللَّفظة، وفي حديث أبي سعيد: «في يوم عاصف» أي: عاصفٍ ريحُه، وفي حديث معاذ عن شُعْبة عند مسلم: «في ريح عاصف»[2]، ووَقَعَ في حديث موسى بن إسماعيل (٣٤٥٢) في أوَّل الباب: «حتَّى إذا أكَلَتْ لحمي وخَلَصَتْ إلى عَظمي وامتُحِشت» وهو بضمِّ المثنّاة وكسر المهمَلة بعدها شين مُعجَمة، أي: وَصَلَ الحرق العِظامَ، والمَحْش: إحراق النار الجِلدَ.

قوله: «فوالله لَئِن قَدَرَ الله عَليَّ» في رواية الكُشْمِيهني: «لَئِن قَدَرَ عليَّ ربّي»، قال الخَطّابي: قد يُستَشكَل هذا، فيقال: كيف يُغفَر له وهو مُنكِرٌ للبَعثِ والقُدرة على إحياء الموتى؟ والجواب أنَّه لم يُنكِر البَعث وإنَّما جَهِلَ فظَنَّ أنَّه إذا فُعِلَ به ذلك لا يُعاد فلا يُعذَّب، وقد ظَهَرَ إيمانه باعترافه بأنَّه إنَّما فعلَ ذلك مِن خَشية الله.

٥٢٣/٦ قال ابن قُتَيبة:/ قد يَغلَط في بعض الصِّفات قومٌ من المسلمينَ فلا يَكفُرونَ بذلك. وردَّه ابن الجَوزي وقال: جَحْدُه صفةَ القُدرة كفرٌ اتِّفاقاً، وإنَّما قيل: إنَّ معنى قوله: «لَئِن قَدَرَ الله عليَّ» أي: ضَيَّقَ، وهي قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق:٧]، أي: ضُيِّقَ، وأمَّا قوله: «لعلّي أَضِلُّ الله»[3] فمعناه: لعلّي أَفوتُه، يقال: ضَلَّ الشيءُ: إذا فاتَ وذهبَ، وهو

---

(١) كذا ضبطه الحافظ رحمه الله مع أنه ضبط في اليونينية و«إرشاد الساري» بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء، وضبطت فيهما رواية الكشميهني بوصل الألف.

(٢) لفظ رواية معاذ عن شعبة عند مسلم (٢٧٥٧) (٢٧): واذروني في الريح، وإنما اللفظ المذكور لأبي عوانة عن قتادة عند ابن حبان (٦٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٠٣٩)، وغيره من حديث معاوية بن حيدة.

كقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢] ولعلَّ هذا الرجل قال ذلك من شِدَّة جَزَعه وخَوفه، كما غَلِطَ ذلك الآخرُ فقال: «أنتَ عبدي وأنا ربّك»[١]، أو يكون قوله: «لَئِن قَدَّرَ عليَّ» بتشديد الدّال، أي: قَدَّرَ عليَّ أن يُعذِّبني لَيُعذِّبني، أو على أنَّه كان مُثبِتاً للصّانع وكان في زمن الفَترة، فلم تَبْلُغه شَرائط الإيمان.

وأظهَر الأقوال أنَّه قال ذلك في حال دَهْشَته وغَلَبَة الخوف عليه حتَّى ذهب تَعقُّلُه[٢] لمَا يقول، ولم يَقُله قاصداً لحقيقةِ معناه، بل في حالة كان فيها كالغافلِ والذّاهل والناسي الذي لا يُؤاخَذ بما يَصدُر منه، وأبعَد الأقوال قول مَن قال: إنَّه كان في شرعهم جواز المغفِرة للكافر.

قوله: «فأمَرَ الله الأرض فقال: اجمَعي ما فيكِ منه، ففَعَلَتْ» وفي حديث سلمان الفارسي[٣] عند أبي عَوَانة في «صحيحه»: «فقال الله له: كُن، فكان كأسرَع من طَرْفة العين» وهذا جميعه كما قال ابن عَقيل: إخبار عمَّا سيقعُ له يوم القيامة، وليس كما قال بعضهم: إنَّه خاطَبَ روحه، فإنَّ ذلك لا يناسب قوله: «فجمعه الله» لأنَّ التَّحريق والتَّفريق إنَّما وَقَعَ على الجسد، وهو الذي يُجمَع ويُعاد عند البَعث.

قوله: «وقال غيره: خَشْيَتُك» الغير المذكور هو عبد الرَّزّاق، كذا رواه (٢٠٥٤٨) عن مَعمَر بلفظ: «خَشيَتك» بدل «مَخافَتك»[٤]، وأخرجه أحمد (٧٦٤٧) عن عبد الرَّزّاق بهذا، وقد وَقَعَ في حديث أبي سعيد: «مَخافَتك»، وفي حديث حُذَيفة: «خَشيَتك».

قوله في آخر حديث أبي سعيد: «فتَلَقّاه رحمَتَه» في رواية الكُشْمِيهني: «فتَلَافاه» قال ابن التِّين: أمَّا تَلَقّاه بالقاف فواضح، لكن المشهور تعديَتُه بالباءِ، وقد جاء هنا بغير تَعدِيَة[٥]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس في قصة الذي انفلتت ناقته ثم عادت إليه.

(٢) في (س): بعقله. والعَقْل والتعقُّل بمعنًى.

(٣) أخرج البخاري حديث سلمان هذا بإثر حديث أبي سعيد في الرقاق (٦٤٨١) غير أنه لم يسُق لفظه.

(٤) لفظه عند عبد الرزاق: «خشيتك ـ أو قال: عقابك ـ» ولفظه عند أحمد: «خشيتك يا ربّ ـ أو مخافتك ـ» فتنبّه.

(٥) كذا وقعت رواية أبي ذر لابن التين والحافظ، وكذلك جاءت في هامش نسخة إسماعيل بن علي البقاعي =

وعلى هذا فالرَّحمة منصوبة على المفعولية، ويحتَمل أن يكون: ذِكْرُ الرَّحمة، وهي على هذا بالرفع، قال: وأمَّا «تَلافاه» بالفاءِ فلا أعرف له وجهاً إلّا أن يكون أصله فتَلَفَّفَه، أي: غَشَّاه، فلمَّا اجتَمَعَت ثلاث فاءات أُبدِلَت الأخيرة أَلِفاً، مِثل «دَسّاها». كذا قال، ولا يَخفى تكلُّفه، والذي يَظهَر أنَّه من الثُّلاثي، والقول فيه كالقولِ في التَّلقّي. وقد وَقَعَ في حديث سلمان: «فما[1] تَلَافاه عندها أن غَفَرَ له».

٣٤٨٠- حدَّثنا[2] عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُبيدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبةَ، عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كان رجلٌ يُدايِنُ الناسَ، فكان يقول لِفَتاه: إذا أتيتَ مُعْسِراً تجاوَزْ عنه، لعلَّ الله أن يَتَجاوَزَ عَنّا. قال: فلَقِيَ اللهَ فتَجاوَزَ عنه».

٣٤٨٢- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدِ بنِ أسماءَ، حدَّثنا جُوَيرِيةُ بنُ أسماءَ، عن نافعٍ، عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عُذِّبَتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ رَبطَتْها حتَّى ماتت فدَخَلَت فيها النارَ، لا هي أَطْعَمَتْها ولا سَقَتْها إذ حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تأكُلُ مِن خَشاش الأرض».

٣٤٨٣- حدَّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ، عن زُهَيرٍ، حدَّثنا منصورٌ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ، حدَّثنا أبو مسعودٍ عُقْبةُ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ ممَّا أدرَكَ الناسُ من كلام النُّبوّةِ: إذا لم تَسْتَحْيِ فافعلْ ما شئتَ».

[طرفاه في: ٣٤٨٤، ٦١٢٠]

٣٤٨٤- حدَّثنا آدمُ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن منصورٍ، قال: سمعتُ رِبْعِيَّ بنَ حِراشٍ يُحدِّثُ عن أبي مسعودٍ، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ ممَّا أدرَكَ الناسُ من كلام النُّبوّة: إذا لم تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ

= أنَّ رواية أبي ذر بغير تعدية. وأما في اليونينية وشرح القسطلّاني فقد جاءت معدّاة بالباء، دون خلاف!

(١) تحرفت في (س) إلى: مما. وانظر شرح الحافظ للحديث (٦٤٨١) في توجيه: «فما».

(٢) هذا الحديث جاء في اليونينية متقدماً على الحديث (٣٤٨١)، ونحن أثبتناه هنا على ترتيب الحافظ في شرحه.

ما شئتَ».

٣٤٨٥- حدَّثنا بِشرُ بنُ محمَّدٍ، أخبرنا عبدُ الله، أخبرنا يونسُ، عن الزُّهْريِّ، أخبرني سالمٌ، أنَّ ابنَ عمرَ حدَّثه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «بينَما رجلٌ يَجُرُّ إزارَه مِن الخُيَلاءِ خُسِفَ به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامة».

تابَعَه عبدُ الرحمن بنُ خالدٍ، عن الزُّهْريّ.

[طرفه في: ٥٧٩٠]

٣٤٨٦- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا وُهَيبٌ، قال: حدَّثني ابنُ طاووسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «نحنُ الآخرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ، بَيدَ كلَّ أمّةٍ أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، وأُوتِينا من بعدِهم، فهذا اليومُ الذي اختَلَفُوا فيه، فغَداً لليهودِ، وبعدَ غَدٍ للنَّصارَى».

٣٤٨٧- «على كلِّ مسلمٍ في كلِّ سبعةِ أيامٍ يومٌ يَغْسِلُ رأسَه وجَسَدَه».

٣٤٨٨- حدَّثنا آدمُ، حدَّثنا شُعْبةُ، حدَّثنا عَمْرو بنُ مُرّةَ، سمعتُ سعيدَ بنَ المسيّبِ، قال: قَدِمَ مُعاوِيةُ بنُ أبي سفيانَ المدينةَ آخِرَ قَدْمةٍ قَدِمَها، فخَطَبنا فأخرَجَ كُبّةً من شَعَرٍ، فقال: ما كنتُ أُرَى أنَّ أحداً يَفْعَلُ هذا غيرَ اليهودِ، إنَّ النبيَّ ﷺ سَمّاه الزُّورَ. يعني: الوِصالَ في الشَّعَر.

تابَعَه غُندَرٌ، عن شُعْبةَ.

الحديث التاسع والعشرون: حديث أبي هريرة في الذي كان يُدايِن الناسَ، قد تقدّم في البيوع (٢٠٧٨).

الحديث الثلاثون: حديث عبد الله وهو ابن عمر، في التي رَبَطَت الهِرَّة. ولم أَقِفْ على اسمها، لكن تقدَّم أنّها سوداء، وأنّها حِمْيَريّة، وأنّها من بني إسرائيل، وأنّه لا تَنافي بين ذلك، وتقدَّم شرحه في أواخر بَدْء الخلق (٣٣١٨).

الحديث الحادي والثلاثون: قوله: «عن أبي مسعود» هذا هو المحفوظ، ورواه إبراهيم بن

سعد عن منصور عن عبد الملك فقال: عن رِبعي بن حِراش عن حُذَيفة. حكاه الدّارَقُطني في «العِلَل»، قال: ورواه أبو مالك الأشجَعي أيضاً عن رِبعي عن حُذَيفة. قلت: روايته عند أحمد (٢٣٢٥٤)، وليس ببعيدٍ أن يكون رِبعي سمعَه من أبي مسعود ومن حُذَيفة جميعاً.

قوله: «إن ممَّا أدرَكَ الناس من كلام النبوَّة» الناسُ بالرفع في جميع الطُّرق، ويجوز النَّصب، أي: ممَّا بَلَغَ الناسَ، وقوله: «من كلام النبوَّة» أي: ممَّا اتَّفَقَ عليه الأنبياء، أي: إنَّه ممَّا نَدَبَ إليه الأنبياءُ، ولم يُنسَخ فيما نُسِخَ من شَرائعهم، لأنَّه أمرٌ أطبَقَت عليه العقول، وزاد أبو داود (٤٧٩٧) وأحمد (١٧٠٩٠) وغيرهما[1]: «النبوَّة الأولى» أي: التي قبل نبينا ﷺ.

قوله: «فاصْنَع ما شئت» هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتَّهديد، أي: اصنَع ما شئت، فإنَّ الله يَجزيك، أو معناه: انظُر إلى ما تريد أن تَفعله، فإن كان ممَّا لا يُستَحيا منه من أمر الدين فافعلْه، وإن كان ممَّا يُستَحيا منه فدَعْه، أو المعنى: أنَّك إذا لم تَستَحِ من الله من شيء يجب أن لا تستحييَ منه من أمر الدّين فافعله ولا تُبالِ بالخَلْق، أو المراد الحثّ على الحياء والتَّنويه بفضلِه، أي: لمَّا لم يَجُزْ صُنع جميع ما شئت، لم يَجُزْ تَركُ الاستحياء.

٦/٥٢٤ **الحديث الثاني والثلاثون:** حديث/ ابن عمر: «بينَما رجل يَجُرّ إزاره من الخُيَلاء خُسِفَ به» سيأتي شرحه مُستَوفًى في كتاب اللِّباس (٥٧٩٠)، وعبد الله: هو ابن المبارَك، وقد رواه عن يونس أيضاً عبد الله بن وَهْب، أخرجه النَّسائي (٥٣٢٦) وأبو عَوَانة في «صحيحه» (٨٥٧١).

قوله: «تابَعَه عبد الرحمن بن خالد» أي: ابن مُسافر «عن الزُّهْري» أي: بهذا الإسناد، وطريق عبد الرحمن هذه وصَلها المؤلِّف في كتاب اللِّباس (٥٧٩٠).

الحديث الثالث والثلاثون: حديث أبي هريرة في فضل يوم الجمعة، تقدَّم شرحه مُستَوفًى في كتاب الجمعة (٨٧٦).

---

(١) عزوه للبخاري أولى، فسيأتي عنده برقم (٦١٢٠).

الحديث الرابع والثلاثون: حديث معاوية في النهي عن الوصل في الشَّعَر، وقد تقدم في هذا الباب من وجه آخر (٣٤٦٨)، وتقدمت الإشارة إلى مكان شرحه.

قوله: «تابعه غندر عن شعبة» وصله مسلم (٢١٢٧/ ١٢٣) والنسائي (٥٢٤٦) من طريقه، وأخرجه أحمد (١٦٨٢٩)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤٩٠) عن غندر ـ وهو محمد بن جعفر ـ به.

خاتمة: اشتمل كتاب أحاديث الأنبياء وما بعده من ذكر بني إسرائيل من الأحاديث المرفوعة على مئتي حديث وتسعة أحاديث، المكرر منها فيه وفيما ما مضى مئة وسبعة وعشرون حديثاً، والخالص اثنان وثمانون حديثاً، المعلق منها ثلاثون طريقاً، وسائرها موصول.

وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عائشة: «الأرواح جنود»، وحديث: «قال رجل: رأيت السَّدَّ»، وهذان معلَّقان، وحديث أبي هريرة: «يلقى إبراهيمُ أباه»، وحديث ابن عباس في قصة زمزم وبناء البيت بطوله، وحديثه في تعويذ الحسن والحسين، وحديث سَبْرة بن معبد، وحديث أبي الشُّموس، وحديث أبي ذر، وهذه الثلاثة معلَّقات، وحديث أمِّ رومان في قصة الإفك، وحديث أبي هريرة: «إنما سُمِّيَ الخضر»، وحديث ابن مسعود في يونس عليه السلام، وحديث أبي هريرة: «خُفِّفَ على داود القرآن»، وحديث عمر: «لا تُطْروني»، وحديث عائشة في كراهية الاتِّكاء على الخاصرة، وحديث عبد الله بن عمرو: «بلِّغوا عني»، وحديث أبي هريرة: «إن اليهود لا يَصبُغون»، وحديث عائشة في الطاعون، وحديث أبي مسعود في الحياء.

وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم ستة وثمانون أثراً، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كتاب المناقب

١- باب قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية [الحجرات:١٣]

وقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١]

وما يُنهَى عن دَعْوَى الجاهليَّة

الشُّعوبُ: النَّسَبُ البَعِيدُ، والقبائلُ دونَ ذلك.

قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم. باب المناقب» كذا في الأُصول التي وقَفت عليها من كتاب البخاري، وذكر صاحب «الأطراف»، وكذا في بعض الشُّروح أنَّه قال: «كتاب المناقب»، فعلى الأوَّل هو من جُملة كتاب أحاديث الأنبياء، وعلى الثّاني هو كتاب مُستَقِلّ، والأوَّل أَولى، فإنَّه يَظهَر من تصرُّفه أنَّه قَصَدَ به سياق التَّرجمة النَّبوية، بأن يجمع فيه أُمور النبي ﷺ من المبتَدأ إلى المنتَهى، فبَدَأ بمُقدِّماتها من ذِكْر ما يَتعلَّق بالنَّسَبِ الشَّريف، فذكر أشياء تتعلَّق بالأنساب، ومن ثَمَّ ذكر أُموراً تتعلَّق بالقبائلِ، ثمَّ النَّهي عن دَعوى الجاهلية، لأنَّ مُعظَم فخرهم كان بالأنساب، ثمَّ ذكر صفة النبي ﷺ وشمائله ومُعجِزاته، واستَطرَدَ منها لفضائل أصحابه، ثمَّ أتبَعَها بأحواله قبل الهجرة وما جَرَى له بمكَّة، فذكر المبعَث، ثمَّ إسلام الصَّحابة، وهِجرة الحبشة، والمِعراج، ووُفود الأنصار، والهجرة إلى المدينة، ثمَّ ساقَ المغازي على ترتيبها عنده، ثمَّ الوفاة، فهذا آخر هذا الباب، وهو من جُملة تَراجِم الأنبياء، وخَتَمَها بخاتَمِ الأنبياء ﷺ. ٥٢٦/٦

قوله: «وقول الله عزّ وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية» يشير إلى ما تَضَمَّنَته هذه الآية من أنَّ المناقب عند الله إنَّما هي بالتَّقوى، بأن يُعمل بطاعَتِه، ويُكَفّ عن

معصيته، وقد وَرَدَ في الحديث ما يُوضح ذلك: ففي «صحيحَي» ابن خُزَيمةَ[١] وابن حِبّان (٣٨٢٨) و«تفسير ابن مَرْدويه» من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: خَطَبَ النبي ﷺ يوم الفتح، فقال: «أمَّا بعد: يا أيّها الناس، فإنَّ الله قد أذهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفَخرَها، يا أيّها الناس، الناس رجلان: مُؤمِنٌ تَقي كريمٌ على الله، وفاجِرٌ شَقي هَيِّنٌ على الله، ثمَّ تَلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾»، ورجاله ثِقات إلّا أنَّ ابن مَرْدويه ذكر أنَّ محمَّد بن المقرئ راويه عن عبد الله بن رَجاء عن موسى بن عُقْبة وَهِمَ في قوله: «موسى ابن عُقْبة» وإنَّما هو: موسى بن عُبيدة، وابن عُقْبة ثقة، وابن عُبيدة ضعيف، وهو معروف برواية موسى بن عُبيدة[٢]، كذلك أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٦٢٢) وغيره[٣].

وروى أحمد (٢٣٤٨٩) والحارث وابن أبي حاتم من طريق أبي نَضْرة: حدَّثني مَن شَهِدَ خُطبة النبي ﷺ بمِنًى، وهو على بعير، يقول: «يا أيّها الناس، إنَّ ربّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربي على عَجميّ، ولا لأسوَد على أحمَرَ إلّا بالتَّقوى، خيرُكم عند الله أتقاكم».

قوله: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليعرف بعضكم بعضاً بالنَّسَبِ، يقول: فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، أخرجه الطَّبَري (٢٦/ ١٤٠) عن مجاهد.

---

(١) لم نقف عليه في المطبوع من «صحيح ابن خزيمة»، وفاتَ الحافظَ رحمه الله أن يخرّجه من «جامع الترمذي»، وهو فيه برقم (٣٢٧٠)، مع أنه خرّجه منه في «تخريج أحاديث الكشاف».

(٢) كذا نقل الحافظ كلامَ ابن مردويه، وأقره عليه، مع أنَّ لموسى بن عبيدة الربَذي فيه متابعَين، أحدهما أخوه عبد الله بن عُبيدة عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٩٣، والثاني عبد الله بن جعفر المديني عند الترمذي (٣٢٧٠). وإسناد ابن أبي شيبة صحيح إن سلم من الإرسال، إذ ظاهر الإسناد عنده كما جاء في النسخ المحققة منه أنه مرسل، فبعد أن ساق إسناد موسى قال: وعن أخيه عبد الله بن عبيدة: أنَّ رسول الله ﷺ... إلى آخره، وقد جعله الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» متصلاً، حيث قال: وقرن ابن أبي شيبة مع موسى بن عبيدة أخاه عبد الله بن عبيدة، كلاهما عن ابن دينار، به، فالله أعلم. وعبد الله بن جعفر ضعيف.

(٣) وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٨٧٣٦)، وأبي داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وإسناده حسن.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾» قال ابن عبَّاس: أي: اتَّقوا الأرحامَ وصِلُوها، أخرجه ابن أبي حاتم (٤٧٢٦) عنه.

والأرحام: جمع رَحِم، وذَوو الرَّحِم: الأقارب، يُطلَق على كلّ مَن يجمع بينه وبين الآخَر نَسَبٌ.

والقراءة المشهورة: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ نصباً، وعليها جاء التَّفسير، وقرأ حمزة: «والأرحامِ» بالجرِّ، واختُلِفَ في توجيهه، فقيل: معطوف على الضَّمير المجرور في «به» من غير إعادة الجارّ، وهو جائز عند جمْع، ومَنَعَه البصريُّون، وقرأها ابن مسعود فيما قيل: بالرفع، فإن ثَبَتَ فهو مُبتَدَأ، والخبر محذوف تقديره: ممَّا يُتَّقى أو ممَّا يُسأل به.

والمراد بذِكْر هذه الآية: الإشارة إلى الاحتياج إلى معرفة النَّسب أيضاً، لأنَّه يُعرَف به ذَوو الأرحام المأمور بصِلَتِهم.

وذكر ابن حَزْم في مُقدِّمة «كتاب النَّسَب» له فصلاً في الردّ على مَن زَعَمَ أنَّ عِلم النَّسَب عِلمٌ لا يَنفَع، وجهلٌ لا يَضُرّ: بأنَّ في عِلم النَّسَب ما هو فرضٌ على كلّ أحد، وما هو فرضٌ على الكفاية، وما هو مُستَحَبّ. قال: فمِن ذلك أن يعلم أنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ هو ابن عبد الله الهاشمي، فمَن زَعَمَ أنَّه لم يكن هاشميّاً فهو كافر، وأن يعلم أنَّ الخليفة من قريش، وأن يَعرف مَن يَلْقاه بنَسَبٍ في رَحِمٍ مُحرَّمة، ليجتَنِب تَزويج ما يَحرُم عليه منهم، وأن يَعرف مَن يَتَّصِل به ممَّن يَرِثه، أو يجب عليه برّه من صِلة أو نَفَقة أو مُعاوَنة، وأن يَعرف أمَّهات المؤمنينَ، وأنَّ نِكاحهنَّ حَرامٌ على المؤمنينَ، وأن يَعرف الصَّحابة، وأنَّ حُبّهم مطلوب، وأن يَعرف الأنصار ليُحسِن إليهم، لثُبوتِ الوصية بذلك[1]، ولأنَّ حُبّهم إيمان وبُغضهم نِفاق[2]، قال: ومن الفقهاء مَن يُفرِّق في الجِزية وفي الاسترْقاق بين العرب والعَجَم، فحاجته إلى عِلمِ النَّسَب آكَدُ، وكذا مَن يُفرِّق بين نَصارى بني تَغلِب وغيرهم، في الجِزية

(١) من ذلك ما رواه أنس بن مالك فيما سيأتي عند البخاري (٣٧٩٩) من قول النبي ﷺ: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي...» الحديث.

(٢) من ذلك ما رواه أنس والبراء عند البخاري (١٧) و(٣٧٨٣)، ومسلم (٧٤) و(٧٥).

وتضعيف الصَّدَقة. قال: وما فرَضَ عمرُ ﷺ الدّيوانَ إلّا على القبائل، ولولا عِلمُ النَّسَب ما تَخَلَّصَ له ذلك، وقد تَبِعَه على ذلك عثمان وعليّ وغيرهما.

وقال ابن عبد البَرّ في أوّل كتابه «النَّسَب»: ولَعَمْري لم يُنصِف مَن زَعَمَ أنَّ عِلم النَّسَب عِلم لا يَنفَع، وجهل لا يَضُرّ. انتهى، وهذا الكلام قد روي مرفوعاً، ولا يَثبُت، وروي عن عمر أيضاً، ولا يَثبُت، بل وَرَدَ في المرفوع حديث: «تَعلَّموا من أنسابكم ما تَصِلونَ به أرحامكم»[١]، وله طرق أقواها ما أخرجه الطبراني (١٨/ ١٧٦) من حديث العلاء بن خارجة[٢]، وجاء هذا أيضاً عن عمر ساقَه ابن حَزْم[٣] بإسنادٍ رجاله موثوقونَ إلّا أنَّ فيه انقطاعاً.

والذي يَظهَر حَمْلُ ما وَرَدَ من ذَمّه على التَّعَمُّق فيه حتَّى يُشتغَلَ عمَّا هو أهمّ منه، وحَمْل ما/ وَرَدَ في استحسانه على ما تقدَّم من الوجوه التي أورَدَها ابنُ حَزْم، ولا يَخفى أنَّ بعض ذلك لا يَختَصّ بعِلمِ النَّسَب، والله المستعان. ٥٢٨/٦

قوله: «وما يُنْهى عن دَعْوى الجاهلية» سيأتي الكلام عليه بعد أبواب قَلائل.

قوله: «الشُّعوب: النَّسَب البعيد، والقبائل دون ذلك» هو قول مجاهد، أخرجه الطَّبَري (٢٦/ ١٣٩) عنه، وذكر أبو عُبيدة مِثال الشَّعب: مُضَر وربيعة، ومِثال القبيلة: مَن دون ذلك، وأنشَدَ لعَمرِو بن أحمر:

من شَعب هَمْدانَ أو سَعْدِ العَشيرةِ أو ... خَوْلان أو مَذحِج هاجُوا له طَرَبا

٣٤٨٩- حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ الكاهليُّ، حدَّثنا أبو بكرٍ، عن أبي حَصِينٍ، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ قال: الشُّعوبُ: القبائلُ العِظامُ، والقبائلُ: البُطون.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٦٨)، والترمذي (١٩٧٩)، من حديث أبي هريرة بسند حسن.

(٢) بإسناد حسن، وله شاهد أيضاً بسند صحيح من حديث ابن عباس عند الطيالسي (٢٨٨٠)، والحاكم ١/ ٨٩، وغيرهما.

(٣) في كتابه «جمهرة أنساب العرب» ص٥.

قوله: «حدَّثنا أبو بَكْر» هو ابن عيّاش الكوفي، وكذا سائر الإسناد و«أبو حَصِينٍ» بفتح أوَّله: هو عثمان بن عاصم.

قوله: «الشُّعوب: القبائل العِظام، والقبائل: البُطون» أي: أنَّ المراد بلفظ القبائل في القرآن ما هو في اصطِلاح أهل النَّسَب البُطون، وقد روى الطَّبَري (٢٦/ ١٣٩) هذا الحديث عن خَلّاد بن أسلَمَ وأبي كُرَيب كلاهما عن أبي بكر بن عيّاش بهذا الإسناد، لكن قال في المتن «الشُّعوب: الـجُمّاع» أي: الذي يجمع مُتَفرِّقات البُطون، قال خَلّاد: قال أبو بكر: القبائل مِثل بني تَميم، ودونها الأفخاذ. انتهى.

وقد قَسَّمَها الزُّبَير بن بَكّار في «كتاب النَّسَب» إلى شَعب، ثمَّ قبيلة، ثمَّ عِمارة ـ بكسر العين ـ ثمَّ بطن، ثمَّ فخِذ، ثمَّ فَصِيلة، وزاد غيره قبل الشَّعب: الجِذْمَ، وبعد الفَصيلة العَشيرة، ومنهم مَن زاد بعد العَشيرة: الأُسرة، ثمَّ العِترة، فمِثال الجِذْم: عدنان، ومِثال الشَّعب: مُضَر، ومِثال القبيلة: كِنانَةُ، ومِثال العِمارة: قريش، وأمثِلة ما دون ذلك لا تَخفى. ويقع في عِباراتهم أشياء مُرادِفة لمَا تقدَّم، كقولهم: حَيّ، وبيت، وعَقيلة، وأَرومة، وجُرثومة، ورَهط، وغير ذلك.

ورَتَّبَها محمَّد بن أسعَد النَّسّابة المعروف بالـجَوّاني[1] جميعها، وأردَفَها، فقال: جِذْم، ثمَّ جُمهور، ثمَّ شَعب، ثمَّ قبيلة، ثمَّ عِمارة، ثمَّ بطن، ثمَّ فخِذ، ثمَّ عَشيرة، ثمَّ فصيلة، ثمَّ رَهط، ثمَّ أُسرة، ثمَّ عِترة، ثمَّ ذُرّية. وزاد غيره في أثنائها ثلاثة، وهي بيت وحَيّ وجُمّاع، فزادَتْ على ما ذكر الزُّبَير عشرة.

وقال أبو إسحاق الزَّجّاج: القبائل من العربِ كالأسباط لبني إسرائيل، ومعنى القَبِيلة الجماعة، ويقال لكلِّ ما جُمِعَ على شيء واحد: قَبيل، أخذاً من قبائل الشَّجَرة، وهو غُصونها، أو من قبائل الرَّأس، وهو أعضاؤه، سُمّيت بذلك لاجتماعها.

ويقال: المراد بالشُّعوب في الآية: بُطون العَجَم، وبالقبائلِ: بُطون العرب.

---

(١) تحرف في (س) إلى: بالحراني.

٣٤٩٠- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ، عن عُبيدِ الله، قال: حدَّثني سعيدُ ابنُ أبي سعيدٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قيل: يا رسولَ الله، مَن أكرَمُ الناسِ؟ قال: «أتقاهُم» قالوا: ليس عن هذا نَسألُكَ، قال: «فيوسفُ نبيُّ الله».

٣٤٩١- حدَّثنا قيسُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا عبدُ الواحِدِ، حدَّثنا كُلَيبُ بنُ وائلٍ، قال: حدَّثتني رَبيبةُ النبيِّ ﷺ زينبُ بنتُ أبي سَلَمةَ، قال: قلتُ لها: أرأيتِ النبيَّ ﷺ، أكان من مُضَرَ؟ قالت: فممَّن كان إلّا من مُضَرَ؟! من بني النَّضْرِ بنِ كِنانةَ.

[طرفه في: ٣٤٩٢]

٣٤٩٢- حدَّثنا موسى، حدَّثنا عبدُ الواحِدِ، حدَّثنا كُلَيبٌ، حدَّثتني رَبيبةُ النبيِّ ﷺ - وأظنُّها زينبَ - قالت: نهى رسولُ الله ﷺ عن الدُّبّاءِ، والحَنتَمِ، والمقَيَّرِ، والمزَفَّت.

وقلتُ لها: أخبِريني، النبيُّ ﷺ ممَّن كان، من مُضَرَ كان؟ قالت: مِمَّن كان إلّا من مُضَرَ؟! كان من ولدِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ.

ثمَّ ذكر المصنِّف في الباب سبعة أحاديث:

الأول: حديث أبي هريرة: «قيل: يا رسول الله، مَن أكرَم الناس؟ قال: أتقاهم» الحديث، أورَدَه مختصراً، وقد مضى في قصَّة يوسف[1]، والغرض منه واضح، وإنَّما أطلقَ على يوسف أكرَمَ الناس لكَونِه رابعَ نبيّ في نَسَقٍ، ولم يقع ذلك لغيره، فإنَّه اجتمَعَ له الشَّرَف في نَسَبه من وجهَين.

الحديث الثاني: قوله: «حدَّثنا عبد الواحد» هو ابن زياد.

قوله: «حدَّثنا كُلَيب بن وائل» هذا هو المحفوظ، ورواه عَفّان عن عبد الواحد فقال: عن عاصم بن كُلَيب. أخرجه الإسماعيلي، وهو خطأ من عَفّان، وكُلَيب بن وائل تابعيٌّ وسَط، كوفي أصله من المدينة، وهو ثقة عند الجميع إلّا أنَّ أبا زُرْعةَ ضَعَّفَه بغير قادِحٍ، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث.

---

(١) مضى في ثلاثة مواضع بالأرقام (٣٣٥٣) و(٣٣٧٤) و(٣٣٨٣)، والموضع الأخير منها في قصة يوسف.

قوله: «حدَّثتْني رَبيبة النبي ﷺ» هي بنت أمّ سَلَمةَ زوج النبي ﷺ.

قوله: «قالت: ممَّن كان إلّا من مُضَر؟!» في رواية الكُشْمِيهني: «فممَّن كان»[1] بزيادة فاءَ في الجواب، وهو استفهام إنكار، أي: لم يكن إلّا من مُضَر.

قوله: «مُضَر» هو ابن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان، والنَّسَب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مُختَلَف فيه كما سيأتي، وأمَّا من النبي ﷺ إلى عدنان فمُتَّفَق عليه.

وقال ابن سعد في «الطَّبَقات» (١/ ٥٥-٥٦): حدَّثنا هشام بن الكَلْبي قال: عَلَّمَني أبي وأنا غلام نَسَب النبي ﷺ، فقال: محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلِب ـ وهو شَيْبة الحمد ـ ابن هاشم ـ واسمه عَمْرو ـ بن عبد مَنافٍ ـ واسمه المغيرة ـ بن قُصيّ ـ واسمه زيد ـ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهرْ ـ وإليه جُمّاع قريش، وما كان فوق فِهر فليس بقُرَشيّ، بل هو/ كِناني ـ ابن مالك بن النَّضر ـ واسمه قيس ـ بن كِنانة بن خُزَيمةَ بن مُدرِكة ـ واسمه عَمْرو ـ بن إلياس بن مُضَر. ٥٢٩/٦

وروى الطبراني[2] بإسناد جيِّد عن عائشة قالت: استَقامَ نَسَب النبي إلى مَعدِّ بن عدنان.

و«مُضَر» بضمِّ الميم وفتح المعجَمة، يقال: سُمّي بذلك لأنَّه كان مُولَعاً بشُربِ اللَّبَن الماضر، وهو الحامض. وفيه نظر، لأنَّه يستدعي أنَّه كان له اسمٌ غيره قبل أن يَتَّصِف بهذه الصِّفة، نعم يمكن أن يكون هذا اشتِقاقَه، ولا يَلزَم أن يكون مُتَّصِفاً به حالة التَّسمية، وهو أوَّل مَن حَدا الإبلَ.

وروى ابن حبيب في «تاريخه» عن ابن عبَّاس، قال: ماتَ عدنان وأبوه وابنه مَعدّ وربيعةُ

---

(١) الذي حصل فيه الاختلاف بين شيوخ أبي ذر الهروي الثلاثة هو رواية موسى بن إسماعيل التبوذكي عن عبد الواحد، وأما رواية قيس بن حفص عن عبد الواحد فلم يختلف رواة البخاري فيها، فحق هذه الفقرة أن تكون بعد كلامه على قوله: «والمقيَّر والمزفَّت».

(٢) هو في «الأوسط» (٨٢٤٩)، بلفظ: استقام نَسَبُ الناس...، وفيه عنعنة ابن إسحاق، لكن يشُدُّه ما رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٥٨ عن عروة بن الزبير، قال: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء مَعدِّ بن عدنان، وعن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، قال: ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء مَعدِّ بن عدنان بثبتٍ. وإسنادهما حسن.

ومُضَر وقيس وتَميم وأسَد وضَبَّةُ على الإسلام على مِلَّة إبراهيم. وروى الزُّبَير بن بَكّار من وجه آخر عن ابن عبَّاس: لا تَسُبّوا مُضَر ولا ربيعةَ، فإنَّهما كانا مسلمَين. ولابن سعد (١/ ٥٨) من مُرسَل عبد الله بن خالد[١] رَفعَه: لا تَسُبّوا مُضَر، فإنَّه كان قد أسلَمَ.

قوله: «من بني النَّضْر بن كِنانة» أي: المذكور، وروى أحمد (٥/ ٢١١) وابن سعد (١/ ٢٣)[٢] من حديث الأشعَث بن قيس الكِندي، قال: قلت: يا رسول الله، إنّا نَزعُم أنَّكم مِنّا ـ يعني: من اليمن ـ فقال: «نحنُ بنو النَّضر بن كِنانة»، وروى ابن سعد (١/ ٢٣) من حديث عَمْرو بن العاص بإسناد فيه ضعف مرفوعاً: «أنا محمَّد بن عبد الله» وانتَسَبَ حتَّى بَلَغَ النَّضر بن كِنانة، قال: «فمَن قال غير ذلك فقد كذَبَ» انتهى.

وإلى النَّضر تنتهي أنساب قريش، وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يَليه، وإلى كِنانة تجتمعُ أنساب أهل الحِجاز. وقد روى مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثِلة مرفوعاً: «إنَّ الله اصطَفَى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطَفَى من كِنانة قريشاً، واصطَفَى من قريش بني هاشم، واصطَفاني من بني هاشم»، ولابن سعد (١/ ٢٠) من مُرسَل أبي جعفر الباقر: «ثمَّ اختارَ بني هاشم من قريش، ثمَّ اختارَ بني عبد المطَّلِب من بني هاشم».

قوله: «حدَّثنا موسى» هو ابن إسماعيل التَّبُوذَكي.

قوله: «وأظنّها زينب» كأنَّ قائله موسى، لأنَّ قيس بن حفص في الرِّواية التي قبلها قد جَزَمَ بأنَّها زينب، وشيخُهما واحد. لكن أخرجه الإسماعيلي من رواية حَبّانَ بن هلال عن عبد الواحد، وقال: لا أعلمها إلّا زينب، فكأنَّ الشكّ فيه من شيخهم عبد الواحد، كان يَجزِم بها تارةً، ويَشُكّ فيها أُخرى.

قوله: «نَهى النبي ﷺ عن الدُّبّاء» بضمِّ المهمَلة وتشديد الموحَّدة، سيأتي شرحه في كتاب

---

(١) وهو في «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١٥٢٤) عن عبد الله بن خالد الوابصي، عن عبد الله بن الحارث ابن هشام المخزومي رفعه، فزاد في الإسناد عبد الله بن الحارث، وهو مرسلٌ أيضاً.

(٢) فات الحافظَ رحمه الله أن يخرجه من ابن ماجه، وهو فيه برقم (٢٦١٢)، وإسناده حسن.

الأشرِبة[1]، وأورَدَه هنا لكَونِه سمعَ الحديث على هذه الصّورة، وهذا هو المرفوع منه، فلم يَرَ حذْفَه من السّياق، على أنَّه لم يَطَّرِد له في ذلك عمَلٌ، فإنَّه تارة يأتي بالحديث على وجهه كما صَنَعَ هنا، وتارة يَقتَصِر على موضع حاجته منه كما تقدَّم في عِدَّة مَواطنَ.

قوله: «والمقيَّر والمزَفَّت» كذا وَقَعَ هنا بالميمِ والقاف المفتوحة، قال أبو ذَرٍّ: هو خطأ، والصَّواب: النَّقير ـ يعني: بالنّونِ وكسر القاف ـ وهو واضح، لئلّا يَلزَم منه التَّكرار إذا ذُكِرَ المزَفَّت.

٣٤٩٣- حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، أخبرنا جَرِيرٌ، عن عُمارةَ، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ: قال: «تَجِدونَ الناسَ مَعادِنَ: خِيارُهم في الجاهليَّةِ خِيارُهم في الإسلامِ إذا فَقُهوا، وتَجِدونَ خيرَ الناسِ في هذا الشَّأنِ أشَدَّهم له كَراهيةً».

[طرفاه في: ٣٤٩٦، ٣٥٨٨]

٣٤٩٤- «وتَجِدونَ شَرَّ الناسِ ذا الوَجْهَينِ: الذي يأتي هؤلاءِ بوَجْهٍ، ويأتي هؤلاءِ بوَجْهٍ».

[طرفاه في: ٦٠٥٨، ٧١٧٩]

الحديث الثالث: يشتمل على ثلاثة أحاديث:

أولها: قوله: «حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم» هو ابن راهويه.

قوله: «تَجِدونَ الناسَ مَعادِنَ» أي: أُصولاً مُختَلِفة، والمعادِن: جمع مَعدِن، وهو الشيء المستَقِرّ في الأرض، فتارة يكون نفيساً، وتارة يكون خَسيساً، وكذلك الناسُ.

قوله: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام» وجه التَّشبيه: أنَّ المعدِن لمَّا كان إذا استُخرِجَ ظَهَرَ ما اختَفى منه، ولا تَتَغيَّر صِفَته، فكذلك صفة الشَّرَف لا تَتَغيَّر في ذاتها، بل مَن كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنِّسبة إلى أهل الجاهلية رأسٌ، فإن أسلَمَ استَمرَّ شَرَفه، وكان أشرَفَ ممَّن أسلَمَ من المشروفِينَ في الجاهلية.

وأمَّا قوله: «إذا فَقُهوا» ففيه إشارة إلى أنَّ الشَّرَف الإسلاميَّ لا يَتِمّ إلّا بالتَّفقُّه في الدِّين،

---

(١) بل شرحه في كتاب «الأطعمة»، عند الحديث (٥٣٧٩).

وعلى هذا فيَنقَسِم الناس أربعةَ أقسام مع ما يُقابلها:

الأوَّل: شريف في الجاهلية أسلَمَ وتَفقَّهَ، ويُقابِلهُ مشروف في الجاهلية لم يُسلِم ولم يَتفقّه.

الثّاني: شريف في الجاهلية أسلَمَ ولم يَتَفَقّه، ويُقابله مشروف في الجاهلية لم يُسلِم وتَفقَّهَ.

الثّالث: شريف في الجاهلية لم يُسلمْ ولم يَتفقّه، ويُقابله مشروف في الجاهلية أسلَمَ ثمَّ تَفقَّهَ.

٥٣٠/٦ **الرّابع:** شريف/ في الجاهلية لم يُسلمْ وتَفقَّهَ، ويُقابله مشروف في الجاهلية أسلَمَ ولم يَتَفَقّه.

فأرفَع الأقسام مَن شَرُفَ في الجاهلية، ثمَّ أسلَمَ وتَفقَّهَ، ويَليه مَن كان مشروفاً، ثمَّ أسلَمَ وتَفقَّهَ، ويَليه مَن كان شريفاً في الجاهلية، ثمَّ أسلَمَ ولم يَتَفَقّه، ويَليه مَن كان مشروفاً، ثمَّ أسلَمَ ولم يَتَفَقّه. وأمَّا مَن لم يُسلِم، فلا اعتبار به، سواءٌ كان شريفاً أو مشروفاً، سواء تَفقَّهَ أو لم يَتفقّه، والله أعلم.

والمراد بالخِيار والشَّرَف وغير ذلك: مَن كان مُتَّصِفاً بمَحاسن الأخلاق، كالكَرَمِ والعِفَّة والحِلم، وغيرها، مُتَوَقِّياً لمساوئِها كالبخلِ والفُجور والظُّلم، وغيرها[1].

قوله: «إذا فَقُهوا» بضمِّ القاف، ويجوز كسرها.

قوله: «وتَجِدونَ خيرَ الناس في هذا الشَّأن» أي: الوِلاية والإمرة.

وقوله: «أشدَّهم له كَراهية» أي: أنَّ الدُّخول في عُهدة الإمرة مَكروه من جِهَة تَحمُّل المَشَقَّة فيه، وإنَّما تَشتَدّ الكراهة له ممَّن يَتَّصِف بالعقلِ والدّين، لمَا فيه من صُعوبة العمل

(١) لم يُصِبِ الحافظُ رحمه الله في قصر الشرف على هذا المعنى الذي أورده، لأنه أغفل ذكر شرف النسب والعِرق الذي دلَّت نصوصٌ صحيحة على احترامه والاعتداد به، وهو الذي يُفهم من جواب النبي ﷺ هنا، كما قال القاضي عياض شارحاً هذا الحديث عند مسلم، وقول النبي ﷺ في روايته لمن سأله: «فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» فقال عياض: في تنبيهه عليه الصلاة والسلام إلى ذلك إرشاد إلى مراعاة الأصول والأحساب والجري على الأعراق، وأنَّ مراعاة ذلك بالدين وتمامه شريفة بالفقه. قلنا: ويدل عليه أيضاً حديث مسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل...» وقد ذكره الحافظ قريباً، وكذلك حديث: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن» وهو من أحاديث الباب هنا، وغيرهما.

بالعَدلِ، وحَمل الناس على رفع الظُّلم، ولما يَتَرتَّب عليه من مُطالَبة الله تعالى للقائمِ به من حُقوقِه، وحقوق عِباده، ولا تَخْفَى خيريَّة مَن خافَ مَقام ربّه.

وأمَّا قوله في الطَّريق التي بعد هذه: «وتَجِدونَ من خير الناس أشدَّ الناس كَراهيَةً لهذا الشَّأن حتَّى يقع فيه» فإنَّه قَيَّدَ الإطلاق في الرِّواية الأولى، وعُرِفَ أنَّ «مِن» فيه مُرادةٌ، وأنَّ مَن اتَّصَفَ بذلك لا يكون خيرَ الناس على الإطلاق.

وأمَّا قوله: «حتَّى يقع فيه» فاختُلِفَ في مفهومه، فقيل: معناه أنَّ مَن لم يكن حَريصاً على الإمْرة، غير راغِب فيها، إذا حَصَلَت له بغير سؤال، تَزول عنه الكراهة فيها، لمَا يُرى من إعانة الله له عليها، فيأمَن على دينه ممَّا كان يَخاف عليه منها قبل أن يقع فيها، ومن ثَمَّ أحَبَّ مَن أحَبَّ استمرار الوِلاية من السَّلَف الصالح حتَّى قاتَلَ عليها، وصَرَّحَ بعض مَن عُزِلَ منهم بأنَّه لم تَسُرّه الوِلاية، بل ساءَه العَزْل. وقيل: المراد بقوله: «حتَّى يقع فيه» أي: فإذا وَقَعَ فيه لا يجوز له أن يَكرَهه، وقيل: معناه أنَّ العادة جَرَت بذلك، وأنَّ مَن حَرَصَ على الشيء ورَغِبَ في طلبه قَلَّ أن يَحصُل له، ومَن أعرَضَ عن الشيء وقَلَّت رغبته فيه يَحصُل له غالباً، والله أعلم.

ثالثها: قوله: «وتَجِدونَ شَرّ الناس ذا الوَجْهَين» سيأتي شرحه في كتاب الأدب (٦٠٥٨)، فقد أورَدَه من وجه آخر مُستَقِلًّا.

٣٤٩٥- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا المغيرةُ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشَّأنِ: مُسلِمُهم تَبَعٌ لمسلِمِهم، وكافرُهم تَبَعٌ لكافرِهم».

٣٤٩٦- «والناسُ مَعادِنُ: خِيارُهم في الجاهليَّةِ خِيارُهم في الإسلامِ إذا فَقُهوا، تَجِدونَ من خيرِ الناسِ أشَدَّ الناسِ كَراهيةً لهذا الشَّأنِ، حتَّى يَقَعَ فيه».

الحديث الرابع: يشتمل على ثلاثة أحاديث: اثنين في الذي قبله.

وثالثها: قوله: «الناس تَبَعٌ لقريشٍ» قيل: هو خبرٌ بمعنى الأمر، ويدلُّ عليه قوله في رواية أخرى: «قَدِّموا قريشاً، ولا تَقَدَّمُوها» أخرجه عبد الرَّزّاق (١٩٨٩٣) بإسناد صحيح،

لكنَّه مُرسَل، وله شواهد[1]، وقيل: هو خبر على ظاهره، والمراد بالناس بعض الناس، وهم سائر العرب من غير قريش، وقد جمعتُ في ذلك تأليفاً سَمَّيته: «لَذَّة العَيش بطرقِ الأئمَّة من قريش»، وسأذكُرُ مقاصده في كتاب الأحكام مع إيضاح هذه المسألة.

قال عياض: استَدَلَّ الشّافعية بهذا الحديث على إمامة الشّافعي، وتقديمه على غيره، ولا حُجَّة فيه، لأنَّ المراد به هنا الخُلَفاء. وقال القُرطُبي: صَحِبَتِ المستَدِلَّ بهذا غَفْلةٌ مُقارِنة لصَميمِ التَّقليد. وتُعقِّبَ بأنَّ مُرادَ المستَدِلّ: أنَّ القُرَشيّة من أسباب الفضل والتَّقدُّم، كما أنَّ من أسباب التَّقدُّم الوَرَعَ مثلاً، فالمستَوِيان في خِصال الفضل إذا تَمَيَّزَ أحدهما بالوَرَع مثلاً، كان مُقدَّماً على رَفيقه، فكذلك القُرَشيّة، فثَبَتَ الاستدلالُ بها على تَقْديم الشّافعي ومَزِيَّتِه على مَن ساواه في العلم والدِّين، لمشارَكَتِه له في الصِّفتَين وتَميُّزِه عليه بالقُرَشيَّة. وهذا واضح، ولعلَّ الغَفْلة والعَصبيّة صَحِبَتِ القُرطُبيَّ، فللهِ الأمر.

وقوله: «كافرُهم تَبَعٌ لكافرِهم» وقَعَ مِصداق ذلك، لأنَّ العرب كانت تُعظِّم قريشاً في الجاهلية بسُكْناها الحَرَمَ، فلمَّا بُعِثَ النبي ﷺ، ودَعَا إلى الله، توقَّف غالبُ العرب عن اتِّباعه، وقالوا: نَنظُر ما يصنع قومُه، فلمَّا فتَحَ النبي ﷺ مكَّة، وأسلَمَت قريش، تَبِعَتهم العربُ ودخلوا في دين الله أفواجاً، واستَمرَّت خِلافة النبوَّة في قريش، فصَدَقَ أنَّ كافرهم كان تَبَعاً لكافرهم، وصارَ مسلمُهم تَبَعاً لمسلمِهم.

٣٤٩٧- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا يحيى، عن شُعْبَةَ، حدَّثني عبدُ الملكِ، عن طاووسٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] قال: فقال سعيدُ بنُ جُبَير: قُرْبَى محمَّدٍ ﷺ؟ فقال: إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن بَطْنٌ من قريشٍ إلّا وله فيه قَرابةٌ، فنزلت فيه: إلّا أن تَصِلوا قَرابةً بيني وبينكم.

[طرفه في: ٤٨١٨]

٥٣١/٦ الحديث الخامس: قوله: «حدَّثني عبد الملك» هو ابن/ مَيسَرة، وَقَعَ منسوباً في تفسير

---

(١) وسيأتي تخريجها للحافظ في الأحكام عند الحديث رقم (٧١٤٠).

﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ (٤٨١٨) ويأتي شرحُه مُستوفًى هناك، ودخوله في هذه التَّرجمة واضح، من جِهَة تفسير المَوَدَّة المطلوبة في الآيةِ بصِلَة الرَّحِم التي بينه وبين قريش، وهم الذينَ خُوطِبوا بذلك، وذلك يستدعي معرفة النَّسَب التي تَحَقَّقُ بها صِلة الرَّحِم.

قال عِكْرمة: كانت قريش تَصِل الأرحام في الجاهلية، فلمَّا دَعَاهم النبيُّ ﷺ إلى الله، خالَفوه وقاطَعوه، فأمَرَهم بصِلة الرَّحِم التي بينه وبينهم.

وسيأتي بيان الاختلاف في المراد بقوله: ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] في التَّفسير.

وقوله هنا: «إنَّ النبي ﷺ لم يكن بَطْنٌ من قريش إلّا وله فيه قَرابة، فنزلت فيه: إلّا أن تَصِلوا قَرابةً بيني وبينكم» كذا وَقَعَ هنا من رواية يحيى ـ وهو القَطّانُ ـ عن شُعْبة، ووقَعَ في التَّفسير (٤٨١٨) من رواية محمَّد بن جعفر ـ وهو غُندَر ـ عن شُعْبة بلفظ: إلّا كان له فيهم قَرابة، فقال: إلّا أن تَصِلوا ما بيني وبينكم من القَرابة، وهذه الرِّواية واضحة، والأولى مُشكِلة، لأنَّها توهم أنَّ المذكور بعد قوله: «فنزلت» من القرآن، وليس كذلك، وقد مَشى بعض الشُّرّاح على ظاهره، فقال: كان هذا قرآناً فنُسِخَ، وقال غيره: يحتمل أنَّ هذا الكلام معنى الآية، فنُسِبَ إلى النُّزول مجازاً، وهو كقولِ حسَّان في قَصيدَته المشهورة:

وقــال اللهُ: قــد أرسَـلْتُ عبـداً		يقـولُ الحـقَّ لـيس بـه خَفـاءُ

يريد: أنَّه من قول الله بالمعنى.

قلت: والذي يَظهَر لي أنَّ الضَّمير في قوله: «فنزلت» للآية المسؤول عنها، وهي قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وقوله: إلّا أن تَصِلوا، كلام ابن عبَّاس، تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وقد أوضحَتْ ذلك روايةُ الإسماعيلي من طريق معاذ ابن معاذ عن شُعْبة، فقال في روايته: فقال ابن عبَّاس: إنَّه لم يكن بطن من بُطون قريش إلّا للنبي ﷺ فيه قَرابةٌ، فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ إلّا أن تَصِلوا قَرابَتي منكم، وله من طريق يزيد بن زُرَيع عن شُعْبة مِثله، لكن قال: إلّا أن تَصِلوا ما بيني وبينكم من القَرابة. فعُرِفَ بهذا أنَّ المراد ذِكْرُ بعض الآية بالمعنى على جِهَة التَّفسير، وسَبَب ذلك خَفاء معناها على

سعيد بن جُبَير، وسيأتي ذِكْر ما يَتعلَّق بذلك في التَّفسير (٤٨١٨) إن شاء الله تعالى.

٣٤٩٨- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، عن إسماعيلَ، عن قيسٍ، عن أبي مسعودٍ، يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ، قال: «مِن هاهنا جاءتِ الفِتَنُ ـ نحوَ المشرقِ ـ، والجَفاءُ وغِلَظُ القلوبِ في الفَدّادِينَ أهلِ الوَبَرِ، عندَ أُصولِ أذْنابِ الإبلِ والبقرِ، في رَبِيعةَ ومُضَرَ».

الحديث السادس: قوله: «عن إسماعيل» هو ابن أبي خالد، و«**قيس**» هو ابن أبي حازم.

قوله: «يَبْلُغ به النبيَّ ﷺ» هذا صريح في رفعه، وليس صريحاً في أنَّ الصَّحابيّ سمعَه من النبي ﷺ.

قوله: «من هاهنا» أي: المشرق.

قوله: «جاءتِ الفِتَن» ذكره بلفظ الماضي مُبالَغة في تَحقُّق وقُوعه، وإن كان المراد أنَّ ذلك سَيَجيء.

قوله: «نحو المشرق» أي: وأشارَ إلى جِهَة المشرق، وقد تقدَّم في بَدْء الخلق (٣٣٠٢) من وجه آخر عن إسماعيل: حدَّثني قيس عن عُقْبة بن عَمْرو أبي مسعود، قال: أشار رسول الله ﷺ بيده، فذكر الحديث.

قوله: «والجَفاءُ وغِلَظُ القلوب» قال القُرطُبي: هما شيئان لِمُسَمًّى واحد، كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] والبَثّ: هو الحُزن، ويحتمل أن يقال: المراد بالجَفاءِ: أنَّ القلب لا يَلِين لِمَوعظةٍ، ولا يَخْشَع لتَذكِرةٍ، والمراد بالغِلَظِ: أنَّها لا تَفهَم المراد، ولا تَعقِل المعنى، وقد مضى في الرِّواية التي في بَدْء الخلق (٣٣٠٢) بلفظ: «القَسوَة» بدل «الجَفاء».

قوله: «في الفَدّادينَ» تقدَّم شرحه في بَدْء الخلق، قال الكِرْماني: مُناسَبة هذا الحديث والذي بعده للتَّرجمة من ضَرُورة أنَّ الناس باعتبار الصِّفات كالقبائلِ، وكَون الأَتْقى منهم هو الأكرَم. انتهى.

ولقد أبعَدَ النُّجْعَة، والذي يَظهَر أنَّها من جِهَة ذِكْر ربيعة ومُضَر، لأنَّ مُعظَم العرب

يَرجِع نَسَبُه إلى هذَين الأصْلَين، وهم كانوا أجَلّ أهل المشرق، وقريش الذينَ بُعِثَ فيهم النبيُّ ﷺ أحدُ فُروع مُضَر، فأمَّا أهل اليمن فتَعرَّضَ لهم في الحديث الذي بعده، وسيأتي لهم ترجمة من نَسَب العرب كلّهم إلى إسماعيل (٣٥٠٧).

٣٤٩٩- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمن، أنَّ أبا هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «الفَخْرُ والخُيَلاءُ في الفَدّادِينَ أهلِ الوَبَرِ، والسَّكِينةُ في أهلِ الغنمِ، والإيمانُ يَمانٍ، والحِكْمةُ يَمانِيَةٌ».

قال أبو عبد الله: سُمِّيَتِ اليمَنَ لأنَّها عن يَمِين الكَعْبةِ، والشَّأْمَ لأنها عن يَسار الكَعْبةِ، والمَشْأَمةُ: المَيسَرةُ، واليَدُ اليُسْرَى: الشُّؤْمَى، والجانبُ الأيسَرُ: الأَشْأَمُ.

الحديث السابع: قوله في حديث أبي هريرة: «والإيمان يَمانٍ، والحِكْمة يَمانِيَة» ظاهره نِسبةُ الإيمان/ إلى اليمن، لأنَّ أصل يَمانٍ: يَمَنيّ، فحُذِفَت ياء النَّسَب، وعوِّضَ بالألفِ بَدَلَها. ٦/٥٣٢

وقوله: «يَمانيَة» هو بالتَّخفيفِ، وحَكَى ابن السِّيْد في «الاقتِضاب»: أنَّ التَّشديد لغة. وحَكَى الجَوْهري وغيره أيضاً عن سيبويه: جواز التَّشديد في يَماني، وأنشَدَ[1]:

يَمانيّاً يَظَلّ يَشُدّ كِيْراً ... ويَنفُخُ دائماً لَهَبَ الشُّواظِ

واختُلِفَ في المراد به، فقيل: معناه نِسبةُ الإيمان إلى مكَّة، لأنَّ مَبدَأه منها، ومكَّة يَمانية بالنِّسبة إلى المدينة. وقيل: المراد نِسبة الإيمان إلى مكَّة والمدينة وهما يَمانيتان بالنِّسبة للشّام، بناء على أنَّ هذه المقالة صَدَرَت من النبي ﷺ، وهو حينئذٍ بتَبوك، ويُؤيِّده قوله في حديث جابر عند مسلم (٥٣/ ٩٢): «والإيمان في أهل الحِجاز». وقيل: المراد بذلك الأنصار، لأنَّ أصلَهم من اليمن، ونُسِبَ الإيمان إليهم لأنَّهم كانوا الأصلَ في نَصر الذي جاء به النبي ﷺ: حَكَى جميع ذلك أبو عُبيد[2] في «غريب الحديث» له.

---

(١) البيت لأُمية بن خَلَف الخُزاعي. انظر «لسان العرب» مادة (شوظ).

(٢) تحرف في (ع) و(س) إلى: أبو عُبيدة، بزيادة التاء في آخره، ولم تظهر في (أ) لانطماس موضع الكلام في الورقة، وإنما هو أبو عُبيد القاسم بن سلّام، وكلامه هذا في «غريب الحديث» ٢/ ١٦١-١٦٢ و١٦٤.

وتَعقَّبَه ابن الصلاح: بأنَّه لا مانع من إجراء الكلام على ظاهره، وأنَّ المراد تفضيل أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق. والسَّبَب[١] في ذلك إذعانُهم إلى الإيمان من غير كبير مَشَقَّة على المسلمينَ، بخِلاف أهل المشرق وغيرهم، ومَن اتَّصَفَ بشيءٍ وقَوِيَ قيامُه به نُسِبَ إليه، إشعاراً بكمال حاله فيه، ولا يَلزَم من ذلك نفيُ الإيمان عن غيرهم، وفي ألفاظه أيضاً ما يقتضي أنَّه أراد به أقواماً بأعيانهم، فأشارَ إلى مَن جاء منهم، لا إلى بَلَد مُعيَّن، لقوله في بعض طرقه في «الصَّحيح»[٢]: «أتاكم أهل اليمن، هم أَلْيَنُ قلوباً، وأَرَقُّ أفئِدةً، الإيمان يَمانٍ، والحكمة يَمانيَة، ورأس الكفر قِبَل المشرق»، ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره، وحَمْل أهل اليمن على حقيقَته. ثمَّ المراد بذلك الموجود منهم حينئذٍ، لا كلّ أهل اليمن في كلّ زمان، فإنَّ اللَّفظ لا يقتضيه. قال: والمراد بالفقه: الفَهم في الدِّين، والمراد بالحكمة: العلم المشتَمِل على المعرفة بالله، انتهى.

وقد أبعَد الحَكيم التِّرمذي، حيثُ زَعَمَ أنَّ المراد بذلك شَخصٌ خاصٌّ، وهو أُوَيس القَرَني، وسيأتي في «باب ذِكْر قَحْطان» زيادة في هذا[٣]، والله أعلم.

قوله: «قال أبو عبد الله» هو المصنِّف.

قوله: «سُمّيتِ اليَمَنَ لأنَّها عن يمين الكَعْبة» هو قول أبي عُبيدة، قاله في تفسير الواقعة. ورُوي عن قُطرُب، قال: إنَّما سُمّي اليمنُ يَمَناً ليُمنِه، والشّامُ شَأماً لشُؤمِه.

وقال الهَمْداني في «الأنساب»: لمَّا ظَعَنَتِ العرب العارِبةُ أقبَلَ بنو يقطن بن عابر[٤]

---

(١) من قوله: والسبب... إلى قوله: «قِبل المشرق» من قول الحافظ رحمه الله، ثم بعد ذلك عادَ لنقل كلام ابن الصلاح بأتمَّ من نقله قبل ذلك، وكلام ابن الصلاح هذا موجود في «صيانة صحيح مسلم» ص٢١١-٢١٢.

(٢) هو عند البخاري برقم (٣٣٠١) و(٤٣٨٨)، وأخرجه مسلم (٥٢) (٩٠).

(٣) يعني عند شرح الحديث (٣٥١٧)، لكنه لم يتعرض هناك لأيَّة زيادة في ذلك.

(٤) تحرف في (ع) و(س) إلى: قطن بن عامر، ولم يظهر في (أ) لانطماس الورقة. وقد ضبط الحافظ اسم «عابر» في الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ بالمهملة والموحدة، ويقطن هو نفسه قحطان كما جاء في مقدمة «عجالة المتبدي» للحازمي الهمْداني، وانظر «الأنساب» للسمعاني في نسبة القحطاني.

فتَيامَنُوا، فقالت العرب: تَيامَنَت بنو قَطَن، فسُمّوا اليمنَ، وتشاءَمَ الآخرونَ، فسُمّوا شاماً. وقيل: إنَّ الناس لمَّا تفرَّقَت ألسِنَتُهم حين تَبلبَلَت ببابل أخَذَ بعضهم عن يمين الكعبة، فسُمّوا يَمَناً، وأخَذَ بعضهم عن شِمالها فسُمّوا شاماً، وقيل: إنَّما سُمّيت اليمن بيمَن بن قَحْطان، وسُمّيت الشّام بسام بن نوح، وأصله: شام بالمعجَمة، ثمَّ عُرِّبَ بالمهمَلة.

قوله: «**والمَشْأمة: المَيسَرة...**» إلى آخره، يريد أنَّهما بمعنًى، قال أبو عُبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة:٩]: أي: أصحاب الميسَرة، ويقال لليد اليُسرى: الشُّؤمَى، قال: ويقال للجانبِ الأيسَر: الأَشْأم. انتهى.

ويقال: المراد بأصحاب المشأمَة ـ أي: أصحاب الميسرة ـ: أصحاب النار، لأنَّهم يذهبون بهم إليها وهي على ناحية الشِّمال. ويقال: قيل لهم ذلك لأنَّهم يَتناوَلونَ كُتُبهم بالشِّمال، والله تعالى أعلم.

٢- باب مناقبِ قريشٍ

قوله: «**باب مناقب قريش**» هم ولد النَّضر بن كِنانة، وبذلك جَزَمَ أبو عُبيدة، أخرجه ابن سعد (١/ ٧٢) عن أبي بكر بن [أبي][1] الجَهم. ورُوي عن هشام بن الكَلْبي عن أبيه: كان سُكّان مكَّة يَزعُمونَ أنَّهم قريش دون سائر بني النَّضر، حتَّى رَحَلوا إلى النبي ﷺ فسألوه عن قريش، قال: «مَن وَلَدَ النَّضْرُ بن كِنانة». ٥٣٤/٦

وقيل: إنَّ قريشاً هم ولد فِهر بن مالك بن النَّضر، وهذا قول الأكثر، وبه جَزَمَ مُصعَب، قال: ومَن لم يَلِده فِهر فليس قُرَشيّاً. وقد قَدَّمتُ مِثلَه عن ابن الكَلْبي.

وقيل: أوَّل مَن نُسِبَ إلى قريش قُصيّ بن كِلاب، فروى ابن سعد (١/ ٧١): أنَّ عبد الملك بن مَروان سأل محمَّد بن جُبَير: متى سُمّيت قريشٌ قريشاً؟ قال: حين اجتمَعَت إلى الحَرَم بعد تَفرُّقها. فقال: ما سمعتُ بهذا، ولكن سمعت أنَّ قُصيّاً كان يقال له: القُرَشيّ،

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ع) و(س)، ولم يظهر في (أ) لانطماس الورقة، والصحيح إثباته، كما في «الطبقات»، ومصادر الترجمة.

ولم يُسَمَّ أحدٌ قريشاً قبله.

وروى ابن سعد (١/ ٦٩) من طريق المِقداد قال: لمَّا فرَغَ قُصيٌّ من نفي خُزاعة من الحَرَم، تَجمَّعَت إليه قريش، فسُمّيت يومئذٍ قريشاً لحال تجمُّعها، والتَّقَرُّش: التَّجَمُّع.

وقيل: لتَلَبُّسِهم بالتِّجارة، وقيل: لأنَّ الجدّ الأعلى جاء في ثوب واحد مُتَجَمِّعاً فيه فسُمّي قريشاً، وقيل: من التَّقَرُّش، وهو أخذ الشيء أوَّلاً فأوَّلاً. وقد أكثر ابن دِحية من نقل الخِلاف في سبب تسمية قريش قريشاً، ومَن أوَّل مَن تَسَمّى به.

وحَكَى الزُّبَير بن بَكّار عن عَمّه مُصعَب: أنَّ أوَّل مَن تَسَمّى قريشاً قريشُ بن بدر بن مَخلَد بن النَّضر بن كِنانة، وكان دليلَ بني كِنانة في حُروبهم، فكان يقال: قَدِمَت عِيرُ قريش، فسُمّيت قريش به قريشاً، وأبوه صاحب بدر الموضع المعروف.

وقال المُطَرِّزي: سُمّيت قريش بدابَّةٍ في البحر هي سَيِّدة الدَّوابّ البحرية، وكذلك قريش سادة الناس، قال الشّاعر[1]:

وقريشٌ هي التي تَسكُن البحـ ـرَ بها سُمّيَت قريشٌ قريشا

تأكُل الغَثّ والسَّمين ولا تَتـ ـرُكُ فيه لذي جناحَينِ ريشا

هكذا في البلاد حَيُّ قريش يأكلونَ البلادَ أكلاً كَمِيشا

ولهم آخِرَ الزَّمان نبيٌّ يُكثِرُ القتلَ فيهمُ والخُموشا

وقال صاحب «المحكَم»: قريش دابَّة في البحر لا تَدَع دابَّة في البحر إلّا أكَلتْها، فجميع الدَّوابّ تَخافها. وأنشَدَ البيتَ الأوَّلَ.

قلت: والذي سمعتُه من أفواه أهل البحر: القِرش: بكسر القاف وسكون الرّاء، لكنَّ البيت المذكور شاهد صحيح، فلعلَّه من تغيير العامَّة، فإنَّ البيت الأخير من الأبيات

---

(١) قيل: هو تُبَّع، حكاه أبو الوليد الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٠٩، وقيل: هو المُشمرِج بن عمرو الحِميَري، حكاه المرزباني في «معجم الشعراء» ص٤٦٩، لرجل جُمَحيّ، كما أسنده البيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٨١.

المذكورة يدلّ على أنَّه من شِعر الجاهلية، ثمَّ ظَهَرَ لي أنَّه مُصغَّر القِرش الذي بكسر القاف، وقد أخرج البيهقي[1] من طريق ابن عبَّاس، قال: قريش تصغير قِرش، وهي دابَّة في البحر لا تَمُرّ بشيءٍ من غَثّ ولا سَمين إلّا أكَلَته.

وقيل: سُمّي قريشاً لأنَّه كان يُقرِّش عن خَلَّة الناس وحاجتَهم ويَسُدّها، والتَّقريش: هو التَّفتيش. وقيل: سُمّوا بذلك لمعرفتِهم بالطِّعان، والتقرُّش: وقع الأسِنَّة. وقيل: التَّقرُّش: التَّنزُّه عن رَذائل الأُمور، وقيل: هو من أقرَشَتِ الشَّجَّةُ: إذا صَدَعَتِ العَظمَ ولم تَهشِمْه. وقيل: أقرَشَ بكذا: إذا سَعى فيه فوَقَعَ له، وقيل غير ذلك.

ثمَّ ذكر المصنِّف في الباب خمسة أحاديث:

الأول:

٣٥٠٠- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: كان محمَّدُ بنُ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ يُحدِّثُ: أنَّه بَلَغَ مُعاوِيةَ وهو عندَه في وَفْدٍ من قريشٍ: أنَّ عبد الله بنَ عَمْرِو بنِ العاص يُحدِّثُ: أنَّه سَيكونُ مَلِكٌ من قَحْطانَ، فغَضِبَ مُعاوِيةُ، فقامَ فأثْنَى على الله بما هو أهلُه، ثمَّ قال: أمَّا بعدُ، فإنَّه بَلَغَني أنَّ رجالاً مِنْكم يَتَحَدَّثونَ أحادِيثَ ليست في كتاب الله، ولا تُؤْثَرُ عن رسولِ الله ﷺ، فأولئكَ جُهّالُكم، فإيّاكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهلَها، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ، لا يُعادِيهم أحدٌ إلّا كَبَّهُ الله على وجهِه، ما أقامُوا الدِّينَ».

[طرفه في: ٧١٣٩]

قوله: «كان محمَّد بن جُبَير بن مُطْعِم يُحدِّث» سيأتي في الأحكام (٧١٣٩) الردُّ على مَن زَعَمَ: أنَّ الزُّهْري لم يَسمَعه من المذكور، وأذكُرُ إن شاء الله/ شرح هذه المسألة هناك. ٥٣٥/٦

قوله: «من قَحْطان» هو جُمّاعُ اليمن، وفي إنكار معاوية ذلك نظر، لأنَّ الحديث الذي استَدَلَّ به مُقيَّد بإقامة الدِّين، فيحتمل أن يكون خروج القَحْطاني إذا لم تُقِم قريش أمرَ

(١) في «دلائل النبوة» ١/ ١٨١.

الدِّين، وقد وُجِدَ ذلك، فإنَّ الخِلافة لم تَزَل في قريش، والناس في طاعَتهم إلى أن استَخَفّوا بأمرِ الدِّين، فضَعُفَ أمرهم وتَلاشى إلى أن لم يَبْقَ لهم من الخِلافة سوى اسمها المجرَّد في بعض الأقطار دون أكثرها، وسيأتي مِصداق قول عبد الله بن عَمْرو بعد قليل من حديث أبي هريرة.

وقول عبد الله بن عَمْرو: يكون مَلِكٌ من قَحْطان، بيَّن نُعَيم بن حمَّاد في كتاب «الفتن» (٢٦٤) و(١٢٠٤) من وجه قويّ عن محمد عن عُقْبة[1] بن أوس، عن عبد الله بن عَمْرو: أنَّه ذكر الخُلَفاء، ثمَّ قال: ورجل من قَحْطان، وأخرجه بإسنادٍ جيِّد أيضاً من حديث ابن عبَّاس، قال فيه: ورجلٌ من قَحْطان كلّهم صالح[2]، وروى أحمد (١٦٨٢٧) والطبراني (٤٢٢٧) من حديث ذي مِخْمَرِ الحَبَشي مرفوعاً: «كان المُلْك قبل قريش في حِمْيَر، وسيعودُ إليهم».

وقال ابن التِّين: إنكار معاوية على عبد الله بن عَمْرو لأنَّه حَمَلَه على ظاهره، وقد يَخْرُج القَحْطانيّ في ناحية، لا أنَّ حُكمه يَشمَل الأقطار، وهذا الذي قاله بعيدٌ من ظاهر الخبر.

الحديث الثاني:

٣٥٠٤- حدَّثنا[3] أبو نُعَيم، حدَّثنا سفيانُ، عن سعدٍ (ح) قال يعقوبُ بنُ إبراهيمَ: حدَّثنا أبي، عن أبيه، قال: حدَّثني عبدُ الرحمن بنُ هُرْمُزَ الأعرَجُ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ: «قريشٌ والأنصارُ وجُهَينةُ ومُزَينةُ وأسلَمُ وأشجَعُ وغِفارُ مَوالِيَّ، ليس لهم مَوْلًى دونَ الله ورسولِه».

[طرفه في: ٣٥١٢]

(١) تحرف في (أ) و(س) إلى: عمرو بن عقبة. وفي (ع) إلى: عمرو بن أوس. ومحمد هذا هو ابن سيرين.

(٢) كذا قال الحافظ رحمه الله، وهو سَبْق نظر منه، لأنَّ هذه الزيادة في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الوارد في «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٠٤) بعد حديث ابن عباس مباشرة، فانتقل نظره إليه، والله أعلم.

(٣) جاء هذا الحديث في اليونينية مؤخراً إلى ما بعد الحديث (٣٥٠٣)، وهو على هذا الترتيب الذي اعتمدناه في رواية أبي ذر الهروي التي شرح الحافظ الأحاديثَ على وفق ترتيبها في هذا الباب، وأبقينا على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

قوله: «**حدَّثنا أبو نُعَيم حدَّثنا سُفْيان**» هو الثَّوري «**عن سعد بن إبراهيم**» أي: ابن عبد الرحمن ابن عَوْف «**ح قال يعقوب بن إبراهيم**» أي: ابن سعد بن إبراهيم «**حدَّثنا أبي عن أبيه**» أمَّا طريق أبي نُعَيم، فسيأتي بهذا المتن بعد ثلاثة أبواب (٣٥١٢) مع شرح الحديث.

وأمَّا طريق يعقوب بن إبراهيم، فقال أبو مسعود: حَمَلَ البخاريّ مَتن حديث يعقوب على مَتن حديث الثَّوري، ويعقوب إنَّما قال: عن أبيه عن صالح بن كَيْسانَ عن الأعرَج، كما أخرجه مسلم (٢٥٢١/ ١٩١) ولفظه: «غِفار وأسلم ومُزَينة ومَن كان من جُهَينة، خيرٌ عند الله من أسَد وغَطَفان وطَيِّئ» انتهى. فحاصله: أنَّ رواية يعقوب مخالفة لرواية الثَّوري في المتن والإسناد، لأنَّ الثَّوري يَرويه عن سعد بن إبراهيم عن الأعرَج، ويعقوب يَرويه عن أبيه عن صالح عن الأعرَج.

قلت: ولم يُصِب أبو مسعود فيما جَزَمَ به، فإنَّهما حديثان مُتَغايِران مَتناً وإسناداً، روى كلًّا منهما إبراهيم بن سعد: أحدهما: الذي أخرجه مسلم، وهو عنده عن صالح عن الأعرَج، والآخر: الذي عَلَّقَه البخاري، وهو عنده عن أبيه عن الأعرَج. ولو كان كما قال أبو مسعود، لاقتَضى أنَّ البخاري أخطَأ في قوله: حدَّثنا أبي، عن أبيه، حدَّثني الأعرَج، وكان الصَّواب: أن يقول: حدَّثنا أبي عن صالح/ عن الأعرَج، ونِسبة البخاري إلى الوَهم ٥٣٦/٦ في ذلك لا تُقبَل إلّا ببيانٍ واضح قاطع، ومن أين يُوجَد، وقد ضاقَ مَخرَجه على الإسماعيلي؟ فأخرجه من طريق البخاري نفسه مُعلَّقاً ولم يَتَعقَّبْه، ولا يَلزَم مِن عَدَم وجود هذا المتن بهذا الإسناد بعد التتبُّع عَدمه في نفس الأمر، والله أعلم.

٣٥٠١- حدَّثنا أبو الوليدِ، حدَّثنا عاصمُ بنُ محمَّدٍ، قال: سمعتُ أبي، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ، ما بَقِيَ منهم اثنان».

[طرفه في: ٧١٤٠]

الحديث الثالث: حديث ابن عمر: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» قال الكِرْماني: ليست الحُكومة في زَمَننا لقريشٍ، فكيف يُطابِقُ الحديث؟ وأجابَ عن ذلك بأنَّ في بلاد الغَرب خليفة من قريش، وكذا في مِصر.

وتُعقِّبَ بأنَّ الذي في الغَرب هو الحفْصي صاحب تونِس وغيرها، وهو منسوب إلى أبي حفص رَفيق[١] عبد المؤمن صاحب ابن تومَرْت الذي كان على رأس المئة السادسة، ادَّعى أنَّه المهدي، ثمَّ غَلَبَ أتباعُه على مُعظَم الغَرب، وتَسمَّوْا بالخِلافة، وهم عبد المؤمن وذُرِّيته، ثمَّ انتقَلَ ذلك إلى ذُرِّية أبي حفص، ولم يكن عبد المؤمن من قريش، وقد تَسمَّى بالخِلافة هو وآلُ بيته، وأمَّا أبو حفص فلم يكن يَدَّعي أنَّه من قريش في زمانه، وإنَّما ادَّعاه بعض ولده لمَّا غَلَبوا على الأمر، فزَعَموا أنَّهم من ذُرِّية أبي حفص عمر بن الخَطَّاب، وليس بيدِهم الآن إلّا المغرب الأدنى، وأمَّا الأقصى فمَعَ بني الأَحمر، وهم مُنتسبون إلى الأنصار، وأمَّا الأوسط فمَعَ بني مَرين وهم من البَربَر.

وأمَّا قوله: وخليفة في مِصر، فصحيح، ولكنَّه لا حَلَّ بيدِه ولا رَبْط، وإنَّما له من الخِلافة الاسمُ فقط. وحينئذٍ هو خبر بمعنى الأمر، وإلّا فقد خَرَجَ هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد، ويحتَمل حَمْله على ظاهره، وأنَّ المتغَلِّبين على النَّظَر في أمر الرَّعيّة في مُعظَم الأقطار وإن كانوا من غير قريش، لكنَّهم مُعتَرِفونَ أنَّ الخِلافة في قريش، ويكون المراد بالأمرِ مُجَرَّدَ التَّسمية بالخِلافة، لا الاستقلال بالحُكمِ، والأوَّل أظهَر، والله أعلم.

٣٥٠٢- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيل، عن ابنِ شِهابٍ، عن ابنِ المسيَّبِ، عن جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، قال: مَشَيتُ أنا وعُثْمانُ بنُ عَفّانَ، فقال: يا رسولَ الله، أعطَيتَ بني المطَّلِبِ وتَرَكْتَنا، وإنَّما نحنُ وهم منكَ بمَنْزِلةٍ واحدةٍ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّما بنو هاشمٍ وبنو المطَّلِبِ شَيءٌ واحدٌ».

الحديث الرابع: حديث جُبَير بن مُطعِم في السُّؤال عن بني نَوفَل وعبد شَمس، تقدَّم شرحه في كتاب الخمس (٣١٤٠).

قوله: «إنَّما بنو هاشم وبنو المطَّلِب شيء واحد» هي رواية الأكثر، ووقَعَ للحَمُّوِي[٢]:

---

(١) تصحف في (س) إلى: رقيق، بقافين، وإنما هو رفيق عبد المؤمن بن علي القيسي، وأبو حفص هذا هو عمر بن يحيى ابن محمد الهِنْتاتي، وهو من أكابر أصحاب ابن تومرت. انظر «اللباب» لابن الأثير، في نسبة (الهنتاتي).

(٢) زاد الحافظ نسبة هذه الرواية في شرحه للحديث (٣١٤٠) إلى المستملي، وهذا عكس ما في اليونينية، =

«سِيٌّ واحد» بكسر المهمَلة وتشديد التَّحتانية.

وحَكَى ابن التِّين: أنَّ أكثر الرِّوايات بالمعجَمة، وأنَّ فيها: «أحد» بدل «واحد». واستَشكَلَه: بأنَّ لفظ: «أحد» إنَّما يُستعمَل في النَّفي، تقول: ما جاءني أحد، وأمَّا في الإثبات، فتقول: جاءني واحد.

الحديث الخامس:

٣٥٠٣- وقال اللَّيثُ: حدَّثني أبو الأسوَدِ محمَّدٌ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَير، قال: ذهب عبدُ الله بنُ الزُّبَيرِ معَ أُناسٍ من بني زُهْرةَ إلى عائشةَ، وكانت أرَقَّ شيءٍ عَليهم، لقَرابَتِهم من رسولِ الله ﷺ.

[طرفاه في: ٣٥٠٥، ٦٠٧٣]

٣٥٠٥- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، حدَّثنا اللَّيثُ، قال: حدَّثني أبو الأسوَدِ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، قال: كان عبدُ الله بنُ الزُّبَيرِ أحَبَّ البشرِ إلى عائشةَ بعدَ النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ، وكان أبَرَّ الناسِ بها، وكانت لا تُمسِكُ شيئاً ممَّا جاءَها من رِزْقِ الله تَصَدَّقَتْ[1]، فقال ابنُ الزُّبَير: يَنبَغي أن يُؤْخَذَ على يَدَيها، فقالت: أيُؤْخَذُ على يَدَيَّ؟! عليَّ نَذْرٌ إن كَلَّمْتُه، فاستَشْفَعَ إليها برجالٍ من قريشٍ، وبأخوالِ رسولِ الله ﷺ خاصّةً، فامتَنَعَت، فقال له الزُّهْرِيّونَ أخوالُ النبيِّ ﷺ - منهم عبدُ الرحمن بنُ الأسوَدِ بنِ عبدِ يَغوثَ والمِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ - إذا استَأْذَنّا، فاقتَحِمِ الحِجابَ، ففَعَلَ، فأرسَلَ إليها بعَشْرِ رِقابٍ فأعتَقَتْهم، ثمَّ لم تَزَلْ تُعْتِقُهم حتَّى بَلَغَت أربعينَ، فقالت: وَدِدْتُ أنّي جَعَلْتُ حينَ حَلَفتُ عملاً أعمَلُه، فأفرُغَ منه.

قوله: «**وقال اللَّيث: حدَّثني أبو الأسوَد محمَّد**» أي: ابن عبد الرحمن «**عن عُرْوة بن الزُّبَير، قال: ذهب عبد الله بن الزُّبَير مع أُناس من بني زُهْرة إلى عائشة، وكانت أرَقَّ شيءٍ عليهم، لقَرابَتِهم من رسول الله ﷺ**» هذا طَرَف من الحديث الذي أورَدَه موصولاً بعده عن عبد الله ابن يوسف عن اللَّيث، وفيه بيان السَّبَب في ذلك، ولم أرَه في جميع النُّسَخ إلّا هكذا مُعلَّقاً.

= حيث نسبت هذه الرواية هناك إلى الكشميهني، فالله أعلم!

(١) قال القسطلّاني: أي: حالَ كونها تصدَّقت، أو «تُصدّقت» استئناف.

وقَرابةُ بني زُهْرة من رسول الله ﷺ من وجهَين:

أحدهما: أنَّهم أقارب أمّه، لأنَّها آمِنة بنت وَهْب بن عبد مَنافٍ بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة.

والثّاني: أنَّهم إخوة قُصيّ بن كِلاب بن مُرَّة، وهو جَدُّ والد جَدِّ النبي ﷺ.

والمشهور عند جميع أهل النِّسبة أنَّ زُهرة اسم الرجل، وشَذَّ ابن قُتَيبة، فزَعَمَ أنَّه اسم امرأته، وأنَّ ولدها غَلَبَ عليهم النسبة إليها، وهو مردود بقولِ إمام أهل النَّسَب هشام بن الكَلْبي: أنَّ اسم زُهرة المغيرة، فإن ثَبَتَ قول ابن قُتَيبة، فالمغيرة اسم الأب، وزُهرة اسم امرأته، فنُسِبَ أولادهما إلى أمّهم، ثمَّ غَلَبَ ذلك حتَّى ظُنَّ أنَّ زُهرة اسم الأب، فقيل: زُهرة بن كِلاب، وزُهرة: بضمِّ الزّاي بلا خِلاف.

قوله: «كان عبدُ الله بن الزُّبَير أحَبَّ البشر إلى عائشة» هو ابن أُختها أسماء بنت أبي بكر، وكانت قد تَولَّت تربيتَه حتَّى كانت تُكنى به.

قوله: «وكانت لا تُمْسِك شيئاً» أي: لا تَدَّخِر شيئاً ممَّا يأتيها من المال.

قوله: «ينبغي أن يُؤخَذ على يَدَيها» أي: يُحجَر عليها، وصَرَّحَ بذلك في حديث المِسوَر بن مَخرَمةَ كما سيأتي بأوضح من هذا السّياق لهذه القصَّة في كتاب الأدب (٦٠٧٣ و٦٠٧٤ و٦٠٧٥)، وسأذكُرُ شرحه هناك إن شاء الله تعالى.

قوله: «وقالت: وَدِدْتُ أنّي جَعَلْتُ حين حَلَفْتُ عملاً أعْمَله، فأفرُغَ منه» استُدِلَّ به على انعِقاد النَّذر المجهول، وهو قول المالكية، لكنَّهم يجعلونَ فيه كفَّارة يمين، وظاهر قول عائشة وصَنيعها أنَّ ذلك لا يكفي، وأنَّه يُحمَل على أكثر ما يُمكِن أن يُنذَر، ويحتمل أن تكون فعلَتْ ذلك تَوَرُّعاً لتيَقُّنِ براءَة الذِّمَّة.

وأبعَدَ مَن قال: تَمنَّت أن يَدومَ لها العمل الذي عَمِلَته للكفَّارة، أي: تَصير تُعتِق دائماً، وكذا مَن قال: تَمنَّت أنَّها بادَرَت إلى الكفَّارة حين حَلَفت، ولم تكن هَجَرت عبد الله بن الزُّبَير تلكَ المدَّة.

ووجهُ بُعدِ الأوَّلِ: أنَّه لم يكن في السِّياق ما يقتضي مَنعها من العِتق، فكيف تَتَمنّى ما لا مانع لها من إيقاعه؟ ثمَّ إنَّه مقيَّدٌ باقتِدارها عليه، لا إلزامها به مع عَدَم الاقتِدار، وأمَّا بُعد الثّاني، فلقولها في بعض طرق الحديث كما سيأتي (٦٠٧٣ و٦٠٧٤ و٦٠٧٥): أنَّها كانت تَذكُر نَذْرها، فتَبكي حتَّى يَبُلّ دَمعُها خِمارَها، فإنَّ فيه إشارةً إلى أنَّها كانت تَظُنّ أنَّها ما وفَت بما يجب عليها من الكفَّارة.

واستَشكَلَ ابن التِّين وقوع الحِنْث/ عليها بمُجرَّدِ دخول ابن الزُّبَير مع الجماعة، قال: ٥٣٧/٦ إلّا أن يكون لمَّا سَلَّموا عند دخولهم، رَدَّت عليهم السَّلام وهو في جُملَتهم، فوَقَعَ الحِنْثُ قبل أن يَقتَحِم الحِجاب. انتهى.

وغَفَلَ عمَّا وقَعَ في حديث المِسوَر الذي أشَرتُ إليه، وفيه: فقالت عائشة: إنّي نَذَرتُ والنَّذر شديد، فلم يزالا بها حتَّى كَلَّمت ابنَ الزُّبَير. مع أنَّ التَّأويل الذي تأوَّلَه ابن التِّين لو لم يَرِدْ هذا التَّصريح، لكان مُتَعقَّباً، ووجهه: أنَّه يجوز لها رَدّ السَّلام عليهم إذا نَوَت إخراجَه، ولا تَحنَث بذلك، والله أعلم.

٣- بابٌ نزلَ القرآنُ بلسان قريشٍ

٣٥٠٦- حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن أنسٍ: أنَّ عُثمانَ دَعَا زيدَ بنَ ثابتٍ وعبدَ الله بنَ الزُّبَيرِ وسعيدَ بنَ العاص وعبدَ الرحمنِ بنَ الحارثِ بنِ هشامٍ، فنَسَخوها في المَصاحفِ، وقال عُثمانُ للرَّهْطِ القُرَشيِّينَ الثَّلاثة: إذا اختَلَفتُم أنتم وزيدُ بنُ ثابتٍ في شيءٍ مِن القرآنِ، فاكْتُبوه بلِسان قريشٍ، فإنَّما نزلَ بلِسانهم، ففعَلُوا ذلك.

[طرفاه في: ٤٩٨٤، ٤٩٨٧]

قوله: «بابٌ نزلَ القرآن بلِسان قريش» أورَدَ فيه طَرَفاً من حديث أنس في أمر عثمان بكتابة المصاحف، وسيأتي مَبسوطاً مشروحاً في فضائل القرآن (٤٩٨٤). ووجه دخوله في مناقب قريش ظاهرٌ. والله أعلم.

٤- باب نِسبةِ اليَمنِ إلى إسماعيل

منهم أسلَمُ بنُ أَفصَى بن حارِثةَ بن عَمْرِو بن عامرٍ، من خُزاعةَ

٣٥٠٧- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا يحيى، عن يزيدَ بنِ أبي عُبيدٍ، حدَّثنا سَلَمةُ ﷺ، قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ على قومٍ من أسلَمَ يَتَناضَلُونَ بالسّوقِ، فقال: «ارْمُوا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكم كان رامِياً، وأنا معَ بني فلانٍ» لأحدِ الفَرِيقَين، فأمسَكوا بأيدِيهم، فقال: «ما لهم؟» قالوا: وكيفَ نَرْمِي وأنتَ معَ بني فلانٍ؟ قال: «ارْمُوا، وأنا معكم كلِّكم».

قوله: «باب نِسْبة اليَمَن إلى إسماعيل» أي: ابن إبراهيم الخليل. ونِسبة مُضَر وربيعة إلى إسماعيل مُتَّفَق عليها، وأمَّا اليمن فجُمّاع نَسَبهم يَنتَهي إلى قَحْطان، واختُلِفَ في نَسَبه: فالأكثر: أنَّه ابن عابرَ بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وقيل: هو من ولد هود عليه السلام، وقيل: ابن أخيه.

ويقال: إنَّ قَحْطان أوَّل مَن تَكلَّمَ بالعربية، وهو والد العرب المتعَرِّبة، وأمَّا إسماعيل فهو والد العرب المستَعرِبة، وأمَّا العرب العاربة، فكانوا قبل ذلك كَعادٍ وثَمُود وطَسْم وجَدِيسٍ وعِمْليقٍ وغيرهم. وقيل: إنَّ قَحْطان أوَّل مَن قيل له: أَبيْتَ اللَّعنَ، وعِمْ صَباحاً.

وزَعَمَ الزُّبَير بن بَكّار[1]: أنَّ قَحْطان من ذُرّية إسماعيل، وأنَّه قَحْطان بن الهَمَيسَع بن تَيم بن نَبَت بن إسماعيل عليه السلام، وهو ظاهر قول أبي هريرة المتقدِّم في قصَّة هاجَر (٣٣٥٨)، حيثُ قال وهو يخاطب الأنصار: فتلكَ أمّكم يا بني ماء السماء.

٥٣٨/٦ هذا هو/ الذي يَتَرجَّح في ذهني، وذلك أنَّ عَدَد الآباء بين المشهورينَ من الصَّحابة وغيرهم وبين قَحْطان، مُتَقارب من عَدَد الآباء بين المشهورينَ من الصَّحابة وغيرهم وبين عدنان، فلو كان قَحْطان هو هوداً، أو ابن أخيه، أو قريباً من عَصره، لكان في عِداد عاشر جَدٍّ لعدنان على المشهور أنَّ بين عدنان وبين إسماعيل أربعة آباءٍ أو خمسة، وأمَّا على القول

---

(١) ومن قبله هشام بن محمد بن السائب الكلبي، كما في «نسب عدنان وقحطان» لأبي العباس المبرد، وكما في «لسان العرب»، لابن منظور، في مادة (جرب).

بأنَّ بين عدنان وإسماعيل نحواً مِن أربعينَ أباً، فذاكَ أبعَد، وهو قول غريب عند الأكثر، مع أنَّه حكاه كثيرونَ، وهو راجحٌ عند مَن يقول: إنَّ مَعَدَّ بن عدنان كان في عَصر بُختنَصَّر، وقد وَقَعَ في ذلك اضطِراب شديد، واختلاف مُتَفاوِت، حتَّى أعرَضَ الأكثر عن سياق النَّسَب بين عدنان وإسماعيل.

وقد جمعت ممَّا وَقَعَ لي من ذلك أكثر من عشرة أقوال، فقرأت في كتاب «النَّسَب» لأبي رُؤبة علي بن محمَّد[1] بن نَصْر، فذكر فيه فصلاً في نَسَب عدنان، فقال: قالت طائفة: هو ابن أُدّ بن أُدَد بن زيد بن يقدر بن يقدم[2] بن هَمَيسَع بن نَبت بن قيذار[3] بن إسماعيل، وقالت طائفة: ابن أُدَد بن هَمَيسَعَ بن نَبت بن سلامان بن حَمَل بن نَبت بن قيذار، وقالت طائفة: ابن أُدَد بن هـمَيسَع بن المقَوِّم بن ناحور بن مِشْرَح[4] بن يَشجُب بن مالك بن أيمَن بن نَبت بن قيذار، وقالت طائفة: هو ابن أُدِّ بن أُدَد بن الهَمَيْسَع بن يَشجُب بن سعد بن بَريح بن نُمَير بن حميل بن منحيم بن لافث بن الصّابوح بن كِنانة بن العَوّام بن نابت بن قيذار، وقالت طائفة: بين عدنان وإسماعيل أربعونَ أباً، قال: واستَخرَجوا ذلك من كتاب رَخيا كاتب أرميا النبي، وكان رَخيا قد حَمَلَ مَعدَّ بن عدنان من جَزيرة العرب لَيالي بُختنَصّر خوفاً عليه من مَعَرَّة الجيش، فأثبَتَ نَسَب مَعدِّ بن عدنان في كُتُبه، فهو معروف عند علماء أهل الكتاب. قال: ووَجَدت طائفة من علماء العرب قد حَفِظَت لَمعدٍّ أربعينَ أباً بالعربية إلى إسماعيل، واحتَجَّت في أسمائهم بأشعار مَن كان عالماً بأمرِ الجاهلية كأُميَّة بن أبي

---

(١) تحرف في (س) إلى: لأبي رؤبة على محمد، وفي (ع) إلى: لأبي رومة علي بن محمد بن نصير. وأبو رؤبة علي ابن محمد هذا له ترجمة في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني، باب رُؤبة وزَوية.

(٢) تحرف في (س) إلى: معد بن مقدم، وفي (ع) إلى: بعدد بن مقدم، والتصويب من «طبقات ابن سعد» ١/ ٥٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٧٤، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٦٠.

(٣) تصحف في المواضع كلها إلى: قيدار، بالراء المهملة، والتصويب من «سبل الهدى والرشاد» للصالحي ١/ ٣٠٠.

(٤) تحرف في (س) إلى: يسرح، وجاء على الصواب في (ع)، والورقة في (أ) مطموسة، وجاء على الصواب أيضاً في «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٧٤.

الصَّلت، قال: فقابَلتُه بقولِ أهل الكتاب، فوَجَدت العَدَد مُتَّفِقاً واللَّفظ مُختَلِفاً. ثمَّ ساقَ أسماء أربعينَ أباً بينهما.

وقد وجَدت لغيره حكايةَ خِلاف أزيَد ممَّا حكاه، فعند ابن إسحاق: أنَّه عدنان بن أُدَد ابن يَشجُب بن يَعرُب بن قَيذر[1]، وعنه أيضاً: عدنان بن أُدّ بن مُقَوِّم بن ناحور بن تَيْرَح[2] ابن يَعرُب بن يَشجُب بن نابت بن إسماعيل، وعن إبراهيم بن المنذِر: هو عدنان بن أدّ بن أُدَد بن الهَمَيْسَع بن نابت بن إسماعيل، وحكاه مرَّة عن عبد الله بن عِمران المدني، فزاد فيه بين أُدَد والهَمَيْسَع: زَنْداً[3].

وحَكَى أبو الفَرَج الأصبهاني عن دَغْفَلٍ النَّسّابة: أنَّه ساقَ بين عدنان وإسماعيل سبعة وثلاثينَ أباً، فذكرها، وهي مُغايِرة للمذكورِ قبلُ.

وقال هشام بن الكَلْبي في كتاب «النَّسَب» له، ونَقَلَه ابن سعد (١/ ٥٦) عنه، قال: أُخبِرت عن أبي، ولم أسمَع منه: أنَّه ساقَ بين عدنان وإسماعيل أربعينَ أباً. قلت: فذكرها، وفيها مُغايرة لمَا تقدَّم.

قال هشامٌ (١/ ٥٧): وأخبرني رجل من أهل تَدمُر يُكنَى أبا يعقوب من مُسلِمة أهل الكتاب وعُلَمائهم: أنَّ رَخيا كاتب أرميا أثبَتَ نَسَب مَعدِّ بن عدنان، والأسماء التي عنده

---

(١) تصحف في (س) إلى: قندر، والتصويب من «سبل الهدى والرشاد» ١/ ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) تصحف في (س) إلى: يبرح، والتصويب من «سبل الهدى والرشاد» ١/ ٣٠٠.

(٣) وقع للحافظ رحمه الله هنا ثلاثة أوهام: الأول: أنه سمى الذي روى عنه إبراهيم بن المنذر عبدَ الله بن عمران، وإنما الذي يروي عنه ابن المنذر عبد العزيز لا عبد الله، والثاني: أنه جعل الكلام له، وإنما روى عبد العزيز ذلك بالإسناد إلى أم سلمة عن النبي ﷺ عند الطبراني في «الصغير» (٩٤٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٧٧، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: «معد بن عدنان بن أدد بن زند بن يرى بن أعراق الثرى»، والثالث: قوله: فزاد فيه بين أدد والهميسع زنداً، وإنما وقع في رواية عبد العزيز هذا أنَّ أم سلمة قالت بإثر الحديث: زند هو هميسع، يعني أنَّ أحدهما اسمه والآخر لقبه، فظن الحافظ أنَّ بينهما لفظة «ابن»، أو وقع له ذلك في الأصل الذي نقل منه خطأً، والله أعلم. وقد تحرف «زند» في (س) إلى: زيد، والتصويب من «المؤتلف والمختلف» للدارقطني باب زيد وزند وزبد، وغيره.

نحو هذه الأسماء، والخِلاف من قِبَل اللُّغة، قال (١/ ٥٧): وسمعت مَن يقول: إنَّ مَعدَّ بن عدنان كان على عَهد عيسى ابن مريم.

كذا قال، وحَكَى الهَمْدانيّ في «الأنساب» ما حكاه ابن الكَلْبي، ثمَّ ساقَ الأسماء سياقةً أُخرى بأكثرَ من هذا العَدَد باثنين، ثمَّ قال: وهذا ممَّا أُنكِرُه، وممَّا ينبغي أن يُغْفَل[1] ولا يُذكَر، ولا يُستَعمَل، بمُخالَفَتِها لمَا هو المشهور بين الناس.

كذا قال، والذي تَـرَجَّحَ في نظري أنَّ الاعتماد على ما قاله ابن إسحاقَ أَولَى، وأَولى منه ما أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٢-٤٠٣) والطبراني[2]، من حديث أمّ سَلَمةَ، قالت: عدنان: هو ابن أُدَ بن زيد[3] بن يرى[4] بن أَعراق الثَّرى، وأعراق الثَّرى: هو إسماعيل، وهو موافق لمَا ذكرته آنِفاً عن إبراهيم بن المنذِر عن عبد الله بن عِمران، وهو يوافق مَن يقول: إنَّ قَحْطان من ذُرّيّـة إسماعيل، لأنَّه والحالة هذه يَتَقارَب عَدَد الآباء بين كلٍّ من قَحْطان وعدنان وبين إسماعيل،/ وعلى هذا فيكون مَعدُّ بن عدنان ـ كما قال بعضهم ـ في عَهد موسى عليه السلام، لا في عَهد عيسى عليه السلام، وهذا أولى، لأنَّ عَدَد الآباء بين نبيِّنا وبين عدنان نحو العشرينَ، فيَبعُد مع كَون المدَّة التي بين نبيِّنا وبين عيسى عليه السلام كانت ستّ مئة سنة، كما سيأتي في «صحيح البخاري» (٣٩٤٨)، مع ما عُرِفَ من طول أعمارهم، أن يكون مَعدٌّ في زمن عيسى، وإنَّما رَجَّحَ مَن رَجَّحَ كَونَ بين عدنان وإسماعيل العَدَد الكثير الذي تقدَّم مع الاضطِراب فيه، استبعادهم أن يكون بين مَعدٍّ ـ وهو في عَصر عيسى ابن مريم ـ وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة مع طول المدَّة، وما فرّوا منه وقَعوا في نَظِيره كما أشَرتُ إليه، فالأقرَب ما حَرَّرتُه، وهو إن ثَبَتَ أنَّ مَعدَّ بن عدنان كان في زمن عيسى، فالمعتمَد أن

٥٣٩/٦

---

(١) تحرف في (س) إلى: يعقل.

(٢) في «الصغير» (٩٤٦).

(٣) تصحف في «معجم الطبراني الصغير» وفي (س) إلى: زيد، وضبطه الدارقطني في «المؤتلف» في باب زيد وزند وزبد.

(٤) تصحف في (س) إلى: بري. وضبطه ابن ناصر الدين في «التوضيح» مادة (يرى).

يكون بينه وبين إسماعيل العَدَدُ الكثير من الآباء، وإن كان في زمن موسى، فالمعتمَد أنَّ بينهما العَدَد القليل، والله أعلم.

قوله: «منهم أسلم بن أَفْصى» بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها مُهمَلة مقصوراً، ووقَعَ في رواية الجُرجاني: «أفعى» بعين مُهمَلة بدل الصّاد، وهو تصحيف.

وقوله: «ابن حارثة بن عَمْرو بن عامر» أي: ابن حارثة بن امرِئِ القيس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأزدِ، قال الرّشاطي: الأَزْد: جُرثومة من جَراثيم قَحْطان، وفيهم قبائل، فمنهم: الأنصار، وخُزاعة، وغَسّان، وبارق، وغامد، والعَتِيك، وغيرهم، وهو الأَزْد بن الغَوث ابن نَبت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحْطان.

وأراد المصنِّف أنَّ نَسَب حارثة بن عَمْرو مُتَّصِل باليمن، وقد خاطَبَ النبيُّ ﷺ بني أسلَمَ بأنَّهم من بني إسماعيل كما في حديث سَلمة بن الأكوَع الذي في هذا الباب، فدَلَّ على أنَّ اليمن من بني إسماعيل.

وفي هذا الاستدلال نظر، لأنَّه لا يَلزَم من كَون بني أسلَمَ من بني إسماعيل أن يكون جميع مَن يُنسَب إلى قَحْطان من بني إسماعيل، لاحتمال أن يكون وقَعَ في أسلَمَ ما وَقَعَ في إخوَتهم خُزاعة من الخِلاف: هل هم من بني قَحْطان أو من بني إسماعيل؟ وقد ذكر ابن عبد البَرّ[١] من طريق القعقاع بن أبي حَدرَد في حديث الباب: أنَّ النبي ﷺ مرَّ بناس من أسلَمَ وخُزاعة وهم يَتَناضَلونَ، فقال: «ارموا بني إسماعيل»، فعلى هذا فلعلَّ مَن كان هناك من خُزاعة كانوا أكثرَ، فقال ذلك على سبيل التَّغليب.

وأجابَ الـهَمْدانيّ النَّسّابة عن ذلك: بأنَّ قوله لهم: «يا بني إسماعيل» لا يدلّ على أنَّهم من ولد إسماعيل من جِهَة الآباء، بل يحتمل أن يكون ذلك لكَونِهم من بني إسماعيل من جِهَة الأُمَّهات، لأنَّ القَحْطانيّة والعدنانيّة قد اختَلَطوا بالصَّهارة، فالقَحْطانيّة من بني

---

(١) لم نقف عليه في شيء من كتبه المطبوعة بين أيدينا، وله كتاب في «الأنساب» ذكره الحافظ في تفسير سورة سبأ من كتاب التفسير، فلعله فيه.

إسماعيل من جِهَة الأُمَّهات.

وقد تقدَّمت مباحث هذا الحديث في كتاب الجهاد (٢٨٩٩). ومِمَّا استُدِلَّ به على أنَّ اليمن من ولد إسماعيل قولُ المنذِر بن حَرام بن عمرو جَدّ حسَّان بن ثابت:

وَرِثْنا من البُهلول عَمْرِو بن عامرٍ وحارثةَ الغِطرِيفِ مَجداً مُؤَثَّلا

مَآثِرَ من آلِ ابن بنت ابن مالك وبنت ابن إسماعيل ما إنْ تَحوَّلا

وهذا أيضاً مِمَّا يُمكِن تأويله كما قال الهَمْداني، والله أعلم.

٥- باب

٣٥٠٨- حدَّثنا أبو مَعمَر، حدَّثنا عبدُ الوارثِ، عن الحسينِ، عن عبدِ الله بنِ بُرَيدةَ، حدَّثني يحيى بنُ يَعْمَرَ، أنَّ أبا الأسوَدِ الدِّيليَّ حدَّثه، عن أبي ذرٍّ ﷺ، أنَّه سمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «ليس من رجلٍ ادَّعَى لغيرِ أبيه وهو يَعْلَمُه، إلّا كفرَ بالله، ومَنِ ادَّعَى قوماً ليس له فيهم نسبٌ، فلْيَتَبوَّأ مَقْعَدَه مِن النار».

[طرفه في: ٦٠٤٥]

٣٥٠٩- حدَّثنا عليُّ بنُ عيّاشٍ، حدَّثنا حَريزٌ، قال: حدَّثني عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ الله النَّصْريُّ، قال: سمعتُ واثِلةَ بنَ الأسْقَعِ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ من أعظَمِ الفِرَى أن يَدَّعِيَ الرجلُ إلى غيرِ أبيه، أو يُرِيَ عينَه ما لم تَرَ، أو يقولَ على رسولِ الله ﷺ ما لم يَقُلْ».

٣٥١٠- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا حمَّادٌ، عن أبي جَمْرةَ، قال: سمعتُ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يقول: قَدِمَ وَفْدُ عبدِ القَيسِ على رسولِ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّا هذا الحيَّ من رَبيعةَ، قد حالَت بينَنا وبينَكَ كفّارُ مُضَرَ، فلسنا نَخلُصُ إليكَ إلّا في كلِّ شَهْرٍ حَرامٍ، فلو أمَرْتَنا بأمرٍ نأخُذُه عنكَ، ونُبَلِّغُه مَن وراءَنا، قال: «آمرُكم بأربعةٍ، وأنهاكم عن أربعة: الإيمان بالله، شهادةِ أن لا إلهَ إلّا الله، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وأن تُؤَدُّوا إلى الله خُمُسَ ما غَنِمتُم، وأَنهاكُم عن الدُّبّاءِ، والحَنتَمِ، والنَّقِيرِ، والمزَفَّت».

٣٥١١- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: حدثني سالم بنُ عبدِ الله، أنَّ عبد الله بنَ عمرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المِنْبَرِ: «ألا إنَّ الفِتْنَةَ هاهنا - يُشِيرُ إلى المشرِقِ - من حيثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطان».

٦/٥٤٠ **قوله: «باب»** كذا هو بلا ترجمة، وهو كالفصل من الباب الذي قبله، ووجه تعلُّقِه به من الحديثَين الأوَّلَين ظاهر، وهو الزَّجْر عن الادِّعاء إلى غير الأب الحقيقيّ، لأنَّ اليمن إذا ثَبَتَ نَسَبُهم إلى إسماعيل، فلا ينبغي لهم أن ينتسِبوا إلى غيره، وأمَّا الحديث الثّالث فلَه تعلُّق بأصلِ الباب، وهو أنَّ عبد القيس ليسوا من مُضَر، وأمَّا الرّابع، فللإشارة إلى ما وَقَعَ في بعض طرقه من الزّيادة بِذِكْر ربيعة ومُضَر.

فأمَّا الحديث الأول، وهو حديث أبي ذرٍّ، فقوله في الإسناد: **«عن الحسين»**، هو ابن واقد[1] المعلِّم، ووقَعَ في رواية مسلم (٦١): حدَّثنا حسين المعلِّم.

وقوله: «عن أبي ذرٍّ» في رواية الإسماعيلي: حدَّثني أبو ذَرّ، وفي الإسناد ثلاثة من التابعينَ في نَسَق.

وقوله: «ليس من رجل» من زائدة، والتَّعبير بالرجلِ للغالبِ، وإلّا فالمرأة كذلك حُكمها.

قوله: «ادَّعى لغيرِ أبيه وهو يَعْلَمُه إلّا كفرَ بالله» كذا وقَعَ هنا: «كفرَ بالله» ولم يقع قوله: «بالله» في غير رواية أبي ذرٍّ، ولا في رواية مسلم ولا الإسماعيلي، وهو أولى، وإن ثَبَتَ ذاكَ فالمراد مَن استَحلَّ ذلك مع عِلمه بالتَّحريم، وعلى الرِّواية المشهورة فالمراد كفر النِّعمة، وظاهر اللَّفظ غير مُراد، وإنَّما وَرَدَ على سبيل التَّغليظ والزَّجْر لفاعلِ ذلك، أو المراد بإطلاق الكفر: أنَّ فاعله فعلَ فعلاً شَبيهاً بفعلِ أهل الكفر، وقد تقدَّم تقرير هذه المسألة في كتاب الإيمان[2].

---

(١) كذا قال الحافظ، وهو سبق قلمٍ منه رحمه الله، وتبعه العيني، ولم يخرج البخاري للحسين بن واقد المروزي إلَّا تعليقاً، وإنما أخرج للحسين بن ذكوان المعلم احتجاجاً، وقد أراد الحافظ ذكر هذا الثاني، فسبق قلمه فذكر الأول، يدل على ذلك وصفه له بالمعلّم، وهو الذي يُعرَف بذلك، دون ابن واقد، ومنشأ هذا الخطأ أن الحسين ابن واقد مكثر عن عبد الله بن بريدة، فاعتاد قلم الحافظ على كتابته، والله أعلم.

(٢) عند الكلام على باب كفران العشير وكفر دون كفر، وهو الباب رقم (٢١).

وقوله: «ومَن ادَّعى قوماً ليس له فيهم نَسَب، فلْيَتَبوَّأ مَقْعَده من النار»، في رواية مسلم والإسماعيلي: «ومَن ادَّعى ما ليس له، فليس مِنّا، وليَتَبوَّأ مَقعَده من النار»، وهو أعمّ ممَّا تَدُلّ عليه رواية البخاري، على أنَّ لفظة: «نَسَب» وَقَعَت في رواية الكُشْمِيهني دون غيره، ومع حذفها يبقى مُتعلَّقُ الجارّ والمجرور محذوفاً، فيَحتاج إلى تقدير، ولفظ «نَسَب» أولى ما قُدِّرَ، لوُرودِه في بعض الرِّوايات.

وقوله: «فليَتَبوَّأ» أي: ليتَّخِذ مَنزِلاً من النار، وهو إمّا دعاء، وإما خبر بلفظ الأمر، ومعناه: هذا جَزاؤُه إن جُوزِي، وقد يُعفى عنه، وقد يَتوب/ فيَسقُط عنه، وقد تقدَّم تقرير ٥٤١/٦ ذلك في كتاب الإيمان[1] في حديث: «مَن كذَبَ عليَّ».

وفي الحديث تحريم الانتِفاء من النَّسَب المعروف والادِّعاء إلى غيره، وقُيِّدَ في الحديث بالعلمِ، ولا بُدّ منه في الحالتَين إثباتاً ونفياً، لأنَّ الإثم إنَّما يَترتَّب على العالم بالشيءِ المتعمِّد لَه.

وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصدِ الزَّجر كما قَرَّرناه.

ويُؤخَذ من رواية مسلم تحريم الدَّعوى بشيء ليس هو للمُدَّعي، فيَدخُل فيه الدَّعاوى الباطلة كلّها مالاً وعِلماً وتعلُّماً ونَسَباً وحالاً وصلاحاً ونِعمةً ووَلاء وغير ذلك، ويَزداد التَّحريم بزيادة المفسَدة المترتِّبة على ذلك.

واستَدَلَّ به ابن دَقِيق العيد للمالكية في تصحيحهم الدَّعوى على الغائب بغير مُسَخَّر[2]، لدخولِ المُسخَّر في دَعوى ما ليس له وهو يعلم أنَّه ليس له، والقاضي الذي يُقيمه أيضاً يعلم أنَّ دَعواه باطلة، قال: وليس هذا القانون منصوصاً في الشَّرع حتَّى يُخَصّ به عمومُ هذا الوعيد، وإنَّما المقصود إيصال الحقّ لِمُستَحِقِّه، فتَركُ مُراعاة هذا القَدْر وتحصيلُ المقصود من إيصال الحقّ لِمُستَحِقِّه أولى من الدُّخول تحت هذا الوعيد العظيم.

---

(١) بل في كتاب العلم، عند شرح الحديث (١٠٧).

(٢) المسخَّر: هو الوكيل المنصوب من قِبَل القاضي للمدَّعَى عليه الذي لم يمكن إحضاره إلى المحكمة. انظر «مجلة الأحكام العدلية» المادة (١٧٩١).

الحديث الثاني: قوله: «حدَّثنا عليّ بن عيّاش» بِتحتانيّةٍ ومُعجَمة.

قوله: **«حدَّثنا حَريز»** هو بفتح المهمَلة وكسر الرّاء وآخره زاي: وهو ابن عثمان الحِمصي، من صِغار التابعينَ، وهذا الإسناد من عَوالي البخاري.

وشيخه **«عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري»** بالنّونِ المفتوحة بعدها صاد مُهمَلة، وهو دِمَشقي، واسم جَدّه كعب بن عُمَير، ويقال: بُسر بن كعب، وهو من بني نَصر بن معاوية ابن بكر بن هَوازن، وهو من صِغار التابعينَ، ففي الإسناد رواية القَرِين عن القَرِين، وقد وَلِيَ إمرة الطائف لعمر بن عبد العزيز، ثمَّ ولي إمرة المدينة ليزيدَ بن عبد الملك، وكان محمودَ السِّيرة، وماتَ سنة بضع ومئة، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث الواحد. وقد رواه عنه أيضاً زيدُ بن أسلَمَ، وهو أكبر منه سِنّاً ولقاءً للمشايخ، لكنَّه أدخَلَ بين عبد الواحد وواثِلة عبدَ الوهَّاب بن بُخْتٍ، رأيته في **«مُستَخرَج ابن عبدان على الصحيحين»** من رواية هشام بن سعد عن زيد، وهشام فيه مقال، وهذا عندي من المزيد في مُتَّصِل الأسانيد، أو هو مَقلوب كأنَّه عن زيد بن أسلَمَ عن عبد الوهَّاب بن بُخت عن عبد الواحد، والله أعلم.

قوله: **«إنَّ من أعْظَم الفِرَى»** بكسر الفاء، مقصور وممدود، وهو جمع فِرْية، والفِرْية: الكذِب والبُهْت، تقول: فَرَى ـ بفتح الرّاء ـ فلانٌ كذا: إذا اختَلَقَ، يَفْري ـ بفتح أوَّله ـ وافتَرى: اختَلَقَ.

قوله: **«أو يُرِيَ»** بضمِّ التَّحتانيّة أوَّلَه وكسر الرّاء، أي: يَدَّعي أنَّ عينَيه رأتا في المنام شيئاً ما رأتاه، ولأحمد (١٦٠٠٨) وابن حِبّان (٣٢)، والحاكم (٤/ ٣٩٨) من وجه آخر عن واثِلة: «أن يَفتَرِي الرجل على عينَيه، فيقول: رأيت ولم يَرَ في المنام شيئاً».

قوله: **«أو يقول»** بفتح التَّحتانية أوَّلَه وضمّ القاف وسكون الواو، وفي رواية المُستَمْلي[1]: بفتح المثنّاة والقاف، وتثقيل الواو المفتوحة.

---

(١) كذا قال الحافظ رحمه الله، والذي في اليونينية والقسطلاني نسبتُها لأبي ذر وأبي الوقت!

وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأُمور الثلاثة، وهي الخبر عن الشيء أنَّه رآه في المنام ولم يكن رآه، والادِّعاء إلى غير الأب، والكذِب على النبي ﷺ، فأمَّا هذا الأخير فتقدَّم البحث فيه في كتاب العلم (١٠٧)، وأمَّا ما يَتعلَّق بالمنام فيأتي في التَّعبير (٧٠٤٢)، وأمَّا الادِّعاء فتقدَّم قريباً فيما قبله، وتقدَّم بيان الحكمة في التَّشديد فيه، والحكمة في التَّشديد في الكذِب على النبي ﷺ واضحة، فإنَّه إنَّما يُخبِر عن الله، فمَن كذَبَ عليه كذَبَ على الله عزَّ وجلَّ، وقد اشتدَّ النَّكير على مَن كذَبَ على الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٣٧] فسوّى بين مَن كذَبَ عليه وبين الكافر، وقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠] والآيات في ذلك مُتعَدِّدة، وقد تَمسَّكَ بعض أهل الجهل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٤] / وجاء في بعض طرق الحديث: «مَن كذَبَ عليَّ». ٦/٥٤٢

وأمَّا المنام، فإنَّه لمَّا كان جُزءاً من الوحي، كان المخبِرُ عنه بما لم يقع، كالمخبِرِ عن الله بما لم يُلْقِه إليه، أو لأنَّ الله يُرسِل مَلَكَ الرُّؤيا، فيُرِي النائمَ ما شاءَ، فإذا أخبر عن ذلك بالكذِبِ يكون كاذِباً على الله تعالى وعلى الملَك، كما أنَّ الذي يَكذِبُ على النبي ﷺ يَنسُب إليه شرعاً ولم يَقُله، والشَّرع غالباً إنَّما تَلَقّاه النبيُّ ﷺ على لسان الملَك، فيكون الكاذِب في ذلك كاذِباً على الله تعالى وعلى الملَك.

الحديث الثالث: حديث ابن عبَّاس: «قَدِمَ وفد عبد القيس» تقدَّم الكلام عليه في كتاب الإيمان (٥٣)، ويأتي ما يَتعلَّق بالأشرِبة منه في موضعه إن شاء الله تعالى[1].

وقوله: «عن أبي جَمْرة» هو بالجيم.

وقوله: «آمُركم بأربعة وأنهاكم عن أربعة» في رواية الكُشْمِيهني: «بأربعٍ» في الموضعين، والشيء إذا لم يُذكَر مُميِّزه يجوز تذكيره وتأنيثه.

---

(١) عند شرح الأحاديث (٥٥٨٥-٥٥٨٧).

ومُناسَبة هذا الحديث للتَّرجمة من جِهَة أنَّ جُلّ العرب هم ربيعة ومُضَر، ولا خِلاف في نِسبَتهم إلى إسماعيل.

الحديث الرابع: حديث ابن عمر في أنَّ الفتنة من قِبَل المشرق، وقد تقدَّم قريباً (٣٢٧٩)، ويأتي شرحه في كتاب الفتن (٧٠٩٢) إن شاء الله تعالى.

ومُناسَبته للتَّرجمة من جِهَة ذِكْر المشرق، وجُلُّهم من مُضَر وربيعة كما تقدَّم قريباً. وفي بعض طرق هذا الحديث: «والإيمان يَمان» ففيه إشارة إلى ذِكْر الأُصول الثلاثة، فاثنان لا خِلاف أنَّهم من بني إسماعيل، وإنَّما الخِلاف في الثَّالث.

٦- باب ذكر أسلَمَ وغِفارَ ومُزَيَنة وجُهينةَ وأشجعَ

٥٤٣/٦ **قوله: «باب ذِكْر أسلَمَ وغِفار ومُزَينة وجُهَينة وأشجَع»** هذه خمس قبائل كانت في الجاهلية في القوَّة والمكانة دون بني عامر بن صَعصَعة وبني تَميم بن مُرٍّ، وغيرهما من القبائل، فلمَّا جاء الإسلام كانوا أسرَعَ دخولاً فيه من أولئكَ، فانقَلَبَ الشَّرَف إليهم بسَبَبِ ذلك.

فأمَّا أسلَمَ، فقد تقدَّم ذِكْر نَسَبهم في الباب الماضي.

وأمَّا غِفار، فبكسر الغَين المعجَمة وتخفيف الفاء، وهم بنو غِفار بن مُليل - بميمٍ ولامَين مُصغَّراً - ابن ضَمرة بن بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانة، وسَبَقَ منهم إلى الإسلام أبو ذرٍّ الغِفاري وأخوهُ أُنَيس، كما سيأتي شرح ذلك قريباً (٣٥٢٢)، ورَجَعَ أبو ذرٍّ إلى قومه، فأسلَمَ الكثيرُ منهم.

وأمَّا مُزَينة، فبضمِّ الميم وفتح الزّاي وسكون التَّحتانية بعدها نون، وهو اسم امرأة عَمْرو بن أُدِّ بن طابِخَة - بالموحَّدة ثمَّ المعجَمة - ابن إلياس بن مُضَر، وهي مُزَينة بنت كَلْب ابن وَبْرَة، وهي أمّ أوس وعثمان ابني عَمْرو، فوَلَدُ هذَين يقال لهم: مُزَينة والمُزَنيّون، ومن قُدَماء الصَّحابة منهم: عبد الله بن مُغَفَّل بن عبد نُهْم المُزَني، وعَمّه خُزاعيّ بن عبدِ نُهم، وإياسُ بن هلال، وابنه قُرَّة بن إياس، وهذا جَدّ القاضي إياس بن معاوية بن قُرَّة، وآخرونَ.

وأمَّا جُهَينة، فهم بنو جُهَينة بن زيد بن لَيث بن سود بن أسلُم ـ بضم اللام ـ ابن الحاف[١] ـ بالمهملة والفاء، وزن الياس: ابن قُضاعة، من مشهوري الصحابة منهم: عُقْبة ابن عامر الجُهَني وغيره.

واختُلِفَ في قُضاعة فالأكثر: أنَّهم من حِمْيَر، فيَرجِع نَسَبهم إلى قَحْطان، وقيل: هم من ولد مَعدِّ بن عدنان.

وأمَّا أشجَع، فبالمعجَمة والجيم، وزن أحمر، وهم بنو أشجَع بن رَيْث ـ بفتح الرّاء وسكون التَّحتانية بعدها مُثلَّثة ـ ابن غَطَفان بن سعد بن قيس، من مشهوري الصَّحابة منهم: نُعَيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيف.

والحاصل أنَّ هذه القبائل الخمس من مُضَر، أمَّا مُزَينة وغِفار وأشجَع فبالاتِّفاق، وأمَّا أسلم وجُهَينة، فعلى قولٍ، ويُرجِّحه أنَّ الذينَ ذُكِروا في مُقابِلهم، وهم تَميم وأسَد وغَطَفان وهَوازن جميعهم من مُضَر بالاتِّفاق.

وكانت منازل بني أَسَدِ بن خُزَيمةَ ظاهرَ مكَّة حتَّى وقَعَ بينهم وبين خُزاعة، فقَتَلَ فضالةُ بن عَبْدة[٢] بن مُرارة الأسَدي هلالَ بن أُميَّة الخُزَاعي، فقَتَلَت خُزاعةُ فضالةَ بصاحبها، فنَشِبَتِ الحربُ بينهم، فبَرِحَت بنو أسَد عن منازلهم، فحالَفُوا غَطَفانَ، فصارَ يقال للطائفتَين: الحَليفان: أسَد وغَطَفان، وتأخَّرَ من بني أَسَدٍ آلُ جَحشِ بن رِئاب، فحالَفوا بني أُميَّة، فلمَّا أسلَمَ آلُ جَحْش وهاجَروا احتَوى أبو سفيان على دُورهم بذلك الحلف، ذكر ذلك عمر بن شَبَّة في «أخبار مكَّة».

ثم ذكر المصنف في الباب أربعة أحاديث:

٣٥١٢- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا سفيانُ، عن سَعْدِ بن إبراهيم، عن عبدِ الرحمن بنِ هُرْمُزَ،

---

(١) ذكر محمد بن يوسف الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٣/ ٢٢١ أنَّ بعضهم يكسر همزته ويقطعها، وبعضهم يجعل الألف واللام للتعريف، منزلة اسم الفاعل من حَفِي يحفَى.

(٢) تحرف في (ع) إلى: عبيدة، وفي (س) إلى: عبادة. والمثبت على الصواب من (أ)، موافقاً ما جاء في «معجم الشعراء» للمرزباني ص٣٥٥، في ترجمة كلدة بن عبدة بن مرارة الأسدي.

عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «قريشٌ والأنصارُ وجُهَينةُ ومُزَينةُ وأسلَمُ وغِفارُ وأشجَعُ مَواليّ، ليس لهم مَوْلًى دونَ الله ورسولِه».

٣٥١٣- حدَّثنا محمَّدُ بنُ غُرَيرٍ الزُّهْريُّ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، عن أبيه، عن صالحٍ، حدَّثنا نافعٌ، أنَّ عبد الله أخبَره، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال على المِنْبر: «غِفارُ غَفَرَ اللهُ لها، وأسلَمُ سالَمَها اللهُ، وعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ ورسولَه».

٣٥١٤- حدَّثنا محمَّدٌ، أخبرنا عبدُ الوهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عن أيوبَ، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «أسلَمُ سالَمَها اللهُ، وغِفارُ غَفَرَ اللهُ لها».

٣٥١٥- حدَّثنا قَبِيصةُ، حدَّثنا سفيانُ. وحدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا ابنُ مَهْدِيٍّ، عن سفيانَ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بَكْرةَ، عن أبيه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «أرأيتُم إن كان جُهَينةُ ومُزَينةُ وأسلَمُ وغِفارُ خيراً من بني تَمِيمٍ وبني أَسَدٍ ومن بني عبدِ الله ابنِ غَطَفانَ ومن بني عامرِ بنِ صَعْصَعةَ؟» فقال رجلٌ: خابُوا وخَسِروا، فقال: «هم خيرٌ من بني تَمِيمٍ، ومن بني أَسَدٍ، ومن بني عبدِ الله بنِ غَطَفانَ، ومن بني عامرِ بنِ صَعْصَعةَ».

[طرفاه في: ٣٥١٦، ٦٦٣٥]

٣٥١٦- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا غُندَرٌ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن محمَّدِ بنِ أبي يعقوبَ، قال: سمعتُ عبد الرحمن بنَ أبي بَكْرةَ، عن أبيه: أنَّ الأقرَعَ بنَ حابِسٍ قال للنبيِّ ﷺ: إنَّما بايَعَكَ سُرّاقُ الحَجِيجِ من أسلَمَ وغِفارَ ومُزَينةَ ـ وأحسِبُه: وجُهَينةَ، ابنُ أبي يعقوبَ شَكَّ ـ قال النبيُّ ﷺ: «أرأيتَ إن كان أسلَمُ وغِفارُ ومُزَينةُ ـ وأحسِبُه: وجُهَينةُ ـ خيراً من بني تَمِيمٍ وبني عامرٍ وأَسَدٍ وغَطَفانَ، خابوا وخَسِروا؟» قال: نعم، قال: «والذي نفسي بيَدِه إنَّهم لَأَخْيَرُ منهم».

٥٤٤/٦ الأول: قوله: «قريش والأنصار» تقدَّم ذِكر قريش، وسيأتي ذِكْر الأنصار في أوائل/ الهجرة[1].

قوله: «مَواليَّ» بتشديد التَّحتانية إضافة إلى النبي ﷺ، أي: أنصاري، وهذا هو المناسب هنا، وإن كان للمَوْلى عِدَّةُ مَعانٍ، ويُروى بتخفيفِ التَّحتانية، والمضاف محذوف، أي:

---

(١) عقد البخاري كتاباً في مناقب الأنصار، سيأتي بعد كتاب.

مَوالي الله ورسوله، ويدلّ عليه قوله: «ليس لهم مولى دون الله ورسوله» وهذه فضيلة ظاهرة لهؤلاءِ القبائل، والمراد مَن آمَنَ منهم، والشَّرَف يَحصُل للشيءِ إذا حَصَلَ لبعضِه. قيل: إنَّما خُصّوا بذلك لأنَّهم بادَروا إلى الإسلام، فلم يُسبَوا كما سُبِيَ غيرهم، وهذا إذا سُلِّمَ يُحمَل على الغالب، وقيل: المراد بهذا الخبر النَّهي عن استرقاقهم، وأنَّهم لا يَدخُلونَ تحت الرِّق، وهذا بعيد.

الحديث الثاني: حديث: «غِفارُ غَفَرَ الله لها».

قوله: «**حدَّثنا محمَّد بن غُرَير**» هو بالمعجَمة والرّاء المكرَّرة مُصغَّر.

قوله: «**أنَّ عبد الله**» هو ابن عمر.

قوله: «**غِفارُ غَفَرَ الله لها**» هو لفظ خبرٍ يُراد به الدُّعاء، ويحتَمل أن يكون خبراً على بابه، ويُؤيِّده قوله في آخره: «وعُصَيَّة عَصَت اللهَ ورسولَه». وعُصَيَّة: هم بطن من بني سُلَيم، يَنْتسِبُون إلى عُصَيَّة ـ بمُهمَلتَين مُصغَّر ـ ابن خُفاف ـ بضمِّ المعجَمة وفاءَين مُخفَّف ـ ابن امرِئ القيس بن بُهثة ـ بضمِّ الموحَّدة وسكون الهاء بعدها مُثلَّثة ـ ابن سُلَيم، وإنَّما قال فيهم ﷺ ذلك لأنَّهم عاهَدوه فغَدَروا، كما سيأتي بيان ذلك في كتاب المغازي في غزوة بئر مَعُونة، وقد تقدَّمت له طرق في الاستسقاء (١٠٠٦)، وحَكَى ابن التِّين: أنَّ بني غِفار كانوا يَسرِقونَ الحاجّ في الجاهلية، فدَعا لهم النبي ﷺ بعد أن أسلَموا، ليمحُو[1] عنهم ذلك العار.

ووقَعَ في هذا الحديث من استعمال جِناس الاشتِقاق ما يَلَذّ على السَّمع لسُهولَتِه وانسِجامه، وهو من الاتِّفاقات اللَّطيفة.

تنبيه: وقَعَ هنا في رواية كَرِيمة وغيرها: «باب ابن أُخت القوم منهم» وذكر فيه حديث أنس في ذلك، وهو عند أبي ذرٍّ قبل «باب قصَّة الحَبَش»، وسيأتي (٣٥٢٨).

ووَقَعَ بعده أيضاً عندهم: «باب قصَّة زَمزَم»، وفيه حديث إسلام أبي ذرٍّ، وهو عند أبي ذرٍّ بعد: «باب قصَّة خُزاعة» (٣٥٢٢)، وسيأتي شرح هذَين البابين في مكانهما إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (س): ليُمحى.

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة في ذلك.

قوله: «حدَّثنا محمَّد» هو ابن سَلام، وقرأت بخَطِّ مُغَلْطاي: قيل: هو ابن سَلام، وقيل: ابن يحيى الذُّهْلي، وهذا الثّاني وهمٌ، فإنَّ الذُّهْلي لم يُدرِك عبد الوهَّاب الثَّقفي، والصَّواب: أنَّه ابن سَلام كما ثَبَتَ عند أبي عليّ بن السَّكَن في غير هذا الحديث، ويحتمل أن يكون ابنَ حَوشَبٍ، فقد خَرَّجَ البخاري في تفسير ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ (٤٨٧٥) وفي الإكراه (٦٩٤١) عن محمَّد بن عبد الله بن حَوشَبٍ عن عبد الوهاب[١] الثَّقفي، فهو أولى أن يُفَسَّر به من محمَّد بن يحيى، وقد أخرجه الإسماعيلي وأبو نعيم[٢] من طريق محمَّد بن المثنَّى عن عبد الوهَّاب[٣]، فيحتمل أن يكون هو، فإنَّه من شيوخ البخاري.

قوله: «عن أيوب» هو السَّختياني، ومحمَّد: هو ابن سِيرِين، وذكر الإسماعيلي عن المَنِيعي[٤]: أنَّ عبد الوهَّاب الثَّقفي تفرَّد برواية هذا الحديث عن أيوب.

الحديث الرابع: أورده من طرق.

قوله في الطريق الأولى: «أرأيتُمْ» المخاطَب بذلك الأقرَع بن حابس، كما في الرِّواية التي بعدها.

قوله: «خيراً من بني تَميم» أي: ابن مُرّ ـ بضمِّ الميم وتشديد الرّاء ـ ابن أُدّ ـ بضمِّ الألف وتشديد الدّال ـ ابن طابِخَة بن إلْياس بن مُضَر، وفيهم بُطون كثيرة جدّاً.

قوله: «وبني أَسَد» أي: ابن خُزَيمةَ بن مُدرِكة بن إلْياس بن مُضَر، وكانوا عَدَداً كثيراً، وقد ظَهَرَ مِصداق ذلك عَقِب وفاة رسول الله ﷺ، فارتَدَّ هؤلاءِ مع طُلَيحةَ بن خوَيلِد، وارتَدَّ الذينَ قبلهم، وهم بنو تَميم مع سَجاحِ.

قوله: «ومن بني عبد الله بن غَطَفان» بفتح المعجَمة ثمَّ المهمَلة ثمَّ الفاء والتَّخفيف، أي:

---

(١) في (س): عبد الله: وهو خطأ.

(٢) في (س): وأبو يعلى، بدل: وأبو نعيم!

(٣) وهو عند مسلم (٢٥١٥) (١٨٤) من هذا الطريق أيضاً.

(٤) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، ينسبه الإسماعيلي كثيراً مَنيعيّاً، لجدّه أبي أُمه أحمد بن مَنِيع الحافظ.

ابن سعد بن قيس عَيلان بن مُضَر، وكان اسم عبد الله بن غَطَفان في الجاهلية عبدَ العُزّى، فصَيَّره النبيُّ ﷺ عبدَ الله، وبَنوه يُعرَفونَ ببني المحَوَّلة.

قوله: «ومن بني عامر بن صَعْصَعة» أي: ابن معاوية بن بكر بن هَوازن، وسيأتي نَسَب هَوازن/ في الحديث الذي بعده. ٥٤٥/٦

قوله: «فقال رجل: نعمْ»[1] هو الأقرَع بن حابس التَّميمي، كما في الرِّواية التي بعد هذه.

قوله: «عن محمَّد بن أبي يعقوب» هو محمَّد بن عبد الله بن أبي يعقوب نُسِبَ إلى جَدّه، وهو بصري من بني تَميم. قال شُعْبة: حدَّثني محمَّد بن أبي يعقوب، وهو سَيِّد بني تَميم. وهو ثقة عند الجميع.

قوله: «أنَّ الأقرَع بن حابس» بِمُهمَلةٍ وموحَّدة مكسورة وبعدها سين مُهمَلة.

قوله: «إنَّما بايعَك سُرّاق الحَجيج» بالموحَّدة وبعد الألف تحتانية، وفي رواية: بالمثنّاة وبعد الألف موحَّدة[2].

قوله: «ابن أبي يعقوبَ شَكَّ» هو مَقُول شُعْبة، وقد ظَهَرَ من الرِّواية التي قبلها أن لا أثر لشَكِّه، وأنَّ ذلك ثابت في الخبر.

قوله: «لَأخْيَرَ منهم» كذا فيه بوَزنِ أفعل، وهي لغة قليلة، والمشهورة: «لَخَير منهم» وثَبَتَ كذلك في رواية التِّرمذي[3] (٣٩٥٢)، وإنَّما كانوا خيراً منهم لأنَّهم سَبَقوهم إلى الإسلام، والمراد: الأكثر الأغلَب.

٣٥٢٣[4]- حدَّثنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ، حدَّثنا حَمَّادٌ، عن أيوبَ، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ،

---

(١) حمل الحافظ رحمه الله هذه الرواية على الرواية التي بعدها، فذكر لفظة «نعم»، لأنَّ هذه اللفظ لم ترد في شيء من روايات البخاري لهذه الرواية، وإنما هي في الرواية التي بعدها.

(٢) يعني: تابعك. وهي رواية أبي الوقت السِّجزي، كما في اليونينية والقسطلّاني.

(٣) وهي رواية غير أبي ذر الهروي في البخاري.

(٤) كذا رُقم هذا الحديث حسب ترتيب عبد الباقي، وقد قدمناه إلى هنا بما يتفق مع شرح الحافظ وفق رواية أبي ذر.

قال: قال: «أسلَمُ وغِفارُ وشيءٌ من مُزَينةَ وجُهَينةَ ـ أو قال: شيءٌ من جُهَينةَ أو مُزَينةَ ـ خيرٌ عندَ الله ـ أو قال: يومَ القيامةِ ـ من أسَدٍ وتَمِيمٍ وهَوازنَ وغَطَفانَ».

قوله: «عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال: أسلم وغِفار» كذا فيه بحذفِ فاعل «قال» الثَّاني، وهو اصطِلاحٌ لمحمَّدِ بن سِيرِين إذا قال: عن أبي هريرة، قال: قال، ولم يُسمِّ قائلاً، والمراد به النبيُّ ﷺ، وقد نبَّه على ذلك الخطيب، وتَبِعَه ابن الصَّلاح.

وقد أخرج مسلم (٢٥٢١/ ١٩٢) هذا الحديث عن زُهَير بن حَرْب عن ابن عُليَّة عن أيوب، فقال فيه: «قال رسول الله ﷺ» وكذا أخرجه أحمد (٩٤٤٢) من طريق مَعمَر عن أيوب.

قوله: «وشيء من مُزَينة وجُهَينة» فيه تقييد لمَا أُطلِقَ في حديث أبي بكرة الذي قبله، وكذا في قوله: «يوم القيامة» لأنَّ المعتَبَر بالخير والشرّ إنَّما يَظهَر في ذلك الوقت.

قوله: «وهَوازن وغَطَفان» أمَّا غَطَفان فتقدَّم ذِكْره في حديث أبي هريرة، وأمَّا هَوازِن، فذُكِرَت في حديث أبي هريرة بدل: بني عامر بن صَعصَعة، وبنو عامر بن صَعصَعة من بني هَوازِن، من غير عَكس، فذِكْر هَوازنَ أشمَل من ذِكْر بني عامر، ومن قبائل هَوازن غير بني عامر: بنو نَصر بن معاوية[1]، وبنو سعد بن بكر بن هَوازِن، وثَقِيف، وهو قَسِيٌّ[2] بن مُنبِّه ابن بكر بن هَوازن، والجميع يجمَعُهم هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ـ بفتح المعجَمة ثمَّ المهمَلة ثمَّ الفاء والتَّخفيف ـ ابن قيس.

٧- باب ذِكْر قَحْطانَ

٣٥١٧- حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الله، قال: حدَّثني سليمانُ بنُ بلالٍ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ، عن أبي الغَيثِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يَخْرُجَ رجلٌ من

(١) يعني ابن بكر بن هوازن.

(٢) قال ابن دريد في «الاشتقاق» ص٣٠١: فعيل من القسوة، وذلك أنه قتل رجلاً، فقيل: قسا عليه، وكان غليظاً قاسياً. وقد تحرف في (س) إلى: قيس، وجاء على الصواب في الأصلين.

قَحْطانَ، يَسوقُ الناسَ بِعَصاهُ».

[طرفه في: ٧١١٧]

قوله: «باب ذِكْر قَحْطان» تقدَّم القول فيه، وهَل هو من ذُرِّية إسماعيل أم لا؟ وإلى قَحْطان تنتهي أنساب أهل اليمن من حِمْيَر وكِنْدة وهَمْدان وغيرهم.

قوله: «عن ثَوْر بن زيد» هو الدِّيلي المدني، و«أبو الغَيث» شيخه: اسمه سالم.

قوله: «لا تقومُ الساعة حتَّى يَخْرُج رجل من قَحْطان» لم أَقِفْ على اسمه، ولكن جَوَّزَ القُرطُبي أنه جَهْجاهُ الذي وقَعَ ذِكْره في مسلم (٢٩١١) من طريق أُخرى عن أبي هريرة بلفظ: «لا تذهب الأيام واللَّيالي حتَّى يَملِك رجلٌ، يقال له: جهجاه»، أخرجه/ عَقِب حديث القَحْطاني. ٥٤٦/٦

قوله: «يَسوق الناس بِعَصاهُ» هو كِناية عن الملك، شَبَّهَه بالرّاعي، وشَبَّهَ الناس بالغنمِ، ونُكْتة التَّشبيه: التصرُّف الذي يَملِكه الرّاعي في الغنم.

وهذا الحديث يَدخُل في علامات النبوَّة من جُملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه، ولم يقع بعدُ، وقد روى نُعَيم بن حمَّاد في «الفتن» (١٢١٤) من طريق أَرْطاة بن المنذِر ـ أحد التابعينَ من أهل الشّام ـ: أنَّ القَحْطاني يَخرُج بعد المهدي، ويسير على سيرة المهدي، وأخرج أيضاً (١٢٢١) من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصَّدَفي عن أبيه عن جَدّه مرفوعاً: «يكون بعد المهدي القَحْطانيُّ، والذي بَعَثَني بالحقِّ ما هو دونه»، وهذا الثّاني مع كَونه مرفوعاً ضعيف الإسناد، والأوَّل مع كَونه موقوفاً أصلَح إسناداً منه، فإن ثَبَتَ ذلك، فهو في زمن عيسى ابن مريم، لِـمَا تقدَّم[1] أنَّ عيسى عليه السلام إذا نزلَ يَجِد المهدي إمامَ المسلمينَ، وفي رواية أرطاة بن المنذِر: أنَّ القَحْطانيّ يعيش في الملك عشرينَ سنة.

واستُشكِلَ ذلك بأنه كيف يكون في زمن عيسى يَسوق الناسَ بعَصاهُ، والأمر إنَّما هو لعيسى؟ ويُجاب بجواز أن يُقيمَه عيسى نائباً عنه في أُمور مُهمَّة عامَّة، وسيأتي مَزيد لذلك في كتاب الفتن (٧١١٧) إن شاء الله تعالى.

---

(١) تحت شرح حديث (٣٤٤٩).

٨- باب ما يُنهَى من دَعْوَى الجاهليَّة

٣٥١٨- حدَّثنا محمَّدٌ، أخبرنا مَخلَدُ بنُ يزيدَ، أخبرنا ابنُ جُرَيج، قال: أخبرني عَمْرو بنُ دِينارٍ، أنَّه سمعَ جابراً ﷺ يقول: غَزَوْنا معَ النبيِّ ﷺ، وقد ثابَ معه ناسٌ مِن المهاجِرينَ، حتَّى كَثُروا وكان مِن المهاجِرِينَ رجلٌ لَعّابٌ، فكَسَعَ أنصاريّاً، فغَضِبَ الأنصاريُّ غَضَباً شديداً حتَّى تَداعَوْا، وقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ! وقال المهاجِرِيُّ: يا لَلمُهاجِرِينَ! فخَرَجَ النبيُّ ﷺ، فقال: «ما بالُ دَعْوَى أهلِ الجاهليَّة؟» ثمَّ قال: «ما شأنُهم؟» فأُخبِرَ بكَسْعةِ المهاجِرِيِّ الأنصاريَّ، قال: فقال النبيُّ ﷺ: «دَعوها، فإنَّها خَبيثةٌ» وقال عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولٍ: أقد تَداعَوْا علينا؟ لَئِن رَجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فقال عمرُ: ألا نَقتُلُ يا نبيَّ الله هذا الخَبيثَ؟ ـ لعبدِ الله ـ فقال النبيُّ ﷺ: «لا يَتَحدَّثُ الناسُ أنَّه كان يَقتُلُ أصحابَه».

[طرفاه في: ٤٩٠٥، ٤٩٠٧]

٣٥١٩- حدَّثنا ثابتُ بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا سفيانُ، عن الأعمَشِ، عن عبدِ الله بنِ مُرّةَ، عن مَسْروقٍ، عن عبدِ الله ﷺ، عن النبيِّ ﷺ.

وعن سفيانَ، عن زُبَيدٍ، عن إبراهيمَ، عن مَسْروقٍ، عن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، قال: «ليس مِنّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بدَعْوَى الجاهليَّة».

قوله: «باب ما يُنْهى من دَعْوى الجاهلية» يُنهى: بضمِّ أوَّله، ودَعوى الجاهلية: الاستغاثة عند إرادة الحرب، كانوا يقولون: يا آلَ فلان، فيَجتَمِعونَ فيَنصُرونَ القائل، ولو كان ظالماً، فجاء الإسلام بالنَّهي عن ذلك. وكأنَّ المصنِّف أشارَ إلى ما وَرَدَ في بعض طرق حديث جابر المذكور، وهو ما أخرجه إسحاق بن راهويه، والمَحَامِلِيّ في «الفوائد الأصبَهانية»[1] من طريق أبي الزُّبَير عن جابر قال: اقتَتَلَ غلام من المهاجِرينَ وغلام من الأنصار، فذكر الحديث، وفيه: فقال/ رسول الله ﷺ: «أدَعوى الجاهلية؟» قالوا: لا. قال: «لا بَأس، وليَنصُرِ الرجلُ أخاه ظالماً أو مَظلوماً، فإن كان ظالماً فليَنْهَهُ، فإنَّه له نَصرٌ»، وعُرِفَ من هذا أنَّ ٥٤٧/٦

(١) فات الحافظ رحمه الله أن يخرّجه من مسلم، وهو فيه برقم (٢٥٨٤) (٦٢).

الاستغاثة ليست حَراماً، وإنَّما الحرام ما يَتَرتَّب عليها من دَعوى الجاهلية.

قوله: «حدَّثنا محمَّد» كذا للجميع غير منسوب، وهو ابن سَلام كما جَزَمَ به أبو نُعَيم في «المستَخرَج»، وأبو عليّ الجَيّاني، ويُؤيِّد ذلك ما وقَعَ في الوَصايا (٢٧٥٦) بمِثلِ هذه الطَّريق، فعند الأكثر: حدَّثنا محمَّد، غير منسوب، وعند أبي ذرٍّ: حدَّثنا محمَّد بن سَلام.

قوله: «غَزَونا» هذه الغزوة هي غزوة المرَيسِيع.

قوله: «ثابَ معه» بِمُثلَّثةٍ وموحَّدة، أي: اجتَمَعَ.

قوله: «رجل لَعّاب» أي: بَطّال، وقيل: كان يَلعَب بالحِراب كما تَصنَع الحبشة، وهذا الرجل: هو جَهْجاه بن قيس الغِفاريّ، وكان أجيرَ عمر بن الخَطّاب، والأنصاري: هو سِنان ابن وَبْرة حَليف بني سالم الخَزرَجي، وسيأتي بيان ذلك في تفسير سورة المنافقين (٤٩٠٥).

قوله: «فكَسَعَ» بفتح الكاف والمهمَلتَين، أي: ضَرَبَه على دُبُره.

قوله: «حتَّى تَداعَوَا» كذا للأكثر: بسكونِ الواو بصيغة الجمع، وفي بعض النُّسَخ عن أبي ذرٍّ: «تَداعَوَا» بفتح العين والواو بصيغة التَّثنية، والمشهور في هذا تَداعَيا بالياءِ عِوَض الواو، وكأنَّه بَقّاها على أصلها بالواو.

قوله: «دَعوها، فإنَّها خبيثة» أي: دَعوى الجاهلية، وقيل: الكَسْعَة، والأوَّل هو المعتمَد.

قوله: «ألا نَقْتُل» بالنّونِ، وبالمثنّاة أيضاً.

قوله: «هذا الخبيث لعبدِ الله» اللّام بمعنى «عن» والتَّقدير: قال عمر يريد عبد الله: ألا نَقتُل هذا الخبيث؟ وسيأتي بقيَّة شرح هذا الحديث في التَّفسير إن شاء الله تعالى.

قوله: «وعن سُفْيان عن زُبَيد» هو معطوف على قوله: حدَّثنا سفيان عن الأعمَش، وهو موصول وليس بمُعلَّقٍ، وقد تقدَّم في الجنائز من رواية أبي نُعَيم عن سفيان عن زُبَيد (١٢٩٤)، ومن رواية عبد الرحمن بن مَهدي عن سفيان عن الأعمَش (١٢٩٧)، فكأنَّه كان عند ثابت ابن محمَّد عن سفيان عن شيخه، وكأنَّه سمعَه منه مُفرَّقاً فحدَّث به، فنُقِلَ عنه كذلك.

٩- باب قِصّةِ خُزاعةَ

٣٥٢٠- حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ، أخبرَنا إسرائيلُ، عن أبي حَصِينٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عَمْرو بنُ لُحَيٍّ بنِ قَمَعَةَ ابنِ خِنْدَفَ أبو خُزاعةَ».

٣٥٢١- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: سمعتُ سعيدَ بنَ المسيّبِ قال: البَحِيرةُ: التي يُمْنَعُ دَرُّها للطَّواغِيتِ، ولا يَحْلُبُها أحدٌ مِن الناسِ، والسائبةُ: التي يُسَيِّبونَها لِآلِهَتِهِم، فلا يُحمَلُ عليها شيءٌ.

قال: وقال أبو هريرةَ: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُ عَمْرَو بنَ عامرٍ الخُزَاعيَّ يَجُرُّ قُصْبَه في النار، وكان أوَّلَ مَن سَيَّبَ السَّوائبَ».

[طرفه في: ٤٦٢٣]

قوله: «باب قصَّة خُزاعة» اختُلِفَ في نَسَبهم مع الاتِّفاق على أنَّهم من ولد عَمرو بن لُحَيّ - باللّام والمهمَلة مُصغَّر - وهو ابن حارثة بن عَمْرو بن عامر ماء السماء[1]، وقد تقدَّم نَسَبُه في أسلَمَ، وأسلم هو عَمّ عَمْرو بن لُحَيّ، ويقال: إنَّ اسم لُحَيّ ربيعة، وقد صَحَّفَ بعض الرُّواة، فقال: عَمْرو بن يحيى، ووقَعَ مِثلُ ذلك في «الجمع» للحُميدي، والصَّواب/ باللّام وتشديد الياء آخرَه مُصغَّرٌ، ووقَعَ في حديث جابر عند مسلم (٩٠٤): «رأيت أبا ثُمامة عَمْرو بن مالك» وفيه تغيير، لكن أفادَ أنَّ كُنية عَمْرو أبا ثُمامة، ويقال لخُزاعةَ: بنو كعب[2]، نُسِبوا إلى جَدّهم كعب بن عَمْرو بن لُحَيّ.

٥٤٨/٦

---

(١) في الأصلين و(س): عامر بن ماء السماء، وسيأتي كذلك في آخر شرح حديث الباب أنَّ عامراً هو ابن ماء السماء، بزيادة لفظة «ابن»، وهو خطأ، صوبناه من كلام الحافظ في المقدمة حين تكلم على اسم ماء السماء في فصل الميم والهمزة، قال: الأنصار يُنسبون إلى ماء السماء، وهو عامر والد عمرو. قلنا: واستدلَّ لصحة ذلك المرتضى الزبيدي ببيت من الشعر ساقه وهو:

أنــا ابــن مُزَيقِيــا عمــرٍو وجــدِّي   أبــوه عـــامرٌ مـــاءُ الـــسماء

(٢) جاء ذلك مرفوعاً في رواية لحديث أبي هريرة عند مسلم (٢٨٥٦) (٥٠).

قال ابن الكَلْبي: لمَّا تَفرَّقَ أهلُ سَبَأٍ بسَبَبِ سَيل العَرِم، نزلَ بنو مازن على ماء يقال له: غَسّان، فمَن أقامَ به منهم فهو غَسّاني، وانخَزَعَتْ منهم بنو عَمْرو بن لُـحَيّ عن قومهم، فنزلوا مكَّة وما حولها، فسُمّوا خُزاعة، وتَفرَّقَت سائر الأزدِ، وفي ذلك يقول حسَّان بن ثابت:

ولمَّا نزلنـا بطـنَ مُـرٍّ تَخزَّعَـتْ　　خُزاعـةُ مِنّـا في جُمـوعٍ كَراكِـرِ

ووقَعَ في حديث الباب: أنَّه عَمْرو بن لُـحَيّ بن قَمَعة بن خِندَف، وهذا يُؤيِّد قول مَن يقول: إنَّ خُزاعة من مُضَر، وذلك أنَّ خِندَف بكسر المعجَمة وسكون النّون وفتح الدّال[1] بعدها فاء: اسم امرأة إلياس بن مُضَر، واسمها ليلى بنت حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة، لُقِّبَت بخِندَف لِمشيَتِها، والخَندَفة: الهَروَلة، واشتَهَرَ بَنوها بالنِّسبة إليها دون أبيهم، لأنَّ إلياس لمَّا ماتَ، حَزِنَت عليه حُزناً شديداً، بحيثُ هَجَرَت أهلها ودارها، وساحَت في الأرض حتَّى ماتت، فكان مَن رأى أولادَها الصِّغار يقول: مَن هؤلاءِ؟ فيقال: بنو خِندَف. إشارة إلى أنَّها ضَيَّعَتهم.

وقَمَعَة بفتح القاف والميم، بعدها مُهمَلة خفيفة، ويقال: بكسر القاف وتشديد الميم.

وجَمَعَ بعضهم بين القولَين ـ أعني نِسبة خُزاعة إلى اليمن، وإلى مُضَر ـ فزَعَمَ أنَّ حارثة ابن عَمْرو لمَّا ماتَ قَمَعة بن خِندَف كانت امرأته حاملاً بلُحَيٍّ، فوَلَدَته وهي عند حارثة، فتبنّاه فنُسِبَ إليه، فعلى هذا فهو من مُضَر بالوِلادة ومن اليمن بالتَّبنّي.

وذكر ابن الكَلْبي: أنَّ سبب قيام عَمْرو بن لُحَيّ بأمرِ الكعبة ومكَّة أنَّ أمّه فُهَيرة بنت عَمْرو بن الحارث بن مُضاض الجُرهُمي، وكان أبوها آخر مَن ولي أمر مكَّة من جُرهُم، فقامَ بأمرِ البيت سِبطُه عَمْرو بن لُحَيّ، فصارَ ذلك في خُزاعة بعد جُرهُم، ووقَعَ بينهم في ذلك حُروب إلى أن انجلَت جُرهم عن مكَّة، ثمَّ تَولَّت خُزاعة أمرَ البيت ثلاث مئة سنة إلى أن كان آخرهم يُدعى أبا غُبْشان ـ بضمِّ المعجَمة وسكون الموحَّدة بعدها مُعجَمة أيضاً ـ

(١) وبكسر الدال أيضاً.

واسمه المُحتَرِش[1] ـ بمُهمَلة ثمَّ مُعجَمة ـ ابن حُليل ـ بمُهمَلةٍ ولامَين مُصغَّر ـ ابن حَبْشيّة ـ بفتح المهمَلة[2] وسكون الموحَّدة بعدها مُعجَمة ثمَّ ياء نَسَب ـ ابن سَلُول ـ بفتح المهمَلة ولامَين الأولى مضمومة ـ ابن عَمْرو بن لُحَيّ ـ وهو خال قُصَيّ بن كِلاب أخو أمّه حُبّي ـ بضمِّ المهمَلة وتشديد الموحَّدة مع الإمالة ـ وكان في عقله شيء، فخَدَعَه قُصَيٌّ فاشتَرى منه أمر البيت بأذوادٍ من الإبل، ويقال: بزِقِّ خمر، فغَلَبَ قُصَيّ حينئذٍ على أمر البيت، وجَمَعَ بُطون بني فِهْر، وحارَبَ خُزاعة حتَّى أخرجَهم من مكَّة، وفيه يقول الشّاعر[3]:

أبوكمْ قُصَيٌّ كان يُدعَى مُجمِّعاً ... به جَمَّعَ اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

وشَرَعَ قُصَيّ لقريشٍ السِّقايةَ والرِّفادة، فكان يصنع الطَّعام أيامَ مِنى، والحياض للماءِ، فيُطعِم الحَجيج ويَسقِيهم، وهو الذي عَمَّرَ دارَ النَّدْوَة بمكَّة، فإذا وقَعَ لقريشٍ شيءٌ اجتَمَعوا فيها وعَقَدوه بها.

قوله: «عَمْرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن خِنْدَف أبو خُزَاعة» أي: هو أبو خُزاعة، ووقَعَ في رواية أبي نُعَيم عن إسرائيل بهذا السَّنَد عند الإسماعيلي: «خُزاعَة بن قَمعة بن عَمْرو بن خِندَف»، وفيه تغيير بالتَّقديمِ والتَّأخير، وعنده من طريق أبي أحمد الزُّبَيري عن إسرائيل: «عَمْرو أبو خُزَاعة بن قَمَعة بن خِنْدَف»، وهذا يوافق الأوَّل، لكن بحذفِ «لُحَيّ»، وبأن يُعرَبَ «ابن قَمَعة» أعرابَ «عَمْرو» لا إعرابَ «أبو خُزاعة»، وأصوَبُها الأوَّل.

وهكذا روى أبو حَصِينٍ هذا الحديث عن أبي صالح مختصراً، وأخرجه مسلم (٢٨٥٦/ ٥٠) من طريق سُهَيل بن أبي صالح عن أبيه أتمَّ منه، ولفظه: «رأيت عَمْرو بن

---

(١) تحرف في (س) إلى: المحرش.

(٢) وضبط أيضاً بضم الحاء المهملة. انظر «تاج العروس» مادة (حبش).

(٣) هو حُذافة بن غانم بن عامر القرشي العَدَوي. انظر «المنمق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب ص٨٣، و«أنساب الأشراف» للبلاذُري ١/ ٥٠، ونسبه الزمخشري في «الفائق» في مادة (قرش) لمطرود بن كعب الخُزاعي.

لُحَيّ بن قَمَعة بن خِندَف يَجُرّ قُصْبَه/ في النار»، وأورَدَه ابن إسحاق في «السِّيرة الكبرى»[1] ٦/ ٥٤٩ عن محمَّد بن إبراهيم التَّيْمي عن أبي صالح أتمَّ من هذا، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثَم بن الجَوْن: «رأيت عَمرو بن لُحَيّ يَجُرّ قُصبَه في النار، لأنَّه أوَّل مَن غيَّرَ دين إسماعيل، فنَصَبَ الأوثان، وسَيَّبَ السائبة، وبَحَرَ البَحِيرة، ووَصَلَ الوَصِيلة، وحَمى الحاميَ»، ووَقَعَ لنا بعُلوٍّ في «المعرفة»[2]، وعند ابن مَرْدويه من طريق سُهَيل بن أبي صالح عن أبيه نحوه، وللحاكمِ (٤/ ٦٠٥) من طريق محمَّد بن عَمْرو عن أبي سَلَمةَ عن أبي هريرة، لكنَّه قال: «عَمْرو بن قَمَعة» فنَسَبَه إلى جَدّه[3]، وروى الطبراني (١٠٨٠٨) من حديث ابن عبَّاس رَفَعَه: «أوَّل مَن غَيَّرَ دين إبراهيم عَمْرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن خِندَف أبو خُزاعة»، وذكر الفاكِهي من طريق عِكْرمة نحوه مُرسلاً، وفيه: فقال المِقداد: يا رسول الله، مَن عَمْرو بن لُحَيّ؟ قال: «أبو هؤلاءِ الحيّ من خُزاعة».

وذكر ابن إسحاق: أنَّ سبب عبادة عَمْرو بن لُحَيّ الأصنام: أنَّه خَرَجَ إلى الشّام وبها يومَئذٍ العَماليق، وهم يَعبُدونَ الأصنام، فاستَوهَبَهم واحداً منها، وجاء به إلى مكَّة فنَصَبَه إلى الكعبة، وهو هُبَل، وكان قبل ذلك في زمن جُرهُم قد فجَرَ رجل يقال له: إساف بامرأةٍ يقال لها: نائلة في الكعبة، فمَسَخَهما الله جلَّ وعَلا حجرَينِ، فأخَذَهما عَمْرو بن لُحَيّ فنَصَبَهما حول الكعبة، فصارَ مَن يَطوف يَتَمَسَّح بهما، يَبدَأ بإساف ويَختِم بنائلة.

وذكر محمَّد بن حبيب عن ابن الكَلْبي: أنَّ سبب ذلك أنَّ عَمْرو بن لُحَيّ كان له تابع من الجِنّ يقال له: أبو ثُمامة، فأتاه ليلةً، فقال: أجِب أبا ثُمامة، فقال: لَبَّيكَ من تِهامة، فقال:

---

(١) كما في «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٧٦.

(٢) يعني «معرفة الصحابة» لابن منده، فقد خرَّجه منه الحافظُ في «الإصابة» ١/ ١٠٧ من هذا الطريق نفسه.

(٣) وكذلك قال الحافظ في «إتحاف المهرة» (٢٠٥٨٣)، وهذا يوافق ما في الأصل الخطي الذي بأيدينا من «مستدرك الحاكم»، بخلاف ما وقع في المطبوعة الهندية، وسائر الطبعات التي اعتمدتها، حيث وقعت فيها مُجَوَّدةً: عمرو بن لحيّ بن قمعة. والمحفوظ في رواية الحاكم هذه حذف «لحيّ»، والنسبة إلى الجد كما في الأصل الخطي، وكما وقع للحافظ، ويؤيده رواية أبي يعلى (٦١٢١) من هذا الطريق نفسه، حيث قال فيه: «ابن قمعة بن خندف».

ادخُل بلا مَلامة، فقال: ائتِ سِيفَ جُدَّة، تَجِد آلهةً مُعَدَّة، فخُذها ولا تَهَبْ، وادعُ إلى عِبادَتها تُـجَبْ. قال: فتَوَجَّهَ إلى جُدَّة، فوَجَدَ الأصنام التي كانت تُعبَد في زمن نوح وإدريس، وهي وَدٌّ وسُواعٌ ويَغوثُ ويعوقُ ونَسرٌ، فحَمَلها إلى مكَّة، ودَعا إلى عِبادَتها، فانتَشَرَت بسَبَبِ ذلك عبادة الأصنام في العرب. وسيأتي زيادة شرح ذلك في تفسير سورة نوح إن شاءَ تعالى.

قوله في الرِّواية الأُخرى عن أبي هريرة: «عَمْرو بن عامر الخُزَاعي» كذا وَقَعَ نَسَبه في حديث ابن مسعود عند أحمد (٤٢٥٨)، ولفظه: «أوَّل مَن سَيَّبَ السَّوائب، وعَبَدَ الأصنام، عَمْرو بن عامر أبو خُزاعة»، وهذا مُغايِرٌ لمَا تقدَّم، وكأنَّه نُسِبَ إلى جَدّه لأُمّه عَمْرو بن حارثة بن عَمْرو بن عامر، وهو مُغايِر لمَا تقدَّم من نِسبة عَمْرو بن لُـحَيّ إلى مُضَر، فإنَّ عامراً: هو ابن[1] ماء السماء بن سَبَأ، وهو جَدُّ جَدِّ عَمْرو بن لُـحَيّ عند مَن نَسَبَه إلى اليمن، ويحتمل أن يكون نُسِبَ إليه بطريق التَّبَنّي كما تقدَّم قبلُ، وسيأتي الكلام على الوَصيلة والسائبة وغيرهما في تفسير سورة المائدة (٤٦٢٣) إن شاء الله تعالى.

١٠- باب قصّة إسلام أبي ذرٍّ الغفاريّ ﵁[2]

٣٥٢٢- حدَّثنا زيدُ بنُ أخزَمَ، قال: حَدَّثنا أبو قُتَيبةَ سَلْمُ بنُ قُتَيبةَ، حدَّثني مُثَنَّى بنُ سعيدٍ القَصِيرُ، قال: حدَّثني أبو جَمْرةَ، قال: قال لنا ابنُ عبَّاسٍ: ألا أُخبِرُكم بإسلامِ أبي ذرٍّ؟ قال: قُلْنا: بَلَى، قال: قال أبو ذرٍّ: كنتُ رجلاً من غِفارَ، فبَلَغَنا أنَّ رجلاً قد خَرَجَ بمَكّةَ يَزعُمُ أنَّه نبيٌّ، فقلتُ لأخي: انطَلِق إلى هذا الرجلِ، كَلِّمْه وأْتِني بخَبَرِه، فانطَلَقَ فلَقِيَه ثمَّ رَجَعَ، فقلتُ: ما عندَكَ؟ فقال: والله لقد رأيتُ رجلاً يأمرُ بالخيرِ، ويَنْهَى عن الشرِّ، فقلتُ له: لم تَشْفِني مِن

---

(١) انظر تعليقنا على زيادة لفظه: «ابن» أول الباب.

(٢) وقع في (س) بعد هذا مباشرة ترجمةٌ أخرى بعنوان: باب قصة زمزم، ورُقم لها بالرقم (١١)، والأنسب حذف هذه الترجمة وفقاً لرواية أبي ذرٍّ الهروي التي اعتمد الحافظُ ترتيبها في شرحه، ولأنَّ أبا ذر الهروي جمع بينها وبين جهل العرب في ترجمة واحدة للحديثين الآتيين بعد هذا الحديث. وانظر كلام الحافظ قريباً في بيان ذلك.

الخبَرِ، فآخُذُ جِرَاباً وعَصاً، ثُمَّ أقبلْتُ إلى مَكّةَ، فجعَلْتُ لا أعرفُه، وأكرَه أن أسأل/ عنه، ٦/٥٥٠ وأشرَبُ من ماءِ زَمْزَمَ، وأكونُ في المسجدِ، قال: فمرَّ بي عليٌّ، فقال: كأنَّ الرجلَ غَريبٌ؟ قال: قلتُ: نعم، قال: فانطَلِق إلى المنْزِلِ، قال: فانطَلَقْتُ معه، لا يَسْألُني عن شيءٍ ولا أُخْبِرُه، فلمَّا أصبَحْتُ، غَدَوْتُ إلى المسجدِ لأسأَلَ عنه، وليس أحدٌ يُخبِرُني عنه بشيءٍ، قال: فمرَّ بي عليٌّ، فقال: أما نالَ للرجلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَه بعدُ؟ قال: قلتُ: لا، قال: فانطَلِق مَعي، قال: فقال: ما أمرُكَ؟ وما أقدَمَكَ هذه البَلْدةَ؟ قال: قلتُ له: إن كَتَمتَ عليَّ أخبَرتُكَ، قال: فإنّي أفعلُ، قال: قلتُ له: بَلَغَنا أنَّه قد خَرَجَ هاهُنا رجلٌ يَزعُمُ أنَّه نبيٌّ، فأرسَلْتُ أخي ليُكلِّمَه، فرَجَعَ ولم يَشْفِني مِن الخبَرِ، فأرَدْتُ أن ألقاهُ، فقال: أما إنَّكَ قد رَشَدْتَ، هذا وجهي إليه، فاتَّبِعْني، ادْخُلْ حيثُ أدخُلُ، فإنّي إن رأيتُ أحداً أخافُه عليكَ، فقُمْتُ إلى الحائطِ كأنّي أُصْلِحُ نَعْلي، وامضِ أنتَ، فمَضَى ومَضَيتُ معه، حتَّى دَخَلَ ودَخَلْتُ معه على النبيِّ ﷺ، فقلتُ له: اعْرِض عليَّ الإسلامَ، فعَرَضَه، فأسلَمْتُ مكاني، فقال لي: «يا أبا ذرٍّ، اكْتُم هذا الأمرَ، وارجعْ إلى بَلَدِكَ، فإذا بَلَغَكَ ظُهورُنا فأقبِلْ». فقلتُ: والذي بَعَثَكَ بالحقِّ لأصرُخَنَّ بها بينَ أظْهُرِهم، فجاء إلى المسجدِ وقريشٌ فيه، فقال: يا مَعْشَرَ قريشٍ، أنَا أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهَدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، فقالوا: قوموا إلى هذا الصَّابِي، فقاموا، فضُرِبتُ لأموتَ، فأدركَني العبَّاسُ فأكَبَّ عليَّ، ثمَّ أقبَلَ عليهم، فقال: ويلَكم! أتقتُلونَ رجلاً من غِفارٍ، ومَتْجَرُكم ومَمَرُّكم على غِفَارٍ؟ فأقلَعوا عنِّي، فلمَّا أن أصبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فقلتُ مِثلَ ما قلتُ بالأمسِ، فقالوا: قوموا إلى هذا الصَّابِئِ، فصُنِعَ بي مِثلَ ما صُنِعَ بالأمسِ، فأدركَني العبَّاسُ فأكَبَّ عليَّ، وقال مِثلَ مَقالتِه بالأمسِ.

قال: فكان هذا أوّلَ إسلامِ أبي ذرٍّ رحمه الله.

[طرفه في: ٣٨٦١]

قوله: «باب قصَّة إسلام أبي ذرٍّ الغِفاري» هكذا في رواية أبي ذرٍّ عن الحَمُّوِيِّ وحده، وسقط للباقينَ، وكأنَّه أولى، لأنَّ هذه التَّرجمة ستأتي بعد إسلام أبي بكر وسَعد وغيرهما (٣٨٦١).

ووَقَعَ للأكثر هنا: «قصَّة زَمزَم» ووجه تعلُّقها بقصَّة أبي ذرٍّ ما وَقَعَ له من الاكتِفاء بماءِ زَمزَم في المدَّة التي أقامَ فيها بمكَّة، وسيأتي شرح ذلك في مكانه إن شاء الله تعالى.

١١- باب قصّة زمزم وجهل العرب[١]

٦/٥٥١ ٣٥٢٤- حدَّثنا أبو النُّعْمان، حدَّثنا أبو عَوَانةَ، عن أبي بشْرٍ، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: إذا سَرَّكَ أن تعلمَ جَهْلَ العربِ، فاقرَأ ما فوقَ الثَّلاثِينَ ومئةٍ من سورةِ الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قولِه: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٤٠].

قوله: «باب قصَّة زَمْزَم وجَهْل العرب» كذا لأبي ذرٍّ، ولغيره «باب جهل العرب» وهو أولى إذ لم يَجْرِ في حديث الباب لِزَمزَم ذِكْرٌ، وأمَّا الإسماعيلي فجَمَعَ هذه الأحاديث في ترجمة واحدة، وهو مُتَّجِه.

قوله: «﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ [الأنعام:١٤٠]» أي: بناتهم، وسيأتي بيان ذلك في التَّفسير[٢] إن شاء الله تعالى، ويُؤخَذ من هذه الآية مُطابَقَتها للتَّرجمة من قول ابن عبَّاس: إذا سَرَّك أن تَعرِف جَهْل العرب.

١٢- باب مَنِ انتسب إلى آبائهِ في الإسلامِ والجاهليَّة

وقال ابنُ عمرَ وأبو هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الكَرِيمَ ابنَ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ: يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الله».

وقال البراءُ، عن النبيِّ ﷺ: «أنا ابنُ عبدِ المطَّلِب».

٣٥٢٥- حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمَشُ، قال: حدَّثنا عَمرو بنُ مُرّةَ، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: لمَّا نزلتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾

---

(١) وقع في (س) في هذا الباب حديث آخر قبل حديث أبي النعمان، وهو حديث أبي هريرة السالف بعد الحديث (٣٥١٦)، وتركناه هناك على رقمه حسب ترقيم عبد الباقي، وجاء في هامش اليونينية هناك ما نصه: هذا الحديث عند أبي ذر من تمام باب ذكر أسلم وغفار في آخر الباب. قلنا: وقد شرح الحافظ ألفاظه هناك، فلذلك حذفناه من هنا.

(٢) لعلَّ الحافظ قصد بحث وأد البنات، وإذا كان كذلك فسيأتي الكلام عليه عند شرح الحديث (٥٩٧٥) في الأدب لا في التفسير.

[الشعراء:٢١٤]، جَعَلَ النبيُّ ﷺ ينادي: «يا بني فِهْرٍ يا بني عَدِيٍّ» ببُطُون قريشٍ.

٣٥٢٦- وقال لنا قَبِيصةُ: أخبرنا سفيانُ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: لمَّا نزلتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، جَعَلَ النبيُّ ﷺ يَدْعوهم قبائلَ قبائلَ.

٣٥٢٧- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، أخبرنا أبو الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﵁، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يا بني عبدِ مَنافٍ، اشتَرُوا أنفُسَكم مِن الله، يا بني عبدِ المطَّلِبِ، اشتَرُوا أنفُسَكم مِن الله، يا أمَّ الزُّبَيرِ بنِ العَوّامِ عَمّةَ رسولِ الله، يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ، اشتَرِيا أنفُسَكما مِن الله، لا أَملِكُ لكما مِن الله شيئاً، سَلاني من مالي ما شئتُما».

قوله: «باب مَن انتَسَبَ إلى آبائه في الإسلام والجاهلية» أي: جواز ذلك خِلافاً لمن كَرِهَه مُطلَقاً، فإنَّ مَحَلّ الكراهة ما إذا أورَدَه على طريق المفاخَرة والمشاجَرة، وقد روى أحمد (١٧٢١٢)، وأبو يَعْلى (١٤٣٩) بإسنادٍ حسن[1] من حديث أبي رَيحانة رَفَعَه: «مَن انتَسَبَ إلى تِسعةِ آباءٍ كفّار يريد بهم عِزّاً أو كَرامة، فهو عاشرهم في النار».

قوله: «وقال ابن عمر وأبو هريرة: عن النبي ﷺ: إنَّ الكريم ابن الكريم...» إلى آخره، تقدَّم حديث كلّ منهما موصولاً في أحاديث الأنبياء (٣٣٨٢ و٣٣٨٣)، ووجه دلالته للتَّرجمة: أنَّه لمَّا وقَعَ من النبي ﷺ نِسبة يوسف عليه السلام إلى آبائه، كان دليلاً على جواز ذلك لغيره في/ غيره، ويكون ذلك مُطابِقاً لرُكنِ التَّرجمة الأوَّل. ٦/٥٥٢

قوله: «وقال البراء عن النبي ﷺ: أنا ابن عبد المطَّلِب» هو طَرَف من حديث تقدَّم موصولاً في الجهاد، وهو في قصَّة غزوة حُنَينٍ (٢٩٣٠)، ووجه الدَّلالة منه: أنَّه ﷺ انتَسَبَ إلى جَدّه عبد المطَّلِب، فيكون مُطابقاً لرُكنِ التَّرجمة الثّاني.

قوله: «لمَّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جَعَلَ النبي ﷺ ينادي: يا بني فِهر، يا بني عَدِيٍّ. ببُطونِ قريش» في رواية الكُشْمِيهني: لِبُطون، باللّام بدل الموحَّدة، ونِداؤُه للقبائلِ من قريش قبل عشيرته الأدنَيْنَ ليُكرِّرَ إنذار عشيرته، ولدخولِ قريش كلِّها في أقاربه، ولأنَّ

(١) بل إسناده ضعيف لانقطاعه. وانظر تمام الكلام عليه وتخريجه في «المسند».

إنذار العَشيرة يقع بالطَّبعِ، وإنذار غيرهم يكون بطريق الأَولى.

قوله: «**وقال لنا قبيصَة...**» إلى آخره، هو موصول وليس بمُعلَّقٍ، وقد وصَلَه الإسماعيلي من وجه آخر عن قبيصَة.

قوله: «**جَعَلَ النبي ﷺ يَدْعُوهم قبائلَ قبائلَ**» قد فَسَّرَه الذي قبله، وأنَّه كان يُسَمِّي رُؤوس القبائل، كقوله: «يا بني عَدي»، وأوضحُ منه حديث أبي هريرة الذي بعده، حيثُ ناداهم طبقة بعد طبقة، إلى أن انتهى إلى عَمَّته صَفية بنت عبد المطَّلِب، وهي أمّ الزُّبَير بن العَوّام، وإلى ابنته فاطمة عليها السَّلام، وسيأتي شرح ذلك مَبسوطاً في تفسير سورة الشُّعَراء (٤٧٧٠).

وهذه القصَّة إن كانت وقَعَت في صَدْر الإسلام بمكَّة، فلم يُدرِكها ابنُ عبَّاس، لأنَّه وُلِدَ قبل الهجرة بثلاثِ سنين، ولا أبو هريرة، لأنَّه إنَّما أسلَمَ بالمدينة، وفي نِداء فاطمةَ يومَئذٍ أيضاً ما يقتضي تأخُّر القصَّة، لأنَّها كانت حينئذٍ صغيرة أو مُراهقة، وإن كان أبو هريرة حَضَرَها، فلا يناسب التَّرجمة، لأنَّه إنَّما أسلَمَ بعد الهجرة بمُدَّةٍ، والذي يَظهَر أنَّ ذلك وَقَعَ مرَّتَين: مرَّة في صَدْر الإسلام، ورواية ابن عبَّاس وأبي هريرة لها من مُرسَل الصَّحابة، وهذا هو الموافق للتَّرجمة من جِهَة دخولها في مُبتَدَإ السِّيرة النَّبويّة، ويُؤيِّد ذلك ما سيأتي من أنَّ أبا لهب كان حاضراً لذلك، وهو ماتَ في أيام بدر، ومرَّة بعد ذلك حيثُ يُمكِن أن تُدعى فيها فاطمة عليها السَّلام، أو يَحضُر ذلك أبو هريرة أو ابن عبَّاس.

١٣- باب ابنُ أختِ القوم منهم، ومولى القوم منهم

٣٥٢٨- حدَّثنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ، حدَّثنا شُعْبَةُ، عن قَتَادَةَ، عن أنسٍ ﷺ، قال: دَعَا النبيُّ ﷺ الأنصارَ خاصَّةً، فقال: «هل فيكم أحدٌ من غيرِكم؟» قالوا: لا، إلّا ابنُ أُخْتٍ لنا. فقال رسولُ الله ﷺ: «ابنُ أُخْتِ القوم منهم».

قوله: «**باب ابن أُخْت القوم منهم، ومَوْلى القوم منهم**» أي: فيما يَرجِع إلى المناصَرة والتَّعاوُن ونحو ذلك، وأمَّا بالنِّسبة إلى الميراث ففيه نِزاع، كما سيأتي بَسطه في كتاب الفرائض[1].

(١) في باب ذوي الأرحام، وشرح الحديث (٦٧٤٧).

قوله: «إلّا ابن أُختٍ لنا» هو النُّعمان بن مُقرِّن المُزَني، كما أخرجه أحمد (١٢١٨٧) من طريق شُعْبة عن معاوية بن قُرَّة في حديث أنسٍ هذا، ووَقَعَ ذلك في قصَّة أُخرى كما أخرجه الطبراني (١٧/ ٢٩١) من حديث عُتبة بن غَزوانَ: أنَّ النبي ﷺ قال يوماً لقريشٍ: «هل فيكم مَن ليس منكم؟» قالوا: لا، إلّا ابنَ أُختنا عُتبة بن غَزوانَ، فقال: «ابنُ أُختِ القوم منهم». وله (١٧/ ٢) من حديث عَمْرو بن عَوْف: أنَّ النبي ﷺ دَخَلَ بيته، قال: «ادْخُلوا عليَّ، ولا يَدخُل عليَّ إلّا قُرَشيّ» فقال: «هل معكم أحدٌ غيركم؟» قالوا: مَعَنا ابن الأُخت والمولى، قال: «حَليفُ القوم منهم، ومَولى القوم منهم»، وأخرج أحمد (١٩٥٤١) نحوه من حديث أبي موسى، والطبراني[1] نحوه من حديث أبي سعيد.

تنبيه: لم يَذكُر المصنِّف حديث: «مولى القوم منهم» مع ذِكْره في التَّرجمة، فزَعَمَ بعضهم أنّه لم يقع له حديثٌ/ على شرطه، فأشارَ إليه. وفيه نظر، لأنَّه قد أورَدَه في الفرائض (٦٧٦١) من حديث أنس، ولفظه: «مولى القوم من أنفُسهم». ٦/٥٥٣

والمراد بالمولى هنا: المُعتَق ـ بفتح المثنّاة ـ أو الحَليف، وأمَّا المولى من أعلى، فلا يُراد هنا، وسيأتي في غزوة حُنَينٍ (٤٣٣١) بيان سبب حديث الباب.

ووَقَعَ في حديث أبي هريرة عند البزّار (٢١٩) مضمون التَّرجمة وزيادة عليها بلفظ: «مولى القوم منهم، وحَليف القوم منهم، وابنُ أُختِ القوم منهم».

١٤- باب قصّة الحبش، وقول النبيّ ﷺ: «يا بني أرْفِدَة»

٣٥٢٩- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيلٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ: أنَّ أبا بكرٍ ﷺ دَخَلَ عليها وعندَها جارِيَتان في أيامِ مِنًى تَغنِّيان وتُدَفِّفان وتَضرِبان، والنبيُّ ﷺ مُتَغشًّى بثوبِه، فانتَهَرَهما أبو بكرٍ، فكَشَفَ النبيُّ ﷺ عن وجهِه، فقال: «دَعْهما يا أبا بكرٍ، فإنَّها أيامُ عِيدٍ» وتِلْكَ الأيامُ أيامُ مِنًى.

---

(١) في «الأوسط» (٢٥٦٣)، و«الصغير» (٢١٦).

٣٥٣٠- وقالت عائشةُ: رأيتُ النبيَّ ﷺ يسترُني، وأنا أنظُرُ إلى الحَبَشةِ، وهم يَلْعَبونَ في المسجدِ، فزَجَرَهم[1]، فقال النبيُّ ﷺ: «دَعْهم، أمناً بني أرفِدةَ» يعني: مِن الأمن.

قوله: «**باب قصَّة الحَبَش، وقول النبي ﷺ: يا بني أرْفِدَة**» هو بفتح الهمزة وسكون الرّاء وكسر الفاء: اسم لجدٍّ لهم. وقيل: معنى أرفِدة: الأمَة، وقد تقدَّم شيء من ذلك في أبواب العيدين (٩٥٠).

والحَبَش: هم الحبشة، يقال: إنَّهم من ولد حَبَش بن كوش بن حام بن نوح، وهم مُجاوِرونَ لأهلِ اليمن، يَقطَع بينهم البحر، وقد غَلَبوا على اليمن قبل الإسلام ومَلَكوها، وغَزا أبرَهَةُ من ملوكهم الكعبةَ ومعه الفيل، وقد ذكر ابن إسحاق قِصَّته مُطوَّلةً، وأخرجها الحاكم (٢/ ٥٣٥)، ثمَّ البيهقي[2] من طريق قابوس بن أبي ظَبيانَ عن أبيه عن ابن عبَّاس مُلخَّصَة، وإلى هذا القَدر أشارَ المصنِّف بذِكْرهم في مُقدِّمة السِّيرة النَّبوية.

واستدَلَّ قوم من الصّوفية بحديث الباب على جواز الرَّقص وسماع آلات الملاهي، وطَعَنَ فيه الجمهور باختلاف القصدين، فإنَّ لَعِب الحبشة بحِرابهم كان للتَّمرين على الحرب، فلا يُحتَجّ به للرَّقصِ في اللهو، والله أعلم.

١٥- باب من أحبَّ أن لا يُسبَّ نَسبُه

٣٥٣١- حدَّثنا عُثمانُ بنُ أبي شَيْبةَ، حدَّثنا عبدةُ، عن هشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: استأْذَنَ حسَّانُ النبيَّ ﷺ في هِجاءِ المشْرِكِينَ، قال: «كيفَ بنَسَبي؟» فقال حسَّانُ: لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ مِن العَجِين.

وعن أبيه، قال: ذهبتُ أسُبُّ حسَّانَ عندَ عائشةَ، فقالت: لا تَسُبَّهُ، فإنَّه كان يُنافِحُ عن النبيِّ ﷺ.

[طرفاه في: ٤١٤٥، ٦١٥٠]

---

(١) انظر كلام الحافظ على فاعل «زجرهم» عند شرحه للحديث (٩٨٨).

(٢) في «دلائل النبوة» ١/ ١٢١-١٢٢.

قوله: «باب مَن أَحَبَّ أن لا يُسبَّ نَسَبُه» هو بضمِّ أَوَّل «يُسبّ»، والمراد بالنَّسَبِ: الأصل، وبالسَّبِّ: الشَّتم، والمراد: أن/ لا يُشتَم أهلُ نَسَبِه. ٥٥٤/٦

قوله: «حدَّثنا عبدَة» هو ابن سليمان، و«هشام» هو ابن عُرْوة.

قوله: «استَأذَنَ حسَّان بن ثابت» أي: ابن المنذِر بن حَرام بن عمرو الأنصاري الخَزرَجي، وسَبَب هذا الاستئذان مُبيَّن عند مسلم (٢٤٩٠) من طريق أبي سَلَمةَ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «اهْجُوا المشرِكينَ، فإنَّه أشدّ عليهم من رَشْق النَّبْل» فأرسَلَ إلى ابن رواحة، فقال: «اهجُهم» فهَجاهم، فلم يُرْضِ، فأرسَلَ إلى كعب بن مالك، ثمَّ أرسَلَ إلى حسَّان، فقال: «قد آنَ لكم أن تُرسِلوا إليَّ هذا الأسَد الضّارب بذَنَبِه». ثمَّ أدلَعَ لسانَه، فجَعَلَ يُحرِّكه، ثمَّ قال: والذي بَعَثَك بالحقِّ لأفرِيَنَّهم بلساني فَرْيَ الأديم، قال: «لا تَعْجَل».

وروى أحمد (١٥٧٩٦) من حديث كعب بن مالك، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «اهجوا المشرِكينَ بالشِّعرِ، فإنَّ المؤمن يُجاهد بنفسِه وماله، والذي نفس محمَّد بيدِه كأنَّما يَنضَحُونَهم بالنَّبْل».

وروى أحمد (١٨٣١٤)، والبزَّار (٢٠٩٧) من حديث عمَّار بن ياسر قال: لمَّا هَجانا المشرِكونَ، قال لنا رسول الله ﷺ: «قولوا لهم كما يقولون لكم».

قوله: «كيف بنَسَبي فيهم» أي: كيف تَهجو قريشاً مع اجتماعي معهم في نَسَب واحد؟ وفي هذا إشارة إلى أنَّ مُعظَم طرق الهَجْو الغَضُّ من الآباء[1].

قوله: «لَأسُلَّنك منهم» أي: لَأُخَلِّصَنَّ نَسَبك من نَسَبهم بحيثُ يَختَصّ الهَجوُ بهم دونك، وفي رواية أبي سَلَمةَ المذكور: فقال: «ائتِ أبا بكر، فإنَّه أعلم قريشٍ بأنسابها، حتَّى يُخلِّص[2] لك نَسَبي» فأتاه حسَّان، ثمَّ رَجَعَ فقال: لخَّص[3] لي نَسَبَك.

---

(١) في (أ) و(س): الغض بالآباء، وتصحف في (س) إلى: العض، والمثبت على الجادة من (ع).

(٢) كذا جاء في الأصلين و(س): يخلص، ومقتضى ما جاء من قول حسان بعد ذلك أن يكون اللفظ «يلخص» لا «يخلص» كما وقع في بعض نسخ مسلم، وهما متقاربان في المعنى، كما قال عياض في «المشارق» ١/ ٢٤٠.

(٣) في (س): مَحَّصَ، والمثبت من الأصلين هو الصواب في الرواية، وإن كان كلاهما صحيحاً في المعنى.

قوله: «كما تُسَلّ الشَّعرة من العَجين» أشارَ بذلك إلى أنَّ الشَّعرة إذا أُخرِجَت من العَجين لا يَتعلَّق بها منه شيء لنُعومَتِها، بخِلاف ما إذا سُلَّت من العَسَل مثلاً، فإنَّها قد يَعلَق بها منه شيءٌ، وأمَّا إذا سُلَّت من الخُبز، فإنَّها قد تَنقَطِع قبل أن تَخلُص.

قوله: «وعن أبيه» هو موصول بالإسناد المذكور إلى عُرْوة وليس بمُعلَّقٍ، وقد أخرجه المصنِّف في الأدب (٦١٥٠) عن محمَّد بن سَلَام عن عبْدة، بهذا الإسناد، فقال فيه: وعن هشام عن أبيه، فذكر الزّيادة. وكذلك أخرجه في «الأدب المفرَد» (٨٦٣).

قوله: «كان يُنافِح» بكسر الفاء بعدها مُهمَلة، ومعناهُ: يُدافع أو يُرامي، قال الكُشْمِيهني في رواية أبي ذرٍّ عنه: نَفَحَتِ الدّابَّةُ: إذا رَمَحَتْ بحَوافرها، ونَفَحَه بالسَّيفِ: إذا تَناوَلَه من بعيد. وأصل النَّفح ـ بالمهمَلة ـ: الضَّرب، وقيل للعطاءِ: نَفْح، كأنَّ المعطيَ يَضرِب السائل به، ووقَعَ في رواية أبي سَلَمةَ المذكورة[1]: قالت عائشة: فسمعتُ النبي ﷺ يقول لحسَّان: «إنَّ روح القُدُس لا يزال يُؤيِّدُك ما نافَحتَ عن الله ورسوله» قالت: وسمعته يقول: «هَجاهم حسَّان فشَفى واشتفى»، وقد تقدَّم في أوائل الصلاة (٤٥٣) ما يدلّ على أنَّ المراد بروحِ القُدُس جِبْريلُ عليه السلام، ويأتي الكلام على الشِّعر وأحكامه في كتاب الأدب[2] إن شاء الله تعالى.

١٦ - باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ،

وقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح:٢٩] وقولِه: ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

٦/٥٥٥ قوله: «باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ وقول الله عزَّ وجلَّ: «﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾» كأنَّه يشير إلى أنَّ هذَين الاسمَين أشهَر أسمائه، وأشهُرهما محمَّد، وقد تَكرَّرَ في القرآن، وأمَّا أحمد، فذُكِرَ فيه حكايةً عن قول عيسى عليه السلام، فأمَّا محمَّد، فمِن باب التَّفعيل للمُبالَغة، وأمَّا أحمد فمِن باب التَّفضيل،

---

(١) عند مسلم (٢٤٩٠).

(٢) انظر الأبواب (٩٠) و(٩١) و(٩٢) من كتاب الأدب.

وقيل: سُمّي أحمدَ لأنَّه عَلَمٌ منقول من صفة، وهي أَفْعَل التَّفضيل، ومعناه: أحمد الحامدينَ، وسَبَب ذلك ما ثَبَتَ في «الصَّحيح»[١] أنَّه يُفتَح عليه في المقام المحمود بمَحامد لم يُفتَح بها على أحد قبله، وقيل: الأنبياء حَمَّادُونَ، وهو أحمدُهم، أي: أكثرهم حَمداً، أو أعظَمهم في صفة الحمد. وأمَّا محمَّد: فهو منقول من صفة الحمد أيضاً، وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالَغة، وقد أخرج المصنِّف في «التاريخ الصَّغير»[٢] من طريق عليّ بن زيد، قال: كان أبو طالب[٣] يقول:

وشَقَّ لـه مِـنِ اسـمِه ليُجِلَّـه فـذُو العَـرشِ محمـودٌ وهـذا محمَّـدُ

والمحمَّد الذي حُمِدَ مرَّة بعد مرَّة، كالمُمَدَّح، قال الأعشى:

إليـك أَبَيْـتَ اللَّعْـنَ كـان وجيفُهـا[٤] إلى الماجِـد القَـرْم[٥] الجـوادِ المحمَّـدِ

أي: الذي حُمِدَ مرَّة بعد مرَّة، أو الذي تكامَلَت فيه الخِصال المحمودة.

قال عياض: كان رسول الله ﷺ أحمدَ قبل أن يكون محمَّداً، كما وقَعَ في الوجود، لأنَّ تسميته أحمد وَقَعَت في الكتب السّالفة، وتسميتهُ محمَّداً وَقَعَت في القرآن العظيم، وذلك أنَّه حَمِدَ ربّه قبل أن يَحمَدَه الناسُ، وكذلك في الآخرة يَحمَدُ ربّه فيُشَفِّعُه، فيَحمَدُه الناس. وقد خُصَّ بسورة الحمد، وبلِواءِ الحمد، وبالمقام المحمود، وشُرِعَ له الحمدُ بعد الأكل، وبعد الشُّرب، وبعد الدُّعاء، وبعد القُدوم من السَّفَر، وسُمّيت أُمَّتُه الحَمَّادِينَ، فجُمِعَت له معاني الحمد وأنواعه ﷺ.

---

(١) في حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة ﷺ، وسيأتي في التفسير برقم (٤٧١٢). وانظر أيضاً حديث أنس في التفسير (٤٤٧٦).

(٢) وهو في «التاريخ الأوسط» (٢٩).

(٣) هذا البيت نسبَه القسطلّاني في «المواهب اللدنيّة»، وعبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب» ١/ ٢٢٥ لحسان بن ثابت ضمن أبيات، وقال الأخير: إنها في رواية أبي سعيد السكري لديوان حسان. قلنا: ومن خلال سياق هذه الأبيات يظهر واضحاً معاني التوحيد، مما يؤكد أنه لحسان بن ثابت، والله أعلم.

(٤) الوجيف: ضربٌ من سير الإبل والخيل. انظر «الصحاح» باب (وجف).

(٥) القَرْم من الرجال: السيّد المعظّم. انظر «لسان العرب» مادة (قرم).

٣٥٣٢- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذِرِ، قال: حدَّثنا مَعْنٌ، عن مالكٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن محمَّدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لي خمسةُ أسماءٍ: أنا محمَّدٌ وأحمدُ، وأنا الماحي الذي يَمْحو اللهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمِي، وأنا العاقِبُ».

[طرفه في: ٤٨٩٦]

٣٥٣٣- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا تَعْجَبون كيفَ يَصْرِفُ اللهُ عنِّي شَتْمَ قريشٍ، ولَعْنَهم؟ يَشْتِمونَ مُذَمَّماً، ويَلْعَنونَ مُذَمَّماً، وأنا محمَّدٌ».

وذكر فيه حديثين:

أحدهما: **قوله: «عن محمَّد بن جُبَير بن مُطْعِم عن أبيه»** كذا وقَعَ موصولاً عن مَعْن بن عيسى عن مالك، وقال الأكثر: عن مالك عن الزُّهْري عن محمَّد بن جُبَير، مُرسلاً. ووافَقَ مَعْناً على وصله عن مالك: جُوَيرِيةُ بن أسماء عند الإسماعيلي. ومحمَّد بن المبارَك وعبد الله ابن نافع عند أبي عَوانة[1]. وأخرجه الدّارَقُطني في «الغرائب» عن آخرينَ عن مالك، وقال: إنَّ أكثر أصحاب مالك أرسَلُوه.

قلت: وهو معروفُ الاتِّصالِ عن غير مالك، وصَلَه يونسُ بن يزيد وعُقيلٌ ومَعمَرٌ، وحديثهم عند مسلم (٢٣٥٤/ ١٢٥)، وشعيبٌ، وحديثه عند المصنِّف (٤٨٩٦) في التَّفسير، وابنُ عُيَينةَ عند مسلم أيضاً (٢٣٥٤/ ١٢٤)، والتِّرمِذي (٢٨٤٠)، كلّهم عن الزُّهْري.

ورواه عن جُبَير بن مُطعِم أيضاً ولدُه الآخرُ نافعٌ، وفي حديثه زيادة، عند المصنِّف في «التاريخ»[2]، وأخرجه أحمد (١٦٧٤٨) وابن سعد (١/ ١٠٤ و١٠٥)، وصحَّحه الحاكم (٢/ ٦٠٤).

---

(١) في المناقب كما في «إتحاف المهرة» (٣٩٠٧).

(٢) «الأوسط» (٢٢).

وفي الباب عن أبي موسى الأشعَري عند مسلم (٢٣٥٥)، والمصنِّف في «التاريخ»[(١)]، وعن حُذَيفة عند المصنِّف في «التاريخ»[(٢)]، والتِّرمذي[(٣)] وابن سعد (١/ ١٠٤)، وعن ابن عبَّاس (٧/ ٦٤) وأبي الطُّفَيل (٣/ ٤٣٦) عند ابن عَدي، ومن مُرسَل مجاهد عند ابن سعد (١/ ١٠٥)، وسأذكُرُ ما في رواياتهم من زيادةٍ فائدةٍ.

قوله: «عن محمَّد بن جُبَير» في رواية شعيب المذكورة عن الزُّهْري: أخبرني محمَّد بن جُبَير.

قوله: «لي خمسَة أسماء» في رواية نافع بن جُبَير عند ابن سعد (١/ ١٠٥): أنَّه دَخَلَ على عبد الملك بن مَروان، فقال له: أتُحصي أسماء رسول الله ﷺ التي كان جُبَير بن مُطعِمٍ يَعُدُّها؟ قال: نعم، هي ستّ، فذكر الخمسة/ التي ذكرها محمَّد بن جُبَير، وزادَ: الخاتم، ٥٥٦/٦ لكن روى البيهقي في «الدَّلائل» (١/ ١٥٤) من طريق ابن أبي حفصة عن الزُّهْري في حديث محمَّد بن جُبَير بن مُطعِم: «وأنا العاقب» قال: يعني: الخاتم، وفي حديث حُذَيفة[(٤)]: «أحمد ومحمَّد والحاشر والمقفِّي ونبي الرَّحمة»، وكذا في حديث أبي موسى[(٥)]، إلَّا أنَّه لم يَذكُر «الحاشر».

وزَعَمَ بعضهم أنَّ العَدَد ليس من قول النبي ﷺ، وإنَّما ذكره الراوي بالمعنى. وفيه نظر، لتصريحِهِ في الحديث بقوله: «إنَّ لي خمسةَ أسماء»، والذي يَظهَر أنَّه أراد أنَّ لي خمسة أسماء أختَصُّ بها، لم يُسَمَّ بها أحدٌ قبلي، أو مُعَظَّمة أو مشهورة في الأُمَم الماضية، لا أنَّه أراد الحَصْر فيها.

قال عياض: حَمى اللهُ هذه الأسماءَ أن يُسَمّى بها أحدٌ قبله، وإنَّما تَسَمّى بعضُ العرب محمَّداً قُرْبَ ميلاده لمّا سمعوا من الكُهّان والأحبار: أنَّ نبيّاً سَيُبعَثُ في ذلك الزَّمان يُسَمّى

---

(١) «الأوسط» (٢٤).

(٢) «الأوسط» (٢٣).

(٣) في «الشمائل» (٣٦٠).

(٤) خرَّجه الحافظ قريباً.

(٥) خرَّجه الحافظ قريباً أيضاً.

محمَّداً، فرَجَوا أن يكونوا هم، فسَمَّوا أبناءَهم بذلك، قال: وهم سِتَّة لا سابعَ لهم. كذا قال.

وقال السُّهَيلي في «الرَّوض»: لا يُعرَف في العرب مَن تَسَمّى محمَّداً قبل النبي ﷺ إلّا ثلاثة: محمَّد بن سفيان بن مُجاشِع، ومحمَّد بن أُحَيْحَة بن الجُلَاح، ومحمَّد بن حُمْران بن ربيعة. وسَبَقَ السُّهَيليَّ إلى هذا القول أبو عبد الله بن خالويه في كتاب «ليس».

وهو حَصر مردودٌ، وقد جمعتُ أسماء مَن تَسَمّى بذلك في جُزء مُفرَد فبلَغوا نحو العشرينَ، لكن مع تَكَرُّرٍ في بعضهم ووَهْم في بعض، فتخلَّص[1] منهم خمسة عشر نفساً.

وأشهَرهم: محمَّد بن عَدي بن ربيعة بن سَواءَة بن جُشَم بن سعد بن زيد مَناة بن تَميم التَّميميُّ السَّعدي، روى حديثه البَغَوي وابن سعد وابن شاهين وابن السَّكَن وغيرهم، من طريق العلاء بن الفضل عن أبيه عن جَدّه عبد الملك بن أبي سَوِيَّة عن أبيه أبي سَوية عن أبيه خليفة بن عبْدة الـمِنقَري، قال: سألت محمَّد بن عَدي بن ربيعة: كيف سَمّاك أبوك في الجاهلية محمَّداً؟ قال: سألت أبي عمّا سألتَني، فقال: خَرَجتُ رابعَ أربعةٍ من بني تَميم: أنا أحدهم، وسفيان بن مُجاشع، ويزيد بن عَمْرو بن ربيعة، وأُسامة بن مالك بن حبيب بن العَنبَر نُريد ابن جَفْنة الغَسّاني بالشّام، فنزلنا على غَدير عند دَيْر، فأشرَفَ علينا الدَّيْراني، فقال لنا: إنَّه يُبعَث منكم وشيكاً نبيٌّ فسارعوا إليه، فقلنا: ما اسمه؟ قال: محمَّد. فلمَّا انصَرَفنا وُلِدَ لكلٍّ مِنّا ولد، فسَمّاه محمَّداً لذلك. انتهى.

وقال ابن سعد (١/ ١٦٩): أخبرنا عليّ بن محمَّد عن مَسلَمة بن مُحارب[2] عن قَتَادة بن السَّكَن، قال: كان في بني تَميم محمَّد بن سفيان بن مُجاشع، قيل لأبيه: إنَّه سَيكون نبيٌّ في العرب اسمه محمَّد، فسَمّى ابنه محمَّداً.

فهؤلاءِ أربعة ليس في السّياق ما يُشعِر بأنَّ فيهم مَن له صُحْبة إلّا محمَّد بن عَدي، وقد

---

(١) في (س): فيتلخَّص.

(٢) كذا قال الحافظ رحمه الله: مسلمة بن محارب، والذي في مطبوع «الطبقات»: مسلمة بن علقمة، وعلي بن محمد ـ وهو أبو الحسن المدائني ـ يروي عن كليهما عند ابن سعد، فالله تعالى أعلم.

قال ابن سعد لمَّا ذكره في الصَّحابة: عِداده في أهل الكوفة.

وذكر عبْدان المروَزي: أنَّ محمَّد بن أُحَيحة بن الجُلَاح أوَّل مَن تَسَمَّى في الجاهلية محمَّداً. وكأنَّه تَلَقَّى ذلك من قصَّة تُبَّعٍ لمَّا حاصَرَ المدينة، وخَرَجَ إليه أُحَيحَةُ المذكور هو والحَبْر الذي كان عندهم بيثرِبَ، فأخبر الحَبْر أنَّ هذا بَلَد نبيٍّ يُبعَثُ، يُسَمَّى محمَّداً، فسَمّى ابنَه محمَّداً.

وذكر البَلاذُري منهم محمَّدَ بن عُقْبة بن أُحَيحة، فلا أدري أهما واحد نُسِبَ مرَّة إلى جَدّه، أم هما اثنان؟

ومنهم محمَّد بن البراء البكري، ذكره ابن حبيب، وضَبَطَ البَلاذُري أباه، فقال: محمَّد ابن بَرّ ـ بتشديد الرّاء ليس بعدها أَلِف ـ ابن طَرِيف بن عُتْوارَة بن عامر بن ليث بن بكر ابن عبد مَناة بن كِنانة، ولهذا نَسَبوه أيضاً العُتواري.

وغَفَلَ ابن دِحية، فعَدَّ فيهم محمَّد بن عُتوارة، وهو هو نُسِبَ لجدِّه الأعلى.

ومنهم محمَّد بن اليُحْمِد الأزدي، ذكره المَفَجَّع البصري في كتاب «المنقذ».

ومحمَّد بن خَوْلي الهَمداني، وذكره ابن دُرَيد.

ومنهم محمَّد بن حِرْماز بن مالك اليَعمري، ذكره أبو موسى في «الذَّيل».

ومنهم محمَّد بن حُمران بن أبي حُمران ـ واسمه ـ ربيعة[1] بن مالك الجُعْفي، المعروف بالشُّوَيعِر، ذكره المرزُباني، فقال: هو أحد مَن سُمِّي محمَّداً في الجاهلية، وله قصَّة مع امرِئِ القيس.

ومنهم محمَّد بن خُزاعيّ بن عَلقَمة بن حِزابة[2] السُّلَمي من بني ذَكْوانَ، ذكره ابن سعد

---

(١) كذا قال الحافظ رحمه الله تعالى بأنَّ اسمه ربيعة، ومن قبله السُّهيلي في «الروض الأنف» ١/ ٢٧٦، وغيرهما، والمعروف في كتب الأنساب أنَّ أبا حمران هذا اسمه الحارث بن معاوية بن الحارث. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤١٠ في نسب بني جُعفي بن سَعْد، و«الإكمال» لابن ماكولا في باب الشّاجي والسّاجي.

(٢) المثبت من (أ) هكذا، يعني بالحاء المهملة والزاي المعجمة، بعدها ألف، ثم موحدة، بعدها التاء المربوطة، وهو يوافق ما جاء في مطبوع «الطبقات الكبرى» ١/ ١٦٩، ومطبوع «المنمق في أخبار قريش» لمحمد =

٥٥٧/٦ (١/ ١٦٩) عن عليّ بن محمَّد عن سَلَمَةَ بن الفضل عن/ محمَّد بن إسحاق قال: سُمّي محمَّدَ ابن خُزاعيّ طَمعاً في النبوَّة.

وذكر الطَّبَري: أنَّ أبرَهَة الحَبَشيّ تَوَّجَهُ، وأمَرَه أن يَغزُوَ بني كِنانة، فقَتَلوه، فكان ذلك من أسباب قصَّة الفيل. وذكره محمَّد بن أحمد بن سليمان الهَرَوي في كتاب «الدَّلائل» فيمَن تَسَمّى محمَّداً في الجاهلية. وذكر ابنُ سعد لأخيه قيس بن خُزاعِيّ يَذكُره[1] من أبياتٍ يقول فيها:

فــذَلِكمُ ذو التــاج مِنّــا محمَّــدٌ ورايتُــه في حَومــةِ المــوت تَخفِــقُ

ومنهم محمَّد بن عَمْرو بن مُغْفِل ـ بضمِّ أوَّله وسكون المعجَمة وكسر الفاء ثمَّ لام ـ وهو والد هُبَيب ـ بموحَّدتَين، مُصغَّر ـ وهو على شرط المذكورينَ، فإنَّ لولدِه صُحْبة، وماتَ هو في الجاهلية.

ومنهم محمَّد بن الحارث بن حُدَيج بن حوَيص، ذكره أبو حاتم السِّجِستاني في «كتاب المعمَّرينَ»، وذكر له قصَّة مع عَمْرو، وقال: إنَّه أحد مَن سُمّي في الجاهلية محمَّداً.

ومنهم محمَّد الفُقَيمي، ومحمَّد الأُسَيِّدي، ذكرهما ابن سعد، ولم يَنسُبهما بأكثرَ من ذلك.

فعُرِفَ بهذا وجه الردّ على الحَصْر الذي ذكره السُّهَيلي، وكذا الذي ذكره القاضي عياض، وعَجَبٌ من السُّهَيلي كيف لم يَقِف على ما ذكره عياض، مع كَونه كان قبله؟ وقد تَحرَّرَ لنا من أسمائِهم قَدْرُ الذي ذكره القاضي مرَّتَين بل ثلاث مرات، فإنَّه ذكر في السِّتَّة الذينَ جَزَمَ بهم محمَّد بن مَسلَمة، وهو غَلَط، فإنَّه وُلِدَ بعد ميلاد النبي ﷺ بمُدَّةٍ، ففَضَلَ له خمسة، وقد خَلَصَ لنا خمسة عشر، والله المستعان.

= ابن حبيب البغدادي ص٧٢، ومطبوع «معجم الشعراء» للمرزباني، في ترجمة عمير بن الحباب بن جعدة ابن إياس بن حزابة. وفي (س): حرابة، بالراء المهملة، ونظنه تصحيفاً، والله أعلم.

(١) يعني يذكر أخاه محمد بن خزاعي.

قوله: «**وأنا الماحي الذي يَمْحو اللهُ بي الكُفْرَ**» قيل: المراد إزالة ذلك من جَزيرة العرب. وفيه نظرٌ، لأنَّه وقَعَ في رواية عَقيل ومَعمَر[1]: «يَمحو اللهُ بي الكَفَرةَ».

ويُجاب: بأنَّ المراد إزالة الكفر بإزالة أهله، وإنَّما قُيِّدَ بجَزيرة العرب لأنَّ الكفر ما انمَحَى من جميع البلاد، وقيل: إنَّه محمول على الأغلَب، أو أنَّه يَمَّحِي بسَبَبِه أوّلاً فأوّلاً، إلى أن يَضمَحِلَّ في زمن عيسى ابن مريم، فإنَّه يَرفَع الجِزية، ولا يقبل إلّا الإسلام.

وتُعقِّبَ: بأنَّ الساعة لا تقوم إلّا على شِرار الناس.

ويُجاب: بجواز أن يَرتَدَّ بعضهم بعد موت عيسى، وتُرسَل الرّيحُ، فتَقبِضُ روحَ كلِّ مُؤمِنٍ ومُؤمِنةٍ، فحينئذٍ فلا يبقى إلّا الشِّرار.

وفي رواية نافع بن جُبَير[2]: وأما[3] الماحي، فإنَّ الله يَمحُو به سَيِّئات مَن اتَّبعَه؛ وهذا يُشبِه أن يكون من قول الراوي.

قوله: «**وأنا الحاشر الذي يُحْشَر الناس على قَدَمِي**» أي: على أثري، أي: أنَّه يُحشَر قبلَ الناس، وهو موافق لقوله في الرِّواية الأُخرى: «يُحشَر الناس على عَقِبي»[4] ويَحتَمِل أن يكون المراد بالقَدَمِ: الزَّمان، أي: وقت قيامي على قَدَمِي بظُهورِ علامات الحَشر، إشارةً إلى أنَّه ليس بعده نبيٌّ ولا شَريعةٌ.

واستُشكِلَ التَّفسير بأنَّه يقتضي[5] بأنَّه مَحشور، فكيف يُفَسَّر به حاشرٌ، وهو اسم فاعل، وأُجيبَ بأنَّ إسنادَ الفعل إلى الفاعل إضافةٌ، والإضافةُ تَصِحُّ بأدنى مُلابَسة، فلمَّا كان لا أمَّةَ بعد أمَّته، لأنَّه لا نبيَّ بعده، نُسِبَ الحَشرُ إليه، لأنَّه يقع عَقِبه.

---

(١) عند مسلم (٢٣٥٤) (١٢٥).

(٢) عند البخاري في «التاريخ الأوسط» (٢٢)، وعند ابن سعد ١/ ١٠٥.

(٣) تحرف في الأصلين و(س) إلى: «وأنا»، على صيغة المتكلم، فصار كأنه مرفوع، وليست الرواية كذلك، ويؤيد ذلك قوله: «يمحو به»، فإنه جاء بضمير الغائب، وسيأتي في كلام الحافظ عند شرح قوله: «العاقب» ما يدل على ذلك في رواية نافع.

(٤) هذه الرواية عند مسلم (٢٣٥٤) (١٢٤).

(٥) في (س): يقضي.

ويحتمل أن يكون معناه: أنَّه أوَّل مَن يُحشَر كما جاء في الحديث الآخر: «أنا أوَّل مَن تَنشَقّ عنه الأرضُ»[1]، وقيل: معنى القَدَم: السَّبَب، وقيل: المراد على مُشاهَدَتي قائماً لله شاهداً على الأُمَم.

ووقَعَ في رواية نافع بن جُبَير[2]: «وأما[3] حاشرٌ فبُعِثَ[4] مع السّاعة» وهو يُرجِّح الأوَّل.

تنبيه: قوله: «على عَقِبي»[5]: بكسر الموحَّدة مُخفَّفاً على الإفراد، ولبعضِهم: بالتَّشديد على التَّثنية، والموحَّدة مفتوحة.

قوله: «وأنا العاقب» زاد يونس بن يزيد في روايته عن الزُّهْري[6]: «الذي ليس بعده أحدٌ[7]، وقد سَمّاه الله رَؤوفاً رَحيماً»، قال البيهقي في «الدَّلائل» (١/ ١٥٤): قوله: «وقد سَمّاه الله...» إلى آخره، مُدرَجٌ من قول الزُّهْري. قلت: وهو كذلك، وكأنَّه أشارَ إلى ما في آخر سورة براءَة.

وأمَّا قوله: «الذي ليس بعده نبي» فظاهره الإدراج أيضاً، لكن وَقَعَ في رواية سفيان بن عُيَينَةَ عند التِّرمِذي[8] (٢٨٤٠) وغيره بلفظ: «الذي ليس بعده[9] نبيّ»، ووقَعَ في رواية نافع بن جُبَير: فإنه عَقِبَ الأنبياء، وهو مُحتمِلٌ للرفع والوقف.

---

(١) سلف عند البخاري برقم (٢٤١٢).

(٢) عند البخاري في «الأوسط» (٢٢)، وعند ابن سعد ١/ ١٠٥.

(٣) تحرف في الأصلين و(س) إلى: «وأنا»، على صيغة المتكلم، فصار كأنه مرفوع، وليست الرواية كذلك، كما يوضحه كلامُ الحافظ قريباً عند شرح قوله: «العاقب».

(٤) تحرف في الأصلين و(س) إلى: «بعثت»، على صيغة المتكلم، كالحال في التعليق الذي قبله.

(٥) يعني في رواية مسلم (٢٣٥٤) (١٢٤).

(٦) عند مسلم (٢٣٥٤) (١٢٥).

(٧) كذا في الأصلين، موافقاً ما جاء في رواية يونس عند مسلم وغيره، ووقع في (س): نبي، وهو يوافق رواية يونس عند ابن حبان (٦٣١٣)! والظاهر أنه خطأ في رواية يونس عن الزهري، والله أعلم.

(٨) فات الحافظ رحمه الله أن يخرجه من مسلم، وهو فيه برقم (٢٣٥٤) (١٢٤).

(٩) تحرف في (أ) و(س) إلى: «بعدي»، وقول الحافظ بأنه محتمل للرفع والوقف، يعارضه، فالصحيح أنه بصيغة الغائب، كما جاء في (ع). وعليه فما وقع في مطبوع الترمذي خطأ، وقد صوبناه في طبعتنا برقم (٣٠٥٢).

وممَّا وقَعَ من أسمائه في القرآن بالاتِّفاق: الشّاهد، المبَشِّر، النَّذير، المبين، الدّاعي إلى الله، السِّراج المنير، وفيه أيضاً:/ المذَكِّر، والرَّحمة، والنِّعمة، والهادي، والشَّهيد، والأمين، والمزَّمِّل، ٥٥٨/٦ والمدَّثِّر، وتقدَّم في حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص (٢١٢٥): المتوكِّل، ومن أسمائه المشهورة: المختار، والمصطَفى، والشَّفيع المشَفَّع، والصّادِق المصدوق، وغير ذلك.

قال ابن دِحية في تَصنيفٍ له مُفرَدٍ في الأسماء النَّبويّة[1]: قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عَدَد أسماء الله الحُسنى، تِسعة وتِسعونَ اسماً، قال: ولو بَحَثَ عنها باحث لَبَلَغَت ثلاث مئة اسمٍ، وذكر في تَصنيفه المذكور أماكنها من القرآن والأخبار، وضَبَطَ ألفاظها وشَرَحَ مَعانيها، واستَطرَدَ كَعادَتِه إلى فوائد كثيرة، وغالبُ الأسماء التي ذكرها وُصِفَ بها النبي ﷺ، ولم يَرِدِ الكثيرُ منها على سبيل التَّسمية، مِثلُ عَدّه اللَّبِنة - بفتح اللّام وكسر الموحَّدة ثمَّ النُّون - في أسمائه، للحديث المذكور في الباب بعده في القصر الذي من ذهب وفِضَّة إلّا موضع لَبِنة، قال: «فكنت أنا اللَّبِنة»، كذا وَقَعَ في حديث أبي هريرة، وفي حديث جابر: «موضع اللَّبِنة»، وهو المراد.

ونَقَلَ ابن العربي في «شرح التِّرمذي» عن بعض الصّوفيَّة: أنَّ لله ألفَ اسم، ولرسولِه ألفَ اسم.

وقيل: الحكمة في الاقتِصار على الخمسة المذكورة في هذا الحديث: أنَّها أشهَر من غيرها موجودة في الكتب القديمة، وبين الأُمَم السالفة.

الحديث الثاني: قوله: «سُفْيان» هو ابن عُيَينَةَ.

قوله: «عن أبي الزِّناد» في رواية[2]: حدَّثنا أبو الزِّناد.

قوله: «ألا تَعْجَبونَ» في رواية عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه عند المصنِّف في «التاريخ»[3]:

---

(١) اسمه: «المستوفى في أسماء المصطفى».

(٢) عند البيهقي في «الدلائل» ١/ ١٥٢.

(٣) «الأوسط» (٢٨).

«يا عِباد الله انظُروا»، وله (٢٦) من طريق محمَّد بن عَجْلان عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ: «ألم تَروا كيف» والباقي سواء.

قوله: «يَشْتِمونَ مُذَمَّماً» كان الكفّار من قريش من شِدَّة كَراهَتهم في النبي ﷺ لا يُسَمّونَه باسمِه الدّالّ على المدح، فيَعدِلونَ إلى ضِدّه، فيقولون: مُذَمَّم، وإذا ذَكَروه بسوءٍ قالوا: فعلَ الله بمُذَمَّمٍ، ومُذَمَّم ليس هو اسمَه، ولا يُعرَف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره.

قال ابن التِّين: استَدَلَّ بهذا الحديث مَن أسقطَ حَدّ القَذف بالتَّعريضِ، وهم الأكثر خِلافاً لمالكٍ، وأجابَ بأنَّه لم يقع في الحديث أنَّه لا شيء عليهم في ذلك، بل الواقع أنَّهم عُوقِبوا على ذلك بالقتل وغيره. انتهى.

والتَّحقيق أنَّه لا حُجَّة في ذلك إثباتاً ولا نفياً، والله أعلم.

واستَنبَطَ منه النَّسائيُّ أنَّ مَن تَكلَّمَ بكلامٍ مُنافٍ لمعنى الطَّلاقِ ومُطلَقِ الفُرقة، وقَصَدَ به الطَّلاقَ لا يقع، كمَن قال لزوجَتِه: كُلي وقَصَدَ الطَّلاق فإنَّها لا تَطلُق، لأنَّ الأكل لا يَصلُح أن يُفَسَّر به الطَّلاق بوجهٍ من الوجوه، كما أنَّ مُذَمَّماً لا يُمكِن أن يُفَسَّر بمحمد عليه وآله أفضل الصلاة والسَّلام بوجهٍ من الوجوه.

١٧- باب خاتِمِ النبيّين ﷺ

٣٥٣٤- حدَّثنا محمَّدُ بنُ سِنانٍ، حدَّثنا سَليمُ بن حَيّانَ، حدَّثنا سعيدُ بنُ مِيناءَ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما، قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَثَلي ومَثَلُ الأنبياءِ كَرجلٍ بَنَى داراً، فأكمَلَها وأحسنَها، إلّا موضعَ لَبِنةٍ، فجَعَلَ الناسُ يَدخُلونَها ويَتَعجَّبونَ، ويقولون: لولا موضعُ اللَّبِنة».

٣٥٣٥- حدَّثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن عبدِ الله بنِ دِينارٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياءِ مِن قبلي كمَثَلِ رجُلٍ بَنَى بَيتاً، فأحسنَهُ وأجمَلَه، إلّا موضعَ لَبِنةٍ من زاوِيةٍ، فجَعَلَ الناسُ يَطوفونَ به ويَعْجَبونَ له، ويقولون: هَلّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنةُ؟» قال: «فأنا اللَّبِنةُ، وأنا خاتِمُ النبيِّينَ».

٥٥٩/٦ قوله: «باب خاتِم النبيينَ» أي: أنَّ المراد بالخاتِمِ في أسمائه: أنَّه خاتِم النَّبيِّين، ولَـمَّحَ بما وَقَعَ في القرآن[1]، وأشارَ إلى ما أخرجه في «التاريخ»[2] من حديث العِرباض بن سارية رَفَعَه: «إنِّي عبد الله وخاتِم النَّبيِّين، وإنَّ آدم لَـمُنْجَدِلٌ في طِينَته» الحديث، وأخرجه أيضاً أحمد (١٧١٥٠) وصَحَّحه ابن حِبّان (٦٤٠٤) والحاكم (٢/ ٤١٨).

وأورَدَ فيه حديثَي أبي هريرة وجابر، ومعناهما واحد، وسياق أبي هريرة أتـمّ، ووقَعَ في آخر حديث جابر عند الإسماعيلي[3] من طريق عَفّان عن سَلِيم بن حَيّان: «فأنا موضع اللَّبِنة، جِئتُ فختَمتُ الأنبياء».

قوله: «مَثَلي ومَثَل الأنبياء كَرجلٍ بنى داراً» قيل: المشَبَّه به واحد، والمشَبَّه جماعة، فكيف صَحَّ التَّشبيه؟ وجوابه: أنَّه جَعَلَ الأنبياء كَرجلٍ واحد، لأنَّه لا يَتِمّ ما أراد من التَّشبيه إلّا باعتبار الكلّ، وكذلك الدّار لا تَتِمّ إلّا باجتماع البُنيان، ويحتمل أن يكون من التَّشبيه التَّمثيلي، وهو أن يُؤخذ وصف من أوصاف المشَبَّه، ويُشَبَّه بمِثلِه من أحوال المشَبَّه به، فكأنَّه شَبَّهَ الأنبياء وما بُعِثوا به من إرشاد الناس ببيتٍ أُسِّسَت قواعدُه ورُفِعَ بُنيانُه، وبَقي منه موضعٌ به يَتِمّ صلاحُ ذلك البيت.

وزَعَمَ ابن العربي: أنَّ اللَّبِنة المشار إليها كانت في أساس الدّار المذكورة، وأنَّها لولا وَضْعُها لانقَضَّت تلكَ الدّار، قال: وبهذا يَتِمّ المراد من التَّشبيه المذكور. انتهى.

وهذا إن كان منقولاً فهو حسن، وإلّا فليس بلازمٍ، نعم ظاهر السّياق أن تكون اللَّبِنة في مكان يَظهَر عَدَم الكمال في الدّار بفَقدِها، وقد وقَعَ في رواية همَّام عند مسلم (٢٢٨٦/ ٢١): «إلّا موضع لَبِنةٍ مِن زاويةٍ من زَواياها»[4]، فيَظهَر أنَّ المراد أنَّها مُكَمِّلة مُحَسِّنة، وإلّا لاستَلزَمَ أن يكونَ الأمرُ بدونِها كان ناقصاً، وليس كذلك، فإنَّ شَريعةَ كلّ نبيّ بالنِّسبة إليه كاملةٌ، فالمراد هنا: النَّظَر

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

(٢) «الأوسط» (٣٥).

(٣) وهو عند مسلم أيضاً من هذا الطريق وبهذا اللفظ برقم (٢٢٨٧).

(٤) وهي أيضاً في رواية أبي هريرة هنا.

إلى الأكمَل بالنِّسبة إلى الشَّريعة المحمَّدية مع ما مضى من الشَّرائع الكاملة.

قوله: «لولا موضع اللَّبِنة» بفتح اللّام وكسر الموحَّدة بعدها نون، وبكسر اللّام وسكون الموحَّدة أيضاً: هي القِطعة من الطّين، تُعجَن وتُجبَل، وتُعَدّ للبناءِ، ويقال لها ما لم تُحرَق: لَبِنة، فإذا أُحرِقَت فهي آجُرَّة.

وقوله: «موضع اللَّبِنة» بالرفع على أنَّه مُبتَدَأ وخبره محذوف، أي: لولا موضع اللَّبِنة يُوهِم النَّقص، لكان بناء الدّار كاملاً، ويحتمل أن تكون «لولا» تحضيضية، وفعلها محذوف، تقديره: لولا أُكمِلَ موضع اللَّبِنة. ووقَعَ في رواية همَّام عند أحمد (٨١١٦)[1]: «ألا وضَعْتَ هاهنا لَبِنة، فيَتِمَّ بُنيانُكَ».

وفي الحديث ضرب الأمثال للتَّقريبِ للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيّينَ، وأنَّ الله خَتَمَ به المرسَلينَ، وأكمَلَ به شَرائعَ الدّين.

١٨- باب وفاةِ النبيِّ ﷺ

٣٥٣٦- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيلٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُرْوةَ ابنِ الزُّبَيرِ، عن عائشةَ رَضِيَ الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ توفِّيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّينَ.

وقال ابنُ شِهابٍ: وأخبَرَني سعيدُ بنُ المسيّبِ مِثلَه.

[طرفه في: ٤٤٦٦]

قوله: «باب وفاة النبي ﷺ» كذا وَقَعَت هذه التَّرجمة عند أبي ذرٍّ، وسقطت من رواية النَّسَفي، ولم يَذكُرها الإسماعيلي، وفي ثُبوتها هنا نظر، فإنَّ محَلَّها في آخر المغازي كما سيأتي[2]. والذي يَظهَر أنَّ المصنِّف قَصَدَ بإيرادِ حديث عائشة هنا بيانَ مِقدار عُمر النبيِّ ﷺ فقط، لا خُصوصِ زمن وفاته، وأورَدَه في الأسماء إشارة إلى أنَّ من جُملة صفاته عند أهل الكتاب أنَّ مُدَّة عمره القَدْر الذي عاشَه، وسيأتي نقل الخِلاف في مِقداره في آخر المغازي إن شاء الله تعالى.

---

(١) وهو أيضاً في «صحيح مسلم» برقم (٢٢٨٦) (٢١).

(٢) الباب رقم (٨٥)، الأحاديث (٤٤٦٤-٤٤٦٦).

قوله: «قال ابن شِهاب: وأخبَرَني سعيد بن المسيّب مِثلَه» أي: مِثل ما أخبر عُرْوة عن عائشة، وقول ابن شِهابٍ موصولٌ بالإسناد المذكور، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق موسى بن عُقْبة عن ابن شِهاب بالإسنادين معاً مُفرَّقاً. ٥٦٠/٦

وهو من مُرسَل سعيد بن المسيّبِ، ويحتَمل أن يكون سعيدٌ أيضاً سمعَه من عائشة رضي الله عنها.

١٩ - باب كُنيةِ النبيِّ ﷺ

٣٥٣٧- حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ، حدَّثنا شُعبةُ، عن حُميدٍ، عن أنسٍ ﷺ، قال: كان النبيُّ ﷺ في السُّوقِ، فقال رجلٌ: يا أبا القاسمِ، فالتفَتَ النبيُّ ﷺ، فقال: «سَمُّوا باسمي، ولا تَكْتَنُوا بكُنْيتي».

٣٥٣٨- حدَّثنا محمَّدُ بنُ كَثير، أخبرنا شُعبةُ، عن منصورٍ، عن سالمٍ، عن جابرٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «تَسَمَّوا باسمي، ولا تَكْتَنُوا بكُنيَتي».

٣٥٣٩- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، عن أيوبَ، عن ابنِ سِيرِينَ، قال: سمعتُ أبا هريرةَ يقول: قال أبو القاسمِ ﷺ: «سَمُّوا باسمي، ولا تَكْتَنُوا بكُنْيتي».

قوله: «باب كُنْية النبي ﷺ» الكُنية ـ بضمِّ الكاف وسكون النُّون ـ: مأخوذَة من الكِناية، تقول: كَنَيتُ عن الأمر بكذا: إذا ذكرتَه بغير ما يُستَدَلّ به عليه صريحاً، وقد اشتَهَرَتِ الكُنى للعَرَبِ حتَّى رُبَّما غَلَبَت على الأسماء، كأبي طالب وأبي لهب وغيرهما، وقد يكون للواحدِ كُنية واحدة فأكثر، وقد يَشتَهِر باسمِه وكُنْيتِه جميعاً، فالاسم والكُنية واللَّقب يجمعُها العَلَم ـ بفتحتَينِ ـ وتَتَغاير بأنَّ اللَّقَبَ ما أشعَرَ بمَدحٍ أو ذَمٍّ، والكُنية ما صُدِّرَت بأبٍ أو أمّ، وما عَدَا ذلك فهو اسم.

وكان النبي ﷺ يُكنى أبا القاسم بوَلَدِه القاسم، وكان أكبرَ أولاده، واختُلِفَ هل ماتَ قبل البِعثة أو بعدها، وقد وُلِدَ له إبراهيم في المدينة من ماريَة، ومضى شيءٌ من أمره في الجنائز[1].

---

(١) عند شرح الحديث (١٣٠٣)، في باب قول النبي ﷺ: «إنّا بكَ لَمحزُونُون».

وفي حديث أنس[1]: أنَّ جِبْرِيل قال للنبي ﷺ: «السَّلام عليك يا أبا إبراهيم».

وأورد المصنف في الباب ثلاثة أحاديث:

أحدها: حديث أنس أورَدَه مختصراً، وقد مضى في البيوع (٢١٢١) بأتمّ منه، وفيه: أنَّ الرجل قال له: لم أَعْنِكَ، وحينئذٍ نَهى عن التَّكَنِّي بكُنْيتِه.

ثانيها: حديث جابر: وسالم الراوي عنه: هو ابن أبي الجَعْد. وأورَدَه أيضاً مختصراً، وقد مضى في الخُمس (٣١١٤) بأتمّ منه أيضاً.

وقوله في أوَّله: «حدَّثنا محمَّد بن كَثير، حدَّثنا شُعبة» كذا للأكثر، وفي رواية أبي عليّ بن السَّكَن: «سفيان» بدل: «شُعبة»، ومالَ الجَيّاني إلى ترجيح الأكثر، فإنَّ مسلماً (٢١٣٣/ ٧) أخرجه من طريق شُعبة عن منصور.

ثالثها: حديث أبي هريرة:

قوله: «قال أبو القاسم ﷺ» كذا وقَعَ في هذه الطَّريق، وهو لطيف، وتقدَّم في العلم (١١٠) بلفظ: قال رسول الله ﷺ.

وقد اختُلِفَ في جواز التَّكَنّي بكُنْيتِه ﷺ: فالمشهور عن الشّافعي المنعُ على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل: يَختَصّ ذلك بزمانه، وقيل: بمَن تَسمّى باسمِه، وسيأتي بَسط ذلك وتوجيه هذه المذاهب في كتاب الأدب (٦١٨٨) إن شاء الله تعالى.

٢٠- بابٌ

٣٥٤٠- حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، أخبرنا الفَضْلُ بنُ موسى، عن الجُعَيد بنِ عبدِ الرحمن: رأيتُ السائبَ بنَ يزيدَ ابنَ أربعٍ وتسعينَ جَلْداً مُعتَدِلاً، فقال: قد عَلِمْتُ ما مُتِّعْتُ به، سَمْعي وبَصَري، إلّا بدعاءِ رسولِ الله ﷺ، إنَّ خالَتي ذَهبَت بي إليه، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ ابنَ أُختي شاكٍ فادْعُ اللهَ، قال: فدَعَا لي ﷺ.

---

(١) أخرجه البزار (٦٣٣١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٨٧).

قوله: «باب» كذا للأكثر بغير ترجمة كأبي ذرٍّ، وأبي زيد من رواية القابِسي عنه وكَرِيمة، ٥٦١/٦ وكذا للنَّسَفي، وجَزَمَ به الإسماعيلي، وضمَّه بعضهم إلى الباب الذي قبله، ولا تَظهَر مُناسَبته له، ولا يَصلُح أن يكون فصلاً من الذي قبله، بل هو طَرَف من الحديث الذي بعده، ولعلَّ هذا من تصرُّف الرُّواة، نعم وجَّهَه بعض شيوخنا: بأنَّه أشارَ إلى أنَّ النبي ﷺ وإن كان ذا أسماء وكُنية، لكن لا ينبغي أن يُنادى بشيءٍ منهما، بل يقال له: يا رسول الله، كما خاطَبَتْه خالة السائب لمَّا أتت به إليه، ولا يَخفى تكلُّفه.

قوله: «جَلْداً» بفتح الجيم وسكون اللّام، أي: قويّاً صُلْباً.

قوله: «ابنَ أربع وتسعينَ» يُشعِر بأنَّه رآه سنة اثنَتَين وتسعينَ، لأنَّه كان له يومَ ماتَ النبي ﷺ ثمانُ سنين كما ثَبَتَ من حديثه، ففيه رَدٌّ لقولِ الواقدي: أنَّه ماتَ سنة إحدى وتسعينَ. على أنَّه يُمكِن توجيه قوله، وأبعَدُ منه مَن قال: ماتَ قبل التِّسعينَ، وقد قيل: إنَّه ماتَ سنة ستّ وتسعينَ، وهو أشبَه، قال ابن أبي داود: هو آخر مَن ماتَ من الصَّحابة بالمدينة، وقال غيره: بل محمود بن الرَّبيع، وقيل: بل محمود بن لَبِيد، فإنَّه ماتَ سنة تِسع وتسعينَ.

٢١- باب خاتِمِ النُّبوَّة

٣٥٤١- حدَّثنا محمَّدُ بنُ عُبيدِ الله، حدَّثنا حاتِمٌ، عن الجُعَيد بنِ عبدِ الرحمنِ، قال: سمعتُ السائبَ بنَ يزيدَ، قال: ذهبَتْ بي خالَتي إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ ابنَ أُخْتي وقِعٌ، فمَسَحَ رأسي، ودَعا لي بالبَرَكةِ، وتَوضَّأ، فشَرِبتُ من وَضوئِه، ثمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِه، فنَظَرتُ إلى خاتِمِ النبوّةِ بينَ كَتِفَيه.

قال ابنُ عُبيدِ الله: الحُجْلةُ: من حُجَلِ الفَرَسِ الذي بينَ عَينَيه.

وقال إبراهيمُ بنُ حمزةَ: مِثلَ زِرِّ الحَجَلة.

قوله: «باب خاتم النبوَّة» أي: صِفَته، وهو الذي كان بين كَتِفَي النبي ﷺ، وكان من علاماته التي كان أهل الكتاب يَعرفونَه بها.

وادَّعى عياضٌ هنا أنَّ الخاتم هو أثرُ شَقّ الملَكَين لمَا بين كَتِفَيه.

وتَعقَّبَه النَّوَوي، فقال: هذا باطل، لأنَّ الشَّقّ إنَّما كان في صَدره وبطنه. وكذا قال القُرطُبي: وأثره إنَّما كان خَطّاً واضحاً من صدره إلى مَرَاقِّ بطنه كما في «الصحيحينِ»[1]، قال: ولم يَثبُت قَطُّ أنَّه بَلَغَ بالشَّقِّ حتَّى نَفَذَ من وراء ظَهْره، ولو ثَبَتَ لَلَزِمَ عليه أن يكون مُستَطيلاً من بين كَتِفَيه إلى قَطِنَتِه، لأنَّه الذي يُحاذي الصَّدر مِن مَسْرُبته[2] إلى مَرَاقِّ بطنه، قال: فهذه غَفلة من هذا الإمام، ولعلَّ ذلك وَقَعَ من بعض نُسّاخ كتابه، فإنَّه لم يُسمَع عليه فيما علمتُ.

كذا قال، وقد وَقَفتُ على مُستنَد القاضي، وهو حديث عُتبة بن عبدِ السُّلَمي الذي أخرجه أحمد (١٧٦٤٨) والطبراني (١٧/ ٣٢٣) وغيرهما[3] عنه: أنَّه سأل رسول الله ﷺ: كيف كان بَدْء أمرك؟ فذكر القصَّة في ارتضاعه في بني سعد، وفيه أنَّ المَلَكَين لمَّا شَقّا صَدرَه، قال أحدهما للآخر: خِطْه، فخاطَه، وخَتَمَ عليه بخاتِمِ النبوَّة. انتهى.

فلمَّا ثَبَتَ أنَّ خاتَم النبوَّة كان بين كَتِفَيه، حَمَلَ ذلك عياض على أنَّ الشَّقّ لمَّا وقعَ في صَدره، ثمَّ خِيطَ حتَّى الْتأَمَ كما كان، ووقَعَ الخَتم بين كَتِفَيه، كان ذلك أثرَ الخَتْم[4]، وفَهِمَ النَّووي وغيره منه أنَّ قوله: بين كَتِفَيه، مُتعلِّق بالشَّقِّ، وليس كذلك، بل هو مُتعلِّق بأثرِ الخَتْم، ويُؤيِّده ما وقَعَ في حديث شَدّاد بن أوس عند أبي يَعْلى[5] و«الدَّلائل» لأبي نُعَيم: أنَّ المَلَك لمَّا أخرج قلبَه وغَسَلَه ثمَّ أعادَه، خَتَمَ عليه بخاتَمٍ في يده من نور، فامتَلأَ نوراً[6]،

---

(١) سلف عند البخاري برقم (٣٢٠٧)، وهو عند مسلم برقم (١٦٤) في قصة الإسراء من حديث مالك ابن صعصعة.

(٢) تحرف في (أ) و(س) إلى: سرته، وجاء على الصواب في (ع) موافقاً ما جاء في «المفهم» للقرطبي، حيث نقله الحافظ منه، والمَسرُبة: الشَّعر الذي في الصدر إلى البطن.

(٣) لكن إسناده ضعيف، مداره على بقية بن الوليد.

(٤) في (س): الشَّق.

(٥) في «مسنده الكبير» الذي برواية ابن المقرئ، إذ أورده الحافظ في «المطالب العالية» برقم (٤٢٠٧).

(٦) وفي إسناده عمر بن صُبْح، وهو متروك كذاب متهم بالوضع، كما في «البداية والنهاية» لابن كثير ٣/ ٤١٤، ط هجر.

وذلك/ نور النبوَّة والحكمة. فيحتمل أن يكون ظَهَرَ من وراء ظَهره عند كَتِفه الأيسَر، لأنَّ ٦/ ٥٦٢
القلب في تلكَ الجِهَة.

وفي حديث عائشة عند أبي داود الطَّيالسي (١٦٤٣) والحارث بن أبي أُسامة[1] و«الدَّلائل» لأبي نُعَيم أيضاً (١٦٣): أنَّ جِبْريل وميكائيل لمَّا تَراءَيا له عند المبعَث: «هَبَطَ جِبْريل، فسَلَقَني لحَلاوة القَفَا[2]، ثمَّ شَقَّ عن قلبي فاستَخرَجَه، ثمَّ غَسَلَه في طَسْتٍ من ذهب بماءِ زَمزَم، ثمَّ أعادَه مكانه، ثمَّ لأَمَه، ثمَّ ألقاني وخَتَمَ في ظَهْري، حتَّى وَجَدتُ مَسَّ الخاتم في قلبي، وقال: اقرأ» الحديث، هذا مُستنَد القاضي فيما ذكره، وليس بباطلٍ.

ومُقتَضى هذه الأحاديث: أنَّ الخاتَم لم يكن موجوداً حين وِلادَته، ففيه تَعقيبٌ على مَن زَعَمَ أنَّه وُلِدَ به، وهو قولٌ نَقَلَه أبو الفتح اليَعمَري بلفظ: قيل: وُلِدَ به، وقيل: حين وُضِعَ. ونَقَلَه مُغَلْطاي عن يحيى بن عائذ[3]، والذي تقدَّم أثبَت.

ووقَعَ مِثله في حديث أبي ذرٍّ عند أحمد، والبيهقي[4] في «الدَّلائل»، وفيه: «وجَعَلَ خاتَم النبوَّة بين كَتِفَي كما هو الآن»، وفي حديث شَدّاد بن أوس في «المغازي» لابن عائذ في قصَّة شَقّ صَدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر: «وأقبَلَ وفي يده خاتَم له شُعاع، فوَضَعَه بين كَتِفَيه وثَديَيه» الحديث، وهذا قد يُؤخَذ منه أنَّ الخَتْم وقَعَ في موضعين من جسده، والعلمُ عند الله.

قوله: «حدَّثنا محمَّد بن عُبيد الله» بالتَّصغيرِ: هو أبو ثابت المدني، مشهور بكُنْيتِه، والإسناد كلّه مدنيُّونَ، وأصلُ شيخه حاتم بن إسماعيل كوفي.

---

(١) كما في «بغية الباحث» (٩٢٨).

(٢) أي: أضجعني على وسط القفا، لم يمِل بي إلى أحد الجانبين. انظر «النهاية» مادة (حلا).

(٣) هو الإمام يحيى بن مالك بن عائذ أبو زكريا الأندلسي. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٤٢١.

(٤) كذا نسبه الحافظ رحمه الله إلى أحمد والبيهقي في «الدلائل»، ولم نقف عليه فيهما، ولا ذكره الحافظ نفسُه في «أطراف المسند»، ولا عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٥٥ إلى أحمد، وإنما عزاه للبزار فقط، ونظن أنَّ الحافظ رحمه الله أراد أن يذكر أبا نعيم في «الدلائل»، فسبق قلمه فقال: البيهقي. وهو في «دلائل النبوة» لأبي نعيم برقم (١٦٧).

قوله: «ذهبَت بي خالَتي» لم أقِفْ على اسمها، وأمَّا أمّه، فاسمها عُلبة ـ بضمِّ المهمَلة وسكون اللّام بعدها موحَّدة[1] ـ بنت شُرَيح أُخت مَخرَمةَ بن شُرَيح.

قوله: «وَقِعٌ» بفتح الواو وكسر القاف، وبالتَّنوين، أي: وَجِعٌ، وزنه ومعناه، وقد مضى في الطَّهارة (١٩٠) بلفظ: وَجِع، وجاء بلفظ الفعل الماضي مَبنيّاً للفاعلِ[2]. والمراد أنَّه كان يَشتكي رِجْلَه كما ثَبَتَ في غير هذه الطَّريق.

قوله: «فمَسَحَ رأسي، ودَعَا لي بالبَرَكَة» سيأتي شرحه في كتاب الأدب[3] إن شاء الله تعالى.

قوله: «فنَظَرْت إلى خاتَم النبوَّة بين كَتِفَيه» في حديث عبد الله بن سَرجِس عند مسلم (٢٣٤٦): أنَّه كان إلى جِهَة كَتِفه اليُسرى.

قوله: «قال ابن عُبيد الله: الحُجْلة من حُجَل الفَرَس الذي بين عينَيه. وقال إبراهيم بن حمزة: مِثْل زِرّ الحَجَلِة» قلت: هكذا وَقَعَ، وكأنَّه سقط منه شيء، لأنَّه يَبعُد من شيخه محمَّد بن عُبيد الله أن يُفسِّر الحُجْلة، ولم يقع لها في سياقه ذِكْر، وكأنَّه كان فيه: مِثل زِرّ الحَجَلة، ثمَّ فسَّرَها، وكذلك وَقَعَ في أصل النَّسَفي تضبيبٌ بين قوله: بين كَتِفَيه، وبين قوله: قال ابن عُبيد الله.

وأمَّا التَّعليق عن إبراهيم بن حمزة: فالمراد أنَّه روى هذا الحديثَ كما رواه محمَّد بن عُبيد الله، إلّا أنَّه خالَفَ في هذه الكلمة، وسيأتي الحديث عنه موصولاً بتمامه في كتاب الطِّبّ (٥٦٧٠).

وقد زَعَمَ ابن التِّين: أنَّها في رواية ابن عُبيد الله بضمِّ المهمَلة وسكون الجيم، وفي رواية ابن حمزة: بفتحِهما. وحَكَى ابنُ دِحية مِثلَه، وزاد في الأوَّل: كسر المهمَلة مع ضَمّها.

وقيل: الفَرْق بين رواية ابن حمزة وابن عُبيد الله: أنَّ رواية ابن عُبيد الله بتقديم الزّاي

---

(١) كذا ضبطها الحافظ رحمه الله بالموحدة، مع أنَّ الذي في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني وفي «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين بالياء التحتانية!

(٢) يعني: وَقَعَ.

(٣) بل في كتاب الدعوات، الباب رقم (٣١).

على الرّاء على المشهور، ورواية ابن حمزة بالعكس، بتقديم الرّاء على الزّاي، وهو مأخوذ من: ارتَزَّ الشيءُ: إذا دَخَلَ في الأرض، ومنه: الرَّزَّةُ، والمراد بها هنا: البيضة، يقال: ارتَزَّتِ الجَرَادة: إذا أدخَلَت ذَنَبَها في الأرض لتبِيضَ، وعلى هذا فالمراد بالحَجَلة: الطَّير المعروف.

وجَزَمَ السُّهَيلي بأنَّ المراد بالحَجلة هنا: الكِلَّة التي تُعلَّق على السَّرير، ويُزيَّن بها للعَرُوسِ كالبُشْخاناه[1]، والزِّرّ على هذا حقيقة، لأنَّها تكون ذات أزرارٍ وعُرًى، واستَبْعَدَ قولَ ابن عُبيد الله: بأنَّها من حَجَل الفَرَس الذي بين عينَيه، بأنَّ التَّحجيل إنَّما يكون في القوائم، وأمَّا الذي في الوجه فهو الغُرَّة.

وهو كما قال، إلّا أنَّ منهم مَن يُطلِقه على ذلك مَجازاً، وكأنَّه أراد أنَّها قَدْرُ الزِّرّ، وإلّا فالغُرَّة لا زِرّ لها.

وجَزَمَ التِّرمِذي[2] بأنَّ المراد بالحَجلة الطَّير المعروف، وأنَّ المراد بزِرِّها بيضتُها، ويَعضُدُه ما سيأتي: أنَّه مِثل بيضة الحَمامة.

وقد وَرَدَت في صفة خاتَم النبوَّة أحاديث مقاربة لمَا ذُكِرَ هنا، منها:/ عند مسلم (٢٣٤٤/ ١٠٩و١١٠) عن جابر بن سَمُرة: كأنَّه بيضة حَمامة، ووقَعَ في رواية ابن حِبّان (٦٢٩٧) من طريق سِماك بن حَرْب: «كبيضة نَعامة»، ونبَّه على أنَّها غَلَط[3]، وعن عبد الله ابن سَرجِس[4]: نَظَرتُ خاتَم النبوَّة جُمْعاً عليه خِيلان، وعند ابن حِبّان (٦٣٠٢) من حديث ٥٦٣/٦

(١) ويقال لها أيضاً: البُشْخانة، وهي فارسية معناها في الأصل ظهر البيت، فيما ذكره ابن القيم في القصيدة النونية، ثم استعملت بعد تعريبها بمعنى الكِلَّة أو الناموسية، وهي ستار رقيق ذو خروق صغيرة يُنصَب للوقاية من الناموس، أي: البعوض.

(٢) بإثر الحديث (٣٦٤٣) حيث قال: الزرُّ بَيضٌ لها.

(٣) وقد جعل الغلط من إسرائيل السبيعي راويه عن سماك. لكن جاءت رواية إسرائيل عند مُسلم على الصواب، فالظاهر أن الغلط من الراوي عن إسرائيل عبد الرحيم بن سليمان أو من دونه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٧٧٠)، ومسلم (٢٣٤٦) (١١٢). وقوله: جُمْعاً، بضم الجيم وسكون الميم، يعني: مثل جُمْع الكف، وهو أن تجمع الأصابع وتضمها وتعطفها إلى باطن الكف، والخِيلان جمع خال وهو الشامة في الوجه.

ابن عمر: مِثل البُندُقة من اللَّحم. وعند التِّرمِذي[١]: كبَضْعةٍ ناشزَة من اللَّحم. وعند قاسم ابن ثابت[٢] من حديث قُرَّة بن إياس: مِثل السِّلْعَة.

وأمَّا ما وَرَدَ من أنَّها كانت كأثرِ مِحجَم، أو كالشّامة السَّوداء أو الخضراء، أو مكتوبٌ عليها: محمَّد رسول الله، أو: سِرْ فأنتَ المنصور، أو نحو ذلك، فلم يَثبُت منها شيءٌ.

وقد أطنَبَ الحافظ قُطب الدِّين في استيعابها في «شرح السِّيرة»، وتَبِعَه مُغْلْطاي في «الزَّهر الباسم»، ولم يُبيِّن شيئاً من حالها، والحقّ ما ذكرته، ولا تَغتَرّ بما وقَعَ منها في «صحيح ابن حِبّان»، فإنَّه غَفَلَ حيثُ صَحَّحَ ذلك، والله أعلم.

قال القُرطُبي: اتَّفقَت الأحاديث الثّابتة على أنَّ خاتَم النبوَّة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كَتِفه الأيسَر، قَدْرُه إذا قُلِّلَ قَدرُ بيضة الحَمامة، وإذا كُثِّر جُمْعُ اليَد، والله أعلم.

ووَقَعَ في حديث عبد الله بن سَرجِس عند مسلم (٢٣٤٦): أنَّ خاتَم النبوَّة كان بين كَتِفَيه عند ناغِض كَتِفه اليُسرى. وفي حديث عَيَّاذ بن عَمْرو عند الطبراني[٣]: كأنَّه رُكبة عَنْزٍ على طَرَف كَتِفه الأيسَر. ولكن سنده ضعيف.

قال العلماء: السِّرّ في ذلك أنَّ القلب في تلكَ الجِهَة. وقد وردَ في خبر مقطوع: أنَّ رجلاً سأل ربَّه أنْ يُرِيَه موضع الشيطان، فرأى الشَّيطانَ في صورة ضِفدِع عند نُغضِ كَتِفه الأيسَر حِذاءَ قلبه، له خُرطوم كالبَعوضة، أخرجه ابن عبد البَرّ بسندٍ قوي إلى ميمون بن مِهرانَ عن عمر بن عبد العزيز، فذكرهُ. وذكره أيضاً صاحب «الفائق» في مُصنَّفه في (م ص ر)، وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يَعْلى (٤٣٠١)، وابن عَدي (٣/ ١٨٦)، ولفظه: «إنَّ الشيطان واضع خَطْمَه على قلب ابن آدم» الحديث، وأورَدَ ابن أبي داود في كتاب «الشَّريعة» من طريق عُرْوة بن رُوَيم: أنَّ عيسى عليه السلام سأل ربّه أن يُرِيَه موضع الشيطان من ابن

---

(١) في «الشمائل» (٢١) من حديث أبي سعيد الخدري. وانظره في «مسند أحمد» (١١٦٥٦)، وهو حديث حسن لغيره.

(٢) فات الحافظ رحمه الله أن يخرجه من النسائي في «سننه الكبرى»، وهو فيه برقم (٨٢٤٩).

(٣) لم نقف عليه في المطبوع من «معاجم الطبراني»، وقد رواه عنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٨٧١).

آدم، قال: فإذا برأسِه مِثل الحيَّة، واضعٌ رأسه على ثَمْرة القلب، فإذا ذكر العبد ربَّه خَنَس، وإذا غَفَلَ وَسوَس.

قلت: وسيأتي لهذا مَزيدٌ في آخر التَّفسير[1].

قال السُّهيلي: وُضِعَ خاتم النبوَّة عند نُغْضِ كَتِفه ﷺ، لأنَّه معصوم من وَسوَسة الشيطان، وذلك الموضع يَدخُل منه الشيطان.

٢٢- باب صِفَةِ النبيِّ ﷺ

٣٥٤٢- حدَّثنا أبو عاصمٍ، عن عمرَ بنِ سعيد بنِ أبي حسينٍ، عن ابنِ أبي مُلَيكةَ، عن عُقْبَةَ بنِ الحارثِ، قال: صَلَّى أبو بكرٍ ﷺ العَصْرَ، ثمَّ خَرَجَ يَمْشي، فرأى الحسنَ يَلْعَبُ معَ الصِّبْيان، فحَمَلَه على عاتقِه، وقال: بأبي شَبِيهٌ بالنبيِّ، لا شَبِيهٌ بعليّ، وعليٌّ يَضْحَك.

[طرفه في: ٣٧٥٠]

٥٦٧/٦

قوله: «باب صِفَة النبي ﷺ» أي: خَلْقِه وخُلُقه.

وأورد فيه أربعةً وعشرين حديثاً:

الأول: حديث أبي بكر المشتَمِل على أنَّ الحسن بن عليّ كان يُشبِه جَدَّه النبيَّ ﷺ.

قوله: «عن ابن أبي مُلَيكَة» في رواية الإسماعيلي: أخبرني، وفي أُخرى: حدَّثني ابن أبي مُلَيكة.

قوله: «عن عُقْبة بن الحارث» في رواية الإسماعيلي: أخبرني عُقْبة بن الحارث.

قوله: «صَلّى أبو بَكْر ﷺ العَصْر، ثمَّ خَرَجَ يَمْشي» زاد الإسماعيلي في رواية: بعد وفاة النبي ﷺ بلَيالٍ، وعليٌّ يَمشي إلى جنبه.

قوله: «بأبي» فيه حذف تقديره: أفديه بأبي، ووَقَعَ في رواية الإسماعيلي: وارتجَزَ، فقال: وابأبي شَبيهٌ بالنبي. وفي تسمية هذا رَجَزاً نظرٌ، لأنَّه ليس بموزونٍ، وكأنَّه أطلقَ على

---

(١) تحت شرح حديث رقم (٤٩٧٧).

السَّجع رَجَزاً، أو[1] وَقَعَ من بعض الرُّواة تغييرُ وتصحيحُ[2] رواية الأصل، ولعلَّها كانت: وابأبي وابأبي، كما دَلَّت عليه رواية الإسماعيلي المذكورة،/ فهذا يكون من مجزوء الرَّجَز، لكن قوله: شَبيهٌ بالنبي، يَحتاج إلى شيء قبله، فلعلَّه كان: شَخصٌ، أو أنتَ شَبيهٌ بالنبي ﷺ، أو نحو ذلك، وأمَّا الثَّالث: فمَوزون[3].

٥٦٨/٦

قوله: «وعليٌّ يَضْحَك» في رواية الإسماعيلي: وعليّ يَتَبَسَّم، أي: رِضاً بقولِ أبي بكر وتصديقاً له، وقد وافَقَ أبا بكر على أنَّ الحسن كان يُشبِه النبي ﷺ أبو جُحَيفةَ، كما سيأتي في الحديث الذي بعده، ووقَعَ في حديث أنس (٣٧٤٨) كما سيأتي في المناقب: أنَّ الحسين بن عليّ كان أشبَهَهُم بالنبي ﷺ، وسيأتي وجه التَّوفيق بينهما في المناقب إن شاء الله تعالى، وأذكُر فيه مَن شارَكَهما في ذلك إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث فضلُ أبي بكر، ومَحَبَّتُهُ لِقَرابة النبي ﷺ، وسيأتي في المناقب (٣٧١١ و٣٧١٢) قوله: لَقَرابةُ رسول الله ﷺ أحَبّ إليَّ أن أصِل مِن قَرابَتي.

وفيه تَركُ الصَّبي المميِّز يَلعَب، لأنَّ الحسن إذ ذاكَ كان ابنَ سبع سنين، وقد سمعَ من النبي ﷺ وحَفِظَ عنه، ولَعِبُه محمول على ما يَليق بمِثلِه في ذلك الزَّمان من الأشياء المباحة، بل على ما فيه تَمرين وتَنشيط ونحو ذلك، والله أعلم.

٣٥٤٣- حدَّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ، حدَّثنا زُهَيرٌ، حدَّثنا إسماعيلُ، عن أبي جُحَيفةَ ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ، وكان الحسنُ يُشبِهُه.

[طرفه في: ٣٥٤٤]

٣٥٤٤- حدَّثنا عَمرو بنُ عليٍّ، حدَّثنا ابنُ فُضَيلٍ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ، قال: سمعتُ أبا جُحَيفةَ ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وكان الحسنُ بنُ عليٍّ عليهما السَّلام يُشبِهُه، قلتُ

(١) في (س) بواو العطف بدل «أو»، وهو خطأ.
(٢) في (س): وتصحيف.
(٣) لعله جاء في رواية الإسماعيلي هنا: ليس شبيهاً بعلي، فكان موزوناً كما قال الحافظ، وإلّا فهو ليس بموزون.

لأبي جُحَيفَةَ: صِفْه لي، قال: كان أبيضَ قد شَمِطَ، وأمَرَ لنا النبيُّ ﷺ بثلاثَ عَشْرةَ قَلُوصاً، قال: فقُبِضَ النبيُّ ﷺ قبلَ أن نَقْبِضَها.

٣٥٤٥- حدَّثنا عبدُ الله بنُ رَجاءٍ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن وَهْبٍ أبي جُحَيفةَ السُّوائيِّ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ، ورأيتُ بياضاً من تحتِ شَفَتِه السُّفْلَى، العَنْفَقةَ.

الحديث الثاني: حديث أبي جُحَيفةَ، أورَدَه من طريقَين، «وإسماعيل» فيهما هو ابن أبي خالد، و«ابن فُضَيلٍ» بالتَّصغير: هو محمَّد.

قوله: «كان أبيضَ قد شَمِطَ» بفتح المعجَمة وكسر الميم، أي: صارَ سوادُ شَعره مُخالِطاً لبياضه، وقد بيَّن في الرِّواية التي تَلي هذه أنَّ موضع الشَّمَط كان في العَنْفَقة، ويُؤيِّد ذلك حديث عبد الله بن بُسْرٍ المذكورِ بعده، والعَنْفَقة: ما بين الذَّقَن والشَّفة السُّفلى، سواء كان عليها شَعر أم لا، وتُطلَق على الشَّعر أيضاً.

وعند مسلم (٢٣٤٢/ ١٠٦) من رواية زُهَير عن أبي إسحاق عن أبي جُحَيفةَ: رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء ـ وأشارَ إلى عَنْفَقَته ـ قيل: مِثْلُ مَن أنتَ يومَئذٍ؟ قال: أَبْرِي النَّبل وأَرِيشُها.

قوله: «وأمَرَ لنا» أي: له ولقومِه من بني سُواءَة ـ بضمِّ المهمَلة وتخفيف الواو والمدّ والهمز وآخره هاء تأنيث ـ ابن عامر بن صَعْصَعةَ، وكان أمَرَ لهم بذلك على سبيل جائِزَة الوَفد.

قوله: «قَلُوصاً» بفتح القاف: هي الأُنثى من الإبل، وقيل: الشَّابَّة، وقيل: الطَّويلة القوائم.

وقوله: «فقُبِضَ النبي ﷺ قبل أن نَقْبِضها» فيه إشعار بأنَّ ذلك كان قُرب وفاته ﷺ، وقد شَهِدَ أبو جُحَيفةَ ومَن معه من قومه حَجَّة الوَداع، كما في الرِّواية التي بعد هذه، فالذي يَظهَر أنَّ أبا بكر وفَى لهم بالوَعدِ المذكور، كما صَنَعَ بغيرهم[1].

ثمَّ وجَدتُ ذلك منقولاً صريحاً، ففي رواية الإسماعيلي من طريق محمَّد بن فُضَيلٍ

(١) كما أعطى جابراً ما وعده به رسولُ الله ﷺ من مال البحرين، وقد سلف عند البخاري برقم (٢٢٩٦).

بالإسناد المذكور: فذهبنا نَقبِضُها، فأتانا موتُه فلم يُعطونا شيئاً، فلمَّا قامَ أبو بكر، قال: مَن كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليَجِئ، فقُمت إليه، فأخبَرتُه فأمَرَ لنا بها. وقد تقدَّم البحث في هذه المسألة في الهِبة (٢٥٩٨).

الحديث الثالث: حديث أبي جُحَيفةَ أيضاً:

قوله: «عن وَهْب أبي جُحَيفَةَ» هو اسم أبي جُحَيفةَ، وهو مشهور بكُنْيَتِه أكثر من اسمه، وكان يقال له أيضاً: وَهْبُ الله، ووَهْبُ الخير.

قوله: «ورأيت بياضاً من تحت شَفَته السُّفْلى، العَنْفَقة» بالكسر على أنَّه بدل من الشَّفة، وبالنَّصبِ على أنَّه بدل من قوله: «بياضاً»، ووقَعَ عند الإسماعيلي من طريق عُبيد الله بن موسى عن إسرائيل، بهذا الإسناد: من تحت شَفَتِه السُّفلى مِثل موضع إصبَعٍ، العَنفَقة، و«إصبَع» في هذه الرِّواية بالتَّنوين، وإعراب العَنفَقة كالذي قبله. وفي رواية شَبابة بن سوّار عن إسرائيل عنده: رأيتُ النبي ﷺ شابَتْ عَنفَقَتُه.

٣٥٤٦- حدَّثنا عِصامُ بنُ خالدٍ، حدَّثنا حَرِيزُ بنُ عُثْمانَ، أنَّه سأل عبدَ الله بنَ بُسْرٍ صاحبَ النبيِّ ﷺ، قال: أرأيتَ النبيَّ ﷺ كان شَيْخاً؟ قال: كان في عَنْفَقَتِه شَعَراتٌ بِيضٌ.

الحديث الرابع: وهو من ثُلاثيّاته:

قوله: «حدَّثنا عِصام بن خالد» هو أبو إسحاق الحِمصي الحَضرَمي، من كِبار شيوخ البخاري، وليس له عنه في «الصَّحيح» غيره.

وأمَّا «حَريز» فهو بفتح المهمَلة، وتقدَّم قريباً أنَّه من صِغار التابعينَ.

قوله: «أرأيت النبيَّ ﷺ» يحتمل أن يكون «أرأيت» بمعنى: أخبِرْني، و«النبي» بالرفع على أنَّه اسم كان، والتَّقدير: أخبِرني أكان النبيُّ ﷺ شيخاً؟ ويحتمل أن يكون: «أرأيتَ» استفهاماً منه: هل رأى النبيَّ ﷺ؟ ويكون «النبيَّ» بالنَّصبِ على المفعولية.

٥٦٩/٦ **وقوله: «كان شَيْخاً»** استفهام/ ثانٍ حُذِفَت منه أداة الاستفهام، ويُؤيِّد هذا الثّاني روايةُ الإسماعيلي من وجه آخر عن حَريز بن عثمان، قال: رأيتُ عبدَ الله بن بُسْر صاحبَ النبي ﷺ

بحِمصَ، والناس يسألونَه، فدَنَوت منه وأنا غلام، فقلت: أنتَ رأيتَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: شيخٌ كان رسولُ الله ﷺ أم شابٌ؟ قال: فتبَسَّمَ، وفي رواية له: فقلت له: أكان النبيُّ ﷺ صَبَغَ؟ قال: يا ابن أخي، لم يَبلُغ ذلك.

قوله: «قال: كان في عَنْفَقَته شَعَراتٌ بِيض» في رواية الإسماعيلي: إنَّما كانت شَعَراتٌ بِيضٌ، وأشارَ إلى عَنْفَقَته، وسيأتي بعد حديثَين (٣٥٥٠) قول أنس: إنَّما كان شيءٌ في صُدْغَيه، وسيأتي وجه الجمع بينهما إن شاء الله تعالى.

٣٥٤٧- حدَّثنا ابنُ بُكَيرٍ، قال: حدَّثنا اللَّيثُ، عن خالدٍ، عن سعيدِ بنِ أبي هلالٍ، عن رَبيعةَ ابنِ أبي عبدِ الرحمن، قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يَصِفُ النبيَّ ﷺ، قال: كان رَبْعةً مِن القومِ، ليس بالطَّويلِ ولا بالقَصِيرِ، أزهَرَ اللَّوْنِ، ليس بأبيضَ أمهَقَ، ولا آدَمَ، ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ ولا سَبِطٍ، رَجِلٌ، أُنزِلَ عليهِ وهو ابنُ أربعينَ، فلَبِثَ بمَكّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عليه، وبالمدينةِ عَشْرَ سِنِينَ، وقُبِضَ وليس في رأسِه ولحيتِه عِشْرونَ شَعَرةً بيضاءَ.

قال رَبِيعةُ: فرأيتُ شَعَراً من شَعَرِه، فإذا هو أحمرُ، فسألتُ: فقيل: احمرَّ من الطِّيب.

[طرفاه في: ٣٥٤٨، ٥٩٠٠]

٣٥٤٨- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، أخبرنا مالكُ بنُ أنسٍ، عن رَبِيعةَ بنِ أبي عبدِ الرحمن، عن أنسٍ ﷺ، أنَّه سمعَه يقول: كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطَّويلِ البائنِ، ولا بالقَصِيرِ، ولا بالأبيضِ الأمهَقِ، وليس بالآدَمِ، وليس بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبِطِ، بَعَثَه الله على رأسِ أربعينَ سنةً، فأقامَ بمَكّةَ عَشَرَ سِنِينَ، وبالمدينةِ عَشَرَ سِنِينَ، فتوَفّاه الله وليس في رأسِه ولحيتِه عِشْرونَ شَعْرةً بيضاءَ.

الحديث الخامس: حديث أنس من رواية ربيعة عنه، وهو ابن أبي عبد الرحمن فرُّوخَ الفقيه المدني، المعروف بربيعةَ الرَّأي. وقد أورَدَه من طريقَين: أحدهما: من رواية خالد، وهو ابن يزيد الجُمَحي المِصري، وكان من أقران اللَّيث بن سعد، لكنَّه ماتَ قبله، وقد أكثر عنه اللَّيث.

قوله: «كان رَبْعة» بفتح الرّاء وسكون الموحَّدة، أي: مَربُوعاً، والتَّأنيث باعتبار النَّفس،

يقال: رجلٌ رَبعة، وامرأةٌ رَبعة، وقد فَسَّرَه في الحديث المذكور (٣٥٤٨) بقوله: ليس بالطَّويلِ البائن، ولا بالقصير، والمراد بالطَّويلِ البائن: المُفرِط في الطّول[١] مع اضطِراب القامة، وسيأتي في حديث البراء (٣٥٥١) بعد قليل، أنَّه قال: كان النبي ﷺ مَربُوعاً.

ووقَعَ في حديث أبي هريرة عند الذُّهْلي في «الزُّهْريات»[٢] بإسنادٍ حسن: كان رَبعة، وهو إلى الطّول أقرَبُ.

قوله: «أزهَر اللَّوْن» أي: أبيض مُشْرَبٌ بحُمرة، وقد وقَعَ ذلك صريحاً في حديث أنس من وجه آخر عند مسلم[٣]، وعند سعيد بن منصور والطَّيالسي (١٦٦) والتِّرمذي (٣٦٣٨)، والحاكم (٢/ ٦٠٥-٦٠٦) من حديث عليّ، قال: كان النبي ﷺ أبيض مُشْرباً بياضُه بحُمرةٍ، وهو عند ابن سعد أيضاً عن علي (١/ ٤١٠-٤١١)، وعن جابر (١/ ٤١٨-٤١٩)، وعند البيهقي[٤] من طرق عن علي، وفي «الشَّمائل» (٧) من حديث هِند بن أبي هالة: أنَّه أزهَر اللَّون.

قوله: «ليس بأبيض أمهَق» كذا في الأُصول، ووقَعَ عند الدَّاوودي تَبَعاً لرواية المروَزي: أمهَق ليس بأبيض، واعتَرَضَه الدَّاوودي، وقال عياض: إنَّه وهمٌ، قال: وكذلك رواية مَن روى أنَّه ليس بالأبيضِ ولا الآدم، ليس بصَوابٍ.

كذا قال، وليس بجيِّدٍ في هذا الثّاني، لأنَّ المرادَ أنَّه ليس بالأبيضِ الشَّديد البياض، ولا بالآدمِ الشَّديد الأُدْمة، وإنَّما يخالِط بياضَه الحُمرةُ، والعرب قد تُطلِق على مَن كان كذلك أسمَرَ، ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد (١٣٧١٥)، والبزّار (٦٦٢٤)، وابن مَندَهْ بإسنادٍ صحيح، وصَحَّحَه ابن حِبّان (٦٢٨٦)[٥]: أنَّ النبي ﷺ كان أسمَرَ.

---

(١) في (ع): المفرد في الطوال.

(٢) وهو في «الأدب المفرد» للبخاري برقم (١١٥٥).

(٣) كذا قال الحافظ رحمه الله، ولم نجده في مسلم مصرحاً به كما قال!

(٤) في «الدلائل» ١/ ٢٠٦ و٢١٢ و٢١٣ و٢١٩.

(٥) فات الحافظ رحمه الله أن يخرجه من الترمذي، وهو فيه برقم (١٧٥٤).

وقد رَدَّ المحِبُّ الطَّبَري هذه الرِّواية بقوله في حديث الباب من طريق مالك عن ربيعة: ولا بالأبيضِ الأمهَقِ، وليس بالآدمِ. والجمع بينهما مُمكِن.

وأخرجه البيهقي في «الدَّلائل» (١/ ٢٠٤) من وجه آخر عن أنس، فذكر الصِّفة النَّبوية قال: كان رسول ﷺ أبيض، بياضه إلى السُّمْرة، وفي حديث يزيدَ الفارسيّ[1] عن ابن عبَّاس في صفة النبي ﷺ:رجل بين رجلَين، جِسمه ولحمه أحمر ـ وفي لفظ: أسمَر ـ إلى البياض، أخرجه أحمد (٣٤١٠) وسنده حسن[2].

وتَبيَّن من مجموع الرِّوايات أنَّ المراد بالسُّمرة: الحُمرة التي تُخالط البياض، وأنَّ المراد بالبياض المثبَت: ما يخالطه الحُمرة، والمنْفيِّ: ما لا يُخالِطه، وهو الذي تَكرَه العرب لَونه وتُسَمّيه أمهَقَ، وبهذا تَبيَّن أنَّ رواية المروَزي: أمهَق ليس بأبيض، مَقلوبة، والله أعلم، على أنَّه يُمكِن توجيهُها: بأنَّ المراد بالأمهَقِ: الأخضَر اللَّون الذي ليس بياضُه في الغاية، ولا سُمرَته ولا حُمرَته، فقد نُقِلَ عن رُؤبة: أنَّ المهَق خُضرةُ الماء، فهذا التَّوجيه يَتِمّ على تقدير ثُبوت الرِّواية.

وقد تقدَّم في حديث أبي جُحَيفةَ (٣٥٤٤) إطلاقُ كَونه كان أبيضَ، وكذا في حديث أبي الطُّفَيل عند مسلم (٢٣٤٠)، وفي روايةٍ عند الطبراني: ما أنسى شِدَّة بياض وجهه مع شِدَّة سواد شَعره، وكذا في شِعر أبي طالب المتقدِّم في الاستسقاء (١٠٠٨ و١٠٠٩):

وأبـيضَ يُستَـسقى الغَـمامُ بوَجهـه

وفي حديث سُرَاقة عند ابن إسحاق[3]: فجَعَلتُ أنظُر/ إلى ساقه كأنَّها جُمّارة، ولأحمد (١٥٥١٢) من حديث مُحرِّش الكعبي في عمرة الجِعْرَانةِ أنَّه قال: فنَظَرت إلى ظَهره كأنَّه سَبيكة فِضَّة، وعن سعيد بن المسيّب: أنَّه سمعَ أبا هريرة يَصِف النبيَّ ﷺ فقال: كان شديد

٥٧٠/٦

(١) تحرف في (س) إلى: الرقاشي.

(٢) بل إسناده ضعيف، يزيد الفارسي في عداد المجهولين. ورواية «أحمر» عند ابن أبي خيثمة وأبي نعيم فيما نقله الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٢/ ١٢.

(٣) انظر «السيرة» لابن هشام ١/ ٤٩٠.

البياض. أخرجه يعقوب بن سفيان[١]، والبزَّار (٧٧٨٩) بإسنادٍ قوي، والجمع بينهما بما تقدَّم.

وقال البيهقي[٢]: يقال: إنَّ المُشرَب منه حُمرة وإلى السُّمرة: ما ضَحَى منه للشمس والرِّيح، وأمَّا ما تحت الثِّياب، فهو الأبيض الأزهَر.

قلت: وهذا ذكره ابن أبي خَيْثمةَ عَقِب حديث عائشة في صِفَته ﷺ[٣] بأبسَط من هذا، وزادَ: ولَونه الذي لا يُشَكّ فيه الأبيض الأزهَر، وأمَّا ما وقَعَ في زيادات عبد الله بن أحمد في «المسنَد» (١٣٠٠) من طريق عليّ: أبيض[٤] شديد الوَضَح[٥]، فهو مخالف لحديث أنس: ليس بالأمهَق، وهو أصحّ، ويُمكِن الجمع بحَملِ ما في رواية عليّ على ما تحت الثِّياب ممَّا لا يُلاقي الشمس، والله أعلم.

قوله: «ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ ولا سَبِط» بفتح أوَّله وكسر الموحَّدة، والجُعودة في الشَّعر: أن لا يَتَكَسَّر ولا يَستَرسِل، والسُّبوطة ضِدّه، فكأنَّه أراد أنَّه وسَطٌ بينهما.

ووقَعَ في حديث عليّ عند التِّرمذي (٣٦٣٨)، وابن أبي خَيْثمةَ: ولم يكن بالجَعْدِ القَطَط، ولا بالسَّبِطِ، كان جَعداً رَجِلاً.

وقوله: «رَجِلٌ» بكسر الجيم، ومنهم مَن يُسكِّنها، أي: مُسَرَّح[٦]، وهو مرفوع على الاستئناف، أي: هو رَجِلٌ، ووَقَعَ عند الأَصِيلي: بالخفضِ، وهو وهمٌ لأنَّه يصير معطوفاً على المنفيّ، وقد وُجِّهَ على أنَّه خَفَضَه على المجاوَرة، وفي بعض الرِّوايات: بفتح اللّام،

---

(١) لم نقف عليه فيما طبع من «المعرفة والتاريخ»، وأضافه محقق الكتاب من «تاريخ الإسلام» للذهبي، حيث ساقه بسند يعقوب. وهو أيضاً في «الأدب المفرد» للبخاري (١١٥٥).

(٢) بل هذا قول أبي نعيم في «الدلائل» بإثر حديث عائشة في صفة رسول الله ﷺ برقم (٥٦٦).

(٣) أخرجه أيضاً أبو نعيم في «الدلائل» (٥٦٦)، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٢٩٨.

(٤) أقحم بعد هذا في (س) لفظة: مُشرب. وليست في الرواية، على معارضتها لسياق الرواية أيضاً، لأنَّ المشرب ما خالطته الحمرة كما سبق.

(٥) إسناده ضعيف لانقطاعه بين علي والراوي عنه، ولجهالة رجل فيه.

(٦) في (س): متسرح.

وتشديد الجيم، على أنَّه فعلٌ ماضٍ.

قوله: «أُنزِلَ عليه» في رواية مالك (٣٥٤٨): بَعَثَه الله.

قوله: «وهو ابن أربعينَ» في رواية مالك: على رأس أربعينَ، وهذا إنَّما يَتِمّ على القول بأنَّه بُعِثَ في الشَّهر الذي وُلِدَ فيه، والمشهور عند الجمهور: أنَّه وُلِدَ في شهر ربيعِ الأوَّلِ، وأنَّه بُعِثَ في شهر رمضان، فعلى هذا يكون له حين بُعِثَ أربعونَ سنة ونصف، أو تِسع وثلاثونَ ونصف، فمَن قال: أربعين، ألغى الكسر أو جَبَرَ، لكن قال المسعودي وابن عبد البَرّ: إنَّه بُعِثَ في شهر ربيعِ الأوَّل، فعلى هذا يكون له أربعونَ سنة سواء.

وقال بعضهم: بُعِثَ وله أربعونَ سنة وعشرة أيام، وعند الجِعابي: أربعونَ سنة وعشرونَ يوماً، وعن الزُّبَير بن بَكّار: أنَّه وُلِدَ في شهر رمضان وهو شاذّ، فإن كان محفوظاً، وضُمَّ إلى المشهور أنَّ المبعَث في رمضان، فيَصِحّ أنَّه بُعِثَ عند إكمال الأربعينَ أيضاً. وأبعَدُ منه قول مَن قال: بُعِثَ في رمضان وهو ابن أربعينَ سنة وشهرَينِ، فإنَّه يقتضي أنَّه وُلِدَ في شهر رَجَب، ولم أرَ مَن صَرَّحَ به.

ثمَّ رأيته كذلك مُصرَّحاً به في «تاريخ أبي عبد الرحمن العُتَقيّ»، وعزاه للحسين بن عليّ، وزادَ: لِسبعٍ وعشرينَ من رَجَب. وهو شاذّ.

ومن الشّاذّ أيضاً ما رواه الحاكم (٢/ ٦١٠) من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيّب قال: أُنزِلَ على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعينَ، وهو قول الواقدي، وتَبِعَه البلاذُري وابن أبي عاصم(١).

---

(١) وقد روي ذلك عن ابن عباس أيضاً بسند صحيح عند أحمد (٢٠١٧)، وروي ذلك أيضاً عن الشعبي بإسناد صحيح إليه، وأنَّ السنوات الثلاث الزيادة إنما هي السنوات التي قُرِن فيها النبي ﷺ بإسرافيل قبل قَرْنه بجبريل، أسنده عنه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٣٢، وحمل البيهقي الرواية بأنه بعث على رأس الثلاث والأربعين على تفسير الشعبي هذا، وأورد الذهبي روايتي ابن المسيب والشعبي في قسم السيرة من «تاريخ الإسلام»، ولم يتعقبه بشيء، فالله تعالى أعلم.

وفي «تاريخ يعقوب بن سفيان» وغيره عن مكحول: أنَّه بُعِثَ بعد ثِنتَين وأربعينَ.

قوله: «فلَبِثَ بمكَّة عَشْر سِنِينَ يُنزَل عليه» مُقتَضى هذا: أنَّه عاشَ ستّينَ سنة، وأخرج مسلم (٢٣٤٨) من وجه آخر عن أنس: أنَّه ﷺ عاشَ ثلاثاً وستّينَ، وهو موافق لحديث عائشة الماضي قريباً (٣٥٣٦)، وبه قال الجمهور، وقال الإسماعيلي: لا بدَّ أن يكون الصَّحيح أحدهما. وجَمَعَ غيرُه بإلغاءِ الكسر، وسيأتي بقيَّة الكلام على هذا الموضع في الوفاة (٤٤٦٤) آخرَ المغازي إن شاء الله تعالى.

قوله: «وليس في رأسه ولحيته عِشْرونَ شَعرة بيضاء» أي: بل دون ذلك، ولابن أبي خَيْثمةَ من طريق أبي بكر بن عيّاش: قلت لربيعة: جالستَ أنساً؟ قال: نعم، وسمعته يقول: شابَ رسول الله ﷺ عشرينَ شَيْبة هاهنا، يعني: العَنفَقة.

ولإسحاق بن راهويه وابن حِبّان (٦٢٩٤) والبيهقي[1]، من حديث ابن عمر: كان شَيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرينَ شَعرة بيضاء في مُقدَّمِه.

٥٧١/٦ وقد اقتَضى حديثُ عبد الله بن بُسر أنَّ شَيبه كان لا يزيد على عشر شَعَراتٍ/ لإيرادِه بصيغة جمع القِلَّة، لكن خُصَّ ذلك بعَنفَقَتِه، فيُحمَل الزّائد على ذلك في صُدغَيه، كما في حديث البراء (٣٥٥٠)، لكن وقَعَ عند ابن سعد (١/ ٤٣١) بإسنادٍ صحيح عن حُميدٍ عن أنس في أثناء حديث، قال: ولم يَبلُغ ما في لحيَته من الشَّيب عشرينَ شَعرة. قال حُميدٌ[2]: وأومأ إلى عَنفَقَته سبعَ عشرة.

وقد روى ابن سعد أيضاً (١/ ٤٣١-٤٣٢) بإسنادٍ صحيح عن ثابت عن أنس، قال: ما كان في رأس النبي ﷺ ولحيته إلّا سبعَ عشرة، أو ثمانيَ عشرة.

ولابن أبي خَيْثمةَ من حديث حُميدٍ عن أنس: لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرونَ شَعرة بيضاء. قال حُميدٌ: كُنَّ سبع عشرة.

---

(١) في «الدلائل» ١/ ٢٣٩.

(٢) هذا أخذه حميد عن يحيى بن سعيد الأنصاري، كما رواه عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٦٢٣.

وفي «مُسنَد عبد بن حُميدٍ» (١٢٤٣) من طريق حمَّاد[١] عن ثابت عن أنس: ما عَدَدت في رأسه ولحيَته إلّا أربع عشرة شَعرة.

وعند ابن ماجَهْ (٣٦٢٩) من وجه آخر عن أنس: إلّا سبع عشرة، أو عشرينَ شَعرة.

وروى الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٦٠٧) من طريق عبد الله بن محمَّد بن عَقيل عن أنس قال: لو عَدَدتُ ما أقبَلَ عليَّ من شَيبه في رأسه ولحيَته، ما كنت أَزيدُهُنَّ على إحدى عشرة شَيْبة. وفي حديث الهَيثَم بن دَهْر[٢]: ثلاثونَ عَدَداً.

قوله: «قال ربيعة» هو موصول بالإسناد المذكور.

قوله: «فرأيت شَعراً من شَعره، فإذا هو أحمر، فسألتُ، فقيل: احمرَّ من الطِّيب» لم أعرف المسؤولَ المجيبَ بذلك، إلّا أنَّ في رواية ابن عَقيل المذكورة من قبلُ: أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لأنسٍ: هل خَضَبَ النبي ﷺ؟ فإنّي رأيت شَعراً من شَعره قد لُوِّنَ، فقال: إنَّما هذا الذي لوِّنَ من الطِّيب الذي كان يُطَيَّب به شَعرُ رسول الله ﷺ، فهو الذي غَيَّرَ لَونَه، فيَحتَمِل أن يكون ربيعة سأل أنساً عن ذلك، فأجابَه.

ووقَعَ في «رجال مالك» للدّارَقُطني، وهو في «غرائب مالك» له عن أبي هريرة قال: لمَّا ماتَ النبي ﷺ خَضَبَ مَن كان عنده شيءٌ من شَعره، ليكونَ أبقى لها.

قلت: فإن ثَبَتَ هذا استَقامَ إنكار أنس، ويَقبلُ ما أثبتَه سواهُ التَّأويلَ، وستأتي الإشارة إلى شيء من ذلك في كتاب اللِّباس (٥٩٠٠) إن شاء الله تعالى.

---

(١) كذا ذكر الحافظُ حماداً في هذه الرواية، وهو خطأ منه رحمه الله، وصوابه «معمر» كما جاء في «مسند عبد بن حميد» موافقاً لما جاء في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠١٨٥)، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد (١٢٦٩٠)، والترمذي في «الشمائل» (٣٧) وغيرهما، كلهم رووه عن عبد الرزاق عن معمر. ومنشأ هذا الخطأ أن عبد بن حميد روى أيضاً (١٣٦٢) من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس، قال: لم ير النبي ﷺ من الشيب ما يخضب، ولو شئت أن أعد شمطات كن في لحيته، فذهب وهم الحافظ إلى هذه الرواية، والله أعلم.

(٢) تحرف في الأصلين و(س) إلى: زهير، وقد أخرجه ابن سعد ١/ ٤٣٤، ومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٥٨٤) في ترجمة الهيثم بن دهر، وترجم له الحافظ في «الإصابة» ٦/ ٥٦٥.

٣٥٤٩- حدَّثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ أبو عبدِ الله، حدَّثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ، عن أبيه، عن أبي إسحاقَ، قال: سمعتُ البراءَ، يقول: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهاً، وأحسنَه خَلْقاً، ليس بالطَّوِيلِ البائنِ، ولا بالقَصِيرِ.

الحديث السادس: حديث البراء.

قوله: «حدَّثنا إبراهيم بن يوسُف» أي: ابن إسحاق بن أبي إسحاق السَّبيعي.

قوله: «وأحْسَنه خَلْقاً» بفتح المعجَمة للأكثر، وضَبَطَه ابن التِّين: بضمِّ أوَّله، واستَشهَدَ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، ووقَعَ في رواية الإسماعيلي بالشكِّ: وأحسنه خَلْقاً أو خُلُقاً، ويُؤيِّده قوله قبله: أحسن الناس وجهاً، فإنَّ فيه إشارةً إلى الحُسن الحِسّي، فيكون في الثّاني إشارة إلى الحُسن المعنَوي.

وقد وقَعَ في حديث أنس الذي يَتعلَّق بفَرَسِ أبي طلحة الذي قال فيه: «إنْ وجَدناه لَبَحْراً»، وهو عنده[1] في مواضع (٢٦٢٧)، منها: أنَّ في أوَّله في باب الشَّجاعة في الحرب (٢٨٢٠): كان أحسن الناس، وأشجَع الناس، وأجوَد الناس، فجَمَعَ صفات القوى الثلاث: العقلية والغضبية والشَّهْوية، فالشَّجاعة تَدُلّ على الغضبية، والجود يدلّ على الشهْوية، والحُسن تابع لاعتدال المِزاج المستَتبع لِصَفاءِ النَّفس الذي به جَودة القَريحة الدّالّ على العقل، فوُصِفَ بالأحسنيّة في الجميع.

ومضى في الجهاد (٢٨٢١)، والخُمس (٣١٤٨) حديث جُبَير بن مُطعِم: أنَّه ﷺ قال: «ثمَّ لا تَجِدوني بخيلاً، ولا كَذُوباً، ولا جَباناً»، فأشارَ بعَدَمِ الجُبن إلى كمال القوَّة الغضبية، وهي الشَّجاعة، وبعَدَمِ الكذب إلى كمال القوَّة العقلية، وهي الحكمة، وبعَدَمِ البخل إلى كمال القوَّة الشَّهوانية، وهو الجود.

قوله: «ليس بالطَّويلِ البائن، ولا بالقصير» تقدَّم في حديث ربيعة عن أنس (٣٥٤٧): أنَّه كان رَبْعة، ووَقَعَ في حديث عائشة عند ابن أبي خَيْثمةَ[2]: لم يكن أحد يُماشيه من الناس

---

(١) يعني عند البخاري.

(٢) وهو أيضاً عند أبي نعيم في «الدلائل» (٥٦٦)، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٢٩٨.

يُنسَب إلى الطّول إلّا طالَه رسولُ الله ﷺ، ولَرُبَّما اكتَنَفَه الرجلان الطَّويلان فيَطُولُهما، فإذا فارَقاه نُسِبا إلى الطّول، ونُسِبَ رسول الله ﷺ إلى الرَّبْعة.

وقوله: «البائن» بالموحَّدة: اسم فاعل من بانَ، أي: ظَهَرَ على غيره، أو فارَقَ مَن سواهُ.

٣٥٥٠- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا همَّامٌ، عن قَتادةَ، قال: سألتُ أنساً: هل خَضَبَ النبيُّ ﷺ؟ قال: لا، إنَّما كان شيءٌ في صُدْغَيه.

[طرفاه في: ٥٨٩٤، ٥٨٩٥]

الحديث السابع: حديث قَتَادة: سألت أنساً: هل/ خَضَبَ النبي ﷺ؟ قال: إنَّما كان شيءٌ في صُدْغَيه. ٦/ ٥٧٢

الصُّدغ، بضمِّ المهمَلة وإسكان الدّال بعدها مُعجَمة: ما بين الأُذُن والعين، ويقال ذلك أيضاً للشَّعرِ المتدَلّي من الرَّأس في ذلك المكان، وهذا مُغايِر للحديث السابق: أنَّ الشَّعر الأبيض كان في عَنْفَقَته، ووجه الجمع: ما وقَعَ عند مسلم (٢٣٤١/ ١٠٤) من طريق سعيد[1] عن قَتَادة عن أنس، قال: لم يَخضِبْ رسولُ الله، وإنَّما كان البياض في عَنْفَقَته، وفي الصُّدغَينِ، وفي الرَّأس نَبْذٌ. أي: مُتفرِّق، وعُرِفَ من مجموع ذلك: أنَّ الذي شابَ من عَنفَقَته أكثر ممَّا شابَ من غيرها، ومُراد أنس: أنَّه لم يكن في شَعره ما يَحتاج إلى الخِضاب، وقد صَرَّحَ بذلك في رواية محمَّد بن سِيرِين (٢٣٤١/ ١٠١) قال: سألت أنس بن مالك: أكان رسول الله ﷺ خَضَبَ؟ قال: لم يَبلُغ الخِضاب، ولمسلمٍ (٢٣٤١/ ١٠٣) من طريق حمَّاد عن ثابت عن أنس: لو شئت أن أعُدّ شَمَطاتٍ كُنَّ في رأسه، لَفَعَلت، زاد ابن سعد (١/ ٤٣١)، والحاكم (٢/ ٦٠٨)[2]: ما شانَهُ بالشَّيب، ولمسلمٍ (٢٣٤٤) من حديث جابر بن

---

(١) كذا قال الحافظ: من طريق سعيد عن قتادة، وهو خطأ منه رحمه الله تعالى، تبعه فيه العيني في «العمدة» ١٦/ ١٠٧، وإنما هو في مسلم من رواية المثنى بن سعيد الضبعي، ويؤكده رواية صاحب مسلم أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ لهذا الحديث عن البيهقي في «السنن الكبرى» ٧/ ٣١٠ عن شيخ مسلم نفسه، من طريق المثنى بن سعيد.

(٢) فات الحافظ رحمه الله أن يخرجه من أحمد ومسلم، وهو في «مسند أحمد» برقم (١٣٦٦٢)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٣٤١) (١٠٥) بهذه الزيادة، لكن قال مسلم في روايته: ما شانه الله ببيضاء.

سَمُرة: فقد شَمِطَ مُقدَّم رأسه ولحيته، وكان إذا ادَّهَنَ لم يَتَبيَّن، فإذا لم يَدَّهِن، تَبيَّن.

وأمَّا ما رواه الحاكم، وأصحاب السُّنَن من حديث أبي رِمثة، قال: أتيت النبي ﷺ وعليه بُردان أخضَران، وله شَعر قد عَلاه الشَّيب، وشَيبه أحمرُ مَخضوب بالحِنّاء [١]، فهو موافق لقولِ ابن عمر: رأيت رسول الله ﷺ يَخضِبُ بالصُّفرة، وقد تقدَّم في الحجّ [٢] وغيره.

والجمع بينه وبين حديث أنس: أن يُحمَل نفي أنس على غَلَبة الشَّيب حتَّى يَحتاج إلى خِضابه، ولم يَتَّفِق أنَّه رآه وهو مُخَضَّب، ويُحمَل حديث مَن أثبتَ الخِضاب على أنَّه فعلَه لإرادة بيان الجواز، ولم يواظِب عليه.

وأمَّا ما تقدَّم عن أنس [٣]، وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٨) من حديث عائشة قالت: ما شانَه الله ببيضاء، فمحمول على أنَّ تلكَ الشَّعَرات البيض لم يَتغيَّر بها شيء من حُسنه ﷺ، وقد أنكَرَ أحمد إنكار أنس أنَّه خَضَبَ، وذكر حديث ابن عمر: أنَّه رأى النبي ﷺ يَخضِبُ بالصُّفرة، وهو في «الصَّحيح»، ووافَقَ مالكٌ أنساً في إنكار الخِضاب، وتأوَّلَ ما وَرَدَ في ذلك.

٣٥٥١- حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن أبي إسحاقَ، عن البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ الله عنهما، قال: كان النبيُّ ﷺ مَرْبوعاً، بَعِيدَ ما بينَ المَنْكِبَينِ، له شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِه، رأيتُه في حُلّةٍ حَمْراءَ، لم أرَ شيئاً قَطُّ أحسنَ مِنْه.

وقال يوسفُ بنُ أبي إسحاقَ، عن أبيه [٤]: إلى مَنْكِبَيه.

[طرفاه في: ٥٨٤٨، ٥٩٠١]

الحديث الثامن: حديث البراء.

قوله: «بعيدَ ما بين المَنكِبَين» أي: عَريضَ أعلى الظَّهر، ووقَعَ في حديث أبي هريرة عند

---

(١) هذا لفظ رواية الحاكم ٢/ ٦٠٧، وأخرجه أبو داود (٤٢٠٦) و(٤٢٠٨)، والترمذي (٢٨١٢)، والنسائي (٥٠٨٣) بذكر الخضاب بالحناء فقط.

(٢) بل مضى في الوضوء برقم (١٦٦)، وسيأتي في اللباس برقم (٥٨٥١).

(٣) يعني عند ابن سعد ١/ ٤٣١، وأحمد (١٣٦٦٢)، والحاكم ٢/ ٦٠٨.

(٤) يعني عن جده أبي إسحاق، فأطلق على الجد اسمَ الأب، وهو سائغ في لغة العرب.

ابن سعد (١/ ٤١٥): رَحْبُ الصَّدر[1].

قوله: «له شَعر يَبْلُغ شَحْمة أُذُنه» في رواية الكُشْمِيهني: «أُذنَيه» بالتَّثنية، وفي رواية الإسماعيلي: تكاد جُمَّته تُصيبُ شَحمةَ أُذنَيه.

قوله: «وقال يوسف بن أبي إسحاق» هو يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق، نَسَبَه إلى جَدّه.

قوله: «إلى مَنكِبَيه» أي: زاد في روايته عن جَدّه أبي إسحاق عن البراء في هذا الحديث: له شَعر يَبلُغ شَحمة أُذنَيه إلى مَنكِبَيه، وطريق يوسف هذه أورَدَها المصنِّف (٣٥٤٩) قبل هذا بحديثٍ، لكنَّه اختَصَرَها[2].

قال ابن التِّين تَبَعاً للدّاوودي: قوله: يَبلُغ شَحمة أُذنَيه، مُغايِر لقوله: إلى مَنكِبَيه، وأُجيبَ: بأنَّ المراد أنَّ مُعظَم شَعره كان عند شَحمة أُذُنه، وما استَرسَلَ منه مُتَّصِلٌ إلى المنكِب، أو يُحمَل على حالتَين، وقد وقَعَ نَظِير ذلك في حديث أنس عند مسلم[3] (٢٣٣٨/ ٩٤) من رواية قَتَادة عنه: أنَّ شَعره كان بين أُذنَيه وعاتقه، وفي حديث حُميدٍ (٢٣٣٨/ ٩٦) عنه: إلى أنصاف أُذنَيه، ومِثله عند التِّرمذي[4] من رواية ثابت عنه، وعند ابن سعد (١/ ٤٢٨) من رواية حمَّاد عن ثابت عنه: لا يُجاوِز شَعرُه أُذنَيه، وهو محمول على ما قَدَّمتُه، أو على أحوال مُتَغايِرة.

وروى أبو داود[5] (٤١٨٧) من طريق هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة قالت: كان

---

(١) لكن في إسناده متروك، ولو ذكر حديث أبي هريرة الذي عند أحمد برقم (٨٣٥٢) بإسناد حسن لكان أحسن، ولفظه في هذا الحرف كلفظ البراء بالحرف.

(٢) وقد رواه كذلك سفيان الثوري عن أبي إسحاق بلفظ: له شعر يضرب منكبيه، عند أحمد (١٨٥٥٨)، وأبي داود (٤١٨٣)، وغيرهما.

(٣) وهو في «صحيح البخاري» أيضاً برقم (٥٩٠٥)، وقد غَفَلَ عنه الحافظُ رحمه الله.

(٤) في «الشمائل» (٢٨).

(٥) وهو أيضاً في «مسند أحمد» (٢٤٧٦٨)، و«سنن ابن ماجه» (٣٦٣٥)، والترمذي (١٧٥٥)، إلا أنه وقع عند الترمذي فوق الجمة ودون الوفرة. وقد غفل الحافظ رحمه الله عن عزوه إليهم هنا مع أنه استوفاه عند شرح حديث أنس الآتي برقم (٥٩٠٣).

شَعر رسول الله ﷺ فوق الوَفرة، ودون الجمَّة، وفي حديث هِند بن أبي هالة في صفة رسول الله ﷺ عند التِّرمذي[١] وغيره: فلا يُجاوِز شَعرُه شَحمةَ أُذنَيه إذا هو وَفَّرَه، أي: جعله وَفْرةً، فهذا القَيد يُؤيِّد الجمع المتقدِّم.

وروى أبو داود (٤١٩١) والتِّرمذي (١٧٨١) من حديث أمّ هانئ قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ وله أربع غَدائرَ[٢]، ورجاله ثِقات.

٣٥٥٢- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا زُهَيرٌ، عن أبي إسحاقَ، قال: سُئِلَ البراءُ: أكان وَجْه النبيِّ ﷺ مِثلَ السَّيفِ؟ قال: لا، بل مِثلَ القمر.

الحديث التاسع: حديث البراء أيضاً:

قوله: «حدَّثنا زُهَير» هو ابن معاوية، و**«أبو إسحاق»** هو السَّبيعي.

قوله: «سُئِلَ البراء» في رواية الإسماعيلي من طريق أحمد بن يونس عن زُهَير: حدَّثنا أبو إسحاق عن البراء، قال له رجل.

٥٧٣/٦ **قوله: «مِثْل السَّيف؟ قال: لا، بل مِثْل القمر»** كأنَّ السائل أراد أنَّه مِثل السَّيف في الطّول، فرَدَّ عليه البراء فقال: بَل مِثل القمر. أي: في التَّدوير، ويحتمل أن يكون أراد مِثل السَّيف في اللَّمَعان والصِّقال؟ فقال: بل فوق ذلك، وعَدَلَ إلى القمر، لجمعِه الصِّفَتَين من التَّدوير واللَّمَعان.

ووقَعَ في رواية زُهَير المذكورة: أكان وجه رسول الله ﷺ حديداً مِثل السَّيف؟ وهو يُؤيِّد الأوَّل.

وقد أخرج مسلم (٢٣٤٤/ ١٠٩) من حديث جابر بن سَمُرة: أنَّ رجلاً قال له: أكان وجه رسول الله ﷺ مِثل السَّيف؟ قال: لا، بل مِثل الشمس والقمر مُستَديراً. وإنَّما قال: مُستَديراً للتَّنبيه على أنَّه جَمَعَ الصِّفَتين، لأنَّ قوله: مِثل السَّيف، يحتمل أن يريد به الطّولَ

---

(١) في «الشمائل» (٧).

(٢) وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٣٦٣١).

واللَّمَعانَ، فرَدَّه المسؤول رَدّاً بَليغاً، ولمَّا جَرَى التَّعارُف في أنَّ التَّشبيه بالشمس إنَّما يُراد به غالباً الإشراقُ، والتَّشبيه بالقمرِ إنَّما يُراد به الملاحةُ دون غيرهما، أتى بقوله: وكان مُستَديراً، إشارة إلى أنَّه أراد التَّشبيه بالصِّفَتين معاً: الحُسْن والاستدارة.

ولأحمد (٨٦٠٤)، وابن سعد (١/ ٤١٥)، وابن حِبّان (٦٣٠٩)، عن أبي هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأنَّ الشمس تجري في جَبْهته.

قال الطِّيبي: شَبَّهَ جَرَيانَ الشمس في فَلَكِها بجَرَيان الحُسن في وجهه ﷺ، وفيه عَكْس التَّشبيه للمُبالَغة، قال: ويحتمل أن يكون من باب تَناهي التَّشبيه، جعل وجهه مَقَرّاً ومكاناً للشمس.

وروى يعقوب بن سفيان في «تاريخه»[1] من طريق يونس بن أبي يَعفُور عن أبي إسحاق السَّبيعي عن امرأة من هَمْدانَ، قالت: حَجَجتُ مع رسول الله ﷺ، فقلت لها: شَبِّهيه، قالت: كالقمرِ ليلة البدر، لم أرَ قبله ولا بعده مِثله.

وفي حديث الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ: لو رأيتَهُ، لَرأيت الشمسَ طالعةً. أخرجه الطبراني (٢٤/ ٦٩٦) والدَّارِمي (٦٠).

وفي حديث يزيد الفارسيّ[2] المتقدِّم قريباً، عن ابن عبَّاس: جميل دَوائر الوجه، قد مَلأت لحيَته من هذه إلى هذه، حتَّى كادَت تَملأُ نَحرَه[3].

وروى الذُّهْلي في «الزُّهْريات» من حديث أبي هريرة في صِفَته ﷺ: كان أَسِيلَ الخَدَّينِ، شديدَ سواد الشَّعر، أكحَلَ العينَينِ، أهدَب الأشفار، الحديث[4]. وكأنَّ قوله: أَسِيل الخدَّين[5]، هو الحامل على مَن سأل: أكان وجهه مِثل السَّيف؟

---

(١) لم نقف عليه فيما طبع من «تاريخه»، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» ١/ ١٩٩.

(٢) تحرف في (س) إلى: الرقاشي.

(٣) أخرجه أحمد (٣٤١٠) وإسناده ضعيف.

(٤) وهو منقطع إذ قال فيه الزهري: سئل أبو هريرة، وقد ساق إسناده ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ٤٠٩.

(٥) فسره ابن الأثير بقوله: الأسالة في الخد: الاستطالة وأن لا يكون مرتفع الوَجْنة.

ووقَعَ في حديث عليّ عند أبي عُبيد في «الغريب»: وكان في وجهه تَدوير. قال أبو عُبيد في شرحه: يريد أنَّه لم يكن في غاية التَّدوير، بل كان فيه سُهولة، وهي أحلى عند العرب.

٣٥٥٣- حدَّثنا الحسنُ بنُ منصورٍ، حدَّثنا حَجّاجُ بنُ محمَّدٍ الأعوَرُ بالمِصِّيصَةِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن الحَكَم، قال: سمعتُ أبا جُحَيفةَ، قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ بالهاجِرةِ إلى البَطْحاءِ، فتوضَّأ، ثمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَينِ، والعَصْرَ رَكْعَتَينِ، وبينَ يَدَيه عَنَزةٌ.

قال شُعْبةُ: وزادَ فيه عَوْنٌ، عن أبيه أبي جُحَيفةَ، قال: كان يَمُرُّ من ورائها المرأةُ، وقامَ الناسُ فجَعَلوا يأخُذُونَ يَدَيه فيَمْسَحونَ بها وجُوهَهم، قال: فأخَذْتُ بيَدِه فوَضَعْتُها على وجهي، فإذا هي أبرَدُ مِن الثَّلْجِ، وأطْيَبُ رائحةً مِن المِسْك.

الحديث العاشر: قوله: «**حدَّثنا الحسن بن منصور**» هو أبو عليّ البغدادي الشَّطَوي - بفتح المعجَمة ثمَّ المهمَلة - لم يُخرِّج عنه البخاري سوى هذا الموضع.

قوله: «**قال شُعْبة**» هو مُتَّصِل بالإسناد المذكور.

قوله: «**وزادَ فيه عَوْن، عن أبيه أبي جُحَيفَةَ**» سيأتي هذا الحديث بزيادَتِه من وجه آخر في آخر الباب (٣٥٦٦)، وقد تقدَّم ما يَتعلَّق بذلك في أوائل الصلاة (١٨٧).

قوله: «**فإذا هي أبرَدُ من الثَّلْج، وأطْيَبُ رائحةً من المِسْك**» وقَعَ مِثله في حديث جابر بن يزيد بن الأسوَد عن أبيه عند الطبراني[١] (٢٢/ ٦١٨ و٦١٩) بإسنادٍ قوي.

وفي حديث جابر بن سَمُرة عند مسلم (٢٣٢٩/ ٨٠) في أثناء حديث قال: فمَسَحَ صَدري، فوَجَدت لِيدِه بَرداً - أو ريحاً - كأنَّما أخرجها من جؤنة عَطّار.

وفي حديث وائل بن حُجرٍ عند الطبراني (٢٢/ ٦٨) والبيهقي[٢]: لقد كنت أُصافح رسول الله ﷺ - أو يَمَسّ جِلْدي جِلْدَه - فأتعَرَّفُه بعدُ في يَدي، وإنَّه لَأطيَب رائحةً من المِسك.

(١) فات الحافظ رحمه الله أن يخرجه من «مسند أحمد»، وهو فيه برقم (١٧٤٧٨) وهو أيضاً في «صحيح ابن خزيمة» برقم (١٦٣٨).

(٢) رواية البيهقي في «الدلائل» ١/ ٢٥٧، بنحو رواية أحمد الآتية.

وفي حديثه عند أحمد (١٨٨٣٨): أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بدَلوٍ من ماء، فشَرِبَ منه، ثمَّ مَجَّ في الدَّلو، ثمَّ في البئر، ففاحَ منها مِثل ريح المِسك.

وروى مسلم (٢٣٣١/ ٨٣) حديث أنس في جمع أمّ سُلَيم عَرَقه ﷺ، وجَعلها إياه في الطّيب، وفي بعض طرقه: وهو أطيَب الطِّيب.

وأخرج أبو يَعْلى (٦٢٩٥) والطبراني[1] من حديث أبي هريرة في قصَّة الذي استعَانَ به ﷺ على تجهيز ابنَته، فلم يكن عنده شيء، فاستَدعى بقارورةٍ، فسَلَت له فيها من عَرَقه، وقال له: «مُرها فلتَطَيَّب به» فكانت إذا تَطَيَّبَت به شَمَّ أهل المدينة رائحة ذلك الطِّيب، فسُمّوا بيت المطَيَّبينَ.

٥٧٤/٦ وروى أبو يَعْلى/ (٣١٢٥) والبزَّار (٧١١٨) بإسنادٍ صحيح[2] عن أنس: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة، وُجِدَ منه رائحة المِسك، فيقال: مرَّ رسول الله ﷺ.

٣٥٥٤- حدَّثنا عَبْدانُ، أخبرنا عبدُ الله، أخبرنا يونُسُ، عن الزُّهْريِّ، قال: حدَّثني عُبيدُ الله بنُ عبدِ الله، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: كان النبيُّ ﷺ أجْوَدَ الناسِ، وأجْوَدُ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يَلْقاه جِبْريلُ، وكان جِبْريلُ عليه السلام يَلْقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ، فيُدارِسُه القرآنَ، فلَرَسولُ الله ﷺ أجْوَدُ بالخيرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلة.

٣٥٥٥- حدَّثنا يحيى بنُ موسى، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، حدَّثنا ابنُ جُرَيج، قال: أخبرني ابنُ شِهابٍ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ عليها مَسْرُوراً تَبْرُقُ أساريرُ وجهِه، فقال: «ألم تَسْمَعي ما قال المُدْلِجِيُّ لِزيدٍ وأُسامةَ، ورَأى أقدامَهما؟ إنَّ بعضَ هذه الأقدامِ مِن بعضٍ».

[أطرافه في: ٣٧٣١، ٦٧٧٠، ٦٧٧١]

٣٥٥٦- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُقَيل، عن ابنِ شِهابٍ، عن عبدِ الرحمن

---

(١) في «المعجم الأوسط» (٢٨٩٥).

(٢) بل إسناده ضعيف جدّاً، فيه عمر بن سعيد الأبح، وهو متروك الحديث.

ابنِ عبدِ الله بنِ كَعْبٍ، أنَّ عبدَ الله بنَ كَعْبٍ، قال: سمعتُ كَعْبَ بنَ مالكٍ يُحدِّثُ حينَ تَخلَّفَ عن تَبُوكَ، قال: فَلَمّا سَلَّمْتُ على رسولِ الله ﷺ وهو يَبْرُقُ وجهُه مِن السُّرورِ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استَنارَ وجهُه، حتَّى كأنَّه قِطْعةُ قَمَرٍ، وكنَّا نَعْرِفُ ذلك مِنْه.

٣٥٥٧- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمن، عن عَمرٍو، عن سعيدٍ المقبُريِّ، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ من خيرِ قُرونِ بني آدمَ قَرْناً فَقَرْناً، حتَّى كنتُ مِن القَرْنِ الذي كنتُ مِنْه».

الحديث الحادي عشر: حديث ابن عبَّاس: كان النبي ﷺ أجوَد الناس. تقدَّم شرحه مُستَوفًى في كتاب الصّيام (١٩٠٢)، والغرض منه وصفه عليه الصلاة والسَّلام بالجود.

الحديث الثاني عشر: حديث عائشة في قصَّة القائف، وسيأتي شرحه في كتاب الفرائض (٦٧٧٠) إن شاء الله تعالى.

والغرض منه هنا قولها: تَبرُق أسارير وجهه. والأسارير: جمع أسرار، وهي جمع سِرٍّ، وهي الخُطوط التي تكون في الجَبهَة.

الحديث الثالث عشر: حديث كعب بن مالك، وهو طَرَف من قصَّة تَوبَتِه، وسيأتي بطولِه في المغازي (٤٤١٨) مُستَوفًى شرحُه إن شاء الله تعالى.

قوله: «استَنارَ وَجْهه حتّى كأنَّه قِطْعةُ قَمَرٍ» أي: الموضع الذي يتبين فيه السُّرورُ، وهو جَبينه، فلذلك قال: قِطعة قَمَر، ولعلَّه كان حينئذٍ مُلَثَّماً، ويحتمل أن يكون يريد بقوله: قِطعةُ قَمَر: القمرَ نفسَه.

ووقَعَ في حديث جُبَير بن مُطعِم عند الطبراني (١٥٧٥): التَفَتَ إلينا النبي ﷺ بوجهه مِثل شَقَّةِ القمر، فهذا محمول على صِفَته عند الالتِفات.

وقد أخرج الطبراني (١٩/ ١٣٦) حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها: كأنَّه دارَةُ قَمَر.

الحديث الرابع عشر: حديث أبي هريرة.

قوله: «عن عَمْرو» هو ابن أبي عَمْرو مولى المطَّلِب، واسم أبي عَمْرو مَيسَرة.

قوله: «بُعِثْت من خير قُرون بني آدم قَرْناً فقَرْناً» القَرن: الطَّبقة من الناس المجتَمِعينَ في عَصرٍ واحدٍ، ومنهم مَن حَدَّه بمئة سنة، وقيل: بسبعينَ، وقيل: بغير ذلك. فحَكَى الحَرْبي الاختلاف فيه من عشرة إلى مئة وعشرينَ، ثمَّ تَعقَّبَ الجميعَ، وقال: الذي أراه أنَّ القَرنَ كلُّ أمَّة هَلَكَت حتَّى لم يَبقَ منها أحدٌ.

وقوله: «قَرْناً» بالنَّصْبِ، حالٌ للتَّفْضيل.

قوله: «حتَّى كنتُ مِن القَرْن الذي كنتُ منه» في رواية الإسماعيلي: «حتَّى بُعِثت من القَرْن الذي كنت فيه».

وسيأتي في أوَّل مناقب الصَّحابة حديثُ عِمران بن حُصَينٍ (٣٦٥٠): «خير الناس قَرني»، والكلامُ عليه مُستَوفًى إن شاء الله تعالى.

٣٥٥٨- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن يونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، قال: أخبرني عُبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ عُتبةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَسْدِلُ شَعَرَه، وكان المشْرِكونَ يَفرُقُونَ رؤوسَهم، وكان أهلُ الكتاب يَسْدِلونَ رؤوسَهم، وكان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ مُوافَقةَ أهلِ الكِتاب فيما لم يُؤْمَر فيه بشيءٍ، ثمَّ فَرَقَ رسولُ الله ﷺ رأسَه.

[طرفاه في: ٣٩٤٤، ٥٩١٧]

الحديث الخامس عشر: حديث ابن عبَّاس.

قوله: «عن ابن شِهاب أخبَرَني عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة» هذا هو المشهور عن ابن شِهاب، وعنه فيه إسناد آخر أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٦-٦٠٧) من طريق مالك عن زياد بن سعد عنه عن أنس: سَدَلَ رسولُ الله ﷺ ناصيته ما شاءَ الله، ثمَّ فرَقَ بعدُ، وأخرجه أيضاً أحمد (١٣٢٥٤)، وقال: تفرَّد به حمَّاد بن خالد عن مالك وأخطأ فيه، والصَّواب: عن عُبيد الله ابن عبد الله.

وقال ابن عبد البَرّ: الصَّواب عن مالك فيه: عن الزُّهْري مُرسلاً، كما في «الموطَّأ».

قوله: «يَسْدِل شَعره» بفتح أوَّله وسكون المهمَلة وكسر الدّال، ويجوز ضَمّها، أي: يَترُك شَعر ناصيته على جَبهَته.

قال النَّوَوي: قال العلماء: المراد إرساله على الجَبين، واتِّخاذه كالقُصَّة. أي: بضمِّ القاف بعدها مُهمَلة.

قوله: «ثمَّ فَرَقَ بعدُ[1]» بفتح الفاء والرّاء، أي: ألقى شَعر رأسه إلى جانبَي رأسه، فلم يَترُك منه شيئاً على جَبهَته.

و«يَفرُقونَ» بضمِّ الرّاء وبكسرها.

وقد روى ابن إسحاق عن محمَّد بن جعفر عن عُروة عن عائشة قالت: أنا فرَقتُ لرسولِ الله ﷺ رأسه ـ أي: شَعر رأسه ـ عن يافوخه، ومن طريقه أخرجه أبو داود (٤١٨٩).

وفي حديث هِند بن أبي هالة في صفة النبي ﷺ[2] أنَّه: إن انفرَقَتْ عَقيقَته ـ أي: شَعر رأسه الذي على ناصيته ـ فرَقَ، وإلّا فلا يُجاوِز شَعَرُه شَحمة أُذُنه. قال ابن قُتَيبة في «غريبه»: العَقيقة: شَعر رأس الصَّبي قبل أن يُحلَق، وقد يُطلَق عليه بعد الحَلْق مجازاً، وقوله: كان لا يَفرُق شَعره إلّا إذا انفرَقَ، محمول على ما كان أوَّلاً لمَا بيَّنه حديثُ ابن عبَّاس.

قوله: «وكان يُحِبّ مُوافَقة أهل الكتاب» أي: حيثُ كان عُبّاد الأوثان كثيرينَ.

قوله: «فيما لم يُؤْمَر فيه بشيءٍ» أي: فيما لم يخالِف شرعَه، لأنَّ أهل الكتاب في زمانه كانوا مُتَمَسِّكينَ ببقايا من شَرائع الرُّسُل، فكانت موافقَتُهم أحَبَّ إليه من مُوافَقة عُبّاد الأوثان، فلمَّا أسلَمَ غالبُ عُبّاد الأوثان، أحَبَّ ﷺ حينئذٍ مُخالَفة أهل الكتاب.

واستُدِلَّ به على أنَّ شرْعَ مَن قبلنا شرعٌ لنا، ما لم يَجِئ في شرعنا ما يخالفُه. وتُعقِّبَ

---

(١) لفظة «بعد» لم ترد في هذه الرواية، ولكنها في الرواية الآتية برقم (٥٩١٧).

(٢) عند الترمذي في «الشمائل» (٧) وغيره.

بأنَّه/ عَبَّرَ بالمحبَّة، ولو كان كذلك لَعَبَّرَ بالوجوب، وعلى التَّسليم ففي نفس الحديث أنَّه ٥٧٥/٦ رَجَعَ عن ذلك آخِراً، والله أعلم.

٣٥٥٩- حدَّثنا عَبْدانُ، عن أبي حمزةَ، عن الأعمَشِ، عن أبي وائلٍ، عن مَسْروقٍ، عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما، قال: لم يكنِ النبيُّ ﷺ فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، وكان يقول: «إنَّ مِن خِيارِكم أحسنَكم أخلاقاً».

[أطرافه في: ٣٧٥٩، ٦٠٢٩، ٦٠٣٥]

الحديث السادس عشر: حديث عبد الله بن عَمْرو، أي: ابن العاص.

قوله: «عن أبي حمزة» هو السُّكَّري، والإسناد كلّه كوفيُّونَ سوى طَرَفَيه[1]، وقد دَخَلاها.

قوله: «عن عبد الله بن عَمْرو» أي: ابن العاص، في رواية مسلم (٢٣٢١) عن عثمان بن أبي شَيْبة عن جَرِير عن الأعمَش، بسندِه: دَخَلْنا على عبد الله بن عَمْرو حين قَدِمَ مع معاوية الكوفةَ، فذكر رسولَ الله ﷺ، فقال.

قوله: «فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً» أي: ناطقاً بالفُحشِ، وهو الزِّيادة على الحَدّ في الكلام السَّيِّئ، والمتفَحِّش: المتكلِّف لذلك، أي: لم يكن له الفُحش خُلُقاً ولا مُكتَسَباً.

ووقَعَ عند التِّرمذي (٢٠١٦) من طريق أبي عبد الله الجَدَلي قال: سألت عائشة عن خُلُق النبي ﷺ، فقالت: لم يكن فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، ولا سَخّاباً في الأسواق، ولا يَجزي بالسَّيِّئة السّيئةَ، ولكن يَعفو ويَصفَحُ.

وتقدَّمت هذه الزّيادة في حديث عبد الله بن عَمْرو (٢١٢٥) من وجه آخَرَ بأتَمَّ من هذا السّياق، ويأتي في تفسير سورة الفتح (٤٨٣٨).

وقد روى المصنِّف في الأدب (٦٠٣١) من حديث أنس: لم يكن رسول الله ﷺ سَبّاباً،

---

(١) وكذلك أبو حمزة السُّكَّري محمد بن ميمون، فهو مروزي لا كوفي.

ولا فَحّاشاً، ولا لَعّاناً، كان يقول لأحدِنا عند المعتِبة: «ما لَه تَرِبَت جَبينُه؟»

ولأحمد (١٢٣٦٧) من حديث أنس: أنَّ النبي ﷺ كان لا يُواجِه أحداً في وجهه بشيءٍ يَكرَهه.

ولأبي داود (٤٧٨٨) من حديث عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا بَلَغَه عن الرجل الشيءُ، لم يَقُل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون؟».

قوله: «وكان يقول» أي: النبيُّ ﷺ. ووقَعَ في رواية مسلم (٢٣٢١): قال: وقال رسول الله ﷺ.

قوله: «إنَّ من خياركم أحْسَنَكم أخلاقاً» في رواية مسلم (٢٣٢١): «أحاسِنَكم»، وحُسن الخلق: اختيار الفضائل، وتَرك الرَّذائل.

وقد أخرج أحمد (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة رَفَعَه: «إنَّما بُعِثت لأُتمِّمَ صالح الأخلاق».

وأخرجه البزَّار (٨٩٤٩) من هذا الوجه بلفظ: «مكارم» بدل: «صالح».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» (٦٥٨٠) بإسنادٍ حسن عن صَفيّة بنت حُيَيٍّ، قالت: ما رأيت أحداً أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ.

وعند مسلم من حديث عائشة: كان خُلُقه القرآن، يَغضَب لغضبِه ويَرضى لِرضاه[1].

٣٥٦٠- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسُفَ، أخبرنا مالكٌ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، عن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّها قالت: ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين إلّا أخَذَ أيسَرَهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعَدَ الناسِ منه، وما انتَقَمَ رسولُ الله ﷺ لِنفسِه، إلّا أن تُنتَهَكَ حُرْمةُ الله، فيَنتَقِمَ لِلّه بها.

[أطرافه في: ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣]

---

(١) هذا الذي ساقه الحافظ رحمه الله ليس لفظ رواية مسلم، وإنما هو لفظ رواية الطبراني في «الأوسط» برقم (٧٢). وأما مسلم فقد أخرج منه قولها: كان خلقه القرآن، ضمن حديث مطوّل برقم (٧٤٦).

الحديث السابع عشر: حديث عائشة.

قوله: «**بين أمرَين**» أي: من أُمور الدُّنيا، يدلّ عليه قوله: ما لم يكن إثماً، لأنَّ أُمور الدّين لا إثم فيها، وأبهَمَ فاعل خُيِّر، ليكونَ أعمّ من أن يكون من قِبَل الله، أو من قِبَل المخلوقِينَ.

وقوله: «**إلّا أخَذَ أيسَرَهما**» أي: أسهَلَهُما.

وقوله: «**ما لم يكن إثماً**» أي: ما لم يكن الأسهَلُ مُقتَضياً للإثمِ، فإنَّه حينئذٍ يَختار الأشدَّ.

وفي حديث أنس عند الطبراني في «الأوسط» (٩١٥٢): إلّا اختارَ أيسَرهما ما لم يكن لله فيه سُخْط.

ووقوع التَّخيير بين ما فيه إثمٌ وما لا إثم فيه من قِبَل المخلوقين واضح، وأمَّا من قِبَل الله، ففيه إشكال، لأنَّ التَّخيير إنَّما يكون بين جائزَينِ، لكن إذا حَمَلناه على ما يُفضِي إلى الإثم، أمكَنَ ذلك، بأن يُخيِّره بين أن يَفتَح عليه من كُنوز الأرض ما يُخشى من الاشتغال به أن لا يَتَفرَّغ للعبادة مثلاً، وبين أن لا يُؤتيه من الدُّنيا إلّا الكَفافَ، فيَختار الكَفاف، وإن كانتِ السَّعةُ أسهلَ منه، والإثم على هذا أمرٌ نِسبيٌّ لا يُراد منه معنى الخطيئة لثُبوتِ العِصْمة لَه.

قوله: «**وما انتَقَمَ لنفسِه**» أي: خاصَّةً، فلا يَرِدُ أمرُه بقتل عُقْبة بن أبي مُعَيط وعبد الله بن خَطَل[1] وغيرهما ممَّن كان يُؤذيه، لأنَّهم كانوا مع ذلك يَنتَهِكونَ حُرُمات الله، وقيل: أرادَت أنَّه لا يَنتَقِم إذا أوذي في غير السَّبَب الذي يُخرِج إلى الكفر، كما عَفا عن الأعرابي الذي جَفا في رفع صوته عليه[2]، وعن الآخر الذي جَبَذَ بِردائه حتَّى أثَّر في كَتِفه[3].

---

(١) أما قتل عقبة بن أبي معيط فثبت في حديث ابن مسعود عند أبي داود (٢٦٨٦) بإسناد صحيح، وأما قتل ابن خَطَل فثبت أنه ﷺ قال للصحابة: «اقتلوه»، وذلك فيما سلف عند البخاري برقم (١٨٤٦) من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٠٩٥)، والترمذي (٣٥٣٥) والنسائي في «الكبرى» (١١١١٤) من حديث صفوان بن عسّال.

(٣) سيأتي عند البخاري برقم (٥٨٠٩) من حديث أنس بن مالك.

وحَمَلَ الدّاووي عَدَم الانتِقام على ما يَختَصّ بالمال، قال: وأمّا العِرض فقد اقتَصَّ ممَّن نالَ منه[١]، قال: واقتَصَّ ممَّن لَدَّه في مرضه بعد نَهيه عن ذلك بأن أمر بلَدِّهم، مع أنّهم كانوا في ذلك تأوّلوا أنّه إنّما نَهاهم على عادة البشريّـة من/ كراهة النَّفس للدَّواءِ[٢]، كذا قال. ٥٧٦/٦

وقد أخرج الحاكم (٢/ ٦١٣-٦١٤) هذا الحديث من طريق مَعمَر[٣] عن الزُّهْري، بهذا الإسناد مُطوَّلاً، وأوَّله: ما لَعَنَ رسول الله ﷺ مسلماً بذِكْرٍ - أي: بصريح اسمه - ولا ضَرَبَ بيدِه شيئاً قَطُّ إلّا أن يَضرِب بها في سبيل الله، ولا سُئِلَ عن شيء قَطُّ فمَنَعَه إلّا أن يُسأل مأثَماً، ولا انتَقَمَ لنفسِه من شيء إلّا أن تُنتَهَك حُرُمات الله فيكون لله يَنتَقِم، الحديث. وهذا السّياق سوى صَدْر الحديث عند مسلم (٢٣٢٨/ ٧٩) من طريق هشام بن عُروة عن أبيه، به.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩١٥٢) من حديث أنس، وفيه: وما انتَقَمَ لنفسِه إلّا أن تُنتَهَك حُرمة الله، فإن انتُهِكَت حُرمة الله كان أشدَّ الناس غَضَباً لله.

وفي الحديث الحَثّ على تَرك الأخذ بالشيءِ العَسِر، والاقتِناع باليَسير، وتَرك الإلحاح فيما لا يُضطَرّ إليه.

ويُؤخَذ من ذلك النَّدب إلى الأخذ بالرُّخَصِ ما لم يَظهَر الخطأ، والحَثّ على العفو إلّا في حقوق الله تعالى، والنَّدبُ إلى الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَر، ومَحَلّ ذلك ما لم يُفضِ إلى ما هو أشدّ منه.

وفيه تَرك الحُكم للنَّفسِ، وإن كان الحاكم مُتمكِّناً من ذلك، بحيثُ يُؤمَن منه الحَيفُ على المحكوم عليه، لكن لِحَسْمِ المادَّة، والله أعلم.

---

(١) كإقامته حد القذف على من تكلم في أم المؤمنين عائشة المطهرة، كما في حديث روته عند أحمد (٢٤٠٦٦)، وأبي داود (٤٤٧٤)، وابن ماجه (٢٥٦٧)، والترمذي (٣١٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٣١١)، وهو حديث حسن.

(٢) سيأتي عند البخاري برقم (٤٤٥٨) من حديث عائشة.

(٣) وقُرن به أيوبُ والنعمانُ بنُ راشد.

٣٥٦١- حدَّثنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ، حدَّثنا حمَّادٌ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ ﷺ، قال: ما مَسِسْتُ حَرِيراً ولا دِيباجاً أَلْيَنَ من كَفِّ النبيِّ ﷺ، ولا شَمِمْتُ رِيحاً قَطُّ ـ أو عَرْفاً قَطُّ ـ أَطْيَبَ من رِيحِ ـ أو عَرْفِ ـ النبيِّ ﷺ.

الحديث الثامن عشر: حديث أنس: أخرجه من طريق حمَّاد بن زيد.

وأخرجه مسلم (٢٣٣٠/ ٨١) بمعناه من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عنه.

قوله: «ما مَسِسْتُ» بِمُهمَلتَين، الأولى مكسورة ويجوز فتحها، والثَّانية ساكنة. وكذا القول في ميم «شَمِمتُ».

قوله: «ولا ديباجاً» هو من عَطف الخاصّ على العامّ، لأنَّ الدّيباج نوعٌ من الحَرير، وهو بكسر المهمَلة، وحُكي فتحها، وقال أبو عُبيدة[1]: الفتح موَلَّد، أي: ليس بعربي.

قوله: «أَلْيَن من كَفِّ رسول الله ﷺ» قيل: هذا يخالف ما وَقَعَ في حديث أنس الآتي في كتاب اللِّباس (٥٩٠٦): أنَّه كان ضَخم اليدين، وفي رواية له (٥٩٠٧): والقَدَمَين، وفي رواية له (٥٩١٠): شَثْن القَدَمَين والكَفَّين، وفي حديث هِند بن أبي هالة الذي أخرجه التِّرمِذي[2] في صفة النبي ﷺ فإنَّ فيه: أنَّه كان شَثْن الكَفَّين والقَدَمَين، أي: غَليظهما في خُشونة، وهكذا وصَفَه عليّ من عِدَّة طرق عنه عند التِّرمِذي والحاكم وابن أبي خَيْثمة، وغيرهم، وكذا في صفة عائشة له عند ابن أبي خَيْثمةَ[3].

والجمع بينهما: أنَّ المراد اللّين في الجِلد، والغِلَظ في العِظام، فيَجتَمِع له نُعومة البَدَن وقوَّته، أو حيثُ وُصِفَ باللّين واللَّطافة حيثُ لا يعمل بهما شيئاً، كان بالنِّسبة إلى أصل

(١) كذا في الأصلين و(س): أبو عبيدة، وهو يوافق ما جاء في «المشارق» للقاضي عياض ١/ ٢٥٢، لكن جاء في «المخصص» لابن سِيدَهْ ٤/ ٧٦ نسبة هذا الكلام لأبي عبيد، وكذلك جاء في «لسان العرب»، و«تاج العروس» في مادة (دبج)، ولأبي عبيدة معمر بن المثنى كتابٌ اسمه «الديباج»، فالأظهر أنَّ هذا الكلام له، والله أعلم.

(٢) في «الشمائل» (٧).

(٣) انظر تخريج هذين الحديثين عند شرح الحديث (٣٥٤٧).

الخِلْقة، وحيثُ وُصِفَ بالغِلَظِ والخُشونة فهو بالنِّسبة إلى امتِهانهما بالعملِ، فإنَّه يَتَعاطى كثيراً من أُموره بنفسِه ﷺ، وسيأتي مَزيد لهذا في كتاب اللِّباس إن شاء الله تعالى[١].

وفي حديث معاذ عند الطبراني (٢٠/ ١٠٩) والبزّار: أردَفَني النبي ﷺ خَلفه في سَفَر، فما مَسِسْتُ شيئاً قَطّ أَلْيَنَ من جِلده ﷺ.

قوله: «أو عَرْفاً» بفتح المهمَلة وسكون الرّاء بعدها فاء، وهو شَكٌّ من الراوي، ويدلّ عليه قوله بعدُ: أطيَب من ريح ـ أو عَرف ـ. والعَرْف: الرّيح الطيِّب.

ووَقَعَ في بعض الرِّوايات: بفتح الرّاء والقاف، و«أو» على هذا للتَّنويعِ. والأوَّل هو المعروف، فقد تقدَّم في الصّيام (١٩٧٣) من طريق حُميدٍ عن أنس: مِسْكَةً ولا عَنْبَرَةً أطيَب رائحةً من ريح رسول الله ﷺ، وقوله: عَنبَرة، ضُبِطَ بوجهَين: أحدهما: بسكونِ النّون، بعدها موحَّدة، والآخر: بكسر الموحَّدة بعدها تحتانية، والأوَّل معروف، والثّاني طيب معمولٌ من أَخْلاط يجمعها الزَّعفَران، وقيل: هو الزَّعفَران نفسه.

ووقَعَ عند البيهقي[٢]: ولا شَمِمت مِسكاً ولا عَنبَراً ولا عَبِيراً. ذكرهما جميعاً، وقد تقدَّم شيء من هذا في الحديث العاشر.

وقوله: «من ريح ـ أو عَرْف ـ» بخفضِ «ريح» بغير تنوين، لأنَّه في حُكم المضاف، كقول الشّاعر:

بيـــن ذِراعَـــي وجَبهَـــةِ الأسَـــدِ[٣]

ووقَعَ في أوَّل الحديث عند مسلم (٢٣٣٠/ ٨٢): كان رسول الله ﷺ أزهَرَ اللَّون، كأنَّ

---

(١) عند شرح الحديث (٥٩١٠).

(٢) في «الدلائل» ١/ ٢٥٥ من عدة طرق عن ثابت، لكن ليس في شيء منها ذكر العبير مجموعاً مع العنبر، فالله أعلم.

(٣) هو شطر بيت قاله الفرزدق صدره:

يـــا مَـــن رأى عارِضـــاً أُسَـــرُّ بـــه

انظر «خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي ٢/ ٣١٩-٣٢٠.

عَرَقَه اللُّؤلُؤُ، إذا مَشى يَتَكَفَّأ، وما مَسِسْت... إلى آخره.

٣٥٦٢- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا يحيى، عن شُعْبَةَ، عن قَتادَةَ، عن عبدِ الله بنِ أبي عُتْبَةَ، عن أبي سعيدِ الخُدْريِّ ﷺ، قال: كان النبيُّ ﷺ أشَدَّ حياءً مِن العَذْراءِ في خِدْرِها.

حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا يحيى وابنُ مَهْدِيٍّ، قالا: حدَّثنا شُعْبة مِثلَهُ، وإذا كَرِهَ شيئاً عُرِفَ في وجهِه.

[طرفاه في: ٦١٠٢، ٦١١٩]

الحديث التاسع عشر: حديث أبي سعيد: أورَدَه من طريقَين.

قوله: «عن عبد الله بن أبي عُتْبة» بضمِّ المهمَلة وسكون المثنّاة بعدها/ موحَّدة، وهو مولى أنس، وهذا هو المحفوظ عن قَتادة. ٥٧٧/٦

وقد رواه الطبراني (١٨/ ٥٠٧) من وجه آخر عن شُعْبة[1] عن قَتادة، فقال: عن أبي السَّوّار العَدَوي عن عِمران بن حُصَينٍ، به.

قوله: «أشَدّ حياء من العَذْراء» أي: البِكر.

وقوله: «في خِدْرها» بكسر المعجَمة، أي: في سِترها، وهو من باب التَّتميم، لأنَّ العَذراء في الخَلْوة يَشتَدّ حياؤُها أكثر ممَّا تكون خارجةً عنه، لكَونِ الخَلْوة مَظِنَّة وقوع الفعل بها، فالظّاهر أنَّ المراد تقييده بها إذا دُخِلَ عليها في خِدرها، لا حيثُ تكون مُنفَرِدةً فيه، ومَحَلّ وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله، ولهذا قال للَّذي اعتَرَفَ بالزِّنى: «أنِكْتَها» لا يَكْني. كما سيأتي بيانه في الحدود (٦٨٢٤).

---

(١) كذ وقع في إسناد الطبراني: شعبة، والظاهر أنه تحرف عن سعيد، وهو ابن أبي عروبة، فإنَّ ابن عبد البر أخرجه من طريق محمد بن سَواء في «التمهيد» ١٧/ ٣٨٦ وقيده في روايته بقوله: سعيد بن أبي عروبة. وقال البزار بعد أن رواه من طريق قتادة عن أنس برقم (٧١٨٢): ورواه محمد بن سواء عن سعيد عن قتادة عن أبي السوار عن أبي سعيد. كذا قال: عن أبي سعيد. ونظنه سبق قلم، والذي حصل لابن سواء في هذا الحديث أنه دخل له هذا الحديث بحديث أبي السوار عن عمران الذي أخرجه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧) بلفظ «الحياء لا يأتي إلّا بخير»، والله أعلم.

وأخرج البزَّار (٧١٨٢) هذا الحديث من حديث أنس، وزاد في آخره: وكان يقول: «الحياء خيرٌ كلّه».

وأخرج (٤٩٤٥) من حديث ابن عبَّاس، قال: كان رسول الله ﷺ يَغتَسِل من وراء الحُجُرات، وما رأى أحدٌ عورَته قطّ. وإسناده حسن.

قوله: «**حدَّثنا محمَّد بن بشّار، حدَّثنا يحيى وابن مَهْدي، قالا: حدَّثنا شُعْبة، مِثْله**» يعني: سنداً ومَتناً.

وقد أخرجه الإسماعيلي من رواية أبي موسى محمَّد بن المثنَّى عن عبد الرحمن بن مَهدي بسندِه، وقال فيه: سمعت عبد الله بن أبي عُتبة يقول: سمعت أبا سعيد الخُدْري يقول.

وأخرجه ابن حِبّان (٦٣٠٧) من طريق أحمد بن سِنان القَطّان، قال: قلت لعبد الرحمن ابن مَهدي: يا أبا سعيد، أكان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العَذراء في خِدْرها؟ قال: نعم، عن مِثل هذا فَسَلْ، حدَّثنا[1] شُعْبة، فذكره بتمامه.

قوله: «**وإذا كَرِهَ شيئاً عُرِفَ في وَجْهه**» أي: أنَّ ابن بشّار زاد هذا على رواية مُسدَّد، وهذا يحتمل أن يكون في رواية عبد الرحمن بن مَهدي وحدَه، ويُحتمل أن يكون في رواية يحيى أيضاً، ولم يقع لمسدَّدٍ، والأوَّل المعتمَد، فقد أخرجه الإسماعيلي من رواية المقدَّمي وأبي خَيْثمةَ وابن خَلّاد، عن يحيى بن سعيد، وليس فيه الزّيادة، وأخرجه من رواية أبي موسى عن عبد الرحمن بن مَهدي فذكرها، وكذا أخرجه مسلم (٢٣٢٠) عن زُهَير بن حَرْب وأبي موسى محمَّد بن المثنَّى وأحمد بن سِنان القَطّان، كلّهم عن ابن مَهدي، وأخرجه من حديث معاذ[2]، والإسماعيلي من حديث عليّ بن الجَعْد، كلاهما عن شُعْبة كذلك، وأخرجه ابن حِبّان (٦٣٠٨) من طريق عبد الله بن المبارَك عن شُعْبة كذلك.

وقوله: «**عَرَفناه في وجهه**» إشارة إلى تصحيح ما تقدَّم[3] من أنَّه لم يكن يواجِه أحداً بما

---

(١) تحرفت في (س) إلى: «يا»، فصارت: يا شعبة، بدل: حدثنا شعبة.

(٢) يعني: ابنَ معاذ العَنْبري.

(٣) عند شرح الحديث (٣٥٥٩).

يَكرَهه، بل يَتغيَّر وجهه فَيفهَمُ أصحابُه كَراهيته لذلك.

٣٥٦٣- حدَّثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ، أخبرنا شُعْبةُ، عن الأعمَشِ، عن أبي حازمٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ قال: ما عابَ النبيُّ ﷺ طعاماً قَطُّ، إنِ اشتَهاه أكَلَه، وإلّا تَرَكَه.

[طرفه في: ٥٤٠٩]

الحديث العشرون: حديث أبي هريرة.

قوله: «عن أبي حازم» هو الأشجَعي، واسمه سَلْمان، وليس هو أبا حازم سَلَمةَ بن دينار صاحب سَهْل بن سعد.

قوله: «ما عابَ رسول الله ﷺ طعاماً قَطّ» في رواية غُندَر عن شُعْبة عند الإسماعيلي: ما رأيت رسول الله ﷺ عابَ طعاماً قَطّ، وهو محمول على الطَّعام المباح، كما سيأتي تقرير ذلك في كتاب الأطعمة (٥٤٠٩) إن شاء الله تعالى.

٣٥٦٤- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا بَكْرُ بنُ مُضَرَ، عن جعفرِ بنِ رَبيعةَ، عن الأعرَجِ، عن عبدِ الله بنِ مالكٍ ابنِ بُحَينةَ الأسْدِيِّ، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا سَجَدَ فرَّجَ بينَ يَدَيه حتَّى نَرَى إبطَيه.

وقال ابنُ بُكَير: حدَّثنا بَكْرٌ: بياضَ إبطَيه.

الحديث الحادي والعشرون: حديث عبد الله بن مالكٍ ابن بُحَينة، هو بتنوين مالكٍ، وإعراب «ابن بُحَينة» إعرابَ «ابن مالك»، لأنَّ مالكاً أبوه، وبُحَينة أمّه.

قوله: «الأسْدي» هو بسكونِ المهمَلة، ويقال فيه: الأزدي ـ بسكونِ الزّاي ـ وهذا مشهور في هذه النِّسبة، يقال بالزّاي وبالسِّين، وغَفَلَ الدّاوودي، فقرأه بفتح السّين، ثمَّ أنكَرَه.

وقد تقدَّم هذا الحديث في كتاب الصلاة (٣٩٠).

وَكذا قوله: «قال ابن بُكَير» أي: يحيى بن عبد الله بن بُكَير.

«حدَّثنا بكر» أي: ابن مُضَر، بالإسناد المذكور.

قوله: «بياض إبطَيه» أي: أنَّ يحيى زاد لفظ: «بياض» لأنَّ في رواية قُتَيبة: حتَّى نَرى إبطَيه.

واختُلِفَ في المراد بوَصفِ إبطَيه بالبياض، فقيل: لم يكن تحتهما شَعر، فكانا كَلَوْنِ جسده، ثمَّ قيل: لم يكن تحت إبطَيه شَعرٌ البَتَّة، وقيل: كان لِدَوام تَعَهُّده له لا يبقى فيه شَعر.

ووقَعَ عند مسلم (١٨٣٢/ ٢٦) في حديث: حتَّى رأينا عُفرَة إبطَيه[1]، ولا تَنافي بينهما، لأنَّ الأعفَر ما بياضه ليس بالناصعِ، وهذا شأن المغابِن، يكون لَونها في البياض دون لَون بقيَّة الجسد.

٣٥٦٥- حدَّثنا عبدُ الأعلى بنُ حمَّادٍ، حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ، حدَّثنا سعيدٌ، عن قَتادةَ، أنَّ أنساً ﷺ حدَّثهم: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان لا يرفعُ يَدَيه في شيءٍ من دُعائه، إلّا في الاستِسْقاءِ، فإنَّه كان يرفعُ يَدَيه حتَّى يُرَى بياضُ إبطَيه.

وقال أبو موسى: دَعَا النبيُّ ﷺ ورَفَعَ يَدَيه، ورَأيتُ بياضَ إِبْطَيه.

٣٥٦٦- حدَّثنا الحسنُ بنُ الصَّبّاح، حدَّثنا محمَّدُ بنُ سابِقٍ، حدَّثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ، قال: سمعتُ عَوْنَ بنَ أبي جُحَيفةَ ذكر عن أبيه، قال: دُفِعْتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو بالأبْطَحِ في قُبَّةٍ كان بالهاجِرةِ، فَخَرَجَ بلالٌ فنادَى بالصَّلاةِ، ثمَّ دَخَلَ، فأخرَجَ فضْلَ وَضوءِ رسولِ الله ﷺ، فوَقَعَ الناسُ عليه يأخُذونَ منه، ثمَّ دَخَلَ فأخرَجَ العَنَزةَ، وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ، كأنِّي أنظُرُ إلى وَبِيصِ ساقَيهِ، فرَكَزَ العَنَزةَ، ثمَّ صَلَّى الظُّهرَ رَكْعَتَينِ، والعَصْرَ رَكْعَتَينِ، يَمُرُّ بينَ يَدَيه الحِمارُ والمرأة.

٣٥٦٧- حدَّثنا الحسنُ بنُ الصَبّاح البَزّارُ، حدَّثنا سفيانُ، عن الزُّهْريِّ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُحدِّثُ حديثاً، لو عَدَّه العادُّ لأحْصاهُ.

[طرفه في: ٣٥٦٨]

٣٥٦٨- وقال اللَّيثُ: حدَّثني يونُسُ، عن ابنِ شِهابٍ، أنَّه قال: أخبرني عُرْوةُ بنُ الزُّبَيرِ، عن عائشةَ، أنَّها قالت: ألا يُعْجِبُكَ أبا فلانٍ؟ جاء فجَلَسَ إلى جانبِ حُجْرَتي يُحدِّثُ عن

---

(١) وهو أيضاً عند البخاري برقم (٢٥٩٧)، وذهل عنه الحافظ رحمه الله، وهو من حديث أبي حميد الساعدي.

رسولِ الله ﷺ يُسمِعُني ذلك، وكنتُ أُسَبِّحُ، فقامَ قبلَ أن أقضِيَ سُبْحَتي، ولو أدركْتُه لَرَدَدْتُ عليه، إنَّ رسولَ الله ﷺ لم يكن يَسْرُدُ الحديثَ كَسَرْدِكُم.

الحديث الثاني والعشرون: حديث أنس في رفع اليَدين في/ الاستسقاء، تقدَّم في موضعه ٥٧٨/٦ مشروحاً (١٠٣١)، والغرض منه: ذِكْر بياض إبطَيه، والمراد بالحَصرِ فيه: الرفع على هيئةٍ مخصوصَةٍ، لا أصلُ الرفع، فإنَّه ثابت عنه كما في الخبر الذي بعده.

الحديث الثالث والعشرون: حديث أبي موسى، ذكر منه طَرَفاً مُعلَّقاً، هو طَرَف من حديث سيأتي موصولاً في المناقب في ترجمة أبي عامر الأشعَري[1]، وقد عَلَّقَ طَرَفاً منه في الوُضوء أيضاً (١٨٨).

قوله: «**حدَّثنا الحسن بن الصَّبّاح**» هو البزّار الذي أخرج عنه الحديث الذي بعده، وقيل: بل هذا هو الزَّعْفَراني، نَسَبه إلى جَدّه، لأنَّه الحسن بن محمَّد بن الصَّبّاح.

قوله: «**سمعْت عَوْن بن أبي جُحَيفَةَ، ذكر عن أبيه**» في رواية شُعْبة: عن عَون، سمعت أبي، كما تقدَّم في أوائل الصلاة (٤٩٥).

قوله: «**دُفِعْتُ**» بضمِّ أوَّله، أي: أنَّه وصَلَ إليه عن غير قصد.

و«**الأبطَح**» هو الذي خارج مكَّة، يَنزِل فيه الحاجّ إذا رَجَعَ من مِنى.

وقوله: «**كان بالهاجِرة**» استئناف أو حال، وقد تقدَّم هذا الحديث من وجه آخر في هذا الباب، وهو الحديث العاشر.

والمراد منه هنا قوله: «كأنِّي أنظُر إلى وَبِيصِ ساقَيهِ» والوَبيص ـ بالموحَّدة والمهمَلة ـ: البَريق وزناً ومعنًى.

الحديث الرابع والعشرون: حديث عائشة:

قوله: «**حدَّثنا الحسن بن الصَّبّاح البزّار**» بِتقديم الزّاي على الرّاء، وهو واسطيّ سَكَنَ بغداد، وكان من أئمَّة الحديث.

---

(١) بل في المغازي في باب غزوة أوطاس برقم (٤٣٢٣).

و«سفيان» هو ابن عُيَينةَ، فإنَّ الحسن بن الصَّبّاح ما لَحِقَ الثَّوريَّ، والثَّوري لا يَروي عن الزُّهْري إلّا بواسطةٍ.

قوله: «لو عَدَّه العادُّ لَأَحْصاه» أي: لو عَدَّ كلماته، أو مُفرَداته، أو حُروفه، لَأطاقَ ذلك وبَلَغَ آخرَها، والمراد بذلك: المبالَغة في التَّرتيل والتَّفهيم.

وهذا الحديث هو الحديث الذي بعده، اختَلَفَ الرُّواة في سياقه بَسطاً واختصاراً.

قوله: «وقال اللَّيث: حدَّثني يونس» وصَلَه الذُّهْلي في «الزُّهْريات» عن أبي صالح عن اللَّيث.

قوله: «ألا يُعْجِبك» بضمِّ أوَّله وإسكان ثانيه من الإعجاب، وبفتح ثانيه والتَّشديد من التَّعجيب.

قوله: «أبا فلان» كذا للأكثر، قال عياض: هو مُنادىً بكُنْيتِه. قلت: وليس كذلك لمَا سأذكُرُه، وإنَّما خاطَبَت عائشة عُرْوةَ بقولها: ألا يُعجبك، ثم ذكرت له المتعَجَّب منه، فقالت: أبا فلان، وحَقّ السّياق أن تقول أبو فلان، بالرفع على أنَّه فاعل، لكنَّه جاء هكذا على اللُّغة القليلة، ثمَّ حَكَت وجه التَّعَجُّب، فقالت: جاء فجَلَسَ... إلى آخره، ووقعَ في رواية الأَصِيلي وكَرِيمة: أبو فلان، ولا إشكال فيها.

وتَبيَّن من رواية مسلم وأبي داود أنَّه هو أبو هريرة، فأخرجه مسلم (٣٠٠٣/ ٧١) عن هارون بن معروف، وأبو داود (٣٦٥٤) عن محمَّد بن منصور الطُّوسي، كلاهما عن سفيان، لكن قال هارون: عن سفيان عن هشام بن عُرْوة، وقال الطّوسي: عن سفيان عن الزُّهْري. وكذا أخرجه الإسماعيلي عن ابن أبي عمر عن سفيان عن هشام، وعن أبي يَعْلى عن[1] أبي مَعمَر عن سفيان عن الزُّهْري، وكذا أخرجه أبو نُعَيم من طريق القَعنبي عن سفيان عن الزُّهْري، فكأنَّ لسفيان فيه شيخَينِ، وفي رواية الجميع أنَّه أبو هريرة.

ووقعَ في رواية ابن وَهْب عند الإسماعيلي: ألا يُعجِبك أبو هريرة، جاء فجَلَسَ،

---

(١) وقع في (س): عن هشام عن أبي يعلى، وعن أبي معمر، بتأخير الواو إلى أبي معمر، وهو خطأ، صوبناه من الأصلين عندنا، فالإسماعيلي إنما رواه عن أبي يعلى إذ هو شيخه، وهو في «مسند أبي يعلى» (٤٦٧٧).

ولأحمد[١]، ومسلم (٢٤٩٣/ ١٦٠)، وأبي داود (٣٦٥٥)، من هذا الوجه: ألا أُعجِّبكَ من أبي هريرة[٢].

ووقَعَ للقابسي بفتح الهمزة بعدها مُثنّاة مفتوحة، فعل ماضٍ من الإتيان، و«فلان» بالرفع والتَّنوين، وهو تصحيف، لأنَّه تبيَّن من الرِّواية الأُخرى أنَّه بصيغة الكُنية، لا بلفظ الاسم المجرَّد عنها، والعَجَب أنَّ القابِسيّ أنكَرَ غير روايته، وقال عياض: هي الصَّواب لولا قوله بعده: جاء. قلت: لأنَّه يصير تَكراراً.

قوله: «وكنت أُسَبِّح» أي: أُصَلِّي نافلة، أو هو على ظاهره، أي: أذكُر الله، والأوَّل أوجَه.

قوله: «ولو أدرَكْته لَرَدَدْت عليه» أي: لَأنكَرت عليه، وبيَّنت له أنَّ التَّرتيل في التَّحديث أولى من السَّرْد.

قوله: «لم يكن يَسْرُد الحديث كَسَرْدِكم» أي: يُتابع الحديثَ استعجالاً بعضَه إثرَ بعضٍ، لئلّا يَلتَبِس على المستَمِع.

زاد الإسماعيلي من رواية ابن المبارَك عن يونس: إنَّما كان حديثُ رسول الله ﷺ فَصْلاً، فهماً تَفهَمه القلوب. واعتَذَرَ عن/ أبي هريرة بأنَّه كان واسع الرِّواية كثير المحفوظ، فكان لا يتمكَّن من المَهْل عند إرادة التَّحديث، كما قال بعض البُلَغاء: أُريد أن أقتَصِر، فتتزاحَم القوافي على فِيَّ. ٦/٥٧٩

٢٣- بابٌ كان النبيّ ﷺ تنامُ عينُه، ولا ينامُ قلبُه

رواه سعيدُ بنُ مِيناءَ، عن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ.

٣٥٦٩- حدَّثنا عبدُ الله بنُ مَسْلَمةَ، عن مالكٍ، عن سعيدٍ المقبُريِّ، عن أبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمن: أنَّه سأل عائشةَ رضي الله عنها: كيفَ كانت صلاةُ رسولِ الله ﷺ في رمضانَ؟ قالت: ما كان يزيدُ في رمضانَ ولا في غيرِه على إحدَى عَشْرةَ رَكْعةً: يُصَلِّي أربعَ رَكَعاتٍ، فلا

(١) هو عند أحمد (٢٤٨٦٥) من رواية عبد الله بن المبارك، عن يونس، لا من رواية ابن وهب، عنه. والظاهر أنَّ الحافظ رحمه الله تابع الحافظ ابن كثير في هذا، حيث قال ذلك في «البداية والنهاية» ٨/ ٤٧٢.

(٢) هو عندهم بلفظ: ألا يعجبك أبو هريرة.

تَسأَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثمَّ أربعاً، فلا تَسأَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثمَّ يُصَلِّي ثلاثاً، فقلتُ: يا رسولَ الله، تَنامُ قبلَ أن توتِرَ؟ قال: «تَنامُ عَيْني، ولا يَنامُ قَلْبِي».

٣٥٧٠- حدَّثنا إسماعيلُ، قال: حدَّثني أخي، عن سليمانَ، عن شَرِيكِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي نَمِرٍ، سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يُحدِّثُنا عن ليلةِ أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ من مسجدِ الكَعْبة: جاءَه ثلاثةُ نَفَرٍ قبلَ أن يوحَى إليه وهو نائمٌ في مَسجِدِ الحرامِ، فقال أوَّلُهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسَطُهم: هو خَيرُهم، وقال آخِرُهم: خُذُوا خَيرَهُم، فكانت تلكَ، فلم يَرَهُم حتَّى جاؤوا ليلةً أُخرَى فيما يَرَى قَلْبُه، والنبيُّ ﷺ نائمةٌ عَيناهُ، ولا يَنامُ قَلْبُه، وكذلك الأنبياءُ تَنامُ أعيُنُهم، ولا تَنامُ قُلوبُهم، فتَوَلّاه جِبْرِيلُ، ثمَّ عَرَجَ به إلى السماء.

[أطرافه في: ٤٩٦٤، ٥٦١٠، ٦٥٨١، ٧٥١٧]

قوله: «بابٌ كان النبي ﷺ تَنامُ عَيْنُه» في رواية الكُشْمِيهني: عيناه «ولا يَنام قلبه».

قوله: «رواه سعيد بن ميناءَ، عن جابر» وصلَه في كتاب الاعتصام مُطوَّلاً (٧٢٨١)، وسيأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى.

وأخرجه المصنِّف في الباب من حديث عائشة في صلاته ﷺ باللَّيلِ، وفي آخره: فقلتُ: يا رسول الله، تَنام قبل أن توتِر؟ قال: «تَنام عيني، ولا يَنام قلبي»، وهذا قد تقدَّم في صلاة التطوُّع (١١٤٧)، وتقدَّم حديث ابن عبَّاس في ذلك في صلاته ﷺ باللَّيل[1].

ثمَّ ذكر طَرَفاً من حديث شَرِيك عن أنس في المِعراج، وسيأتي بأتمّ من هذا في التَّوحيد (٧٥١٧).

قوله: «حدَّثنا إسماعيل» هو ابن أبي أُوَيس.

قوله: «حدَّثني أخي» هو أبو بكر عبد الحميد، وسليمان: هو ابن بلال.

قوله: «جاءه ثلاثةُ نَفَر» هم ملائكة، ولم أتحقَّق أسماءَهم.

---

(١) يعني في نومه حتى سمع ابنُ عباس غطيطه، ثم خروجه بعد ذلك إلى صلاة الفجر من غير أن يُحدث وضوءاً، وقد سلف حديثه برقم (١١٧) و(١٣٨).

قوله: «**فقال أوَّلهم: أيّهم**» هو مُشعِرٌ بأنَّه كان نائماً بين اثنين أو أكثر، وقد قيل: إنَّه كان نائماً بين عَمّه حمزة وابنِ عَمّه جعفر بن أبي طالب.

قوله: «**فكانت تلكَ**» أي: القصَّة، أي: لم يقع في تلكَ اللَّيلة غيرُ ما ذُكِرَ من الكلام.

قوله: «**حتَّى جاؤوا إليه ليلةً أُخرى**» أي: بعد ذلك، ومن هنا يَحصُل رفع الإشكال في قوله: قبل أن يُوحى إليه، كما سيأتي بيانه في مكانه (٧٥١٧).

قوله: «**فيما يَرى قَلْبُه، والنبي ﷺ نائمةٌ عيناه، ولا يَنام قَلْبُه، وكذلك الأنبياء تَنام أعْيُنُهم، ولا تَنام قلوبُهم**» قد تقدَّم مِثل هذا من قول عُبيد بن عُمَير في أوائل الطَّهارة[1]، ومِثله لا يقال من قِبَل الرَّأي، وهو ظاهر في أنَّ ذلك من خصائصه ﷺ، لكنَّه بالنِّسبة للأُمَّة، وزَعَمَ القُضاعي: أنَّه ممَّا اختصَّ به/ عن الأنبياء أيضاً، وهذان الحديثان يَرُدّان عليه، وقد تقدَّم في التيمُّم في الكلام على حديث عِمران (٣٤٤) في قصَّة المرأة صاحبة المزادَتَين ما يَتعلَّق بكَونِه ﷺ كان تَنام عيناه ولا يَنام قلبه، فليُراجِع منه مَن أراد الوقوف عليه. ٥٨٠/٦

٢٤- باب علامات النّبوّةِ في الإسلام

قوله: «**باب علامات النُّبوَّة في الإسلام**» العلامات جمع علامة، وعَبَّرَ بها المصنِّف لكَونِ ما يُورِده من ذلك أعمَّ من المعجزة والكَرامة، والفَرق بينهما أنَّ المعجزة أخَصّ، لأنَّه يُشتَرَط فيها أن يَتَحَدّى النبيُّ ﷺ مَن يُكذِّبه، بأن يقول: إن فعلْتُ كذا أتُصَدِّقُ بأنّي صادِق؟ أو يقولُ مَن يَتَحَدّاه: لا أُصَدِّقك حتَّى تَفعل كذا.

ويُشتَرَط أن يكون المُتَحَدّى به ممَّا يَعجِز عنه البشر في العادة المستَمِرَّة. وقد وقَعَ النَّوعان للنبي ﷺ في عِدَّة مَواطن.

وسُمّيت المعجِزةَ لعَجزِ/ مَن يقع عندهم ذلك عن مُعارَضَتها، والهاء فيها للمُبالَغة، أو هي صفة محذوف. ٥٨٢/٦

وأشهَر مُعجِزات النبي ﷺ القرآن، لأنَّه ﷺ تَحدَّى به العرب، وهم أفصَحُ الناس

---

(١) يعني بذلك قوله بإثر حديث ابن عباس برقم (١٣٨): رؤيا الأنبياء وحيٌ.

لساناً وأشدّهم اقتِداراً على الكلام، بأن يأتوا بسورةٍ مِثله، فعَجَزوا مع شِدَّة عداوتهم له وصَدّهم عنه، حتَّى قال بعض العلماء: أقصر سورة في القرآن ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ فكلّ قرآن من سورة أُخرى كان قَدْر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ سواء كان آيةً، أو أكثر، أو بعض آية، فهو داخل فيما تَحدّاهم به، وعلى هذا فتَصِل مُعجِزات القرآن من هذه الحيثية إلى عَدَد كثير جدّاً.

ووجوه إعجاز القرآن من جِهَة حُسْن تأليفه والتِئام كلماته وفَصاحَتِه، وإيجازه في مقام الإيجاز، وبَلاغَتُه ظاهرةٌ جدّاً مع ما انضَمَّ إلى ذلك من حُسن نَظمه وغرابة أُسلوبه، مع كَونه على خِلاف قواعد النَّظم والنَّثر، هذا إلى ما اشتَمَلَ عليه من الإخبار بالمغَيَّبات ممَّا وَقَعَ من أخبار الأُمَم الماضية ممَّا كان لا يَعلَمه إلّا أفرادٌ من أهل الكتاب، ولم يُعلم أنَّ النبي ﷺ اجتَمَعَ بأحدٍ منهم ولا أَخَذَ عنهم، وبما سيقعُ فوَقَعَ على وَفْقِ ما أخبر به في زَمَنه ﷺ وبعده، هذا مع الهَيبَةِ التي تقع عند تِلاوَته، والخَشيةِ التي تَلحَق سامعَه، وعَدَم دخول الملال والسَّآمة على قارِئه وسامِعِه، مع تَيَسُّر حِفظه لـمُتعلِّميه وتسهيل سَرْده لِتالِيه.

ولا يُنكِر شيئاً من ذلك إلّا جاهلٌ أو مُعاندٌ، ولهذا أطلَقَ الأئمَّة أنّه أعظم مُعجِزات النبي ﷺ. ومن أظهَر مُعجِزات القرآن بقاؤُه[1] مع استمرار الإعجاز، وأشهَر ذلك تَحدّيه اليهودَ أن يَتمنَّوا الموت، فلم يقع ممَّن سَلَفَ منهم ولا خَلَفَ مَن تَصَدّى لذلك ولا أَقدَمَ، مع شِدَّة عداوتهم لهذا الدّين وحِرصهم على إفساده والصَّدّ عنه، فكان في ذلك أوضحَ مُعجِزةٍ.

وأمَّا ما عَدا القرآن من نَبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطَّعام، وانشِقاق القمر، ونُطق الجَماد، فمنه ما وَقَعَ التَّحدّي به، ومنه ما وقعَ دالًّا على صِدقه من غير سَبْق تَحدٍّ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنَّه ظَهَرَ على يده ﷺ من خَوارق العادات شيءٌ كثير، كما يُقطَع بوجودِ جود حاتم وشَجاعة علي، وإن كانت أفراد ذلك ظَنّية ورَدَت مَورِد الآحاد مع أنَّ كثيراً من المعجِزات النَّبوية قد اشتَهَرَ وانتَشَرَ، ورواه العَدَد الكثير والجَمُّ الغَفير، وأفادَ

---

(١) في (أ) و(س): إبقاؤه، والمثبت من (ع).

الكثيرُ منه القطعَ عند أهل العلم بالآثار، والعِناية بالسِّير والأخبار، وإن لم يَصِل عند غيرهم إلى هذه الرُّتبة لعَدَمِ عِنايتهم بذلك، بل لو ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ غالبَ هذه الوقائع مُفيدَةٌ للقطع بطريقٍ نظَريٍّ لمَا كان مُستبعَداً، وهو أنَّه لا مِرْية أنَّ رواة الأخبار في كلّ طبقة قد حَدَّثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يُحفَظُ عن أحدٍ من الصَّحابة ولا مَن بعدهم مُخالَفةُ الراوي فيما حكاه من ذلك، ولا الإنكار عليه فيما هنالكَ، فيكون الساكِت منهم كالناطِقِ، لأنَّ مجموعَهم محفوظ من الإغضاء على الباطل.

وعلى تقدير أن يُوجَد من بعضهم إنكارٌ أو طَعنٌ على بعض مَن روى شيئاً من ذلك، فإنَّما هو من جِهَة تَوَقُّفٍ في صِدق الراوي، أو تُهمَته بكذِبٍ، أو تَوَقُّف في ضبْطه ونِسبَته إلى سوء الحِفظ أو جواز الغَلَط، ولا يُوجَد من أحدٍ منهم طَعنٌ في المرويّ، كما وُجِدَ منهم في غير هذا الفَنّ من الأحكام والآداب وحُروف القرآن ونحو ذلك.

وقد قَرَّرَ القاضي عياض ما قَدَّمته من وجود إفادة القطع في بعض الأخبار عند بعض العلماء دون بعض تقريراً حسناً، ومَثَّلَ ذلك بأنَّ الفقهاء من أصحاب مالك قد تَواتَر عندهم النَّقل أنَّ مذهبه إجزاء النّية من أوَّل رمضان خِلافاً للشّافعي في إيجابه لها في كلّ ليلة، وكذا إيجاب مَسح جميع الرَّأس في الوُضوء خِلافاً للشّافعي في إجزاء بعضه، وأنَّ مذهبهما معاً إيجاب النّية في أوَّل الوُضوء، واشتِراط الوَلي في النِّكاح خِلافاً لأبي حنيفة، وتجد العَدَد الكثير والجَمّ الغَفير من الفقهاء مَن لا يَعرف ذلك من خِلافهم، فضلاً عَمَّن لم يَنظُر في الفقه، وهو أمر واضح، والله أعلم.

وذكر النَّوَوي في مُقدِّمة «شرح مسلم» أنَّ مُعجِزات النبي ﷺ تَزيد على ألفٍ ومئَتَين، وقال البيهقي/ في «المدخَل»: بَلَغَت ألفاً، وقال الزّاهدي من الحنفية: ظَهَرَ على يَدَيه ألف مُعجِزة، وقيل: ثلاثة آلاف، وقد اعتنَى بجمعِها جماعة من الأئمَّة كأبي نُعَيم والبيهقي وغيرهما. ٥٨٣/٦

قوله: «في الإسلام» أي: من حين المبعَث وهَلُمَّ جَرّاً، دون ما وقَعَ قبل ذلك، وقد جَمَعَ

ما وقَعَ مِن ذلك قبل المبعَث، بل قبل المولِد: الحاكمُ في «الإكليل»، وأبو سعيد النَّيسابوري في «شَرَف المصطَفى» وأبو نُعَيم والبيهقي في «دلائل النبوَّة»، وسيأتي منه في هذا الكتاب في قصَّة زيد بن عَمْرو بن نُفَيل في خروجه في ابتغاء الدِّين[١]، ومضى منه قصَّة وَرَقة بن نَوفَل[٢] وسَلمان الفارسي[٣]، وقَدَّمت في «باب أسماء النبي ﷺ» قصَّة محمَّد بن عَدي بن ربيعة في سبب تسميته محمَّداً[٤]، ومن مشهور ذلك قصَّة بَحِيْرا الرّاهب، وهي في «السِّيرة» لابن إسحاق[٥].

وروى أبو نُعَيم في «الدَّلائل»[٦] من طريق شعيب ـ أي: ابن محمَّد بن عبد الله بن عَمْرو ابن العاص ـ عن أبيه عن جَدّه، قال: كان بمَرِّ الظَّهران راهب يُدعى عيصا، فذكر الحديث، وفيه: أنَّه أُعلِم عبد الله بن عبد المطَّلِب ليلة وُلِدَ له النبي ﷺ بأنَّه نبي هذه الأُمَّة، وذكر له أشياء من صِفَته.

وروى الطبراني[٧] (٨/ ٧٢٦٢) من حديث معاوية بن أبي سفيان عن أبيه: أنَّ أُميَّة بن أبي الصَّلت قال له: إنِّي أجِد في الكتب صفةَ نبيٍّ يُبعَث من بلادنا، وكنت أظنّ أنّي هو، ثمَّ ظَهَرَ لي أنَّه من بني عبد مَناف، قال: فنظَرت فلم أجِد فيهم مَن هو مُتَّصِف بأخلاقه إلّا عُتبة بن ربيعة، إلّا أنَّه جاوَزَ الأربعينَ ولم يوحَ إليه فعرَفت أنَّه غيره. قال أبو سفيان: فلمَّا بُعِثَ محمَّد، قلت لأُميَّة عنه، فقال: أما إنَّه حَقٌّ فاتَّبِعه، فقلت له: فأنتَ ما يَمنَعك؟ قال:

---

(١) سيأتي عند البخاري برقم (٣٨٢٧).

(٢) سلف برقم (٣).

(٣) انظر الكلام على شرح باب شراء المملوك من الحربي وهبته من كتاب البيوع قبل الحديث (٢٢١٧)، وانظر شرح الحديث (٣٩٤٦).

(٤) عند شرح الحديث (٣٥٣٢).

(٥) لكنها لم تقع موصولة فيه، وإنما وصلها الترمذي (٣٦٢٠) وغيره من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد قوي كما قال الحافظ عند شرح الحديث (٤٩٥٣).

(٦) لم نقف عليه فيما طبع من الكتاب، وقد ساق إسناده ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٤٠٣، وفيه رجل متروك، فلا يصحُّ.

(٧) وإسناده ضعيف جداً.

الحياء من نُسَيّات ثَقيف، أنّي كنت أُخبِرُهنَّ أنّي هو، ثمَّ أصير تَبَعاً لفَتًى من بني عبد مَناف.

وروى ابن إسحاق من حديث سَلَمةَ بن سلامة بن وَقْش، وأخرجه أحمد (١٥٨٤١) وصَحَّحَه ابن حِبّان[1] من طريقه، قال: كان لنا جار من اليهود بالمدينة، فخَرَجَ إلينا قبل البِعْثة بزمانٍ، فذَكَر الحَشر والجنَّة والنار، فقلنا له: وما آيةُ ذلك؟ قال: خروج نبي يُبعَث من هذه البلاد ـ وأشارَ بيده إلى مكَّة ـ فقالوا: متى يقع ذلك؟ قال: فرَمى بطَرَفِه إلى السماء ـ وأنا أصغر القوم ـ فقال: إن يَستَنفِدْ هذا الغلامُ عمرَه يُدرِكْه، قال: فلما ذهبَتِ الأيامُ واللَّيالي حتَّى بَعَثَ الله نبيّه وهو حَيٌّ، فآمَنّا به وكفرَ هو بَغياً وحَسَداً.

وروى يعقوب بن سفيان بإسنادٍ حسن عن عائشة قالت: كان يهوديٌّ قد سَكَنَ مكَّة، فلمَّا كانت اللَّيلة التي وُلِدَ فيها النبي ﷺ قال: يا مَعشَر قريش هل وُلِدَ فيكم اللَّيلة مَولود؟ قالوا: لا نَعلَم. قال: انظُروا، فإنَّه وُلِدَ في هذه اللَّيلة نبي هذه الأُمَّة، بين كَتِفَيه علامةٌ، لا يَرضَع ليلَتَين، لأنَّ عِفريتاً من الجِنّ وضَعَ يده على فمه، فانصَرَفوا، فسألوا، فقيل لهم: قد وُلِدَ لعبد الله بن عبد المطَّلِب غلام، فذهب اليهوديّ معهم إلى أمّه، فأخرجته لهم، فلمَّا رأى اليهوديّ العلامة خَرَّ مَغشيّاً عليه، وقال: ذهبَت النبوَّة من بني إسرائيل، يا مَعشَر قريش، أما والله لَيَسطُوَنَّ بكم سَطْوةً يَخرُج خَبرُها من المشرق والمغرب. قلت: ولهذه القِصَص نظائر يَطُول شرحها.

وممَّا ظَهَرَ من علامات نُبوَّته عند مَولِده وبعده: ما أخرجه الطبراني (٢٥/ ٣٥٥)[2] عن عثمان بن أبي العاص الثَّقفي، عن أمّه: أنَّها حَضَرَت آمِنة أمَّ النبي ﷺ، فلمَّا ضَرَبَها المخاض قالت: فجَعَلتُ أنظُر إلى النُّجوم تَدَلّى حتَّى أقول: لَتَقعنَّ عليَّ، فلمَّا ولَدَتْ خَرَجَ منها نورٌ

(١) كذا نسبه الحافظُ هنا إلى ابن حبان، ولم نقف عليه في «صحيحه»، ولا ذكره الحافظ نفسه في «إتحاف المهرة» (٦٠٢٦)! وإنما صححه الحاكم ٣/ ٤١٧، فالظاهر أنَّ الحافظ أراده لكن سبق قلمه، فذكر ابن حبان، والله أعلم، والحديث في «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٢١٢.

(٢) في إسناده متروك.

أضاءَ له البيت والدّار.

وشاهِده حديث العِرباض بن سارية، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّي عبدُ الله وخاتَم النبيينَ وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَته، وسأُخبِرُكم عن ذلك: أنا دَعْوةُ أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورُؤيا أمّي التي رأت، وكذلك أمَّهات النبيّينَ يَرينَ، وإنَّ أمّ رسول الله رأت حين وضَعَته نوراً أضاءَت له قُصور الشّام» أخرجه أحمد (١٧١٥٠)، وصَحَّحَه ابن حِبّان (٦٤٠٤)، والحاكم (٢/ ٦٠٠).

وفي حديث أبي أُمامةُ عند أحمد (٢٢٢٦١) نحوه.

وأخرج ابن إسحاق[1] عن ثَور بن يزيد عن خالد بن مَعدان عن أصحاب رسول الله ﷺ نحوه، وقال: «أضاءَت له بُصرى من أرض الشّام».

٦/٥٨٤ وروى ابن حِبّان (٦٣٣٥)،/ والحاكم[2] في قصَّة رَضاعه ﷺ من طريق ابن إسحاق بإسنادِه إلى حَليمة السَّعدية الحديث بطولِه، وفيه من العلامات: كَثْرةُ اللَّبَن في ثَديَيها، ووجود اللَّبَن في شارفها بعد الهُزال الشَّديد، وسُرعة مَشي حِمارها، وكَثْرة اللَّبَن في شياهِها بعد ذلك، وخِصب أرضها، وسُرعة شبابه، وشَقّ الملَكَين صَدرَه.

وهذا الأخير أخرجه مسلم (١٦٢/ ٢٦١) من حديث أنس: أنَّ النبي ﷺ أتاه جِبْريل وهو يَلعَب مع الغِلمان، فأخَذَه فصَرَعَه، فشَقّ عن قلبه، فاستَخرَجَ منه عَلَقةً، فقال: هذا حَظّ الشيطان مِنك، ثمَّ غَسَلَه في طَسْتٍ من ذهبٍ بماءِ زَمزَم، ثمَّ جَمَعه فأعادَه مكانه، الحديث.

وفي حديث مَخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه، قال: وكان قد أتت عليه خمسونَ ومئة سنة قال: لمَّا كانت اللَّيلة التي وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ انكَسَرَ إيوان كِسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرفةً، وخَمَدَت نار فارس ولم تَخمَد قبل ذلك بألفِ عام، وغاضَت بُحَيرة

---

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ١٦٦.

(٢) كذا نسبه الحافظ رحمه الله هنا للحاكم، مع أنه لم يخرجه منه في «إتحاف المهرة» (٢١٤٠٦)، ولم نقف عليه في المطبوع من «المستدرك»!

ساوه، ورأى الـمُوبِذان إبلاً صِعاباً تقودُ خَيلاً عِراباً قد قَطَعَت دِجلة وانتَشَرَت في بلادها، فلمَّا أصبَحَ كِسرى أفزَعَه ما وَقَعَ، فسأل علماءَ أهل مملَكَته عن ذلك، فأرسَلوا إلى سَطِيح، فذكر القصَّة بطولها، أخرجها ابن السَّكَن وغيره في «معرفة الصَّحابة»[1].

ثم أورد المصنف في الباب نحو خمسين حديثاً:

٣٥٧١- حدَّثنا أبو الوليدِ، حدَّثنا سَلْمُ بنُ زَرِيرٍ، سمعتُ أبا رَجاءٍ، قال: حدَّثنا عِمْرانُ ابنُ حُصَينٍ: أنَّهم كانوا معَ النبيِّ ﷺ في مَسِيرٍ، فأَدلَجوا لَيلَتَهم، حتَّى إذا كان في وجهِ الصُّبْحِ عَرَّسُوا، فغَلَبَتْهم أعيُنُهم حتَّى ارتَفَعَتِ الشمسُ، فكان أوَّلَ مَنِ استَيقَظَ من مَنامِه أبو بكرٍ، وكان لا يوقَظُ رسولُ الله ﷺ من مَنامِه حتَّى يَسْتَيقِظَ، فاستَيقَظَ عمرُ، فقَعَدَ أبو بكرٍ عندَ رأسِه، فجَعَلَ يُكَبِّرُ ويرفَعُ صوتَه، حتَّى استيقَظَ النبيُّ ﷺ، فنزلَ وصَلَّى بنا الغَداةَ، فاعْتَزَلَ رجلٌ مِن القَومِ لم يُصَلِّ مَعَنا، فلمَّا انصَرَفَ قال: «يا فلانُ، ما يَمْنَعُكَ أن تُصَلِّيَ مَعَنا؟» قال: أصابتْني جَنابةٌ، فأمَرَه أن يَتَيمَّمَ بالصَّعِيدِ، ثمَّ صَلَّى، وجَعَلَني رسولُ الله ﷺ في رَكوبٍ بينَ يَدَيه، وقد عَطِشْنا عَطَشاً شديداً، فبينَما نحنُ نَسِيرُ إذا نحنُ بامرأةٍ سادِلةٍ رِجْلَيها بينَ مَزادتَينِ، فقُلْنا لها: أينَ الماءُ؟ فقالت: إنَّه لا ماءَ، فقُلْنا: كَم بينَ أهلِكِ وبينَ الماءِ؟ قالت: يومٌ وليلةٌ، فقُلْنا: انطَلِقي إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: وما رسولُ الله؟ فلم نُمَلِّكْها من أمرِها حتَّى استَقبَلْنا بها النبيَّ ﷺ، فحدَّثَتْه بمِثْلِ الذي حدَّثَتْنا، غيرَ أنَّها حدَّثَتْه أنَّها مُؤتِمَةٌ، فأمَرَ بمَزادتَيها فمَسَحَ بالعَزْلاوَينِ، فشَرِبْنا عِطاشاً أربعونَ رجلاً حتَّى رَوِينا، فمَلأنا كُلَّ قِرْبةٍ مَعَنا وإداوَةٍ، غيرَ أنَّه لم نَسْقِ بَعِيراً، وهي تكادُ تَبِضُّ مِن المِلْءِ، ثمَّ قال: «هاتُوا ما عندَكم» فجُمِعَ لها مِن الكِسَرِ والتَّمْرِ حتَّى أتت أهلها، فقالت: لَقِيتُ أسحَرَ الناسِ! أو هو نبيٌّ كما زَعَموا، فهَدَى الله ذَلكَ الصِّرْمَ بِتِيْكَ المرأةِ، فأسلَمَتْ وأسلَموا.

الحديث الأول: حديث عِمران بن حُصَينٍ في قصَّة المرأة صاحبة المزادتَين، والمعجزة فيها تكثير الماء القليل ببَرَكَتِه ﷺ، وقد تقدَّم شرح الحديث مُستوفًى في أبواب التيمُّم (٣٤٤).

---

(١) وانظر أيضاً «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٨٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ١٢٦.

وقوله في هذه الرِّواية: «إيْهٍ» بكسر الهمزة وسكون التَّحتانية[1]، وفي بعض النُّسَخ: أَيهاً، بالتَّنوين مع الفتح، وحَكَى الجَوهري جواز فتح الهمزة في هذه.

وقوله: «مُؤْتِمَة» أي: ذات أيتام.

وقوله: «فمَسَحَ بالعَزْلاوَين» في رواية الكُشْمِيهني: في العزلاوَين، وهما تَثنية عَزْلاء، بسكونِ الزّاي وبالمدِّ، وهو فم القِربة، والجمع عَزالي، بكسر اللّام الخفيفة، وكذلك وقَعَ في الرِّواية المتقدِّمة.

قوله: «فشَرِبْنا عِطاشاً أربعونَ رجلاً» أي: ونحنُ حينئذٍ أربعونَ، وفي رواية الكُشْمِيهني: أربعينَ، بالنَّصبِ، وتوجيهها ظاهر.

وقوله: «وهي تكاد تَبِضّ» بكسر الموحَّدة بعدها مُعجَمة ثقيلة، أي: تَسيل، وحَكَى عياض عن بعض الرُّواة بالصّادِ المهمَلة من البَصيص، وهو اللَّمَعان، ومعناه مُستَبعَد هنا، فإنّ في نفس الحديث: تكاد تَبِضُّ من المِلء، بكسر الميم وسكون اللّام بعدها همزة، فكَونها تكاد تَسيل من المِلء ظاهرٌ، وأمّا كَونها تَلمَع من المِلء فبعيد.

وقال ابن التِّين: معنى قوله: «تَبِضّ» بالمعجَمة، أي: تَشُقّ، يقال: بَضَّ الماءُ من العين إذا نَبَعَ، وكذا بَضَّ العَرَق، قال: وفيه روايات أُخرى: روي: تَنِضّ، بنونٍ وضاد مُعجَمة، وروي: تَيْصَر، بمُثنّاةٍ مفتوحة بعدها تحتانية ساكنة وصاد مُهمَلة ثمَّ راء. قال: وذكر الشَّيخ أبو الحسن أنَّ معناه تَنشَقّ، قال: ومنه صِيرُ الباب، أي: شَقُّ الباب، وردَّه ابن التِّين بأن «صِيرَ» عينُه حرفُ عِلَّة، فكان يَلزَم أن يقول: تَصَوَّرُ، وليس هذا في شيءٍ من الرِّوايات.

ورأيت في رواية أبي ذرٍّ عن الكُشْمِيهني: تَنْصَب، بفتح المثنّاة وسكون النُّون وفتح الصّاد المهمَلة بعدها موحَّدة، فتوافق الرِّواية الأولى لأنَّها بمعنى تَسيل.

---

(١) كذا ضبطها الحافظ رحمه الله، وتبعه العيني في «عمدة القاري» ١٦/ ١١٨، وزاد العيني أنها بمعنى هيهات، ولم يبينا في أي الروايات هي كذلك، وإلا فلم يرد في اليونينية ولا في شرح القسطلّاني خلاف في أنَّ الرواية عند البخاري: «إنه لا ماء» لكن جاء في رواية مسلم: «أيْهاه»، وهو بمعنى هيهات، فالله تعالى أعلم.

٣٥٧٢- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ، عن سعيدٍ، عن قَتادةَ، عن أنسٍ ﷺ، قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ بإناءٍ، وهو بالزَّوْراءِ، فوَضَعَ يدَه في الإناءِ، فجَعَلَ الماءُ يَنبُعُ مِن بينِ أصابعِه، فتَوضَّأ القومُ.

قال قَتادةُ: قلتُ لأنسٍ: كَم كنتُمْ؟ قال: ثلاثَ مئةٍ، أو زُهاءَ ثلاثِ مئةٍ.

٣٥٧٣- حدَّثنا عبدُ الله بنُ مَسْلَمةَ، عن مالكٍ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بنِ أبي طَلْحةَ، عن أنسِ ابن مالكٍ ﷺ، أنَّه قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانَت صلاةُ العَصْرِ، فالتَمَسَ الناسُ الوَضوءَ فلم يَجِدوه، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بوَضوءٍ، فوَضَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه في ذلك الإناءِ، فأمَرَ الناسَ أن يَتَوضَّؤوا منه، فرأيتُ الماءَ يَنبُعُ من تحتِ أصابعِه، فتوضَّأ الناسُ حتَّى توَضَّؤوا من عندِ آخرِهم.

٣٥٧٤- حدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ مُبارَكٍ، حدَّثنا حَزْمٌ، قال: سمعتُ الحسنَ، قال: حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ، قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ في بعضِ مَخارِجِه ومعه ناسٌ من أصحابه، فانطَلَقُوا يَسِيرونَ، فحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فلم يَجِدوا ماءً يَتَوضَّؤونَ، فانطَلَقَ رجلٌ مِن القومِ، فجاء بقَدَحٍ من ماءٍ يَسِيرٍ، فأخَذَه النبيُّ ﷺ فتَوضَّأ، ثمَّ مَدَّ أصابِعَه الأربعَ على القَدَحِ، ثمَّ قال: «قوموا تَوَضَّؤوا» فتَوضَّأ القومُ حتَّى بَلَغُوا فيما يُريدونَ مِن الوَضُوءِ، وكانوا سبعِينَ أو نحوَه.

٣٥٧٥- حدَّثنا عبدُ الله بنُ مُنيرٍ، سمعَ يزيدَ، أخبرنا حُميدٌ، عن أنسٍ ﷺ، قال: حَضَرَتِ الصَّلاةُ، فقامَ مَن كان قريبَ الدّار مِن المسجدِ فَتَوضَّأَ، وبَقِيَ قومٌ، فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بمِخْضَبٍ من حِجارةٍ فيه ماءٌ، فوَضَعَ كَفَّه فصَغُرَ المِخْضَبُ أن يَبْسُطَ فيه كَفَّه، فضَمَّ أصابِعَه فوَضَعَها في المِخْضَبِ، فتَوضَّأ القومُ كلُّهُم جميعاً، قلتُ: كَم كانوا؟ قال: ثمانونَ رجلاً.

الحديث الثاني والثالث عن أنس في نَبع الماء من بين أصابعه ﷺ، أورَدَه من أربعة طرق: من رواية قَتَادة وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة والحسن البصري وحُميد، وتقدَّم عنده في الطَّهارة من رواية ثابت (٢٠٠)، كلّهم عن أنس، وعند بعضهم ما ليس عند بعض، وظَهَرَ لي من مجموع الرِّوايات أنَّهما قِصَّتان في مَوطِنَين للتَّغايُرِ في عَدَد مَن حَضَرَ، وهي مُغايَرة واضحة يَبعُد الجمعُ فيها، وكذلك تعيين المكان الذي وقعَ ذلك فيه، لأنَّ ظاهر

رواية الحسن أنَّ ذلك كان في سَفَر، بخِلاف رواية قَتَادة فإنَّها ظاهرةٌ في أنَّها كانت بالمدينة، وسيأتي في غير حديث أنس أنَّها كانت في مَواطنَ أُخَرَ.

قال عياض: هذه القصَّة رواها الثِّقاتُ من العَدَد الكثير، عن الجَمّ الغَفير، عن الكافَّة، مُتَّصِلةً بالصَّحابة، وكان/ ذلك في مَواطنِ اجتماع الكثير منهم في المحافل ومَجمَع العساكر، ولم يَرِدَّ عن أحد منهم إنكارٌ على راوي ذلك، فهذا النَّوع مُلحَق بالقطعي من مُعجِزاته. ٦/٥٨٥

وقال القُرطُبي: قضية نَبع الماء من بين أصابعه ﷺ تَكَرَّرَت منه في عِدَّة مَواطن في مشاهد عظيمة، ووَرَدَت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستَفاد من التَّواتُر المعنَوي ـ قلت: أخَذَ كلام عياض وتَصَرَّفَ فيه ـ قال: ولم يُسمَع بمِثلِ هذه المعجزة عن غير نبيِّنا ﷺ.

وحديث نَبع الماء جاء من رواية أنس عند الشَّيخَين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق[(١)]، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق[(٢)]، وعن ابن مسعود عند البخاري (٣٥٧٩)، والتِّرمِذي (٣٦٣٣)[(٣)]، وعن ابن عبَّاس عند أحمد (٢٢٦٨)، والطبراني (١٢٥٦٠) من طريقَينِ، وعن أبي ليلى[(٤)] والد عبد الرحمن عند الطبراني (٦٤٢٠)، فعَدَد هؤلاءِ الصَّحابة ليس كما يُفهَم من إطلاقهما.

وأمَّا تكثير الماء بأن يَلمِسه بيده، أو يَتفُل فيه، أو يأمر بوضع شيء فيه، كسَهْمٍ من

---

(١) أخرجه من طريق إسحاق بن عبد الله: مسلم (٢٢٧٩) (٥)، وأحمد في «مسنده» (١٢٣٤٨). وأخرجه من طريق حميد: أحمد في «مسنده» (١٢٠٣٢)، وأخرجه من طريق ثابت: مسلم (٢٢٧٩) (٤)، وأحمد (١٢٤١٢)، وأخرجه من طريق قتادة: مسلم (٢٢٧٩) (٧)، وأحمد (١٢٧٤٢)، وأخرجه من طريق الحسن أحمدُ (١٣٢٦٦).

(٢) هو عند البخاري في هذا الباب برقم (٣٥٧٦) من طريق سالم بن أبي الجعد، ومسلم (٣٨٣) من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وأحمد (١٤١١٥) من طريق نبيح العنزي و(١٤٦٩٧) من طريق أنس بن مالك، أربعتهم عن جابر.

(٣) وهو أيضاً في «مسند أحمد» (٤٣٩٣).

(٤) وقع في الأصلين و(س): وعن ابن أبي ليلى، بإقحام لفظة «ابن»، وهو خطأ.

كِنانَته، فجاء في حديث عِمران بن حُصَينٍ في «الصحيحينِ»[١]، وعن البراء بن عازب عند البخاري (٣٥٧٧)، وأحمد (١٨٥٦٣) و(١٨٥٨٤) من طريقَينِ، وعن أبي قَتادة عند مسلم (٦٨١)، وعن أنس عند البيهقي في «الدَّلائل» (٤/ ١٢١- ١٢٥)، وعن زياد بن الحارث الصُّدائي عنده (٤/ ١٢٥-١٢٧)، وعن حِبّان بن بُحّ ـ بضمِّ الموحَّدة وتشديد المهمَلة ـ الصُّدائي أيضاً[٢]، فإذا ضُمَّ هذا إلى هذا بَلَغَ الكَثْرة المذكورة أو قارَبَها.

وأمَّا مَن رواها من أهل القَرن الثّاني فهم أكثر عَدَداً، وإن كان شَطر طرقه أفراداً.

وفي الجملة يُستَفاد منها الردّ على ابن بَطّال حيثُ قال: هذا الحديث شَهِدَه جماعةٌ كثيرةٌ من الصَّحابة، إلّا أنَّه لم يُروَ إلّا من طريق أنس، وذلك لِطُولِ عمره وتَطَلُّبِ الناسِ العُلوَّ في السَّنَد. انتهى. وهو يُنادى عليه بقِلَّة الاطِّلاع والاستحضار لأحاديث الكتاب الذي شَرَحَه، وبالله التَّوفيق.

قال القُرطُبي: ولم يُسمَع بمِثلِ هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيثُ نَبَعَ الماء من بين عَظْمِه وعَصَبه ولحمه ودمه، وقد نَقَلَ ابن عبد البَرّ عن المُزَني أنَّه قال: نَبْعُ الماء من بين أصابعه ﷺ أبلَغْ في المعجزة من نَبع الماء من الحجر حيثُ ضَرَبَه موسى بالعَصا فتَفَجَّرَت منه المياه، لأنَّ خروج الماء من الحجارة مَعهود، بخِلاف خروج الماء من بين اللَّحم والدَّم. انتهى.

وظاهر كلامه أنَّ الماء نَبَعَ من نفس اللَّحم الكائن في الأصابع، ويُؤيِّده قوله في حديث جابر الآتي: فرأيت الماء يَخرُج من بين أصابعه، وأوضح منه ما وقعَ في حديث ابن عبَّاس عند الطبراني (١٢٥٦٠): فجاؤوا بشَنٍّ، فوَضَعَ رسول الله ﷺ يده عليه، ثمَّ فرَّقَ أصابعه، فنَبَعَ الماء من أصابع رسول الله ﷺ مِثل عَصا موسى. فإنَّ الماء تَفَجَّرَ من نفس العَصا، فتَمَسُّكه به يقتضي أنَّ الماء تَفَجَّرَ من بين أصابعه، ويَحتَمِل أن يكون المراد أنَّ الماء كان يَنبُع من بين أصابعه بالنِّسبة إلى رُؤية الرّائي، وهو في نفس الأمر للبَرَكة الحاصلة فيه يَفورُ

(١) هو أول أحاديث هذا الباب، وأخرجه مسلم (٦٨٢).

(٢) حديثه عند أحمد (١٧٥٣٦).

ويَكثُر وكَفُّه ﷺ في الماء، فيراه الرّائي نابعاً من بين أصابعه، والأوّل أبلَغُ في المعجزة، وليس في الأخبار ما يَرُدّه، وهو أولى.

قوله: «عن سعيد» هو ابن أبي عَرُوبة.

قوله: «عن أنس» لم أرَه من رواية قَتَادة إلّا مُعَنعَناً، لكن بقيَّة الخبر تَدُلّ على أنَّه سمعَه من أنس لقوله: قلت: كَم كنتُم، لكن أخرجه أبو نُعَيم في «الدَّلائل» من طريق مَكّي بن إبراهيم عن سعيد، فقال: عن قَتَادة عن الحسن عن أنس[1]، فهذا لو كان محفوظاً اقتَضى أنَّ في رواية «الصَّحيح» انقطاعاً، وليس كذلك لأنَّ مَكّي بن إبراهيم ممَّن سمعَ من سعيد ابن أبي عَرُوبة بعد الاختلاط[2].

قوله: «وهو بالزَّوْراء» بِتقديم الزّاي على الرّاء وبالمدِّ: مكان معروف بالمدينة عند السّوق. وزَعَمَ الدّاوودي أنَّه كان مُرتَفِعاً كالمنارة، وكأنَّه أخَذَه من أمر عثمان بالتَّأذين على الزَّوراء، وليس ذلك بلازمٍ، بل الواقع أنَّ المكان الذي أَمَرَ عثمان بالتَّأذين فيه كان بالزَّوراءِ، لا أنَّه الزَّوراء نفسها. ووقعَ في رواية همَّام عن قَتَادة عن أنس: شَهِدت النبي ﷺ مع أصحابه عند الزَّوراء، أو عند بيوت المدينة. أخرجه أبو نُعَيم (٣١٧)[3].

وعند أبي نُعَيم[4] من رواية شَرِيك/ بن أبي نَمِر عن أنس: أنَّه هو الذي أحضَرَ الماء، وأنَّه أحضَرَه إلى النبي ﷺ من بيت أمّ سَلَمة، وأنَّه رَدَّه بعد فراغهم إلى أمّ سَلَمةَ، وفيه قَدْرُ ما كان فيه أوَّلاً. ٥٨٦/٦

ووقعَ عنده[5] في رواية عُبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس: أنَّ النبي ﷺ خَرَجَ إلى قُباء، فأُتي مِن بعض بيوتهم بقَدَحٍ صغير.

---

(١) ولكن من طريق يعلى عن هدبة بن خالد عن همام عن قتادة عن أنس.

(٢) ونقل الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» ٢/ ٧٣٢ عن الحافظ البرديجي قوله: لا يثبت بهذا الإسناد حديث أصلاً من رواية الثقات.

(٣) انظر لزاماً كلام الحافظ في بيان الزوراء عند شرح الحديث (٩١٢).

(٤) وهو أيضاً عند الطبراني في «الأوسط» (٧٥٠٧).

(٥) وهو أيضاً في «مسند أبي عوانة» (٨١٣٠) و(٨١٣١).

ووقعَ في حديث جابر الآتي التَّصريحُ بأنَّ ذلك كان في سَفَر، ففي رواية نُبيحٍ العَنَزي عند أحمد (١٤١١٥) عن جابر قال: سافَرنا مع رسول الله ﷺ فحَضَرَت الصلاةُ، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا في القوم من طَهُور؟» فجاء رجل بفَضْلةٍ في إدَاوَة فصَبَّه في قَدَح، فتَوضَّأ رسولُ الله ﷺ، ثمَّ إنَّ القوم أتَوْا ببقيَّة الطَّهور، فقالوا: تَمَسَّحوا تَمَسَّحوا، فسمعَهم رسولُ الله ﷺ، فقال: «على رِسْلِكم» فضَرَبَ بيدِه في القَدَح في جَوف الماء، ثمَّ قال: «أسبِغوا الطُّهور» قال جابر: فوالذي أذهَب بَصري، لقد رأيتُ الماء يَخرُج من بين أصابع رسول الله ﷺ، حتَّى توضؤوا أجمَعونَ، قال: حَسِبته قال: كنَّا مئتَين وزيادة.

وجاء عن جابر قصَّة أُخرى أخرجها مسلم (٣٠١٣) من وجه آخر عنه في أواخر الكتاب في حديث طويل فيه: أنَّ الماء الذي أحضَروه له كان قَطرة في إناء من جِلد، لو أفرَغَها لَشَرِبَها يابسُ الإناء، وأنَّه لم يَجِد في الرَّكْب قَطرةَ ماءٍ غيرَها، قال: فأخَذَه النبي ﷺ، فتَكلَّمَ وغَمَزَ بيدِه، ثمَّ قال: «نادِ بجَفْنة الرَّكب» فجيءَ بها، فقال بيدِه في الجَفْنة، فبَسَطَها ثمَّ فرَّقَ أصابِعه، ووَضَعَ تلكَ القَطرة في قَعْر الجَفْنة، فقال: «خُذ يا جابر، فصُبَّ عليَّ وقُل: بسمِ الله» ففَعَلتُ، قال: فرأيت الماء يَفورُ من بين أصابعه، ثمَّ فارَتِ الجَفْنة، ودارَت حتَّى امتَلأت، فأتى الناسُ فاستَقَوا حتَّى رَوَوا، فرَفَعَ يده من الجَفْنة وهي مَلأى. وهذه القصَّة أبلَغ من جميع ما تقدَّم، لاشتِمالها على قِلَّة الماء وعلى كَثْرة مَنِ استَقى منه.

قوله: «زُهاء ثلاثِ مئة» هو بضمِّ الزّاي وبالمدِّ، أي: قَدر ثلاث مئة، مأخوذ من زَهَوتُ الشيءَ: إذا حَصَرتَه.

ووقعَ عند الإسماعيلي من طريق خالد بن الحارث عن سعيد، قال: ثلاث مئة، بالجزمِ، بدونِ قوله: زُهاء، والله أعلم.

٣٥٧٦- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ مُسلمٍ، حدَّثنا حُصَينٌ، عن سالم بنِ أبي الجَعْدِ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما، قال: عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبِيَةِ والنبيُّ ﷺ بينَ يَدَيه رَكْوةٌ، فتَوضَّأ جَهَشَ الناسُ نحوَه، قال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندَنا ماءٌ

نَتوضَّأُ ولا نَشرَبُ إلّا ما بَينَ يَدَيكَ، فوَضَعَ يدَه في الرَّكْوةِ، فجَعَلَ الماءُ يَثُورُ بينَ أصابعِه كأمثال العُيونِ، فشَرِبْنا وتَوضَّأْنا، قلتُ: كَم كنتُمْ؟ قال: لو كنَّا مئةَ ألفٍ لَكَفانا، كنَّا خمسَ عَشرةَ مئةً.

[أطرافه في: ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠، ٥٦٣٩]

الحديث الرابع: حديث جابر في نَبْع الماء أيضاً:

قوله: «عَطِشَ الناس يوم الحُدَيبية، والنبي ﷺ بين يَدَيه رَكْوَة» كذا وقعَ في هذه الطَّريق، ووقعَ في الأشرِبة (٥٦٣٩) من طريق الأعمَش عن سالم: أنَّ ذلك كان لمَّا حَضَرَت صلاة العصر، وسيأتي شرح الحديث مُستوفًى في غزوة الحُدَيبية (٤١٥٢) إن شاء الله تعالى.

وقوله: «جَهَشَ» هو بفتح الجيم والهاء بعدها مُعجَمة، أي: أسرَعوا لأخذِ الماء، وفي رواية الكُشْمِيهني: فجَهَشَ، بزيادة فاءٍ في أوَّله.

وقوله: «فجَعَلَ الماءُ يَثُورُ» كذا للأكثر بمُثلَّثةٍ، وللكُشْمِيهني بالفاءِ، وهما بمعنًى.

٣٥٧٧- حدَّثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن البراءِ ﷺ، قال: كنَّا بالحُدَيبيةِ أربعَ عَشرةَ مئةً، والحُدَيبيةُ بئرٌ، فنَزَحْناها حتَّى لم نَترُك فيها قَطْرةً، فجَلَسَ النبيُّ ﷺ على شَفِيرِ البئرِ، فدَعا بماءٍ فمَضمَضَ ومَجَّ في البئرِ، فمَكَثْنا غيرَ بَعِيدٍ، ثمَّ استقَينا حتَّى رَوِينا ورَوِيَتْ - أو صَدَرَتْ - رِكابُنا.

[طرفاه في: ٤١٥٠، ٤١٥١]

الحديث الخامس: حديث البراء في تكثير الماء ببئرِ الحُدَيبية، وسيأتي الكلام عليه أيضاً في غزوة الحُدَيبية (٤١٥٠)، وأُبيِّن هناك التَّوفيق بينه وبين حديث جابر الذي قبله إن شاء الله تعالى.

وقوله: «رَوِينا» بكسر الواو، من الرِّيّ[١].

٣٥٧٨- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، أخبرنا مالكٌ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بنِ أبي طَلْحة،

---

(١) هذه الفقرة تقدمت في الأصلين و (س) قبل قول الحافظ: الحديث الخامس: حديث البراء، ومحلها هنا هو الأليق، لأنها من حديث البراء، فلذلك نقلناها، ولعلَّ بعض النساخ قدّمها سهواً، والله أعلم.

أنَّه سمعَ أنسَ بنَ مالكٍ يقول: قال أبو طَلْحةَ لأُمِّ سُلَيم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضَعِيفاً، أعرفُ فيه الجوعَ، فهَل عندَكِ مِن شيءٍ؟ قالت: نعم، فأخرَجَت أقراصاً من شَعِيرٍ، ثمَّ أخرَجَت خِماراً لها فلَفَّتِ الخُبزَ ببعضِه، ثمَّ دَسَّته تحتَ يَدي ولاثَتْني ببعضِه، ثمَّ أرسَلَتْني إلى رسولِ الله ﷺ، قال: فذهبتُ به، فوَجَدْتُ رسولَ الله ﷺ في المسجدِ ومعه الناسُ، فقُمْتُ عليهم، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «آرْسَلَكَ أبو طَلْحةَ؟» فقلتُ: نعم، قال: «بطعامٍ؟» قلتُ: نعم، فقال رسولُ الله ﷺ لمن معه: «قُومُوا»، فانطَلَقَ وانطَلَقْتُ بينَ أيدِيهم، حتَّى جِئْتُ أبا طَلْحةَ فأخبَرْتُه، فقال أبو طَلْحةَ: يا أمَّ سُلَيم، قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناسِ، وليس عندَنا ما نُطْعِمُهم، فقالت: اللهُ ورسولُه أعلمُ، فانطَلَقَ أبو طَلْحةَ حتَّى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ، فأقبَلَ رسولُ الله ﷺ وأبو طَلْحةَ معه، فقال رسولُ الله ﷺ: «هَلُمّي يا أمَّ سُلَيم ما عندَك»، فأتت بذلك الخُبْزِ، فأمَرَ بِهِ رسولُ الله ﷺ فَفُتَّ، وعَصَرَت أمُّ سُلَيم عُكّةً فأدَمَتْهُ، ثمَّ قال رسولُ الله ﷺ فيه ما شاءَ اللهُ أن يقول، ثمَّ قال: «ائْذَن لعَشَرةٍ»، فأذِنَ لهم، فأكَلُوا حتَّى شَبِعوا، ثمَّ خَرَجوا، ثمَّ قال: «ائْذَن لعَشَرةٍ»، فأذِنَ لهم، فأكَلُوا حتَّى شَبِعوا، ثمَّ خَرَجوا، ثمَّ قال: «ائْذَن لعَشَرةٍ»، فأذِنَ لهم، فأكَلُوا حتَّى شَبِعوا، ثمَّ خَرَجوا، ثمَّ قال: «ائْذَن لعَشَرةٍ»، فأكَلَ القومُ كلُّهم وشَبِعوا، والقومُ سبعونَ أو ثمانونَ رجلاً.

الحديث السادس: حديث أنس في تكثير الطَّعام القليل. ٥٨٨/٦

قوله: «قال أبو طَلْحة» هو زيد بن سَهل الأنصاري زوج أمّ سُلَيم والدة أنس، وقد اتَّفَقَتِ الطُّرق على أنَّ الحديث المذكور من مُسنَد أنس، وقد وافقَه على ذلك أخوه لأُمِّه عبد الله بن أبي طلحة، فرواه مُطوَّلاً عن أبيه، أخرجه أبو يَعْلى (١٤٢٦) من طريقه بإسنادٍ حسن، وأوَّله عن أبي طلحة قال: دَخَلت المسجد فعَرَفت في وجه رسول الله ﷺ الجوعَ، الحديث، والمراد بالمسجِدِ: الموضع الذي أعَدَّه النبي ﷺ للصلاة فيه حين مُحاصَرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

قوله: «ضعيفاً أعْرِف فيه الجوعَ» فيه العمل على القرائن. ووقعَ في رواية مُبارَك بن

فَضَالة عن بكر بن عبد الله وثابت عن أنس عند أحمد[1]: أنَّ أبا طلحة رأى رسول الله ﷺ طاوياً.

وعند أبي يَعْلى (٢٨٣٠) من طريق محمَّد بن سِيرِين عن أنس: أنَّ أبا طلحة بَلَغَه أنَّه ليس عند رسول الله ﷺ طعام، فذهب فآجَرَ نفسه بصاعٍ من شَعير، فعمِلَ بقيَّة يومه ذلك ثمَّ جاء به، الحديث، وفي رواية عَمْرو بن عبد الله بن أبي طلحة، وهو أخو إسحاق راوي حديث الباب عن أنس عند مسلم (٢٠٤٠) وأبي يَعْلى قال: رأى أبو طلحة رسول الله ﷺ مُضطَجِعاً يَتَقَلَّب ظَهْراً لبطنٍ.

وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم أيضاً (٢٠٤٠) عن أنس قال: جِئت رسولَ الله ﷺ، فوَجَدته جالساً مع أصحابه يُحدِّثهم، وقد عَصَبَ بطنه بعِصابةٍ، فسألتُ بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع، فذهبت إلى/ أبي طلحة فأخبَرتُه، فدَخَلَ على أمّ سُلَيم فقال: هل من شيء، الحديث. ٦/٥٨٩

وفي رواية محمَّد بن كعب عن أنس عند أبي نُعَيم: جاء أبو طلحة إلى أمّ سُلَيم فقال: أعندَكِ شيء، فإنّي مَرَرت على رسول الله ﷺ وهو يُقرِئ أصحابَ الصُّفَّة سورةَ النِّساء، وقد رَبَطَ على بطنه حجراً من الجوع.

قوله: «فأخرجت أقراصاً من شَعير» في رواية محمَّد بن سِيرِين عن أنس عند أحمد (١٢٤٩١) قال: عَمَدَت أمّ سُلَيم إلى نصف مُدّ من شَعير فطَحَنَته.

وعند المصنِّف من هذا الوجه ومن غيره (٥٤٥٠) عن أنس: أنَّ أمَّه أمُّ سُلَيم عَمَدَت إلى مُدّ من شَعير جَشَّتْهُ، ثمَّ عَمِلَتْه.

وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس عند أحمد (١٣٤٢٧)، ومسلم (٢٠٤٠/ ١٤٣):

---

(١) كذا قال الحافظ، وهو وهمٌ منه رحمه الله، فليس الحديث في «مسند أحمد»، ولم يعزُهُ إليه هو نفسه في «إتحاف المهرة» (٣٨٧)، ولم يذكره أيضاً في «أطراف المسند»، وإنما خرجه الحافظ في «الإتحاف» من ابن حبان، وهو فيه برقم (٥٢٨٥). وهو أيضاً عند البزار (٦٧٥٩)، وأبي يعلى (٤١٥١)، وغيرهما.

أتى أبو طلحة بـمُدَّين[١] من شَعير، فأمَرَ به فصُنِعَ طعاماً. ولا مُنافاة بين ذلك لاحتمال أن تكون القصَّة تَعَدَّدَت، وأنَّ بعض الرُّواة حَفِظَ ما لم يَحفَظِ الآخرُ، ويُمكِن الجمعُ بأن يكون الشَّعير في الأصل كان صاعاً، فأفرَدَت بعضه لعيالهم وبعضه للنبي ﷺ، ويدلّ على التَّعدُّد ما بين العَصِيدة والخُبز المفتُوت الملتُوت بالسَّمْنِ من المغايَرة.

وقد وقعَ لأُمِّ سُلَيم في شيء صَنَعَته للنبي ﷺ لمَّا تزوَّجَ زينب بنت جَحْش قريبٌ من هذه القصَّة، من تكثير الطَّعام وإدخال عَشَرة عَشَرة، كما سيأتي في مَكانه في «الوَلِيمة» من كتاب النِّكاح[٢].

ووقعَ عند أحمد (١٢٤٩١) في رواية ابن سِيرِين عن أنس: عَمَدَتْ أمُّ سُلَيم إلى نصف مُدّ من شَعير فطَحَنَته، ثمَّ عَمَدَت إلى عُكَّة كان فيها شيء من سَمن، فاتَّخَذَت منه خطيفة، الحديث، والخَطيفة: هي العَصِيدةُ وزناً ومعنًى، وهذا بعينِه يأتي للمصنِّف في الأطعمة (٥٤٥٠).

قوله: «ولاثَتْني ببعضِه» أي: لَفَّتني به، يقال: لاثَ العِمامةَ على رأسه، أي: عَصَبَها، والمراد أنَّها لَفَّتْ بعضَه على رأسه وبعضَه على إبطه.

ووقعَ في الأطعمة (٥٣٨١) للمصنِّف عن إسماعيل بن أبي أُوَيس عن مالك في هذا الحديث: فلَفَّت الخُبز ببعضِه، ودَسَّتِ الخُبز تحت ثوبي ورَدَّتْني ببعضِه. تقول: دَسَّ الشيءَ يَدُسّه دَسّاً: إذا أدخَلَه في الشيء بقَهرٍ وقوَّة.

قوله: «**فقال لي رسول الله ﷺ: آرْسَلَكَ أبو طَلْحة؟ فقلت: نعم، قال: بطعامٍ؟ قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا**» ظاهره أنَّ النبي ﷺ فَهِمَ أنَّ أبا طلحة استَدعاه إلى مَنزِله، فلذلك قال لمن عنده: «قوموا» وأوَّل الكلام يقتضي أنَّ أمّ سُلَيم وأبا طلحة أرسلا

---

(١) في (س): بمد، وهو خطأ.

(٢) هو في الوليمة من كتاب النكاح برقم (٥١٦٨) لكنه مختصر ليس فيه قصة تكثير الطعام وإدخال عشرة عشرة، وإنما جاء ذلك عند البخاري في باب الهدية للعروس في كتاب النكاح معلقاً برقم (٥١٦٣).

الخُبز مع أنس، فيُجمَع بأنَّهما أرادا بإرسال الخُبز مع أنس أنْ يأخُذه النبي ﷺ فيأكلَه، فلمَّا وصلَ أنس، ورأى كَثْرة الناس حول النبي ﷺ استَحيا، وظَهَرَ له أن يَدعُوَ النبيَّ ﷺ ليقومَ معه وحدَه إلى المنزِل، فيَحصُل مقصودهم من إطعامه.

ويحتَمل أن يكون ذلك عن رأي مَن أرسَلَه، عَهِدَ إليه إذا رأى كَثْرة الناس أن يستدعيَ النبيَّ ﷺ وَحْده خَشية أن لا يكفيَهم ذلك الشيءُ هو ومَن معه، وقد عَرَفوا إيثار النبيِّ ﷺ وأنَّه لا يأكل وحدَه.

وقد وجَدتُ أنَّ أكثر الرِّوايات تَقتَضي أنَّ أبا طلحة استَدعى النبيَّ ﷺ في هذه الواقعة، ففي رواية سعد بن سعيد عن أنس: بَعَثَني أبو طلحة إلى النبي ﷺ لأدعوَه، وقد جَعَلَ له طعاماً.

وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس: أمَرَ أبو طلحة أمّ سُلَيم أن تَصنَع للنبي ﷺ لنفسِه خاصَّة، ثمَّ أرسَلَتني إليه.

وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس: فدَخَلَ أبو طلحة على أمّي، فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم، عندي كِسَرٌ من خُبز، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحدَه أشبَعناه، وإن جاء أحدٌ معه قَلَّ عنهم. وجميع ذلك عند مسلم (٢٠٤٠/ ١٤٣).

وفي رواية مُبارَك بن فضالة المذكورة[1] أنَّ أبا طلحة قال: اعجِنيه وأصلِحيه عَسى أن نَدعو رسول الله ﷺ فيأكل عندنا، ففَعَلَت، فقالت: ادعُ رسول الله ﷺ.

وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس عند أبي نُعَيم (٣٢٣)، وأصله عند مسلم (٢٠٤٠/ ١٤٣): فقال لي أبو طلحة: يا أنس، اذهَب فقُم قريباً من رسول الله ﷺ، فإذا قامَ فدَعْه حتَّى يَتَفرَّقَ أصحابُه، ثمَّ اتْبعه حتَّى إذا قامَ على عَتَبة بابه، فقُل له: إنَّ أبي يَدعُوك.

٦/٥٩٠ وفي رواية عَمْرو بن عبد الله بن أبي طلحة عند أبي يَعْلى عن أنس: قال لي أبو طلحة:/ اذهَب فادعُ رسولَ الله ﷺ.

---

(١) هي عند أبي يعلى (٤١٥١)، وابن حبان برقم (٥٢٨٥).

وعند المصنِّف (٥٤٥٠) من رواية ابن سِيرِين في الأطعمة عن أنس: ثمَّ بَعَثَني إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وهو في أصحابه فدَعَوتُه.

وعند أحمد (١٣٥٤٧) من رواية النَّضر بن أنس عن أبيه: قالت لي أمّ سُلَيم: اذهَب إلى رسول الله ﷺ فقُل له: إن رأيتَ أن تَغَدّى عندنا فافعل.

وفي رواية عَمْرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أنس عند البَغَوي[1]: فقال أبو طلحة: اذهَب يا بُنيَّ إلى النبي ﷺ فادعُه، قال: فجِئتُه، فقلتُ له: إنَّ أبي يَدعُوك، الحديث.

وفي رواية محمَّد بن كعب: فقال: يا بُنيَّ اذهَب إلى رسول الله ﷺ فادعُه، ولا تَدعُ معه غيرَه، ولا تَفضَحني[2].

قوله: «آرْسَلَكَ أبو طَلْحة» بهمزةٍ ممدودة للاستفهام، وفي رواية محمَّد بن كعب: فقال للقومِ: «انطَلِقوا» فانطَلَقوا، وهم ثمانونَ رجلاً.

وفي رواية يعقوب: فلمَّا قلت له: إنَّ أبي يَدعوك، قال لأصحابه: «يا هؤلاءِ تعالَوا» ثمَّ أخَذَ بيدي فشَدَّها، ثمَّ أقبَلَ بأصحابه حتَّى إذا دَنَوا أرسَلَ يَدِي فدَخَلتُ، وأنا حَزينٌ، لكَثْرة مَن جاء معه.

قوله: «فقال أبو طَلْحة: يا أمّ سُلَيم قد جاء رسول الله ﷺ بالناسِ، وليس عندنا ما نُطْعِمُهم» أي: قَدرَ ما يَكفِيهم **«فقالت: الله ورسُولُه أعلم»** كأنَّها عَرَفَت أنَّه فعَلَ ذلك عَمداً ليُظهِر الكَرامةَ في تكثير ذلك الطَّعام، ودَلَّ ذلك على فِطنة أمّ سُلَيم ورُجْحان عقلها.

وفي رواية مُبارَك بن فضالة: فاستَقبَلَه أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، ما عندنا إلّا قُرصٌ عَمِلَته أمّ سُلَيم.

---

(١) وعنه أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٥/ (٢٧٩)، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٠٤٠) لكنه لم يسق لفظه بتمامه.

(٢) أخرجه من طريق محمد بن كعب: الطبراني في «الكبير» ٢٥/ (٢٧٥)، وفي «الأوسط» (٣١٠٥) و(٨٧٦٥).

وفي رواية سعد بن سعيد: فقال أبو طلحة: إنَّما صَنَعتُ لك شيئاً، ونحوه في رواية ابن سِيرِين.

وفي رواية عَمْرو بن عبد الله: فقال أبو طلحة: إنَّما هو قُرص، فقال: «إنَّ الله سَيُبارِكُ فيه»، ونحوه في رواية عَمْرو بن يحيى المازني.

وفي رواية يعقوب: فقال أبو طلحة: يا رسول الله، إنَّما أرسَلتُ أنساً يَدعُوك وَحْدَك، ولم يكن عندنا ما يُشبِع مَن أرى، فقال: «ادخُل، فإنَّ الله سَيُبارِكُ فيما عندك».

وفي رواية النَّضر بن أنس عن أبيه: فدَخَلتُ على أمّ سُلَيم وأنا مُندَهِش.

وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى: أنَّ أبا طلحة قال: يا أنس فضَحْتَنا، وللطَّبَراني في «الأوسط»[1] (٣١٠٥): فجَعَلَ يرميني بالحجارة.

قوله: «فقال رسول الله ﷺ: هَلُمّي يا أمّ سُلَيم ما عندك» كذا لأبي ذرٍّ عن الكُشْمِيهَني، ولغيره: هَلُمَّ، وهي لغة حِجازية، هَلُمَّ عندهم لا يُؤنَّث ولا يُثنّى ولا يُجمَع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، والمراد من ذلك طلبُ ما عندها.

قوله: «وعَصَرَت أمّ سُلَيم عُكَّة فأدَمَتْهُ» أي: صَيَّرَت ما خَرَجَ من العُكَّة له إداماً، والعُكَّة، بضمِّ المهمَلة وتشديد الكاف: إناء من جِلدٍ مُستَدير يُجعَل فيه السَّمْنُ غالباً والعَسَلُ.

وفي رواية مُبارَك بن فَضالة: فقال: هل مِن سَمن؟ فقال أبو طلحة: قد كان في العُكَّة شيءٌ، فجاء بها فجَعَلا يَعصِرانها حتَّى خَرَجَ، ثمَّ مَسَحَ رسولُ الله ﷺ به سَبّابَته، ثمَّ مَسَحَ القُرصَ فانتَفَخَ، وقال: «بسمِ الله» فلم يزل يصنع ذلك، والقُرصُ يَنتَفِخُ حتَّى رأيتُ القُرصَ في الجَفْنة يَتَميَّع.

وفي رواية سعد بن سعيد: فمَسَّها رسول الله ﷺ ودَعَا فيها بالبَرَكة.

وفي رواية النَّضر بن أنس: فجِئت بها ففَتَحَ رِباطَها، ثمَّ قال: «باسمِ الله، اللهمَّ أعظِم

---

(١) وهو في «الكبير» أيضاً ٢٥/ (٢٧٥).

فيها البَرَكة»، وعُرِفَ بهذا المراد بقوله: وقال فيها ما شاءَ الله أن يقول.

قوله: «ثمَّ قال: ائْذَن لعَشَرةٍ، فأذِنَ لهم» ظاهرُه أنَّه ﷺ دَخَلَ مَنزِل أبي طلحة وحدَه وصَرَّحَ بذلك في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى، ولفظه: فلمَّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى الباب، فقال لهم: «اقعُدوا» ودَخَلَ.

وفي رواية يعقوب: أَدخِل عليَّ ثمانية، فما زالَ حتَّى دَخَلَ عليه ثمانونَ رجلاً، ثمَّ دَعاني ودَعا أمّي وأبا طلحة، فأكَلْنا حتَّى شَبِعْنا. انتهى.

وهذا يدلُّ على تعدُّد القصَّة، فإنَّ أكثر الرِّوايات فيها أنَّه أدخَلهم عَشَرةً عَشَرةً سوى هذه، فقال: إنَّه أدخَلهم ثمانيةً ثمانيةً، فالله أعلم.

قوله: «فأكَلُوا» في رواية مُبارَك بن فضالة: فوَضَعَ يده وسَط القُرص، وقال: «كُلوا بسمِ الله» فأكَلُوا من حَوالَي القَصْعة حتَّى شَبِعُوا.

وفي رواية بكر بن عبد الله: فقال لهم: «كُلوا من بين أصابعي».

قوله: «ثمَّ خَرَجوا» في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى: ثمَّ قال لهم: «قوموا، وليَدخُلْ عشرةٌ مكانَكم». ٥٩١/٦

قوله: «والقوم سبعونَ أو ثمانونَ رجلاً» كذا وقعَ بالشكِّ، وفي غيرها بالجزمِ بالثَّمانينَ، كما تقدَّم من رواية محمَّد بن كعب وغيره، وفي رواية مُبارَك بن فَضَالة: حتَّى أكَلَ منه بضعة وثمانونَ رجلاً، وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى: حتَّى فعلَ ذلك بثمانينَ رجلاً، ثمَّ أكَلَ النبيُّ ﷺ بعد ذلك وأهلُ البيت، وتَرَكوا سُؤراً، أي: فضلاً. وفي روايته عند أحمد: قلت: كَم كانوا؟ قال: كانوا نَيِّفاً وثمانينَ. قال: وأفْضَلَ لأهلِ البيت ما يُشبِعهم، ولا مُنافاةَ بينهما لاحتمال أن يكون أَلغى الكسرَ.

ولكن وقعَ في رواية ابن سِيرِين عند أحمد: حتَّى أكَلَ منها أربعونَ رجلاً وبَقيتْ كما هي.

وهذا يُؤيِّد التَّغايُر الذي أشَرتُ إليه، وأنَّ القصَّة التي رواها ابن سِيرِين غير القصَّة التي رواها غيره. وزاد مسلم (٢٠٤٠) في رواية عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة: وأفضلوا

ما بَلَّغُوا جيرانَهم، وفي رواية عَمْرو بن عبد الله: وفَضَلَت فضلة، فأهدَيناها لجيراننا، ونحوه عند أبي نُعَيم من رواية عُمارة بن غَزِيّة عن ربيعة عن أنس بلفظ: حتَّى أهدَت أمّ سُلَيم لجيرانها، ولمسلمٍ في أواخر رواية سعد بن سعيد: حتَّى لم يَبقَ منهم أحد إلّا دَخَلَ فأكَلَ حتَّى شَبِعَ، وفي رواية له من هذا الوجه: ثمَّ أخَذَ ما بقي فجمعه، ثمَّ دَعَا فيه بالبَرَكة فعادَ كما كان. وقد تقدَّم الكلام على شيء من فوائد هذا الحديث في أبواب المساجِد من أوائل كتاب الصلاة (٤٢٢).

تَكْمِلة: سُئِلتُ في مَجلِس الإملاء لمَّا ذكرتُ حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن حِكمة تبعيضهم، فقلت: يحتَمل أن يكون عَرَفَ أنَّ الطَّعام قليل، وأنَّه في صَحفة واحدة، فلا يُتصوَّر أن يَتحلَّق ذلك العَدَد الكثير، فقيل: لـِمَ لا دَخَلَ الكلُّ وبَعَّضَ لمن يَسَعُه التَّحليق، فكان أبلَغ في اشتَراك الجميع في الاطِّلاع على المعجزة، بخِلاف التَّبعيض، فإنَّه يَطرُقه احتمال تَكَرُّر وضع الطَّعام لصِغَرِ الصَّحْفَةِ؟ فقلت: يحتمل أن يكون ذلك لضيق البيت، والله أعلم.

٣٥٧٩- حدَّثنا محمَّدُ بنُ المثنَّى، حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرِيُّ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن منصورٍ، عن إبراهيمَ، عن عَلْقمةَ، عن عبدِ الله، قال: كنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكةً، وأنتم تَعُدّونَها تَخْويفاً، كنَّا معَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فقَلَّ الماءُ، فقال: «اطْلُبُوا فَضْلةً من ماءٍ» فَجاؤوا بإناءٍ فيه ماءٌ قَليلٌ، فأدخَلَ يدَه في الإناءِ، ثمَّ قال: «حَيَّ على الطَّهورِ المبارَكِ، والبَرَكةُ مِن الله» فلقد رأيتُ الماءَ يَنْبُعُ من بين أصابعِ رسولِ الله ﷺ، ولقد كنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعامِ وهو يُؤْكَلُ.

الحديث السابع: حديث عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ في نَبع الماء أيضاً، وتسبيح الطَّعام.

قوله: «كنَّا نَعُدّ الآيات» أي: الأُمور الخارقة للعادات.

قوله: «بَرَكَةً، وأنتم تَعُدّونَها تَخويفاً» الذي يَظهَر أنَّه أنكَرَ عليهم عَدّ جميع الخوارق تَخويفاً، وإلّا فليس جميع الخوارق بَرَكة، فإنَّ التَّحقيق يقتضي عَدّ بعضها بَرَكة من الله،

كَشِبَعِ الخلق الكثير من الطَّعام القليل، وبعضها تخويف من الله كَكُسوفِ الشمس والقمر، كما قال ﷺ: «إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يُخَوِّف الله بهما عِباده»[1].

وكأنَّ القوم الذينَ خاطَبَهم عبد الله بن مسعود بذلك تمَسَّكوا بظاهرِ قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩]، ووقعَ عند الإسماعيلي من طريق الوليد بن القاسم عن إسرائيل في أوَّل هذا الحديث: سمعَ عبد الله بن مسعود بخَسفٍ، فقال: كنَّا أصحابَ محمَّد نَعُدّ الآيات بَرَكة، الحديث.

قوله: «كنَّا مع رسول الله ﷺ في سَفَر» هذا السَّفَر يُشبِه أن يكون غزوةَ الحُدَيبية، لثُبوتِ نَبع الماء فيها كما سيأتي (٤١٥٠)، وقد وقعَ مِثلُ ذلك في تَبُوك. ثمَّ وجَدت البيهقي في «الدَّلائل» جَزَمَ بالأوَّل لكن لم يُخرِّج ما يُصرح به.

ثمَّ وجَدت في بعض طرق هذا الحديث عند أبي نُعَيم في «الدَّلائل»[2] أنَّ ذلك كان في غزوة خيبر، فأخرج من طريق يحيى بن سَلَمةَ بن كُهَيل عن أبيه عن إبراهيم، في هذا الحديث، قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر، فأصاب الناسَ عَطَشٌ شديدٌ، فقال: «يا عبد الله التَمِس لي ماء» فأتيتُهُ بفضلِ ماءٍ في إدَاوَة، الحديث، فهذا أولى، ودَلَّ على تَكَرُّر وقوع ذلك حَضَراً وسَفَراً.

قوله: «فقال: اطْلُبوا فضلة من ماء، فجاؤوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليل» ووقعَ عند أبي نُعَيم في «الدَّلائل» من طريق أبي الضُّحى عن ابن عبَّاس قال: دَعا النبي ﷺ بلالاً بماءٍ، فطلبَه فلم يَجِده، فأتاه بشَنٍّ فيه ماء، الحديث، وفي آخره: فجَعَلَ ابن مسعود يَشرَب ويُكثِر، وهذا يُشعِرُ بأنَّ ابن عبَّاس حَمَلَه عن/ ابن مسعود، وأنَّ القصَّة واحدة، ويحتمل أن يكون كلٌّ من ابن مسعود وبلال أحضَرَ الإدَاوَةَ، فإنَّ الشَّنّ، بفتح المعجَمة وبالنّونِ: هو الإدَاوَةَ اليابسة. ٥٩٢/٦

---

(١) سلف من حديث أبي موسى برقم (١٠٥٩).

(٢) وهو أيضاً عند البزار (١٤٦٣)، والطبراني (١٠٠١٦)، لكن يحيى ضعيف الحديث، والإسناد إليه ضعيف جداً كذلك.

قوله: «**حَيَّ على الطَّهور المبارَك**» أي: هَلُمّوا إلى الطَّهور، وهو بفتح الطاء، والمراد به الماء، ويجوز ضَمّها، والمراد الفعل، أي: تَطَهَّروا.

قوله: «**والبَرَكَةُ من الله**» البَـرَكة مُبتَدَأ، والخبر من الله، وهو إشارة إلى أنَّ الإيجاد من الله. ووقعَ في رواية عمّار بن رُزَيق عن إبراهيم[1] في هذا الحديث: فجَعَلت أُبادِرهم إلى الماء أُدخِله جَوفي، لقوله: «البَـرَكة من الله».

وفي حديث ابن عبَّاس: فبَسَطَ كَفَّه فيه، فنَبَعَت تحت يده عَينٌ، فجَعَلَ ابن مسعود يَشرَب ويُكثِر.

والحكمة في طلبه ﷺ في هذه المواطن فضْلَة الماء لئلّا يُظَنّ أنَّه الـمُوجِد للماءِ، ويحتمل أن يكون إشارةً إلى أنَّ الله أجرى العادة في الدُّنيا غالباً بالتَّوالُدِ، وأنَّ بعضَ الأشياء يقع بينها التَّوالُد، وبعضها لا يقع، ومن جُملة ذلك ما يُشَاهَدُ من فَوَران بعض المائعات إذا خُمِّرَت وتُرِكَت زماناً، ولم تَجرِ العادة في الماء الصِّرف بذلك، فكانت المعجزة بذلك ظاهرة جدّاً.

قوله: «**ولَقد كنَّا نَسْمَع تَسْبيحَ الطَّعام وهو يُؤْكَل**» أي: في عَهد رسول الله ﷺ غالباً، ووقعَ ذلك عند الإسماعيلي صريحاً، أخرجه عن الحسن بن سفيان عن بُندار عن أبي أحمد الزُّبَيري في هذا الحديث: كنَّا نأكُل مع النبي ﷺ الطَّعام ونحنُ نَسمَع تسبيح الطَّعام.

وله شاهد أورَدَه البيهقي في «الدَّلائل» (٦/ ٦٣) من طريق قيس بن أبي حازم قال: كان أبو الدَّرداء وسَلمان إذا كَتَبَ أحدهما إلى الآخر، قال له: بآية الصَّحْفة، وذلك أنَّهما بَيْنا هما يأكلان في صَحفة إذ سَبَّحَت وما فيها.

وذكر عياض عن جعفر بن محمَّد عن أبيه، قال: مَرِضَ النبي ﷺ فأتاه جِبْريل بطَبَقٍ فيه عِنَب ورُطَب، فأكَلَ منه فسَبَّحَ.

---

(١) كذا وقع في الأصلين و(س)، وهو خطأ، صوابه: عن الأعمش عن إبراهيم، كما جاء في «دلائل النبوة» لأبي نعيم، حيث خرَّج الحديث من طريقه برقم (٣١١)، ولأنَّ عماراً لا يروي عن إبراهيم النخعي إلاّ بواسطة، كما في «تهذيب الكمال».

قلت: وقد اشتَهَرَ تسبيح الحَصى، ففي حديث أبي ذرٍّ قال: تَناوَلَ رسولُ الله ﷺ سبع حَصَيات، فسَبَّحنَ في يده حتَّى سمعتُ لهنَّ حَنِيناً، ثمَّ وضَعَهُنَّ في يد أبي بكر فسَبَّحنَ، ثمَّ وضَعَهُنَّ في يد عمر فسَبَّحنَ، ثمَّ وضَعَهُنَّ في يدَ عثمان فسَبَّحنَ، أخرجه البزَّار (٤٠٤٠ و٤٠٤٤)، والطبراني في «الأوسط» (١٢٤٤و٤٠٩٧) وفي رواية الطبراني: فسمعَ تسبيحَهنَّ مَن في الحَلْقة، وفيه: ثمَّ دَفَعَهُنَّ إلينا، فلم يُسبِّحنَ مع أحد مِنّا. قال البيهقي في «الدَّلائل» (٦/ ٦٥): كذا رواه صالح بن أبي الأخضَر ـ ولم يكن بالحافظِ ـ عن الزُّهْري عن سوَيد بن يزيد السُّلَمي عن أبي ذرٍّ، والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزُّهْري قال: ذكر الوليد بن سوَيدٍ أنَّ رجلاً من بني سُلَيم كان كبير السِّنّ ممَّن أدرَكَ أبا ذرٍّ بالرَّبَذَة، ذكر له عن أبي ذرٍّ بهذا[1].

فائدَة: ذكر ابن الحاجِب عن بعض الشّيعة أنَّ انشِقاق القمر وتسبيح الحَصى وحَنين الجِذع وتَسليم الغَزالة ممَّا نُقِلَ آحاداً مع تَوَفُّر الدَّواعي على نَقلِه، ومع ذلك لم يُكذِّب رواتُها. وأجابَ بأنَّه استُغني عن نَقلها تَواتُراً بالقرآن. وأجابَ غيره بمَنع نَقْلِها آحاداً. وعلى تَسليمه فمجموعها يفيد القطع، كما تقدَّم في أوَّل هذا الفَصل[2].

والذي أقول: إنَّها كلّها مُشتَهِرة عند الناس، وأمَّا من حيثُ الرِّواية فليست على حَدٍّ سواء، فإنَّ حَنين الجِذع وانشِقاق القمر نُقِلَ كلّ منهما نَقلاً مُستَفيضاً يُفيد القطع عند مَن يَطَّلِع على طرق ذلك من أئمَّة الحديث، دون غيرهم ممَّن لا مُمارَسة له في ذلك.

---

(١) هذا الذي نقله الحافظ رحمه الله تعالى إنما قاله البيهقي في الطريق الذي ساقه في «الدلائل» ٦/ ٦٤-٦٥، ولم يَسُق غيره، وهو أول طريقي البزار لهذا الحديث، لكن الحديث جاء عند البزار في الموضع الثاني وعند الطبراني في الموضع الأول بإسناد آخر عن أبي ذرّ الغفاري، وهو عند الطبراني رجاله ثقات، وهذا اللفظ الذي ذكره الحافظ لفظه، وطريق شعيب بن أبي حمزة التي أشار إليها البيهقي هي عند الطبراني في «الشاميين» (٣١٩٨).

(٢) في هامش (س): العجيب أن يقول هذا شيعي، وهم في أوثق كتبهم ينقلون عن رواة معروفين بالكذب آيات عن غير المعصومين بعد رسول الله ﷺ يكذب بعضها بعضاً حتى لو لم يكن رواتها كذابين. محب الدين الخطيب.

وأمَّا تسبيح الحصى فليست له إلّا هذه الطَّريق الواحدة مع ضعفِها[1]، وأمَّا تَسليم الغَزالة فلم أجد له إسناداً لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف[2]، والله أعلم.

٣٥٨٠- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا زكريّا، قال: حدَّثني عامرٌ، قال: حدَّثني جابرٌ ﷺ: أنَّ أباه توفِّيَ وعليه دَينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: إنَّ أبي تَرَكَ عليه دَيناً، وليس عندي إلّا ما يُخرِجُ نَخلُه، ولا يَبْلُغُ ما يُخرِجُ سِنِينَ ما عليه، فانطَلِق مَعي لكَي لا يُفحِشَ عليَّ الغُرَماءُ، فمَشَى حَوْلَ بَيدَرٍ من بَيادِرِ التَّمْرِ فدَعا، ثمَّ آخَرَ، ثمَّ جَلَسَ عليه، فقال: «انزِعُوهُ» فأَوْفاهُمُ الذي لهم، وبَقِيَ مِثلُ ما أعطاهُم.

الحديث الثامن: حديث جابر في قصَّة وفاء دَين أبيه، أورَدَه مختصراً، وقد ذكره في مواضع أُخرى مُطوَّلاً[3].

٦/٥٩٣ **قوله: «حدَّثنا زكريَّا»** هو ابن أبي زائدة، وعامر:/ هو الشَّعبي.

قوله: «أنَّ أباه» هو عبد الله بن عَمْرو بن حَرام، بالمهمَلتَينِ، وفي رواية مُغيرة عن الشَّعبي في البيوع (٢١٢٧): تُوُفِّيَ عبد الله بن عَمْرو بن حَرام وعليه دَين، وفي رواية فِراس عن الشَّعبي في الوَصايا (٢٧٨١): أنَّ أباه استُشهِدَ يوم أُحُد، وتَرَكَ سِتّ بنات، وتَرَكَ عليه دَيناً.

وفي رواية وَهْب بن كَيْسانَ عن جابر فيه (٢٣٩٦): أنَّ أباه تُوُفِّيَ وتَرَكَ عليه ثلاثينَ وَسْقاً لرجلٍ من اليهود، فاستَنظَرَه جابر، فأبى أن يُنظِرَه، فكَلَّمَ جابرٌ رسولَ الله ﷺ ليشفَع له، فكَلَّمَ اليهوديَّ ليأخُذ ثَمَر نَخله بالذي له فأبى.

وفي رواية ابن كعب بن مالك في الاستقراض (٢٣٩٥)، والهِبة (٢٦٠١) عن جابر: أنَّ أباه قُتِلَ يوم أُحُد شهيداً وعليه دَين، فاشتَدَّ الغُرَماء في حقوقهم، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فكَلَّمتُه،

---

(١) بل لها طرق أخرى كما بيناه قريباً.

(٢) لكن ذكر الحافظ في «تخريج أحاديث المختصر» ١/ ٢٤٥ أنه ورد في كلام الظبية معه ﷺ أحاديث، ثم ساقها.

(٣) أولها برقم (٢١٢٧)، وانظر جميع أطرافه فيه.

فسألَهم أن يقبَلوا تمر حائطي، ويُحلِّلوا أبي فأبَوا.

ووقعَ عند أحمد (١٥٢٨١) من طريق نُبَيحٍ العَنَزي عن جابر قال: قال لي أبي: يا جابر، لا عليك أن يكون في نَظّارِي أهلِ المدينة حتَّى تعلم إلى ما يصير أمرنا ـ فذكر قصَّة قتل أبيه ودفنه، قال ـ وتَرَكَ أبي عليه دَيناً من التَّمر، فاشتَدَّ عليَّ بعضُ غُرَمائه في التَّقاضي، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فذكرتُ له، وقلت: فأُحِبّ أن تُعينَني عليه، لعلَّه أن يُنظِرَني طائفةً من تمره إلى هذا الصِّرام المُقبِل، قال: «نعم، آتيك إن شاء الله قريباً من نصف النَّهار» فذكر الحديث في الضِّيافة، وفيه: «ثمَّ قال: ادعُ فلاناً» ـ لغريمي الذي اشتَدَّ في الطَّلَب ـ فجاء، فقال: «أنظِر جابراً طائفةً من دَينِك الذي على أبيه إلى الصِّرام المُقبِل» فقال: ما أنا بفاعلٍ، واعتَلَّ، وقال: إنَّما هو مالُ يَتامى.

قوله: «وليس عندي إلّا ما يُخرِجُ نَخلُه» يعني: أنَّه لم يَترُك مالاً إلّا البُستانَ المذكور.

قوله: «ولا يَبْلُغ ما يُخرِجُ نَخلُه سِنينَ» أي: في مُدَّة سنين «**ما عليه**» أي: من الدَّين.

قوله: «فانطَلِق مَعي لكَيلا يُفحِش عليَّ الغُرَماء، فمَشى» فيه حذف تقديره: فقال: نعم، فانطَلَقَ فوصَلَ إلى الحائط فمَشى. وقد تَبيَّن من الرِّوايات الأُخرى التَّصريحُ بما وقعَ من ذلك، ففي رواية مُغيرة: فقال: «اذهَب فصَنِّف تَمرك أصنافاً، ثمَّ أرسِل إليَّ» ففَعَلتُ، فجاء فجَلَسَ على أعلاه.

وفي رواية فِراس[1] في البيوع: «اذهَب فصَنِّف تمَرَك أصنافاً: العَجوة على حِدَةٍ، وعَذْق زَيْد على حِدَةٍ» وقوله: عَذْق زيد، بفتح المهمَلة، وزيدٌ الذي نُسِبَ إليه اسم لشخصٍ كأنَّه هو الذي كان ابتَدَأ غِراسَه، فنُسِبَ إليه، والعَجْوة من أجود تمر المدينة.

قوله: «بَيدِرْ»[2] بفتح الموحَّدة وكسر المهمَلة، وهو فعل أمر، أي: اجعَل التَّمر في البَيادِر

---

(١) هذا الذي ساقه الحافظ رحمه الله إنما هو رواية المغيرة نفسها التي أشار إليها من قبل. وليس رواية فراس ـ وهو ابن يحيى الهمداني ـ.

(٢) هذه اللفظة لم تقع في رواية حديث جابر في هذا الباب، ولكنها في الرواية السالفة برقم (٢٧٨١) والرواية الآتية برقم (٤٠٥٣).

كلَّ صِنف في بَيدَر، والبَيدَر، بفتح الموحَّدة وسكون التَّحتانية وفتح الدّال المهمَلة للتَّمرِ، كالجُرنِ للحَبّ.

قوله: «فدَعا» في رواية ابن كعب بن مالك: فغَدَا علينا فطافَ في النَّخل، ودَعَا في تمره بالبَـرَكة، وفي رواية الذَّيّال بن حَرمَلة عن جابر: فجاء هو وأبو بكر وعمر، فاستَقرأَ النَّخلَ، يقوم تحت كلِّ نخلة، لا أدري ما يقول، حتَّى مرَّ على آخرها، الحديث. أخرجه أحمد[1].

قوله: «ثمَّ آخَر» أي: مَشى حول بَيدَر آخر فدَعا، وفي رواية فِراس: فدَخَلَ النبيُّ ﷺ النَّخلَ فمَشى فيها، فقال: «أفرِغُوه» أي: أفرِغوه من البَيدَر، وفي رواية مُغيرة: ثمَّ قال: «كِل للقومِ» فكِلتهم حتَّى أوفَيتُهم، وفي رواية فِراس: ثمَّ قال لجابرٍ: «جُدَّ فأوفِ له[2] الذي له» فجَدَّه بعدَما رَجَعَ النبي ﷺ.

قوله: «فأوْفاهمُ الذي لهم وبَقي مِثلُ ما أعْطاهم» في رواية مُغيرة: وبَقي تمري كأنَّه لم يَنقُص منه شيء، وفي رواية ابن كعب: وبَقي لنا من تمرها بقيَّة، ووقعَ في رواية وَهْب بن كَيْسانَ: فأوفاه ثلاثينَ وَسقاً، وفَضَلَت له سبعة عشر وسقاً.

ويُجمَع بالحَملِ على تعدُّد الغُرَماء، فكأن أصل الدَّين كان منه ليهودي ثلاثونَ وسقاً من صِنف واحد، فأوفاه وفَضَل من ذلك البَيدَر سبعة عشر وسْقاً، وكان منه لغير ذلك اليهودي أشياءُ أُخَرُ من أصناف أُخرى، فأوفاهم وفَضَلَ من المجموع قَدْرَ الذي أوفاه، ويُؤيِّده قوله في رواية نُبَيح العَنَزي عن جابر: فكِلتُ له من العجْوة، فأوفاه اللهُ وفَضَلَ لنا من/ التَّمر كذا وكذا[3]. ٥٩٤/٦

---

(١) لم نقف عليه في «مسند أحمد» ولم يعزُه له الحافظ في «إتحاف المهرة» ولا في «أطراف المسند»، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١١/ ٢٢٧ من طريق أبي يعلى برواية ابن المقرئ الأصبهاني عنه.

(٢) لفظة «له» سقطت من (س).

(٣) زاد بعدها في (ع) و(س): وكلت له من أصناف التمر، فأوفاه اللهُ وفضل لنا من التمر كذا وكذا. وهذه الزيادة لم ترد في (أ)، وهو الصواب، فإنها لم ترد في شيء من مصادر تخريج الحديث.

ووقعَ في رواية فِراس عن الشَّعبي ما قد يخالف ذلك، ففيه: ثمَّ دَعَوتُ رسول الله ﷺ، فلمَّا نظروا إليه كأنَّما أُغْرُوا بي تلكَ الساعةَ، أي: أنَّهم شَدَّدوا عليه في المطالَبة لعداوتِهم للنبي ﷺ، قال: فلمَّا رأى ما يصنعونَ طافَ حول أعظَمِها بَيدَراً ثلاث مرَّات ثمَّ جلَسَ عليه، ثمَّ قال: «ادعُهم» فما زالَ يَكِيل لهم حتَّى أدّى اللهُ أمانةَ والدي، وأنا راضٍ أن يُؤدِّيَها اللهُ ولا أرجِعَ إلى أخَواتي بتمرةٍ، فسَلَّمَ اللهُ البَيادِر كلَّها، حتَّى إنّي أنظُر إلى البَيدَر الذي عليه رسولُ الله ﷺ كأنَّه لم يَنقُص منه تمرةٌ واحدة.

ووجه المخالَفة فيه أنَّ ظاهره أنَّ الكَيْل جميعه كان بحَضْرة رسول الله ﷺ، وأنَّ التَّمر لم يَنقُص منه شيءٌ البَتَّة، والذي مضى ظاهره أنَّ ذلك بعد رُجوعه، وأنَّ بعض التَّمر نَقَصَ، ويُجمَع بأنَّ ابتداءَ الكَيل كان بحَضرَتِه ﷺ، وبَقيتَه كان بعد انصِرافه، وكان بعضُ البَيادِر التي أوفى منها بعضَ أصحاب الدَّين حيثُ كان بحَضرة رسول الله ﷺ لم يَنقُص منه شيء البَتَّة، ولمَّا انصَرفَ بَقيت آثارُ بَرَكَته، فلذلك أوفى من أحد البَيادِر ثلاثينَ وسقاً، وفَضَلَ سبعة عشر.

وفي رواية نُبَيح ما يُؤيِّد ذلك، ففي روايته قال: «كِل له، فإنَّ الله سوفَ يُوَفِّيه»، وفي حديثه: فإذا الشمس قد دَلَكَت فقال: «الصلاةَ يا أبا بكر» فاندَفَعوا إلى المسجد، فقلت له - أي: للغريمِ -: قَرِّب أوعِيَتَك، وفيه: فجِئتُ أسعى إلى رسول الله ﷺ كأنّي شَرارَة، فوَجَدتُه قد صَلّى، فأخبَرتُه، فقال: «أين عمر؟» فجاء يُهروِل، فقال: «سَلْ جابراً عن تمرِه وغَريمه» فقال: ما أنا بسائلِه، قد عَلِمتُ أنَّ الله سيُوفِّيه، الحديث.

وقصَّة عمر قد وقعَت في رواية ابن كعب، ففيها: ثمَّ جِئتُ رسول الله ﷺ، فقال لعمر: «اسمَعْ يا عمر» قال: ألّا يكونُ قد عَلِمْنا أنَّك رسولُ الله، والله إنَّك لَرسولُ الله.

وفي رواية وَهْب: فقال عمر: لقد عَلمت حين مَشى فيها رسولُ الله ﷺ لَيُبارِكَنَّ اللهُ فيها.

وقوله في رواية ابن كعب: ألّا يكونُ، بفتح الهمزة وتشديد اللّام في الرِّوايات كلّها، وأصلها أن الخفيفة ضُمَّت إليها لا النافية، أي: هذا السُّؤال إنَّما يَحتاج إليه مَن لا يعلم أنَّك رسول الله، فلذلك يَشُكّ في الخبر فيَحتاج إلى الاستدلال، وأمَّا مَن عَلِمَ أنَّك رسول الله

فلا يَحتاج إلى ذلك. وزَعَمَ بعض المتأخِّرينَ أنَّ الرِّواية فيه بتخفيفِ اللّام، وأنَّ الهمزة فيه للاستفهام التَّقريري، فأنكَرَ عمرُ عَدَم عِلمه بالرِّسالة، فأنتَجَ إنكارُه ثُبوت عِلمه بها، وهو كلامٌ موجَّه، إلّا أنَّ الرِّواية إنَّما هي بالتَّشديد، وكذلك ضَبَطَها عياض وغيره.

وقيل: النُّكتة في اختصاص عمر بإعلامه بذلك أنَّه كان مُعتَنياً بقصَّةِ جابر، مُهتَمّاً بشأنِه، مُساعداً له على وفاء دَيْن أبيه.

وقيل: لأنَّه كان حاضراً مع النبي ﷺ لمَّا مَشى في النَّخل، وتَحقَّقَ أنَّ التَّمر الذي فيه لا يَفي ببعضِ الدَّين، فأراد إعلامَه بذلك لكَونِه شاهَدَ أوَّل الأمر، بخِلاف مَن لم يُشاهِدهُ.

ثمَّ وجَدت ذلك صريحاً في بعض طرقه، ففي رواية أبي المتوكِّل عن جابر عند أبي نُعَيم، فذكر الحديث، وفيه: فإذا رسولُ الله ﷺ وعمرُ، فقال: «انطَلِق بنا حتَّى نَطوف بنَخلِك هذا» فذكر الحديث.

وفي رواية أبي نَضْرة عن جابر عنده في هذه القصَّة، قال: فأتاه هو وعمر فقال: «يا فلان خُذ من جابر وأخِّر عنه» فأبى، فكادَ عمر يَبطِشُ به، فقال النبي ﷺ: «مَه يا عمر، هو حقّه» ثمَّ قال: «اذهَب بنا إلى نَخلك» الحديث، وفيه: فأتيتُ النبي ﷺ فأخبَرته فقال: «ائتِني بعمر» فأتيته، فقال: «يا عمر» سَلْ جابراً عن نَخله» فذكر القصَّة.

ووقعَ في رواية الذّيال بن حَرمَلة: أنَّ أبا بكر وعمر جميعاً كانا مع النبي ﷺ، وقال في آخره: قال: «فانطَلِق فأخبِر أبا بكر وعمر» قال: فانطَلَقتُ فأخبَرتُهما، الحديث، ونحوه في رواية وَهْب بن كَيْسانَ عن جابر.

وجَمَعَ البيهقي بين مُختَلِف الرِّوايات في ذلك بأنَّ اليهودي المذكور كان له دَين مِن تَمر، ولغيره من الغُرَماء دُيون أُخرى، فلمَّا حَضَرَ الغُرَماء وطالَبُوا بحقوقِهم، وكالَ لهم جابرٌ التَّمرَ ففَضَلَ تَمر الحائط كأنَّه لم يَنقُص شيء، فجاء اليهودي بعدهم فطالَبَ/ بدينه، فجَدَّ له جابر ما بقي على النَّخَلات، فأوفاه حقّه منه، وهو ثلاثونَ وَسْقاً، وفَضَلَت منه سبعة عشر، انتهى.

٥٩٥/٦

وهذا الجمع يقتضي أنَّه لم يَفضُل من الذي في البَيادِر شيءٌ. وقد صَرَّحَ في الرِّواية

المتقدِّمة أنَّها فضَلَت كلُّها، كأنَّه لم يَنقُص منها شيء، فما تقدَّم من الطَّريق الذي جمعتُ به أولى، والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد: جواز الاستنظار في الدَّين الحالّ، وجواز تأخير الغريم لمَصلَحة المال الذي يُوَفَّى منه.

وفيه مَشيُ الإمام في حوائج رَعيَّته، وشَفاعَته عند بعضهم في بعض.

وفيه عَلَمٌ ظاهر من أعلام النبوَّة لتكثير القليل إلى أن حَصَلَ به وفاءُ الكثير وفَضَلَ منه.

٣٥٨١- حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا مُعتَمِرٌ، عن أبيه، حدَّثنا أبو عُثمانَ، أنَّه حدَّثه عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ رضي الله عنهما: أنَّ أصحابَ الصُّفَّةِ كانوا أُناساً فُقَراءَ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال مَرَّةً: «مَن كان عندَه طعامُ اثنَين فلْيَذْهَب بثالثٍ، ومَن كان عندَه طعامُ أربعةٍ فلْيَذْهَب بخامسٍ بِسادسٍ» أو كما قال.

وإنَّ أبا بكرٍ جاء بثلاثةٍ، وانطَلَقَ النبيُّ ﷺ بعَشَرةٍ، وأبو بكرٍ ثلاثةً، قال: فهو أنا وأبي وأُمّي ـ ولا أدري هل قال: امرأتي ـ وخادِمي بينَ بيتِنا وبينَ بيتِ أبي بكرٍ، وإنَّ أبا بكرٍ تَعَشَّى عندَ النبيِّ ﷺ، ثمَّ لَبِثَ حتَّى صَلَّى العِشاءَ، ثمَّ رَجَعَ فلَبِثَ حتَّى تَعَشَّى رسولُ الله ﷺ، فجاء بعدَما مَضَى مِن اللَّيلِ ما شاءَ اللهُ. قالت له امرأتُه: ما حَبَسَكَ عن أَضْيافِكَ ـ أو ضَيفِكَ ـ؟ قال: أَوَعَشَّيتِهِم؟ قالت: أَبَوْا حتَّى تَجِيءَ، قد عَرَضُوا عليهم فغَلَبوهم، قال: فذهبتُ فاختَبَأتُ، فقال: يا غُنْثَرُ، فجَدَّعَ وسَبَّ، وقال: كُلُوا، وقال: لا أَطْعَمُه أبداً، قال: وايمُ الله، ما كنَّا نأخُذُ مِن اللُّقْمةِ إلّا رَبا من أسفَلِها أكثرُ منها، حتَّى شَبِعوا وصارَت أكثرَ ممَّا كانت قبلُ، فنَظَرَ أبو بكرٍ فإذا شيءٌ أو أكثرُ، فقال لِامرأتِه: يا أُخْتَ بني فِراسٍ، قالت: لا، وقُرَّةِ عَينِي، لهيَ الآنَ أكثرُ ممَّا قبلُ بثلاثِ مِرارٍ، فأكَلَ منها أبو بكرٍ، وقال: إنَّما كان الشيطانُ ـ يعني: يَمِينَه ـ ثمَّ أكَلَ منها لُقمةً، ثمَّ حَمَلَها إلى النبيِّ ﷺ، فأصبَحَت عندَه، وكان بينَنا وبينَ قومٍ عَهْدٌ، فمَضَى الأجَلُ ففَرَّقَنا اثنا عَشَرَ رجُلاً، مَعَ كلِّ رجلٍ منهم أُناسٌ، اللهُ أعلمُ كم مَعَ كلِّ رجلٍ، غيرَ أنَّه بَعَثَ معهم، قال: أكَلُوا منها أجمَعُونَ؛ أو كما قال.

وغيره يقول: فعَرَّفَنا، مِن العِرَافة.

الحديث التاسع: حديث عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق في قصَّة أضياف أبي بكر، والمراد منه تكثير الطَّعام القليل.

قوله: «عن أبيه» هو سليمان بن طَرْخان التَّيْمي، أحدُ صِغار التابعينَ، وفي رواية أبي النُّعمان عن مُعتَمِر: حدَّثنا أبي، كما تقدَّم في الصلاة (٦٠٢). وأبو عثمان: هو النَّهدي.

قوله: «أنَّ أصحاب الصُّفَّة كانوا أُناساً فُقَراء» سيأتي ذِكْرهم في كتاب الرِّقاق (٦٤٥٢)، وأنَّ الصُّفَّة مكان في مُؤَخَّر المسجد النَّبوي مُظَلَّل، أُعِدّ لنزولِ الغُرَباء فيه ممَّن لا مأوى له ولا أهل، وكانوا يَكثُرونَ فيه ويَقِلّونَ، بحَسَبِ مَن يَتزوَّج منهم أو يموت أو يُسافر، وقد سَرَدَ أسماءَهم أبو نُعَيم في «الحِلية»، فزادوا على المئة.

قوله: «مَن كان عنده طعام اثنَين فلْيَذْهَب بثالثٍ» أي: من أهل الصُّفَّة المذكورينَ. ووقعَ في رواية مسلم (١٧٦/٢٠٥٧): «فليذهب بثلاثةٍ». قال عياض: وهو غَلَط، والصَّواب رواية البخاري لموافَقَتِها لسياق باقي الحديث.

وقال القُرطُبي: إن حُمِلَ على ظاهره فسَدَ المعنى، لأنَّ الذي عنده طعام اثنين إذا ذهب معه بثلاثةٍ لَزِمَ أن يأكله في خمسة، وحينئذٍ لا يكفيهم ولا يَسُدّ رَمَقَهم، بخِلاف ما إذا ذهب بواحدٍ، فإنَّه حينئذٍ يأكله في ثلاثة.

ويُؤيِّده قوله في الحديث الآخر: «طعام الاثنين يكفي أربعة»[1]، أي: القَدر الذي يُشبِع الاثنين يَسُدّ رَمَق أربعة.

ووَجَّهها النَّوَوي بأنَّ التَّقدير: فليذهب بمَن يُتِمّ مَن عنده ثلاثة، أو فليذهب بتمام ثلاثة.

قوله: «ومَن كان عنده طعامُ أربعةٍ فلْيَذْهَب بخامسٍ، بسادسٍ، أو كما قال» أي: فليذهب بخامسٍ إن لم يكن عنده ما يقتضي أكثرَ من ذلك، وإلّا فليذهب بسادسٍ مع الخامس إن كان عنده أكثرُ من ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٢٢٢)، ومسلم (٢٠٥٩)، وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله.

والحكمة في كَونِه يزيدُ كلَّ أحدٍ واحداً فقط أنَّ عَيشهم في ذلك الوقت لم يكن مُتَّسِعاً، فمَن كان عنده مثلاً ثلاثة أنفُس لا يَضِيق عليه أن يُطعِم الرّابع من قُوتِهم، وكذلك الأربعة وما فوقها، بخِلاف ما لو زِيدَت الأضيافُ بعَدَدِ العِيَال، فإنَّ ذلك إنَّما يَحصُل الاكتِفاءُ فيه عند اتِّساع الحال.

ووقعَ في رواية أبي النُّعمان[1]: «وإن أربع فخامس أو سادس» و«أو» فيه للتَّنويع أو التخيير كما في الرِّواية الأُخرى، ويحتمل أن يكون معنى «أو سادس»: وإن كان عنده طعام خمس فليذهب بسادسٍ، فيكون من عَطفِ الجملة على الجملة.

وقوله: «**وإن أربع فخامس**»[2] بالجرِّ فيهما، والتَّقدير: فإن كان عنده طعام أربع فليذهب بخامسٍ أو سادِسٍ، فحَذَفَ عامل الجرّ وأبقى عمَلَه، كما يقال: مَرَرت برجلٍ صالح، وإن لا صالحٍ فطالحٍ، أي: إن لا أمُرّ بصالحٍ، فقد مَرَرت بطالحٍ. ويجوز الرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامَه، وهو أوجَهُ.

قال ابن مالك: تَضَمَّنَ هذا الحديث حذفَ فِعلَين وعاملَي جَرّ مع بَقاء عَمَلِهما بعد «إن» وبعد الفاء، والتَّقدير: مَن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالثٍ، وإن قامَ بأربعةٍ فليذهب بخامسٍ أو سادس. انتهى. وهذا قاله في الرِّواية التي في الصلاة، وأمَّا هذه الرِّواية وهي قوله: «بخامسٍ بسادسٍ» فيكون حُذِفَ منها شيءٌ آخرُ، والتَّقدير: أو إن قامَ بخمسةٍ فليذهب بسادسٍ.

قوله: «**وإنَّ أبا بَكْر جاء بثلاثةٍ، وانطَلَقَ النبيُّ ﷺ بعَشَرةٍ**» عَبَّرَ عن أبي بكر بلفظ المجيء لبُعدِ مَنزِله من المسجد، وعن النبي ﷺ بالانطِلاق لقُربِه.

وقوله بعد ذلك: «**وأبو بكر ثلاثةً**» بالنَّصبِ للأكثر، أي: أَخَذَ ثلاثةً، فلا يكون قوله قبل ذلك: «جاء بثلاثةٍ» تَكراراً، لأنَّ هذا بيانٌ/ لابتداءِ ما جاء في نَصيبه، والأوَّل لبيان مَن ٥٩٦/٦

---

(١) سلفت (٦٠٢).

(٢) هذا اللفظ في رواية أبي النعمان التي أشار إليها الحافظ، وقد تقدمت برقم (٦٠٢).

أحضَرَهم إلى مَنزِله. وأبعَدَ مَن قال: ثلاثةٌ، بالرفع، وقَدَّرَه: وأبو بكر أهله ثلاثةٌ، أي: عَدَد أضيافه، ودَلَّ ذلك على أنَّ أبا بكر كان عنده طعام أربعةٍ، ومع ذلك فأَخَذَ خامساً وسادساً وسابعاً، فكأنَّ الحكمة في أخذه واحداً زائداً عمَّا ذكر النبيُّ ﷺ أنَّه أراد أن يُؤثِر السابعَ بنَصيبِه إذ ظَهَرَ له أنَّه لم يأكل أوَّلاً معهم.

ووقعَ في رواية الكُشْمِيهني: وأبو بكر بثلاثةٍ، فيكون معطوفاً على قوله: وانطَلَقَ النبي، أي: وانطَلَقَ أبو بكر بثلاثةٍ، وهي رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦)، والأوَّل أوجَه، والله أعلم.

قوله: «**قال: فهو أنا وأبي وأُمّي**» القائل هو عبد الرحمن بن أبي بكر، وقوله: «**فهو**» أي: الشَّأن، وقوله: «أنا» مُبتَدَأ وخبره محذوف، يدلّ عليه السِّياق، وتقديره: في الدّار.

قوله: «**ولا أدري، هل قال: امرأتي وخادِمي**» في رواية الكُشْمِيهني: وخادِم، بغير إضافة، والقائل: هل قال، هو أبو عثمان الراوي عن عبد الرحمن، كأنَّه شَكَّ في ذلك.

وقوله: «**بين بيتنا**» أي: خِدمَتُها مُشتَرَكة بين بيتنا وبيت أبي بكر، وهو ظَرْف للخادِم.

وأُمّ عبد الرحمن: هي أمّ رُومان مشهورة بكُنْيَتِها، واسمها زينب، وقيل: وَعْلة، وقيل: دَعْد[1] بنت عامر بن عوَيمِر، وقيل: عُمَيرة، من ذُرّية الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة، كانت قبل أبي بكر عند الحارث بن سَخْبَرة الأزدي، فقَدِمَ مكَّة فماتَ وخَلَّفَ منها ابنَه الطُّفَيل، فتزوَّجَها أبو بكر فوَلَدَت له عبد الرحمن وعائشة، وأسلَمَت أمّ رومان قديماً، وهاجَرَت ومعها عائشة.

وأمَّا عبدُ الرحمن فتأخَّرَ إسلامه وهِجْرته إلى هُدْنة الحُدَيبية، فقَدِمَ في سنة سبع أو أوَّل سنة ثمان، واسم امرأته والدةِ أكبر أولاده أبي عَتِيق محمَّد: أُمَيمَة بنت عَدي بن قيس السَّهمية، والخادم لم أعرف اسمَها.

قوله: «**وإنَّ أبا بكر تَعَشّى عند النبي ﷺ، ثمَّ لَبِثَ حتَّى صَلّى العِشاء ثمَّ رَجَعَ**» ووَقَعَ في

(١) قوله: «وقيل: دَعْد» سقط من (س).

الرِّواية التي في الصلاة (٦٠٢): ثمَّ لَبِثَ حتَّى صُلِّيتِ العِشاءُ، وفي رواية: حيثُ صُلِّيت، ثمَّ رَجَعَ. فشَرَحَه الكِرْماني، فقال: هذا يُشعِر بأنَّ تَعَشّي أبي بكر كان بعد الرُّجوع إلى النبي ﷺ، والذي تقدَّم بعَكْسِه. والجواب: أنَّ الأوَّل بيان حال أبي بكر في عَدَم احتياجه إلى الطَّعام عند أهله، والثّاني فيه سياق القصَّة على التَّرتيب الواقع: الأوَّل: تَعَشّي الصِّدّيق، والثّاني: تَعَشّي النبيِّ ﷺ. والأوَّل من العَشاء بفتحِها، أي: الأكل، والثّاني: بكسرها، أي: الصلاة.

فأحد هذه الاحتمالات أنَّ أبا بكر لمَّا جاء بالثلاثة إلى مَنزِله لَبِثَ إلى وقت صلاة العِشاء، فرَجَعَ إلى النبي ﷺ حتَّى تَعَشّى عنده، وهذا لا يَصِحّ، لأنَّه يخالف صريح قوله في حديث الباب: وإنَّ أبا بكر تَعَشّى عند النبي ﷺ.

ثمَّ إنَّ الذي وقعَ عند البخاري (٦٠٢) بلفظ: ثمَّ رَجَعَ، بالجيم ليس مُتَّفَقاً عليه بين الرُّواة لِمَا سأذكُرُه، وظاهر قوله في هذه الرِّواية: ثمَّ رَجَعَ، أي: إلى مَنزِله، وعلى هذا ففي قوله: فلَبِثَ حتَّى تَعَشّى رسول الله ﷺ، فجاء بعدَما مضى من اللَّيل ما شاءَ الله، تَكرار، وفائدَته: الإشارة إلى أنَّ تأخُّرَه عند النبي ﷺ كان بمِقدار أن تَعَشّى معه، وصَلّى العِشاء، وما رَجَعَ إلى مَنزِله إلّا بعد أن مضى من اللَّيل قِطعةٌ، وذلك أنَّ النبي ﷺ كان يُحبّ أن يُؤَخِّر صلاة العِشاء كما تقدَّم في حديث أبي بَرْزة (٥٤١ و٥٩٩).

ووقعَ عند الإسماعيلي: ثمَّ رَكَعَ، بالكاف، أي: صَلّى النافلة بعد العِشاء، فعلى هذا فالتَّكرار في قوله: فلَبِثَ حتَّى تَعَشّى، فقط، وفائدَته ما تقدَّم.

ووقعَ في رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦) والإسماعيلي أيضاً: فلَبِثَ حتَّى نَعَسَ، بعينٍ وسين مُهمَلتَين مفتوحَتَين، من النُّعاس، وهو أوجَه، وقال عياض: إنَّه الصَّواب. وبه يَنتَفي التَّكرار من المواضع كلّها إلّا في قوله: لَبِثَ، وسَبَبه اختلاف تعلُّق اللُّبث، فالأوَّل: قال: لَبِثَ حتَّى صَلّى العِشاء، ثمَّ قال: فلَبِثَ حتَّى نَعَسَ.

والحاصل أنَّه تأخَّرَ عند النبي ﷺ حتَّى صَلّى العِشاء، ثمَّ تأخَّرَ حتَّى نَعَسَ النبي ﷺ وقامَ لينامَ، فرَجَعَ أبو بكر حينئذٍ إلى بيته. وقد تَرجَمَ عليه المصنِّف في أبواب الصلاة قُبَيل

الأذان: «باب السَّمَر مع الضَّيف والأهل» (٦٠٢)، وأخَذَه من كَون أبي بكر رَجَعَ إلى أهله وضِيفَانِه/ بعد أن صَلّى العِشاء مع النبي ﷺ، فدارَ بينهم وبينه ما ذُكِرَ في الحديث. ٥٩٧/٦

ووقعَ في رواية أبي داود (٣٢٧٠) من رواية الجُرَيري عن أبي عثمان - أو أبي السَّليل[1] - عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: نزلَ بنا أضياف، وكان أبو بكر يَتَحَدَّث عند النبي ﷺ فقال: لا أرجِع إليك[2] حتَّى تَفرُغ من ضيافة هؤلاء، ونحوه يأتي في الأدب (٦١٤٠) من طريق أُخرى عن الجُرَيري عن أبي عثمان بلفظ: أنَّ أبا بكر تَضَيَّفَ رَهطاً، فقال لعبد الرحمن: دُونَك أضيافَك، فإنّي مُنطَلِق إلى النبي ﷺ، فافرُغ مِن قِراهم قبل أن أجيء، وهذا يدلُّ على أنَّ أبا بكر أحضَرَهم إلى مَنزِله وأمَرَ أهلَه أن يُضَيِّفوهم، ورَجَعَ هو إلى النبي ﷺ، ويدلّ عليه صريحُ قوله في حديث الباب: وإنَّ أبا بكر جاء بثلاثةٍ.

قوله: «**قالت له امرأته: ما حَبَسَك عن أضْيافك؟**» في رواية الكُشْمِيهني: عن ضيفك، وكذا هو في الصلاة، ورواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦).

قوله: «**أو ضَيفك**» شَكّ من الراوي، والمراد به الجِنس، لأنَّهم كانوا ثلاثة، واسم الضَّيف يُطلَق على الواحد وما فوقه. وقال الكِرْماني: أو هو مصدَر يَتَناوَل المُثَنّى والجمع، كذا قال، وليس بواضحٍ.

قوله: «**أوَعَشَّيتهم**» في رواية الكُشْمِيهني: «أوَما عَشَّيتِهم» بزيادة ما النافية، وكذا في رواية مسلم والإسماعيلي، والهمزة للاستفهام، والواو للعَطفِ على مُقدَّر بعد الهمزة، وفي بعضها: عشَّيْتيهم، بإشباع الكسرة.

قوله: «**قد عَرَضوا عليهم**» بفتح العين والرّاء، والفاعل محذوف، أي: الخَدَم أو الأهل

(١) كذا وقع في الأصلين و(س)، فأوهم أنَّ الجريري - واسمه سعيد بن إياس - أو مَن دونه شكَّ: هل الرواية عن أبي عثمان أو عن أبي السليل - واسمه ضُرَيب بن نُقَير - وهذا خطأ، صوابه: أو عن أبي السليل عنه، يعني أنَّ الشك الذي حصل هل رواية الجريري عن أبي عثمان مباشرة أو بواسطة أبي السَّليل، كذلك جاء في «سنن أبي داود»، وكذا جاء في «تحفة الأشراف» (٩٦٨٨) مُوضَّحاً.

(٢) يخاطب بذلك أبو بكر ابنَه عبد الرحمن.

أو نحو ذلك، «فغَلَبوهم» أي: أنَّ آلَ أبي بكر عَرَضوا على الأضياف العَشاء فأبَوا، فعالَجُوهم، فامتَنَعُوا حتَّى غَلَبوهم.

وفي الرِّواية التي في الصلاة (٦٠٢): قد عُرِّضوا، بضمِّ أوَّله وتشديد الرّاء، أي: أُطعِموا، من العُراضة، وهي الهدية، قاله عياض، قال: وهو في الرِّواية بتخفيفِ الرّاء. وحَكَى ابن قُرقُول أنَّ القياس بتشديد الرّاء، وبه جَزَمَ الجَوهري، وقال الكِرْماني موجِّهاً التَّخفيفَ: أي: عُرِضَ الطَّعام عليهم، فحَذَفَ الجارّ ووصلَ الفعل، فهو من القلب كَعَرَضتُ الناقة على الحوض[1]. ووَقَعَ في الصلاة: «قد عَرَضنا عليهم فامتَنَعوا[2]»، وحَكَى ابن التِّين أنَّه وَقَعَ في بعض الرِّوايات: عَرَصوا، بصادٍ مُهمَلة، قال: ولا أعرف لها وجهاً، ووَجَّهَها غيره أنَّها من قولهم: عَرِصَ: إذا نَشِطَ، فكأنَّه يريد أنَّهم نَشِطوا في العَزيمة عليهم، ولا يَخفى تكلُّفُه.

وفي رواية الجُرَيري (٦١٤٠): فانطَلَقَ عبد الرحمن فأتاهم بما عنده، فقال: اطعَمُوا، قالوا: أين ربُّ مَنزِلنا؟ قال: اطعَمُوا. قالوا: ما نحنُ بآكِلينَ حتَّى يَجيء. قال: اقبَلوا عَنّا قِراكُم، فإنَّه إن جاء ولم تَطعَمُوا لنَلقَين منه ـ أي: شَرّاً ـ فأبَوا».

وفي رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٧): ألا تَقبَلُوا عَنّا قِراكم؟، ضَبَطَه عياض عن الأكثر بتخفيفِ اللّام على استفتاح الكلام، قال القُرطُبي: ويَلزَم عليه أن تَثبُت النُّون في «تَقبَلونَ» إذ لا موجِب لحذفِها، وضَبَطَها ابن أبي جعفر بتشديد اللّام، وهو الوجه.

قوله: «قال: فذهبْتُ فاختبَأتُ» أي: خَوفاً من خِصام أبي بكر له وتَغيُّظه عليه. وفي

---

(١) كذا وقع في الأصلين و(س)، فأوهم الكلامُ أنَّ القلب هو التقدير بعد حذف الجارّ ووصل الفعل، وهو خطأ، لأنهما تقديران متغايران، وجاء على الصواب في «عمدة القاري» للعَيني، حيث جاء فيه: وقال الكرماني: وفي بعض النسخ بضم العين، أي: عُرِض الطعامُ على الأضياف، فحذف الجار وأوصل الفعل، أو هو من باب القلب نحو: عرضتُ الحوض على الناقة، وهذا هو نص الكرماني في «الكواكب الدراري» ٤/ ٢٣٨، غير أنه وقع في مطبوع الكرماني: عرضت الناقة على الحوض، كالذي نقله الحافظ هنا، وهو أظهر في القلب، لأنَّ المعروض عادة هو الحوض لا الناقة، لاختبار عطشها.

(٢) لم يرد في الصحيح بهذا اللفظ، بل ولا في شيء من كتب الحديث، وأما في الصلاة فجاء بلفظ: قد عُرِضوا فأبوا، وفي الأدب (٦١٤١) بلفظ: عرضنا عليهم فأبوا.

رواية الجُرَيري (٦١٤٠): فعَرَفت أنَّه يَجِدُ عليّ ـ أي: يَغضَب ـ فلمَّا جاء تَغيَّبتُ عنه، فقال: يا عبد الرحمن، فسَكَتُّ، ثمَّ قال: يا عبد الرحمن، فسَكَتُّ.

قوله: «فقال: يا غُنثَر، فجَدَّعَ وسَبَّ» في رواية الجُرَيري فقال: يا غُنثَرُ، أقسَمتُ عليك إن كنت تسمع صوتي لمَّا جِئتَ، قال: فخَرَجتُ، فقلت: والله ما لي ذَنبٌ، هؤلاءِ أضيافُك فسَلْهم، قالوا: صَدَقَك، قد أتانا به.

وقوله: «فجَدَّعَ وسَبَّ» أي: دَعَا عليه بالجَدْعِ، وهو قطع الأُذُن أو الأنف أو الشَّفَة، وقيل: المراد به السَّبّ، والأوَّل أصحّ.

وفي رواية الجُرَيري: فجَزَّعَ[1] بالزّاي بدل الدّال، أي: نَسَبَه إلى الجَزَع، بفتحَتَين، وهو الخوف، وقيل: المجازَعة: المخاصَمة، فالمعنى: خاصَمَ.

قال القُرطُبي: ظنَّ أبو بكر أنَّ عبد الرحمن فرَّطَ في حَقّ الأضياف، فلمَّا تَبيَّن له الحال، أدَّبَهم بقوله: كُلوا لا هَنيئاً[2]، وسَبَّ: أي: شَتَمَ. وحَذَفَ المفعول للعِلمِ به.

قوله: «غُنثَر» بضمِّ المعجَمة وسكون النُّون وفتح المثلَّثة، هذه الرِّواية المشهورة، وحُكي ضَمّ المثلَّثة، وحَكَى عياض عن بعض/ شيوخه فتح أوَّله مع فتح المثلَّثة، وحكاه الخَطّابي بلفظ: «عَنتَر» بلفظ اسم الشّاعر المشهور، وهو بالمهملة والمثنّاة المفتوحَتَين بينهما النُّون الساكنة، وَرَوى عن أبي عمرَ عن ثَعلَب: أنَّ معناه الذُّباب، وأنَّه سُمّي بذلك لصوتِه، فشَبَّهَه به حيثُ أراد تَحقيره وتصغيره.

٥٩٨/٦

وقال غيره: معنى الرِّواية المشهورة: الثَّقيل الوَخِم، وقيل: الجاهل، وقيل: السَّفيه، وقيل: اللَّئيم، وهو مأخوذ من الغَثْر، ونونه زائدة، وقيل: هو ذُباب أزرَق، شَبَّهَه به لتحقيره كما تقدَّم.

قوله: «وقال: كُلوا» زاد في الصلاة (٦٠٢): لا هَنيئاً، وكذا في رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦)،

---

(١) كذا نسب الحافظ هذه الرواية للجريري، وليست في رواية الجريري، وإنما هي في رواية معتمر بن سليمان عن أبي عثمان عند البزار (٢٢٦٣).

(٢) هذه العبارة جاءت في الرواية السالفة في الصلاة برقم (٦٠٢)، وهي في «مسلم» برقم (٢٠٥٧) (١٧٦).

أي: لا أَكَلتُم هَنيئاً، وهو دعاء عليهم، وقيل: خبر، أي: لم تَتَهَنَّوا به في أَوَّل نُضجه.

ويُستَفاد من ذلك جواز الدُّعاء على مَن لم يَحصُل منه الإنصاف، ولا سيما عند الجزع[1] والتغيُّظ، وذلك أنَّهم تَحكَّمُوا على ربِّ المنزِل بالحضورِ معهم، ولم يَكتَفُوا بوَلَدِه، مع إذنه لهم في ذلك، وكأنَّ الذي حَمَلهم على ذلك رغبتهم في التَّبَرُّك بمُؤاكَلَتِه. ويقال: إنَّه إنَّما خاطَبَ بذلك أهلَه لا الأضياف، وقيل: لم يُرِد الدُّعاء، وإنَّما أخبر أنَّهم فاتَهم الهَناءُ به، إذ لم يأكلُوه في وقته.

قوله: «**وقال: لا أطْعَمُه أبداً**» في رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦)، وكذا هو في الصلاة (٦٠٢): فقال: والله لا أطعَمه أبداً، وفي رواية الجُرَيري (٦١٤٠): فقال: فإنَّما انتَظَرتُموني، والله لا أطعَمُه أبداً، فقال الآخَرون: والله لا نَطعَمُه، وفي رواية أبي داود (٣٢٧٠) من هذا الوجه: فقال أبو بكر: فما مَنَعَكم؟ قالوا: مكانك. قال: والله لا أطعَمُه أبداً. ثمَّ اتَّفَقا، فقال: لم أرَ في الشرّ كاللَّيلة، وَيْلكم ما أنتم؟ لم لا تَقبَلونَ عَنّا قِراكُم؟ هاتِ طعامَك، فوَضَعَ، فقال: بسمِ الله، الأولى من الشيطان، فأكَلَ وأكَلُوا[2].

قال ابن التِّين: لم يخاطب أبو بكر أضيافَه بذلك، إنَّما خاطَبَ أهله، والرِّواية التي ذكرتُها تَرُدّ عليه. ووقعَ في رواية مسلم: ألّا تَقبَلونَ، وهو بتشديد اللّام للأكثر، ولبعضِهم بتخفيفِها.

قوله: «**وايمُ الله**» همزتُه همزةُ وَصْل عند الجمهور، وقيل: يجوز القطع، وهو مُبتَدأ وخبره محذوف، أي: ايمُ الله قَسَمي، وأصله: أَيْمُنُ الله، فالهمزة حينئذٍ همزة قَطْع، لكنَّها لكَثْرة الاستعمال خُفِّفَت فوُصِلَت، وحُكي فيها لُغات: أيمُن الله، مُثلَّثة النّون، ومُنُ الله، مختصرة من الأولى مُثلَّثة النُّون أيضاً، وايمُ الله كذلك، ومُ الله كذلك، وبكسر الهمزة أيضاً، وأُمُ الله[3].

---

(١) في (س): الحرج.

(٢) من قوله: لم لا تقبلون... إلى آخر الرواية هو لفظ الجُريري عند المصنف، وليس في رواية أبي داود.

(٣) انظر كلام الفيروزآبادي في «القاموس» في مادة (يمن)، فقد بسط بيان هذه اللغات بياناً شافياً، وزاد على ما ذكره الحافظ ابن حجر.

قال ابن مالك: وليس الميم بَدَلاً من الواو، ولا أصلها مُن، خِلافاً لمن زَعَمَ ذلك. ولا أيمُن جمع يمين، خِلافاً للكوفيينَ.

وسيأتي تمام هذا في كتاب الأيمان والنُّذور (٦٦٢٧).

قوله: «**إلّا رَبا**» أي: زادَ.

وقوله: «**من أسفَلها**» أي: الموضع الذي أُخِذَت منه.

قوله: «**فنَظَرَ أبو بَكْر فإذا شيءٌ أو أكثَرُ**» والتَّقدير: فإذا هي شيء، أي: قَدْرَ الذي كان، كذا عند المصنِّف هنا، ووقعَ في الصلاة (٦٠٢) فإذا هي ـ أي: الجَفْنة ـ كما هي ـ أي: كما كانت أَوَّلاً ـ أو أكثر»، وكذلك في رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦) والإسماعيلي، وهو الصَّواب.

قوله: «**يا أُختَ بني فِراس**» زاد في الصلاة (٦٠٢): ما هذا، وخاطَبَ أبو بكر بذلك امرأتَه أمّ رومان، وبنو فِراس، بكسر الفاء وتخفيف الرّاء وآخره مُهمَلة: ابن غَنْم بن مالك ابن كِنانة، وقال النَّوَوي: التَّقدير: يا مَن هي من بني فِراس، وفيه نظر، والعرب تُطلِق على مَن كان مُنتَسِباً إلى قبيلة أنَّه أخوهم، كما تقدَّم في العلم (٦٣): ضِمامٌ أخو بني سعد بن بكر، وقد تقدَّم أنَّ أمّ رومان من ذُرِّية الحارث بن غَنْم، وهو أخو فِراس بن غَنْم، فلعلَّ أبا بكر نَسَبَها إلى بني فِراس لكَونِهم أشهَرَ من بني الحارث، ويقع في النَّسَب كثير من ذلك، ويُنسَبونَ أحياناً إلى أخي جَدّهم.

أو المعنى: يا أُخت القوم المنتَسِبين إلى بني فِراس، ولا شَكَّ أنَّ الحارث أخو فِراس، فأولاد كلّ منهما إخوة للآخرينَ، لكَونِهم في دَرَجَتهم.

وحَكَى عياض أنَّه قيل في أمّ رومان: إنَّها من بني فِراس بن غَنْم لا من بني الحارث، وعلى هذا فلا حاجة إلى هذا التَّأويل، ولم أرَ في كتاب ابن سعد لها نَسَباً إلّا إلى بني الحارث ابن غَنم، ساقَ لها/ نَسَبَين مُختَلِفَينِ، فالله أعلم[1]. ٦/٥٩٩

---

(١) قلنا: قد ذكر خليفةُ بن خياط في «طبقاته» ص١٨ أنها من بني فراس بن غنم، وهذا يؤيد قولَ القاضي عياض.

قوله: «**قالت: لا وقُرَّةِ عيني**» قُرَّة العين يُعَبَّر بها عن المَسَرَّة، ورُؤية ما يُحِبّه الإنسان ويوافقه، يقال ذلك لأنَّ عينه قَرَّت، أي: سَكَنَت حَرَكَتُها من التلفُّت لحصولِ غَرَضها، فلا تَستَشرِف لشيءٍ آخرَ، فكأنَّه مأخوذ من القَرار، وقيل: معناه: أنام الله عينك، وهو يَرجِع إلى هذا، وقيل: بل هو مأخوذ من القَرّ، وهو البَرد، أي: أنَّ عينه باردة لسُروره، ولهذا قيل: دمعة السرور باردة، ودَمعة الحُزن حارَّة، ومن ثَمَّ قيل في ضِدّه: أَسْخَنَ الله عينَهُ، وإنَّما حَلَفَتْ أمّ رومان بذلك لمَا وقعَ عندها من السُّرور بالكَرامة التي حَصَلَت لهم ببَرَكة الصِّدّيق ﷺ.

وزَعَمَ الدَّاوودي أنَّها أرادَت بقُرَّة عينها النبيَّ ﷺ، فأقسَمَت به، وفيه بُعدٌ.

و«لا» في قولها: «لا وقُرَّة عيني» زائدة، أو نافية على حذفٍ، تقديره: لا شيء غير ما أقول.

قوله: «**لهيَ**» أي: الجَفْنة، أو البقيَّة.

«**أكثرُ ممَّا قبلُ**» كذا هنا، وفي رواية مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦): أكثر منها قبلُ وهو أوجَه، و«أكثر» للأكثر بالمثلَّثة، ولبعضِهم بالموحَّدة.

قوله: «**فأكَلَ منها أبو بَكْر، وقال: إنَّما كان الشيطان، يعني يمينه**» كذا هنا، وفيه حذف والتقديرُ: وإنَّما كان الشيطان الحاملَ على ذلك، يعني: الحامل على يمينه التي حَلَفَها في قوله: والله لا أَطعَمُه.

ووقعَ عند مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦) والإسماعيلي: وإنَّما كان ذلك من الشيطان، يعني: يمينه، وهو أوجَه.

وأبعَدَ مَن قال: الضَّمير في قوله: هذه، لِلُّقمة التي أكَلَ[1]، أي: هذه اللُّقمة لقَمْع الشيطان وإرغامه، لكونه قَصَدَ بتَزيينِه له اليمين إيقاعَ الوَحشة بينه وبين أضيافه، فأخزاه أبو بكر بالحِنثِ الذي هو خير.

---

(١) تحرف في (ع) إلى: هذا اللقمة التي أكلها، وفي (س) إلى: هذه اللقمة للتي أكل. ولفظة «هذه» لم ترد في رواية حديث الباب، ولكنها في الرواية الآتية برقم (٦١٤١) من رواية سليمان التيمي حيث قال أبو بكر: كأنَّ هذه من الشيطان. قال الكرماني: هذه، أي: الحالة أو اليمين.

وظاهر هذا السّياق مخالف لرواية الـجُرَيري، فقال عياض: في هذا السّياق خطأ، وتقديم وتأخير، ثمَّ ذكر ما حاصله: أنَّ الصَّواب ما في رواية الجُرَيري، وهو أنَّ رواية سليمان التَّيمي هذه تَقتَضي أنَّ سبب أكل أبي بكر من الطَّعام ما رآه من البَرَكة فيه، فرَغِبَ في الأكل منه، وأعرَضَ عن يمينه التي حَلَفَ لِـمَا رَجَحَ عنده من التَّناوُل للبركة، ورواية الجُرَيري تَقتَضي أنَّ سبب أكله من الطَّعام لَجَاجُ الأضياف وحَلِفهم في أنهم لا يَطعَمونَ من الطَّعام حتَّى يأكل أبو بكر. ولا شَكَّ في كَونها أوجَهُ، لكن يُمكِن رَدّ رواية سليمان التَّيمي إليها بأن يكون قوله: فأكَلَ منها أبو بكر، معطوفاً على قوله: والله لا أطعَمه، لا على القصَّة التي دَلَّت على بَرَكة الطَّعام، وغايته أنَّ حَلْفَ الأضياف أن لا يَطعَموه لم يقع في رواية سليمان، والله أعلم.

ثمَّ ظَهَرَ لي أنَّ ذلك من مُعتَمِر بن سليمان لا من أبيه، فقد وقعَ في الأدب (٦١٤١) عند المصنِّف من رواية ابن أبي عَدي عن سليمان التَّيمي: فحَلَفَت المرأةُ لا تَطعَمُه حتَّى يَطْعَمَه، فقال أبو بكر: كأنَّ هذه من الشيطان، فدَعا بالطَّعام فأكَلَ وأكَلوا، فجَعَلوا لا يَرفَعونَ اللُّقمة إلّا رَبا من أسفَلها.

ويَحتَمِل أن يُجمَع بأن يكون أبو بكر أكَلَ، لأجلِ تَحليل يمينهم، شيئاً، ثمَّ لمَّا رأى البَرَكة الظّاهرة عادَ فأكَلَ منها لتَحصُل له، وقال كالمعتَذِرِ عن يمينه التي حَلَفَ: إنَّما كان ذلك من الشيطان.

والحاصل: أنَّ الله أكرَمَ أبا بكر، فأزالَ ما حَصَلَ له من الحَرَج، فعادَ مسروراً، وانقلبَ الشيطانُ مَدحوراً.

واستعملَ الصِّدّيق مكارم الأخلاق، فحَنَّثَ نفسه زيادة في إكرام ضيفانه ليحصُلَ مقصوده من أكلهم، ولكَونِه أكثرَ قُدرة منهم على الكفّارة.

ووقعَ في رواية الجُرَيري عند مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٧): فقال أبو بكر: يا رسول الله، بَرُّوا وحَنَثتُ، فقال: «بل أنتَ أبَرّهم وخيرهم» قال: ولم يَبلُغني كفَّارةٌ، وسقط ذلك من رواية الجُرَيري عند المصنِّف (٦١٤٠)، وكأنَّ سبب حذفه لهذه الزّيادة أنَّ فيها إدراجاً بيَّنَته روايةُ

أبي داود (٣٢٧٠) حيثُ جاء فيها: فأُخبِرتُ ـ بضمِّ الهمزة ـ أنَّه أصبحَ فغَدا إلى النبي ﷺ إلى آخره.

وقوله: «أبَرِّهم»[1] أي: أكثرهم برّاً، أي: طاعة، وقوله: «وخيرهم» أي: لأنَّك حَنِثْتَ في يمينك حِنثاً مَندوباً إليه مطلوباً، فأنتَ أفضل منهم بهذا الاعتبار.

وقوله: «ولم يَبلُغني كفَّارةٌ»[2] استُدِلَّ به على أنَّه لا تجب الكفَّارة في يمين اللَّجاج والغضب، ولا حُجَّة فيه، لأنَّه لا يَلزَم من/ عَدَم الذِّكر عَدَمُ الوجود، فلِمَن أثبتَ الكفَّارة ٦٠٠/٦ أنْ يَتَمَسَّك بعمومِ قوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة:٨٩]، ويحتَمل أن يكون ذلك وقعَ قبل مشروعية الكفَّارة في الأيمان، لكن يُعكِّر عليه ما سيأتي (٤٦١٤) من حديث عائشة: أنَّ أبا بكر لم يكن يَحنَث في يمين حتَّى نزلت الكفَّارة.

وقال النَّوَوي: قوله: ولم يَبلُغني كفَّارة، يعني: أنَّه لم يُكَفِّر قبل الحِنث[3]، فأمَّا وجوب الكفَّارة فلا خِلاف فيه، كذا قال.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أبو بكر لمَّا حَلَفَ أن لا يَطعَمَه أضمَرَ وقتاً مُعيَّناً، أو صفةً مخصوصةً، أي: لا أَطعَمه الآن، أو لا أَطعَمه معكم، أو عند الغضب، وهو مَبنيٌّ على أنَّ اليمين هل تَقبَل التَّقييد في النَّفس أم لا؟ ولا يخفى ما فيه من التَّكلُّف.

وقول أبي بكر: «والله لا أطعَمُه أبداً»[4] يمين مُؤكِّدة، ولا يُحتَمل أن تكون من لَغو الكلام ولا من سَبْق اللِّسان.

قوله: «ثمَّ حمَلَها إلى النبي ﷺ فأصبحَت عنده» أي: الجَفْنة على حالها، وإنَّما لم يأكلوا منها

---

(١) هذا شرحٌ منه رحمه الله للفظ الواقع في «صحيح مسلم» من طريق الجريري برقم (٢٠٥٧) (١٧٧).

(٢) هذا أيضاً شرح منه رحمه الله للفظ رواية الجريري عند مسلم.

(٣) نص كلام النووي في «شرح مسلم» ١٤/ ٢٢: يعني لم يبلغني أنه كفَّر قبل الحنث.

(٤) لفظ القسم لم يرد في رواية حديث الباب، ولكنه في الرواية السالفة في الصلاة برقم (٦٠٢)، وفي الرواية الآتية في الأدب برقم (٦١٤٠).

في اللَّيل لكَونِ ذلك وقعَ بعد أن مضى من اللَّيل مُدَّة طويلة.

قوله: «ففرَّقَنا اثنا عَشَر رجلاً، مَع كلّ رجل منهم أُناس» كذا هو هنا من التَّفريق، أي: جَعَلهم اثني عشر فِرقة، وحَكَى الكِرْماني أنَّ في بعض الرِّوايات: فقَرَينا، بقافٍ وتحتانية، من القِرى، وهو الضّيافة، ولم أقِفْ على ذلك.

قوله: «وغيره يقول: فعرَّفَنا» وهو من العِرافة، وكذا اختَلَفَت الرُّواة عند مسلم: هل قال: فرَّقَنا أو عرَّفَنا، وفي رواية الإسماعيلي: فعرَّفَنا، من العِرافة وجهاً واحداً، وسُمّي العَريف عَريفاً، لأنَّه يُعرِّف الإمامَ أحوالَ العَسكَر.

وزَعَمَ الكِرْماني أنَّ فيه حذفاً تقديره: فرَجَعنا إلى المدينة فعرَّفَنا. قلت: ولا يَتَعيَّن ذلك لجواز أن يكون تعريفهم وإرسالهم قبل الرُّجوع إلى المدينة.

قوله: «اثنا عَشَر رجلاً» كذا للمصنِّف، وعند مسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦): اثنَي عشر بالنَّصبِ، وهو ظاهر[1]، والأوَّل على طريق مَن يجعل المثنَّى بالرفع في الأحوال الثلاثة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه:٦٣]، ويحتَمل أن يكون «ففُرِّقنا» بضمِّ أوَّله على البناء للمجهولِ، فارتَفَعَ «اثنا عشر» على أنَّه مُبتَدَأ، وخبره «مع كلّ رجلٍ منهم».

قوله: «الله أعْلم كَم مع كلّ رجل غيرَ أنَّه بَعَثَ معهم» يعني: أنَّه تَحقَّقَ أنَّه جَعَلَ عليهم اثني عشر عَريفاً، لكنَّه لا يَدري كَم كان تحت يد كلّ عَريف منهم، لأنَّ ذلك يَحتَمِل الكَثْرة والقِلَّة، غير أنَّه يَتحقَّق أنَّه بَعَثَ معهم ـ أي: مع كلّ ناس ـ عَريفاً.

قوله: «قال: أكَلوا منها أجْمَعونَ، أو كما قال» هو شَكّ من أبي عثمان في لفظ عبد الرحمن، وأمَّا المعنى: فالحاصل أنَّ جميع الجيش أكَلوا من تلكَ الجَفْنة التي أرسَلَ بها أبو بكر إلى النبي ﷺ، وظَهَرَ بذلك أنَّ تمام البرَكة في الطَّعام المذكور كانت عند النبي ﷺ، لأنَّ الذي وقعَ فيها في بيت أبي بكر ظُهور أوائل البرَكة فيها، وأمَّا انتِهاؤُها إلى أن تَكفي الجيش

---

(١) كذا وقع للحافظ في نسخته من «صحيح مسلم»، وقال النووي: في معظم النسخ: اثنا عشر، وفي نادرٍ منها: اثني عشر، وكلاهما صحيح.

كلّهم فما كان إلّا بعد أن صارت عند النبي ﷺ على ظاهر الخبر، والله أعلم.

وقد روى أحمد (٢٠١٣٥) والتِّرمذي (٣٦٢٥) والنَّسائي (ك٦٨٧٦) من حديث سَمُرة قال: أُتي النبي ﷺ بقَصعةٍ فيها ثَريد فأكَلَ وأكَلَ القوم، فما زالوا يَتداوَلونَها إلى قريب من الظُّهر، يأكل قوم ثمَّ يقومونَ، ويَجيء قوم فيَتَعاقَبونَه، فقال رجل: هل كانت تُمَدُّ بطعامٍ؟ قال: أمّا من الأرض فلا، إلّا أن تكون كانت تُمَدُّ من السماء. قال بعض شيوخنا: يُحتَمل أن تكون هذه القَصعة هي التي وقعَ فيها في بيت أبي بكر ما وقعَ، والله أعلم.

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدَّم التِجاء الفقراء إلى المساجِد عند الاحتياج إلى المواساة إذا لم يكن في ذلك إلحاح، ولا إلحاف، ولا تَشويش على المصلّينَ.

وفيه استحباب مواساتهم عند اجتماع هذه الشُّروط. وفيه التَّوظيف في المخمَصَة.

وفيه جواز الغيبة عن الأهل والولد والضَّيف إذا أُعِدَّت لهم الكفاية، وفيه تصرُّف المرأة فيما تُقَدِّم للضَّيفِ والإطعام بغير إذنٍ خاصّ من الرجل.

وفيه جواز سَبِّ الوالد للولدِ على وجه التَّأديب والتَّمرين على أعمال الخير وتَعاطيه.

وفيه جواز الحَلِف على تَرك المباح، وفيه تَوكيد الرجل الصّادِق لخبره بالقَسَمِ، وجواز الحِنث بعد عَقد اليمين.

وفيه التَّبرُّك بطعام الأولياء والصُّلَحاء. وفيه عَرْض الطَّعام الذي تَظهَر فيه البَرَكة على الكِبار وقَبُولهم ذلك. وفيه العمل بالظَّنِّ الغالب، لأنَّ أبا بكر ظنَّ أنَّ عبد الرحمن فرَّطَ في أمر الأضياف فبادَرَ إلى سَبِّه، وقَوّى القَرينة عنده اختباؤُه منه.

وفيه ما يقع من لُطف الله تعالى بأوليائه، وذلك أنَّ خاطرَ/ أبي بكر تَشَوَّش، وكذلك ولده ٦٠١/٦ وأهله وأضيافه بسَبَبِ امتناعهم من الأكل، وتَكَدَّرَ خاطرُ أبي بكر من ذلك حتَّى احتاجَ إلى ما تقدَّم ذِكْره من الحَرَج بالحَلِفِ وبالحِنثِ وبغير ذلك، فتَدارَكَ الله ذلك ورَفَعَه عنه بالكَرامة التي أبداها له، فانقَلَبَ ذلك الكَدَر صَفاء والنَّكَد سُروراً، ولله الحمد والمِنَّة.

٣٥٨٢- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا حمّادٌ، عن عبدِ العزيزِ، عن أنسٍ. وعن يونُسَ، عن ثابتٍ،

عن أنسٍ ﷺ، قال: أصابَ أهلَ المدينةِ قَحْطٌ على عَهْدِ رسولِ الله ﷺ، فبينا هو يَخْطُبُ يومَ جُمُعةٍ إذ قامَ رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله، هَلَكَتِ الكُراعُ، هَلَكَتِ الشّاءُ، فادْعُ الله يَسْقِينا، فمَدَّ يَدَيه ودَعَا، قال أنسٌ: وإنَّ السماءَ لَمِثْلُ الزُّجاجةِ، فهاجَتْ رِيحٌ أنشَأَتْ سَحَاباً، ثمَّ اجتمَعَ، ثم أرسَلَتِ السماءُ عَزالِيَها، فخَرَجْنا نَخوضُ الماءَ حتَّى أتَيْنا مَنازِلَنا، فلم نَزَل نُمْطَرُ إلى الجمُعةِ الأُخرَى، فقامَ إليه ذلك الرجلُ ـ أو غيرُه ـ فقال: يا رسولَ الله، تَهَدَّمَتِ البُيوتُ، فادْعُ الله يَحْبِسْه، فتبسَّمَ، ثمَّ قال: «حَوالَينا ولا عَلَينا». فنَظَرتُ إلى السَّحاب تَصَدَّعَ حَوْلَ المدينةِ كأنَّه إكْليلٌ.

الحديث العاشر: حديث أنس في الاستسقاء. والمراد منه وقوع إجابة الدُّعاء في الحال، وقد تقدَّم شرحُه في الاستسقاء (١٠١٣).

وأورَدَه هنا من طريقَين لحمَّادِ بن زيد. فقوله: «وعن يونس» هو ابن عُبيد، وهو معطوف على قوله: «عن عبد العزيز بن صُهَيب»، وحاصله أنَّ حمَّاداً سمعَه عن أنس عالياً ونازلاً، وذلك لأنَّه سمعَ من ثابت وحدَّث عنه هنا بواسطةٍ، وذكر البزَّار (٦٩٥٥) أنَّ حمَّاداً تفرَّد بطريق يونس بن عُبيد هذه.

قوله: «هَلَكَت الكُرَاع» بضمِّ الكاف، وحُكي عن رواية الأَصِيلي كسرها، وخُطِّئ، والمراد به الخيل، وقد يُطلَق على غيرها من الحيوان، لكنَّ المراد به هنا الحقيقة، لأنَّه عَطَفَ عليه بعد ذلك غيره.

قوله: «لَمِثْلُ الزُّجاجة» أي: من شِدَّة الصَّفاء، ليس فيها شيء من السَّحاب.

قوله: «فهاجَت ريحٌ أنشَأَت سَحاباً» قال بعض شُرّاح البخاري[1]: هذا فيه نظر، لأنَّه إنَّما يقال: نَشَأَ السَّحابُ: إذا ارتَفَعَ، وأنشأَ الله السَّحابَ، لقوله: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد:١٢]. قلت: المراد في حديث الباب الثّاني، ونِسبة الإنشاء إلى الرّيح مجازية، وذلك بإذنِ الله، والأصل أنَّ الكلّ بإنشاءِ الله، وهو كقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٤]، وقد تقدَّم في بَدْء الخلق[2] أنَّ الرّيح تُلْقِحُ السَّحاب.

---

(١) هو شيخه ابن الملقن، وقد قال ذلك في «التوضيح» ٢٠/ ١٧٦.

(٢) في الباب رقم (٥): ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾.

قوله: «عَزالَيْها» بالزّاي الخفيفة واللّام المفتوحة بعدها تحتانية ساكنة، تَثنية عَزْلى[١]، وقد تقدَّم ضبطُها وتفسيرها قريباً.

قوله: «فقامَ إليه ذلك الرجل أو غيره» تقدَّم في الاستسقاء[٢] ما يُقرِّبُ أنَّه خارجة بن حِصن الفَزاري، وما يوَضِّح أنَّ الذي قامَ أوّلاً هو الذي قامَ ثانياً، وأنَّ أنساً جَزَمَ به تارة وشَكَّ فيه أُخرى.

قوله: «تَصَدَّعَ» في رواية الكُشْمِيهني: يتَصَدَّعُ، وهو الأصل[٣].

قوله: «إِكْليل» بكسر الهمزة وسكون الكاف، هي العِصابة التي تُحيط بالرَّأسِ، وأكثر ما تُستَعمَل فيها إذا كانت العِصابة مُكلَّلةً بالجَوهَرِ، وهي من سِمات ملوك الفُرس، وقد قيل: إنَّ أصله ما أحاطَ بالظُّفرِ من اللَّحم، ثمَّ أُطلِقَ على كلّ ما أحاطَ بشيءٍ ما والله أعلم.

٣٥٨٣- حدَّثنا محمَّدُ بنُ المثنَّى، حدَّثنا يحيى بنُ كَثير أبو غَسّانَ، حدَّثنا أبو حفصٍ، واسمُه عمرُ بنُ العلاءِ، أخو أبي عَمْرِو بنِ العلاءِ، قال: سمعتُ نافعاً، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: كان النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ إلى جِذْعٍ، فلمَّا اتَّخذَ المِنبَرَ تَحوَّلَ إليه، فحَنَّ الجِذْعُ، فأتاه فمَسَحَ يدَه عليه.

وقال عبدُ الحميد: أخبرنا عُثْمانُ بنُ عمرَ، أخبرنا معاذُ بنُ العلاءِ، عن نافعٍ... بهذا.

ورواه أبو عاصمٍ، عن ابنِ أبي رَوّادٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، عن النبيِّ ﷺ.

---

(١) كذا ضبط الحافظ هنا هذه اللفظة على أنها تثنية عزلى، وهو وهم منه رحمه الله تعالى، والذي في كتب اللغة دون خلاف: أرسلت السماءُ عزالِيها، بكسر اللام، على أنها جمع عزلاء، بالمد. وقد ضبطها الحافظ على الصواب فيما تقدم عند شرح الحديث (٣٥٧١)، فليُرجع إليه.

(٢) في شرح الحديث (١٠١٣).

(٣) لا ندري ما معنى قول الحافظ: وهو الأصل، إلَّا أن يكون قد وقعت له روايةُ الكشميهني: تتصدع، بتاءين، لصيغة المضارع المؤنث، ورواية غير الكشميهني على ذلك تكون بحذف إحدى التاءين وعليه يكون ترك التاءين هو الأصل، ولكن هذا يخالف ما جاء في اليونينية و«إرشاد الساري» حيث جاءت فيهما الرواية بصيغة الماضي المذكر، ورواية الكشميهني بصيغة المضارع المذكر. على أنَّ السحاب يذكر ويؤنث كما جاء في «شرح القاموس»، والله أعلم.

٣٥٨٤- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا عبدُ الواحِدِ بنُ أيمَنَ، قال: سمعتُ أبي، عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقومُ يومَ الجمُعةِ إلى شجرةٍ أو نَخْلةٍ، فقالت امرأةٌ مِن الأنصار ـ أو رجلٌ ـ: يا رسولَ الله، ألا نَجْعَلُ لكَ مِنْبَراً؟ قال: «إن شئتُمْ» فجَعَلوا له مِنْبَراً، فلمَّا كان يومُ الجمُعةِ دُفِعَ إلى المِنْبرِ، فصاحَتِ النَّخْلةُ صِياحَ الصَّبِيِّ، ثمَّ نزلَ النبيُّ ﷺ فضَمَّه إليه، تَئِنُّ أنِينَ الصَّبيِّ الذي يُسكَّنُ، قال: كانت تَبْكي على ما كانت تَسْمَعُ مِن الذِّكْرِ عندَها.

٣٥٨٥- حدَّثنا إسماعيلُ، قال: حدَّثني أخي، عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، قال: أخبرني حفصُ بنُ عُبيدِ الله بنِ أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّه سمعَ جابرَ بنَ عبدِ الله رضي الله عنهما يقول: كان المسجدُ مَسْقوفاً على جُذوعٍ من نَخْلٍ، فكان النبيُّ ﷺ إذا خَطَبَ يقومُ إلى جِذْعٍ منها، فلمَّا صُنِعَ له المِنْبرُ فكان عليه، فسمعْنا لذلك الجِذْعِ صوتاً كَصوتِ العِشار، حتَّى جاء النبيُّ ﷺ فوَضَعَ يدَه عليها، فسَكَنَتْ.

٦٠٢/٦ **الحديث الحادي عشر والثاني عشر:** حديث ابن عمر وجابر في حنين الجذع، أورده عنهما من طرق:

أما حديث ابن عمر: فقوله في الطَّريق الأولى: «حدَّثنا أبو حفص، واسمه عمر بن العلاء أخو أبي[1] عَمْرو بن العلاء» تسمية أبي حفص لم أرَها إلّا في رواية البخاري، والظّاهر أنَّه هو الذي سَمّاه، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق بُندار عن يحيى بن كثير، فقال: حدَّثنا أبو حفص بن العلاء، فذكر الحديث، ولم يُسمِّه، وقد تَـرَدَّدَ الحاكم أبو أحمد في ذلك، فذكر في ترجمة أبي حفص في «الكُنى» هذا الحديث (٣/ ٢٣٢)، فساقَه من طريق عبد الله بن رَجاء الغُدَاني: حدَّثنا أبو حفص بن العلاء، فذكر حديث الباب، ولم يَقُل: اسمه عمر، ثمَّ ساقَه (٣/ ٢٣٣) من طريق عثمان بن عمر عن معاذ بن العلاء به، ثمَّ أخرج (٣/ ٢٣٣) من طريق مُعتَمِر بن سليمان[2]: عن معاذ بن العلاء أبي غَسّان. قال: وكذا ذكر البخاري في «التاريخ» (٧/ ٣٦٥): أنَّ معاذ بن العلاء يُكْنى أبا غَسّان.

---

(١) لفظة «أبي» سقطت من (س).

(٢) وقرن به يحيى القطان.

قال الحاكم: فالله أعلم أهما[1] أخوان، أحدهما يُسَمّى عمر والآخر يُسَمّى معاذاً، وحَدَّثا معاً عن نافع بحديث الجِذع، أو أحد الطَّريقَين غير محفوظ؟ لأنَّ المشهور من أولاد العلاء أبو عَمْرو صاحب القراءات وأبو سفيان ومعاذ، فأمَّا أبو حفص عمر فلا أعرفه إلّا في الحديث المذكور، والله أعلم.

قلت: وليس لمعاذ ولا لعمر في البخاري ذِكْرٌ إلّا في هذا الموضع، وأمَّا أبو عَمْرو بن العلاء فهو أشهَر الإخوة وأجَلّهم، وهو إمام القراءات بالبَصرة، وشيخ العربية بها، وليس له أيضاً في البخاري روايةٌ ولا ذِكْرٌ إلّا في هذا الموضع، واختُلِفَ في اسمه اختلافاً كثيراً، والأظهَر أنَّ اسمه كُنْيته، وأمَّا أخوه أبو سفيان بن العلاء فأخرج حديثه التِّرمِذي[2].

قوله: «وقال عبد الحميد: أخبَرَنا عُثْمان بن عمر» عبد الحميد هذا لم أرَ مَن تَرجَمَ له في رجال البخاري، إلّا أنَّ المِزّي[3] ومَن تَبِعَه جَزَموا بأنَّه عبد بن حُميدٍ الحافظ المشهور، وقالوا: كان اسمه عبد الحميد، وإنَّما قيل له: عبد، بغير إضافة تخفيفاً، وقد راجَعتُ الموجود من «مُسنَده» «وتفسيره»، فلم أرَ هذا الحديث فيه، نعم وجَدته من حديث رَفيقِه عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِمي أخرجه في «مُسنَده» المشهور (٣١) عن عثمان بن عمر، بهذا الإسناد.

قوله: «أخبَرَنا معاذ بن العلاء» في رواية الإسماعيلي من طريق أبي عُبيدة الحَدّاد: عن معاذ بن العلاء، وهو أخو أبي عَمْرو بن العلاء القارئ.

قوله: «عن نافع» في رواية الإسماعيلي وابن حِبّان (٦٥٠٦): سمعت نافعاً.

قوله: «ورواه أبو عاصم» هو النبيل من كِبار شيوخ البخاري.

قوله: «عن ابن أبي رَوّادٍ» يعني: عبد العزيز، ورَوّاد، بفتح الرّاء المهمَلة وتشديد الواو، اسمه

---

(١) تحرف في (س) إلى: أنهما.

(٢) لم يخرج له الترمذي شيئاً، وإنما له في «مسند أحمد» حديثان، أحدهما في الصلاة في مرابض الغنم وأعطان الإبل، برقم (٢٠٥٤١)، وثانيهما في ترك قتل الكلاب إلّا الأسود البهيم، برقم (٢٠٥٤٨).

(٣) إنما قال المزي في «تحفة الأشراف» (٨٤٤٩): يقال: إنه عبد بن حميد. لكن جزم به قبل المِزّي الحميديُّ في «الجمع بين الصحيحين» (١٤٦٢).

ميمون، وطريق أبي عاصم هذه وصَلها البيهقي (٣/ ١٩٥) من طريق شعيب بن عمرو[١] عن أبي عاصم مُطوَّلاً، وأخرجه أبو داود (١٠٨١) عن الحسن بن عليّ عن أبي عاصم، مختصراً[٢].

قوله: «فأتاه فمَسَحَ يده عليه» في رواية الإسماعيلي من طريق يحيى بن السَّكَن عن معاذ: فأتاه فاحتَضَنَه فسَكَنَ، فقال: «لو لم أفعل لمَا سَكَنَ»، ونحوه في حديث ابن عبَّاس عند الدَّارِمي[٣] (٣٩) بلفظ: «لو لم أحتَضِنه لحَنَّ إلى يوم القيامة».

ولأبي عَوَانة وابن خُزَيمةَ (١٧٧٧) وأبي نُعَيم في حديث أنس: «والذي نفسي بيدِه لو لم ألتَزِمه لمَا زالَ هكذا إلى يوم القيامة حُزناً على رسول الله ﷺ»، ثمَّ أمَرَ به فدُفِنَ، وأصله في التِّرمِذي (٣٦٢٧) دون الزِّيادة.

ووقعَ في حديث الحسن عن أنس[٤]: كان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث يقول: يا مَعشَر المسلمينَ، الخشبة تَحِنّ إلى رسول الله ﷺ شَوقاً إلى لقائه، فأنتم أحقّ أن تَشتاقوا إليه.

وفي حديث أبي سعيد عند الدَّارِمي (٣٧): فأمَرَ به أن يُحفَر له ويُدفَن.

وفي حديث سَهل بن سعد عند أبي نُعَيم: فقال: «ألا تَعجَبونَ من حَنين هذه الخشبة؟» فأقبَلَ الناس عليها، فسمعوا من حَنينها حتَّى كَثُرَ بُكاؤُهم.

وأما حديث جابر، فقوله في الطَّريق الأولى: «كان يقوم إلى شجرة، أو نخلة» هو شَكٌّ من الراوي، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق وكيع عن عبد الواحد فقال: إلى نخلة، ولم يَشُكّ.

وقوله: «فقالت امرأة من الأنصار أو رجل» شَكٌّ من الراوي، والمعتمَد الأوَّل، وقد

---

(١) تحرف في الأصلين إلى: سعيد بن عمرو، وفي (س) إلى: سعيد بن عمر.

(٢) من قوله: قوله: وقال عبد الحميد، إلى هنا، جاء في (س) متأخراً إلى ما بعد شرح قوله: فقالت امرأة من الأنصار أو رجل. وليس ذلك موضعه، وإنما موضعه هنا، كما جاء في الأصلين.

(٣) فات الحافظ رحمه الله أن يخرج الحديث من «مسند أحمد» (٢٢٣٦)، ومن «سنن ابن ماجه» (١٤١٥).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «مسنده» (٤٨)، وأبو يعلى (٢٧٥٦)، والبغوي في «الجعديات» (٣٣٤١)، وابن حبان (٦٥٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٠٨)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٥٩.

تقدَّم بيانه في كتاب الجمعة (٩٠٨)، والخِلاف في اسمها والكلام/ على المتن مُستَوفًى. ٦٠٣/٦

قوله: «دُفِعَ» بضمِّ أوَّله بالدّال، وللكُشْمِيهني بالرّاء.

قوله: «فضَمَّه إليه» أي: الجِذع، في رواية الكُشْمِيهني: فضَمَّها، أي: الخشبة.

قوله في الطَّريق الأُخرى: «حدَّثنا إسماعيل» هو ابن أبي أوَيس، وأخوه: هو أبو بكر، ويحيى بن سعيد: هو الأنصاري، وروايته عن حفص من رواية الأقران، لأنَّه في طَبَقَته.

قوله: «كان المسجد مَسْقوفاً على جُذوع من نَخْل» أي: أنَّ الجُذوع كانت له كالأعمِدة.

قوله: «فكان النبي ﷺ يقوم إلى جِذْع مِنْها[1]» أي: حين يَخطُب، وبه صَرَّحَ الإسماعيلي بلفظ: كان إذا خَطَبَ يقوم إلى جِذع.

قوله: «كصوتِ العِشَار» بكسر المهمَلة بعدها مُعجَمة خفيفة: جمع عُشَراء، تقدَّم شرحه في الجمعة (٩١٨)، والعُشَراء: الناقة التي انتهَت في حَملها إلى عَشرة أشهُر.

ووقعَ في رواية عبد الواحد بن أيمَن[2]: فصاحَت النَّخلةُ صياح الصَّبي.

وفي حديث أبي الزُّبَير عن جابر عند النَّسائي في «الكبير» (١٧١٠)[3]: اضطَرَبَت تلكَ السارية كَحَنين الناقة الخَلوج. انتهى، والخَلوج، بفتح الخاء المعجَمة وضمّ اللّام الخفيفة وآخره جيم: الناقة التي انتُزِعَ منها ولدُها.

وفي حديث أنس عند ابن خُزَيمةَ[4] (١٧٧٦): فحَنَّت الخشبة حَنين الوالِه.

وفي روايته الأُخرى عند الدَّارِمي (٤١): خارَ ذلك الجِذع كخُوَار الثَّور.

---

(١) لم تختلف روايات البخاري في تقييد القيام في هذا الحديث بقوله: «إذا خطب»، كما في اليونينية و«إرشاد الساري»، فلعله سقط للحافظ رحمه الله فاحتاج إلى هذا التقييد الذي ذكره، مستدلاً له برواية الإسماعيلي، والله أعلم.

(٢) ستأتي برقم (٣٥٨٤).

(٣) وهو أيضاً في «المجتبى» (١٣٩٦)، وليس فيهما لفظة «الخلوج»، لكنها جاءت عند الدارمي (٣٥) وغيره من طريق سعيد بن أبي كريب عن جابر.

(٤) فات الحافظ أن يخرج الحديث من «مسند أحمد»، فهو فيه برقم (١٣٣٦٣).

وفي حديث أُبيّ بن كعب عند أحمد (٢١٢٤٨)، والدَّارِمي (٣٦)، وابن ماجَهْ (١٤١٤): فلمَّا جاوزه خارَ الجِذعُ حتَّى تَصَدَّعَ وانشَقَّ، وفي حديثه: فأخَذَ أُبيُّ بن كعب ذلك الجِذعَ لمَّا هُدِمَ المسجد، فلم يزل عنده حتَّى بَلِيَ وعادَ رُفاتاً. وهذا لا يُنافي ما تقدَّم من أنَّه دُفِنَ، لاحتمال أن يكون ظَهَرَ بعد الهدم عند التَّنظيف فأخَذَه أُبيّ بن كعب.

وفي حديث بُرَيدة عند الدَّارِمي (٣٢) أنَّ النبي ﷺ قال له: «اختَرْ أن أغرِسَكَ في المكان الذي كنت فيه، فتكونَ كما كنت ـ يعني: قبل أن تَصير جِذعاً ـ وإن شئتَ أن أغرِسَكَ في الجنَّة، فتشربَ من أنهارها، فيَحسُن نَبتُك وتُثمِر، فيأكلُ مِنك أولياء الله» فقال النبي ﷺ: «اختارَ أن أغرِسه في الجنَّة»[1].

قال البيهقي: قصَّة حَنين الجِذع من الأُمور الظَّاهرة التي حَمَلها الخَلَف عن السَّلَف، ورواية الأخبار الخاصَّة فيها كالتَّكلُّف.

وفي الحديث دلالة على أنَّ الجمادات قد يَخلُق الله لها إدراكاً كالحيوان، بل كأشرَف الحيوان. وفيه: تأييد لقولِ مَن يَحمِل ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] على ظاهره.

وقد نَقَلَ ابن أبي حاتم في «مناقب الشَّافعي» عن أبيه عن عَمْرو بن سَوَّاد عن الشَّافعي، قال: ما أعطى اللهُ نبياً ما أعطى محمَّداً، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أَعطَى محمَّداً حَنين الجِذع حتَّى سُمِعَ صوته، فهذا أكبر من ذلك.

٣٥٨٦- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ، عن شُعْبَةَ. وحدَّثنا بِشرُ بنُ خالدٍ، حدَّثنا محمَّدٌ، عن شُعْبَةَ، عن سليمانَ، سمعتُ أبا وائلٍ يُحدِّثُ، عن حُذَيفةَ أنَّ عمرَ بنَ الخَطّاب ﷺ قال: أيُّكم يَحفَظُ قولَ رسولِ الله ﷺ في الفِتْنةِ؟ فقال حُذَيفةُ: أنا أحفظُ كما قال، قال: هاتِ، إنَّكَ لَجَرِيءٌ، قال رسولُ الله ﷺ: «فِتْنةُ الرجلِ في أهلِه ومالِه وجارِهِ تُكَفِّرُها الصَّلاةُ والصَّدَقةُ والأمرُ بالمعْروفِ والنَّهْيُ عن المنْكَر» قال: ليست هذه، ولكنِ التي تَموجُ كَمَوْجِ البحر، قال: يا أمِيرَ المؤمنينَ، لا بَأسَ عليكَ منها، إنَّ بينَكَ وبينَها باباً مُغْلَقاً، قال: يُفتَحُ البابُ أو يُكسَر؟ قال:

---

(١) وإسناده ضعيف.

لا، بل يُكْسَرُ، قال: ذلكَ أحرَى أن لا يُغلَقَ، قُلْنا: عَلِمَ عُمَرُ البابَ؟ قال: نعم، كما أنَّ دونَ غَدٍ اللَّيلَةَ، إنِّي حَدَّثْتُه حديثاً ليس بالأغاليطِ، فهِبْنا أن نَسألَه وأمَرْنا مَسْرُوقاً فسأله، فقال: مَنِ البابُ؟ قال: عمر.

الحديث الثالث عشر: حديث حُذَيفة في ذِكْر الفتنة. ٦٠٥/٦

قوله: «حدَّثنا محمَّد» هو ابن جعفر، الذي يقال له: غُنْدَر.

قوله: «عن سليمان» هو الأعمَش، وقد وافَقَه على رواية أصل الحديث عن أبي وائل ـ وهو شَقِيق بن سَلَمَةَ ـ جامعُ بن شَدّاد، أخرجه المصنِّف في الصوم (١٨٩٥)، ووافَقَ شَقِيقاً على روايته عن حُذَيفة رِبعيُّ بن حِراش، أخرجه أحمد (٢٣٢٨٠) ومسلم (١٤٤).

قوله: «أنَّ عمر بن الخطّاب ﷺ، قال: أيُّكم يَحْفَظ؟» في رواية يحيى القَطّان عن الأعمَش في الصلاة (٥٢٥): كنَّا جلوساً عند عمر فقال: أيكم. والمخاطَب بذلك الصَّحابة، ففي رواية رِبعي عن حُذَيفة: أنَّه قَدِمَ من عند عمر، فقال: سأل عمرُ أمسِ أصحابَ محمَّد: أيُّكم سمعَ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟

قوله: «قال: أنا أحفظ كما قال» في رواية المصنِّف في الزكاة (١٤٣٥): أنا أحفظه كما قالَه.

قوله: «قال: هات، إنَّك لجَريءٌ» في الزكاة: إنَّك عليه لجَريءٌ، فكيف.

قوله: «فِتْنة الرجل في أهله وماله وجاره» زاد في الصلاة: ووَلَده.

قوله: «تُكفِّرها الصلاة والصَّدَقة» زاد في الصلاة: والصوم. قال بعض الشُّرّاح: يُحتَمل أن يكون كلّ واحدة من الصلاة وما معها مُكَفِّرة للمذكورات كلّها لا لكلِّ واحدة منها، وأن يكون من باب اللَّفّ والنَّشر، بأنَّ الصلاةَ مثلاً مُكَفِّرة للفتنة في الأهل، والصومَ في الولد... إلى آخره.

والمراد بالفتنة ما يَعرِض للإنسان مع مَن ذُكِرَ من الشَّر، أو الالتِهاء بهم، أو أن يأتي لأجْلِهم بما لا يَحِلّ له، أو يُخِلّ بما يجب عليه.

واستَشكَلَ ابن أبي جمرة وقوع التكفير بالمذكورات للوقوع في المحرَّم أو الإخلال

بالواجبِ، لأنَّ الطاعات لا تُسقِط ذلك، فإن حُمِلَ على الوقوع في المكروه والإخلال بالمستَحَبِّ لم يناسب إطلاقُ التَّكفير. والجواب: التِزام الأوَّل، وأنَّ الـمُمتَنِع من تَكفير الحرام والواجب ما كان كبيرةً، فهي التي فيها النِّزاع، وأمَّا الصَّغائر فلا نِزاع أنَّها تُكَفَّر لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١] الآية، وقد مضى شيء من البحث في هذا في كتاب الصلاة[١].

وقال الزَّين بن المنيِّر: الفتنة بالأهلِ تقع بالميلِ إليهِنَّ أو عليهِنَّ في القسمة والإيثار حتَّى في أولادهنَّ، ومن جِهَة التَّفريط في الحقوق الواجبة لهنَّ، وبالمال: يقع بالاشتغال به عن العبادة، أو بحَبسِه عن إخراج حَقّ الله، والفتنة بالأولادِ تقع بالميلِ الطَّبيعي إلى الولد وإيثاره على كلِّ أحد، والفتنة بالجار تقع بالحَسَدِ والمفاخَرة والمزاحَمة في الحقوق وإهمال التَّعاهُد. ثمَّ قال: وأسباب الفتنة بمَن ذُكِرَ غير مُنحَصِرة فيما ذكرتُ من الأمثِلة، وأمَّا تخصيص الصلاة وما ذُكِرَ معها بالتَّكفير دون سائر العِبادات ففيه إشارة إلى تعظيم قَدرها، لا نفيٍ أنَّ غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التَّكفير، ثمَّ إنَّ التَّكفير المذكور يحتمل أن يقع بنفسِ فعل الحسنات المذكورة، ويحتَمل أن يقع بالموازَنة، والأوَّل أظهَر، والله أعلم.

وقال ابن أبي جَمرة: خَصَّ الرجلَ بالذِّكرِ، لأنَّه في الغالب صاحب الحُكم في داره وأهله، وإلَّا فالنِّساء شَقائق الرِّجال في الحُكم. ثمَّ أشارَ إلى أنَّ التَّكفير لا يَختَصّ بالأربع المذكورات، بل نبَّه بها على ما عَداها، والضَّابط أنَّ كلّ ما يَشغَلُ صاحبه عن الله فهو فتنة له، وكذلك المكَفِّرات لا تَختَصّ بما ذُكِرَ، بل نبَّه به على ما عَداها، فذكر مِن عبادة الأفعال الصلاةَ والصّيامَ، ومن عبادة المال الصَّدَقَةَ،/ ومن عبادة الأقوال الأمرَ بالمعروف. ٦٠٦/٦

قوله: «ولكن التي تَموج» أي: الفتنة، وصَرَّحَ بذلك في الرِّواية التي في الصلاة (٥٢٥)، والفتنة: بالنَّصبِ بتقدير فعل[٢]، أي: أُريدُ الفتنةَ، ويُحتَمل الرفع، أي: مُرادي الفتنةُ.

---

(١) سبق الكلام على شيء من ذلك عن شرح الحديث (٥٢٦)، وسيأتي أيضاً مزيد كلام في هذا البحث عند شرح الحديث (٤٦٨٧).

(٢) هذا التقدير للرواية التي سبقت في الصلاة بلفظ: ولكن الفتنة التي تموج.

قوله: «تَموجُ كَمَوْجِ البحر» أي: تَضطَرِب اضطِراب البحر عند هَيَجانه، وكَنَى بذلك عن شِدَّة المخاصَمة وكَثْرة المنازَعة، وما يَنشَأ عن ذلك من المُشاتَمة والمُقاتَلة.

قوله: «يا أمير المؤْمِنينَ، لا بأس عليك مِنْها» زاد في رواية رِبعي: «تُعرَض الفتن على القلوب، فأيّ قلب أنكرَها نُكِتَت فيه نُكْتةٌ بيضاءُ حتَّى يصير أبيض مِثل الصَّفا لا تَضُرّه فتنة، وأيّ قلب أُشرِبَها نُكِتَت فيه نُكْتةٌ سوداءُ حتَّى يصير أسوَد كالكوزِ مَنكُوساً، لا يَعرف معروفاً ولا يُنكِر مُنكَراً» وحدَّثتُه أنَّ بَينه وبَينها باباً مُغلَقاً.

قوله: «إنَّ بينك وبينها باباً مُغْلَقاً» أي: لا يَخرُج منها شيء في حياتك، قال ابن المنيِّر: آثَر حُذَيفة الحِرصَ على حِفظ السِّرّ، ولم يُصرِّح لعمر بما سأل عنه، وإنَّما كَنَى عنه كِناية، وكأنَّه كان مأذوناً له في مِثل ذلك.

وقال النَّوَوي: يُحتَمل أن يكون حُذَيفة عَلِمَ أنَّ عمر يُقتَلُ، ولكنَّه كَرِهَ أن يخاطبه بالقتل، لأنَّ عمر كان يعلم أنَّه الباب، فأتى بعِبارةٍ يَحصُل بها المقصود بغير تصريح بالقتل. انتهى.

وفي لفظ طريق رِبعي ما يُعكِّر على ذلك على ما سأذكُره، وكأنَّه مَثَّل الفتن بدارٍ، ومَثَّل حياة عمر ببابٍ لها مُغلَق، ومَثَّل موته بفتح ذلك الباب، فما دامَت حياة عمر موجودةً فهي الباب المُغلَق، لا يَخرُج ممَّا هو داخلُ تلكَ الدّار شيءٌ، فإذا ماتَ فقد انفتَحَ ذلك الباب فخَرَجَ ما في تلكَ الدّار.

قوله: «قال: يُفْتَح البابُ أو يُكْسَرُ؟ قال: لا بل يُكْسَر، قال: ذلك أحْرى أن لا يُغْلَقَ» زاد في الصّيام (١٨٩٥): ذاكَ أجدَر أن لا يُغلَق إلى يوم القيامة.

قال ابن بَطّال: إنَّما قال ذلك لأنَّ العادة أنَّ الغَلْق إنَّما يقع في الصَّحيح، فأمَّا إذا انكسَرَ فلا يُتصوَّر غَلْقُه حتَّى يُجبَر. انتهى.

ويحتمل أن يكون كَنَى عن الموت بالفتح، وعن القتل بالكسر، ولهذا قال في رواية رِبعي: فقال عمر: كسْراً لا أبا لك؟! لكن بقيَّة رواية رِبْعي تَدُلّ على ما قَدَّمتُه، فإنَّ فيه: وحَدَّثته أنَّ ذلك الباب رجل يُقتَل، أو يموت.

وإنَّما قال عمر ذلك اعتماداً على ما عنده من النُّصوص الصَّريحة في وقوع الفتن في هذه الأُمَّة، ووقوع البَأس بينهم إلى يوم القيامة، وسيأتي في الاعتصام (٧٣١٣) حديث جابر في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ الآية [الأنعام:٦٥]، وقد وافَقَ حُذَيفة على معنى روايته هذه أبو ذَرّ، فرَوَى الطبراني[1] بإسنادٍ رجاله ثِقات: أنَّه لقي عمرَ فأَخَذَ بيدِه فغَمَزَها، فقال له أبو ذَرّ: أرسِلْ يدي يا قُفْل الفتنة، الحديث، وفيه أنَّ أبا ذرٍّ قال: لا يُصيبكم فتنة ما دامَ فيكم، وأشارَ إلى عمر. وروى البزَّار[2] من حديث قُدَامةَ بن مَظعُون عن أخيه عثمان أنَّه قال لعمر: يا غَلَقَ الفتنة، فسأله عن ذلك، فقال: مَرَرتَ ونحنُ جلوس معَ رسول الله ﷺ فقال: «هذا غَلَقَ الفتنة، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغَلْق ما عاشَ».

قوله: «قُلْنا: عَلِمَ عمرُ البابَ» في رواية جامع بن شَدّاد[3]: فقلنا لمسروقٍ: سَلْه أكان عمر يعلم مَن الباب؟ فسأله، فقال: نعم، وفي رواية أحمد (٢٣٤١٢) عن وكيع عن الأعمَش: فقال مسروق لحُذَيفة: يا أبا عبد الله، كان عمر يَعلَم؟

قوله: «كما أنَّ دون غَدٍ اللَّيلة» أي: أنَّ ليلة غَد أقرَب إلى اليوم من غَد.

قوله: «إنِّي حَدَّثتُه» هو بقيَّة كلام حُذَيفة، والأغاليط: جمع أُغلوطة، وهو ما يُغالَط به، أي: حَدَّثته حديثاً صِدْقاً مُحقَّقاً من حديث النبي ﷺ، لا عن اجتهاد ولا رأي.

وقال ابن بَطّال: إنَّما عَلِمَ عمر أنَّه الباب، لأنَّه كان مع النبي ﷺ على حِراء وأبو بكر وعثمان، فرَجَفَ، فقال: «اثبُت، فإنَّما عليك نبي وصِدّيق وشهيدان»[4]، أو فَهِمَ ذلك من قول حُذَيفة: بَل يُكسَر، انتهى.

والذي يَظهَر أنَّ عمر عَلِمَ الباب بالنَّصّ كما قَدَّمتُ عن عثمان بن مَظعون وأبي ذرٍّ، فلعلَّ حُذَيفة حَضَرَ ذلك، وقد تقدَّم في بَدْء الخلق (٣١٩٢) حديث عمر أنَّه سمعَ خُطبة

(١) في «الأوسط» (١٩٤٥).

(٢) كما في «كشف الأستار» (٢٥٠٦).

(٣) سلفت في الصوم (١٨٩٥).

(٤) سيأتي برقم (٣٦٧٥).

النبي ﷺ يُحدِّث عن بَدْء الخلق حتَّى دَخَلَ أهلُ الجنَّة منازِلَهم، وسيأتي في هذا الباب[1] حديث حُذَيفة أنَّه قال:/ أنا أعلم الناس بكلِّ فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وفيه أنَّه ٦٠٧/٦ سمعَ ذلك معه مِن النبي ﷺ جماعة ماتوا قبله، فإن قيل: إذا كان عمر عارفاً بذلك فلمَ شَكَّ فيه حتَّى سأل عنه؟ فالجواب: أنَّ ذلك يقع مِثله عند شِدَّة الخوف، أو لعلَّه خَشي أن يكون نَسي فسأل مَن يُذكِّره، وهذا هو المعتمَد.

قوله: «فهِبْنا» بكسر الهاء، أي: خِفنا. ودَلَّ ذلك على حُسن تأدُّبهم مع كِبارهم.

قوله: «وأمَرْنا مَسْروقاً» هو ابن الأجدَع من كِبار التابعينَ، وكان من أخِصّاء أصحاب ابن مسعود وحُذَيفة وغيرهما من كِبار الصَّحابة.

قوله: «فسأله، فقال: مَن الباب؟ قال: عمر» قال الكِرْماني: تقدَّم قوله: أنَّ بين الفتنة وبين عمر باباً، فكيف يُفسِّر البابَ بعد ذلك أنَّه عمر؟ والجواب: أنَّ في الأوَّل تجوُّزاً، والمراد بين الفتنة وبين حياة عمر، أو بين نفس عمر وبين الفتنة بَدَنُه، لأنَّ البَدَن غيرُ النَّفس.

تنبيه: غالب الأحاديث المذكورة في هذا الباب من حديث حُذَيفة وهَلُمَّ جَرّاً تَتعلَّق بإخباره ﷺ عن الأُمور الآتية بعده فوَقَعَت على وَفْق ما أخبر به، واليسير منها وقعَ في زمانه، وليس في جميعها ما يَخرُج عن ذلك إلّا حديث البراء في نزول السَّكينة، وحديثه عن أبي بكر في قصَّة سُرَاقة، وحديث أنس في الذي ارتَدَّ فلم تَقبَلْه الأرضُ.

٣٥٨٧- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن الأعرَجِ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى تُقاتلوا قوماً نِعالُهم الشَّعَرُ، وحتَّى تقاتلوا التُّرْكَ، صِغارَ الأعيُنِ، حُمْرَ الوجوه، ذُلْفَ الأُنوفِ، كأنَّ وجوهَهم المَجانُّ المُطْرَقة».

٣٥٨٨- «وتَجِدونَ من خيرِ الناسِ أشَدَّهم كَراهيةً لهذا الأمرِ حتَّى يَقَعَ فيه، والناسُ مَعادِنُ: خِيارُهم في الجاهليَّةِ خِيارُهم في الإسلام».

(١) يعني في باب الكلام على معرفة حذيفة بأحاديث الفتن، وهذا الأثر أخرجه مسلم (٢٨٩١).

٣٥٨٩- «ولَيَأتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ، لَأنْ يَراني أَحَبُّ إليه من أن يكونَ له مِثلُ أهلِه ومالِه».

٣٥٩٠- حدَّثنا يحيى، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، عن مَعمَر، عن همّام، عن أبي هريرةَ ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى تُقاتلوا خُوزاً وكِرْمانَ مِن الأعاجِمِ، حُمْرَ الوجوهِ، فُطْسَ الأُنوفِ، صِغارَ الأعيُنِ، وجوهُهم المَجانُّ المُطْرَقةُ، نِعالُهم الشَّعَرُ».

تابَعَه غيرُه، عن عبدِ الرَّزّاق.

٣٥٩١- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، قال: قال إسماعيلُ: أخبرني قيسٌ، قال: أَتينا أبا هريرةَ ﷺ، فقال: صَحِبتُ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سِنِينَ، لم أَكُن في سِنِيَّ أحرَصَ على أن أَعِيَ الحديثَ منّي فيهِنَّ، سمعتُه يقول - وقال هكذا بيَدِه -: «بينَ يَدَيِ الساعةِ تُقاتِلونَ قوماً نِعالُهم الشَّعَرُ». وهو هذا البارِزُ.

وقال سفيانُ مَرّةً: وهم أهلُ البازَرِ.

٣٥٩٢- حدَّثنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ، حدَّثنا جَرِيرُ بنُ حازمٍ، سمعتُ الحسنَ يقول: حدَّثنا عَمْرو بنُ تَغْلِبَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينَ يَدَيِ الساعةِ تُقاتِلونَ قوماً يَنتَعِلُونَ الشَّعَرَ، وتُقاتِلونَ قوماً كأنَّ وجوهَهُم المَجانُّ المُطْرَقة».

٣٥٩٣- حدَّثنا الحَكَمُ بنُ نافعٍ، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني سالم بنُ عبدِ الله، أنَّ عبد الله بنَ عمرَ رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تقاتلُكمُ اليهودُ، فتُسَلَّطونَ عليهم، حتّى يقولَ الحجرُ: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي فاقتُلْه».

الحديث الرابع عشر: حديث أبي هريرة، وهو يَشتَمِل على أربعة أحاديث:

أحدها: قتال التُّرك، وقد أورَدَه من وجهَين آخرَين عن أبي هريرة كما سأتكلَّمُ عليه.

ثانيها: حديث: «تَجِدونَ من خير الناس أشدّهم كَراهية لهذا الشَّأن»، وقد تقدَّم شرحه في أوَّل المناقب (٣٤٩٣).

وقوله في هذا الموضع: «وتَجِدونَ أشدّ الناس كَراهية لهذا الأمر حتَّى يقع فيه» كذا وقعَ عند أبي ذرٍّ مختصراً، إلّا في روايته عن المُستَمْلي فأورَدَه بتمامه، وبه يَتِمّ المعنى.

ثالثها: حديث: «الناس مَعادِن»، وقد تقدَّم شرحه في المناقب أيضاً (٣٤٩٦).

رابعها: حديث «ليأتين على أحدكم زمان لَأن يَراني أحَبُّ إليه من أن يكون له مِثل أهله وماله» قال عياض: وقد وقعَ للجميع: «لَيأتينَّ على أحدكم»، لكن وقعَ لأبي زيد المروَزي في عَرْضَةٍ بغداد : «أحدِهم» بالهاءِ، والصَّواب بالكاف، كذا أخرجه مسلم (٢٣٦٤). انتهى.

والأحاديث الأربعة تَدخُل في علامات النبوَّة لإخباره فيها عمَّا لم يقع، فوقعَ كما قال، ولا سيما الحديث الأخير، فإنَّ كلّ أحد من الصَّحابة بعد موته ﷺ كان يَوَدّ لو كان رآه وفَقَدَ مِثل أهله وماله، وإنَّما قلت ذلك، لأنَّ كلّ أحد ممَّن بعدهم إلى زماننا هذا يَتمنّى مِثل ذلك، فكيف بهم مع عظيم مَنزِلَته عندهم ومحبَّتهم فيهِ.

الحديث الخامس عشر: حديث أبي هريرة أورَدَه من طرق:

قوله: «لا تقوم الساعة حتَّى تُقاتِلوا خُوزاً» هو بضمِّ الخاء المعجَمة وسكون الواو بعدها زاي: قوم من العَجَم. وقال أحمد: وَهِمَ عبد الرَّزّاق فقال بالجيم والراء[1] بدل الخاء المعجَمة.

وقوله: «وكِرْمان» هو بكسر الكاف على المشهور، ويقال: بفتحِها، وهو ما صَحَّحَه ابن السَّمعاني، ثمَّ قال: لكن اشتَهَرَ بالكسر. وقال الكِرْماني: نحنُ أعلم ببَلَدِنا.

قلت: جَزَمَ بالفتح ابن الجَوَاليقي وقبلَه أبو عُبيد البكري، وجَزَمَ بالكسر الأَصِيلي وعبدوس، وتَبِعَ ابنَ السَّمعاني ياقوتٌ والصَّغانيُّ، لكن نَسَبَ الكسر للعامَّة، وحَكَى النَّوَوي الوجهَين، والرّاء ساكنة على كلّ حال.

وتقدَّم في الرِّواية التي قبلها: «تقاتلونَ التُّرك» واستُشكِلَ، لأنَّ خوزاً وكِرمان لَيسا من بلاد التُّرك، أمَّا خوز: فمِن بلاد الأهواز، وهي من عِراق العَجَم. وَقيل: الخوز صِنف من الأعاجِم، وأمَّا كِرْمان: فبَلدة مشهورة من بلاد العَجَم أيضاً بين خُراسان وبحر الهند،

---

(١) لفظ: «والراء» أثبتناه من (أ)، وسقط من (ع) و(س).

ورواه بعضهم: «خور كَرمان» براءٍ مُهمَلة وبالإضافة، والإشكال باقٍ.

ويُمكِن أن يُجاب بأنَّ هذا الحديث غير حديث قتال التُّرك، ويَجتَمِع منهما الإنذار بخروجِ الطائفتَينِ، وقد تقدَّم من الإشارة إلى شيء من ذلك في الجهاد (٢٩٢٧)، ووقعَ في رواية مسلم (٢٩١٢/ ٦٥) من طريق سُهَيل عن أبيه عن أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمونَ التُّرك، قوماً كأنَّ وجوههم المجانُّ الـمُطرَقةُ، يَلبَسونَ الشَّعر، ويمشونَ/ في الشَّعَر». ٦٠٨/٦

قوله: «**حُمْر الوجوه، فُطْس الأُنوف**» الفَطَس: الانفِراش، وفي الرِّواية التي قبلها[1]: «ذُلف الأُنوف» جمع أَذْلَف بالمهمَلة والمعجَمة، وهو الأشهَر، قيل: معناه الصِّغَر، وقيل: الذَّلَف: الاستواء في طَرَف الأنف، ليس بحَدٍّ غَليظ، وقيل: تَشمير الأنف عن الشَّفَة العُليا. وذُلْف بسكونِ اللّام جمع أذْلف مِثل حُمر وأَحْمَر، وقيل: الذَّلَف: غِلَظ في الأرنَبة، وقيل: تَطامُنٌ فيها، وقيل: ارتفاع طَرَفه مع صِغَر أرْنَبَتِهِ، وقيل: قِصَره مع انبِطاحه، وقد تقدَّم بقيَّة القول فيه في أثناء الجهاد (٢٩٢٧).

قوله: «**وجوههم المَجَانّ المُطْرَقة**» في الرِّواية الماضية: «كأنَّ وجوههم المَجَانّ المطرَقةُ»، وقد تقدَّم ضبطه في أثناء الجهاد في «باب قتال التُّرك»، قيل: إنَّ بلادهم ما بين مَشارق خُراسان إلى مَغارب الصّين وشمالي الهند إلى أقصى المعمور، قال البَيْضاوي: شَبَّهَ وجوههم بالتُّرس لبَسطِها وتَدويرها، وبالـمُطرَقة لغِلَظِها وكَثْرة لحمها.

قوله: «**نِعالهم الشَّعَر**» تقدَّم القول فيه في أثناء الجهاد في «باب قتال التُّرك» (٢٩٢٧)، وقيل: المراد به طول شُعورهم حتَّى تَصير أطرافها في أرجُلهم موضع النِّعال، وقيل: المراد أنَّ نِعالهم من الشَّعر، بأن يجعلوا نِعالهم من شَعر مَضفُور، وقد تقدَّم التَّصريح بشيءٍ من ذلك في «باب قتال التُّرك» من كتاب الجهاد.

ووقعَ في روايةٍ لمسلمٍ (٢٩١٢/ ٦٥) كما تقدَّم من طريق سُهَيل عن أبيه عن أبي هريرة:

---

(١) سلفت في الجهاد برقم (٢٩٢٨).

«يَلبَسونَ الشَّعر»، وزَعَمَ ابن دِحية أنَّ المراد به القُنْدُس الذي يَلبَسونَه في الشَّرابيش[1]، قال: وهو جِلد كَلب الماء.

قوله: «تابَعَه غيره عن عبد الرَّزّاق» كذا في الأُصول التي وقَفتُ عليها، وكذا ذكره المِزّي في «الأطراف» ووقعَ في بعض النُّسَخ: تابَعَه عبدةُ، وهو تصحيف، وقد أخرجه الإمامان أحمد (٨٢٤٠) وإسحاق في «مُسنَدَيهما» عن عبد الرَّزّاق، وجعله أحمد حديثَين فصَلَ آخرَه فقال (٨٢٤١): وقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا أقواماً نِعالُهم الشَّعر».

قوله في الرِّواية الأُخرى: «حدَّثنا سُفْيانُ» هو ابن عُيَينَةَ، وإسماعيل: هو ابن أبي خالد، وقيس: هو ابن أبي حازم.

قوله: «أتَينا أبا هريرة» في رواية أحمد (٧٩٨٦) عن سفيان عن إسماعيل عن قيس قال: نزلَ علينا أبو هريرة بالكوفة، وكان بينه وبين مولانا قَرابة، قال سفيان: وهم ـ أي: آلُ قيس بن أبي حازم ـ مَوالي لأحْمَسَ، فاجتَمَعَت أَحْمَسُ، قال قيس: فأتيناه نُسلِّم عليه، فقال له أبي: يا أبا هريرة، هؤلاءِ أَنسِباؤكَ[2] أتوك ليسلِّموا عليك وتُحدِّثهم، قال: مَرحَباً بهم وأهلاً، صَحِبْت، فذكره.

قوله: «ثلاث سِنينَ» كذا وقعَ، وفيه شيء، لأنَّه قَدِمَ في خيبر سنة سبع، وكانت خيبر في صَفَر، وماتَ النبي ﷺ في ربيع الأوَّل سنة إحدى عشرة، فتكون المدَّة أربع سنين وزيادة، وبذلك جَزَمَ حُميدُ بن عبد الرحمن الحِميَري، قال: صَحِبت رجلاً صَحِبَ النبي ﷺ أربع سنين كما صَحِبَه أبو هريرة، أخرجه أحمد (١٧٠١٢) وغيره[3]، فكأنَّ أبا هريرة اعتبَرَ المدَّة

---

(١) هي جمع شربوش، وهو شيء يشبه التاج، كأنه شكل مثلّث، ويُجعل على الرأس بغير عمامة، قاله المقريزي في «المواعظ والاعتبار» ٢/ ٩٩. قلنا: هو ما سمي بعد ذلك بالطربوش، وأصله فارسي، مكوَّن من «سر» يعني الرأس، و«بوش» يعني غطاء. وصار ذا شكل مختلف عما حكاه المقريزي، فأمكن تدويره بشكل إسطواني، وأمكن لفّ عمامة عليه.

(٢) في (أ) و(س): أنسابك، والمثبت من (ع)، موافقاً طبعتنا من «مسند أحمد».

(٣) أخرجه أبو داود (٨١)، والنسائي في «المجتبى» (٢٣٨).

التي لازَمَ فيها النبيَّ ﷺ الملازَمة الشَّديدة، وذلك بعد قُدومهم من خيبر، أو لم يَعتَبِر الأوقات التي وقعَ فيها سَفَر النبي ﷺ من غَزوه وحَجّه وعُمَره، لأنَّ مُلازَمَته له فيها لم تكن كَمُلازَمَتِه له في المدينة، أو المدَّة المذكورة بقَيد الصِّفة التي ذكرها من الحِرص، وما عَداها لم يكن وقعَ له فيها الحِرص المذكور، أو وقعَ له لكن كان حِرصه فيها أقوى، والله أعلم.

قوله: «لم أكُن في سِنيَّ» بكسر المهمَلة والنُّون وتشديد التَّحتانية على الإضافة، أي: في سِنيِّ عُمُري، ووقعَ في رواية الكُشْمِيهني: في شيء، بفتح المعجَمة وسكون التَّحتانية بعدها همزة، واحد الأشياء.

وقوله: «أحْرَصَ منِّي» وهو أفعل تفضيل، والمفَضَّل والمُفَضل عليه هو أبو هريرة، لكن باعتبارَينِ، فالأفضل المدَّة التي هي ثلاث سنين، والمفضول بقيَّة عمره، ووقعَ في رواية أحمد (١٠١٥٠) عن يحيى القَطّان عن إسماعيل بلفظ: ما كنت أعقَلَ منِّي فيهِنَّ، ولا أَحَبَّ إليَّ أن أعِيَ ما يقول منها.

قوله: «وهو هذا البارَزُ. وقال سُفْيان مرَّة: وهم أهل البازَر» وقعَ ضبط الأولى بفتح الرّاء بعدها زاي، وفي الثّانية: بتقديم الزّاي على/ الرّاء، والمعروف الأوَّل، ووقعَ عند ابن السَّكَن وعبدوس: بكسر الزّاي وتقديمها على الرّاء، وبه جَزَمَ الأَصِيلي وابن السَّكَن، ومنهم مَن ضَبَطَه بكسر الرّاء. ٦٠٩/٦

قال القابِسي: معناه: البارزينَ لقتال أهل الإسلام، أي: الظّاهرينَ في بَرازٍ مِن الأرض، كما جاء في وصف عليّ أنَّه بارَزَ وظاهَرَ[1]، ويقال: معناه: القوم الذينَ يقاتِلونَ، تقول العرب: هذا البارزُ، إذا أشارَت إلى شيء ضارٍ.

وقال ابن كثير: قول سفيان المشهور في الرِّواية تقديم الرّاء على الزّاي، وعَكسه تصحيف، كأنَّه اشتبَهَ على الراوي من البازَر، وهو السّوق بلُغَتِهم.

---

(١) سيأتي من حديث البراء بن عازب برقم (٣٩٧٠).

وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق مَروان بن معاوية وغيره عن إسماعيل، وقال فيه أيضاً: وهم هذا البارز.

وأخرجه أبو نُعَيم من طريق إبراهيم بن بشّار عن سفيان، وقال في آخره: قال أبو هريرة: وهم هذا البارز، يعني: الأكراد. وقال غيره: البارز الدَّيلَم، لأنَّ كلَّا منهما يَسكُنونَ في بَرَاز من الأرض أو الجبال، وهي بارزة عن وجه الأرض، وقيل: هي أرض فارس، لأنَّ منهم مَن يجعل الفاء موحَّدة والزّاي سِيناً، وقيل غير ذلك.

وقال ابن الأثير: ذكره أبو موسى في الباء والزّاي، وقيل: البارز: ناحية قريبة من كِرمان، بها جبال فيها أكراد، فكأنَّهم سُمُّوا باسم بلادهم، أو هو على حذف «أهل»، والذي في البخاري بتقديم الرّاء على الزّاي، وهم أهل فارس، فكأنَّه أبدَلَ السّين زاياً، أي: والفاء باءً.

وقد ظَهَرَ مِصداقُ هذا الخبر، وقد كان مشهوراً في زمن الصَّحابة حديث: «اترُكوا التُّرك ما تَرَكُوكم»، فروى الطبراني (١٩/ ٨٨٢ و٨٨٣) من حديث معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقوله[1].

وروى أبو يَعْلى (٧٣٧٦) من وجه آخر عن معاوية بن خَديج قال: كنت عند معاوية، فأتاه كتاب عامله أنَّه وقعَ بالتُّركِ وهَزَمَهم، فغَضِب معاوية من ذلك، ثمَّ كَتَبَ إليه: لا تُقاتلْهم حتَّى يأتيك أمري، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ التُّرك تُجلي العربَ حتَّى تُلحِقها بمَنابت الشّيح» قال: فأنا أكره قتالهم لذلك.

وقاتَلَ المسلمونَ التُّركَ في خِلافة بني أُميَّة، وكان ما بينهم وبين المسلمينَ مسدوداً إلى أن فُتِحَ ذلك شيئاً بعد شيء، وكَثُرَ السَّبي منهم، وتَنافَسَ الملوك فيهم لِمَا فيهم من الشِّدَّة والبَأس حتَّى كان أكثرَ عَسكَر المعتَصِم منهم، ثمَّ غَلَبَ الأتراكُ على الملك فقَتَلوا ابنَهُ المتوكِّل، ثمَّ أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالَطَ المملَكةَ الدَّيلَمُ، ثمَّ كان الملوك السامانيّة

---

(١) فات الحافظ رحمه الله أن يخرج الحديث من «سنن أبي داود» (٤٣٠٢)، و«سنن النسائي» (٣١٧٦) حيث خرَّجا الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

من التُّرك أيضاً، فمَلَكوا بلاد العَجَم، ثمَّ غَلَبَ على تلكَ الممالك آلُ سُبُكْتِكِيْنَ، ثمَّ آلُ سَلْجوق، وامتَدَّت مملَكَتهم إلى العراق والشّام والرّوم، ثمَّ كان بقايا أتباعِهم بالشّام وهم آلُ زِنكي، وأتباع هؤلاءِ وهم بيت أيوب، واستَكثَرَ هؤلاءِ أيضاً من التُّرك فغَلَبوهم على المملَكة بالدّيار المِصرية والشّاميّة والحِجازية.

وخَرَجَ على آلِ سَلْجوق في المئة الخامسة الغُزُّ فخَرَّبوا البلاد وفَتَكوا في العِباد، ثمَّ جاءت الطامَّة الكبرى بالطَّطَر، فكان خروج جِنكِز خان بعد السِّتِّ مئة فاستَعَرت بهم الدُّنيا ناراً، خُصوصاً المشرقَ بأسره، حتَّى لم يَبقَ بَلَد منه إلّا دَخَلَه شرّهم، ثمَّ كان خَرابُ بغداد وقتلُ الخليفة المستَعصِم آخِر خُلَفائهم على أيديهم في سنة ستّ وخمسين وسِتِّ مئة، ثمَّ لم تَـزَل بقاياهم يَخرُجونَ، إلى أن كان آخرُهم اللَّنك، ومعناه: الأعرَج، واسمُه تَـمُر بفتح المثنّاة وضمّ الميم، ورُبَّما أُشبِعَت، فطَرَقَ الدّيار الشّامية وعاثَ فيها، وحَرَقَ دِمَشق حتَّى صارت خاوية على عُروشها، ودَخَلَ الرّومَ والهندَ وما بين ذلك، وطالَت مُدَّتُه إلى أن أخَذَه الله وتَفرَّقَ بَنُوه البلادَ.

وظَهَرَ بجميع ما أورَدته مِصداق قوله ﷺ: «إنَّ بني قَنْطُوراء أوّل مَن يَسْلُب أمَّتي مُلكَهم»، وهو حديث أخرجه الطبراني (١٠٣٨٩) من حديث معاوية[١]، والمراد ببني قَنطوراء التُّرك، وقَنطوراء قَيَّدَه ابن الجَوَاليقي في «المعَرَّب» بالمدِّ، وفي كتاب «البارع» بالقصرِ، قيل: كانت جاريةً لإبراهيم الخليل عليه السلام فوَلَدَت له أولاداً فانتَشَرَ منهم التُّرك، حكاه ابن الأثير واستَبعَدَه، وأمَّا شيخنا في «القاموس» فجَزَمَ به، وحَكَى قولاً آخر: أنَّ المراد بهم السّودان، وقد تقدَّم في «باب قتال التُّرك» من الجهاد (٢٩٢٧)/ بقيَّةُ ذلك. ٦/٦١٠ وكأنَّه يريد بقوله: «أُمَّتي» أمَّة النَّسَب، لا أمَّة الدَّعوَة، يعني: العرب، والله أعلم.

الحديث السادس عشر: حديث عَمْرو بن تَغلِب في معنى حديث أبي هريرة، وهو شاهد قوي، وقد تقدَّم شرحه بما فيه غُنية، وتقدَّم ضبطه في أثناء كتاب الجهاد (٢٩٢٧).

---

(١) ليس من حديث معاوية، وإنما من حديث ابن مسعود، وفي إسناده رجلٌ متروك الحديث.

الحديث السابع عشر: حديث ابن عمر: «تقاتلُكم اليهود» الحديث تقدَّم من وجه آخر في الجهاد (٢٩٢٥) في «باب قتال اليهود».

قوله: «تقاتلكم اليهود فتُسَلَّطُونَ عليهم» في رواية أحمد (٥٣٥٣) من طريق أُخرى عن سالم عن أبيه: «يَنزِل الدَّجّال هذه السَّبَخَة ـ أي: خارج المدينة ـ ثمَّ يُسَلِّط اللهُ عليه المسلمينَ فيَقتُلونَ شِيعَتَه، حتَّى إنَّ اليهوديَّ لَيَختَبِئ تحت الشَّجَرة والحجر، فيقول الحجر والشَّجَرة للمسلم: هذا يهودي فاقتُله».

وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوعُ ذلك إذا خَرَجَ الدَّجّال ونزلَ عيسى، وكما وقعَ صريحاً في حديث أبي أُمامةَ في قصَّة خروج الدَّجّال ونزول عيسى وفيه: «وراء الدَّجّال سبعونَ ألف يهودي كلّهم ذو سيف مُحلًّى، فيُدرِكه عيسى عند باب لُدٍّ فيَقتُله ويَنهَزِم اليهود، فلا يبقى شيء ممَّا يَتَوارى به يهوديٌّ إلّا أنطَقَ الله ذلك الشيء، فقال: يا عبد الله ـ للمسلمِ ـ هذا يهودي فتعالَ فاقتُله، إلّا الغَرقَد فإنَّها من شَجَرهم»، أخرجه ابن ماجَهْ مُطوَّلاً (٤٠٧٧)، وأصله عند أبي داود (٤٣٢٢)، ونحوه في حديث سَمُرة عند أحمد (٢٠١٩٨) بإسنادٍ حسن[1]، وأخرجه ابن مَندَهْ في كتاب الإيمان (١٠٣٣) من حديث حُذَيفة بإسنادٍ صحيح[2].

وفي الحديث ظُهور الآيات قُرب قيام الساعة من كلام الجَماد من شجر وحجر، وظاهره أنَّ ذلك يَنطِق حقيقةً. ويحتَمل المجاز بأن يكون المراد أنَّهم لا يفيدهم الاختباء والأوَّل أولى.

وفيه أنَّ الإسلام يبقى إلى يوم القيامة. وفي قوله ﷺ: «تقاتِلكم اليهود» جواز مُخاطَبة الشَّخص، والمراد مَن هو منه بسبيلٍ، لأنَّ الخِطاب كان للصَّحابة، والمراد مَن يأتي بعدهم بدَهرٍ طويل، لكن لمَّا كانوا مُشترِكينَ معهم في أصل الإيمان ناسَبَ أن يُخاطَبوا بذلك.

---

(١) بل إسناده ضعيف، لجهالة ثعلبة بن عباد، لكن يشهد له ما ذكره الحافظ من شواهد.

(٢) وهو أيضاً عند الحاكم ٤/ ٤٩٠-٤٩١، ويشهد له أيضاً أثر عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً عند ابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٤، وغيره، وإسناده صحيح، ومثله لا يقال بالرأي، وأثر حذيفة بن أسيد موقوفاً، عند الحاكم ٤/ ٥٢٩-٥٣٠، وإسناده صحيح، ولا يقال مثله من قِبَل الرأي.

٣٥٩٤- حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا سفيانُ، عن عَمرٍو، عن جابرٍ، عن أبي سعيدٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يأتي على الناسِ زمانٌ يَغزُونَ، فيقال: فيكم مَن صَحِبَ الرَّسولَ ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ عليهم، ثمَّ يَغزُونَ، فيقال: هل فيكم مَن صَحِبَ مَن صَحِبَ الرَّسولَ ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفْتَحُ لهم».

٣٥٩٥- حدَّثنا محمَّدُ بنُ الحكَم، أخبرنا النَّضْرُ، أخبرنا إسرائيلُ، أخبرنا سَعْدٌ الطائيُّ، أخبرنا مُحِلُّ بنُ خَلِيفةَ، عن عَدِيِّ بنِ حاتمٍ، قال: بينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذ أتاه رجلٌ، فشَكا إليه الفاقةَ، ثمَّ أتاه آخَرُ فشَكا إليه قَطْعَ السَّبيلِ، فقال: «يا عَدِيُّ، هل رأيتَ الحِيرةَ؟» قلتُ: لم أَرَها، وقد أُنبِئْتُ عنها، قال: «فإن طالَتْ بكَ حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينةَ تَرْتَحِلُ مِن الحِيرةِ حتَّى تَطوفَ بالكَعْبةِ، لا تَخافُ أحداً إلّا الله - قلتُ: فيما بيني وبينَ نفْسي: فأينَ دُعّارُ طيِّئٍ الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟! - ولَئِن طالَتْ بكَ حياةٌ لَتُفتَتَحَنَّ كُنوزُ كِسْرَى» قلتُ: كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ، قال: «كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ، ولَئِن طالَت بكَ حياةٌ لَتَرَيَنَّ الرجلَ يُخرِجُ مِلْءَ كَفِّه مِن ذهبٍ أو فِضّةٍ، يَطْلُبُ مَن يقبَلُه منه، فلا يَجِدُ أحداً يَقبَلُه منه، ولَيَلْقَيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلْقاه وليس بينَه وبينَه تَرْجُمانٌ يُتَرْجِمُ له، فلَيَقُولَنَّ له: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغَكَ؟ فيقول: بَلَى، فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفضِلْ عليكَ؟ فيقول: بَلَى، فيَنظُرُ عن يَمِينِه فلا يَرَى إلّا جَهنَّمَ، ويَنظُرُ عن يَسارِه فلا يَرَى إلّا جَهنَّمَ»، قال عَدِيٌّ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اتَّقُوا النارَ ولو بِشقّ تَمْرةٍ، فمَن لم يَجِد شِقَّ تَمْرةٍ فبِكلمةٍ طيِّبةٍ».

قال عَدِيٌّ: فرأيتُ الظَّعِينةَ تَرْتَحِلُ مِن الحِيرةِ حتَّى تَطوفَ بالكَعْبةِ، لا تَخافُ إلّا اللهَ، وكنتُ فيمَنِ افتتَحَ كُنوزَ كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ، ولَئِن طالَت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسمِ ﷺ: «يُخرِجُ مِلْءَ كَفِّه».

حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمدٍ، حدَّثنا أبو عاصمٍ، أخبرنا سَعْدانُ بنُ بِشْرٍ، حدَّثنا أبو مجاهدٍ، حدَّثنا مُحِلُّ بنُ خَلِيفةَ، سمعتُ عَدِيّاً: كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ.

٣٥٩٦- حدَّثنا سعيدُ بنُ شُرَحْبِيلٍ، حدَّثنا ليثٌ، عن يزيدَ، عن أبي الخيرِ، عن عُقْبةَ، عن

النبيَّ ﷺ: خَرَجَ يوماً فصَلَّى على أهلِ أُحُدٍ صَلاتَه على الميِّتِ، ثمَّ انصَرَفَ إلى المِنْبرِ، فقال: «إنِّي فرَطُكم، وأنا شَهِيدٌ عليكم، إنِّي والله لأنظُرُ إلى حَوْضي الآنَ، وإنِّي قد أُعْطِيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ، وإنِّي والله ما أخافُ بعدي أن تُشرِكوا، ولكنِّي أخافُ أن تَنافَسوا فيها».

٣٥٩٧- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا ابنُ عُيَينةَ، عن الزُّهْريِّ، عن عُرْوةَ، عن أُسامةَ ﷺ، قال: أشرَفَ النبيُّ ﷺ على أُطُمٍ مِن الآطامِ، فقال: «هل تَرَوْنَ ما أرَى؟ إنِّي أرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيوتِكم مَواقعَ القَطْرِ».

٣٥٩٨- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني عُرْوةُ بنُ الزُّبَير، أنَّ زينبَ بنتَ أبي سَلَمةَ حدَّثته، أنَّ أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ حدَّثتْها، عن زينبَ بنت جَحْشٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عليها فزِعاً يقول: «لا إلهَ إلّا اللهُ، ويلٌ للعَرَبِ من شَرٍّ قد اقترَبَ: فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مِثلُ هذا» وحَلَّقَ بإصْبَعِه وبالتي تَلِيها، فقالت زينبُ: فقلتُ: يا رسولَ الله، أنَهلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ».

٣٥٩٩- وعن الزُّهْريِّ، حدَّثتْني هِنْدُ بنتُ الحارثِ، أنَّ أمَّ سَلَمةَ قالت: استيقَظَ النبيُّ ﷺ فقال: «سُبْحانَ الله! ماذا أُنزِلَ مِن الخزائنِ، وماذا أُنزِلَ مِن الفِتَنِ؟».

٣٦٠٠- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي سَلَمةَ بنِ الماجِشُون، عن عبدِ الرحمن ابنِ أبي صَعْصَعةَ، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ، قال: قال لي: إنِّي أراكَ تُحِبُّ الغنمَ وتَتَّخِذُها، فأصلِحْها وأصلِحْ رُعَامَها[1]، فإنِّي سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يأتي على الناسِ زمانٌ تكونُ الغنمُ فيه خيرَ مالِ المسلمِ، يَتبَعُ بها شَعَفَ الجبال ـ أو سَعَفَ الجبال ـ في مَواقعِ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِه مِن الفِتَنِ».

٣٦٠١- حدَّثنا عبدُ العزيزِ الأُوَيسِيُّ، حدَّثنا إبراهيمُ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن ابنِ المسيَّبِ وأبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمن، أنَّ أبا هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سَتكونُ فِتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ مِن القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ مِن الماشي، والماشي فيها خيرٌ مِن

(١) ضبطها الحافظ في المقدمة، وفسّرها بأنه ما يَسِيل من أُنُوفها.

الساعي، مَن تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْه، ومَن وجَدَ مَلْجَأً أو مَعاذاً فلْيَعُذْ به».

[طرفاه في: ٧٠٨١، ٧٠٨٢]

٣٦٠٢- وعن ابنِ شِهابٍ: حدَّثني أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمن بنِ الحارثِ، عن عبدِ الرحمن ابنِ مُطيعِ بنِ الأسوَدِ، عن نَوْفَلِ بنِ مُعاوِيةَ، مِثْلَ حديث أبي هريرةَ هذا، إلّا أنَّ أبا بكرٍ يزيدُ: «مِنَ الصَّلاةِ صلاةٌ، مَن فاتَتْه فكأنَّما وُتِرَ أهلَه ومالَه».

٣٦٠٣- حدَّثنا محمَّدُ بنُ كَثير، أخبرنا سفيانُ، عن الأعمَشِ، عن زيد بنِ وَهْبٍ، عن ابنِ مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «سَتكونُ أُثْرةٌ وأُمورٌ تُنكِرونَها» قالوا: يا رسولَ الله، فما تأمُرُنا؟ قال: «تُؤَدّونَ الحقَّ الذي عليكم، وتسألونَ اللهَ الذي لكم».

[طرفه في: ٧٠٥٢]

٣٦٠٤- حدَّثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ، حدَّثنا أبو مَعمَر إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا أبو أُسامةَ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن أبي التَّيّاح، عن أبي زُرْعةَ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُهلِكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريشٍ» قالوا: فما تأمُرُنا؟ قال: «لو أنَّ الناسَ اعتَزَلوهم».

قال محمودٌ: حدَّثنا أبو داود، أخبرنا شُعْبةُ، عن أبي التَّيّاح، سمعتُ أبا زُرْعةَ.

[طرفاه في: ٣٦٠٥، ٧٠٥٨]

٣٦٠٥- حدَّثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ المكِّيُّ، حدَّثنا عَمْرو بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأُمَوِيُّ، عن جَدِّه، قال: كنتُ معَ مَرْوانَ وأبي هريرةَ، فسمعتُ أبا هريرةَ، يقول: سمعتُ الصّادِقَ المصدوقَ يقول: «هلاكُ أُمَّتي على يَدَي غِلْمةٍ من قريشٍ» فقال مَرْوانُ: غِلْمةٌ! قال أبو هريرةَ: إن شئتَ أن أُسَمِّيَهم، بني فلانٍ وبني فلانٍ.

الحديث الثامن عشر: حديث أبي سعيد: «يأتي على الناس زمان يَغزُونَ فيه» الحديث، يأتي في أوَّل مناقب الصَّحابة (٣٦٤٩) بأتمّ من هذا السّياق، وقد تقدَّم في «باب مَن استعانَ بالضُّعَفاء» من كتاب الجهاد (٢٨٩٧).

الحديث التاسع عشر: حديث عَدي بن حاتم، أورَدَه من وجهَين:

قوله: «أتاه رجل فشَكا إليه الفاقة، ثمَّ أتاه آخَر» لم أَقِفْ على اسم واحدٍ/ منهما. ٦١٣/٦

قوله: «الظَّعينة» بالمعجَمة: المرأة في الهَودَج، وهو في الأصل اسم للهَودَج.

قوله: «الحيرة» بكسر المهمَلة وسكون التَّحتانية وفتح الرّاء، كانت بَلَد ملوك العرب الذينَ تحت حُكم آلِ فارس، وكان مَلِكهم يومئذٍ إياس بن قَبيصَة الطائي وَلِيها من تحت يد كسرى بعد قتل النُّعمان بن المنذِر، ولهذا قال عَدي بن حاتم: فأين دُعّار طَيِّئ؟

ووقعَ في رواية لأحمد (١٨٢٥٨) من طريق الشَّعبي عن عَدي بن حاتم: قلت: يا رسول الله، فأين مقانبُ طَيِّئٍ ورجالها؟! ومقانب بالقاف جمع مِقنَب: وهو العَسكَر، ويُطلَق على الفُرسان.

قوله: «حتَّى تَطوف بالكَعْبة» زاد أحمد (١٨٢٦٠) من طريق أُخرى عن عَدي: «في غير جِوار أحد».

قوله: «فأينَ دُعّار طَيِّئ» الدُّعّار، جمع داعر: وهو بمُهمَلتَين، وهو الشّاطر الخبيث المفسِد، وأصله: عُودٌ داعِر: إذا كان كثير الدُّخان. قال الجَوَاليقي: والعامَّة تقوله: بالذّال المعجَمة، فكأنَّهم ذهبوا به إلى معنى الفَزَع، والمعروف الأوَّل، والمراد قُطّاع الطَّريق. وطَيِّئ قبيلة مشهورة، منها عَدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحِجاز، وكانوا يَقطَعونَ الطَّريق على مَن مرَّ عليهم بغير جِوار، ولذلك تَعَجَّبَ عَديّ كيف تَمُرّ المرأة عليهم وهي غير خائفة.

قوله: «قد سَعَّروا البلاد» أي: أوقَدوا نار الفتنة، أي: مَلؤوا الأرض شَرّاً وفساداً، وهو مُستَعارٌ من استِعار النار، وهو تَوَقُّدها.

قوله: «كُنوز كِسْرى» وهو عَلم على مَن مَلَكَ الفُرس، لكن كانت المقالة في زمن كِسرى ابن هُرمُز ولذلك استَفهَمَ عَدي بن حاتم عنه، وإنَّما قال ذلك لعَظَمة كِسرى في نفسه إذ ذاكَ.

قوله: «فلا يَجِد أحداً يقبله منه» أي: لعَدَمِ الفقراء في ذلك الزَّمان، تقدَّم في الزكاة

(١٤١٣) قول مَن قال: إنَّ ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقعَ في زمن عمر بن عبد العزيز، وبذلك جَزَمَ البيهقي، وأخرج في «الدَّلائل» (٦/ ٤٩٣) من طريق يعقوب بن سفيان[1] بسندِه إلى عمر بن أَسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخَطّاب قال: إنَّما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثينَ شهراً، لا والله ما ماتَ حتَّى جَعَلَ الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعَلوا هذا حيثُ تَرَونَ في الفقراء، فما يَبرَح حتَّى يَرجِع بماله يَتَذَكَّر مَن يَضَعُه فيه فلا يَجِدُه، قد أَغنى عمرُ الناسَ. قال البيهقي: فيه تصديق ما رُوِّينا في حديث عدي بن حاتم. انتهى.

ولا شك في رُجْحان هذا الاحتمال على الأول لقوله في الحديث: «ولَئِن طالَت بك حياة».

قوله: «بشِقِّ تَمْرة» بكسر المعجَمة، أي: نصفها، وفي رواية المُستَمْلي: «بشِقَّة تمرة» وكذا اختَلَفوا في قوله بعده: «فمَن لم يَجِد شِقّ تمرة» قال المُستَمْلي: «شِقَّة تمرة»، وقد تقدَّم الكلام على ذلك في كتاب الزكاة.

قوله: «ولَئِن طالَت بكم حياة لَتَرَوُنَّ ما قال النبي ﷺ» هو مَقُول عَدي بن حاتم.

وقوله «يُخرِج مِلء كَفِّه» أي: من المال، فلا يَجِد مَن يقبلُه. وفي رواية أحمد المذكورة[2]: والذي نفسي بيدِه لَتكونَن الثّالثة، لأنَّ النبي ﷺ قد قالها، وقد وقعَ ذلك كما قال النبي ﷺ، وآمَنَ به عَديّ، وقد تقدَّم في أواخر كتاب الحجّ (١٨٦٢) مَن استَدَلَّ به على جواز سَفَر المرأة وحدَها في الحجّ الواجب، والبحث في ذلك وتوجيه الاستدلال به بما أغنى عن إعادَته هنا، وبالله التَّوفيق.

قوله: «حدَّثنا سَعْدان بن بِشْر» بكسر الموحَّدة وسكون المعجَمة، يقال: اسمه سعيد وسَعدانُ لَقَبُه، وليس له في البخاري ولا لشيخِه ولا لشيخِ شيخه غير هذا الحديث الواحد.

قوله: «حدَّثنا أبو مجاهد» هو سعد الطائي المذكور في الإسناد الذي قبله، ومُحِلّ بن خليفة

---

(١) وهو في «المعرفة والتاريخ» له ١/ ٥٩٩.

(٢) في «المسند» برقم (١٨٢٦٠).

في الإسنادين: هو بضمِّ الميم وكسر المهملة[١] بعدها لام، وقد قيل فيه: بفتح المهمَلة، وتقدَّم سياق مَتن هذا الحديث في كتاب الزكاة (١٤١٣)، وهو أخصَر من سياق الذي قبله، وإطلاق المصنِّف قد يُوهم أنَّهما سواء، والله أعلم.

الحديث العشرون: حديث عُقْبة: وهو ابن عامر الجُهَني:

قوله: «عن يزيد» هو ابن أبي حبيب، وأبو الخير: هو مَرثَد بن عبد الله، والإسناد كلّه مِصريّون[٢].

قوله: «عن النبي ﷺ خَرَجَ يوماً» هذا ممَّا/ حُذِفَ فيه لفظ: «أنَّه»، وهي تُحذَف كثيراً من الخَطِّ، ولا بُدّ من النُّطق بها، وقَلَّ مَن نبَّه على ذلك، فقد نَبَّهوا على حذف «قال» خَطّاً، وقال ابن الصلاح: لا بدَّ من النُّطق بها، وفيه بحث ذكرته في «النُّكَت»، ووقعَ هنا لغير أبي ذرٍّ بلفظ: «أنَّ» بدل: «عن». ٦١٤/٦

قوله: «فصَلّى على أهل أُحُد» تقدَّم الكلام عليه مُستَوفًى في الجنائز (١٣٤٤).

وقوله: «ألا[٣] وإنّي قد أُعْطيتُ مفاتيح خزائن الأرض» إلى آخره، هو موافق لحديث أبي هريرة[٤] والكلام عليه مُستَغنٍ عن إعادَته، ووقعَ هنا لأبي ذرٍّ عن المُستَمْلي والسَّرَخْسي: «خزائن مفاتيح» على القلب، وقد تقدَّم في الجنائز (١٣٤٤) والمغازي[٥] (٤٠٨٥) بلفظ: «مفاتيح خزائن»، وكذا عند مسلم (٢٢٩٦/ ٣٠) والنَّسائي[٦].

قوله: «ولكنّي أخاف أن تَنافَسُوا فيها» فيه إنذار بما سيقعُ، فوقعَ كما قال ﷺ، وقد

---

(١) تحرف في (س) إلى: المعجمة.

(٢) تحرف في (س) إلى: بصريون.

(٣) لفظة «ألا» لم ترد في شيء من روايات البخاري، ولكنها في رواية أحمد (١٧٣٤٤)، من طريق حجاج بن محمد عن الليث بن سعد.

(٤) سلف برقم (٢٩٧٧)، وسيأتي أيضاً برقم (٧٠٣٧)، وتكلم الحافظ في الموضعين في بيان معنى خزائن الأرض.

(٥) سيأتي برقم (٤٠٨٥).

(٦) رواية النسائي لحديث عقبة (١٩٥٤) مختصرة ليس فيها ذكر الخزائن، لكن وقع ذلك عنده من حديث أبي هريرة برقم (٣٠٨٧)، وقد سلف عند البخاري برقم (٢٩٧٧).

فُتِحَت عليهم الفُتوح بعده، وآلَ الأمرُ إلى أن تَحاسَدوا وتَقاتَلُوا، ووقعَ ما هو المُشاهَد المحسُوس لكلِّ أحد، ممَّا يَشهَد بمِصداق خبره ﷺ، ووقعَ من ذلك في هذا الحديث إخباره بأنَّه فَرَطُهم، أي: سابقهم، وكان كذلك، وأنَّ أصحابه لا يُشرِكونَ بعده، فكان كذلك.

ووقعَ ما أنذَرَ به من التَّنافُس في الدُّنيا، وتقدَّم في معنى ذلك حديثُ عَمْرو بن عَوف مرفوعاً (٣١٥٨): «ما الفَقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسَط الدُّنيا عليكم كما بُسِطَت على مَن كان قبلَكم»، وحديثُ أبي سعيد في معناه (٢٨٤٢)، فوَقَعَ كما أخبر وفُتِحَت عليهم الفُتوح الكثيرة، وصُبَّت عليهم الدُّنيا صَبّاً، وسيأتي مَزيدٌ لذلك في كتاب الرِّقاق (٦٤٢٦).

الحديث الحادي والعشرون: حديث أُسامة بن زيد، وقد تقدَّم شرح بعضه في أواخر الحجّ (١٨٧٨)، ويأتي الكلام عليه في الفتن (٧٠٦٠) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثاني والعشرون: حديث زينب بنت جَحْش: «ويل للعَرَبِ من شَرٍّ قد اقتَرَبَ»، وسيأتي شرحه مُستوفًى في أواخر كتاب الفتن (٧٠٥٩) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثالث والعشرون: حديث أمّ سَلَمَةَ قالت: استَيقَظَ رسولُ الله ﷺ، فقال: «سبحان الله، ماذا أُنزِلَ من الخزائن» الحديث، أورَدَه مختصراً، وسيأتي بتمامه في كتاب الفتن (٧٠٦٩) مع شرحه إن شاء الله تعالى.

وقوله فيه: «وعن الزُّهْري» هو معطوف على إسناد حديث زينب بنت جَحْش، وهو: أبو اليَمَـان، عن شعيب، عن الزُّهْري، ووهِمَ مَن زَعَمَ أنَّه مُعلَّق، فإنَّه أورَدَه بتمامه في الفتن عن أبي اليَمَـان، بهذا الإسناد.

الحديث الرابع والعشرون: حديث أبي سعيد: «يأتي على الناس زمان تكون الغنمُ فيه خيرَ مال المسلم» الحديث. وسيأتي الكلام عليه في الفتن (٧٠٨٨) إن شاء الله تعالى.

وقوله في الإسناد: «عن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعة» هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي صَعصَعة، نُسِبَ إلى جَدّه الأعلى، وروايته لهذا الحديث عن أبيه عبد الله لا عن أبي صَعصَعة ولا غيره من آبائه، وقد تقدَّم إيضاح ذلك في كتاب الإيمان (١٩).

وقوله في هذه الرِّواية: «شَعَف الجبال ـ أو سَعَف الجبال ـ» بالعين المهمَلة فيهما وبالشّين المعجَمة في الأولى والمهمَلة في الثّانية، والتي بالشّين المعجَمة معناها: رؤوس الجبال، والتي بالمهمَلة معناها: جَريد النَّخل، وقد أشارَ صاحب «المطالع» إلى تَوْهِيمها. لكن يُمكِن تخريجها على إرادة تشبيه أعلى الجبل بأعلى النَّخلة، وجَريد النَّخل يكون غالباً أعلى ما في النَّخلة لكَونِها قائمة، والله أعلم.

الحديث الخامس والعشرون: حديث أبي هريرة: «ستكونُ فِتَن، القاعد فيها خير من القائم» الحديث، وسيأتي الكلام عليه أيضاً في كتاب الفتن (٧٠٨١).

الحديث السادس والعشرون: حديث نَوفَل بن معاوية، قال: مِثل حديث أبي هريرة، وسيأتي شرح المتن في الفتن.

وقوله: «وعن الزُّهْري[1]» هو بإسنادِ حديث أبي هريرة إلى الزُّهْري، ووهِمَ مَن زَعَمَ أنَّه مُعلَّق، وقد أخرجه مسلم (٢٨٨٦/ ١٠ و١١) بالإسنادين معاً من طريق صالح بن كَيْسانَ عن الزُّهْري.

وقوله: «إلّا أنَّ أبا بَكْر» يعني: ابن عبد الرحمن، شيخ الزُّهْري.

وقوله: «يزيد: من الصلاةِ صلاةٌ مَن فاتَتْه فكأنَّما وُتِرَ أهلَه ومالَه» يحتَمل أن يكون أبو بكر زاد هذا مُرسلاً، ويحتَمل أن يكون زادَه بالإسناد المذكور عن عبد الرحمن بن مُطيع بن الأسوَد/ عن نَوفَل بن معاوية[2]، وعبد الرحمن هذا: هو أخو عبد الله بن مُطيع الذي وَلِيَ ٦١٥/٦

(١) الذي في روايات البخاري دون اختلاف وَفْق ما في اليونينية و«إرشاد الساري»: وعن ابن شهاب.

(٢) لو أنَّ الحافظ رحمه الله اطلع على رواية ابن أبي ذئب لهذا الحديث عن الزهري عند أحمد (٢٣٦٤٢)، وابن حبان (١٤٦٨) وغيرهما، لما قال هذا الكلام، ولجزم بأنه موصول، لأنَّ الزهري يرويه عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن نوفل بن معاوية، وكذلك رواه مالك عن الزهري عند ابن عبد البر في «التمهيد» ١٤/ ١١٨، كذا روياه بإسقاط ابن مطيع من إسناده، لكن رواه السرّاج في «مسنده» (٥٣٨) ـ رواية الشحامي ـ، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٥٥)، وابن المظفر في «غرائب مالك» (٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨٤٣) من طريق عبد الرحمن ابن إسحاق، عن الزهري، به. بذكر ابن مطيع في إسناده، وإسناده حسن.

الكوفة، وهو مذكور في الصَّحابة، وأمَّا عبد الرحمن فتابعي على الصَّحيح، وقد ذكره ابن حِبّان وابن مَنْدَهْ في «الصَّحابة»، وليس له في البخاري غير هذا الحديث، وشيخه نَوفَل بن معاوية: صَحابي قليل الحديث، من مسلمة الفتح، عاشَ إلى خِلافة يزيد بن معاوية، ويقال: إنَّه جاوَزَ المئة، وليس له في البخاري أيضاً غير هذا الحديث، وهو خال عبد الرحمن ابن مُطيع الراوي عنه. قال الزُّبَير بن بَكّار: اسم أمّه أم كُلثوم.

والمراد بالصلاة المذكورة صلاة العصر، كذا أخرجه النَّسائي (٤٧٩) مُفَسَّراً من طريق يزيد بن أبي حبيب عن عِراك بن مالك عن نَوفَل بن معاوية، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من الصلاةِ صلاةٌ»، فذكر مِثل لفظ أبي بكر بن عبد الرحمن، وزادَ: قال: فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي صلاة العصر»، وقد تقدَّم في الصلاة في المواقيت حديث بُـرَيدة في ذلك مشروحاً (٥٥٣)، وهو شاهد لصِحَّة قول ابن عمر هذا، والله أعلم.

تنبيه: ذكر البخاري هذه الزّيادة هنا استطراداً لوقوعِها في الحديث الذي أراد إيرادَه في هذا الباب، وإن لم يكن لها تعلُّق بهذا الباب، والله أعلم.

الحديث السابع والعشرون: حديث ابن مسعود: «سَتكونُ أُثْرة»، يأتي الكلام عليه أيضاً في الفتن (٧٠٥٢) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثامن والعشرون: حديث أبي هريرة في قريش، وسيأتي أيضاً في الفتن (٧٠٥٨).

وقوله هنا في الطَّريق الأولى: «قال محمود: حدَّثنا أبو داود» أراد بذلك تصريح أبي التَّيَّاح بسماعه له من أبي زُرْعة بن عَمْرو، وأبو داود هذا: هو الطَّيالسي، ولم يُخرِّج له المصنِّف إلّا استشهاداً[1]، ومحمود هذا: هو ابن غَيْلان أحد مشايخه المشهورينَ.

وقد نزلَ المصنِّف في الإسناد الأوَّل دَرَجةً بالنِّسبة إلى أبي أُسامة، لأنَّه سمعَ مِن الجمع

(١) قال الحافظ في «تغليق التعليق» ٤/ ٥٥: حكى أبو نعيم أنَّ البخاري قال: قال لنا محمود، قال: فهو على هذا متصل.

الكثير من أصحابه، حتَّى من شيخ شيخه في هذا الحديث، وهو أبو مَعمَر إسماعيل بن إبراهيم الهُذَلي.

وقد أخرجه مسلم (٢٩١٧) عن أبي بكر بن أبي شَيْبة، والإسماعيليُّ من رواية أبي بكر وعثمان ابني[1] أبي شَيْبة عن أبي أُسامة. وهما ممَّن أكثرَ عنه[2] البخاري، وكأنَّه فاتَه عنهما.

ونزلَ فيه أيضاً بالنِّسبة لرواية شُعْبة دَرَجَتَين، لأنَّه سمعَ من جماعة من أصحابه. وهو من غرائب حديث شُعْبة.

وقوله في الطَّريق الثّانية: «فقال مَرْوان: غِلْمة!» قال الكِرْماني: تَعَجَّبَ مَروان من وقوع ذلك من غِلمة، فأجابَه أبو هريرة: إن شئتَ صَرَّحتُ بأسمائهم. انتهى.

وكأنَّه غَفَلَ عن الطَّريق المذكورة في الفتن، فإنَّها ظاهرة في أنَّ مَروان لم يورِدْها مَورِد التَّعَجُّب، فإنَّ لفظه هناك (٧٠٥٨): فقال مَروان: لَعنةُ الله عليهم غِلمة. فظَهَرَ أنَّ في هذا الطَّريق اختصاراً، ويحتمل أن يَتَعَجَّب من فعلهم ويَلعنَهم مع ذلك، والله أعلم.

٣٦٠٦- حدَّثنا يحيى بنُ موسى، حدَّثنا الوليدُ، قال: حدَّثني ابنُ جابرٍ، قال: حدَّثني بُسْرُ ابنُ عُبيدِ الله الحَضْرَميُّ، قال: حدَّثني أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ، أنَّه سمعَ حُذَيفةَ بنَ اليَمَان يقول: كان الناسُ يَسْألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مَخافةَ أن يُدرِكَني، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّا كنَّا في جاهليَّةٍ وشَرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهَل بعدَ هذا الخيرِ من شَرٍّ؟ قال: «نعمْ». قلتُ: وهَل بعدَ ذلكَ الشرِّ من خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ» قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِر» قلتُ: فهَل بعدَ ذلك الخيرِ من شَرٍّ؟ قال: «نعم، دُعاةٌ على أبواب جَهَنَّم، مَن أجابَهم إليها قَذَفُوه فيها» قلتُ: يا رسولَ الله، صِفْهم لَنا، فقال: «هم من جِلْدَتِنا، ويتكلَّمُونَ بألسِنَتِنا» قلتُ: فما تَأمُرُني إن أدرَكَني ذلك؟ قال: «تَلْزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم» قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعْتَزِلْ تلكَ الفِرَقَ كلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ

---

(١) تحرف في (س) إلى: بن.

(٢) تحرف في (س) إلى: عنهما.

بأصلِ شجرةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك».

[طرفاه في: ٣٦٠٧، ٧٠٨٤]

٣٦٠٧- حدَّثنا محمَّدُ بنُ المثنَّى، قال: حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ، عن إسماعيلَ، حدَّثني قيسٌ، عن حُذَيفةَ ﷺ: قال: تَعلَّمَ أصحابي الخيرَ، وتَعلَّمْتُ الشرَّ.

٣٦٠٨- حدَّثنا الحَكَمُ بنُ نافعٍ، حدَّثنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني أبو سَلَمةَ، أنَّ أبا هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتانِ دَعْواهما واحدةٌ».

٣٦٠٩- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاق، أخبرنا مَعمَرٌ، عن همَّامٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتان، فيكونَ بينَهما مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ، دَعْواهما واحدةٌ، ولا تقومُ الساعةُ حتَّى يُبعَثَ دَجّالونَ كَذّابونَ قريباً من ثلاثِينَ، كلُّهم يَزعُمُ أنَّه رسولُ الله».

٦١٦/٦ **الحديث التاسع والعشرون**: حديث حُذَيفة: «كان الناسُ يسألونَ عن الخير» يأتي في الفتن (٧٠٨٤) مع شرحه مُستَوفًى إن شاء الله تعالى.

وقوله في الطَّريق الأُخرى: «تَعلَّمَ أصحابي الخيرَ وتَعلَّمْتُ الشرَّ» هو طَرَف من الطَّريق الآخر، وهو بمعناه، وقد أخرجه الإسماعيلي من هذا الوجه باللَّفظِ الأوَّل، إلّا أنَّه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ، بدل قوله: كان الناس.

الحديث الثلاثون: حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتَّى يَقتَتِلَ فِئَتان» الحديث، أورَدَه من طريقَينِ، وفي الثّانية ذِكْر الدَّجّالِينَ، وهو حديث آخرُ مُستَقِلّ مِن صَحيفة همَّام، وقد أفرَدَه أحمد (٧٢٢٨ و٨١٣٦) ومسلم (٢٩٢٣/ ٨٤) والتِّرمذي (٢٢١٨) وغيرهم[1].

وقوله: «**فِئَتان**» بكسر الفاء بعدها همزة مفتوحة، تَثنية فِئة، أي: جماعة، ووَصَفَهما في الرِّواية الأُخرى بالعِظَم، أي: بالكَثْرة، والمراد بهما مَن كان مع عليّ ومعاوية لمَّا تَحارَبا بصِفِّينَ.

---

(١) هو عند أحمد من الطريق الأول، وعند مسلم من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

وقوله: «دَعْواهما واحدَة» أي: دينهما واحد، لأنَّ كلًّا منهما كان يَتَسَمّى بالإسلام، أو المراد أنَّ كلًّا منهما كان يَدَّعي أنَّه المُحِقّ، وذلك أنَّ علياً كان إذ ذاكَ إمامَ المسلمينَ وأَفْضلَهم يومَئذٍ باتِّفاق أهل السُّنَّة، ولأنَّ أهل الحَلّ والعَقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتَخلَّفَ عن بيعَته معاوية في أهل الشّام، ثمَّ خَرَجَ طلحة والزُّبَير ومعهما عائشة إلى العراق فدَعَوا الناسَ إلى طلب قَتَلة عثمان، لأنَّ الكثير منهم انضَمُّوا إلى عَسكَر علي، فخَرَجَ عليّ إليهم فراسَلُوه في ذلك فأبى أن يَدفَعهم إليهم إلّا بعد قِيام دَعوى من وَليِّ الدَّم، وثُبوت ذلك على مَن باشَرَه بنفسِه، وكان بينهم ما سيأتي بَسطُه في كتاب الفتن[1] إن شاء الله تعالى.

ورَحَلَ عليّ بالعَساكر طالباً الشّام، داعياً لهم إلى الدُّخول في طاعَته، مُجيباً لهم عن شُبَههم في قَتَلةِ عثمان بما تقدَّم، فرَحَلَ معاوية بأهلِ الشّام فالتَقَوا بصِفّينَ بين الشّام والعراق، فكانت بينهم مَقتَلَةٌ عظيمةٌ، كما أخبر به ﷺ، وآلَ الأمرُ بمعاويةَ ومَن معه عند ظُهور عليّ عليهم إلى طلب التَّحكيم، ثمَّ/ رَجَعَ عليّ إلى العراق، فخَرَجَت عليه الحَروريّة، فقَتَلهم بالنَّهروان، وماتَ بعد ذلك. ٦١٧/٦

وخَرَجَ ابنه الحسن بن عليّ بعده بالعساكرِ لقتال أهل الشّام، وخَرَجَ إليه معاوية فوَقَعَ بينهم الصُّلح كما أخبر به ﷺ في حديث أبي بكرة الآتي في الفتن (٧١٠٩): «إنَّ الله يُصلِح به بين فِئَتَين من المسلمينَ»، وسيأتي بَسط جميع ذلك هناك إن شاء الله تعالى.

الحديث الحادي والثلاثون: حديث أبي هريرة المذكور:

قوله: «حتَّى يُبعَث» بضمِّ أوَّله، أي: يَخرُج، وليس المراد بالبَعْث معنى الإرسال المقارِن للنبوَّة، بل هو كقوله تعالى: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [مريم:٨٣].

قوله: «دَجّالونَ كذّابونَ» الدَّجل: التخليط والتَّمويه، ويُطلَق على الكذِب أيضاً، فعلى هذا فقوله: «كذّابونَ» تأكيد.

---

(١) انظر كلام الحافظ على الباب رقم (٦) منه قبل الحديث (٦٩٣٠)، وانظر شرح الأحاديث (٧٠٩٩-٧١٠٨) و(٧١٢١).

وقوله: «قريباً من ثلاثينَ» كذا وقعَ بالنَّصبِ، وهو على الحال من النَّكِرة الموصوفة، ووقعَ في رواية أحمد (٧٢٢٨)[١]: «قريب» بالرفع على الصِّفة.

وقد أخرج مسلم[٢] من حديث جابر بن سَمُرة الجزم بالعَدَدِ المذكور بلفظ: «إنَّ بين يَدَي الساعة ثلاثينَ كذّاباً دجّالاً كلّهم يَزعُم أنَّه نبي»، وروى أبو يَعْلى (٦٨٢٠) بإسنادٍ حسن[٣] عن عبد الله بن الزُّبَير تسميةَ بعض الكذّابين المذكورينَ بلفظ: «لا تقوم الساعة حتَّى يَخرُج ثلاثونَ كذّاباً، منهم مُسَيلمة والعَنْسي والمُختار».

قلت: وقد ظَهَرَ مِصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ فخَرَجَ مُسَيلمة باليمامة، والأسوَد العَنْسي باليمن، ثمَّ خَرَجَ في خِلافة أبي بكر طُلَيحة بن خوَيلِد في بني أسَد بن خُزَيمةَ، وسَجَاحِ التَّميمية في بني تميم، وفيها يقول شَبَثُ[٤] بن رِبْعي وكان مُؤذِّنَها[٥]:

أضحَت نبيَّتُنا أُنثى نَطِيفُ بها وأَصْبَحَت أنبياءُ الناسِ ذُكرانا

وقُتِلَ الأسوَد قبل أن يموت النبي ﷺ، وقُتِلَ مُسَيلِمة في خلافة أبي بكر، وتابَ طُلَيحة وماتَ على الإسلام على الصَّحيح في خلافة عمر، ونُقِلَ أنَّ سَجاحِ أيضاً تابَت، وأخبار هؤلاءِ مشهورة عند الإخباريِّين.

ثمَّ كان أوَّلَ مَن خَرَجَ منهم المختارُ بن أبي عُبيد الثَّقفي غَلَبَ على الكوفة في أوَّل خِلافة ابن الزُّبَير، فأظهَرَ محَبَّة أهل البيت، ودَعا الناس إلى طلب قَتَلة الحسين فتَتَبَّعهم[٦] فقَتَلَ كثيراً ممَّن باشَرَ ذلك، أو أعانَ عليه، فأحَبَّه الناس، ثمَّ إنَّه زَيَّنَ له الشيطان أنِ ادَّعى

---

(١) وكذا في رواية مسلم (٢٩٢٣) (٨٣).

(٢) كذا ذكر الحافظ أنَّ مسلماً رواه بهذا اللفظ، وليس هو عنده كذلك، إلّا أنَّ تكون هي رواية شعبة عن سماك التي لم يذكر مسلم لفظها، فقد رواه البيهقي في «الدلائل» ٦/ ٤٨٠ من طريق شعبة، باللفظ المذكور بنصّه، فحمل الحافظُ روايةَ مسلم عليها، والله أعلم.

(٣) بل إسناده ضعيف لضعف شريك النخعي في إسناده، وقد انفرد به بهذا اللفظ.

(٤) تحرف في الأصلين و(س) إلى: شبيب، والتصويب من «تقريب التهذيب» للحافظ، فقد ضبطه هناك.

(٥) تصحفت في (س) إلى: مودّبها، وقال الحافظ في «التقريب»: كان مؤذِّن سَجاحِ.

(٦) في (س): فتبعهم.

النبوَّة، وزَعَمَ أنَّ جِبْريل يأتيه، فروى أبو داود الطَّيالسي (١٢٨٦) بإسنادٍ صحيح عن رِفاعة بن شَدّاد، قال: كنت أَبْطَنَ شَيءٍ[1] بالمختار، فدَخَلتُ عليه يوماً، فقال: دَخَلتَ وقد قامَ جِبْريل قبلُ مِن هذا الكُرسي.

وروى يعقوب بن سفيان[2] بإسنادٍ حسن عن الشَّعبي أنَّ الأحنَف بن قيس أراه كتاب المختار إليه يَذكُر أنَّه نبي.

وروى أبو داود في «السُّنَن» (٤٣٣٥) من طريق إبراهيم النَّخَعي، قال: قلت لعَبيدة بن عَمْرو: أترى المختار منهم؟ قال: أما إنَّه من الرُّؤوس.

وقُتِلَ المختار سنة بضع وستّينَ.

ومنهم الحارث الكذّاب خَرَجَ في خِلافة عبد الملك بن مَروان فقُتِلَ.

وخَرَجَ في خِلافة بني العبَّاس جماعةٌ.

وليس المراد بالحديث مَن ادَّعى النبوَّة مُطلَقاً، فإنَّهم لا يُحصَونَ كَثْرة لكَونِ غالبهم يَنشَأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء، وإنَّما المراد مَن قامَت له شَوكة وبَدَت له شُبهَة كمَن وصَفْنا، وقد أهلَكَ الله تعالى مَن وقعَ له ذلك منهم، وبَقي مِنهم مَن يُلحِقه بأصحابه، وآخرهم الدَّجّال الأكبر، وسيأتي بَسط كثير من ذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

٣٦١٠- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزُّهْريِّ، قال: أخبرني أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمن، أنَّ أبا سعيدٍ الخُدْريَّ ﷺ قال: بينَما نحنُ عندَ رسولِ الله ﷺ، وهو يَقْسِمُ قَسْماً، أتاه ذو الخُوَيصِرَةِ، وهو رجلٌ من بني تَمِيمٍ، فقال: يا رسولَ الله، اعْدِل، فقال: «ويلَكَ ومَن يَعْدِلُ إذا لم أعدِلْ؟ قد خِبْتَ وخَسِرْتَ[3] إن لم أكُن أعدِلُ!» فقال عمرُ: يا رسولَ الله، ائْذَن لي أَضْرِبْ عُنُقَه، فقال: «دَعْه، فإنَّ له أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكم صَلاتَه مع صَلاتهم، وصيامَه مع

---

(١) يعني أَخْبَرَ به من غيري.

(٢) في «المعرفة والتاريخ» ٢/ ٣٢.

(٣) قال العيني ١٦/ ١٤٣: قوله: «قد خِبتُ» بلفظ المتكلم، وبالخطاب، أي: خِبتَ أنت لكونك تابعاً ومقتدياً لمن لا يعدل، والفتح أشهر وأوجه.

صيامِهم، يَقْرَؤونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهم، يَمْرُقونَ مِن الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إلى نَصْلِه فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثمَّ يُنْظَرُ إلى رِصَافِه فما يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّه - وهو قِدْحُهُ - فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِه فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، قد سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، آيتُهم رجلٌ أسوَدُ إحدَى عَضُدَيه مِثلُ ثَدْيِ المرأةِ، أو مِثلُ البَضْعةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجونَ على حِينِ فُرْقةٍ مِن الناس».

قال أبو سعيدٍ: فأشهَدُ أنّي سمعتُ هذا الحديثَ من رسولِ الله ﷺ، وأشهَدُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ قاتَلهم وأنا معه، فأمَرَ بذلك الرجلِ فالتُمِسَ، فأُتِيَ به حتَّى نظرتُ إليه على نَعْتِ النبيِّ ﷺ الذي نَعَتَه.

٣٦١١- حدَّثنا محمَّدُ بنُ كَثير، أخبرنا سفيانُ، عن الأعمَشِ، عن خَيْثمةَ، عن سوَيد بنِ غَفَلَةَ، قال: قال عليٌّ ﷺ: إذا حَدَّثْتُكم عن رسولِ الله ﷺ فلَأنْ أخِرَّ مِن السماءِ أَحَبُّ إليَّ من أن أكذِبَ عليه، وإذا حَدَّثْتُكم فيما بيني وبينكم فإنَّ الحربَ خَدْعةٌ، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يأتي في آخرِ الزَّمان قومٌ حُدَثاءُ الأسنان، سُفَهاءُ الأحلامِ، يقولون مِن خيرِ قولِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِن الإسلامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهم حَناجِرَهم، فأينَما لَقِيتُموهم فاقتُلوهم، فإنَّ في قَتْلِهم أجراً لمن قَتَلَهم يومَ القيامة».

[طرفاه في: ٥٠٥٧، ٦٩٣٠]

٦١٨/٦ الحديث الثاني والثلاثون: حديث أبي سعيد في ذِكْر ذي الخُوَيصِرة، وقد تقدَّم طَرَف منه في قصَّة عاد من أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، وأَحَلتُ على شرحه في المغازي (٤٣٥١)، وهو في أواخرها من وجه آخر مُطوَّلاً.

وقوله في هذه الرِّواية: «فقال عمر: ائْذَن لي أَضرِبْ عُنُقه» لا يُنافي قوله في تلكَ الرِّواية (٤٣٥١): فقال خالد، لاحتمال أن يكون كلٌّ منهما سأل في ذلك.

وقوله هنا: «دَعْه، فإنَّ له أصحاباً» ليست الفاء للتَّعليلِ، وإنَّما هي لتَعقيبِ الأخبار، والحُجَّة لذلك ظاهرة في الرِّواية الآتية.

وقوله: «**لا يُجاوِزُ**» يحتمل أنَّه لكَونِه لا تَفقَهُه قلوبُهم ويَحمِلونَه على غير المراد به، ويحتمل أن يكون المراد أنَّ تِلاوَتهم لا تَرتَفِع إلى الله.

وقوله: «**يَمْرُقونَ من الدِّين**» إن كان المراد به الإسلام فهو حُجَّة لمن يُكَفِّر الخوارج، ويَحتَمِل أن يكون المراد بالدِّين الطاعة، فلا يكون فيه حُجَّة، وإليه جَنَحَ الخَطّابي.

وقوله: «**الرَّمِيَّة**» بوَزنِ فعيلة بمعنى مفعولة، وهو الصَّيد المرميّ، شَبَّهَ مُروقَهم من الدِّين بالسَّهمِ الذي يُصيب الصَّيدَ فيَدخُل فيه ويَخرُج منه، ومن شِدَّة سُرعةِ خُروجه ـ لقوَّة الرّامي ـ لا يَعلَقُ من جسد الصَّيد شيءٌ.

وقوله: «**يُنظَر في نَصْله**» أي: حديدة السَّهم.

و«**رِصَافه**» بكسر الرّاء ثمَّ مُهمَلة ثمَّ فاء، أي: عُصَيبُهُ الذي يُلْوى فوق مَدخَل النَّصل، والرِّصاف: جمعٌ واحدُه رَصَفة بحرَكاتٍ.

و«**نَضِيّه**» بفتح النُّون، وحُكي ضَمّها، وبكسر المعجَمة بعدها تحتانية ثقيلة، قد فَسَّرَه في الحديث بالقِدْحِ بكسر القاف وسكون الدّال، أي: عُود السَّهم قبل أن يُراشَ ويُنْصَل، وقيل: هو ما بين الرّيش والنَّصل. قاله الخَطّابي. قال ابن فارس: سُمّي بذلك لأنَّه/ بُري حتَّى عادَ نِضْواً، أي: هَزيلاً. ٦١٩/٦

وحَكَى الجَوْهري عن بعض أهل اللُّغة: أنَّ النَّضي: النَّصل، والأوَّل أولى[1].

و«**القُذَذ**» بضمِّ القاف ومُعجَمَتَين الأولى مفتوحة جمع قُذَّة، وهي ريش السَّهم، يقال لكلِّ واحدة: قُذَّة، ويقال: هو أشبَه به من القُذَّة بالقُذَّة، لأنَّها تُجعَل على مِثال واحد.

وقوله: «**آيتهم**» أي: عَلامتهم.

وقوله: «**بَضْعة**» بفتح الموحَّدة، أي: قِطعة لحم.

وقوله: «**تَدَرْدَرُ**» بِدالَين وراءَين مُهمَلات، أي: تَضطَرِب، والدَّرْدَرة: صوت إذا اندَفَعَ سُمِعَ له اختلاط.

---

(١) وذلك لأنه جاء في الحديث ذكر النَّصْل بعد النَّضِيّ. قاله ابن الجوزي في «غريب الحديث».

وقوله «على حين فُرْقة» أي: زمان فُرقة، وهو بضمِّ الفاء، أي: افتِراق، وفي رواية الكُشْمِيهني: على خير، بخاءٍ مُعجَمة وراء، أي: أفضل، وفِرقة بكسر الفاء، أي: طائفة، وهي رواية الإسماعيلي. ويُؤيِّد الأوَّل حديث مسلم (١٠٦٥/ ١٥٠و١٥٢) من وجه آخر عن أبي سعيد: «تَمرُق مارقة عند فُرقة من المسلمينَ تَقتُلها أَولى الطائفتَين بالحقّ»، أخرجه هكذا مختصراً من وجهَين.

وفي هذا وفي قوله ﷺ: «تَقتُل عمّاراً الفِئة الباغية»[1] دلالة واضحة على أنَّ عليّاً ومَن معه كانوا على الحقّ، وأنَّ مَن قاتَلهم كانوا مُخطِئينَ في تأويلهم، والله أعلم.

وقوله في آخر الحديث: «فأُتي به» أي: بذي الخوَيصِرة حتَّى نظرتُ إليه على نَعتِ النبي ﷺ الذي نَعَتَه، يريد ما تقدَّم من كَونه أسوَد إحدى عَضُدَيه مِثلُ ثَدْي المرأة... إلى آخره.

قال بعض أهل اللُّغة: النَّعت يَختَصّ بالمعاني، كالطّولِ والقِصَر والعَمى والخَرَس، والصِّفة بالفعلِ كالضَّربِ والجُروح. وقال غيره: النَّعت للشيءِ الخاصّ، والصِّفة أعمّ.

الحديث الثالث والثلاثون: حديث عليّ في الخوارج، وسيأتي شرحه في استتابة المرتدِّينَ (٦٩٣٠).

وقوله: «سُوَيد بن غَفَلة» بفتح المعجَمة والفاء، قال حمزة الكِناني صاحب النَّسائي: ليس يَصِحّ لسُوَيد عن عليٍّ غيره.

وقوله: «الحرب خَدْعة»، تقدَّم ضبطه وشرحه في الجهاد (٣٠٣٠).

وقوله: «حُدَثاءُ الأسنان» أي: صِغارها.

و«سُفَهاء الأحلام» أي: ضُعَفاء العقول.

وقوله: «يقولون مِن خير قولِ[2] البَريّة» أي: من القرآن، كما في حديث أبي سعيد الذي قبله: «يَقرَؤونَ القرآن»، وكان أوَّلَ كلمة خَرَجُوا بها قولُهم: لا حُكَم إلّا لله، وانتَزَعوها

(١) سلف عند البخاري برقم (٤٤٧) و(٢٨١٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) قال الحافظ عند شرح الحديث (٥٠٥٧): هو من المقلوب، والمراد: من قول خير البرية.

من القرآن، وحَمَلُوها على غير محَمَلِها.

وقوله: «فإنَّ في قَتْلهم أجْراً لمن قَتَلَهم» في رواية الكُشْمِيهني: «فإنَّ قَتْلَهم».

٣٦١٢- حدَّثنا محمَّدُ بنُ المثنَّى، حدَّثني يحيى، عن إسماعيلَ، حدَّثنا قيسٌ، عن خَبّاب بنِ الأرَتِّ، قال: شَكَوْنا إلى النبيِّ ﷺ، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدةً له في ظِلِّ الكَعْبةِ، فقُلْنا له: ألا تَسْتَنْصِرُ لَنا؟ ألا تَدْعو اللهَ لَنا؟ قال: «كان الرجلُ فيمَن قبلَكم يُحْفَرُ له في الأرضِ، فيُجْعَلُ فيه فيُجاءُ بالمِنْشار، فيوضَعُ على رأسِه فيُشَقُّ باثنَتَينِ، وما يَصُدُّه ذلك عن دِينِه، ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديد ما دونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّه ذلك عن دِينِه، واللهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمرُ، حتَّى يَسِيرَ الرّاكِبُ من صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ، لا يَخافُ إلّا اللهَ أو الذِّئبَ على غَنَمِه، ولكنَّكم تَسْتَعْجِلونَ».

[طرفاه في: ٣٨٥٢، ٦٦٤٣]

الحديث الرابع والثلاثون: حديث خَبّاب، وسيأتي شرحه قريباً (٣٨٥٢) في «باب ما لقيَ النبي ﷺ وأصحابه بمكَّة».

وقوله فيه: «فيُجاء» كذا للأكثر بالجيم، وقال عياض: وقعَ في رواية الأَصِيلي بالحاءِ المهمَلة[1] وهو تصحيف، والفُتُح[2] الباب الواسع، ولا معنى له هنا.

قوله: «حتَّى يسير الرّاكِب من صَنْعاء إلى حَضْرَمَوت» يحتَمل أن يريد صَنعاء اليمن، وبينها وبين حَضرَموت من اليمن أيضاً مَسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتَمل أن يريد صَنعاء الشّام، والمسافة بينهما أبعَد/ بكثيرٍ، والأوَّل أقرَب. قال ياقوت: هي قرية على باب دِمَشق عند باب الفَراديس، تَتَّصِل بالعُقَيبة. قلت: وسُمّيت باسم مَن نزلها من أهل صَنعاء اليمن. ٦/ ٦٢٠

٣٦١٣- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا أزهَرُ بنُ سعدٍ، أخبرنا ابنُ عَوْنٍ، قال: أنْبَأني موسى بنُ أنسٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ افتَقَدَ ثابتَ بنَ قيسٍ، فقال رجلٌ: يا

---

(١) كذا وقع في الأصلين و(س)، وفيه اختصار مُخِلٌّ في النقل عن عياض، لأنَّ عبارته في «المشارق» ١/ ١٦٨: وعند الأصيلي: فُتُحاً بالمنشار، بضم الفاء وضم التاء باثنتين فوقها وجاء مُنوَّناً مهملاً، والفُتُح: الباب الواسع، ولكن ليس هذا موضعه.

(٢) تصحَّف في (س) إلى: والفيح.

رسولَ الله، أنا أعلمُ لكَ عِلْمَه، فأتاه فوَجَدَه جالساً في بيتِه مُنكِّساً رأسَه، فقال: ما شأنُكَ؟ فقال: شَرٌّ، كان يرفعُ صوتَه فوقَ صوتِ النبيِّ ﷺ، فقد حَبِطَ عملُه، وهو مِن أهلِ الأرضِ، فأتى الرجلُ، فأخبَرَه أنَّه قال كَذا وكَذا، فقال موسى بنُ أنسٍ: فرَجَعَ المرّةَ الآخِرةَ بِبِشَارةٍ عظيمةٍ، فقال: «اذهب إليه، فقُل له: إنَّكَ لَسْتَ من أهلِ النار، ولكنْ من أهلِ الجنَّة».

[طرفه في: ٤٨٤٦]

الحديث الخامس والثلاثون: حديث أنس في قصَّة ثابت بن قيس بن شَمّاس.

قوله: «أنبَأني موسى بن أنس» كذا رواه من طريق أزهَر عن ابن عَون، وأخرجه أبوعَوَانة (١٩٩) عن يحيى بن أبي طالب عن أزهَر، وكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية يحيى بن أبي طالب، ورواه عبد الله بن أحمد بن حَنبَل عن يحيى بن مَعِين عن أزهَر، فقال: عن ابن عَوْن عن ثُمامة بن عبد الله بن أنس بدل موسى بن أنس، أخرجه أبو نُعَيم عن الطبراني عنه، وقال: لا أدري ممَّن الوَهم. قلت: لم أرَه في «مُسنَد أحمد»[1].

وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق ابن المبارَك[2] عن ابن عَوْن عن موسى بن أنس، قال: لمَّا نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ ﴾ [الحجرات:٢] قَعَدَ ثابت بن قيس في بيته، الحديث. وهذا صورته مُرسَل، إلّا أنَّه يُقوِّي أنَّ الحديث لابن عَون عن موسى، لا عن ثُمامة.

قوله: «افتَقَدَ ثابتَ بنَ قيس» أي: ابن شَمّاس خطيبَ رسول الله ﷺ، ووقعَ عند مسلم (١١٩/ ١٨٨) من وجه آخر عن أنس، قال: كان ثابت بن قيس بن شَمّاس خطيب الأنصار.

قوله: «فقال رجل» وقعَ في رواية لمسلمٍ (١١٩/ ١٨٧) من طريق حمَّاد عن ثابت عن أنس: فسأل النبيُّ ﷺ سعدَ بن معاذ، فقال: «يا أبا عَمْرو، ما شأن ثابت أَشتَكَى؟» فقال سعد: إنَّه لجَاري، وما عَلمتُ له بشَكوى! واستَشكَلَ ذلك بعض الحُفّاظ بأنَّ نزول الآية المذكورة كان في سنة الوُفود، بسَبَبِ الأقرَع بن حابس وغيره، وكان ذلك في سنة تِسع، كما سيأتي في

(١) قلنا: هو في «المعجم الكبير» للطبراني برقم (١٣٠٩) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل.

(٢) قلنا: هو في «الجهاد» لابن المبارك برقم (١٢٢).

التَّفسير[١] (٤٨٤٦)، وسَعد بن معاذ ماتَ قبل ذلك في بني قُرَيظَة، وذلك سنة خمس.

ويُمكِن الجمع بأنَّ الذي نزلَ في قصَّة ثابت مُجرَّد رفع الصَّوت والذي نزلَ في قصَّة الأقرَع أوَّل السّورة، وهو قوله: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات:١] وقد نزلَ من هذه السّورة سابقاً أيضاً قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [الحجرات:٩] فقد تقدَّم في كتاب الصُّلح (٢٦٩١) من حديث أنس، وفي آخره: أنَّها نزلت في قصَّة عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول. وفي السّياق: وذلك قبل أن يُسلم عبد الله[٢]، وكان إسلام عبد الله بعد وقعة بدر.

وقد روى الطبراني[٣] وابن مَرْدويه من طريق زيد بن الحُبَاب: حدَّثني أبو ثابت بن ثابت بن قيس عن ثابت بن قيس[٤] قال: لمَّا نزلت هذه الآية قَعَدَ ثابت يبكي، فمرَّ به عاصم بن عَدي فقال: ما يُبكيك؟ قال: أتخوَّف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ، فقال له رسول الله: «أما تَرضى أن تَعيش حَميداً» الحديث. وهذا لا يُغايِرُ أن يكون الرَّسولُ إليه من النبي ﷺ سعدَ بن معاذ.

وروى ابن المنذِر في «تفسيره» من طريق سعيد بن بشير/ عن قَتَادة عن أنس في هذه القصَّة: فقال سعد بن عُبَادة: يا رسول الله، هو جاري، الحديث، وهذا أشبَه بالصَّواب، لأنَّ سعد بن عُبَادة من قبيلة ثابت بن قيس، فهو أشبَه أن يكون جارَه من سعد بن معاذ، لأنَّه من قبيلة أُخرى. ٦/٦٢١

---

(١) وانظر أيضاً شرح الحديث (٤٣٦٤).

(٢) ليس هذا في سياق رواية كتاب الصلح، وإنما في رواية كتاب التفسير (٤٥٦٦)، ورواية كتاب المرضى (٥٦٦٣)، وكذا في رواية كتاب الأدب (٦٢٠٧).

(٣) المثبت من (ع)، وهو في «معجم الطبراني الكبير» برقم (١٣١٦) هكذا بالإسناد الذي ذكره الحافظ هنا، وكذلك وقع للهيثمي حيث ذكر في «مجمع الزوائد» ٩/ ٣٢١ أنَّ الذي في الطبراني: عن أبي ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس، قال: حدثني أبي ثابتُ بن قيس. لكن جاء في (أ) و(س): الطبري، بدل: الطبراني، وهو وإن كان في «تفسيره» ٢٦/ ١١٨، إلا أنه عن زيد بن الحباب، عن أبي ثابت بن ثابت بن قيس، عن عمه إسماعيل بن محمد بن ثابت بن شماس، عن أبيه، فالظاهر أنه سقط من مطبوع الطبراني قديماً ذكرُ إسماعيل بن محمد بن ثابت هذا، فوقع للحافظ والهيثمي كذلك، والله أعلم.

(٤) قوله: «عن ثابت بن قيس» سقط من (س).

قوله: «أنا أعْلم لك عِلْمَه» كذا للأكثر، وفي رواية حكاها الكِرْماني: ألا، بلامٍ بدل النّون، وهي للتَّنبيه، وقوله: أعلم لك، أي: لأجلِك، وقوله: عِلمَه، أي: خبره.

قوله: «كان يرفع صوته» كذا ذكره بلفظ الغيبة، وهو التِفات، وكان السّياق يقتضي أن يقول: كنت أرفَعُ صوتي.

قوله: «فأتى الرجلُ فأخبرَه أنَّه قال كذا وكذا» أي: مِثل ما قال ثابت: أنَّه لمَّا نزلت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] جَلَسَ في بيته، وقال: أنا من أهل النار، وفي رواية مسلم (١١٩/ ١٨٧): فقال ثابت: أُنزِلَت هذه الآية، ولقد عَلمتُم أنّي من أرفَعكم صوتاً.

قوله: «فقال موسى بن أنس» هو مُتَّصِل بالإسناد المذكور إلى موسى، لكنَّ ظاهره أنَّ باقي الحديث مُرسَل، وقد أخرجه مسلم (١١٩/ ١٨٧) مُتَّصِلاً بلفظ: قال: فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ فقال: «بل هو من أهل الجنَّة».

قوله: «بِبشارةٍ عَظيمة» هي بكسر الموحَّدة، وحُكِيَ ضَمّها.

قوله: «ولكن من أهل الجنَّة» قال الإسماعيلي: إنَّما يَتِمّ الغرضُ بهذا الحديث، أي: من إيراده في «باب علامات النبوَّة» بالحديث الآخر، أي: الذي مضى في كتاب الجهاد (٢٨٤٥) في «باب التَّحَنُّط عند القتال»، فإنَّ فيه أنَّه قُتِلَ باليَمامة شهيداً، يعني: وظَهَرَ بذلك مِصداق قوله ﷺ: أنَّه من أهل الجنَّة، لكَونِه استُشهِدَ.

قلت: ولعلَّ البخاري أشارَ إلى ذلك إشارة، لأنَّ مَخرَج الحديثَين واحدٌ، والله أعلم.

ثمَّ ظَهَرَ لي أنَّ البخاري أشارَ إلى ما في بعض طرق حديث نزول الآية المذكورة، وذلك فيما رواه ابن شِهاب عن إسماعيل بن محمَّد بن ثابت، قال: قال ثابت بن قيس بن شَمّاس: يا رسولَ الله، إنّي أخشى أن أكون قد هَلَكت، فقال: «وما ذاكَ؟» قال: نَهانا الله أن نَرفَع أصواتنا فوقَ صوتك، وأنا جَهير، الحديث، وفيه: فقال له عليه الصلاة والسَّلام: «أما تَرضى أن تَعيش سعيداً، وتُقتَل شهيداً وتَدخُل الجنَّة». وهذا مُرسَل قويّ الإسناد، أخرجه ابن سعد عن مَعْن بن عيسى عن مالك عنه، وأخرجه الدّارَقُطني في «الغرائب» من طريق

إسماعيل بن أبي أُوَيس عن مالك كذلك، ومن طريق سعيد بن كثير عن مالك[1]، فقال فيه: عن إسماعيل عن ثابت بن قيس. وهو مع ذلك مُرسَل، لأنَّ إسماعيل لم يَلحَق ثابتاً. وأخرجه ابن مَرْدويه من طريق صالح بن أبي الأخضَر عن الزُّهْري فقال: عن محمَّد بن ثابت بن قيس: أنَّ ثابتاً، فذكر نحوه[2]، وأخرجه ابن جَرِير من طريق عبد الرَّزّاق عن مَعمَر عن الزُّهْري، مُعضَلاً، ولم يَذكُر فوقه أحداً، وقال في آخره: فعاشَ حَميداً، وقُتِلَ شهيداً يوم مُسَيلمة.

وأصرَح من ذلك ما روى ابن سعد بإسنادٍ صحيح أيضاً من مُرسَل عِكْرمة قال: لمَّا نزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ الآية، قال ثابت بن قيس: كنت أرفَع صوتي فأنا مَن أهل النار، فقَعَدَ في بيته، فذكر الحديث نحو حديث أنس، وفي آخره: «بَل هو من أهل الجنَّة» فلمَّا كان يومُ اليَمامة انهزَمَ المسلمونَ، فقال ثابت: أُفٍّ لهؤلاءِ ولِـمَا يَعبُدونَ، وأُفٍّ لهؤلاءِ ولِـمَا يصنعونَ، قال: ورجل قائم على ثُلمة فقتَلَه وقُتِلَ. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره»[3] من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، في قصَّة ثابت بن قيس، فقال في آخرها: قال أنس: فكنَّا نَراه يَمشي بين أظهُرنا ونحنُ نَعلم أنَّه من أهل الجنَّة. فلمَّا كان يومُ اليَمامة كان في بعضِنا بعضُ الانكِشاف، فأقبَلَ وقد تَكَفَّنَ وتَحَنَّطَ، فقاتَلَ حتَّى قُتِلَ.

وروى ابن المنذِر في «تفسيره» من طريق عطاء الخُراساني قال: حدَّثتني بنت ثابت بن قيس، قالت: لمَّا أنزَلَ الله هذه الآية دَخَلَ ثابتٌ بيته فأغلَقَ بابه، فذكر القصَّة مُطوَّلة، وفيها قول النبي ﷺ: «تَعيش حَميداً وتموت شهيداً» وفيها: فلمَّا كان يوم اليَمامة ثَبَتَ حتَّى قُتِلَ.

---

(١) وقد رواه غير مالك عن الزهري كذلك، فقد رواه يونس بن يزيد عند ابن المبارك في «الجهاد» (١٢٣)، وابن حبان (٧١٦٧)، ورواه أيضاً عبد الله بن وهب عند الروياني في «مسنده» (١٠٠١)، وشعيب بن أبي حمزة عند الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٢١٧)، وعمرو بن مرزوق عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (١٣٢٨)، وغيرهم، كلهم عن الزهري.

(٢) وقد أخطأ فيه صالح بن أبي الأخضر، كما قال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه في «العلل» (٢١٩٦).

(٣) فات الحافظ رحمه الله أن يخرجه من «مسند أحمد» وهو فيه برقم (١٢٣٩٩)، وهو أيضاً عند النسائي في «الكبرى» (٨١٧٠) لكن دون ذكر يوم اليمامة.

٣٦١٤- حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشّار، حدَّثنا غُندَرٌ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن أبي إسحاقَ، سمعتُ البراءَ بنَ عازبٍ رضي الله عنهما: قرأ رجلٌ الكَهْفَ وفي الدّار الدّابّةُ، فجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فسَلَّمَ فإذا ضَبابةٌ ـ أو سَحَابَةٌ ـ غَشِيَتْه، فذكره للنبيِّ ﷺ، فقال: «اقرَأْ فلانُ، فإنَّها السَّكِينةُ نزلت للقُرْآنِ، أو تَنَزَّلَت للقُرْآن».

[طرفاه في: ٤٨٣٩، ٥٠١١]

٣٦١٥- حدَّثنا محمَّدُ بنُ يوسفَ، أخبَرنا أحمدُ بنُ يزيدَ بنِ إبراهيمَ أبو الحسنِ الحَرّانيُّ، حدَّثنا زُهَيرُ بنُ مُعاوِيةَ، حدَّثنا أبو إسحاقَ، سمعتُ البراءَ بنَ عازبٍ، يقول: جاء أبو بكرٍ ﷺ إلى أبي في مَنْزِلِه، فاشتَرَى منه رَحْلاً، فقال لِعازبٍ: ابْعَثِ ابنَكَ يَحْمِلْه مَعي، قال: فحَمَلْتُه معه، وخَرَجَ أبي يَنتَقِدُ ثَمَنَه، فقال له أبي: يا أبا بكرٍ، حَدِّثْني كيفَ صَنَعْتُما حينَ سَرَيتَ معَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: نعم، أسرَينا ليلَتَنا ومِنَ الغدِ، حتَّى قامَ قائمُ الظَّهيرةِ، وخَلا الطَّريقُ لا يَمُرُّ فيه أحدٌ، فرُفِعَت لنا صَخْرةٌ طويلةٌ لها ظِلٌّ، لم تَأتِ عليها الشمسُ فنزلْنا عندَه، وسوَّيتُ للنبيِّ ﷺ مكاناً بيَدي يَنامُ عليه، وبَسَطْتُ عليه فَرْوةً، وقلتُ له: نَمْ يا رسولَ الله، وأنا أنفُضُ لكَ ما حَوْلَكَ، فنامَ.

وخَرَجْتُ أنفُضُ ما حَولَه، فإذا أنا بِراعٍ مُقبِلٍ بغَنَمِه إلى الصَّخْرةِ يُريدُ منها مِثلَ الذي أرَدْنا، فقلتُ لَهُ: لمن أنتَ يا غلام؟ فقال: لِرجلٍ من أهلِ المدينةِ ـ أو مَكّةَ ـ قلتُ: أفي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قال: نعم، قلتُ: أفَتحلُبُ؟ قال: نعم، فأخَذَ شاةً، فقلتُ: انفُضِ الضَّرْعَ مِن التُّراب والشَّعَرِ والقَذَى ـ قال: فرأيتُ البراءَ يَضْرِبُ إحدَى يَدَيه على الأُخرَى يَنفُضُ ـ فحَلَبَ في قَعْبٍ كُثْبةً من لَبَنٍ، ومَعي إدَاوَةٌ حَمَلْتُها للنبيِّ ﷺ يَرْتَوي منها يَشْرَبُ ويَتَوضَّأُ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فكَرِهْتُ أن أُوقِظَه، فوافَقْتُه حينَ استيقَظَ، فصَبَبتُ مِن الماءِ على اللَّبَنِ حتَّى بَرَدَ أسفَلُه، فقلتُ: اشرَبْ يا رسولَ الله، فشَرِبَ حتَّى رَضِيتُ، ثمَّ قال: «ألم يأْنِ للرَّحِيلِ؟» قلتُ: بَلَى، قال: فارتَحَلْنا بعدَما مالَتِ الشمسُ، واتَّبَعَنا سُرَاقةُ بنُ مالكٍ، فقلتُ: أُتِينا يا رسولَ الله! فقال: «لا تَحْزَن، إنَّ الله مَعَنا» فدَعا عليه النبيُّ ﷺ، فارتَطَمَت بِهِ فرسُه إلى بَطْنِها ـ أُرَى في جَلَدٍ مِن الأرضِ، شَكَّ زُهَيرٌ ـ فقال: إنّي أُراكما قد دَعَوتُما عليَّ، فادْعوَا لي، فاللهُ لكما أن أرُدَّ عنكما الطَّلَبَ، فدَعا له النبيُّ ﷺ، فنَجا، فجَعَلَ لا يَلْقَى أحداً إلّا قال: قد كُفِيتُم ما هُنا، فلا يَلْقَى

أحداً إلّا رَدَّه، قال: ووَفَى لنا.

الحديث السادس والثلاثون: حديث البراء: «**قرأ رجلٌ الكَهف**» هو أُسَيد بن حُضَير، كما سيأتي بيان ذلك في فضائل القرآن بأتمّ منه[1].

الحديث السابع والثلاثون: حديث البراء عن أبي بكر في قصَّة الهجرة، وقد تقدَّم شرح بعضه في آخر اللُّقَطة (٢٤٣٩). ٦٢٣/٦

وقوله هنا في أوَّله: «**حدَّثنا محمَّد بن يوسُف**» هو البِيكَندي، وهو من صِغار شيوخه، وشيخه الآخر: محمَّد بن يوسف الفِرْيابي أكبر من هذا وأقدَم سماعاً، وقد أكثر البخاري عنه. وأحمد بن يزيد يُعرَف بالوَرْتَنِّيسيّ، بفتح الواو وسكون الرّاء وفتح المثنّاة، وتشديد النُّون المكسورة بعدها تحتانية ساكنة ثمَّ مُهمَلة، وزُهَير بن معاوية: هو أبو خَيثمةَ الجُعْفي، قال البزَّار (٥٢): لم يَروِ هذا الحديثَ تامّاً عن أبي إسحاق إلّا زُهَير وأخوه خَديج وإسرائيل، وروى شُعْبة منه قصَّة اللَّبَن خاصَّة. انتهى، وقد رواه عن أبي إسحاق مُطوَّلاً أيضاً حَفيدُه يوسف بن إسحاقَ بن أبي إسحاقَ، وهو في «باب الهجرة إلى المدينة» (٣٩١٧)، لكنَّه لم يَذكُر فيه قصَّةَ سُرَاقة، وزاد فيه قصَّةً غيرها كما سيأتي.

قوله: «**جاء أبو بَكْر**» أي: الصِّدّيق «**إلى أبي**» هو عازب بن الحارث بن عَدي الأوسي، من قُدَماء الأنصار.

قوله: «**فاشتَرى منه رَحْلاً**» بفتح الرّاء وسكون المهمَلة، هو للنّاقة كالسَّرجِ للفرَس.

قوله: «**ابْعَثِ ابْنك يَحمِلْه مَعي، قال: فحَمَلْته وخَرَجَ أبي يَنتَقِد ثَمَنَه، فقال له أبي: يا أبا بَكْر حَدِّثْني كيف صَنَعْتُما**» ووقَعَ في رواية إسرائيل الآتية في فضل أبي بكر (٣٦٥٢): أنَّ عازباً امتَنَعَ من إرسال ابنه مع أبي بكر حتَّى يُحدِّثه أبو بكر بالحديث، وهي زيادة ثقة مقبولة لا

---

(١) كذا جزم الحافظ هنا بأنه أسيد بن حضير، وذكره هناك احتمالاً، أي في فضائل القرآن عند شرح الحديث (٥٠١١)، ثم استدرك بقوله: أنَّ الذي سيأتي في البخاري من حديث أسيد بن حضير نفسه أنه كان يقرأ البقرة لا الكهف. قال: وهذا ظاهره التعدد.

تُنافي هذه الرِّواية، بل يُحمَلُ قوله: فقال له أبي، أي: مِن قبل أن أحمِلَه معه، أو أعادَ عازبٌ سؤال أبي بكر عن التَّحديث بعد أن شَرطَه عليه أوَّلاً وأجابَه إليه.

قوله: «حين سَرَيت مع رسول الله ﷺ، قال: نعم أسرَينا» هكذا استعملَ كلٌّ منهما إحدى اللُّغتَينِ، فإنَّه يقال: سَرَيت وأسرَيت، في سَير اللَّيل.

قوله: «ليلَتنا» أي: بعضها، وذلك حين خَرَجوا من الغار، كما سيأتي بيانه في حديث عائشة في الهجرة إلى المدينة (٣٩٠٥)، ففيها أنَّهما لَبِثا في الغار ثلاث لَيالٍ، ثمَّ خرَجا.

وقوله: «ومن الغَد» فيه تَجوُّز، لأنَّ السُّرى الذي عُطِفَ عليه سَير اللَّيل.

قوله: «حتَّى قامَ قائمُ الظَّهيرة» أي: نصف النَّهار، وسُمِّي قائماً، لأنَّ الظِّلّ لا يَظهَر حينئذٍ، فكأنَّه واقف، ووقعَ في رواية إسرائيل: أسرَينا ليلتَنا ويومَنا حتَّى أظهَرْنا، أي: دَخَلنا في وقت الظُّهر.

قوله: «فرُفِعَت لنا صَخْرة» أي: ظَهَرَت.

قوله: «لم تَأتِ عليها» أي: على الصَّخرة، وللكُشْمِيهني: لم تأتِ عليه، أي: على الظِّلّ.

قوله: «وبَسَطْتُ عليه فَرْوَة» هي معروفة، ويحتمل أن يكون المراد شيء مِن الحَشيش اليابس، لكن يُقوِّي الأوَّلَ أنَّ في رواية يوسف بن إسحاق: ففَرَشت له فَرْوةً مَعي، وفي رواية خَديج في جُزء لُوَين (١): فَرْوةٌ كانت مَعي.

قوله: «وأنا أنفُض لك ما حَولَك» يعني: من الغُبار ونحو ذلك حتَّى لا يُثيرُه عليه الرِّيح، وقيل: معنى النَّفض هنا: الحِراسة، يقال: نَفَضتُ المكان: إذا نَظَرتَ جميع ما فيه، ويُؤيِّده قوله في رواية إسرائيل: ثمَّ انطَلَقت أنظُر ما حولي هل أرى من الطَّلَب أحداً.

قوله: «لِرجلٍ مِن أهل المدينة أو مكَّة» هو شَكٌّ من الراوي، أيَّ اللَّفظَين قال، وكأنَّ الشكّ من أحمد بن يزيد، فإنَّ مسلماً (٣٠١٤/ ٧٥) أخرجه من طريق الحسن بن محمَّد بن أعْيَنَ عن زُهَير، فقال فيه: لِرجلٍ مِن أهل المدينة، ولم يَشُكّ، ووقعَ في روايةِ خَدِيج: فسَمّى رجلاً من أهل مكَّة، ولم يَشُكّ، والمراد بالمدينة مكَّة ولم يُرِد بالمدينة المدينةَ النَّبوية، لأنَّها حينئذٍ لم تكن

تُسَمّى المدينة، وإنَّما كان يقال لها: يَثرِب، وأيضاً فلم تَجرِ العادة للرُّعاة أن يَبعُدوا في المراعي هذه المسافة البعيدة، ووقعَ في رواية إسرائيل (٣٦٥٢): فقال لرجلٍ من قريش سَمّاه فعَرَفته، وهذا يُؤيِّد ما قَرَّرتُه، لأنَّ قريشاً لم يكونوا يَسكُنونَ المدينة النَّبوية إذ ذاكَ.

قوله: «أفي غَنَمك لَبَن» بفتح اللّام والموحَّدة، وحَكَى عياض أنَّ في رواية: لُبّنٌ، بضمِّ اللّام وتشديد الموحَّدة، جمع لابِنٍ، أي: ذوات لَبَن.

قوله: «أفتحلُب، قال: نعم» الظّاهر أنَّ مُراده بهذا الاستفهام: أمَعَك إذن في الحَلب/ لمن يَمُرّ بك على سبيل الضّيافة؟ وبهذا التَّقرير يَندَفِعُ الإشكال الماضي في أواخر اللُّقَطة، وهو كيف استَجازَ أبو بكر أخذ اللَّبَن من الرّاعي بغير إذن مالك الغنم؟ ويحتمل أن يكون أبو بكر لمَّا عَرَفَه عَرَفَ رِضاه بذلك بصَداقَتِه له أو إذنه العامّ لذلك، وقد تقدَّم باقي ما يَتعلَّق بذلك هنا. ٦٢٤/٦

قوله: «فقلت: انفُضِ الضَّرْعَ» أي: ثَدي الشّاة، وفي رواية إسرائيل الآتية: وأمَرتُه فاعتَقَلَ شاة، أي: وضَعَ رِجلها بين فخِذَيه أو ساقَيه لِيمنَعَها من الحركة.

قوله: «فأخَذْت قَدَحاً فحَلَبْت»[1] في روايةٍ: فأمَرت الرّاعي فحَلَبَ[2]، ويُجمَع بأنَّه تَجوَّزَ في قوله: فحَلَبت، ومُراده أمَرتُ بالحَلب.

قوله: «كُثْبة» بضمِّ الكاف وسكون المثلَّثة وفتح الموحَّدة، أي: قَدْر قَدَح، وقيل: حَلْبة خفيفة، ويُطلَق على القليل من الماء واللَّبَن، وعلى الـجُرعة تَبقى في الإناء، وعلى القليل من الطَّعام والشَّراب وغيرهما من كلّ مُجتَمِع.

قوله: «واتَّبَعَنا سُرَاقة بن مالك» في رواية إسرائيل (٣٦٥٢): فارتَـحَلنا والقوم يَطلُبونَنا فلم يُدرِكنا غيرُ سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم.

قوله: «فارتَطَمَتْ» بالطاءِ المهمَلة، أي: غاصَت قوائمها.

---

(١) هذه الجملة ليست في هذه الرواية، وإنما هي في رواية شعبة عن أبي إسحاق الآتية عند البخاري برقم (٣٩٠٨).

(٢) هو في رواية إسرائيل المشار إليها بنحوه.

قوله: «أُرى» بضمِّ الهمزة «في جَلَد من الأرض شَكَّ زُهَير» أي: الراوي، هل قال هذه اللَّفظة أم لا، والجَلَد بفتحَتَين: الأرض الصُّلْبة، وفي رواية مسلم (٣٠١٤/ ٧٥) أنَّ الشكّ من زُهَير في قول سُرَاقة: قد عَلمت أنَّكما قد دَعَوتُما عليَّ، ووقعَ في رواية خَدِيج بن معاوية[1] وهو أخو زُهَير: ونحنُ في أرض شديدة كأنَّها مُجَصَّصَة، فإذا بوَقْعٍ مِن خَلفي، فالتَفَتّ فإذا سُرَاقة، فبَكى أبو بكر، فقال: أُتينا يا رسول الله، قال: «كَلّا» ثمَّ دَعَا بدَعَواتٍ.

وستأتي قصَّة سُرَاقة في أبواب الهجرة (٣٩٠٦) إلى المدينة من حديث سُرَاقة نفسه بأتمّ من سياق البراء، فلذلك أخَّرتُ شرحَها إلى مكانها. وفي الحديث مُعجِزة ظاهرة، وفيه فوائد أُخرى يأتي ذِكْرها في مناقب أبي بكر الصِّدّيق.

٣٦١٦- حدَّثنا مُعلَّى بنُ أسَدٍ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ مُختارٍ، حدَّثنا خالدٌ، عن عِكْرمةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ على أعرابيٍّ يعودُه، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ على مَرِيضٍ يعودُه قال: «لا بَأسَ، طَهورٌ إن شاء الله» فقال له: «لا بَأسَ، طَهورٌ إن شاء الله» قال: قلتَ: طَهورٌ؟ كَلّا، بل هي حُمَّى تَفُورُ - أو تَثُورُ - على شيخٍ كَبيرٍ، تُزِيرُه القُبورَ، فقال النبيُّ ﷺ: «فنعَم إذاً».

[أطرافه في: ٥٦٥٦، ٥٦٦٢، ٧٤٧٠]

٣٦١٧- حدَّثنا أبو مَعمَرٍ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ، عن أنسٍ ﷺ، قال: كان رجلٌ نَصْرانيّاً، فأسلَمَ وقرأ البقرةَ وآلَ عِمْرانَ، فكان يَكْتُبُ للنبيِّ ﷺ، فعادَ نَصْرانيّاً، فكان يقول: ما يَدْري محمَّدٌ إلّا ما كَتَبتُ له، فأماتَه اللهُ، فدَفَنوه فأصبَحَ وقد لَفِظَتْه الأرضُ، فقالوا: هذا فِعْلُ محمَّدٍ وأصحابه، لمَّا هَرَبَ منهم نَبَشوا عن صاحبِنا فألقَوْه، فحَفَروا له فأعمَقُوا لَهُ في الأرض ما استطاعُوا، فأصبَحَ وقد لَفِظَتْه الأرضُ، فقالوا: هذا فِعْلُ محمَّدٍ وأصحابه، نَبَشوا عن صاحبِنا، فألقَوه خارجَ القبر، فحَفَروا له وأعمَقُوا له في الأرضِ ما استَطاعُوا، فأصبَحَ وقد لَفِظَتْه الأرضُ، فعلموا أنَّه ليس مِن الناسِ، فألقَوْه.

---

(١) سبق أنها في جزء لوين (١).

الحديث الثامن والثلاثون: حديث ابن عبَّاس في قصَّة الأعرابي الذي أصابته الحُمَّى ٦٢٥/٦ فقال: حُمّى تَفُور على شيخ كبير، الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الطِّبِّ (٥٦٥٦)، ووَجه دخوله في هذا الباب أنَّ في بعض طرقه زيادةً تَقتَضي إيرادَه في علامات النبوَّة، أخرجه الطبراني (٧٢١٣) وغيره من رواية شُرَحبيل والد عبد الرحمن فذكر نحو حديث ابن عبَّاس، وفي آخره: فقال النبي ﷺ: «أما إذ أبيتَ فهي كما تقول، قَضاءُ الله كائن» فما أمسى من الغَد إلّا ميِّتاً، وبهذه الزّيادة يَظهَر دخول هذا الحديث في هذا الباب. وعَجِبتُ للإسماعيلي كيف نبَّه على مِثل ذلك في قصَّة ثابت بن قيس وأغفَلَه هنا.

ووقعَ في «ربيع الأبرار» أنَّ اسم هذا الأعرابي قيس، فقال في «باب الأمراض والعِلَل»: دَخَلَ النبي ﷺ على قيس بن أبي حازم يعوده، فذكر القصَّة. ولم أرَ تسميته لغيره[1]، فهذا إن كان محفوظاً فهو غير قيس بن أبي حازم أحد المخَضرَمينَ، لأنَّ صاحب القصَّة ماتَ في زمن النبي ﷺ، وقيس لم يَرَ النبيَّ ﷺ في حال إسلامِهِ فلا صُحْبة له، ولكن أسلَمَ في حياته، ولأبيه صُحْبة، وعاشَ بعده دَهراً طويلاً.

الحديث التاسع والثلاثون: حديث أنس في الذي أسلَمَ ثمَّ ارتَدَّ، فدُفِنَ فلَفِظَته الأرضُ.

قوله: «كان رجل نَصْرانياً» لم أقِفْ على اسمه، لكن في رواية مسلم (٢٧٨١) من طريق ثابت عن أنس: كان مِنّا رجل من بني النَّجّار.

قوله: «فعادَ نَصْرانياً» في رواية ثابت: فانطَلَقَ هارباً حتَّى لَحِقَ بأهلِ الكتاب فرَفَعُوه.

قوله: «ما يَدْري محمَّد إلّا ما كَتَبتُ له» في رواية الإسماعيلي: «كان يقول: ما أرى يُحسِن محمَّد إلّا ما كنت أكتُب له»، وروى ابن حِبّان من طريق محمَّد بن عَمْرو عن أبي سَلَمةَ عن أبي هريرة نحوه.

قوله: «فأماتَه الله» في رواية ثابت: فما لَبِثَ أن قَصَمَ الله عُنُقَه فيهم.

---

(١) منشأ الوهم فيما نظن أنَّ هذا الحديث رواه هناد بن السري في «الزهد» (٤١٦) عن عبدة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم مرسلاً. فظنَّ الزمخشري في «ربيع الأبرار» أنه صاحب القصة، والله أعلم.

قوله: «لمَّا هَرَبَ منهم» في رواية الإسماعيلي: لمَّا لم يَرْضَ دينَهم.

قوله: «لَفِظَتْه الأرض» بكسر الفاء، أي: طَرَحَتْه ورَمَتْه، وحُكي فتح الفاء.

قوله في آخره: «فألقَوْه» في رواية ثابت: فتَرَكوه مَنبوذاً.

٣٦١٨- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن يونُس، عن ابنِ شِهابٍ، قال: وأخبرني ابنُ المسيّبِ، عن أبي هريرةَ، أنَّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه، وإذا هَلَكَ قَيصَرُ فلا قَيصَرَ بعدَه، والذي نفسُ محمَّدٍ بيَدِه لَتُنْفِقُنَّ كُنوزَهما في سبيلِ الله».

٣٦١٩- حدَّثنا قَبيصةُ، حدَّثنا سفيانُ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ، رَفَعَه، قال: «إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه وإذ هَلَكَ قيصَرُ فلا قَيصَرَ بعدَهُ» وذكر وقال: «لَتُنفَقنَّ كُنوزُهما في سبيلِ الله».

الحديث الأربعون: حديث أبي هريرة: «إذا هَلَكَ كِسرى فلا كِسرى بعده».

قوله: «كِسْرى» بكسر الكاف ويجوز الفتح: وهو لَقَبٌ لكلِّ مَن وليَ مملَكة الفُرس، وقَيصَر: لَقَب لكلِّ مَن وليَ مملكةَ الرُّوم، قال ابن الأعرابي: الكسر أفصح في كِسرى، وكان أبو حاتم يختاره، وأنكرَ الزَّجّاج الكسر على ثَعلَب، واحتَجَّ بأنَّ النِّسبة إليه كَسرَوي بالفتح، ورَدَّ عليه ابن فارس بأنَّ النِّسبة قد يُفتَح فيها ما هو في الأصل مكسور أو مضموم، كما قالوا في بني تَغلِب بكسر اللّام: تَغلَبي بفتحِها، وفي سَلِمة كذلك، فليس فيه حُجَّة على تَخطِئة الكسر، والله أعلم.

وقد استُشكِلَ هذا مع بَقاء مملكة الفُرس، لأنَّ آخرهم قُتِلَ في زمن عثمان، واستُشكِلَ أيضاً مع بَقاء مملَكة الرّوم، وأُجيبَ عن ذلك بأنَّ المراد لا يبقى كِسرى بالعراق، ولا قَيصَر بالشّام، وهذا منقول عن الشّافعي، قال: وسَبَب الحديث/ أنَّ قريشاً كانوا يأتونَ الشّام والعراق تُجّاراً، فلمَّا أسلَموا خافوا انقطاع سَفَرهم إليهما لدخولِهم في الإسلام، فقال النبي ﷺ ذلك لهم تَطييباً لقلوبهم، وتبشيراً لهم بأنَّ مُلكهما سَيَزُولُ عن الإقليمَين المذكورَين. ٦٢٦/٦

وقيل: الحكمة في أنَّ قَيصَر بقي مُلكه وإنَّما ارتَفَعَ من الشّام وما والاها، وكِسرى ذهب

مُلكه أصلاً ورأساً: أنَّ قَيصَر لمَّا جاءه كتاب النبي ﷺ قَبَّلَه وكادَ أن يُسلِم كما مضى بَسط ذلك في أوَّل الكتاب (٧)، وكِسرى لمَّا أتاه كتاب النبي ﷺ مَزَّقه، فدَعا النبيُّ ﷺ أن يُمَزَّق مُلكُه كلَّ مُمَزَّق[1]. فكان كذلك.

قال الخَطّابي: معناه: فلا قَيصَر بعده يَملِك مِثل ما يَملِك، وذلك أنَّه كان بالشّام، وبها بيت المَقدِس الذي لا يَتِمّ للنَّصارى نُسُك إلّا به، ولا يَملِك على الرّوم أحدٌ إلّا كان قد دَخَلَه إمّا سِرّاً وإمّا جَهراً، فانجَلى عنها قَيصَر واستُبيحت[2] خزائنه، ولم يَخلُفه أحد من القَياصرة في تلكَ البلاد بعده، ووقعَ في الرِّواية التي في «باب الحرب خدعة» من كتاب الجهاد (٣٠٢٧): «هَلَكَ كِسرى، ثمَّ لا يكون كِسرى بعده، ولَيَهلِكَنَّ قَيصَر»، قيل: والحكمة فيه: أنَّه قال ذلك لمَّا هَلَكَ كِسرى بن هُرمُز كما سيأتي في حديث أبي بكرة في كتاب الأحكام (٧٠٩٩) قال: بَلَغَ النبيَّ ﷺ أنَّ أهل فارس مَلَّكوا عليهم امرأة[3] الحديث، وكان ذلك لمَّا ماتَ شِيرويه بن كِسرى فأمَّروا عليهم بنته بُوران، وأمَّا قَيصَر فعاشَ إلى زمن عمر سنة عشرينَ على الصَّحيح، وقيل: ماتَ في زمن النبي ﷺ، والذي حارَبَ المسلمينَ بالشّامِ ولدُه، وكان يُلقَّب أيضاً قَيصَر، وعلى كلّ تقدير فالمراد من الحديث وَقَعَ لا مَحالة، لأنَّهما لم تَبقَ مملَكَتُهما على الوجه الذي كان في زمن النبي ﷺ كما قَرَّرتُه.

قال القُرطُبي في الكلام على الرِّواية التي لفظها: «إذا هَلَكَ كِسرى فلا كِسرى بعده»، وعلى الرِّواية التي لفظها: «هَلَكَ كِسرى ثمَّ لا يكون كِسرى بعده»: بين اللَّفظَين بَونٌ، ويُمكِن الجمع بأن يكون أبو هريرة سمعَ أحدَ اللَّفظَين قبل أن يموت كِسرى والآخَرَ بعد ذلك، قال: ويَحتَمل أن يقع التَّغايُر بالموت والهلاك[4]، فقوله: «إذا هَلَكَ كِسرى» أي: هَلَكَ

---

(١) كما سلف عند البخاري برقم (٦٤).

(٢) تحرف في (ع) إلى: واستصحب، وفي (س) إلى: واستُفتحت. والتصويب من شرح الخطابي على البخاري المسمى «أعلام الحديث» ٢/ ١٤٤٧.

(٣) سيأتي أيضاً (٤٤٢٥).

(٤) هذا يستقيم مع اللفظ الذي عند مسلم، وهو: «قد مات كسرى...» وأما على لفظ البخاري السالف في الجهاد برقم (٣٠٢٧)، ولفظه: «هلك كسرى...» فلا يستقيم.

مُلكه وارتَفَعَ، وأمَّا قوله: «ماتَ كِسرى ثمَّ لا يكون كِسرى بعده» فالمُراد به كِسرى حقيقةً. انتهى.

ويحتمل أن يكون المُراد بقوله: «هَلَكَ كِسرى» تحقُّق وقوع ذلك حتَّى عَبَّرَ عنه بلفظ الماضي وإن كان لم يقَع بَعدُ، للمُبالَغة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل:١] وهذا الجمع أَولى، لأنَّ مَخرَج الرِّوايتَين مُتَّحِد، فحَمْلُه على التَّعَدُّد على خِلاف الأصل، فلا يُصارُ إليه مع إمكان هذا الجمع، والله أعلم.

الحديث الحادي والأربعون: حديث جابر بن سَمُرة.

قوله: «رَفَعَه»[1] وَقَعَ في رواية الإسماعيلي التي سأذكُرُها: عن النبي ﷺ، وكذا تقدَّم في فرض الخمس (٣١٢١) من رواية جَرِير عن عبد الملك بن عُمَير.

قوله: «وإذا هَلَكَ قَيصَر فلا قَيصَر بعده» كذا ثَبَتَ لأبي ذرٍّ وسقَطَ لغيرِه، ووقعَ في رواية الإسماعيلي من وجهٍ آخر عن قَبيصَة شيخِ البخاري فيه، ومن وجهٍ آخر عن سفيان، وهو الثَّوري، مِثل رواية الجماعة. قال: وكذا قال، لم يَذكُر قَيصَر، وقال: «كُنوزهما».

قوله: «وذكر وقال: لَتُنْفَقَنَّ كُنوزُهما في سبيل الله» وَقَعَ في رواية النَّسَفي: وذكره، وهو مُتَّجِه، كأنَّه يقول: وذكر الحديث، أي: مِثل الذي قبله، وأمَّا على رواية الباقين ففيه حَذفٌ تقديره: وذكر كلاماً أو حديثاً، ولم تقع هذه الزِّيادة في رواية الإسماعيلي المذكورة.

٣٦٢٠- حدَّثنا أبو اليَمَان، أخبرنا شُعَيبٌ، عن عبدِ الله بنِ أبي حُسينٍ، حدَّثنا نافعُ بنُ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: قَدِمَ مُسَيلِمةُ الكَذّابُ على عَهْدِ النبيِّ ﷺ، فجَعَلَ يقول: إن جَعَلَ لي محمَّدٌ الأمرَ من بعدِه تَبِعْتُه، وقَدِمَها في بَشَرٍ كَثير من قومِه، فأقبَلَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه ثابتُ بنُ قيس بنِ شَمّاسٍ، وفي يدِ رسولِ الله ﷺ قِطْعةُ جَرِيدٍ، حتَّى وَقَفَ على مُسَيلِمةَ في أصحابه، فقال: «لو سألتَني هذه القِطْعَةَ ما أعطَيتُكَها، ولن تَعْدوَ أمرَ الله فِيكَ،

---

(١) وقع هنا في (ع) و(س) بعد قوله: «رفعه»: تقدم في الجهاد، ولا معنى لذكرها، لأنَّ الحافظ سيُشير بعد سطر إلى أنَّ الحديث في فرض الخمس، وهو الصحيح.

ولَئِن أدبَرْتَ ليَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وإنّي لأراكَ الذي أُرِيتُ فيكَ ما رأيتُ».

[أطرافه في: ٤٣٧٣، ٤٣٧٨، ٧٠٣٣، ٧٤٦١]

٣٦٢١- فأخبرني أبو هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينَما أنا نائمٌ رأيتُ في يَدَيَّ سِوارَين من ذهبٍ، فأهَمَّني شأنُهما، فأوحِيَ إليَّ في المنامِ أنِ انفُخْهما فنَفَخْتُهما، فطارا، فأوَّلتُهما كَذّابَين يَخرُجان بعدِي».

فكان أحدُهما العَنْسِيَّ، والآخَرُ مُسَيلمةَ الكَذّابَ صاحبَ اليَمامة.

[أطرافه في: ٤٣٧٤، ٤٣٧٥، ٤٣٧٩، ٧٠٣٤، ٧٠٣٧]

٣٦٢٢- حدَّثنا محمَّدُ بنُ العلاءِ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ أُسامةَ، عن بُرَيد بن عبدِ الله بنِ أبي بُرْدةَ، عن جَدِّه أبي بُرْدةَ، عن أبي موسى ـ أُراه ـ عن النبيِّ ﷺ، قال: «رأيتُ في المنامِ أنّي أُهاجِرُ مِن مَكّةَ إلى أرضٍ بها نَخلٌ، فذهب وَهَلِي إلى أنَّها اليَمامةُ أو هَجَرُ، فإذا هي المدينةُ يَثرِبُ، ورأيتُ في رُؤْياي هذه أنّي هَزَزْتُ سَيفاً فانقَطَعَ صَدْرُه، فإذا هو ما أُصِيبَ مِن المؤمنينَ يومَ أُحُدٍ، ثمَّ هَزَزْتُه أخرى فعادَ أحسنَ ما كان، فإذا هو ما جاء الله به مِن الفَتْحِ واجْتِماعِ المؤمنينَ، ورأيتُ فيها بَقَراً، واللهُ خيرٌ، فإذا همُ المؤمنونَ يومَ أُحُدٍ، وإذا الخيرُ ما جاء الله به مِن الخيرِ، وثوابِ الصِّدْقِ الذي آتانا الله بعدَ يومِ بَدْرٍ».

[أطرافه في: ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١]

الحديث الثاني والأربعون: حديث ابن عبَّاس في قُدوم مُسَيلمة، وفيه قول ابن عبَّاس: فأخبرني أبو هريرة، فذكر المنام، وسيأتي شرح ذلك كلّه مَبسوطاً في أواخر المغازي (٤٣٧٣ و٤٣٧٤)، وقد ذُكِرَ هناك بالإسناد المذكور.

الحديث الثالث والأربعون: حديث أبي موسى في رُؤيا النبي ﷺ فيما يَتعلَّق بالهجرة وبأُحُدٍ، وسيأتي في ذِكْر غزوة أُحُد (٤٠٨١) بهذا الإسناد بعينِه، وأذكُر هناك شرحه إن شاء الله تعالى. وقد أفرَدَ ما يَتعلَّق منه بغزوة بدر في «باب فضل مَن شَهِدَ بدراً» (٣٩٨٧) وشَرَحتُه هناك، وعَلَّقَ

في «باب الهجرة إلى المدينة»(١) أوَّله عن أبي موسى، وذكرت شرحه أيضاً هناك.

٣٦٢٣- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا زَكَرِيّاءُ، عن فِراسٍ، عن عامرٍ الشعبيِّ، عن مَسْروقٍ، عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: أقبلَت فاطمةُ تَمْشي كأنَّ مِشْيَتَها مَشْيُ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «مَرْحباً بابنَتي» ثمَّ أجْلَسَها عن يَمِينِه ـ أو عن شِمالِه ـ ثمَّ أسَرَّ إليها حديثاً فبَكَتْ، فقلتُ لها: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثمَّ أسَرَّ إليها حديثاً فضَحِكَتْ، فقلتُ: ما رأيتُ كاليومِ فرَحاً أقرَبَ من حُزْنٍ! فسألتُها عمّا قال، فقالت: ما كنتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رسولِ الله ﷺ، حتَّى قُبِضَ النبيُّ ﷺ فسألتُها.

[أطرافه في: ٣٦٢٥، ٣٧١٥، ٤٤٣٣، ٦٢٨٥]

٣٦٢٤- فقالت: أسَرَّ إليَّ: «إنَّ جِبْرِيلَ كان يعارِضُني القرآنَ كلَّ سنةٍ مَرّةً، وإنَّه عارَضَني العامَ مرَّتَينِ، ولا أُراه إلّا حَضَرَ أجَلي، وإنَّكِ أوَّلُ أهلِ بيتي لَحاقاً بي» فبَكَيتُ، فقال: «أما تَرْضَينَ أن تكوني سَيِّدةَ نساءِ أهلِ الجنَّةِ ـ أو نساءِ المؤمنينَ ـ فضَحِكْتُ لذلك.

[أطرافه في: ٣٦٢٦، ٣٧١٦، ٤٤٣٤، ٦٢٨٦]

٣٦٢٥- حدَّثنا يحيى بنُ قَزَعةَ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعْدٍ، عن أبيه، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها: قالت: دَعَا النبيُّ ﷺ فاطمةَ ابنَتَه في شَكْواه الذي قُبِضَ فيه، فسارَّها بشيءٍ فبَكَت، ثمَّ دَعاها فسارَّها فضَحِكَت، قالت: فسألتُها عن ذلك.

٣٦٢٦- فقالت: سارَّني النبيُّ ﷺ، فأخبرني أنَّه يُقْبَضُ في وجَعِه الذي توفِّيَ فيه، فبَكَيتُ، ثمَّ سارَّني فأخبرني أنّي أوَّلُ أهلِ بيتِه أتبَعُه، فضَحِكْت.

٣٦٢٧- حدَّثنا محمَّدُ بنُ عَرْعَرةَ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن أبي بِشْرٍ، عن سعيد بنِ جُبَير، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كان عمرُ بنُ الخَطّاب ﷺ يُدْني ابنَ عبَّاسٍ، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ: إنَّ لنا أبناءً مِثلَه، فقال: إنَّه مِن حيثُ تعلَمُ، فسأل عمرُ ابنَ عبَّاسٍ عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١] فقال: أجَلُ رسولِ الله ﷺ أعلَمَه إيّاه، قال: ما أَعلمُ منها إلّا ما تَعلَمُ.

[أطرافه في: ٤٢٩٤، ٤٤٣٠، ٤٩٦٩، ٤٩٧٠]

(١) قبل الحديث رقم (٣٨٩٧).

٣٦٢٨- حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ بنِ حَنْظَلَةَ ابنِ الغَسِيلِ، حدَّثنا عِكْرِمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ في مرضِه الذي ماتَ فيه بمِلْحَفةٍ، قد عَصَّبَ بعِصابةٍ دَسْماءَ، حتَّى جَلَسَ على المِنْبرِ، فحَمِدَ الله وأثْنَى عليه، ثمَّ قال: «أمَّا بعدُ، فإنَّ الناسَ يَكْثُرونَ ويَقِلُّ الأنصارُ، حتَّى يكونُوا في الناسِ بمَنْزِلةِ المِلْحِ في الطَّعامِ، فمَن ولِيَ مِنْكم شيئاً يَضُرُّ فيه قوماً، ويَنْفَعُ فيه آخَرِينَ، فلْيقبَلْ مِن مُحْسِنِهم، ويَتَجاوَزْ عن مُسِيئِهم».

فكان آخرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ فيه النبيُّ ﷺ.

٣٦٢٩- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ، حدَّثنا حسينٌ الجُعْفيُّ، عن أبي موسى، عن الحسنِ، عن أبي بَكْرةَ ﷺ: أخرَجَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ الحسنَ، فصَعِدَ به على المِنْبرِ، فقال: «ابني هذا سَيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصلِحَ به بينَ فِئَتَينِ مِن المسلمينَ».

٣٦٣٠- حدَّثنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن أيوبَ، عن حُميد بنِ هلالٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ نَعَى جعفراً وزيداً قبلَ أن يَجِيءَ خبرُهم، وعَيناهُ تَذْرِفان.

٣٦٣١- حدَّثنا عَمْرو بنُ عبَّاسٍ، حدَّثنا ابنُ مَهْدِيٍّ، حدَّثنا سفيانُ، عن محمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ، عن جابرٍ ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «هل لكم مِن أنْماطٍ؟» قلتُ: وأنَّى يكونُ لنا الأنْماطُ؟ قال: «أما إنَّها سَتكونُ لكمُ الأنْماط» فأنا أقولُ لها - يعني امرأتَه - أخِّري عنِّي أنْماطَكِ، فتقولُ: ألم يَقُلِ النبيُّ ﷺ: «وإنها ستكونُ لكمُ الأنْماط؟» فأدَعُها.

[طرفه في: ٥١٦١]

٣٦٣٢- حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا عُبيدُ الله بنُ موسى، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن عَمْرِو بنِ مَيمونٍ، عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ ﷺ، قال: انطَلَقَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ مُعتَمِراً، قال: فنزلَ على أُميَّةَ بنِ خَلَفٍ أبي صَفْوانَ، وكان أُميَّةُ إذا انطَلَقَ إلى الشّامِ فمرَّ بالمدينةِ نزلَ على سعْدٍ، فقال أُميَّةُ لسعدٍ: انتَظِرْ، حتَّى إذا انتَصَفَ النَّهارُ وغَفَلَ الناسُ انطَلَقْتُ فطُفْتُ؟ فبينا سَعْدٌ يَطوفُ إذا أبو جَهْلٍ، فقال: مَن هذا الذي يَطوفُ بالكَعْبةِ؟ فقال سَعْدٌ: أنا سَعْدٌ، فقال أبو جَهْلٍ: تَطوفُ بالكَعْبةِ آمِناً وقد آوَيتُم محمَّداً وأصحابَه؟ فقال: نعم، فتَلاحَيا بينَهما،

فقال أُميَّةُ لسعْدٍ: لا تَرْفَع صوتَكَ على أبي الحَكَم، فإنَّه سَيِّدُ أهلِ الوادي، ثمَّ قال سَعْدٌ: والله لَئِن مَنَعْتَني أن أطوفَ بالبيتِ لأقطعَنَّ مَتْجَرَكَ بالشَّامِ، قال: فجَعَلَ أُميَّةُ يقول لسعْدٍ: لا تَرْفَعْ صوتَكَ ـ وجَعَلَ يُمْسِكُه ـ فغَضِبَ سَعْدٌ، فقال: دَعْنا عنكَ، فإنّي سمعتُ محمَّداً ﷺ يَزعُمُ أنَّه قاتِلُكَ، قال: إيّاي؟ قال: نعم، قال: والله ما يَكذِبُ محمَّدٌ إذا حدَّثَ، فرَجَعَ إلى امرأتِه، فقال: أما تعلَمِينَ ما قال لي أخي اليَثْرِبيُّ؟ قالت: وما قال؟ قال: زَعَمَ أنَّه سمعَ محمَّداً يزعُمُ أنَّه قاتِلي، قالت: فوالله ما يَكذِبُ محمَّدٌ، قال: فلمَّا خَرَجوا إلى بَدْرٍ وجاء الصَّرِيخُ، قالت له امرأتُه: أما ذَكَرْتَ ما قال لكَ أخوكَ اليَثْرِبيّ؟ قال: فأرادَ أن لا يَخْرُجَ، فقال له أبو جَهْلٍ: إنَّكَ من أشراف الوادي، فَسِر يوماً أو يومينِ، فسارَ معهم فقتَلَه الله.

[طرفه في: ٣٩٥٠]

٣٦٣٣- حدَّثنا عبَّاسُ بنُ الوليد النَّرْسِيُّ، حدَّثنا مُعتَمِرٌ، قال: سمعتُ أبي، حدَّثنا أبو عُثْمانَ، قال: أُنبِئْتُ أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ وعندَه أمُّ سَلَمةَ، فجَعَلَ يُحدِّثُ، ثمَّ قامَ، فقال النبيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمةَ: «مَن هذا؟» ـ أو كما قال ـ قالت: هذا دِحْيةُ، قالت أمُّ سَلَمةَ: ايمُ الله، ما حَسِبتُه إلّا إيّاه، حتَّى سمعتُ خُطْبَةَ نبيِّ الله ﷺ يُخبِرُ جِبْرِيلَ، أو كما قال.

قال: فقلتُ لأبي عُثْمانَ: ممَّن سمعتَ هذا؟ قال: من أُسامةَ بنِ زَيدٍ.

[طرفه في: ٤٩٨٠]

٣٦٣٤- حدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ شَيْبَةَ، أخبَرَني عبدُ الرحمن بنُ مُغِيرةَ، عن أبيه، عن موسى ابنِ عُقْبَةَ، عن سالمِ بنِ عبدِ الله، عن عبد الله ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُ الناسَ مُجتَمِعِينَ في صَعِيدٍ، فقامَ أبو بكرٍ فنَزَعَ ذَنُوباً أو ذَنوبينِ، وفي بعضِ نَزْعِه ضَعْفٌ، والله يَغفِرُ له، ثمَّ أخذَها عمرُ فاستَحالَتْ بِيَدِه غَرْباً، فلم أرَ عَبْقَرِيّاً في الناسِ يَفْري فَرِيَّه، حتَّى ضَرَبَ الناسُ بعَطَنٍ».

وقال همَّامٌ: سمعتُ أبا هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ: «فنَزَعَ أبو بكرٍ ذَنُوباً أو ذَنُوبَين».

[أطرافه في: ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠]

٦٣٠/٦ **الحديث الرابع والأربعون:** حديث عائشة: أقبَلَت فاطمةُ عليها السَّلام، الحديث في ذِكْر وفاة النبي ﷺ، وإعلامه لها بأنَّها أوَّل أهله لُحوقاً به، أخرجه من وجهَينِ، وسيأتي في أواخر المغازي في الوفاة (٤٤٣٣ و٤٤٣٤) مشروحاً، وأذكُر فيه وجه التَّوفيق بين الرِّوايتَين إن شاء الله تعالى.

الحديث الخامس والأربعون: حديث ابن عبَّاس: كان عمر يُدني ابن عبَّاس، الحديث في معنى هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وسيأتي شرحه في تفسير سورة النَّصر (٤٩٦٩).

الحديث السادس والأربعون: حديث ابن عبَّاس أيضاً في خُطبة النبي ﷺ في آخر عمره، وفيه وصيّته بالأنصار، وسيأتي شرحه في مناقب الأنصار (٣٨٠٠) إن شاء الله تعالى.

الحديث السابع والأربعون: حديث أبي بكرة في أنَّ الحسن سَيِّد، وسيأتي شرحه في كتاب الفتن (٧١٠٩) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثامن والأربعون: حديث أنس في قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، أورَدَه مختصراً، وسيأتي شرحه في شَرحَ غزوة مُؤتة (٤٢٦٢) إن شاء الله تعالى.

الحديث التاسع والأربعون: حديث جابر في ذِكْر الأنماط، وهي جمع نَمَط بفتَحاتٍ، مِثل خبر وأخبار، والنَّمَط: بساط له خَمْل رَقيق، وسيأتي شرحه في النِّكاح (٥١٦١)، وأنَّ النبي ﷺ قال له ذلك لمَّا تزوَّجَ.

وقوله هنا: «**فأنا أقول لها يعني: امرأته**» كذا في الأصل، وسيأتي تسمية امرأته هناك.

وفي استدلالها على جواز اتِّخاذ الأنماط بإخباره ﷺ بأنَّها ستكونُ، نظرٌ، لأنَّ الإخبار بأنَّ الشيء سيكون لا يقتضي إباحَته إلّا إن استنَد المستَدِلّ به على التَّقرير، فيقول: أخبر الشّارع بأنَّه سيكون، ولم يَنْهَ عنه، فكأنَّه أقرَّه، وقد وقعَ قريب من هذا في حديث عَديّ بن حاتم الماضي في هذا الباب (٣٥٩٥) في خروج الظَّعينة من الحِيرة إلى مكَّة بغير خَفِير، فاستَدَلَّ به بعض الناس على جواز سَفَر المرأة بغير مَحرَم، وفيه من البحث ما ذُكِرَ.

الحديث الخمسون: حديث عبد الله بن مسعود في إخبار سعد بن معاذ لأُميَّة بن خَلَف أنَّه سَيُقتَل، وسيأتي شرحه مُستوفًى في أوَّل المغازي (٣٩٥٠) إن شاء الله تعالى، وقد شرحه الكِرْماني على أنَّ المراد بقولِ سعد بن معاذ لأُميَّة بن خَلَف: إنَّه قاتلُك، أي: أبو جهل، ثمَّ استُشكِلَ ذلك بكَونِ أبي جهل على دين أُميَّة، ثمَّ أجابَ بأنَّه كان السَّبَبَ في خروجه وقتله فنُسِبَ قَتلُه إليه، وهو فَهْم عَجيب، وإنَّما أراد سعد أنَّ النبي ﷺ يَقتُل أُميَّة، وسيأتي التَّصريح بذلك في مكانه بما يَشفي الغَليل إن شاء الله تعالى.

الحديث الحادي والخمسون: حديث أُسامة بن زيد في ذِكْر جِبْريل، وسيأتي شرحه في غزوة قُرَيظَة[1] إن شاء الله تعالى.

الحديث الثاني والخمسون: حديث ابن عمر في رُؤيا أبي بكر يَنزِع ذَنُوباً أو ذَنوبَين الحديث، وسيأتي شرحه في تَعبير الرُّؤيا (٧٠١٩) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثالث والخمسون: حديث أبي هريرة في ذلك، أورَدَ منه طرفاً مُعلَّقاً، وهو موصول في التَّعبير أيضاً من هذا الوجه (٧٠٢٢)، ومن غيره (٧٠٢١)، والله أعلمُ.

٦٣١/٦

٢٥- باب قول الله تعالى:

﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]

٣٦٣٥- حدَّثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ، أخبرنا مالكٌ، عن نافعٍ، عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ، فذَكَروا له أنَّ رجلاً منهم وامرأةً زَنَيا، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «ما تَجِدونَ في التَّوراةِ في شأنِ الرَّجْمِ؟» فقالوا: نَفْضَحُهم ويُجْلَدُونَ، فقال عبدُ الله بنُ سلَامٍ: كَذَبتُم، إنَّ فيها الرَّجْمَ، فأَتَوا بالتَّوراةِ فنَشَروها، فوَضَعَ أحدُهم يدَه على آيةِ

---

(١) أراد الحافظ رحمه الله أن يُحيل إلى ما جاء في حديث عائشة الآتي برقم (٤١٢٢) وفيه بيان سبب مجيء جبريل إلى النبي ﷺ يوم قريظة، وأنه إنما جاءه بالأمر بغزوهم، بجامع ما ورد في بعض طرق حديث عائشة من أنه جاءه في ذلك اليوم بصورة دحية الكلبي، فيتفق مع ما حكته أم سلمة هنا، كما بيَّن ذلك واضحاً عند شرح حديث أسامة هذا في فضائل القرآن برقم (٤٩٨٠).

الرَّجْمِ، فقرأَ ما قبلَها وما بعدَها، فقال له عبدُ الله بنُ سَلَامٍ: ارفَعْ يدَكَ، فرَفَعَ يدَه، فإذا فيها آيةُ الرَّجْمِ، فقالوا: صَدَقَ يا محمَّدُ، فيها آيةُ الرَّجْم.

فأَمَرَ بهما رسولُ الله ﷺ، فرُجِما.

قال عبدُ الله: فرأيتُ الرجلَ يَجْنأُ على المرأةِ يَقِيها الحجارةَ.

[طرفه في: ٦٨٤١]

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾» أورَدَ فيه حديث ابن عمر في قصَّة اليهوديَّين اللَّذَين زَنَيا، وسيأتي شرحه مُستوفًى في كتاب الحدود (٦٨١٩) إن شاءَ تعالى، ونذكر هناك تسمية مَن أُبهِمَ في هذا الخبر.

وقوله في آخره: «قال عبد الله: فرأيت الرجل» عبد الله المذكور: هو ابن عمر راوي الحديث، وقد وَقَعَ في الحديث ذِكْر عبد الله بن سلام، وذِكْر عبد الله بن صوريَا الأعوَر، وليس واحد منهما مُراداً بقوله: قال عبد الله، ووجه دخول هذه التَّرجمة في أبواب علامات النبوَّة من جِهَة أنَّه أشارَ في الحديثِ إلى حُكم التَّوراة، وهو أمّيٌّ لم يقرأ التَّوراة قبل ذلك، فكان الأمرُ كما أشارَ إليه.

٢٦- بابُ سؤالِ المشركينَ أن يُريَهم النبيُّ ﷺ آيةً فأَرَاهُم انشِقاق القمر

٣٦٣٦- حدَّثنا صَدَقةُ بنُ الفَضْلِ، حدَّثنا ابنُ عُيَينةَ، عن ابنِ أبي نَجِيح، عن مجاهدٍ، عن أبي مَعمَر، عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ ﷺ، قال: انشَقَّ القمرُ على عَهْدِ النبيِّ ﷺ شِقَّتَينِ، فقال النبيُّ ﷺ: «اشهَدُوا».

[أطرافه في: ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥]

٣٦٣٧- حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّدٍ، حدَّثنا يونسُ، حدَّثنا شَيْبانُ، عن قَتَادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ.

وقال لي خَلِيفةُ: حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ، حدَّثنا سعيدٌ، عن قَتَادةَ، عن أنسٍ ﷺ، أنَّه حدَّثهم:

أنَّ أهلَ مَكّةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم انشِقاقَ القمر.

[أطرافه في: ٣٨٦٨، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨]

٣٦٣٨- حدَّثنا خَلَفُ بنُ خالدٍ القُرَشيُّ، حدَّثنا بَكْرُ بنُ مُضَرَ، عن جعفرِ بنِ رَبيعةَ، عن عِراكِ بنِ مالكٍ، عن عُبيدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ القمرَ انشَقَّ في زمانِ النبيِّ ﷺ.

[طرفاه في: ٣٨٢٠، ٤٨٦٦]

٦/٦٣٢ قوله: «باب سؤال المشْرِكينَ أن يُرِيَهم النبيُّ ﷺ آية، فأراهم انشِقاقَ القمر» فذكر فيه حديث ابن مسعود وأنس وابن عبَّاس في ذلك، وقد وَرَدَ انشِقاق القمر أيضاً مِن حديث عليّ[1] وحُذَيفة[2] وجُبَير بن مُطعِم[3] وابن عمر[4] وغيرهم، فأمَّا أنس وابن عبَّاس فلم يَحضُرا ذلك، لأنَّه كان بمكَّة قبل الهجرة بنحو خمس سنين، وكان ابن عبَّاس إذ ذاكَ لم يولد، وأمَّا أنس فكان ابنَ أربع أو خمس بالمدينة، وأمَّا غيرهما فيُمكِن أن يكون شاهَدَ ذلك، وممَّن صَرَّحَ برُؤية ذلك ابن مسعود، وقد أورَدَ المصنِّف حديثه هنا مختصراً، وليس فيه التَّصريح بحضورِ ذلك، وأورَدَه في التَّفسير (٤٨٦٤) من طريق إبراهيم عن أبي مَعمَر بتمامه وفيه: فقال النبي ﷺ: «اشهَدوا»[5]، وبيَّن في رواية مُعلَّقة تأتي قبل هِجرة الحبشة أنَّ ذلك كان بمكَّة، ووقعَ في رواية لأبي نُعَيم في «الدَّلائل» من طريق عُتبة بن عبد الله بن عُتبة عن عَمّ أبيه ابن مسعود: فلقد رأيت أحد شِقَّيه على الجبل الذي بمِنى ونحنُ بمكَّة. وسيأتي بقيَّة الكلام عليه[6] إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٩٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة ١٣/ ٣٧٨، وابن جرير الطبري ٢٧/ ٨٦، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧٠٦).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٧٥٠)، والترمذي (٣٢٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٠١).

(٥) هي أيضاً هنا في رواية الباب!

(٦) بإثر الحديث (٣٨٦٩).

٢٧- بابٌ

٣٦٣٩- حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ المثنَّى، حدَّثنا معاذٌ، قال: حدَّثني أبي، عن قَتَادةَ، عن أنسٍ ﷺ: أنَّ رجلينِ من أصحاب النبيِّ ﷺ خرَجا مِن عندِ النبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظْلمةٍ ومعهما مِثلُ المِصْباحَين يُضِيئان بينَ أيدِيهما، فلمَّا افترَقا صارَ معَ كلِّ واحدٍ منهما واحدٌ، حتَّى أتى أهلَه.

٣٦٤٠- حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي الأسوَدِ، حدَّثنا يحيى، عن إسماعيلَ، حدَّثنا قيسٌ، سمعتُ المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يزالُ ناسٌ من أمَّتي ظاهِرِينَ، حتَّى يأتيَهم أمرُ الله وهم ظاهرونَ».

[طرفاه في: ٧٣١١، ٧٤٥٩]

٣٦٤١- حدَّثنا الحُمَيديُّ، حدَّثنا الوليدُ، قال: حدَّثني ابنُ جابرٍ، قال: حدَّثني عُمَيرُ بنُ هانئٍ، أنَّه سمعَ مُعاوِيةَ يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا يزالُ مِن أمَّتي أمَّةٌ قائمةٌ بأمرِ الله، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهم ولا مَن خالَفَهم، حتَّى يأتيَهم أمرُ الله وهم على ذلك».

قال عُمَيرٌ: فقال مالكُ بنُ يُخامِرَ: قال معاذٌ: وهم بالشَّامِ، فقال مُعاوِيةُ: هذا مالكٌ يَزعُمُ أنَّه سمعَ معاذاً يقول: وهم بالشَّام.

٣٦٤٢- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، أخبَرنا سفيانُ، حدَّثنا شَبِيبُ بنُ غَرْقَدةَ، قال: سمعتُ الحيَّ يَتحدَّثُون، عن عُرْوةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ أعطاه دِيناراً يَشْتَري له بِهِ شاةً، فاشترَى له به شاتَينِ، فباعَ إحداهما بدِينارٍ، فَجاءَهُ بدِينارٍ وشاةٍ، فدَعا له بالبَرَكةِ في بيعِه، وكان لَوِ اشترَى التُّرابَ لَرَبِحَ فيه.

قال سفيانُ: كان الحَسنُ بنُ عُمارةَ جاءنا بهذا الحديث عنه، قال: سمعَه شَبِيبٌ من عُرْوةَ، فأتيتُه، فقال شَبِيبٌ: إنِّي لم أسمَعْه من عُرْوةَ، قال: سمعتُ الحيَّ يُخْبِرونَه عنه.

٣٦٤٣- ولكنْ سمعتُه، يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ، يقول: «الخيرُ مَعْقودٌ بنَواصِي الخيلِ إلى يومِ القيامةِ» قال: وقد رأيتُ في داره سبعِينَ فرساً.

قال سفيانُ: يَشْتَري لهُ شاةً كأنَّها أُضْحِيَّةٌ.

٣٦٤٤- حدَّثنا مُسدَّدٌ، حدَّثنا يحيى، عن عُبيدِ الله، قال: أخبرني نافعٌ، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الخيلُ معقودٌ[1] في نَواصِيها الخيرُ إلى يومِ القيامة».

٣٦٤٥- حدَّثنا قيسُ بنُ حفصٍ، حدَّثنا خالدُ بنُ الحارثِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن أبي التَّيَّاح، قال: سمعتُ أنسَ بن مالك، عن النبيِّ ﷺ، قال: «الخيلُ مَعْقودٌ في نَواصِيها الخير».

٣٦٤٦- حدَّثنا عبدُ الله بنُ مَسْلَمةَ، عن مالكٍ، عن زيد بنِ أسلَمَ، عن أبي صالحٍ السَّمّان، عن أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «الخيلُ لثلاثةٍ: لرجلٍ أجْرٌ، ولرجلٍ سِتْرٌ، وعلى رجلٍ وِزْرٌ، فأمَّا الذي له أجْرٌ فرجلٌ رَبَطَها في سبيلِ الله، فأطالَ لها في مَرْجٍ أو رَوْضةٍ، فما أصابتْ في طِيَلِها مِن المَرْجِ أو الرَّوْضةِ كانت له حسناتٍ، ولو أنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها، فاستَنَّت شَرَفاً أو شَرَفَين كانت أرواثُها حسناتٍ له، ولو أنَّها مرَّت بنَهَرٍ فشَرِبَت ولم يُرِدْ أن يَسْقِيَها كان ذلك له حسناتٍ، ورجلٌ رَبَطَها تَغَنِّياً وتَعَفُّفاً، ولم يَنْسَ حَقَّ الله في رِقابِها وظُهورِها، فهِيَ له كذلك سِتْرٌ، ورجلٌ رَبَطَها فخْراً ورِياءً ونِواءً لأهلِ الإسلام فهِيَ وِزْرٌ».

وَسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الحُمُرِ، فقال: «ما أُنزِلَ عليَّ فيها إلّا هذه الآيةُ الجامِعةُ الفاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]».

٣٦٤٧- حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله، حدَّثنا سفيانُ، حدَّثنا أيوبُ، عن محمَّدٍ، سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ ﷺ، يقول: صَبَّحَ رسولُ الله ﷺ خيبرَ بُكْرةً، وقد خَرَجوا بالمساحِي، فلمَّا رَأَوْه قالوا: محمَّدٌ والخَميسُ! فأَحالُوا إلى الحِصْنِ يَسْعَوْنَ، فرَفَعَ النبيُّ ﷺ يَدَيه، وقال: «الله أكبرُ، خَرِبَتْ خَيبرُ، إنّا إذا نزلْنا بساحةِ قومٍ فسَاءَ صباحُ المنذَرِينَ».

٣٦٤٨- حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذِرِ، حدَّثنا ابنُ أبي الفُدَيكِ، عن ابنِ أبي ذِئْبٍ، عن المقبُريِّ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي سمعتُ منكَ حديثاً كثيراً فأنْساه، قال: «ابْسُطْ رِداءَكَ» فبَسَطتُهُ، فغَرَفَ بيدَيه فيه، ثمَّ قال: «ضُمَّه» فضَمَمْتُه، فما نَسِيتُ حديثاً بعدُ.

---

(١) قوله: «معقود» في رواية أبي ذرٍّ عن الكُشْمِيهني وحده، كما ذكر الحافظ عند الحديث السالف برقم (٢٨٤٩).

قوله: «باب» كذا في الأُصول بغير ترجمة، وكان من حقّه أن يكون قبل البابين اللَّذَين قبله، لأنَّه مُلحَق بعلامات النبوَّة، وهو كالفصل منها، لكن لمَّا كان كلّ من البابين راجِعاً إلى الذي قبله، وهو علامات النبوَّة سَهُلَ الأمر في ذلك. وذكر فيه أحاديث:

الحديث الأول: حديث أنس.

قوله: «أنَّ رجلين من أصحاب النبي ﷺ» هما أُسَيد بن حُضَير وعبّاد بن بشر، وسيأتي بيان ذلك في فضائل الصَّحابة قريباً (٣٨٠٥) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثاني: حديث المغيرة بن شُعْبة:/ «لا يزال ناس من أمَّتي ظاهرينَ» الحديث، ٦٣٤/٦ وسيأتي الكلام عليه في الاعتصام (٧٣١١) إن شاء الله تعالى.

الحديث الثالث والرابع: حديث معاوية ومعاذ في المعنى، والوليد في الإسناد: هو ابن مسلم، وابن جابر: هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ومالك بن يُخامر، بضمِّ التَّحتانية بعدها مُعجَمة خفيفة، والميم مكسورة، وهو السَّكسَكي نزلَ حِمص، وما له في البخاري سوى هذا الحديث، وقد أعادَه بإسناده ومَتْنه في التَّوحيد (٧٤٦٠)، وهو من كِبار التابعينَ، وقد قيل: إنَّ له صُحْبة، ولا يَصِحّ، ويأتي البحث في المراد بالذينَ لا يزالونَ ظاهرينَ قائمينَ بأمرِ الدّين إلى يوم القيامة في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى.

الحديث الخامس: حديث عُرْوة، وهو البارِقيّ.

قوله: «حدَّثنا شَبيب بن غَرْقَدَة» هو بفتح المعجَمة وموحَّدتَين، وزن سعيد، وغَرْقَدة بفتح المعجَمة وسكون الرّاء بعدها قاف، تابعي صغير ثقة عندهم، ما له في البخاري سوى هذا الحديث.

قوله: «سمعْت الحيّ يَتَحَدَّثُونَ» أي: قبيلَتُه، وهم منسوبونَ إلى بارِق جبل باليمن، نزلَه بنو سعْد بن عَدي بن حارثة بن عَمْرٍو مُزَيقِيَا[1] بن عامر فنُسِبوا إليه، وهذا يقتضي أن

---

(١) مُزَيقيَا هو لقب عمرو، وأبوه عامر لقبه ماء السماء، ولهذا قال قائلهم:

أنـا ابـن مُزَيقِيـا عمـرٍو وجَـدِّي　　　أبـوه عـامرٌ مـاءُ السـماءِ

يكون سمعَه من جماعة أقلّهم ثلاثة.

قوله: «عن عُرْوَة» هو ابن الجَعْد أو ابن أبي الجَعْد، وقد تقدَّم بيان الصَّواب من ذلك في ذِكْر الخَيل من كتاب الجهاد (٢٨٥٠).

قوله: «أعْطاه ديناراً يَشْتَري له به شاة» في رواية أبي لَبيد عند أحمد (١٩٣٦٢) وغيره[1]: عن عُرْوة بن أبي الجَعْد قال: عُرِضَ للنبي ﷺ جَلب، فأعطاني ديناراً فقال: «أي عُرْوةَ، ائتِ الجَلبَ فاشتَرِ لنا شاةً» قال: فأتيت الجَلب فساوَمتُ صاحبَه، فاشتَرَيت منه شاتَين بدينارٍ.

قوله: «فباعَ إحداهما بدينارٍ» أي: وبَقي معه دينار. وفي رواية أبي لَبيد: فلَقيني رجل فساوَمَني فبِعتُه شاةً بدينارٍ، وجِئت بالدّينار والشّاة.

قوله: «فدَعا له بالبَرَكةِ في بيعه» في رواية أبي لَبيد عن عُرْوة: فقال: «اللهمَّ بارِكْ له في صَفقة يمينه». وفيه أنَّه أمضى له ذلك وارتَضاه، واستُدِلَّ به على جواز بيع الفُضُولي، وتَوَقَّفَ الشّافعي فيه، فتارةً قال: لا يَصِحّ، لأنَّ هذا الحديث غير ثابت، وهذه رواية المُزَني عنه، وتارةً قال: إن صَحَّ الحديثُ قلتُ به، وهذه رواية البُوَيطي.

وقد أجابَ مَن لم يأخُذ به بأنَّها واقعة عَين، فيَحتمل أن يكون عُرْوة كان وكيلاً في البيع والشِّراء معاً، وهذا بحث قويّ يَقِفُ به الاستدلال بهذا الحديث على جواز تصرُّف الفُضُولي، والله أعلم.

وأمّا قول الخَطّابي والبيهقي وغيرهما: إنَّه غير مُتَّصِل، لأنَّ الحيّ لم يُسَمَّ أحدٌ منهم فهو على طريقة بعض أهل الحديث يُسَمّونَ ما في إسناده مُبهَم مُرسلاً أو مُنقَطِعاً. والتَّحقيق: إذا وَقَعَ التَّصريح بالسَّماع أنَّه مُتَّصِل في إسناده مُبهَم، إذ لا فرق فيما يَتعلَّق بالاتّصال والانقطاع بين رواية المجهول والمعروف، فالمبهَم نَظِير المجهول في ذلك، ومع ذلك فلا يقال في إسنادٍ صَرَّحَ كلُّ مَن فيه بالسَّماع من شيخه: إنَّه مُنقَطِع، وإن كانوا أو بعضهم غير معروفٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٨٥)، وابن ماجه (٢٤٠٢)، والترمذي (١٢٥٨)، واللفظ لأحمد.

قوله: «وكان لو اشتَرى التُّراب لَرَبِحَ فيه»، في رواية أبي لَبيد المذكورة قال: فلقد رأيتني أقِفُ بكُناسة الكوفة، فأربَح أربعينَ ألفاً، قبل أن أصِل إلى أهلي. قال: وكان يَشتَري الجواري ويبيع.

قوله: «قال سُفْيان» هو ابن عُيَينَةَ، وهو موصول بالإسناد المذكور.

قوله: «كان الحسن بن عُمارة» هو الكوفي أحد الفقهاء المتَّفَق على ضعف حديثهم، وكان قاضي بغداد في زمن المنصور ثاني خُلَفاء بني العبَّاس، وماتَ في خِلافَته سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومئة. وقال ابن المبارَك: جَرَحَه عندي شُعْبة وسفيان كلاهما. وقال ابن حِبّان: كان يُدَلِّس عن الثِّقات ما سمعَه من الضُّعَفاء عنهم، فالتَصَقَت به تلكَ الموضوعات.

قلت: وما له في البخاري إلّا هذا الموضع.

قوله: «جاءنا بهذا الحديث عنه» أي: عن شَبيب بن غَرقَدة.

قوله: «قال» أي: الحسن «سمعَه شَبيبٌ من عُرْوة فأتيته» القائل سفيان، والضَّمير لشَبيبٍ، وأراد البخاري بذلك بيان ضعف رواية الحسن بن عُمارة، وأنَّ شَبيباً لم يَسمَع الخبر من عُرْوة، وإنَّما سمعَه من الحيّ، فالحديث/ بهذا ضعيف للجهلِ بحالهم، لكن وُجِدَ له مُتابع عند أحمد (١٩٣٦٢) وأبي داود (٣٣٨٥) والتِّرمِذي (١٢٥٨)، وابن ماجَهْ (٢٤٠٢) من طريق سعيد بن زيد عن الزُّبَير بن الخِرِّيت عن أبي لَبيد، قال: حدَّثني عُرْوة البارقي، فذكر الحديث بمعناه، وقد قَدَّمتُ ما في روايته من الفائدة، وله شاهد من حديث حَكيم ابن حِزام[1]، وقد أخرجه ابن ماجَهْ (٢٤٠٢) عن أبي بكر بن أبي شَيْبة عن سفيان عن شَبيب عن عُرْوة ولم يَذكُر بينهما أحداً، ورواية عليّ بن عبد الله وهو ابن المَدِيني شيخ البخاري فيه تَدُلّ على أنَّه وَقَعَت في هذه الرِّواية تسوية، وقد وافَقَ علياً على إدخال الواسطة بين شَبيب وعُرْوة: أحمد (١٩٣٥٦) والحُميدي (٨٤٣) في «مُسنَدَيهما» وكذا مُسدَّد عند أبي داود (٣٣٨٤) وابن أبي عمر والعبَّاس بن الوليد عند الإسماعيلي، وهذا هو المعتمَد.

قوله: «قال سُفْيان: يَشْتَري له شاة كأنَّها أُضْحيَّة» هو موصول أيضاً، ولم أرَ في شيء من

٦٣٥/٦

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٨٦)، والترمذي (١٢٥٧)، وإسناده ضعيف.

طرقه أنَّه أراد أُضحيّة، وحديث الخيل تقدَّم الكلام عليه في الجهاد مُستوفًى (٢٨٥٠)، وزَعَمَ ابن القَطّان أنَّ البخاري لم يُرِد بسياق هذا الحديث إلّا حديث الخيل، ولم يُرِد حديث الشّاة، وبالَغَ في الردّ على مَن زَعَمَ أنَّ البخاري أخرج حديث الشّاة مُحتَجّاً به، لأنَّه ليس على شرطه لإبهام الواسطة فيه بين شَبيب وعُرْوة، وهو كما قال، لكن ليس بذلك ما يَمنَع تخريجه، ولا ما يَحُطّه عن شرطه، لأنَّ الحيّ يَمتَنِع في العادة تَواطُؤُهم على الكذِب، ويُضاف إلى ذلك وُرود الحديث من الطَّريق التي هي الشّاهد لصِحَّة الحديث، ولأنَّ المقصود منه الذي يَدخُل في علامات النبوَّة دعاءُ النبي ﷺ لعُرْوة، فاستُجيبَ له حتَّى كان لو اشتَرَى التُّراب لَرَبِحَ فيه.

وأمّا مسألة بيع الفُضولي فلم يُرِدْها، إذ لو أرادَها لَأورَدَها في البيوع، كذا قَرَّرَه المنذِري، وفيه نظر، لأنَّه لم يَطَّرِد له في ذلك عمل، فقد يكون الحديث على شرطه ويعارضه عنده ما هو أولى بالعملِ به من حديثٍ آخر، فلا يُخرِج ذلك الحديث في بابه، ويُخرِجه في باب آخر أخفى ليُنبِّهَ بذلك على أنَّه صحيح، إلّا أنَّ ما دَلَّ ظاهرُه عليه غيرُ معمول به عنده، والله أعلم.

الحديث السادس والسابع: حديث ابن عمر وأنس في الخيل أيضاً، وقد تقدَّم في الجهاد أيضاً (٢٨٤٩و٢٨٥١).

الحديث الثامن: حديث أبي هريرة: «الخيل لثلاثةٍ»، وقد تقدَّم الكلام عليه مُستوفًى في الجهاد (٢٨٦٠)، ولم يَظهَر لي وجه إيراد هذه الأحاديث في أبواب علامات النبوَّة إلّا أن يكون من جُملة ما أخبر به فوَقَعَ كما أخبَرَ، وقد تقدَّم تقرير هذا التَّوجيه في أوائل الجهاد في «باب الجهاد ماضٍ مع البَرّ والفاجِر» (٢٨٥٢).

الحديث التاسع: حديث أنس في قوله: «الله أكبر خَرِبَت خيبر»، وسيأتي شرحه مُستوفًى في المغازي (٤١٩٧)، ووجه إيراده هنا من جِهَة أنَّه فُهِمَ من قوله: «خَرِبَت خيبر» الإخبار بذلك قبل وقوعه فوَقَعَ كذلك.

الحديث العاشر: حديث أبي هريرة في سبب عَدَم نِسيانه الحديثَ، وقد تقدَّم شرحه مُستَوفًى في كتاب العلم (١١٨)، والله أعلم.

خاتمة: اشتَمَلَت المناقب النَّبوية من أوَّل المناقب إلى هنا من الأحاديث المرفوعة، وما لها حُكم المرفوع على مئة وتِسعة وتسعينَ حديثاً، المعلَّق منها سبعة عشر طريقاً، والبقيَّة موصولة، المكرَّر منها فيها وفيما مضى ثمانية وسبعونَ حديثاً، والخالص مئة حديثٍ وحديثٌ، وافَقَه مسلم على تخريجها سوى ثمانية وعشرينَ حديثاً، وهي: حديث ابن عبَّاس في الشُّعوب، وحديث زينب بنت أبي سَلَمة: «مِن مُضَر» وفي النَّبيذ، وحديث ابن عبَّاس في تفسير ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وحديث معاوية: «إنَّ هذا الأمر في قريش»، وحديث عائشة والمِسوَر في النَّذر، وحديث واثِلة: «مِن أعظَم الفِرى»، وحديث أبي هريرة: «أسلم وغِفار خير من أسَد وتَميم»، وحديث أبي هريرة في عَمْرو بن لُحَيّ، وحديث ابن عبَّاس: «إن سَرَّكَ أن تعلم جَهْل العرب»، وحديث أبي هريرة: «ألا تَعجَبونَ كيف يصرِفُ الله عنِّي/ ٦٣٦/٦ شَتم قريش»، وحديث أبي بكر الصِّدّيق في قوله: وابأبي شَبيه بالنبي، وحديث عبد الله بن بُسر في صفة شَيب النبي ﷺ، وحديث البراء: كان وجه رسول الله ﷺ مِثل القمر، وحديث أبي هريرة: «بُعِثت من خير قُرون بني آدم»، وحديث جابر: كان النبي ﷺ تَنام عيناه ولا يَنام قلبه، أورَدَه مُعلَّقاً، وحديث ابن مسعود: كنَّا نَعُدّ الآيات بَرَكة، وحديث البراء: كنَّا بالحُدَيبية أربع عَشْرة مئة والحُدَيبية بئر فنَزَحْناها، الحديث، وحديث جابر في حَنين الجِذع، وحديث ابن عمر فيه، وحديث عَمْرو بن تَغلِبَ في قتال التُّرك، وحديث خَبّاب: «ألا تَستَنصِر لنا»، وحديث ابن عبَّاس في الذي قال: شيخ كبير، به حُمّى تَفور، وحديث ابن عبَّاس في تفسير: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، وحديثه في الوصية بالأنصار، وحديث سعد بن معاذ في قتل أُميَّة بن خَلَف، وحديث معاذ في الذينَ لا يزالونَ ظاهرينَ بالشّام.

وفيه من الآثار عن الصَّحابة فمَن بعدهم سبعة آثار، والله أعلمُ بالصَّواب.

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء العاشر من «فتح الباري»

ويليه الجزء الحادي عشر وأوله:

كتاب فضائل الصحابة

فهرس الموضوعات

كتاب الأنبياء

كتاب المناقب